...NE Ü. KÜTÜPH...
Sultan Ahmed
37
297.1

No 37

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا فتحدى
باقصر سورة من سوره مصاقع الخطباء من العرب العرباء
فلم يجد به قديرا واقحم من تصدى لمعارضته من فصحاء عدنان
وبلغاء قحطان حتى حسبوا انهم سحروا واستحيروا ثم بين للناس
ما نزل اليهم حسبما عن ظهر لهم عن مصالحهم ليدبروا آياته
وليتذكر اولوا الالباب تذكيرا فكشف قناع الانغلاق عن آيات
محكمات هن ام الكتاب وآخر متشابهات هن رموز الخطاب
تأويلا وتفسيرا وابرز عن امض الحقايق ولطائف الدقايق
ليتجلى لهم خفايا الملك والملكوت رحبا يا قدس الجبروت
ليتفكروا فيه تفكيرا ومهد لهم قواعد الاحكام واوضاعها
من نصوص الآيات والماعها ليذهب عنهم الرجس ويطهرهم
تطهيرا فمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد فى الدارين
حميد وسعيد ومن لم يرفع اليه رأسه واطفى نبراسه يعيش ذميما
ويصلى سعيرا فيا واجب الوجود ويا قابض الجود ويا عاسة
كل مقصود صل على عليه صلاة تواري غناءه وتجازى عناءه
وعلى من اعانه وقرب بنيانه تقريرا وافض علينا من بركاتهم
واسلك بنا مسالك كرماتهم وسلم علينا وعليهم تسليما كثيرا

وبعد فان اعظم العلوم مقدارا وارفعها شرفا ومنارا اعلم
التفسير الذى هو رئيس العلوم الدينية ورأسها ومبنى قواعد
الشرع واساسها لا يليق لتعاطيه والتصدى للتكلم فيه الا من
برع فى العلوم الدينية كما اصولها وفروعها وفاق فى الصناعات العربية والفنون الادبية بانواعها واطال ما احدث
نفسه بان اصنف فى هذا الفن كتابا يحتوى على صفوة ما بلغنى
من عظماء الصحابة وعلماء التابعين ومن دونهم من السلف الصا

لحين

لحين وينطوى على نكت بادعة ولطائف رايعة استنبطتها انا
ومن قبلى من افاضل المتأخرين واماثل المحققين ويؤوب عن
وجوه القراآت المشهورة المعزية الى الائمة الثمانية المشهور
والشواذ المروية عن القراء المعتبرين الا ان قصور بضاعتى
ينبطئنى عن الاقدام ويمنعنى عن الانتصاب فى هذا المقام حتى
يسنح لى بعد الاستخارة ما صممت به عزمى على الشروع فيما
اردته والاتيان بما قصدته ناويا ان اوسمه بعد ان اتممه بان
وارد التنزيل واساليد التأويل فها انا الآن اسرع وبحسن توفيقه اقول وهو الموفق لكل خير والمعطى لكل مسؤل سورة
فاتحة الكتاب سبع آيات وتسمى ام الكتاب القرآن لانها
مفتتحة لانها ومبدؤه فكانها اصله ومنشؤه ولذلك تسمى
اساسا او لانها تشتمل على ما فيه من الثناء على الله والتعبد بامره
ونهيه وبيان وعده ووعيده او على جملة معانيه من الحكم النظرية
والاحكام العملية التى هى سلوك الطريق المستقيم والاطلاع
على مراتب السعداء ومنازل الاشقياء وسورة الكنز والوافية
فية والكافية لذلك وسورة الحمد والشكر والدعاء وتعليم المسئلة
لاشتمالها عليها والصلاة لوجوب قراءتها واستحبابها فيها
والشافية والشفاء لقوله صلى الله عليه وسلم هى شفاء لكل
داء والسبع المثانى لانها سبع آيات بالاتفاق الا ان منهم
من عد التسمية آية دون انعمت عليهم ومنهم من عكس و
تثنى فى الصلوة او الانزال ان صح [redacted] انزلت بمكة حين
فرضت الصلوة وبالمدينة لما حولت القبلة وقد صح انها
مكية لقوله ولقد آتيناك سبعا من المثانى وهو مكى بالنص

بسم الله الرحمن الرحيم من الفاتحة وعليه علماء
مكة والكوفة وفقهاؤها وابن مبارك والشافعى وخالفهم

قراء مدينة والبصرة والشام وفقهاهم ومالك والاوزاعي ولم
ينص ابو حنيفة فيه بشئ فظن انها ليست من السورة عنده و
سئل محمد بن الحسن عنها فقال ما بين الدفتين كلام الله لنا احاديث
كثيرة منها ما روى ابو هريرة انه صلى الله عليه وسلم قال
فاتحة الكتاب سبع آيات اولاهن بسم الله الرحمن الرحيم
وقول ام سلمة قراءة رسول الله الفاتحة وعد بسم الله الرحمن
الرحيم الحمد لله رب العالمين آية ومن اجلهما اختلف في انها آية
برأسها وبما بعدها والاجماع على ان ما بين الدفتين كلام الله
والاتفاق على اثباتها في المصاحف مع المبالغة في تجريد القرآن
حتى لم يكتب آمين والباء متعلقة بمحذوف وتقديره بسم الله
اقرأ لان الذي يتلوه مقروء وكذلك يضمر كل فاعل ما يجعل
التسمية مبتداء له وذلك اولى من ان يضمر ابتدأ لعدم ما يطابقه
ويدل عليه او ابتدائي لزيادة اضماره فيه وتقديم المعمول
ههنا اوقع كما في قوله بسم الله مجريها وقوله اياك نعبد لانه
اهم وادل على الاختصاص وادخل في التعظيم واوفق للوجود
فان اسمه تعالى مقدم على القراءة كيف لا وقد جعل آلة لها من حيث
ان الفعل لا يتم ولا يعتد به شرعا ما لم يصدر باسمه تعالى لقوله
صلى الله عليه وسلم كل امر ذي بال لم يبدأ فيه ببسم الله فهو
ابتر وقيل الباء للمصاحبة والمعنى متبركا باسم الله اقرأ وهذا
وما بعده الى آخر السورة مقول على السنة العباد ليعلموا كيف يتبركون
باسمه ويحمدون على نعمه ويسئلون من فضله وانما كسرت الباء ومن
حق الحروف المفردة ان تفتح لاختصاصها بلزوم الحرفية والجر
كما كسرت لام الامر ولام الاضافة داخلة على المظهر للفصل
بينهما وبين لام التأكيد ولام الابتداء والاسم عند البصريين من
الاسماء التي حذفت اعجازها لكثرة الاستعمال وبنيت اوائلها

على

على التكون وادخل عليها مبتداء بها الهمزة الوصل لان من دأبهم
ان يبتدئوا بالتحرك ويقفوا على الساكن ويشهد له تصريفه
على اسماء واسامي وسمّ وسُمّيت ومجيء سُمّى كهُدى لغة فيه
قال والله اسماك سُمّيَ مباركا آثرك الله به ايثار كا والقلب
بعيد غير مطرد واشتقاقه من السمو لانه رفعة للمسمى او شعار
له ومن السمة عند الكوفيين واصله وسم حذفت الواو وعوضت
عنها الهمزة الوصل ليقل اعلاله ورد بان الهمزة لم تعهد داخلة
على ما حذف فصدره في كلامهم ومن لغاته سِمْ وسُمْ قال باسم الذي
في كل سورة سمة والاسم ان اريد به اللفظ فغير المسمى لانه يتألف
من اصوات مقطعة غير قارة ويختلف بالاختلاف في الامم والاعصار ويتعدد تارة ويتحد اخرى والمسمى لا يكون كذلك و
ان اريد به ذات الشئ فهو المسمى لكنه لم يشتهر لها بهذا المعنى
وقوله تعالى سبح اسم ربك المراد به اللفظ لانه كما يجب تنزيه
ذاته وصفاته عن النقائص يجب تنزيه الالفاظ الموضوعة
لها عن الرفث سوء الادب او الاسم وفيه مقحم كما في قول الشاعر
الى الحول ثم اسم السلام عليكما وان اريد به الصفة كما هو رأى
الشيخ ابي الحسن الاشعري انقسم انقسام الصفة عنده الى ما
هو نفس المسمى والى ما هو غيره والى ما ليس هو ولا غيره و
انما قال بسم الله ولم يقل بالله لان التبرك والاستعانة بذكر
اسمه او للفرق بين اليمين واليسمن ولم يكتب الالف على ما
هو وضع الخط لكثرة الاستعمال وطولت الباء عوضا عنها
والله اصله فحذفت الهمزة وعوض عنها الالف واللام
ولذلك قيل يا الله بالقطع الا انه مختص بالمعبود بالحق و
الآلة في اصله لكل معبود ثم غلب على المعبود بحق واشتقاقه
من اله الاهة والوهة والوهية بمعنى عبد ومنه تأله واستأله

وقيل من اله اذا تحير اذ العقول تتحير فى معرفته او من
الهت الى فلان اى سكنت اليه لان القلوب تطمين بذكره
والارواح تسكن الى معرفته او من اله اذا فزع من امر نزل
عليه والهة غيره اجاره اذا العايذ يفزع اليه وهو يجير
حقيقة او بزعمه او من اله الفصيل اذا ولع بامه اذ العباد مع
لعون بالتضرع اليه فى الشدائد او من وله اذا تحير وتخبط
عقله وكان اصله ولاه فقلبت العا وهمزة لاستثقال الكسرة
عليها استثقال الضمة فى وجوه فقيل الاه كاعاء وشاح ويزده
الجمع على الهة دون اولهة وقيل اصله لاه مصدر لاه يليه ليها
ولاها اذا احتجب وارتفع لانه محجوب عن ادراك الابصار
ومرتفع على كل شئ وعما لا يليق به ويشهد له قول الشاعر
كلفة من ابى رياح يسمعها لاهله الكبار وقيل علم لذاته المخصوصة
لانه يوصف ولا يوصف به ولانه لابد له من اسم تجرى عليه صفاته
ولا يصلح له مما يطلق عليه سواه ولانه لو كان وصفا لم يكن قولنا
لا اله الا الله توحيدا مثل لا اله الا الرحمن لانه لا يمنع الشركة والا
ظهر انه وصف فى اصله لكنه لما غلب عليه بحيث لا يستعمل فى
غيره وصار كالعلم مثل الثريا والمطلق اجرى مجراه فى اجراء
الوصف عليه وامتناع الوصف به وعدم قطرت احتمال الشركة
اليه لان ذاته من حيث هو بلا اعتبار امر آخر حقيقى او غيره غير
معقول للبشر فلا يمكن ان يدل عليه بلفظ ولانه لو دل على مجرد
ذاته المخصوص لما افاد ظاهر قولنا هو الله فى السموات
معنى صحيحا ولان معنى الاشتقاق هو كون احد اللفظين
مشاركا للآخر فى المعنى والتركيب وهو حاصل بينه وبين الا
صول المذكورة وقيل اصله لاها بالسريانية فعرب بحذف
الالف الاخيرة وادخال اللام عليه وتفخيم لامه اذا انفتح ما

قبله

قبله او انضم سنة وقيل مطلقا وحذف الفه لهن تفسد به
الصلوة ولا ينعقد به صريح اليمين وقد جاء لضرورة الشعر الا
الى بارك الله فى سهيل اذا ما الله بارك فى الرجال والرحمن
الرحيم اسمان بنيا للمبالغة من رحم كالغضبان من غضب
والعليم من علم والرحمة فى اللغة رقة القلب وانعطاف
يقتضى التفضل والاحسان ومنه الرحم لانعطافها على
ما فيها واسماء الله تعالى انما تؤخذ باعتبار الغايات التى
هى افعال دون المبادى التى تكون انفعالات والرحمن ابلغ
من الرحيم لان زيادة البناء تدل على زيادة المعنى كما فى قطع
وقطع وكبار وكبار وذلك انما تؤخذ تارة باعتبار الكمية
واخرى باعتبار الكيفية فعلى الاول قيل يا رحمن الدنيا لانه
يعم المؤمن والكافر ورحيم الآخرة لانه يخص المؤمن وعلى
الثانى قيل يا رحمن الدنيا والآخرة ورحيم الدنيا لان
النعم الاخروية كلها جسام واما النعم الدنيوية فجليلة
وحقيرة وانما قدم رحمن والقياس يقتضى الترقى من الا
دنى الى الاعلى لتقدم رحمة الدنيا ولانه صار كالعلم من حيث
انه لا يوصف به غيره لان معناه المنعم الحقيقى البالغ فى الرحمة
غايتها وذلك لا يصدق على غيره لان من عداه فهو مستفيض
بتفضله بلطفه وانعامه يوبد به جزيل ثواب او جميل ثناء او
مزيح رقة الجنسية او حب المال عن القلب ثم انه كالواسطة
فى ذلك لان ذات النعم ووجودها والقدرة على ايصالها
والداعية الباعثة عليه والتمكن من الانتفاع والقوى التى
بها يحصل الانتفاع الى غير ذلك من خلقه لا يقدر عليها
احد غيره او لان الرحمن لما دل على جلائل النعم واصولها
ذكر الرحيم ليتناول ما خرج منها فيكون كالتتمة والرديف

له اوّل للمحافظة على رؤس الآى والاظهر انه غير مصروف و
ان حضر اختصاصه بالله ان يكون له مؤنث على فعلى او فعلانة
الحاقا به بالاغلب فى بابه وتخصيص التسمية بهذه الاسماء
ليعلم العارف ان المستحق لان يستعان به فى مجامع الامور
هو المعبود الحقيقى الذى هو مولى النعم كلها عاجلها وآجلها
جليلها وحقيرها فيتوجه بشراشره الى جناب القدس و
يتمسك بحبل التوفيق ويشغل سره بذكره والاستمداد
به عن غيره الحمد لله الحمد هو الثناء على الجميل الاختيارى من
نعمة اوغيرها والمدح هو الثناء على الجميل مطلقا تقول
حمدت زيدا على عمله وكرمه ولا تقول حمدته على حسنه بل
مدحته وقيل هما اخوان والشكر مقابلة النعمة قولا وعملا
واعتقادا قال افادتكم النعماء منى ثلاثة يدى ولسانى
والضمير المحجبا فهو اعم منهما من وجه واختص من آخر
ولما كان الحمد من شعب الشكر اشيع للنعمة وادل على مكانها
لخفاء الاعتقاد ولما فى ايراد الجوارح من الاحتمال جعل رأس
الشكر والعمدة فيه فقال صلى الله عليه وسلم الحمد رأس الشكر
ما شكر الله من لم يحمده والذم نقيض الحمد والكفران
نقيض الشكر ورفعه بالابتداء وخبره لله واصله النصب
وقد قرئ به وانما عدل عنه الى الرفع ليدل على عموم الحمد
وثباته له دون تجدده وعدوثه وهو من المصادر التى
تنصب بافعال مضمرة لا تكاد تستعمل معها والتعريف فيه
للجنس ومعناه الاشارة الى ما يعرفه كل احد ان الحمد ما هو
وقيل للاستغراق اذ الحمد فى الحقيقة كله لله اذ ما من خير
الا وهو موليه بوسط او بغير وسط كما قال الله تعالى وما بكم من
نعمة فمن الله وفيه اشعار بان كل حمد فهو لله تعالى قادر مريد عالم اذ الحمد

لا يستحق الا من كان هذا شانه وقرئ الحمد لله باتباع الدال اللام
وبالعكس تنزيلا لهما من حيث انهما يستعملان معا منزلة كلمة
واحدة رب العالمين الرب فى الاصل بمعنى التربية وهى تبليغ الشئ
الى كماله شيئا فشيئا ثم وصف به للمبالغة كالصوم والعدل وقيل
هو نعت من ربه يربه فهو رب كقولك نمّ ينمّ فهو نمّ ثم سمى
به المالك لانه يحفظ ما يملكه ويربيه ولا يطلق على غيره تعالى
مقيدا كقوله تعالى ارجع الى ربك والعالم اسم لما يعلم به كالخاتم و
القالب غلب فيما يعلم به الصانع وهو كل ما سوى الله من الجواهر
والاعراض فانها لامكانها وافتقارها الى مؤثر واجب لذاته
تدل على وجوده وانما جمعه ليشتمل ما تحته من الاجناس المختلفة
وغلب العقلاء منهم فجمعه بالياء والنون كسائر اوصافهم و
قيل اسم وضع لذوى العلم من الملائكة والثقلين وتناوله
لغيرهم على سبيل الاستتباع وقيل عنى به الناس ههنا فان
كل واحد منهم عالم من حيث انه يشتمل على نظائر ما فى العالم
الكبير من الجواهر والاعراض يعلم بها الصانع كما يعلم بما ابدع
فى العالم ولذلك سوى بين النظر فيهما وقال الله تعالى وفى انفسكم
افلا تبصرون وقرئ رب العالمين بالنصب على المدح او النداء
او بالفعل الذى دل عليه الحمد وفيه دليل على ان الممكنات كما هى
مفتقرة الى المحدث حال حدوثها وهى مفتقرة الى المبقى حال بقائها
الرحمن الرحيم كرره للتعليل على ما سنذكره مالك يوم الدين
قرأ عاصم والكسائى ويعقوب ويعضده قوله تعالى يوم لا تملك
نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله وقرأ الباقون ملك وهو
المختار لانه قراءة اهل الحرمين ولقوله تعالى لمن الملك اليوم لله
الواحد القهار ولما فيه من التعظيم والمالك هو المتصرف فى
الاعيان المملوكة كيف يشاء من الملك والملك هو المتصرف بالامر

والنهى فى المأمورين من الملك وقرئ ملك بالتخفيف وملك بلفظ
الفعل ومالكا بالنصب على المدح او الحال ومالك بالرفع منونا و
مضافا على انه خبر مبتداء محذوف وملك مضافا بالرفع والنصب
ويوم الدين يوم الجزاء ومنه كما تدين تدان وبيت الحكمة ولم
يبق سواى العدوان دناهم كما دانوا اضاف اسم الفاعل الى
الظرف اجراء له مجرى المفعول به على الاتساع كقولهم يا سارق
الليلة اهل الدار ومعناه ملك المعبود الامور يوم الدين على طريقة
ونادى اصحاب الجنة اولهم الملك فى هذا اليوم على وجه الاستمرار ليكون
الاضافة حقيقية معدة لوقوعه صفة للمعرفة وقيل الدين الشريعة
وقيل الطاعة والمعنى يوم جزاء الدين وتخصيص اليوم بالاضافة
اما للتعظيم او لتفرده تعالى بنفوذ الامر فيه واجراء هذه الاوصاف
على الله تعالى من كونه ربا للعالمين مجدا لهم منعما عليهم بالنعم كلها
ظاهرها وباطنها عاجلها وآجلها مالكا لامورهم يوم الثواب
والعقاب للدلالة على انه الحقيق بالحمد لا احد احق به منه
بل لا يستحقه على الحقيقة سواه فان ترتب الحكم على الوصف
يشعر بعليته له وللاشعار من طريق المفهوم على ان من لم
يتصف بتلك الصفات لا يستأهل لان يحمد فضلا عن ان يعبد ليكون
دليلا على ما بعده فالوصف الاول لبيان ما هو الموجب للحمد وهو
الايجاد والتربية والثانى والثالث للدلالة على انه متفضل
بذلك مختار فيه ليس يصدر منه لايجاب بالذات او وجوب
عليه قضية لسوابق الاعمال حتى يستحق به الحمد والرابع
للتحقيق الاختصاص فانه مما لا يقبل الشركة فيه بوجه ما
وتضمين الوعد للحامدين والوعيد للممرضين اياك نعبد
واياك نستعين ثم انه لما ذكر الحقيق بالحمد ووصف بصفات
عظام تميز بها عن سائر الذوات وتعلق العلم بمعلوم معين

خوطب بذلك اى يا من هذا شانه نخصك بالعبادة والا
ستعانة ليكون اول على الاختصاص والترقى من البرهان
الى العيان والانتقال من الغيبة الى الحضور وكان المعلوم
صار عيانا والمعقول مشاهدا والغيبة حضورا ابنى
اول الكلام على ما هو مبادى حال العارف من الذكر و
الفكر والتامل فى اسمائه والنظر فى آلائه والاستدلال
بصنايعه على عظم شانه وباهر سلطانه ثم قفى بما هو
منتهى امره وهو ان يخصه ويخوض لجة الوصول ويصير
اهل المشاهدة فيراه عيانا ويناجيه شفاها اللهم اجعلنا
من الواصلين الى العين دون الناظرين للاثر ومن عادة
العرب التفنن فى الكلام والعدول من الاسلوب الى آخر تطرية
له وتنشيطا للسامع فيعدل من الخطاب الى الغيبة ومن الغيبة
الى التكلم وبالعكس كقوله تعالى حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين
بهم بريح طيبة وقوله تعالى والله الذى ارسل الرياح فتثير سحابا
فسقناه الى بلد ميت وقول امرئ القيس تطاول ليلك بالاثمد
ونام الخلى ولم ترقد وبات له ليلة كليلة ذى العائر الارمد
وذلك من نباء جاءنى وخبرته عن ابى الاسود واياك ضمير
منصوب منفصل وما يلحقه من الياء والكاف والهاء حروف
زيدت لبيان التكلم والخطاب والغيبة لا محل لها من الاعراب
كالتاء فى انت والكاف فى ارائيتك وقال الخليل اياك مضاف اليها
واحتج بما حكاه عن بعض العرب اذا بلغ الرجل الستين فاياه
واياك الشواب وهو شاذ لا يعتمد عليه وقيل هى الضمائر واياك
عمدة فانها لما فصلت عن العوامل تعذر النطق بها مفردة
فضم اليها اياك لتستقل به وقيل الضمير هو المجموع وقرئ اياك
بفتح الهمزة وهياك بقلبها هاء والعبادة اقصى غاية الخضوع

والتذلل ومنه طريق معبد اى مذلل وثوب ذو عبدة اذا كان
فى غاية الصفاقة ولذلك لاتستعمل الا فى الخضوع لله ﷻ والاستعانة
اى طلب المعونة وهى اما ضرورية او غير ضرورية مما لا يأتى والضرورية
الفعل دونه كاقتدار الفاعل وتصوره وحصول آلة ومادة
يفعل بها فيها وعند استجماعها يصح ان يوصف الرجل بالاستطاعة
ويصح ان يكلف بالفعل وغير الضرورية تحصيل ما يتيسر به ويسهل
كالراحلة فى السفر للقادر على المشى ويقرب الفاعل الى الفعل ويحثه
عليه وهذا القسم لا يتوقف عليه صحة التكليف والمراد طلب المعونة
فى المهمات كلها او فى اداء العبادات والضمير المستكن فى الفعلين
للقارى ومن معه من الحفظة وحاضرى صلوة الجماعة اوله ولسائر
الموحدين ادرج عبادته فى تضاعيف عبادتهم وخلصا حاجته بحاجتهم
لعلها تقبل ببركتها ويجاب اليها ولهذا شرعت الجماعة وقدم المفعول
المفعول للتعظيم والاهتمام والدلالة على الحصر ولذلك قال ابن
عباس رضى معناه نعبدك ولا نعبد غيرك وتقديم ما هو مقدم
فى الوجود والتنبيه على ان العابد ينبغى ان يكون نظره الى المعبود
اولا وبالذات ومنه الى العبادة لا من حيث انها عبادة صدرت
عنه بل من حيث انها نسبة شريفة اليه ووصلة بينه وبين الحق
فان العارف انما يحق وصوله اذا استغرق فى ملاحظة جناب
القدس وغاب عما عداه حتى انه لا يلاحظ نفسه ولا حالا من احوالها
الا من حيث انها ملاحظة له ومنتسبة اليه ولذلك فضل ما حكاه الله
من حبيبه حين قال لا تحزن ان الله معنا على ما حكاه عن كليمه حيث
قال انى معى ربى سيهدين وكرر الضمير للتنصيص على انه المستعان
به لا غير وقدمت العبادة على الاستعانة ليتوافق رؤس الآى ويعلم
منه ان تقديم الوسيلة على طلب الحاجة ادعى للاجابة واقول لما نسب
المتكلم العبادة الى نفسه او هم ذلك بتجرده واعتداده منه بما يصدر

عنه

عنه فعقبه بقوله واياك نستعين ليدل على ان العبادة ايضا
مما لا يتم ولا ينبغى الا بمعونة منه وتوفيق وقيل الواو
للحال والمعنى نعبدك نستعين بك وفرئ بكسر النون فيهما وهى
لغة من بنى تميم فانهم يكسرون حرف المضارعة سوى الياء
اذا لم ينضم ما بعدها اهدنا الصراط المستقيم بيان للمعونة
المطلوبة فكأنه قال كيف اعينكم فقالوا اهدنا او افراد لما هو
المقصود الاعظم والهداية دلالة بلطف ولذلك تستعمل فى
الخير وقوله ﷻ فاهدوهم الى صراط الجحيم على التهكم ومنه الهدية
وهو اذى الوحش لمقدماتها والفعل منه هدى واصله
ان يا للامر اوالى فعل مل معه معاملة اختار فى قوله ﷻ و
اختار موسى قومه وهداية الله تتنوع انواعا لا يحصيها عد
لكنها تنحصر فى اجناس مترتبة الاول افاضة القوى التى
بها يتمكن المرء من الاهتداء الى مصالحه كالقوة العقلية والحواس
الباطنة والمشاعر الظاهرة والثانى نصب الدلائل الفارقة
بين الحق والباطل والصلاح والفساد واليه اشار حيث قال
وهديناه النجدين وقال واما ثمود فهديناهم فاستحبوا
العمى على الهدى والثالث الهداية بارسال الرسل وانزال
الكتب واياها عنى بقوله وجعلناهم ائمة يهدون بامرنا
وبقوله ان هذا القرآن يهدى للتى هى اقوم والرابع ان
ينكشف على قلوبهم السرائر ويريهم الاشياء كما هى بالوحى
والالهام والمنامات الصادقة وهذا قسم يختص بنيله
الانبياء والاولياء واياه عنى بقوله اولئك هدى الله فبهداهم اقتده وقوله والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فالمط
امان زيادة ما يلتحقه من الهدى او الثبات عليه او حصول
المراتب المترتبة عليه فاذا قاله العارف الواصل عنى به ارشدنا

عنه

طريق السير فيك لتحقق اعيننا ظلمات اهوالنا وتميط غواشي
ابداننا لنستضيء بنور قدسك فنراك بنورك والامر و
الدعاء يشتركان لفظا ومعنى ويتفاوتان بالاستعلاء و
التسفل وقيل بالرتبة والصراط من سرط الطعام اذا ابتلعه
فكانه يسترط السابلة ولذلك سمي لقما لانه يلتقمهم و
الصراط من قلب السين صادا ليطابق الطاء في الاطباق و
قد يشم الصاد صوت الزاء ليكون اقرب الى المبدل منه و
قراء ابن كثير ورويس عن يعقوب بالاصل وحمزة بالاشمام
والباقون بالصاد وهو لغة قريش والثابت في الامام وجمعه
صرط كمكتب وهو كالطريق في التذكير والتانيث والمستقيم
المستوي والمراد به الطريق الحق وقيل هو ملة الاسلام صراط
الذين انعمت عليهم بدل من الاول بدل الكل وهو في حكم
تكرير العامل حيث انه المقصود بالنسبة وفائدته التوكيد والتنصيص
على ان طريق المسلمين هو المشهود عليه بالاستقامة على اكمل وجه
وابلغه لانه جعل كالتفسير والبيان له فكانه من البين الذي لا
خفاء فيه ان الطريق المستقيم ما يكون طريق المؤمنين وقيل الذين
انعمت عليهم الانبياء وقيل اصحاب موسى وعيسى عم قبل
التحريف والنسخ وقرئ صراط من انعمت عليهم والانعام
ايصال النعمت وهي في الاصل الحالة التي يستلذها الانسان فاطلقت
لما يستلذ من نعمة الاسلام وهي الدين ونعم الله وان
كانت لا تحصى كما قال وان تعدوا نعمت الله لا تحصوها تنحصر
في جنسين دنيوي واخروي والاول قسمان موهبي وكسبي
والموهبي قسمان روحاني كنفخ الروح فيه واشراقه بالعقل
وما يتبعه من القوى كالفهم والفكر والنطق وجسماني كالحا
كتخليق البدن والقوى الحالة فيه والهيئات العارضة له من

الصحة

كثير قيل المغضوب عليهم اليهود لقوله تعالى فيهم من لعنه
الله وغضب عليهم والضالين النصارى لقوله قد ضلوا
من قبل واضلوا كثيرا وقد روى مرفوعا ويحتمل ان يقال
المغضوب عليهم العصاة والضالين الجاهلين بالله
لان المنعم عليه من وفق للجمع بين معرفة الحق لذاته
والخير للعمل به فكان المقابل له من اختل احدى قوتيه
العاقلة والعاملة والمخل بالعمل فاسق مغضوب عليه
لقوله تعالى في القاتل عمدا وغضب الله عليه والمخل بالعلم
جاهل ضال لقوله فماذا بعد الحق الا الضلال وقرئ
ولا الضالين بالهمزة على لغة من جد في الهرب من التقاء
الساكنين آمين اسم للفعل الذي هو استجب وعن
ابن عباس سألت رسول الله عن معناه فقال افعل بني
على الفتح كاين للالتقاء الساكنين وجاء بالمد لغة وقصرها
شعرا قال ويرحم الله عبدا قال آمين وقال آمينا فزاد الله
ما بيننا بعدا وليس من القرآن وفاقا لكن يسن ختم السورة به
لقوله ﷺ علمني جبرائيل عم آمين عند الفراغ من قراءة الفاتحة
وقال آمين انه كالختم على الكتاب وفي معناه قول علي رضه
آمين من خاتم رب العالمين ختم به دعاء عبده بقوله الامام
ويجهر به في الجهرية ما روى عن وائل بن حجر انه ﷺ كان اذا
قرأ ولا الضالين قال آمين ورفع بها صوته وعن ابي يحيى انه
لا يقوله والمشهور عنه يخفيه كما رواه عبد الله بن مغفل
وانس والمؤتموم يؤمن معه لقوله ﷺ اذا قال الامام
ولا الضالين قولوا آمين فان الملائكة يقولون آمين فمن وا
فق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه وعن ابي
هريرة رضه ان رسول الله ﷺ قال لابي بن الا اخبرك بسورة

لم تنزل

لم تنزل في التوراة والانجيل ولا في الفرقان مثلها قلت بلى يا رسول
الله قال فاتحة الكتاب انها سبع المثاني والقرآن العظيم الذي
اوتيته وعن ابن عباس بينا نحن عند رسول الله ﷺ اذ اتاه
ملك فقال ابشر بنورين اوتيتهما ولم يؤتهما نبي قبلك
فاتحة الكتاب وخواتم سورة البقرة لن تقرأ حرفا منهما
الا اعطيتك وعن حذيفة بن اليمان رضه ان النبي ﷺ ان
القوم ليبعث الله عليهم العذاب حتما مقضيا فيقرأ صبي
من صبيانهم في الكتاب الحمد لله رب العالمين فيسمعه الله فيرفع
عنهم بذلك العذاب اربعين سنة سورة البقرة مدنية و
آيتها مائة وسبع وثمانون والله اعلم بسم الله الرحمن الرحيم
الم وسائر الالفاظ التي يتهجى بها اسماء مسمياتها الحروف
التي ركبت منها الكلم لدخولها في حد الاسم واعتوار ما يختص
به من التعريف والتنكير والجمع والتصغير ونحو ذلك عليها و
به صرح الخليل وابو علي وما روى ابن مسعود رضه انه ﷺ قال
من قرأ حرفا من كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشر امثالها
لا اقول الم حرف بل الف حرف واللام حرف وميم حرف فانما
لم يرد به غير المعنى الذي اصطلح فيه فان تخصيصه به عرف
مجدد بالمعنى اللغوي ولعله سماه باسم مدلوله ولما كانت
مسمياتها حروفا وحدانا وهي مركبة صدرت بها التكون
تأديتها بالمسمى اول ما يقرع السمع واستعيرت الهمزة مكان
الالف لتعذر الابتداء بها وهي مالم تلها العوامل موقوفة خالية
من الاعراب لفقد موجبه ومقتضيه لكنها قابلة اياه معرضة
له اذ لم تناسب المبنى الاصل ولذلك قيل ص وق مجموعا فيهما
بين ساكنين ولم يعامل معاملة اين وهؤلاء ثم ان مسمياتها
لما كانت عنصر الكلام وبسائطه التي تركب منها افتتحت

مسعود

التور بطائفة منها ايقاظا لمن تحدى بالقرآن وتنبيها على
ان المتلقى عليهم كلام منظوم مما ينظمون منه كلامهم فلو
كان من عند غير الله لما عجزوا عن آخرهم مع تظاهرهم
وقوة فصاحتهم عن الاتيان بما يدانيه وليكون اول ما يقرع
الاسماع مستقلا بنوع من الاعجاز فان النطق باسماء الحروف
مختص لمن حفظ ودرس واما من الامى الذى لم يخالط
الكتاب فمستبعد مستغرب خارق للعادة كالكتابة والتلاوة
سيما وقد راعى فى ذلك ما يعجز عنه الاديب الاريب الفايق
فى فنه وهو انه اورد فى هذه الفواتح اربعة عشر اسما وهى
نصف المسامى حروف المعجم ان لم يفد الالف فيها حرفا بل اسما
فى تسع وعشرين سورة بعددها اذا عد فيها الالف مشتملة
على انصاف انواعها فذكر من المهموسة وهى يضعف الاعتماد
على مخرجه ويجمعها ستشختك خصفه نصف الحاء والهاء و
الصاد والتين والكاف ومن البواقى المجهورة نصفها يجمعها
لن يقطع امر ومن الشديدة الثمانية المجموعة فى اجدت طبقك
اربعة يجمعها اقطك ومن البواقى الرخوة عشر يجمعها خمس
على نصه ومن المطبقة التى هى الصاد والضاد والطاء والظاء
نصفها ومن البواقى المنفتحة نصفها ومن القلقلة وهى حروف
قطب جد عند خروجها ويجمعها قد طبخ نصفها الاقل لقلتها
ومن اللينتين اليا لانها اقل ثقلا ومن المستعلية وهى التى يتصعد
الصوت بها فى الحنك الاعلى وهى سبعة القاف والصاد والطاء
والخاء والغين والضاد والظاء نصفها الاقل ومن البواقى
المنحفظة نصفها ومن حروف البدل وهى احدى عشر على ما
ذكره سيبويه واختاره ابن جنى ويجمعها اجد طويت منها
السنة الشايعة المشهورة التى يجمعها اهطمين وقد زاد

بعضهم

بعضهم سبعة اخرى وهى الام فى اصيلال والصاد والزاى فى
صراط وزراط والفاء فى جدف والعين فى اعن والثاء فى
شروع الذلو والباء فى باسمك حتى صارت ثمانية عشر وقد
ذكر تسعة الستة المذكورة واللام والضاد والعين وهما
يدغم فى مثله ولا يدغم فى المقارب وهى خمسة عشر الهمزة والهاء
والعين والصاد والطاء والميم والياء والخاء والغين والضاد
والفاء والزاى والسين والظاء والواو ونصفها الاقل وبما
يدغم فيهما وهى الثلثة عشر الباقية نصفها الاكثر الحاء والقاف
والكاف والراء والسين واللام والنون لما فى الادغام من الخفة
والفصاحة ومن الاربعة التى لا تدغم فيما قاربها ويدغم فيها
مقاربها وهى الميم والزاى والسين والفاء نصفها ولما
كانت الحروف الذلقية التى يعتمد عليها بذلق اللسان وهى
ستة تجمعها اربت منفل والحالقية التى هى الحاء والخاء والعين
والغين والهاء والهمزة كثيرة الوقوع فى الكلام ذكر ثلثيها
ولما كانت ابنية المزيد لا يتجاوز عن الثلاثية ذكر من
الزوايد العشرة التى يجمعها اليوم تنساه سبعة احرف منها
تنبيها على ذلك ولو استقريت الكلم وتراكيبها وجدت
الحروف المتروكة من كل جنس مكثورة بالمذكورة ثم انه
ذكرها مفردة وثنائية وثلاثية ورباعية وخماسية ايذانا
بان المتحدى به مركب من كلامهم الى اصعلها كلمات
مفردة ومركبة من حرفين فصاعدا الى الخمسة وذكر ثلث
مفردات فى ثلث سور لانها توجد فى الاقسام الثلثة
الاسم والفعل والحرف واربع ثنائيات لانها تكون من
الحروف بلا حذف كبل وفى الفعل يحذف كقل وفى الاسم
بغير حذف كمن وبه كدم فى تسع سور لوقوعه فى كل واحد

اللتى

من الاقسام الثلثة على ثلثة اوجه ففي الاسماء مَن واذ وذو وفي
الافعال قل وبع وخف وفي الحروف ان ومن ومذ على لغة من
جرّبها وثلاث ثلاثيات لجيئها في الاقسام الثلثة في ثلثة عشرة
سورة تنبيها على ان اصول الابنية ثلثة عشر عشرة منها
للاسماء وثلثة للافعال ورباعيتين وخماسيتين تنبيها على ان
لكلّ منهما اصلا كجعفر وسفرجل وملحقا كقردد وجحنفل و
لعلّها فرقت على السور ولم تعدّ باجمعها في اول القرآن لهذه
الفائدة مع ما فيه من اعادة التحدّي وتكرير التنبيه والمبالغة
فيه والمعنى هذا المتحدّى مؤلّف من جنس هذه الحروف او
المؤلّف منها كذا وقيل هي اسماء السور وعليه اطباق الاكثر
سمّيت بها اشعارا باشعار بانها كلمات معروفة التركيب فلو
لم تكن وحيا من الله لم يتساقط مقدوراتهم دون معارضتها
واستدلّ عليه بانها لو لم تكن مفهمة كان الخطاب بها بالمهملة و
التكلّم بالزنجي مع العربي ولم يكن القرآن باسرها بيانا ولهذا
ولمّا امكن التحدّي به وان كانت مفهمة فاما ان يراد بها السور
التي هي مستهلّها على انها القابها او غير ذلك والثاني باطل لانه
اما ان يكون المراد وضعت له في لغة العرب فظاهر انه ليس كذلك
او غيره وهو باطل لان القرآن نزل على لغتهم كقوله تعالى بلسان
عربي مبين فلا يحمل على ما ليس في لغتهم لانه يقال لم لا يجوز ان
يكون مزيدة للتنبيه والدلالة على انقطاع كلام واستيناف آخر
كما قاله قطرب او اشارة الى كلمات منها اقتصرت عليها اقتصار
الشاعر في قوله قلت لها قفي فقالت لي قافا كما روي عن ابن عباس
انه قال الالف الاء الله واللام لطفه واليم ملكه وعنه ان الرا اوحى
وان مجموعها انا الله اعلم وعنه ان المر معناه انا الله اعلم ونحو ذلك
في سائر الفواتح وعنه ان الالف من الله واللام من جبرائيل و
الميم من محمد اي القرآن منزل من الله بلسان جبرائيل عليه على

المستعملة

كالخطاب

لية

بنية

يحدّهم او الى اقدام وآجال بحساب الجمّل كما قاله ابو العا
متمسّكا بما روي انهم لمّا اتاه اليهود تلا عليهم الم البقرة
فحسبوه فقالوا كيف تدخل في دين مدّته احدى وسبعين
سنة فتبسّم رسول الله ﷺ فقالوا فهل غيره فقال المص
والرا والمر فقالوا خلطت علينا فلا ندري بايّتها نأخذ
فان تلاوته ايّاها بهذا الترتيب عليهم وتقديرهم على
استنباطهم دليل على ذلك وهذه الدلالة وان لم تكن عر
لكنها لاشتهارها فيما بين الناس حق العرب تلحقها با
لمعرّبات كالمشكاة والسجيل والقسطاس او الدلالة على
الحروف المبسوطة مقسما بها لشرفها من حيث بسائط
اسماء الله وماذة خطابه هذا وان الفصل بانها اسما
السورة يخرجها الى ما ليس في لغة العرب لان التسمية بثلثة
اسماء فصاعدا مستنكرة عندهم ويؤدّي الى اتحاد الاسم
والمسمّى ويستدعي تأخر الجزء عن الكل من حيث ان الاسم
يتأخر عن المسمّى بالرتبة لانا نقول هذه الالفاظ لم تقصد
مزيدة للتنبيه والدلالة على الانقطاع والاستيناف تلزم منها
وغيرها من حيث انها فواتح السور ولا يقتضي ذلك ان
لا يكون لها معنى في حيّزها ولم تستعمل للاختصار من كلمات
معيّنة في لغتهم اما الشعر فشاذ واما قول ابن عيّاش فتنبيه
على ان هذه الحروف منبع الاسماء ومبادي الخطاب وتمثيل
بامثلة حسنة الا يرى انه عدّ كل حرف من كلمات مباينة
لا تغيير ولا تخصيص بهذه المعاني دون غيرها اذ لا اختصاص
لفظا ومعنا وللحساب الجمّل فتلحق بالمعرّبات والحديث
لا دليل فيه لجواز انه تبسّم تعجّبا من جهلهم وجعلها مقسما
بها وان كان غير ممتنع لكنه يحتاج الى اضمار اشكاء لا دليل عليها

والتسمية بثلثة اشياء انما يمتنع اذا ركبت وجعلت اسما واحدا
على طريقة بعلبك فاما اذا اخبرت بثر اسماء العدد فلا وناهيك
بسيبويه بين التسمية بالجملة والبيت من الشعر وطائفة
من اسماء حروف المعجم والمسمى من مجموع السورة والاسم
جزؤها فلا اتحاد وهو مقدم من حيث ذاته ومؤخر
باعتبار كونه اسما فلا دور والوجه الاول اقرب الى
التحقيق واوفق للطائف التنزيل واسلم من لزوم النقل
ووقوع الاشتراك في الاعلام من واضع واحد فانه
يعود بالنقض على ما هو مقصود العلمية وقيل انها اسماء
القرآن ولذلك اخبر عنها بالكتاب والقرآن وقيل
انها اسماء الله ويدل عليه ان عليا كرم الله وجهه
كان يقول يا كهيعص يا حم عسق ولعله اراد يا من يدل
وقيل الالف من اقصى الحلق وهو مبتداء المخرج واللام
من طرف اللسان وهو وسطها والميم من الشفة
وهي آخرها جمع بينها ايماء الى ان العبد ينبغي ان يكون اول
كلامه واوسطه وآخره ذكر الله وقيل انه ستراستأثر
الله بعلمه وقد روي عن الخلفاء الاربعة وغيرهم من
الصحابة ما يقرب منه ولعلهم ارادوا انها اسرار بين
الله ورسوله ورموز لم يقصد بها افهام غيره اذ
يبعد الخطاب بما لا يفيد ولا يفهم فان جعلتها اسماء الله
او القرآن او السور كان لها محظ من الاعراب اما الرفع
على الابتداء او الخبر او النصب بتقدير فعل القسم على
طريقة الله لافعلن بالنصب او غيره كاذكر والجر على
اضمار حرف القسم ويتأتى الاعراب لفظا والحكاية فيما
كانت مفردة او موازنة لمفرد كم فانها كهابل والحكاية

ليست

ليست الا فيما عدا ذلك وسيعود اليك ذكره مفصلا ان شاء
الله فان ابقيتها على معانيها فان قدرت بالمؤلف من
هذه الحروف كان في خبر الرفع بالابتداء او الخبر على مامر
وان جعلتها مقسما بها تكون كل كلمة منها منصوبا او
مجرورا على اللغتين في الله لافعلن ويكون جملة قسمية بما
لفعل المقدر له وان جعلتها ابعاض كلمات او اصواتا منزلة
حروف التنبيه لم يكن لها محل من الاعراب كالجمل المبتداءة
والمفردات المعدودة ويوقف عليها وقف التمام او اقدرت
بحيث لا يحتاج الى ما بعدها وليس شيء منها فواتح عند
غير الكوفيين واما عندهم فالم في مواقعها والمص كهيعص
وطه وطسم ويس آية وحم عسق آيتان والبواقي ليست
بايات وهذا توفيق لا محال للقياس فيه ذلك الكتاب ذلك
اشارة الى ان الم المؤلف من هذه الحروف او فسرها
السورة او القرآن فانه لما تكلم به وتقضى او يوصل من المر
الى المرسل اليه صار متباعدا اشير اليه بما يشار الى البعيد و
تذكيره متى اريد بالم السورة لتذكير الكتاب فانه خبره
او صفته الذي هو او الى الكتاب فيكون صفته والمراد به
الكتاب الموعود انزاله بقوله انا سنلقي عليك قولا
ثقيلا ونحوه او الكتب المقدمة وهو مصدر سمي به الم
المفعول للمبالغة وقيل فعال بني للمفعول كاللباس ثم
اطلق على المنظوم عبارة قبل ان يكتب لانه مما يكتب و
اصل الكتب الجمع ومنه الكتيبة لا ريب فيه معناه انه لوضوحه
وسطوع برهانه بحيث لا يرتاب فيه العاقل بعد النظر
الصحيح في كونه وحيا بالغا حد الاعجاز لا ان احدا لا يرتا
فيه الا يرى الى قوله وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا

سيل

ب

الآية فانه ما ابعد عنهم الريب بل عرفهم الطريق المزيح له
وهو ان يجهدوا في معارضة نجم من نجومه ويبذلوا فيها
غاية جهدهم حتى اذا عجزوا عنها تحقق لهم ان ليس فيه مجال
للشبهة وللامدخل للترثية وقيل معناه لاريب فيه للمتقين و
هدى حال من الضمير المجرور والعامل فيه الظرف الواقع صفة
للمنفي والريب في الاصل مصدر رابني الشيء اذا احصل فيك
الريبة وهي قلق النفس واضطرابها سمي به الشك لانه
يقلق النفس ويزيل الطمانينة وفي الحديث دع ما يريبك الى
ما لا يريبك فان الشك ريبة والصدق طمانينة ومنه ريب
الزمان لنوائبه هدى للمتقين يهديهم الى الحق والهدى في
الاصل مصدر كالسرى والتقى ومعناه الدلالة وقيل الدلالة
الموصلة الى البغية لانه جعل مقابل الضلالة قال الله تعالى
لعلى هدى او في ضلال مبين ولانه لا يقال مهدى الا لمن اهتدى
الى المطلوب واختصاصه بالمتقين لانهم المهدون به والمنـ
ـتفعون بنصبه وان كانت دلالته عامة لكل ناظر من مسلم
وكافر وبهذا الاعتبار قال هدى للناس او لانه لا ينتفع بالتامل
فيه الا من ثقل العقل واستعمله في تدبر الدلائل والنظر في المجراة
وتعرف النبوات لانه كالغذاء الصالح لحفظ الصحة فانه لا
يجلب نفعا ما لم تكن الصحة حاصلة وعلى هذا قوله تعالى و
ننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد
الظالمين الا خسارا ولا يقدح ما فيه من المجمل والمتشابه
في كونه هدى لما لم ينفك عن بيان تعيين المراد منه والمتقي
اسم فاعل من قولهم وقاه فاتقى والوقاية شرطية الصيانة
وهو في عرف الشرع اسم لمن يتقي نفسه عما يضره في الآخرة و
له ثلث مراتب الاول التوقي عن العذاب المخلد بالتبرء

عن

عن الشرك وعليه قوله تعالى والزمهم كلمة التقوى والثاني التجنب
عن كل ما يؤثم من فعل او ترك حتى الصغائر عند قوم وهو
المتعارف باسم التقوى في الشرع وهو المعنى بقوله ولو
ان اهل القرى آمنوا واتقوا والثالث ان يتنزه عما يشغل
سره عن الحق ويستبتل اليه بشراشره وهو التقوى الحقيقي
المطلوب بقوله اتقوا الله حق تقاته وقد فسر المتقون في
قوله هدى للمتقين على وجوه الثلثة واعلم ان الآية تحتمل
لوجوها من الاعراب ان يكون الم مبتدا على انه اسم القرآن
او السورة او مقدر بالمؤلف منها وذلك خبره وان كان
اخص من المؤلف مطلقا والاصل ان الاخص لا يحمل على
الاعم لان المراد به المؤلف الكامل في تاليفه البالغ اقصى
درجات الفصاحة ومراتب البلاغة والكتاب صفة ذلك
وان يكون الم خبر مبتدا محذوف وذلك خبرا ثانيا او
بدلا والكتاب صفته ولا ريب في المشهورة مبني لتضمنه
معنى من منصوب المحل على انه اسم بلا النافية للجنس العا
ملة عمل ان لانها نقيضتها ولازمة للاسماء لزوم ها وفي قراءة
ابن الشعثاء مرفوع بلا التي بمعنى ليس وفيه خبره ولم يقدم
كما يقدم في قوله لا فيها غول لانه لم يقصد تخصيص نفي
الريب به من بين سائر الكتب كما قصد ثمة او صفة والمتقين
خبره وهدى نصب على الحال او الخبر محذوف كما في الاخير
ولذلك وقف على ريب على ان فيه خبر هدى قدم عليه لتنكيره
والتقدير لا ريب فيه فيه هدى وان يكون ذلك مبتداء والكتاب
خبره على معنى انه الكتاب الكامل الذي يستاهل ان يسمى كتابا
او صفته وما بعده خبره والجملة خبر الم والاولى ان يقال انها
اربع جمل متناسقة تقرر اللاحقة منها السابقة ولذلك لم

يدخل العاطف بينها فالم جملة دلت على ان المتحدى به هو
منظمه المؤلف من جنس ما يركبون منه كلامهم وذلك الكتاب
جملة ثانية مقررة لجهة المتحدى بانه الكتاب المنعوت
بغاية الكمال ثم سجل على كماله بنفي الريب عنه ولا ريب
فيه جملة ثالثة تشهد على كماله اذ لا كمال اعلى مما للحق و
اليقين وهدى للمتقين بما يقدر له مبتداء وجملة رابعة تؤ
كد كونه حقا لا يحوم الشك حوله بانه هدى للمتقين او
تتبع كل واحدة منها ما يليها استتباع الدليل للمدلول و
بيانه انه لما نبه او لا على اعجاز المتحدى من حيث انه
من كلامهم وقد عجزوا عن معارضته استنتج منه انه الكتاب
البالغ حد الكمال واستلزم ذلك ان لا يتشبث الريب
باطرافه اذ لا انقص مما يعتريه الشك والشبهة وما كان
كذلك كان لا محالة هدى للمتقين وفي كل واحدة منها
نكتة ذات جزالة ففي الاولى بالحذف والرمز الى المقصود
مع التعليل وفي الثانية بالحذف مع فخامة التعريف وفي الثالثة تأخير
الظرف حذرا عن ابهام الباطل وفي الرابعة الحذف و
التوصيف بالمصدر للمبالغة وايراده منكرا للتعظيم وتخصيص
الهدى بالمتقين باعتبار الغاية وتسمية المشارف للتقوى
متقيا ايجازا وتفخيما لشانه الذين يؤمنون بالغيب امّا
موصول بالمتقين على انه صفة مجرورة مفيدة له ان فسر التقوى
بترك ما لا ينبغي مرتبة عليه ترتب التحلية على التخلية و
التصوير على التشكيل او موضحة ان فسر بما يعم فعل الحـ
ـسنات وترك السيئات لاشتماله على ما هو اصل الاعمال و
راس الحسنات من الايمان والصلوة والصدقة فانها امهات

الاعمال

الاعمال النفسانية والعبادات البدنية والمالية المستتبعة لسائر
الطاعات والتجنب عن المعاصي غالبا الا يرى الى قوله تعـ
ـالى ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر وقوله ع الصلوة
عماد الدين والزكوة قنطرة الاسلام او مادحة ما تضمنه
وتخصيص الايمان بالغيب واقام الصلوة وايتاء
الزكوة بالذكر اظهارا لفضلها على سائر ما يدخل تحت
اسم التقوى او على انه مدح منصوب او مرفوع بتقدير
اعني او هم الذين وامّا مفصول عنه مرفوع بالابتداء و
خبره اولئك على هدى فيكون الوقف على المتقين تامّا
والايمان في اللغة عبارة عن التصديق ثم اخذ من الامن
كان المصدّق امن المصدّق من التكذيب والمخالفة و
تعديته بالباء تضمنه معنى الاعتراف وقد يطلق بمعنى
الوثوق من حيث ان الواثق صار ذا امن ومنه ما
منت ان اجد صحابة وكلا الوجهين حسن في يؤمنون
بالغيب واما في الشرع فالتصديق بما علم بالضرورة انه
من دين محمد ع كالتوحيد والنبوة والبعث والجزاء ومجموع
ثلثة امور اعتقاد الحق والاقرار به والعمل بمقتضاه و
عند جمهور المحدثين والمعتزلة والخوارج فمن اخل
بالاعتقاد وحده فهو منافق ومن اخل بالاقرار فهو
كافر ومن اخل بالعمل فهو فاسق وفاقا وكافر عند الخوا
رج خارج عن الدين غير داخل في الكفر عند المعتزلة والذي
يدل على انه للتصديق وحده انه سبحانه وتع اضاف
الايمان الى القلب فقال كتب في قلوبهم الايمان وقلبه
مطمئن بالايمان ولم تؤمن من قلوبهم ولما يدخل الايمان
في قلوبكم وعطف عليه العمل الصالح في مواضع لا تحصى

وقرنه بالمعاصي فقال وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا
يا ايها الذين آمنوا كتب القصاص في القتلى الذين آمنوا
ولم يلبسوا ايمانهم بظلم مع ما فيه من قلة التغيير لانه
اقرب الى الاصل وهو متعين الارادة في الآية اذ المتعذر با
الباء هو التصديق وقافا ثم اختلف في ان مجرد التصديق
بالقلب هل هو كاف لانه المقصود ام لابد من اقتران الا
قرار به للتمكن منه ولعل الحق هو الثاني لانه كه ذم المعاند
اكثر من ذم الجاهل المقصر والمانع ان يجعل الذم للانكار
لا لعدم الاقرار به والغيب مصدر وصف به للمبالغة كا
الشهادة في قوله كه عالم الغيب والشهادة العرب تسمي المطمئن
من الارض والخمصة التي تلي الكلية غيبا او فيعل خفف كفيل و
المراد به الخفي الذي لا يدركه الحس ولا يقتضيه بديهة العقل
وهو قسمان قسم للدليل عليه وهو المعنى بقوله كه وعنده
مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو وقسم نصب عليه دليل كالصا
نع وصفاته واليوم الآخر واحواله كه وهو المراد به في الآية
هذا اذا جعلته صلة للايمان واوقعته موقع المفعول به وان
جعلته حالا على تقدير ملتبسين بالغيب كان بمعنى الغيبة والخفا
والمعنى انهم يؤمنون غائبين عنكم لا كالمنافقين الذين اذا لقوا
الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم
او عن المؤمن به لما روى ان ابن مسعود قال والذي لا اله
غيره ما امن احد افضل من ايمان بغيب ثم قرأ هذه الآية و
قيل المراد بالغيب القلب والمعنى يؤمنون به بقلوبهم لا يكتفون
بقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم فالباء على الاول للتعدية
وعلى الثاني للمصاحبة وعلى الثالث للدلالة ويقيمون الصلوة
اي يعدلون اركانها ويحفظونها من ان يقع زيغ في افعالها

من اقام

من اقام العود اذا قومه او يواظبون عليها من اقامت السوق
اذا نفقت واقمتها اذا جعلتها نافقة قال شاعر اقامت غزالة
سوق الضراب لاهل العراقين حولا قيطا فانه اذا حوفظ
عليها كانت كالسابق الذي يرغب فيه واذا اضيعت كان
الاسد المرغوب عنه ويشتمون لاداتها من غير فتور
ولا توان من قولهم قام بالامر واقامه اذا جد فيه و
تجلد وضده قعد عن الامر وتقاعد او يؤدونها عبر
عن الاداء بالاقامة لاشتمالها على القيام كما عبر عنها بالقنو
والركوع والسجود والتسبيح والاول اظهر لانه اشهر
والى الحقيقة اقرب وافيد لتضمنه التنبيه على ان الحقيقة بالمدح
من راعى حدودها الظاهرة من الفرائض والسنن وحقوقها
الباطنة كالخشوع والاقبال بقلبه على الله كه لا المصلون الذ
ينهم عن صلوتهم ساهون ولذلك ذكر في سياق المدح والم
المقيمون الصلوة وفي معرض الذم فويل للمصلين والصلوة
فعلة من صلى اذ عمى كالزكوة من زكى كتبتا بالواو على لفظ
المفخم وانما سمي الفعل المخصوص بها لاشتمالها على الدعاء و
قيل اصل صلى حرك الصلوين لان المصلي يفعله في ركوعه
وسجوده واشتهار هذا اللفظ في المعنى الثاني مع عدم اشتهاره
في الاول لا يقدح في نقله عنه وانما سمي الداعي مصليا تشبيها
له في تخشعه بالراكع والساجد ومما رزقناهم ينفقون الرز ق
في اللغة الحظ قال الله كه وتجعلون رزقكم انكم تكذبون و
العرف تخصصه بتخصيص الشيء بالحيوان للانتفاع به وتمكينه
منه والمعتزلة لما استحالوا من الله ان يمكن من الحرام لانه
منع من الانتفاع به وامر بالزجر عنه قالوا الحرام ليس برزق
الا ترى انه كه اسند الرزق ههنا الى نفسه ايذانا بانهم ينفقون

الحلال المطلق فان انفاق الحرام لا يوجب المدح والذم المشركين
على تحريم بعض ما رزقهم الله بقوله قل ارايتم ما انزل الله
لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا وا صحابنا جعلوا الا
سناد للتعظيم والتحريص على الانفاق والذم لتحريم ما لم يحرم
واختصاص ما رزقناهم بالحلال للقرينة وتمسكوا لشمول
الرزق له بقوله ع م في حديث عمرو بن قرة لقد رزقك
الله طيبا فاخترت ما حرم الله عليك من رزقه مكان ما احل
الله لك من حلاله وبانه لو لم يكن رزقا لم يكن المتفدى به
طول عمره مرزوقا وليس كذلك لقوله تع وما من دابة في الارض
الا على الله رزقها وانفق الشيء وانفذه اخوان ولو استقريت
الالفاظ وجدت كل ما فاؤه نون وعينه فاء والاعلى معنى الذهاب
والخروج والظاهر من انفاق ما رزقهم الله صرف المال في
سبيل الخير من الفرض والنفل ومن فسره بالزكوة ذكر افضل
انواعه والاصل فيه او خصصه بها لاقترانه بما هو شقيقها و
تقديم المفعول للاهتمام والمحافظة على رؤس الآي وادخال
من التبعيضية عليه للكف عن الاسراف المنهي عنه ويحتمل
ان يراد به الانفاق من جميع المعادن التي اتاهم الله من النعم
الظاهرة والباطنة ويؤيده قوله ع م ان عمد علما لا يقال به كمانع
لا ينفق منه واليه ذهب من قال ومما خصصنا هم به من انواع
المعرفة يفيضون والذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل
من قبلك هم مؤمنوا اهل الكتاب كعبد الله بن سلام و
اضرابه معطوف على الذين يؤمنون بالغيب داخلون معهم
في جملة المتقين وخول اخصين تحت اعم اذ المراد باولئك
الذين آمنوا عن شرك وانكار وبهؤلاء مقابلوهم فكانت
الآيتان تفصيلا للمتقين وهو قول ابن عباس رضي او على

المتقين

المتقين وكانه قال هدى للمتقين عن الشرك والذين آمنوا من
اهل الكتاب ولا يحتمل ان يراد بهم الاولون باعيانهم ووسط
العاطف كما وسط في قوله الى الملك القرم وابن الهمام وليث
الكتيبة في المزدحم بالجهف زيابة للحارث الضابح فالغانم
فالآيب على معنى انهم الجامعون بين الايمان بما يدركه
العقل جملة والاتيان بما يصدقه من العبادات البدنية والمالية
وبين الايمان بالاطريق اليه غير السمع وكرر الموصول
تنبيها لتغاير القبيلتين وتباين السبيلتين او طائفة منهم
وهو مؤمنوا اهل الكتاب ذكرهم مخصصين عن الجملة كذكر
جبرائل ومكائل بعد الملائكة تعظيما لشانهم وترغيبا لامثالهم
والانزال نقل الشيء من الاعلى الى الاسفل وانما يلحق المعاني
بتوسط لحوقه الذوات الحاملة لها ولعل نزول الكتب الا
لهية على الرسل بان يتلقفه الملك من الله تع تلقفا او حيا
او يحفظه من اللوح المحفوظ فينزه به فيلقنه على الرسول
والمراد بما انزل اليك القرآن باسره والشريعة عن آخرها
وانما عبر عنه بلفظ المضي وان كان بعضه متوقعا تغليبا
للموجود على ما لم يوجد او تنزيلا للمنتظر منزلة الواقع و
نظيره قوله تع انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى فان
الجن لم يسمعوا جميعه ولم يكن الكتاب كله منزلا حينئذ وبما
انزل من قبلك الكتب السابقة والايمان بها جملة فرض عين
وبالاول دون الثاني تفصيلا من حيث انا متعبدون بتفاصيله
فرض ولكن على الكفاية لان وجوبه على كل احد يوجب
الحرج وفساد المعاش وبالآخرة هم يوقنون اى يوقنون
ايقانا زال معه ما كانوا عليه من ان الجنة لا يدخلها الا من
كان هودا او نصارى وان النار لم تمسسهم الا اياما معدودة

و اختلافهم فی نعیم الجنة اهو من جنس نعیم الدنیا او غیره
و فی دوامه و انقطاعه و فی تقدیم الصلة و بناء یوقنون
علی هم تعریض بمن عداهم من اهل الکتاب و بان اعتقاد
هم فی امر الآخرة علی خلاف مطابق و لا صادر عن ایقان و انه
الیقین ایقان العلم بنفی الشک و الشبهة عنه بالاستدلال و
لذلک لا یوصف به علم الباری و لا العلوم الضروریة و الآخرة
تانیث الآخر بدلیل قوله تلک الدار الآخرة فقلبت و
عن نافع انه خففها بحذف الهمزة و القاء حرکتها الی اللام و
قرئ یوقنون بقلب الواو همزة لضم ما قبلها اجراء لها مجری
المضمومة فی وجوه و وقتت و نظیر صلی و الموقدان الی
موسی جعدة وجدة اذا ضاء لهما العقود اولئک علی هدی
من ربهم الجملة فی محل الرفع ان جعل احد الموصولین مفصولا
عن المتقین خبرا له و کانه لما قیل هدی للمتقین قیل ما بالهم
اختصوا بذلک فاجیب بقوله الذین یؤمنون الی آخر الآیات
و الا فاستینافی لا محل لها من الاعراب و کانه نتیجة الاحکام
و الصفات المقدمة او جواب سائل قال ما الموصوفین بهذه
الصفات اختصوا بالهدی و نظیره احسنت لازید صدیقک القدیم حقیقی بالاحسان فان اسم الاشارة هنا
کاعادة الموصوف بصفاته المذکورة و هو ابلغ من ان
یستانف باعادة الاسم وحده لما فیه من بیان المقتضی و
تلخیصه فان ترتب الحکم علی الوصف ایذان بانه الموجب
له و معنی الاستعلاء فی قوله علی هدی تمثیل تمکنهم من
الهدی و استقرارهم علیه بحال من اعتلی الشیء و رکبه و
قد صرحوا به فی قولهم امتطی الجهل و یغوی و اقتعد غارب
الهوی و ذلک انما یحصل باستفراغ الفکر و ادامة النظر

فیما

فیما نصب من الحجج و المواظبة علی محاسبة النفس فی العمل و تکریرهدی
للتعظیم فکانه اشیر به ضرب لایبلغ کنهه و لایقادر قدره
و نظیره قول الهذلی شعر فلاوابی الطیر المریبة بالضحی علی
خالد لقد وقعت علی لحم و اکد تعظیمه بان الله مانحه والمو
له و قد ادغمت النون فی الراء بغنة او بغیر غنة و اولئک
هم المفلحون کرر فیه اسم الاشارة تنبیها علی ان اتصافهم
بتلک الصفات یقتضی کل واحدة من الاخرین و ان کلا
منها کاف فی تمیزهم بها عن غیرهم و وسط العاطف
لاختلاف مفهوم الجملتین ههنا بخلاف قوله اولئک
کالانعام بل هم اضل اولئک هم الغافلون فان التسجیل
بالغفلة و التشبیه بالبهائم شیء واحد فکانت الجملة الثا
نیة مقررة للاولی فلا یناسب العطف و هم فصل یفصل الخبر
عن الصفة و یؤکد النسبة و یفید اختصاص المسند بالمسند
الیه او مبتداء و المفلحون خبره و الجملة خبر اولئک و المفلح
بالحاء و الجیم الفائز بالمطلوب کانه الذی انفتحت له وجوه
اللطف و الظفر و هذا الترکیب مایشارکة فی الفاء و العین
نحو فلف و فلد و فلی یدل علی الشق و الفتح و تعریف المه
المفلحون للدلالة علی ان المتقین هم الناس الذین بلغک
انهم مفلحون فی الآخرة او الاشارة الی ما یعرفه کل واحد
من حقیقة المفلحون و خصوصیاتهم تنبیه تامل کیف نبه
سبحانه علی اختصاص المتقین بنیل ما لاینالة احد من وجوه
شتی بناء الکلام علی اسم الاشارة للتعلیل مع الایجاز و
تکریره و تعریف الخبر و توسیط الفصل لاظهار قدرهم
و الترغیب فی اقتفاء اثرهم و قد تشبثت به الوعیدیة فی خلود
الفساق من اهل القبلة فی العذاب و رد بان المراد بالمفلحون

قف

الكاملون في الفلاح ويلزمه عدم كمال الفلاح لمن ليس على صفتهم
لاعدم الفلاح له رسلا ان الذين كفروا لما ذكر خاصة او
لبيانه بصفاتهم التي اهلتهم الهدى والفلاح عقبهم اضدا
دهم القتادة المردة الذين لاينفع فيهم الهدى ولا يغني
عنهم الآيات والنذر ولم يعطف قصتهم على المؤمنين كما
عطف في قوله ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم لتباينهما
في الغرض فان الاولى سبقت لذكر الكتب وبيان شانه والاخرى
موسوقة لشرح تمردهم وانهماكهم في الضلال وان من
حروف التي شابهت الفعل في عدد الحروف والبناء على الفتح
ولزوم الاسماء واعطاء معانيه والفعل المتعدي خاصة في
دخولها في اسمين ولذلك اعملت عمله الفرعي وهو نصب الجزء
الاول ورفع الثاني ايذانا بانه فرع في الفعل العمل وقيل فيه
وقال كوفيون الخبر قيل دخولها كان مرفوعا بالخبرية وهي بعد
باقية مقتضية للرفع قصة للاستصحاب فلا يرفعه الحروف و
اجيب بان اقتضاء الخبرية الرفع مشروط بالتجرد لتخلفه عنها
في خبر كان وقد زال بدونها فتعين اعمال الحروف وفائدتها
تاكيد النسبة وتحقيقها ولذلك يتلقى بها القسم ويصدر بها
الاجوبة وتذكر في معترض الشك مثل ويسئلونك عن ذي
القرنين قل ساتلوا عليكم منه ذكرا انا مكنا له في الارض و
موسى يا فرعون اني لرسول من رب العالمين قال المبرد قولك
عبد الله قائم اخبار عن قيامه وان عبد الله قائم جواب سائل
عن قيامه وان عبد الله لقائم جواب منكر لقيامه وتعريف
الموصول اما للعهد والمراد به ناس باعيانهم كابي لهب
وابي جهل والوليد بن المغيرة واخبار اليهود او للجنس

متناول لامن صمم على الكفر وغيرهم فخص عنهم غير المقربين
بما اسند اليه وهو سواء عليهم والكفر لغة ستر النعمة واصله
الكفر بالفتح وهو الستر ومنه قيل للزراع والليل كافر ولكمام
الثمرة كافور ونحو وفي الشرع انكار ما علم بالضرورة مجيء الرسول
سول عذبه وانما يعذب لبس الغيار وشد الزنار ونحوهما كفرا
لانها يدل على التكذيب فان من صدق الرسول لم يجترىء
عليها ظاهرا لا لانها كفر في انفسها واحتجت المعتزلة بما جاء في
القرآن بلفظ الماضي على حدوثه لاستدعائه سابقة تخبر
عنه واجيب بانه مقتضى التعلق وحدوثه لا يستلزم حدوث
الكلام كما في العلم سواء عليهم اء نذرتهم ام لم تنذرهم
وسواء اسم بمعنى الاستواء نعت به كما نعت بالمصادر
قال الله تعالى الى كلمة سواء بيننا وبينكم رفع بانه خبر ان
وما بعده مرتفع به على الفاعلية كانه قيل ان الذين كفروا مستو
عليهم انذارك وعدمه او بانه خبر لما بعده بمعنى انذارك
وعدمه سيان عليهم والفعل انما يمتنع الاخبار عنه اذا
اريد به تمام ما وضع له اما لو اطلق واريد به اللفظ او
مطلق الحدث المدلول عليه ضمنا على الاتساع فهو كالاسم
في الاضافة والاسناد اليه وقوله واذا قيل لهم آمنوا ويوم
ينفع الصادقين صدقهم فيه من ايهام التجدد وحسن دخول
الهمزة وام عليه لتقرير معنى الاستواء وتاكيده فانهما تجردتا
عن معنى الاستفهام بمجرد الاستواء كما تجردت حرف النداء عن
الطلب لمجرد التخصيص في قولهم اللهم اغفر لنا ايتها العصابة
والانذار التخويف اريد به التخويف من عقاب الله و
انما اقتصر عليه دون البشارة لانه اوقع في القلب واشد
تاثيرا في النفس من حيث ان دفع الضرر اهم من جلب النفع

فاذا لم ينفع فيهم كانت البشارة بعدم النفع او لم تقرع اى نذر
تهم بتخفيف الهمزتين وتخفيف الثانية بين بين وقلبها
الفا وهو لحن لان المتحركة لا تقلب ولانه يؤدى الى
جمع الساكنين على غير حده وبتوسيط الف بينهما محققتين
وبتوسيطها والثانية بين بين وبحذف الاستفهامية و
بحذفها والقاء حركتها على الساكن قبلها لا يؤمنون جملة
مفسرة لاجمال ما قبلها فيما فيه الاستواء فلا محل لها او حال مؤكدة
او بدل عنه او خبر ان والجملة قبلها اعتراض بما هو علة
الحكم والآية مما احتج به من جوز تكليف ما لا يطاق فانه سبحانه
اخبر عنهم بانهم لا يؤمنون وامرهم بالايمان فلو آمنوا انقلب
خبره كذبا وشمل ايمانهم الايمان بانهم لا يؤمنون فيجتمع الضدان
والحق ان التكليف بالممتنع لذاته وان جاز عقلا من حيث ان
الاحكام لا تستدعى غرضا سيما الامتثال لكنه غير واقع للاستقراء
والاخبار بوقوع الشئ او عدمه لا ينافى القدرة عليه كاخباره تعالى
عما يفعله هو او العبد باختياره وفائدة الانذار بعد العلم بانه
لا ينفع التجنيع الزام الحجة واخبار الرسول فضل الابلاغ ولذلك
قال سواء عليهم ولم يقل سواء عليك كما قال لعبدة الاصنام سواء
عليكم ادعوتموه ام انتم صامتون وفى الآية اخبار بالغيب على
ما هو ان اريد بالموصول اشخاص باعيانهم فرمى من المعجزة
ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة تعليل
للحكم السابق وبيان ما يقتضيه والختم الكتم سمى به الاستيثاق
من الشئ بضرب الخاتم عليه لانه كتم له والبلوغ آخره نظرا
الى انه آخر فعل يفعل فى احرازه والغشاوة فعالة من غشاه
اذا غطاه بنيت لما يشتمل على الشئ كالعصابة والعمامة والختم
والتغشية على الحقيقة وانما المراد بهما ان يحدث فى نفوسهم

هيئة

هيئة تمنعهم على استجلاب الكفر والمعاصى والاستقباح الايمان
والطاعات بسبب غيهم وانهماكهم فى التقليد واعراضهم
عن النظر الصحيح فتجعل قلوبهم بحيث لا ينفذ فيها الحق
واسماعهم تعاف اسماعهم فتصير كانها مستوثق منها
بالختم وابصارهم تجلى بها الآيات المصوبة فى الانفس والآفاق كما تجليها اعين مستبصرين وتصير كانها غطى عليها
وخيل بينها وبين الابصار وسماه على الاستعارة ختما و
تغشية او مثل قلوبهم ومشاعرهم لما وقعة باشياء خرب
حجاب بينها وبين الاستفاع بها ختما وتغطية وقد عبر عن ا
حدات هذه الهيئة بالطبع فى قوله تعالى اولئك الذين طبع الله
على قلوبهم وعلى سمعهم وابصارهم وبالاغفال فى قوله تعالى
وجعلنا قلوبهم قاسية وهى من حيث ان الممكنات باسرها
مستندة الى الله تعالى واقعة بقدرته اسندت اليه ومن حيث انها
مسببة مما اقترفوه بدليل قوله تعالى بل طبع الله عليها بكفرهم
وقوله ذلك بانهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم وردت
الآية ناعية عليهم شناعة صفتهم ووخامة عاقبتهم واضطرت
المعتزلة فيه ختم فذكروا وجوها من التاويل الاول ان
القوم لما اعرضوا عن الحق وتمكن ذلك فى قلوبهم حتى صار
كالطبيعة لهم شبه بالوصف الخلقى المجبول عليه الثانى ان
المراد به تمثيل حال قلوبهم بقلوب البهائم التى خلق الله
خالية عن الفطن او قلوب مقدر ختم الله عليها ونظيره
سئال به الوادى اذا هلك طارت به العنقاء اذا طال به
غيبته الثالث ان ذلك فى الحقيقة فعل الشيطان او الكافر لكن
لما كان صدوره عنه باقداره تعالى اياه اسند اليه اسناد الفعل
الى المسبب الرابع ان اعراضهم لما رسخت فى الكفر واستحكمت

بحيث لم يبق طريق الى تحصيل ايمانهم سوى الابجاء والقسر
ثم لم يقسرهم ابقاء على غرض التكليف عبّر عن تركه بالختم
فانّه سدّ لايمانهم وفيه اشعار على تراميهم في الغيّ
وتناهي انهماكهم في الضلالة والبغي الخامس ان يكون حكاية
لمّا كانت الكفرة تفعل عن مثل قولهم قلوبنا في اكنة ممّا تدعونا اليه وفي اذاننا وقر من بيننا وبينك حجاب تهكّما
واستهزاء بهم كقوله لم يكن الذين كفروا والسادس
انّ ذلك في الآخرة وانما عبّر عنه بالماضي لتحقّقه وبه
تيقّن وقوعه ويشهد له قوله لكم ونحشرهم يوم القيامة
على وجوههم عميا وبكما وصمّا السابع انّ المراد بالختم و
اسم قلوبهم بسمة تعرفها الملائكة فيبغضونهم ويتبرّؤن
عنهم وعلى هذا المنهاج كلامنا وكلامهم ممّا يضاف الى الله
من طبع واضلال ونحوهما وعلى سمعهم معطوف على قلوبهم
لقوله وختم على سمعه وقلبه وللوفاق على الوفق عليه و
لانهما لما اشتركا في الادراك من بين الجوانب جعل ما يمنعهما
من خاصّ فعلهما الختم الذي يمنع من جميع الجهات وادراك
الابصار لما اختصّ بجهة المقابلة جعل المانع لها عن فعلها
الغشاوة المختصّة بتلك الجهة وكرّر الجار ليكون ادلّ على
شدّة الختم في الموضعين واستقلال كل منهما بالحكم ووحّد السمع
للامن عن اللبس واعتبار الاصل فانه مصدر في اصله والمصا
در لا تجمع او على تقدير مضاف مثل وعلى حواسّ سمعهم وعلى
الابصار جمع بصر وهو ادراك العين وقد يطلق مجازا على
القوة الباصرة وعلى الغضو وكذا السمع ولعل المراد بها في الآية
لانه اشدّ مناسبة للختم والتغطية فالقلب ما هو محلّ العلم و
قد يطلق ويراد به العقل والمعرفة كما قال الله ان في ذلك

لذكرى

لذكرى لمن كان له قلب وانّما جاز اما لتهامع الصاد لانّ الراء
المكسورة تقلب المستعلية لما فيها من التكرير وغشاوة رفع
بالابتداء عند سيبويه وبالجار والمجرور عند الاخفش و
يؤيّده العطف على الجملة الفعليّة وقرئ بالنصب على تقدير
وجعل على ابصارهم غشاوة او على حذف الجار وايصال الختم
اليه والمعنى وختم على ابصارهم بغشاوة وبالضمّ والرفع و
بالفتح والنصب وهما لغتان فيها وغشوة بالكسر نوعة
وبالفتح مرفوعة ومنصوبة وغشاوة بالعين غير المعجمة و
لهم عذاب عظيم وعيد وبيان لما يستحقونه والعذاب كالنكال
بناء ومعنى تقول اعذب عن الشيء ونكل عنه اذا امسك ومنه
الماء العذب لانه يقمع العطش ويروعه ولذلك سمّي نقاخا
وفراتا ثمّ اتسع فاطلق على كل الم فاقع وان لم يكن نكالا
اي عقابا يردع الجاني عن المعاودة فهو اعمّ منهما وقيل
اشتقاقه من التعذيب الذي هو ازالة العذاب كالتفذية
والتمريض والعظيم نقيض الحقير والكبير نقيض الصغير
وكما انّ الحقير دون الصغير والعظيم فوق الكبير ومعنى
التوصيف به انه اذا قيس سائر مجانسة قصر عنه بجميعه
وحقّر بالاضافة اليه معنى التنكير في الآية انّ على ابصارهم
غشاء ليس ممّا يتعارفه الناس وهو التعامي عن الآيات
ولهم من الآلام العظام نوع لا يعلم كنهه الا الله ومن النا
س من يقول آمنّا بالله وباليوم الآخر لما افتتح الله سبحانه
بشرح حال الكتاب وساق لبيانه ذكر المؤمنين الذين ا
خلصوا دينهم لله وا وطاءت قلوبهم السنتهم وثنّى
باضدادهم الذين يحصّصوا الكفر ظاهرا وباطنا ولم يلتفتوا
الفتنة رأسا ثلّث بالقسم الثالث المذبذب بين القسمين

وهم الذين آمنوا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم تكميلا للتقسيم
وهم احبث الكفر وابغضهم الى الله لانهم من الكفر و
خلطوا به خداعا واستهزاء ولذلك طول فى بيان خبثهم
وجهلهم واستهزاء بهم وتهكم بافعالهم وتسجل على
عمههم وطغيانهم وضرب لهم الامثال وانزل فيهم ان المنا
فين فقين فى الدرك الاسفل من النار وقصتهم عن اخرها
معطوفة على قصة المصرين والناس اصله اناس كقولهم
انسان وانس واناسى فحذفت الهمزة حذفها فى لوقة (
صله العوقة حكى ذلك عن ابى عبيد شعر واتى لمن سالمتهم
لالوقة واتى لمن عاديتم اسود وعوض عنها حرف التعريف
ولذلك لايكاد يجمع بينهما وقوله ان المنايا يطلعن على الا
ناس الامتيتنا شاذ وهو اسم جمع كرخال اذا لم ينبت فقال
فى ابنية الجمع مأخوذ من انس لانهم يستأنسون بامثالهم
او انس لانهم ظاهرون مبصرون وكذلك سموا بشر الحاسى
الجن لاجتنانهم واللام فيه للجنس ومن موصوفة ان لا
عهد فكانه قال ومن الناس ناس يقولون او للعهد و
المعهود هم الذين كفروا من موصولة يراد بها ابن ابى و
اصحابه ونظراؤه فانهم من حيث انهم صمموا على النفاق
دخلوا فى اعداد الكفار المختوم على قلوبهم واختصاصهم
بزيادة زادوها الى الكفر لاياتى دخولهم تحت هذه الجنس
فان الاجناس انما تتنوع بزيادة وتختلف فيها ابعاضها و
اختصاص الايمان بالله وباليوم الآخر بالذكر تخصيص با
لذكر لما هو المقصود والاعظم من الايمان واذعاء بانهم لختارو
ه للايمان من جانبيه واحاطوا بقطريه وايذان بانهم منافقون
فيما يظنون انهم مخلصين فيه فكيف بما يقصدون به النفاق

لان القوم

لان القوم كانوا يهودا وكانوا يؤمنون بالله وباليوم الآخر
ايمانا كلا ايمان لاعتقادهم التشبيه واتخاذ الولد و
ان الجنة لايدخلها غيرهم وان النار لاتمسهم الا اياما
معدودة غيرها ويرون المؤمنون انهم آمنوا بمثل
ايمانهم وبيان لتضاعف خبثهم وافراطهم فى كفرهم
لان ماقالوه لو صدر عنهم لا على وجه الخداع والنفاق
وعقيدتهم لم يكن ايمانا كيف وقد قالوه تمويها على
المسلمين وتهكما بهم وفى تكرير الباء ادعاء الايمان
بطل واحد على الاصالة والاستحكام والقول هو التلفظ
بما يفيد ويقال بمعنى المقول وللمعنى المتصور فى النفس
المعبر عنه باللفظ والرأى وللمذهب مجازا والمراد با
ليوم الآخر من وقت الحشر الى ما لاينتهى او الى ان يدخل
اهل الجنة الجنة واهل النار النار لانه آخر الاوقات المحدو
دة وما هم بمؤمنين انكار ما ادعوه ونفى مما تخلوا اثباته
وكان اصله وما آمنوا ليطابق قولهم فى التصريح بشأن
الفعل دون الفاعل لكنه عكس تأكيدا ومبالغة فى التكذيب
لان اخراج ذواتهم من عداد المؤمنين ابلغ من نفى الا
يمان عنهم فى شئ ويحتمل ان يقيد بما قيد به لانه جواب
والآية تدل على ان من ادعى الايمان وخالف قلبه لسانه با
لاعتقاد لم يكن مؤمنا الا ان من تفوه بالشهادتين فارغ القلب
عما يوافقه او ينافيه لم يكن مؤمنا والخلاف مع الكرامية فى
الثانى فلا ينتهض حجة عليهم يخادعون الله والذين
آمنوا الخدع ان توهم غيرك خلاف ما تخفيه من المكروه
لتنزله عما هو فيه او بصده من قولهم خدع الضب
اذا توارى فى جحره وضب خادع او خدع اذا اوهم الحا

رش

اقبالة عليه ثم خرج من باب آخر واصله الاخفاء ومنه
المخدع للخزانة والاخدعان للعرقين خفيفتين في العنق
فالمخادعة يكون بين اثنين وخداعهم مع الله ليس على
ظاهره لانه لا يخفى عليه خافية ولانهم لم يقصدوا خديعته
بل المراد اما مخادعة رسوله على حذف المضاف او على ان
معاملة الرسول معاملة الله من حيث انه خليفته كما قال
ومن يطع الرسول فقد اطاع الله ان الذين يبايعونك
انما يبايعون الله واما صورة صنيعهم مع الله من اظهار
الايمان واستبطان الكفر وصنيع الله معهم باجراء احكام
المسلمين عليهم وهم عنده اخبث الكفار واهل الدرك
الاسفل من النار استدراجا لهم امتثال رسولهم والمؤ
منين امر امر الله في اخفاء حالهم واجراء حكم الاسلام
عليهم مجازاة لهم بمثل صنيعهم صورة صنيع المخادعين
ويحتمل ان يراد بيخادعون يخدعون لانه بيان ليقول
او استيناف بذكر ما هو الغرض منه الا انه اخرج في ذئة
فاعل للمبالغة فان الزنة لما كانت للمبالغة والفعل متى
غولب فيه كان ابلغ منه اذا جاء بلا مقابلة معارض و
مبارٍ استصحبت ذلك ويعضده قراءة من قرأ يخدعون
وكان غرضهم في ذلك ان يدفعوا عن انفسهم ما يطرق به
من سواهم من الكفرة وان يفعل بهم ما يفعل بالمؤمنين من
الاكرام والاعطاء وان يختلطوا بالمسلمين فيطلعوا على
اسرارهم ويذيعوها الى منابذيهم الى غير ذلك من الاغراض
والمقاصد وما يخدعون الا انفسهم قراءة نافع وابن كثير
وابو عمرو والمعنى ان دائرة الخداع راجعة اليهم وضررها
يحيق بهم او انهم في ذلك خدعوا انفسهم لما غروها بذلك

وخدعتهم

وخدعتهم انفسهم حيث حدثتهم بالامانى والغادعة وحملتهم
على مخادعة من لا يخفى عليه خافية وقراءة الباقون وما يخدعون
لان المخادعة لا تتصور الا بين اثنين وقراءة وما يخدعون
من خدع ويخدعون بمعنى يختدعون ويخدعون ويخاعون
على البناء للمفعول ونصب انفسهم بنزع الخافض او النفس
ذات الشيء وحقيقته ثم قيل للروح لان نفس الحي به وللقلب
لانه محل الروح او متعلقه وللدم لان قوامها به وللماء لفرط
حاجتها اليه وللرأى في قولهم فلان يوامر نفسه لانه ينبعث
عنها او يشبه ذاتا يأمره ويشير عليه والمراد بالانفس ههنا
ذواتهم ويحتمل حملها على ارواحهم وآرائهم وما يشعرون
ولا يحسون بذلك لتمادي غفلتهم وجعل الخوف وبال الخداع
ورجوع ضرره اليهم في الظهور كالمحسوس الذي لا يخفى الا على
مأوف الحواس والشعور الاحساس ومشاعر الانسان
حواسه واصله الشعر ومنه الشعار في قلوبهم مرض فزادهم
الله مرضا المرض حقيقة فيما يعرض البدن فيخرجه عن الاعتدال
الخاص به ويوجب الخلل في افعاله ويجاز في الاعراض النفسا
نية التي تخل بكمالها كالجهل وسوء العقيدة والحسد والضغينة
وحب المعاصي لانها مانعة عن نيل الفضائل او مؤدية الى
زوال الحياة الحقيقية الابدية والآية تحتملها فان قلوبهم كانت
متألمة تحرقا عما فات عنهم من الرياسة والحسد على ما يرو
من ثبات امر الرسول وعلو شانه يوما فيوما وزاد الله
غمهم بما زاد في اعلاء امره واشادة ذكره ونفوسهم كانت مأ
فة
بالكفر وسوء الاعتقاد ومعاداة النبي وغيرها فزاد الله
ذلك بالطبع او بازدياد التكاليف وتكرير الوحي وتضاعف
النصر وكان اسناد الزيادة الى الله تعالى من حيث انه مسبب من

فعله واسنادها الى البتوة فى قوله فزادتهم رجسا لكونها سببا و
يحتمل ان يراد بالمرض ما تدخل قلوبهم من الجبن والخور حين
شاهدوا شوكة المسلمين وامداد الله لهم بالملائكة وقذف
الرعب فى قلوبهم وبزيادته تضعيفه بما ازداد لرسول الله ﷺ
نصرة على الاعداء وتبسطا فى البلاد ولهم عذاب اليم اى مؤلم
يقال الم كرجع فهو وجيع وصف به العذاب للمبالغة كقوله
تحيتهم بينهم ضرب وجيع على طريقة قولهم جدجده بما كانوا
يكذبون قراءها العاصم والكسائى وحمزة والمعنى بسبب كذبهم
او بدله جزاء لهم وهو قولهم آمنا وقراءة الباقون يكذبون
من كذبه لانهم كانوا يكذبون الرسول بقلوبهم واذا خلوا
الى شياطينهم او من كذب الذى وهو للمبالغة او التكثير مثل
بين الشىء وموت البهائم او من كذب الوحشى اذا جبن
شوطا ووقف لينظر ما وراءه فان المنافق متحير متردد
والكذب هو الخبر عن الشىء على خلاف ما هو به وهو حرام كله
لانه علل به استحقاق العذاب حيث رتب عليه وما روى
ان ابراهيم عم كذب ثلث كذبات فالمراد التعريض ولكن لما
شابه الكذب فى صورته سمى به واذا قيل لهم لا تفسدوا فى
الارض عطف على يكذبون او يقول وما روى عن سلمان
ان اهل هذه الآية لم يأتوا بعد فلعله اراد به ان اهله ليس
الذين كانوا فقط بل هم وسيكون من بعدهم من حاله حالهم لان
الآية متصلة بما قبلها بالضمير الذى فيها والفساد خروج الشىء
عن الاعتدال والصلاح ضده وكلاهما يعمان كل ضار ونافع
وكان من فسادهم فى الارض هيج الحروب والفتن بخداعة
المسلمين وممالاة الكفار عليهم وافشاء الاسرار اليهم فان
ذلك يؤدى الى فساد ما فى الارض من الناس والدواب والحرث

ومنه

ومنه اظهار المعاصى والاهانة بالدين فان الاخلال بالشرايع
والاعراض عنها مما يوجب الهرج والمرج ويخل بنظام العالم
والقائل هو الله تعالى او الرسول عم او بعض المؤمنين وقراءة
الكسائى وهشام قيل باشمام الضم قالوا انما نحن مصلحون
جواب لاذا ورد للناصح على سبيل المبالغة والمعنى انه لا يصح
مخاطبتنا بذلك فان شأننا ليس الا الاصلاح فان حالنا
متمحضة عن شوايب الفساد لان انما تفيد قصر ما دخله
على ما بعده مثل انما زيد منطلق وانما ينطلق زيد وانما قالوا
ذلك لانهم تصوروا الفساد بصورة الصلاح لما فى قلوبهم
من المرض كما قال الله تعالى افمن زين له سوء عمله فرآه حسنا
الا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون رد لما ادعوه
ابلغ رد للاستيناف وتصديره بحرف التأكيد الا المنبهة
على تحقيق ما بعدها فان همزة الاستفهام التى للانكار اذا
دخلت على النفى افادت تحقيقا ونظيره اليس ذلك بقادر
ولذلك لا يكاد تقع الجملة بعدها الا مصدرة بما يتلقى به القسم
واختها اما التى هى من طلايع القسم وان المقترنة للنسبة و
تعريف الخبر وتوسيط الفصل لرد ما فى قولهم انما نحن
مصلحون من التعريض للمؤمنين والاستدراك بلا يشعرون
واذا قيل لهم آمنوا من تمام النصح والارشاد فان كمال
الايمان بمجموع امرين الاعراض عما لا ينبغى وهو المقصود
بقوله لا تفسدوا والاتيان بما ينبغى وهو المطلوب بقوله
آمنوا كما آمن الناس فى حيز النصب على المصدر وما مصدرية او كافة مثلها فى ربما واللام فى الناس للجنس
والمراد به الكاملون فى الانسانية العاملون بمقتضى العقل
فان اسم الجنس كما يستعمل لمسماه مطلقا يستعمل لما يستجمع

المعانى المخصوصة به والمقصودة منه ولذلك يسلب عن
غيره فيقال زيد ليس بانسان ومن هذا الباب قوله لا
صمّ بكم عمى ونحوه والشّاعر فى قوله اذ النّاس ناس
والزّمان زمان او للعهد والمراد به الرّسول ع م ومن
معه او من آمن من اهل جلدتهم كابن السلام واصحابه
والمعنى آمنوا ايمانا مقرونا بالاخلاص متمحّضا عن شوا
ئب النّفاق مماثلا لايمانهم واستدل به على قبول توبة الز
نديق وانّ الاقرار باللّسان ايمان والّا لم يفد التقييد
قالوا انؤمن كما آمن السّفهاء الهمزة للانكار واللام مشاب
ها الى الناس او الجنس باسره وهم مندرجون فيه على زعمهم
وانما سفّهوهم لاعتقادهم فساد رايهم او لتحقير شانهم
فان اكثر المؤمنين كانوا فقراء ومنهم موال كصهيب و
بلال او للتجلّد وعدم المبالاة بمن آمن منهم ان شرّ النّاس
بعبد الله بن سلام واتباعه والسّفه خفّة وسخافة رأى
يقتضيهما نقصان العقل والحلم يقابله الا انّهم هم السّفهاء
ولكن لا يعلمون ردّ ومبالغة فى تجهيلهم فانّ الجاهل يجهل
الجازم على خلاف ما هو الواقع اعظم ضلالة واتمّ جهالة من
المتوقف المعترف بجهله فانّه ربّما يعذر وينفعه الآيات
والنّذر وانما فصلت الآية بلا يعلمون والّتى قبلها بلا يشعرون
لانه اكثر طباقا لذكر السّفه ولان الوقوف على امر الدين و
التمييز بين الحقّ والباطل ممّا يفتقر الى نظر وتفكّر واما النفا
ق وما فيه من الفتن الفساد فانما يدرك بادنى تفطّن و
تأمّل فيما يشاهد من اقوالهم وافعالهم واذا لقوا الّذين
آمنوا قالوا آمنّا بيان لمعاملتهم مع المؤمنين والكفار وما صدرت
به القصّة فساقه لبيان مذهبهم وتمهيد نفاقهم فليس بتكرير

روى

روى ان ابن ابى واصحابه استقبلهم نفر من الصحابة فقال القوم
انظروا كيف اردّ هؤلاء السّفهاء عنكم فاخذ بيد ابى بكر رضه
فقال مرحبا بالصّدّيق سيد بنى تيم وشيخ الاسلام وثان
رسول الله فى الغار المبازل نفسه وماله لرسول الله ثمّ
اخذ بيد عمر رضه فقال مرحبا بسيد بنى عدىّ الفاروق القوىّ
فى دينه البازل نفسه وماله لرسول الله ثمّ اخذ بيد علىّ رضه
فقال مرحبا بابن عمّ رسول الله وختنه سيد بنى هاشم ما خلا
رسول الله ع م فانزلت والّلقاء المصادفة يقال لقيته ولافيته
اذا صادفته واستقبلته ومنه القيته اذا طرحته فانك بطرحه جعلته
بحيث يُلقى واذا خلوا الى شياطينهم من خلوت بفلان واليه اذا
انفردت معه او من خلاك ذمّ اى عذاك مضى عنك ومنه القرو
الخالية او من خلوت به اذا سخرت منه وعدّى بالى لتضمين
معنى الانهاء والمراد بشياطينهم الذين ماثلوا الشياطين فى تمرّد
هم وهم المظهرون كفرهم واضافتهم اليهم للمشاركة فى الكف
او كبار المنافقين والقائلون صغارهم وجعل سيبويه نونه
تارة اصليّة على انه من شطن اذا بعد فانه بعيد على الصّلاح و
يشهد له قولهم تشيطن واخرى زائدة على انه من شاط اذا بطل
وا من اسمائه الباطل قالوا انا معكم اى فى الدين والاعتقاد خا
طبوا المؤمنين بالجملة الفعليّة والشياطين بالجملة الاسميّة المؤكّدة
بانّ لانّهم قصدوا بالاولى دعوى احداث الايمان وبالثانية
تحقيق ثباتهم على ما كانوا عليه ولانّه لم يكن لهم باعث من
عقيدة وصدق رغبة فيما خطبوا به المؤمنين ولا توقع رواج
ادّعاء الكمال فى الايمان على المؤمنين من المهاجرين والانصار
بخلاف ما قالوه مع الكفار انما نحن مستهزؤن تأكيد لما قبله
لان المستهزئ بالشيء المستخفّ به مصرّ على خلافه او بدل منه

لان من حفر الاسلام فقد عظم الكفر او استبانف فكان الشياطين
قالوا لهم لما قالوا انا معكم ان صح ذلك فما بالكم توافقون المؤ
منين وتدعون الايمان فاجابوا بذلك والاستهزاء السخرية
والاستخفاف يقال هزأت واستهزأت بمعنى كاجبت واستجبت
واصله من الهزء وهو الفتل السريع يقال هزأ فلان اذا مال
على مكانه وناقته تهزأ به اى تسرع وتخف الله يستهزئ بهم
الله يجازيهم على استهزائهم سمى جزاء الاستهزاء باسمه
كما سمى جزاء السيئة سيئة لمقابلة اللفظ باللفظ او لكونه
مماثلا له فى المقدار ويرجع وبال الاستهزاء عليهم فيكون
كالمستهزئ او ينزل بهم الحقارة والهوان الذى هو
لازم الاستهزاء والغرض منه او الله يعاملهم معاملة
المستهزئ اما فى الدنيا فباجراء احكام المسلمين عليهم
واستدراجهم بالامهال والزيادة فى النعمة على التمادى
فى الطغيان واما فى الآخرة فبان يفتح لهم وهم فى النار
بابا الى الجنة فيسرعون نحوه فاذا صاروا اليه سد عليهم
الباب وذلك قوله ك فاليوم الذين آمنوا من الكفار
يضحكون وانما استؤنف به ولم يعطف ليدل على ان
الله ك تعالى مجازاتهم ولم يحوج المؤمنين ان يعارضوهم
وان استهزائهم لا يؤبه به فى مقابلة ما يفعل الله بهم
ولعله لم يقل الله مستهزئ بهم ليطابق قولهم ايماء
بان الاستهزاء يحدث حالا فحالا ويتجدد حينا بعد حين
وهكذا كانت نكايات الله فيهم كما قال او لا يرون انهم
يفتنون فى كل عام مرة او مرتين ويمدهم فى طغيانهم
يعمهون من مد الجيش وامده اذا زاده وقواه ومنه

مددت

اى غباد

مددت السراج والارض اذا اصلحتهما بالزيت والسماد
لا من المد فى العمر فانه يعدى باللام كما ملى لهم ويدل عليه
قراءة ابن كثير ويمدهم والمعتزلة لما تعذر عليهم اجراء
الكلام على ظاهره قالوا لما منعهم الله ك الطائفة التى يمنحها
المؤمنين وخذلهم بسبب كفرهم واصرارهم وسد
طرق التوفيق على انفسهم فتزايدت بسببه قلوبهم رينا
وظلمة تزايد قلوب المؤمنين انشراحا ونورا او مكن
الشيطان من اغوائهم فزادهم طغيانا اسند ذلك الى الله
ك اسناد الفعل الى المسبب واضاف الطغيان اليهم ليدل
يتوهم ان اسناد الفعل اليه على الحقيقة ومصداق ذلك
انه لما اسند المد الى الشيطان اطلق الفى وقال واخوانهم
يمدونهم فى الفى او كان اصله يمد لهم بمعنى يملى لهم ويمدهم
فى اعمارهم كى يتنبهوا او يطيعوا فما زادوا الا طغيانا و
عمها وحذفت اللام وعدى الفعل بنفسه كما قال فى قوله ك
فاختار موسى قومه او التقدير يمدهم استصلاحا وهم مع ذلك
يعمهون فى طغيانهم والطغيان بالضم والكسر كالقيان والقيان
تجاوز الحد فى العتو والعلو فى الكفر واصله تجاوز الشئ
عن مكانه قال الله ك انا لما طغى الماء حملناكم والعمه فى البصيرة
كالعمى فى البصر وهو التحير فى الامر يقال رجل عامه وعمه
وارض عمهاء لا منار بها قال اعمى الهدى بالجاهلين العمه
اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى اختاروها عليه
واستبدلوها به واصله بذل الثمن لتحصيل ما يطلب من
الاعيان فان كان احد العوضين ناضا تعين من حيث انه لا
يطلب لعينه ان يكون ثمنا وبذل الشئ والاقاى العوضين
تصورته بصورة الثمن فباذله مشتر واخذه بايع و

ملاقات

لذلك عدت الكلمتان من الاضداد ثم استعير للاعراض عما
في يده محصلا به غيره سواء كان من المعاني الاعيان ومنه
اخذت بالجمة رأسا ازعر وبالثنايا الواضحات الدرد
او بالطويل العمر اجبذا كما اشترى المسلم اذا انتضر ثم
اتبع فيه فاستعمل للترغبة عن الشيء طمعا في غيره والمعنى انهم
اخلوا بالهدى الذي جعل الله لهم بالفطرة التي فطر الناس
عليها محصلين الضلالة التي ذهبوا واعقدوا اليها والضلالة
واستحبوها على الهدى فما ربحت تجارتهم ترشيح للمجاز
لما استعمل الاشتراء في معاملتهم تبعه ما يشاكله تمثيلا لخبارا
تهم ونحوه ولما رأيت الشر عز ابن دأبة وعشش في و
كريه جاش له صدري والتجارة طلب الربح بالبيع و
الشري والربح الفضل على رأس المال ولذلك سمي شفا و
اسناده الى التجارة وهو لاربابها على الاتساع لتلبسها بالفاعل
او لمشابهها اياه من حيث انها سبب الربح والخسران وما كانوا
مهتدين لطرق التجارة فان المقصود منها سلامة رأس
المال وهؤلاء قد اضاعوا الطلبين معا لان رأس مالهم
كان الفطرة السليمة والعقل الصرف فلما اعتقدوا هذه الضلا
لة بطل استعدادهم واختل عقلهم ولم يبق لهم رأس المال
يتوسلون به الى درك الحق ونيل الكمالات فبقوا خاسرين
آيسين عن الربح فاقدين للاصل متلهم كمثل الذي استوقد
نارا لما جاء بحقيقة حالهم عقبها بضرب المثل زيادة في التو
ضيح والتقدير فانه اوقع في القلب واقع للخصم الالد لانه
يريك المتخيل متحققا والمعقول محسوسا ولامر ما اكثر
الله في كتبه الامثال وفشت في كلام الانبياء والحكماء والمثل
في الاصل بمعنى النظير يقال مثل ومثل ومثيل كشبه وشبه

ثم قيل للقول السائر الممثل مضرب به بمورده ولا يضرب الا
لما فيه غرابة ولذلك هو فطع عليه من التخييل ثم استعير لكل
حال او قصة او صفة لها شان وفيها غرابة مثل قوله كمثل
الجنة التي وعد المتقون وقوله كمثل الله المثل الاعلى والمعنى
حالهم العجيبة الشان كحال من استوقد نارا والذي بمعنى الذ
كما في قوله وخضتم كالذي حاضوا ان جعل مرجع الضمير في ينور
وانما جاز ذلك ولم يجز وضع القائم موضع القائمين لانه
غير مقصود بالوصف بل الجملة التي هي صلته وهو وصلة
الى وصف المعرفة بها ولانه ليس باسم تام بل هو كالجزء منه
فحقه ان لا يجمع كما لم يجمع اخواتها ويستوي فيه الواحد
والجمع وليس الذين جمعه الصحيح بل ذو زيادة زيدت
لزيادة المعنى ولذلك جاء بالياء ابدا على اللغة الفصيحة
التي عليها التنزيل ولكونه مستطالا بصلته استحق الحذ
التخفيف ولذلك بولغ فيه بحذف ياؤه ثم كسرته ثم اقتصر
على اللام في اسماء الفاعلين والمفعولين او قصد به جنس
المستوقدين او الفوج الذي استوقد نارا والاستيقاد
طلب الوقود والسعي في تحصيله وهو سطوع النار وار
تفاع لهبها واشتقاق النار من نار ينور نارا اذا نفر
لان فيها حركة واضطرابا فلما اضاءت ما حوله النار ما
حول المستوقد ان جعلتها متعدية والا امكن ان تكون
مسندة الى ما والتانيث لان ما حوله اشياء واماكن او
الى ضمير النار وما موصولة في معنى الامكنة نصب على
الظرفية او مزيدة وحوله ظرف وتاليف الحول للدور او
وقيل للعام حول لانه يدور ذهب الله بنورهم جواب
لما والضمير للذي وجمعه للحمل على المعنى وعلى هذا انما

بن
هم

ن

قال بنورهم ولم يقل بنارهم لانّ المراد من ايقادها و
استيناف اجيب به اعتراض سائل يقول ما بالهم شبّهت
حالهم بحال مستوقد ان طفت ناده او بدل من جملة التمثيل
على سبيل البيان والضمير على الوجهين للمنافقين والجواب
محذوف كما قال الله تعالى فلما ذهبوا به للايجاز والمن الا
لبس واسناد الاذهاب الى الله تعالى امّا لانّ الكلّ يفعله او
لانّ الاطفاء حصل بسبب خفيّ او امر سماوىّ كريح او
مطر او للمبالغة ولذلك عدّى الفعل بالباء دون الهمزة
لما فيها من معنى الاستصحاب والاستمساك فيقال ذهب
السّلطان بماله اذا اخذه وما اخذه الله واسمك فلا مر
سل له ولذلك عدل هو عن الضّوء الذى هو مقتضى اللفظ
الى النّور فانه لو قيل ذهب الله بضوءهم احتمل ذهابه
بما فى الضّوء من الزّيادة وبقاء ما تستمتع نورا والغرض
ازالة النّور عنهم رأسا الا ترى كيف قرّر ذلك واكّد
بقوله وتركهم فى ظلمات لا يبصرون فذكر الظّلمة الّتى
هى عدم النور وانطماسه بالكلّية وجمعها ونكّرها ووصفها
بانّها ظلمة خالصة لا ترى فيها شعاع ونرك فى الاصل
بمعنى طرح وخلّى وله مفعول واحد فضمّن معنى صيّر فجرى
مجرى افعال القلوب كقوله وتركهم فى ظلمات وقول الشا
عر فتركته جزر السّباع ينشنه والظلمة مأخوذة من قو
لهم ما ظلمك ان تفعل كذا اى ما منعك لانها تسدّ البصر و
تمنع الرّؤية وظلماتهم ظلمة الكفر وظلمة النّفاق و
ظلمة يوم القيمة يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نور
هم بين ايديهم وبايمانهم او ظلمة الضّلالة وظلمة سخط
الله وظلمة العقاب الّتى هى مدى او ظلمة شديدة كانها ظلمات

متراكمة

متراكمة بعضها فوق بعض ومفعول لا يبصرون من قبيل
المطروح المتروك وكان الفعل غير متعدّ والآية مثل
ضربه الله لمن آتاه ضربا من الهدى فاضاعه ولم يتو
به الى نعيم الابد فبقى متحيرا متحسرا تقديرا وتوضيحا لما
تضمّنه الآية الاولى ويدخل تحت عمومه هؤلاء المنافقون
فانهم اضاعوا ما نطقت به السنتهم من الحق باستبطان
الكفر واظهاره حين خلوا الى شياطينهم ومن آثر الضلا
لة على الهدى المجعول له بالفطرة او ارتدّ عن دينه بعد
ما آمن ومن صحّ له احوال الارادة فادّعى احوال المحبّة
فاذهب الله عنه ما اشرف عليه من انوار الارادة او مثل
لايمانهم من حيث انه يعود عليهم بحقيّة الدّعاء وسلامة
الاموال والاولاد ومشاركة المسلمين فى المغانم والاحكا
م بالنّار الموقدة للاستضاءة ولذهاب اثره وانطماس
نوره باهلاكهم واخفاء حالهم باطفاء الله تعالى اياها
واذهاب نورها صمّ بكم عمى لما سدّوا مسامعهم عن
الاضاحة الى الحقّ وابوا ان ينطقوا به السنتهم ويتبصّروا
الآيات بابصارهم جعلوا كانّما ايغت مشاعرهم ونطقت
قولهم صمّ اذا سمعوا خيرا ذكرت به وان ذكرت بسوء عند
هم اذنوا صمّ عن الشيء الذى لا اريده واسمع خلق الله
حين اريد واطلاقها عليهم على طريقة التّمثيل لا الاستعارة
اذ من شرطها ان يطوى ذكر المستعار له بحيث يمكن حمل
الكلام على المستعار منه لولا القرينة كقول زهير لدى
اسد شاكى السّلاح مقذّف له لبد اظفاره لم تقلّم ومن
ثمّة ترى المفلقين الشّحرة يضربون عن توهّم التّشبيه

صفحا كما قال ابو تمام ويصعد حتى يظن الجهول بان له
حاجة فى السماء وههنا وان طوى ذكره بحذف المضاف
المبتداء لكنه فى حكم المنطوق به ونظيره اسد علىّ فى
الحروب نعامة فتخالبه تنفر من صغير الصافر هذا
اذا جعلت الضمير للمنافقين على ان الآية قد ذكرت التمثيل
ونتيجته وان جعلته للمستوقدين فمعنى على حقيقتها والمعنى
انهم لما اوقدوا نارا فذهب الله ببعدهم وتركهم فى
ظلمات هائلة او بهشتهم بحيث اختلت حواسهم وانصعقت
انتقضت قواهم وثلثتها قرئ بالنصب على الحال من
مفعول تركهم والصم اصله صلابة من الكتان الاجراء و
منه قيل حجر اصم وقناة صماء القرورة سمى به فقدان
حاسة السمع لان سببه ان يكون باطن الصماخ مكتنفا
تجويف فيه يشتمل على هواء يسمع الصوت بتموجه والبكم
الخرس والعمى عدم البصر عما من شانه ان يبصر وقد يقال
لعدم البصيرة فهم لا يرجعون لا يعودون الى الهدى
الذى باعوه وضيعوه او عن الضلالة التى اشتروها
او فهم متحيرون لا يدرون ايتقدمون ام يتاخرون
والى حيث ابتدؤا منه كيف يرجعون والفاء للدلالة على
ان اتصافهم بالاحكام السابقة سبب لتحيرهم واحتباسهم
او كصيب من السماء عطف على الذى استوقد نارا
او كمثل ذوى صيب لقوله يجعلون اصابعهم واو فى
الاصل للتساوى فى الشك ثم اتسع فيها فاطلقت للتساوى
من غير شك مثل جالس الحسن او ابن سيرين وقوله لا تطع
منهم اوكفورا فانها تفيد التساوى فى حسن المجالسة

ووجوب

وجوب العصيان ومن ذلك قوله او كصيب ومعناه ان
قصة المنافقين مشبهة بهاتين القصتين وانهما سواء
فى صحة التشبيه بهما وانت مخير فى التمثيل بهما او باتيهما
شئت والصيب فيعل من الصوب وهو النزول يقال للمطر
والسحاب قال الشماخ واسحم واٍ صاد فى الرعد صيب
وفى الآية يحتمهما وتنكيره لانه اريد به نوع من المطر
شديد وتعريف السماء للدلالة على ان الغمام مطبق آخذ
بافاق السماء كلها فان كل افق منها يسمى سماء كما ان كل
طبقة منها سماء قال ومن بعد ارض بيننا وسماء امذ به
ما فى صيب من المبالغة من جهة الاصل والبناء والتنكير
وقيل المراد بالسماء السحاب فاللام لتعريف الماهية فيه
ظلمات ورعد وبرق ان اريد بالصيب المطر فظلماته
ظلمة تكاثفه بتتابع القطر وظلمة غمامة مع ظلمة الليل و
جعله مكانا للرعد والبرق لانهما فى اعلاه ومنحدره مل
تبسين به وان اريد به السحاب فظلماته سحمته وتطبقه
مع ظلمة الليل وارتفاعها بالظرف وفاقا لانه معتمد على مو
صوف والرعد صوت يسمع من السحاب والمشهور ان
سببه اضطراب اجرام السحاب واصطكاكها اذا حدتها
الريح من الارتعاد والبرق ما يلمع من السحاب من برق
الشئ بريقا اذا لمع وكلاهما مصدر فى الاصل ولذلك لم يجمعا
يجعلون اصابعهم فى آذانهم الضمير لاصحاب الصيب و
هو وان حذف لفظه واقيم الصيب مقامه لكن معناه باق
فيجوز ان يعول عليه كما عول حسان فى قوله يسقون من
ورد البريص عليه برد يصفق بالرحيق السلسل
حيث ذكر الضمير لان المعنى ماء برد والجملة استيناف

فكانه لما ذكر ما يؤذن بالشدة والهول قيل فكيف حالهم مع
ذلك فاجيب بها وانما اطلق الاصابع موضع الانامل للم
للمبالغة من الصواعق متعلق بيجعلون اى من اجلها جعلوا
كقولهم سقاهم من العيمة والصاعقة صعقة رعد هائل
مفرطا ناد لا تمر بشيء الا انت عليه من الصعق وهو شدة
الصوت وقد تطلق على كل هائل مسموع او مشاهد ويقال
صعقته الصاعقة اذا اهلكته بالاحراق او شدة الصوت
وقرئ من الصواقع وهو ليس بقلب من الصواعق لاستواء
كلا البناءين في التصرف فيقال صقع الديك وخطيب مصقع
وصقعته الصاعقة وهي في الاصل اما صفة لقصعة الرعد
او للرعد او التاء للمبالغة كما في الراوية او مصدر كالعافية
والكاذبة حذر الموت ينصب على العلة كقوله واغفر عوراء
الكريم ادخاره والموت زوال الحيوة وقيل عرض يضادها
لقوله كه خلق الموت والحيوة وردّ بان الخلق بمعنى التقدير
والاعدام مقدرة والله محيط بالكافرين لا يفوتونه كما لا
يفوت المحيط به المحيط لا يخلصهم الخداع والحيل والجملة
اعتراضة لا محل لها يكاد البرق يخطف ابصارهم استيناف
ثان كانه جواب لمن يقول ما حالهم مع تلك الصواعق
وكاد من الافعال المقاربة وضعت لمقاربة الخبر من الوجود
لعروض سببه لكنه لم يوجد اما لفقد شرط او لعروض مانع
وعسى موضوعة لرجائه فهي خبر محض ولذلك جاءت
متصرفة بخلاف عسى وخبرها مشروطة فيه ان يكون فعلا
مضارعا تنبيها على انه المقصود بالقرب من غير ان تؤكد
القرب بالدلالة على الحال وقد تدخل عليه حملا لها على عسى كما
يحمل عليها بالحذف عن خبرها لمشاركتهما في اصل معنى المقاربة

والخطف

والخطف الاخذ بسرعة وقرئ يخطف بكسر الطاء ويخطّف على
انه يختطف فنقلت حركة التاء الخاء ثم ادغمت في الطاء
ويخطف بكسر الخاء لالتقاء الساكنين وابقاع الياء لها و
يتخطّف كلما اضاء لهم مشوا فيه واذا اظلم عليهم قاموا
استيناف لثالث كانه قيل ما يفعلون في تارتي حقوق
البرق وخفيته فاجيب بذلك واضاء امّا متعدّ والمفعول
محذوف بمعنى كلما نوّر لهم بمشيهم اخذوه او لازم بمعنى كلما
لمع لهم مشوا في مطرح نوره وكذلك اظلم فانه جاء متعديا
منقولا من ظلم الليل ويشهد له قراءة اظلم على البناء للمفعول
وقول ابي تمام يصف نفسه شعرهما اظلما حالي ثم اجليا
ظلاميهما عن وجه امرد ايشب فانه وان كان من المحدثين
لكنه من علماء العربية فلا يبعد ان يجعل ما يقوله بمنزلة
ما يرويه وانما قال مع الاضاءة كلما وقع الاظلام اذ الانام
حراص على المشي فكلما صادفوا منه فرصة استهزوها ولا
كذلك التوقف ومعنى قاموا وقفوا ومنه قامت السوق
اذا وكدت وقام الماء اذا جمد ولو شاء الله لذهب
بسمعهم وابصارهم اى ولو شاء ان يذهب بسمعهم
بقصيف الرعد وابصارهم بوميض البرق لذهب
بهما فحذف المفعول لدلالة الجواب عليه ولقد تكاثر
حذفه في شاء وارادحتى لا يكاد يذكر الا في الشيء المستغرب
كقوله شعر فلو شئت ان ابكي دما لبكيته ولو من حروف
الشرط وظاهرها الدلالة على انتفاء الاول لانتفاء الثا
ضرورة انتفاء الملزوم عند انتفاء لازمه وقرئ لا
ذهب باسماعهم بزيادة الباء كقوله كه ولا تلقوا

بايديكم الى التهلكة وفائدة هذه الشرطية ابداء المانع
لذهاب سمعهم وابصارهم مع قيام مايقتضيه والتنبيه
على ان تأثير الاسباب فى مسبباتها مشروط بمشية الله
كه وان وجودها مرتبطا باسبابها واقع بقدرته و
قوله كه ان الله على كل شئ قدير كالتصريح به والتقدير
له والشئ يختص بالموجود له انه فى الاصل مصدر شاء
اطلق بمعنى شاء تارة وحيث يتناول البارى كه كما قال قل
اى شئ اكبر شهادة قل الله شهيد بينى وبينكم وبمعنى مشئ
اخرى اى مشئ وجوده وما شاء الله وجوده فهو موجود
فى الجملة وعليه قوله كه ان الله على كل شئ قدير الله خالق كل
شئ فهما على عمومهما بلا مشئوية والمعتزلة لما قالوا الشئ
مايصح ان يوجد وهو يعم الواجب والممكن او مايصح ان
يعلم ويخبر عنه فيعم الممتنع ايضا لزمهم التخصيص بالممكن
فى الموضعين بدليل العقل والقدرة هو التمكن من ايجاد الشئ
وقيل صفة تقتضى التمكن وقيل قدرة الانسان هيئة بها يتمكن
من الفعل وقدرة الله كه عبارة عن نفى العجز عنه والقادر هو
الذى ان شاء فعل وان لم يشأ لم يفعل والقدير الفعال لما يشاء
اى على ما شاء ولذلك فلم يوصف به غير البارى واشتقاق
القدرة من القدر لان القادر يوقع الفعل على مقدار قوته
او على مقدار مايقتضيه مشيته وفيه دليل على ان الحادث حال
حدوثه والممكن حال بقائه مقدوران وان المقدور العبد
مقدور الله كه لانه شئ وكل شئ مقدوره والظاهر ان
التمثيلين من جملة التمثيلات المؤلفة وهو ان تشبه كيفية
منتزعة من مجموع تضامت اجزاؤه وتلاصقت حتى صارت

شيئا

شيئا واحدا باخرى مثلها كقوله كه مثل الذين حملوا التورية ثم
لم يحملوها الآية لانه تشبيه حال اليهود فى جهلهم بما معهم
من التورية بحال الحمار فى جهله بما يحمل من اسفار الحكمة وا
لغرض منهما تمثيل حال المنافقين من الحيرة والشدة بما يكابد
من طفئت ناره بعد ايقادها فى ظلمة او بحال من اخذته
السماء فى ليلة مظلمة مع رعد قاصف وبرق خاطف وخوف
من الصواعق ويمكن جعلهما من قبيل التمثيل المفرد وهو
ان تأخذ اشياء فرادى فتشبهها بامثالها كقوله كه وما
يستوى الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل
ولا الحرور وقول امرئ القيس كان قلوب الطير رطبا
ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالى بان يشبه فى
الاول ذوات المنافقين بالمستوقدين واظهارهم الايمان
باستيقاد النار وما انتفعوا به من حقن الدماء وسلامة
الاموال والاولاد وغير ذلك باضاءت النار ماحولهم
المستوقدين وزوال ذلك منهم على القرب باهلاكهم و
افشاء حالهم وابقاءهم فى الخسار الدائم والعذاب الدائم
باطفاء نارهم والذهاب بنورهم وفى الثانى انفسهم
باصحاب الصيب وايمانهم المخالط بالكفر والخداع
بصيب فيه ظلمات ورعد وبرق من حيث انه وان كان
نافعا فى نفسه لكنه لما وجد فى هذه الصورة عاد نفعه
ضرا ونفاقهم حذرا عن نكايات المؤمنين ومايطرقون
به من سواهم من الكفرة بجعل الاصابع فى الآذان من
الصواعق حذر الموت من حيث انه لا يرد من قدر الله
شيئا ولا يخلص مما يريد بهم من المضار وتحيرهم
لشدة الامر وجهلهم بما يأتون ويذرون بانهم كلما صادف فعا

من البرق خفقة انتهز وها فرصة مع خوف ان يخطف
ابصارهم فخطوا خطا يسيرة ثم اذا خفى وفتر لمعانه بقوا
متقيدين لاحراك لهم وقيل شبه الايمان والقرآن وسائر
ما اوتى الانسان من المعارف التى هي سبب الحيوة الابدية
بالضيب الذى به حيوة الارض وما ارتبكت بها من شبه
المبطلين واعترضت دونها من الاعتراضات المشكلة با
الظلمات وما فيها من الوعد والوعيد بالرعد وما فيها
من الآيات الباهرة بالبرق وتصامهم عما يسمعون من الوعيد
بحال من يرعد له الرعد فيحافى صواعقه فيسد اذنه عنها
مع انه لا خلاص لهم منها وهو معنى قوله تعالى والله محيط
بالكافرين واهتزازهم لما يلمع لهم من رشد يدركونه او
رفد يطمحون اليه ابصارهم بمشيهم فى مطرح ضوء البرق كلما
اضاء لهم وتحيرهم وتوقفهم فى الامر حين تعرض لهم شبهة
اوتعن لهم مصيبة يتوقفهم اذا اظلم عليهم وبنبه بقوله لو
شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم على انه تعالى جعل لهم السمع
والابصار ليتوسلوا بها الى الهدى والفلاح ثم انهم صرفوها
الى الحظوظ العاجلة وسدوها عن الفوائد الآجلة ولو شاء
لجعلهم بالحالة التى يجعلونها فانه على ما يشاء قدير يا ايها
الناس اعبدوا ربكم لما عدد فرق المكلفين وذكر خواصهم
ومصارفهم قبل عليهم بالخطاب على سبيل الالتفات هزا لهم
مع وتنشيطا له واهتماما بامر العبادة وتفخيما لشانها وجبرا
لكلفة العبادة بهذه المخاطبة ويا حرف وضع لنداء البعيد
وقد ينادى به القريب تنزيلا له منزلة البعيد اما لعظمته
كقول الداعى يا رب ويا الله وهو اقرب اليه من حبل الوريد
او لغفلته وسوء فهمه او للاعتناء بالمدعو له وزيادة الحث

عليه

30

عليه وهو مع المنادى جملة مفيدة لانه نائب مناب فعل و
اى جعل وصلة الى نداء المعرف باللام فان ادخال يا عليه
متعذر لتعذر الجمع بين حرف التعريف فانهما كمثلين و
اعطى حكم المنادى واجرى عليه المقصود بالنداء وصفا
موضحا له والتزم رفعه اشعارا بانه المقصود والحمت
بينهما هاء التنبيه تاكيدا وتعويضا عما يستحقه اى من المضا ف
اليه وانما كثر النداء على هذه الطريقة فى القرآن لاستقلاله
باوجه من التاكيد وكل ما نادى الله له عباده من حيث انها
امور عظام من حقها ان يتفطنوا لها ويقبلوا بقلوبهم
عليها واكثرهم عنها غافلون حقيق بان ينادى له بالاكد الا
بلغ والمجموع واسماؤها المحلاة باللام للعموم حيث لا عهد
ويدل عليه صحة الاستثناء منها والتاكيد بما يفيد العموم كقوله
فسجد الملائكة كلهم اجمعون واستدلال الصحابة بعمومها
شايعا ضايعا فالناس يعم الموجودين وقت النزول لفظا
ومن سيوجد معنى لما تواتر من دينه ص ان مقتضى خطابه و
احكامه شامل للقبيلتين ثابت الى قيام الساعة الا ما خصه
الدليل وما روى عن علقمة والحسن ان كل شىء نزل فيه
يا ايها الناس مكى ويا ايها الذين امنوا مدنى ان صح رفعه فلا
يوجب تخصيصه بالكفار ولا امرهم بالعبادة فان المامور
به هو المشترك بين بدى العبادة والزيادة فيها والمواظبة
عليها فالمطلوب من الكفار هو الشروع فيها بعد الاتيان بما يوجب
تقديمه من المعرفة والاقرار بالصانع فان من لوازم وجوب
الشىء وجوب ما لا يتم الا به وكما ان الحدث لا يمنع وجوب الـ
الصلوة فالكفر لا يمنع وجوب العبادة بل يجب رفعه والاشتغال

بها عقيبه ومن المؤمنين ازديادهم وثباتهم عليها وانما قال
ربكم تنبيها على ان الموجب للعبادة هي الربوبية الذي خلقكم
صفة جرت عليه للتعظيم والتعليل ويحتمل التقييد ان خص
الخطاب بالمشركين واريد بالرب اعم من الرب الحقيقي
والآلهة التي يسمونها ارباباً والخلق ايجاد الشيء على تقدير
واستواء واصله التقدير يقال خلق النعل اذا قدرها وسواها
بالمقياس والذين من قبلكم متناول كل ما يتقدم الانسان بالذات
او بالزمان منصوب معطوف على الضمير المنصوب في خلقكم
والجملة اخرجت مخرج المقرر عندهم امثالا عترافهم به كما
قال ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله ولئن سألتهم
من خلق السموات والارض ليقولن الله او لتمكنهم من العلم
به بادنى نظر وقرئ من قبلكم على افحام الموصول الثاني
بين الاول وصلته تأكيد كما افحم جرير في قوله يا تيم تيم
عدي لا ابا لكم تيما الثاني بين الاول وما اضيف اليه لعلكم
تتقون حال عن الضمير في اعبدوا اي كائنة قال اعبدوا ربكم
راجين ان يتخرطوا في سلك المتقين الفائزين بالهدى و
الفلاح المستوجبين لجوار الله كما نبئ به على ان التقوى
منتهى درجات السالكين وهو التبري من كل شيء سوى
الله الى الله وان العابد ينبغي ان لا يغتر بعبادته ويكون ذا
خوف ورجاء كما قال الله كانوا يدعوننا رغبا ورهبا خوفا وطمعا
يرجون رحمته ويخافون عذابه او من مفعول خلقكم
والمعطوف عليه على معنى انه خلقكم ومن قبلكم في صورة
من يرجى منه التقوى لتتجه امره باجتماع اسبابه وكثرة
الدواعي اليه وغلب المخاطبين على الغائبين في اللفظ والمعنى
على ارادتهم جميعا وقيل تعليل للخلق اي خلقكم لكي تتقوا

كما قال

كما قال الله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وهو
ضعيف اذ لم يثبت في اللغة بمثله والآية تدل على ان الطريق
الى معرفة الله تعالى والعلم بوحدانيته واستحقاقه للعبادة
النظر في صنعه والاستدلال بافعاله وان العبد لا يستحق بعبا
دته عليه ثوابا فانها لما وجب عليه شكر الله لما عدده عليه
من النعم السابقة فهو كاجر اخذ الاجر قبل العمل الذي
جعل لكم الارض فراشا صفة ثانية او مدح منصوب او
مرفوع او مبتدا خبره فلا تجعلوا وجعل من الافعال
العامة يجيء على ثلثة اوجه بمعنى صار وطفق فلا يتعدى
كقوله قد جعلت بنى سهيل من الاكرام مرتعها قريب
وبمعنى اوجد فيتعدى الى مفعول واحد كقوله تعالى وجعل
الظلمات والنور وبمعنى صير فيتعدى الى مفعولين كقوله
جعل لكم الارض فراشا وتصيير يكون بالفعل تارة وبا
القول تارة او العقد اخرى ومعنى جعلها فراشا ان
جعل بعض جوانبها بارزا عن الماء مع ما في طبعه من الا
حاطة بها وصيرها متوسطة بين الصلابة واللطافة حتى
صارت مهيئات لان يقعدوا ويناموا عليها كالفراش الممـ
ـبسوط وذلك لا يستدعي كونها مسطحة لان كرية شكلها
مع عظم حجمها واتساع جرمها لا تابى الافتراش عليها وا
لسماء بناء قبة مضروبة عليكم والسماء اسم جنس يقع على
الواحد والمتعدد كالدينار والدرهم وقيل جمع سماءة و
البناء مصدر سمي به المبنى بنيانا كان او قبة او فضاء ومنه بنى
على امرأته لانهم كانوا اذا تزوج ضربوا عليها خباء جديدا
وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم عطف
على جعل وخروج الثمار بقدرة الله ومشيته ولكن جعل

لم يعقم

الماء الممزوجا بالتراب سببا فی اخراجها و ماذة لها کما
لنطفة للحیوان بان اجری عادته باخاضة صورها و
کیفیاتها علی الماذة الممزوجة منهما او ابدع فی الماء قوة
فاعلیة و فی الارض قوة قابلة یتولد من اجتماعهما انواع
الثمار و هو قادر علی ان یوجد الاشیاء کلها بلا اسباب
و مواذ کما ابدع نفوس الاسباب و المواذ و لکن له فی ان
شائها مدرجا من حال الی حال صنایع و حکم یجدد فیها
لاولی الابصار عبرا و سکونا الی عظیم قدرته لیس فی ایجاد
ها دفعة و من الاولی للابتداء سواء اردت بالسماء السحاب
فان ماعلاک سماء او الفلک فان المطر یبتداء من السماء
الی السحاب و منه الی الارض علی ما دلت علیه الظواهر او
من اسباب سماویة ینشر الاجزاء الرطبة من اعماق الارض
الی جو الهواء فتنعقد سحابا ماطرا و من الثانیة للتبعیض
بدلیل قوله فاخرجنا به ثمرات و التفاف المنکرین له
اعنی ماء و رزقا کانه قال و انزل لنا من السماء بعض الماء
فاخرجنا به بعض الثمرات لیکون بعض رزقکم و هکذا
الواقع اذ لم ینزل من السماء الماء کله و لا اخرج بالمطر
کل الثمر و لاجعل کل المرزوق ثمارا و المبین و رزقا معه
مفعول به بمعنی المرزوق کقولک انفقت من الدراهم
الفا و انما ساغ الثمرات و الموضع موضع الکثرة لانه
اراد بالثمرات جماعة الثمرة التی هی فی قولک ادرکت ثمرة
بستانه و یؤیده قراءة من الثمرة علی التوحید او لان المجموع
تبعا و بعضها موقع بعض کقوله کم ترکوا من جنات و
عیون و قوله ثلثة قروء او لانها لما کانت محلاة باللام
خرجت عن حد القلة و لکم صفة رزقا ان اردت به المرزوق

ومفعول

و مفعول له ان اردت به المصدر کانه قال رزقا لکم فلا تجعلوا
لله انداد ا متعلق باعبدوا علی انه نهی معطوف علیه او
نفی منصوب باضمار ان جواب له او بلعل علی ان نصب تجعلوا
نصب فاطلع فی قوله لعلی ابلغ الاسباب اسباب السموات
فاطلع الحاقا لها باشیاء الستة لاشتراکها فی انها غیر
موجبة و المعنی ان تتقوا لاتجعلوا لله انداد ا او بالذی جعل
ان استانفت به علی انه نهی وقع خبر علی تاویل مقول
فیه لاتجعلوا و الفاء للسببیة ادخلت علیه لتضمن المبتداء
معنی الشرط و المعنی ان من حقکم بهذه النعم الجسام و الآ
یات العظام ینبغی ان لایشرک به و النداء لمثل المنادی قال
جریر ایتیما تجعلون التی ندا و ماتیم لذی حسب نذید
من ندد ندود ا اذا نفر و نادد ت الرجل خالفته خص بالمخا
لف المماثل فی الذات کما خص الماوی للمماثل فی القدر و تسمیة
ما یعبده المشرکون من دون الله انداد ا و ما زعموا انها
تساویه فی ذاته و صفاته و لا انها تخالفه فی افعاله لانهم
لما ترکوا عبادته الی عبادتها و سموا بها آلهة شابهت
حالهم حال من یعتقد انها ذوات واجبة بالذات قادرة
علی ان تدفع عنهم بأس الله و تمنحهم ما لم یرد الله بهم
من خیر فتهکم بهم و شنع علیهم بان جعلوا انداد ا لمن
یمتنع ان یکون له ند و لهذا قال موخد الجاهلیة زید بن عمرو
بن نفیل ارب واحد ا ام الف رب ادین اذا تقسمت الامور
ترکب اللات و العزی جمیعا کذلک یفعل الرجل البصیر
و انتم تعلمون حال من ضمیر فلا تجعلوا و مفعول تعلمون
مطروح ای و حالکم انکم من اهل العلم و النظر و اصابة
الرای فلو تأملتم ادنی تامل اضطر عقلکم الی اثبات موجد

للممكنات متفرد بوجوب الذات منعال عن مشابهة المخلوقات
او منعوت وهو انها لا يماثله ولا تقدر على مثل ما يفعله كقوله
هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء وعلى هذا فالمقصود منه التوبيخ والتشريب لا تقييد الحكم وقصره عليه
فان العالم والجاهل المتمكن من العلم سواء في التكليف واعلم
ان مضمون الآيتين هو الامر بعبادة الله والنهي عن الاشراك به والاشارة الى ما هو العلة والمقتضي وبيانه انه رتب
الامر بالعبادة على صفة الربوبية اشعارا بانها العلة لوجوبها
ثم بين ربوبيته بانه خالقهم وخالق اصولهم وما يحتاجون
اليه في معاشهم من المقلة والمظلة والمطاعم والملابس فان
الثمرة اعم من المأكول والمشروب ثم لما كانت هذه امور لا
يقدر عليها غيره شهدت على واحدانيته رتب عليها النهي
عن الاشراك به ولعله سبحانه اراد من الآية الاخيرة مع ما دل
عليه الظاهر وسيق فيه الكلام الاشارة الى تفصيل خلق الانسان
وما افاض عليه من المعاني الصفات على طريقة التمثيل فمثل
البدن بالارض والنفس بالسماء والعقل بالماء وما افاض
عليه من الفضائل العملية والنظرية المحصلة بواسطة استعمال
العقل للحواس واذ دواعي القوى والبدنية الثمرات المتولدة
من اذ دواعي القوى السماوية الفاعلة عليه والارضية المنفعلة
بقدرة الفاعل المختار فان لكل آية ظهرا وبطنا ولكل حد مطلعا
وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة لما قرر
واحدانيته وبين الطريق الموصل الى العلم بها ذكر عقيبه ما هو
الحجة على نبوة محمد ﷺ وهو القرآن المعجز بفصاحته التي بزت
فصاحة كل منطيق وافحامه من طولب بمعارضته من مصاقع
الخطباء من العرب العرباء مع كثرتهم وافراطهم في المضادة

من المطعم والرزق
اعم صح

والمضارة

والمضارة وتهالكهم على المعارضة وعرف ما يتعرف به اعجازه
ويتيقن انه من عند الله كما يدعيه وانما قال مما نزلنا لان
نزوله نجما فنجما بحسب الوقايع على ما يرى عليه الشعر
والخطابة مما يترسلهم كما حكى الله عنهم فقال وقال الذين
كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة فكان الجواب
تحديهم على هذا الوجه ازاحة للشبهة والزاما للحجة و
اضاف العبد الى نفسه تنويها بذكره وتنبيها على انه مختص
به منقاد لحكمه وقرئ على عبادنا يريد محمدا وامته والسورة
الطائفة من القرآن المترجمة التي اقلها ثلث آيات وهي
ان جعلت واوها اصلية منقولة من سور المدينة لانها محوزة صح
محيطة بطائفة من القرآن مفرزة على حيالها او محتوية
على انواع من العلم احتواء سور المدينة على ما فيها او من
السورة التي هي الرتبة قال شعر ولي فوقها حراب وقد
سورة في المجديين غرابها بمطار لان السورة كالمنازل
والمراتب يترقى فيها القاري اولها مراتب في الطول و
القصر والفضل والشرف وثواب القراءة وان جعلت مبدلة
من الهمزة فمن السورة التي هي البقية والقطعة من الشيء و
الحكمة وتقطيع القرآن سورا افراد الانواع وتلاحق الاشكال
وتجاوب النظم وتنشيط القاري وتسهيل الحفظ والترغيب
فيه فانه اذا ختم سورة نفس ذلك منه كالمسافر اذا علم انه قطع
ميلا او طوى بريدا والحافظ متى حذقها اعتقد انه احذ من
القرآن حظا تاما وفاز بطائفة محدودة مستقلة بنفسها
فعظم ذلك عنده وابتهج به الى غيرها من الفوائد من مثله صفة
سورة اي سورة كائنة من مثله والضمير لما نزلنا ومن
للتبعيض وزائدة عند الاخفش اي سورة مماثلة للقرآن

في البلاغة وحسن النظم ولعبدنا ومن للابتداء اى بسورة كائنة
ممن هو حاله من كونه بشرا اميا لم يقرأ الكتب ولم يتعلم العلوم
او صلة فأتوا والضمير للعبد والرد الى المنزل اوجه لانه المطا
بق لقوله فأتوا بسورة مثله ولسائر آيات التحدى ولان
الكلام فيه لا في المنزل عليه فحقه ان لا ينفك عنه ليتسق التر
تيب والتعظيم لان مخاطبة الجسم الفقير بان يأتوا بمثل ما اتى
به واحد من انباء جلدتهم ابلغ في التحدى في ان يقال لهم
ليأت بنحو ما اتى به هذا آخر مثله ولانه معجز في نفسه لا با
لنسبة اليه لقوله ﴿ قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان
يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولان رده على عبدنا
بوهم امكان صدوره ممن لم يكن على صفته ولا يلايمه قوله
﴿ وادعوا شهداءكم من دون الله فانه امر بان يستعينوا
بكل من ينصرهم ويعينهم والشهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر او
القائم بالشهادة او الناصر او الامام وكانه يستعمل به لانه يحضر
الفؤادى ويبرم بحضره الامور اذ التركيب للحضور اما
بالذات او بالتصور ومنه قيل للمقتول في سبيل الله شهيد لانه
حضر ما كان يرجوه او الملائكة حضروه ومعنى دون ادنى
مكان من الشئ ومنه تدوين الكتب لانه ادناه البعض ودونك
هذا اى خذه من ادنى مكان منك ثم استعير للرتب فقيل
زيد دون عمرو اى في الشرف ومنه الشئ الدون ثم اتسع
فيه فاستعمل في كل تجاوز حد الى حد وتخطى امر الى آخر قال
الله ﴿ لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين
اى لا يتجاوزوا ولاية الكافرين وقال امتية شعب يا نفس
مالك دون الله من واق اى اذا تجاوزت وقاية الله فلا يقيك
غيره ومن متعلقه بادعوا والمعنى وادعوا للمعارضة من

حضركم

من حضركم اورجوتم معونته من انسكم وجنكم وآلهتكم غير
الله فانه لا يقدر على ان يأتى بمثله الا الله او ادعوا من دون
الله شهداء شهدون لكم بان ما اتيتم به مثله ولا تستشهدوا
بالله فانه من ديدن المبهوت العاجز عن اقامة الحجة او شهداء
الذين اتخذتموهم من دونه اولياء وآلهة وزعمتم انها تشهد
لكم يوم القيمة او الذين يشهدون لكم بين يدى الله على زعمكم
من قول الاعشى شعر تريك القذى من دونها وهى دونه
ليعينكم وفي امرهم ان يستظهروا بالجماد في معارضة
القرآن غاية التبكيت والتهكم بهم وقيل من دون الله اى
من دون اوليائه يعنى فصحاء العرب ووجوه المشاهد
ليشهدوا لكم ان ما اتيتم به مثله فان العاقل لا يرضى لنفسه
ان يشهد بصحة ما اتضح فساده وبان اختلاله ان كنتم
صادقين انه من كلام البشر وجوابه محذوف دل عليه ما
قبله والصدق الاخبار المطابق وقيل مع اعتقاد المخبر انه
كذلك عن دلالة او امارة لانه كذب المنافقين في قولهم
انك لرسول الله لما لم يعتقدوا مطابقته ورد بصرف الت
تكذيب الى قولهم نشهد لان الشهادة اخبار عما علموه و
هم ما كانوا عالمين به فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا
النار التي وقودها الناس والحجارة لما بين لهم ما يتعرفون
به امر الرسول وما جاء به وبين لهم الحق عن الباطل رتب
عليه ما هو كالفذلكة له وهو انكم اذا اجتهدتم في معا
رضته وعجزتم جميعا عن الاتيان بما يساويه او يدانيه ظهر
انه معجز والتصديق به واجب فآمنوا به واتقوا العذاب
المعد لمن كذب فعبر عن الاتيان المكتفى بالفعل الذى يعتم
الاتيان وغيره ايجازا ونزل لازم الجزاء منزلته على

كم

سبيل الكناية تقديرا للمكنى عنه وتهويلا لشان العناد و
تصريحا بالوعيد مع الايجاز وصدر الشرطية بان الذى
للشك والحال يقتضى اذا الذى للوجوب فان العاقل
سبحانه لم يكن شاكا فى عجزهم ولذلك نفى اتيانهم معترضا
بين الشرط والجزاء تهكما بهم اوخطابا معهم على حسب
ظنهم فان العجز قبل التامل لم يكن محققا عندهم وتفعلوا
جزم بلم لانها واجبة الاعمال مختصة بالمضارع متصلة
بالمعمول ولانها لما صيرته ماضيا صارت كالجزء منه و
صرف الشرط كالداخل على المجموع وكانه قال فان تركتم
الفعل ولذلك ساغ اجتماعهما ولن كلا فى نفى المستقبل غير
انه ابلغ وهو حرف مقتضب عند سيبويه والخليل فى احدى
الروايتين عنه وفى الرواية الاخرى اصله لا ان وعند
الفراء لا فابدلت الفها نونا والوقود بالفتح ما يوقد به
النار وبالضم المصدر وقد جاء المصدر بالفتح قال سيبويه
وسمعنا من يقول وقدت النار وقودا عاليا والاسم با
لضم ولعله مصدر سمى به كما قيل فلان فخر قومه وزين بلده
وقد قرئ به والظاهر ان المراد به الاسم وان اريد به المصدر
على حذف المضاف اى وقودها احتراق الناس والحجارة وهى
جمع حجرة كجمالة جمع جمل وهو قليل غير منقاس والمراد به الا
صنام التى نحتوها وقربوا بها انفسهم وعبدوها طمعا فى
شفاعتها والانتفاع بها والاستدفاع المضار بمكانتهم ويدل
عليه قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم
اعذبوا بما هو منشاء جرمهم كما عذب الكانزون بما كنزوه
او بنقيض ما كانوا يتوقعون زيادة فى تحسرهم وقيل الذهب
والفضة التى كانوا يكنزونها ويعتزون بهما وعلى هذا

لم يكن

لم يكن لتخصيص اعداد هذا النوع من العذاب بالكفار وجه
وقيل حجارة الكبريت وهو تخصيص بغير دليل وابطال
للمقصود اذ الغرض تهويل شانها وتفاقم لهيبها
بحيث تتقد بما لا يتقد به غيرها والكبريت يتقد به
كل النار وان ضعفت فان صح هذا عن ابن عباس فلعله
عنى به ان الاحجار كلها لتلك النار كحارة الكبريت لسا
ئر النيران ولما كانت الآية مدنية نزلت بعد ما نزل بمكة
قوله تعالى فى سورة التحريم نارا وقودها الناس والحجارة
وسمعوه بالمدينة صح تعريف النار ووقوع الجملة صلة
فانها يجب ان تكون قصة معلومة اعدت للكافرين هيئت
لهم وجعلت عدة لعذابهم وقرأ اعدت من العناد
بمعنى العدة والجملة استينافى او حال باضمار قد من النار
لا من الضمير الذى فى وقودها وان جعلته مصدرا للفصل
بينهما بالخبر وفى الايتين دليل عن النبوة من وجوه
والاول ما فيها من التحدى والتحريض على الجد والبذل
الوسع فى المعارضة بالتقريع والتهديد والتعليق الو
عيد على عدم الاتيان بما يعارض من اقصر بما يعارض
من اقصر سورة من سورة القران ثم انهم مع كثرتهم
واشتهارهم بالفصاحة وتهالكهم على المضادة لم يتصدوا
المعارضة والتجاوا الى اجلاء الوطن وبذل المهج والثانى
انها تضمن الاخبار عن الغيب على ما هو به فانهم لو
عارضوه بشىء لامتنع خفاؤه عادة سيما والطاعنون
فيه اكثر من الذابين عنه فى كل عصر والثالث انه لو
لم يشك فى امره لما دعاهم الى المعارضة بهذه المبالغة

مخافة ان يعارض فيرخص حجتهم وقوله اعدت للكافرين
دل على ان النار مخلوقة معدة لهم الآن وبشر الذين
آمنوا وعملوا الصالحات ان لهم جنات عطف على الجملة
السابقة والمقصود عطف حال من امن بالقرآن ووصف
ثوابه على حال من كفر به وكيفيته عقابه على ما جرت به
العادة الالهية من ان يشفع الترغيب بالترهيب تنشيطا
لاكتساب ما ينجي وتنشيطا عن اقتراف ما يروي لاعطف
الفعل نفسه حتى يجب ان يطلب له ما يشاكله من امر ونهي
فيعطف عليه او على فاتقوا الا انهم اذا لم يأتوا بما يعارضه
بعد التحدي ظهر اعجازه واذا ظهر ذلك فمن كفر به استوجب
العقاب ومن آمن به استحق الثواب وذلك يستدعي ان
يخوف هؤلاء ويبشر هؤلاء وانما امر رسول الله ﷺ
او عالم كل عصر وكل احد يقدر على البشارة بان يبشرهم
ولم يخاطبهم بالبشارة كما خاطب الكفرة تفخيما لشانهم
وايذانا بانهم احقاء بان يبشروا ويهنئوا بما اعد لهم و
قراء ويبشر على البناء للمفعول عطفا على اعدت فيكون التفات
والبشارة خبر السار فانه يظهر اثر السرور في البشرة ولذلك
قال الفقهاء البشارة هو الخبر الاول حتى لو قال الرجل لعبده
من بشرني بقدوم زيد فهو حر فاخبروا فرادى عتق
اولهم ولو قال من اخبرني فاخبروا جميعا واما قوله كلما فبشر
هم بعذاب اليم فعلى التهكم او على طريقة قوله تحية بينهم
ضرب وجيع والصالحات جمع صالحة وهي من الصفات الغالبة
التي تجري مجرى الاسماء كالحسنة قال الحطيئة شعر كيف الهجاء
وما تنفك صالحة من آل لاحم بطهر الغيب تأتين وهي من الا

عمال

عمال ما سوغه الشرع وحسنه وتأنيثها تأويل الخصلة او الخلة
واللام فيها للجنس وعطف العمل على الايمان مرتبا للحكم عليهما
اشعار بان السبب في استحقاق هذه البشارة مجموع الا
مرين والجمع بين الوصفين فان الايمان الذي هو عبارة
عن التحقيق والتصديق اساس والعمل الصالح كالبناء
عليه والاغناء بأس لابناء عليه ولذلك قلما ذكر امفردين
وفيه دليل على انها خارجة عن مسمى الايمان اذ الاصل ان
الشيء لا يعطف على نفسه وما هو داخل فيه ان لهم منصوب
بنزع الخافض وافضاء الفعل اليه او مجرور باضماره مثل
الله لافعلن والجنة المرة من الجن وهو مصدر جننت اذا استرت
ومدار التركيب على الستر سمي به الشجر المضلل لالتفاف
اغصانه للمبالغة كانه يستر ما تحته بشرة واحدة شعب
كان غنى في غربي مقتلة من النواضح تسقى جنة سحقا
اي تخلا طوالا ثم البستان لما فيه من الاشجار المتكاثفة ا
لمظللة ثم دار الثواب لما فيها من الجنان وقيل سميت بذلك
لانها ستر في الدنيا ما اعد فيها للبشر من افنان النعم كما قال
الله ﷻ فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وجمعها
وتنكيرها لان الجنان على ما ذكره ابن عباس سبع جنة الف
دوس وجنة عدن وجنة النعيم ودار الخلد وجنة المأوى
ودار السلام وعليون وفي كل واحدة منها مراتب و
درجات متفاوتة على حسب تفاوت الاعمال والعمالي و
اللام تدل على استحقاقهم اياها لاجل ما يترتب عليه من
الايمان والعمل الصالح لا لذاته فانه لا يكافي النعم السابقة
فضلا من ان يقتضي ثوابا وجزاء فيما يستقبل بل يجعل الشا
في مقتضى وعده ولا على الاطلاق بل بشرط ان يستمروا عليه حتى

ع

يموت وهو مؤمن لقوله ﷺ ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم وقوله ﷺ لنبيه ﷺ لئن اشركت ليحبطن عملك واشباه ذلك ولعله سبحانه وتعالى لم يقيدها ههنا استغناء بما يجرى من تحتها الا نهار اى من تحت اشجارها كما ترها جارية تحت الاشجار النابتة على شواطئها وعن مسروق انهار الجنة تجرى من غير اخدود واللام فى الانهار للجنس كما تقول لفلان بستان فيه الماء الجارى او للعهد والمعهود هو الانهار المذكورة فى قوله ﷺ فيها انهار من ماء غير آسن الآية والنهر بالفتح والتسكون المجرى الواسع فوق الجدول ودون البحر كالنيل والفرات والتركيب للسعة والمراد بها ماؤها على الاضمار او على المجاز او المجارى انفسها واسناد الجرى اليها مجاز كما فى قوله ﷺ واخرجت الارض اثقالها كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذى رزقنا صفة ثانية لجنات او خبر مبتداء محذوف او جملة مستانفة كانه لما قيل ان لهم جنات وقع فى خلد السامع انها ربما مثل ثمار الدنيا او اجناسها اخذ فاريح بذلك وكلما نصب على الظرف ورزقا مفعول به ومن الاولى والثانية للابتداء واقعتان موقع الحال واصل الكلام ومعناه كل حين او مرة رزقوا مرزوقا مبتداء من الجنات مبتداء من ثمرة قيد الرزق بكونه مبتداء من الجنات وابتداؤه منها بابتدائه من ثمرة فصاحب الحال الاولى رزقا وصاحب الحال الثانية ضميره المستكن فى الحال ويحتمل ان يكون من ثمرة بيانا تقدم كما فى قولك رايت منك اصلا وهذا اشارة الى نوع ما رزقوا كقولك مشيرا الى النهر جاء هذا الماء لا

ينقطع

ينقطع فانك لا تعنى به العين المشاهدة منه بل النوع المعلوم المستمر يتعاقب جريانه وان كانت الاشارة الى عينه فالمعنى هذا مثل الذى ولكن لما استحكم الشبه بينهما جعل ذاته ذاته كقولك ابو يوسف ابو حنيفة من قبل اى من قبل هذا فى الدنيا جعل ثمر الجنة من جنسه ثمر الدنيا التمثيل النفس اليه اول ما رايت فان الطباع مائلة الى المألوف متنفرة عن غيره ويتبين لها مزية وكنه النعمة فيه اذ لو كان جنسا لم يعهد ظن انه لا يكون الا كذلك او فى الجنة لان طعامها متشابه الصورة كما حكى عن الحسن ان احدهم يؤتى بالصحفة فيأكل منها ثم يؤتى باخرى فيراها مثل الاولى فيقول ذلك فيقول الملك كل منها فاللون واحد والطعم مختلف او كما روى انهم قالوا والذى نفس محمد بيده ان الرجل من اهل الجنة ليتناول الثمرة ليأكلها فما هى واصلة الى فيه حتى يبدل الله مكانها مثلها فلعلهم اذا راوها على الهيئة الاولى قالوا هذا الذى والاول اظهر لمحافظته على عمومه كلما فانه يدل على ترديدهم هذا القول كلما رزقوا والداعى لهم الى ذلك فرط اشتغال بهم وتعجبهم مما وجدوا من التفاوت العظيم فى اللذة والتشابه البليغ فى الصورة واتوا به متشابها اعتراض بقدر ذلك والضمير فى به على الاول راجع الى ما رزقوا اهل الجنة فى الدارين فانه مدلول عليه بقوله هذا الذى رزقنا من قبل ونظيره قوله ﷺ ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما اى بجنس الغنى والفقير وعلى الثانى الى الرزق فان قيل التشابه هو التماثل فى الصفة وهو مفقود

بين ثمرات الدنيا والآخرة كما قال ابن عباس رضه ليس في
الجنة من اطعمة الدنيا الا قلت التشابه بينهما حاصل في الهيئة
واللون دون المقدار والطعم وهو كاف واطلاق التشابه
هذا وان للآية محملا آخر وهو ان مستلذات اهل الجنة
في مقابلة ما رزقوا في الدنيا من المعارف والطاعات متفا
وتة في اللذة بحسب تفاوتهما فيحتمل ان يكون المراد من
هذا الذي رزقنا انه ثوابه ومن تشابههما تماثلهما في الشرف
والمزية وعلو الطبقة فيكون هذا في الوعد نظيره لقوله كه
ذوقوا ما كنتم تعملون في الوعيد ولهم فيها ازواج مطهرة
مما يستقذر من النساء ويذم من احوالهن كالحيض والذرن
والدنس الطبع وسوء الخلق فان التطهير يستعمل في الا
جسام والاخلاق والافعال وقرأ مطهرات وهما لغتان
فصيحتان يقال النساء فعلت وفعلن وهن فاعلة وفواعل
قال الخليل واذا العذار بالدخان تقنعت واستعجلت نصب
العذور قلت فالجمع على اللفظ والافراد على تأويل الجماعة
وقرئ مطهرة بتشديد الطاء وكسر الهاء بمعنى متطهرة ومطهرة
ابلغ من طاهرة ومتطهرة للاشعار بان مطهرا هن وليس
هو الا الله كه والزوج يقال للذكر والانثى وهو في الاصل لما
له قرين من جنسه كزوج الخف فان قيل فائدة المطعوم هو التغذي
ودفع ضرر الجوع وفائدة المنكوح التوالد وحفظ النوع و
هي مستغن عنها في الجنة قلت مطاعم الجنة ومناكحها وسائر
احوالها انما تشارك نظائرها الدنيوية في بعض الصفات
والاعتبارات وتسمى باسمائها على سبيل الاستعارة والتمثيل
والاشتراك فيها في تمام حقيقتها حتى تستلزم جميع ما يلزمها و
تفيد عين فائدتها وهم فيها خالدون دائمون والخلد والخلود

في الاصل

في الاصل الثبات المديد دوام اولم يدم ولذلك قيل للاثافي
والاحجار خوالد ولبقاء الذي يبقى من الانسان على حاله ما
دام حيا خلدٌ ولو كان وضعه للدوام كان التقييد بالتأبيد
في قوله كه خالدين فيها ابدا لغوا واستعماله حيث لا دوام
كقولهم وقف مخلد يوجب اشتراكا او مجازا والاصل
نفيهما بخلاف لو وضع للاعتمه منه فاستعمل فيه بذلك الا
عتبار كاطلاق الجسم على الانسان مثل قوله كه ما جعلنا البشر
من قبل الخلد لكن المراد به الدوام ههنا عند الجمهور لما
يشهد له من الآيات والسنن فان قيل الابدان مركبة من
اجزاء متضادة الكيفية معرضة للاستحالات المؤدية الى
الانفكاك والاختلال فكيف يعقل خلودها في الجنات قلت
انه يعيدها بحيث لا تعتورها الاستحالات بان يجعل
اجزاءها مثلا متقاومة في الكيفية متساوية في القوة لا يقهر
شيء منها على حالة الآخر متعانقة متلازمة لا ينفك بعضها عن
بعض كما نشاهد في بعض المعادن هذا وان قياس ذلك العالم
واحواله على ما نجده ونشاهده من نقص العقل وضعف الد
البصيرة واعلم انه لما كان معظم اللذات الحسية مقصورا
على المساكين والمطاعم والمناكح وما دل عليه استقراء وكان
ملاك ذلك كله الثبات والدوام فان كل نعم جليلة اذا قارنها
خوف الزوال كانت منغصة غير صافية من شعائب الالم
بشر المؤمنين بها ومثل ما اعد لهم في الآخرة بايرى ما يستلذ
منها واذال عنهم خوف الفوات بوعد الخلود ليدل على كمال الهم
في التنعم والسرور ان الله لا يستحي ان يضرب مثلا ما بعوضة
لما كانت الايات السابقة متضمنة لانواع من التمثيل عقب ذلك
ببيان حسنه وما هو الحق له والشرط فيه وان يكون على

وفق الممثل له من الجهة التي تعلق بها التمثيل في العظم والصغر
والحسنة والشرف دون الممثل فان التمثيل انما يصار اليه
لكشف معنى الممثل له ورفع الحجاب عنه وابرازه في صورة
المشاهدة المحسوسة ليساعد فيه الوهم العقل يصالحه عليه
فان المعنى الصرف انما يدركه العقل مع منازعة من الوهم
لان من طبعه ميل الحسن وحب المحاكات ولذلك شاعة الا
مثال في الكتب الالهية وفشت في عبارات البلغاء واشارات
الحكماء فيمثل الحقير بالحقير كما يمثل العظيم بالعظيم وان كان ا
لممثل اعظم من كل عظيم كما مثل في الانجيل غل الصدور بالنخالة
والقلوب القاسية بالحصاة ومخاطبة النفس بها باشارة الزنا
بير وجاء في كلام اسمع من قراد واطيش من فراشة واعز
من فخ البعوض لاما قالت الجهلة من الكفار لما مثل الله حال
المنافقين بحال المستوقدين واصحاب الصيب وعبادة الا
صنام في الوهن والضعف ببيت العنكبوت وجعلها اقل من
الذباب واخسق قدر امنه الله اعلى واجل من ان يضرب
الامثال ويذكر من الذباب والعنكبوت وايضا لما ارشدهم
الى ما يدل على ان المتحدى به وحي منزل ورتب عليه وعيد
من كفر به ووعد من امن بعد ظهور امره شرع في جواب
ما طعنوا به فيه فقال ان الله لا يستحيي اى لا يترك ضرب المثل
بالبعوضة ترك من يستحيي ان يمثل بها لحقارتها والحياء انقباض
النفس عن القبيح مخافة الذم وهو الوسط بين الوقاحة ا
لتي هي الجرءة على القبايح وعدم المبالات بها والخجل الذي هو
انحصار النفس عن الفعل مطلقا وانتقاقه من الحبوة فانه
انكسار يعتري القوة الحيوانية فيثنيها عن افعالها فقيل
حتى حيي الرجل كما قيل نسي الرجل وخشي اذا اعتلت مشاه و

نساه واذا وصف به الباري كما جاء في الحديث ان الله
يستحيي من ذي الشيبة المسلم ان يعذبه ان الله حيي كريم
يستحيي اذا رفع العبد يديه اليه ان يردهما صفرا حتى يضع
فيهما خيرا فالمراد به الترك اللازم للانقباض كما ان المراد
من رحمته وغضبه اصابة المعروف والمكروه اللازمين للمعنى
الموضوع لهما ونظير قول من يصف ابلا شعر اذا ما استحيى
الماء يعرض نفسه كرغن بت في اناء من الورد وانما عدل به
عن الترك لما فيه من التمثيل والمبالغة ويحتمل الآية الخاصة ان
مجيئه على المقابلة لما وقع في كلام الكفرة وضرب المثل اعتماله
من ضرب الخاتم واصله وقع الشيء على آخر وان بصلتها لحفو
المحل عند الخليل باضمار من منصوب بافضاء الفعل اليه بعد
حذفها عند سيبويه وما ابهامية تزيد للنكيرة ابهاما وشيا
وتسد عنها طرق التقييد كقولك اعطني كتابا ما اى كتاب كان
او مزيدة للتأكيد كالتي في قوله عما قليل فبما رحمة من الله ولانعن با
لمزية اللغو الزائد الضايع فان القرآن كله هدى وبيان بل
ما لم توضع لمعنى يراد منه وانما وضعت لان تذكر مع غيره فيفيد له
وثاقة وقوة وهو زيادة في الهدى غير قادح فيه وبعوضة
عطف بيان لمثلا او مفعول ليضرب ومثلا حال من النكرة تقدمت
عليه لانها نكرة او هما مفعولاه لتضمنه معنى الجعل وقرأ ابن
كثير بالرفع على انه خبر مبتداء وعلى هذا يحتمل ما وجوها آخر ان
يكون موصولة حذف صدر صلتها كما حذف في قوله تماما على
الذي احسن وموصوفة بصفة كذلك ومحلها النصب با
لدلالية على الوجهين واستفهامية هي المبتدا كانه لما ورد
استبعادهم ضرب الله الامثال قال بعده ما البعوضة فما فوقها
حتى لا يضرب به المثل بل له ان يمثل بما هو احقر من ذلك ونظيره

فلان لا يبالى بما يهب مادينار ودينار ان والبعوض فعول من
البعض وهو القطع كالبضع والعضب غلب على هذا النوع
كالخموش فما فوقها عطف على بعوضة او ما ان جعل اسما ومعناه
ما زاد عليها فى الجثة كالذباب والعنكبوت كانه قصد به رد
ما استنكروه والمعنى انه لا يستحيى ضرب المثل بالبعوضة فضلا
عما هو اكبر منه او فى المعنى الذى جعلت فيه مثلا وهو الصغر و
الحقارة كجناحها فانه ع م ضربه مثلا للدنيا ونظيره فى الاحتمالين
ما روى ان رجلا بمنى خر على طنب فسطاط فقالت عائشة رضه
سمعت رسول الله ع م قال ما من مسلم يشارك شوكة فما فوقها
الا كتب له بها درجة ومحيت بها عنه خطيئة فانه يحتمل ما تجاوز
الشوكة فى الالم كالخدوش او ما زاد عليها فى القلة كنخبة النملة
لقوله ع م ما اصاب المؤمن من مكروه فهو كفارة لخطاياه حتى نخبة
النملة فاما الذين آمنوا فيعلمون انه الحق من ربهم اما حرف
يفصل ما اجمل ويؤكد ما به صدر ويتضمن معنى الشرط و
لذلك يجاب بالفاء قال سيبويه اما زيد فذاهب معناه مهما
يكن من شئ فزيد ذاهب اى هو ذاهب لا محالة وانه منه
عزيمة وكان الاصل ان يجعل الفاء على الجملة لانها الجزاء لكن
كرهوا ايلائها حرف الشرط فادخلوا الخبر وعوضوا المبتداء
عن الشرط لفظا وفى تصدير الجملتين به اجمال لامر المؤمنين و
اعداد بعلمهم وذم بليغ للكافرين على قولهم والضمير فى
انه للمثل او لان يضرب والحق الثابت الذى لا يسوغ ان
كاره يعم الاعيان الثابتة والافعال الصائبة والاقوال
الصادقة من قولهم حق الامر واذا ثبت وثوب محقق
ذى محكم النسج واما الذين كفروا فيقولون كان من
حقه واما الذين كفروا فلا يعلمون ليطابق قرينة ويقابل

قسيمة

قسيمة لكن لما كان قولهم هذا دليلا واضحا على كمال جهلهم
عدل اليه على سبيل الكناية ليكون كالبرهان عليه ماذا اراد
الله بهذا مثلا يحتمل الوجهين ان يكون ما استفهامية وذا
بمعنى الذى وما بعده صلته والمجموع خبر ما وان يكون ذا
مع ما اذا كان اسما واحدا بمعنى اى شئ منصوب المحل على
المفعولية مثل اراد الله والاحسن فى جوابه الرفع على
الاول والنصب على الثانى ليطابق الجواب السؤال والا
زادة تزوع النفس وميلها الى الفعل بحيث يحملها عليه
ويقال للقوة التى هى مبداء النزع والاول مع الفعل والثانى
قبله وكلا المعنيين غير متصور اتصاف البارى سبحانه
وبه ولذلك اختلف فى معنى ارادته لافعاله انه غير ساه
ولا مكره ولا فعال غيره امر بها فعلى هذا له يكن المعاصى
بارادته وقيل علمه باشتمال الامر على النظام الاكمل وا
لوجه الاصلح فانه يدعو القادر الى تحصيله والحق انه ترجيح
احد مقدوريه على الآخر وتخصيصه بوجه دون وجه او معنى
يوجب هذا الترجيح وهى اعم من الاختيار فانه ميل مع تفضيل
وفى هذا استحقار واستذال ومثلا نصب على التمييز
او الحال كقوله هذه ناقة الله لكم آية يضل به كثيرا ويهدى
به كثيرا ماذا اى اضلال كثير واهداء وضع الفعل موضع
المصدر للاشعار بالحدوث والتجدد او بيان للجملتين
المصدرين بما وتسجيل بان العلم بكونه حقا هدى و
بيان وان الجهل بوجه ايراده والانكار بحسن مورده
ضلال وفسوق وكثرة وكل واحدة من القبيلتين بالنظر
الى انفسهم لا بالقياس الى مقابليهم فان المهتدين قليلون
بالاضافة الى اهل الضلال كما قال ومن قليل عبادى الشكور

ويحتمل ان يكون كثرة الضالين من حيث العدد وكثرة
المهتدين باعتبار الفضل والشرف كما قال شعر قليل اذا
عدوا كثير اذا نشدوا او قال ان الكرام كثير في البلاد و
قلوا كما غيرهم قل وان كثروا وما يضل به الا الفاسقين
اى الخارجين عن حد الايمان كقوله ان المنافقين هم الفا
سقون من قولهم فسقة الرطبة عن قشرها اذا خرجت
واصل الفسق الخروج عن القصد قال رؤبة فواسقا عن
قصدها جوايرا والفاسق في الشرع الخارج عن امر الله
بارتكاب الكبيرة وله درجات ثلثة الاولى التغابن وهو
ان يرتكبها احيانا مستقبحا اياها والثانية الانهماك و
هو ان يعتادارتكابها غير مبال بها والثالثة الجحود و
هو ان يرتكبها مستصوبا اياها فاذا شارف هذا المقام
وتخطى خطته خلع ربقة الايمان عن عنقه ولابس الكفر
ودام هو في درجة التغابن والانهماك فلا يسلب عنه
اسم المؤمن لاتصافه بالتصديق الذى هو مسمى الايمان
ولقوله ك وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا والمعتزلة
لما قالوا الايمان عبارة عن مجموع التصديق والاقرار و
العمل والكفر تكذيب الحق وجحوده جعلوه قسما ثالثا
نازلا بين المنزلتين المؤمن والكافر لمشاركته كلا واحد
منهما في بعض الاحكام وتخصيص الاضلال بهم اما
الضلال به وذلك لان كفرهم وعدولهم عن الحق واصرا
رهم بالباطل حرفت وجوه افكارهم عن حكمة المثل الى حقارة
الممثل به حتى رسخت به جهالتهم واذا زادت ضلالتهم فانكروه
واستهزؤا به وقرئ يضل على البناء للمفعول والفاسقون بالرفع
الذين ينقضون عهد الله صفة الفاسقين للذم وتقرير الفسق
والنقض فسخ التركيب واصله في طاقات الحبل واستعماله في ابطال

مرتبا على صفة الفسق يدل على انه الذى اعدهم للاضلال واذى بهم صح

العهد

العهد من حيث ان العهد يستعار له الحبل لما فيه من ربط
احد المتعاهدين بالآخر وان اطلق مع لفظ الحبل
كان ترشيحا للمجاز وان ذكر مع العهد كان رمزا الى ما
هو من روادفه وهو ان العمل جعل في الثبات صلة بين
المتعاهدين كقوله شجاع يفترس اقرانه وعالم يغرف
منه الناس فان فيه تنبيها على انه اسد في شجاعته بحر با
النظر الى افادته والعهد الموثق ووضعه لما من شانه
ان يراعى ويتعهد كالوصية واليمين ويقال للدار من حيث
انها تراعى بالرجوع اليها والتاريخ لانه يحفظ وهذا العهد
العهد اما العهد المأخوذ بالعقل وهو الحجة القائمة على
عباده الدالة على توحيده ووجوب وجوده وصدق
رسول الله وعليه اول قوله ك واشهدهم على انفسهم او
المأخوذ بالرسل على الامم بانهم اذا بعث اليهم رسول
مصدق بالمعجزات صدقوه واتبعوه ولم يكتموا امره ولم
يخالفوا حكمه واليه اشار بقوله ك واذا اخذ الله ميثاق الذ
ين اوتوا الكتاب ونظائره وقيل عهود الله ثلثة عهد اخذه على
جميع ذرية آدم بان يقروا بربوبيته وعهد اخذه على النبيين
بان يقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه وعهد اخذه على العلماء
بان يبينوا الحق ولا يكتموه من بعد ميثاقه والضمير للعهد و
الميثاق اسم لما يقع به الوثاقة وهي الاحكام والمراد به ما و
ثق الله به عهده من الآيات والكتب او ما وثقوا به من الا
لتزام والقبول ويحتمل ان يكون بمعنى المصدر ومن للا
بتداء فان ابتداء النقض بعد الميثاق ويقطعون ما امر
الله به ان يوصل يحتمل كل قطيعة لا يرضاها الله ك كقطع
الرحم والاعراض عن الموالاة من المؤمنين والتفرقة بين

الانبياء م والكتب في التصديق وترك الجماعات المفروضات
وسائر مافيه رفض خير وتعاطي شر فانه يقطع الوصلة
بين الله تع وبين العبد المقصودة بالذات من كل وفصل
والامر هو القول الطالب للفعل وقيل مع العلو وقيل مع
الاستعلاء وبه سمي الامر الذي هو واحد الامور تسمية
للمفعول به بالمصدر فانه تما يؤمر به كما قيل له شان وهو
الطلب والقصد يقال شانت اذا قصدت قصده وان يوصله
يحتمل النصب والخفض على انه بدل من ما اوضمير به والثاني
احسن لفظا ومعنى ويفسدون في الارض بالمنع عن الايمان
والاستهزاء بالحق اوقع الوصل التي بها بانظام العالم وصلاحه
اولئك هم الخاسرون الذين خسروا انفسهم باهمال العقل
عن النظر واقتناص مايفيدهم الحيوة الابدية والاستبدال
الانكار والطعن في الايات بالايمان بها والنظر في حقائقها
والاقتباس من انوارها واشتراء النقض بالوفاء والفساد
بالصلاح والعقاب بالثواب كيف تكفرون بالله استخبار
فيه انكار وتعجيب لكفرهم بانكار الحال التي يقع عليها على طريق البر
هاني لان صدوره لاينفك عن حال وصفة فاذا الكى ان يكون
لكفرهم حال يوجد عليها استلزم ذلك انكار وجوده فهو ابلغ
واقوى في انكار الكفر من انكفرون واوفق لما بعده من الحال
والخطاب مع الذين كفروا لما وصفهم بالكفر وسوء المقال
وخبث الفعال خاطبهم على طريقة الالتفات وبجتهم على كفرهم
مع علمهم بحال المقتضية خلاف ذلك والمعنى اخبروني على اي
حال تكفرون وكنتم امواتا اي اجساما لاحيوة لها عناصر
واغذية واخلاطا ونطفا ومضغا مخلقة وغير مخلقة فاحياكم
بخلق الارواح ونفخها فيكم وانما عطفه بالفاء لانه متصل

بما عطف عليه غير متراض عنه بخلاف الباقي ثم يميتكم عند تقضي
آجالكم ثم يحييكم بالنشور يوم ينفخ في الصور او للسؤال
في القبور ثم اليه ترجعون بعد الحشر فيجازيكم باعمالكم
او تنشرون اليه من قبوركم للحساب فما اعجب كفركم مع
علمكم بحالكم هذه فان قيل ان علموا انهم كانوا امواتا فاحياهم ثم يميتهم لم يعلموا انه يحييهم ثم اليه يرجعون قلت
تمكنهم في العلم بهما لما نصب لهم من الدلائل منزل منزلة
علمهم في ازاحة العذر سيما وفي الآية تنبيه على مايدل على
صحتهما وهو انه تع لما قدر ان احياهم اول لاقدر ان يحييهم
ثانيا فان بداء الخلق ليس بان هو عليه من اعادته اومع
القبيلتين فانه سبحانه وتع لما بين دلائل التوحيد والنبوة و
عدهم على الايمان واوعدهم على الكفر اكد ذلك بان عدد عليهم
النعم العامة او الخاصة واستقبح صدور الكفر منهم واستبعد
عنهم مع تلك النعم الجليلة فان عظم النعم توجب عظم معصية
المنعم فان قيل كيف يعد الاماتة من النعم المقتضية للشكر قلت لما كانت
وصلة الى الحيوة الثانية التي هي الحيوة الحقيقة كما قال الله تع وان
الدار الآخرة لهي الحيوان كانت من النعم العظيمة مع ان المعدود
عليهم نعمة هو المعنى المنتزع من القصة باسرها كما ان الواقع
حالا هو العلم بها لا كل واحدة من الجمل فان بعضها ماض وبعضها
مستقبل وكلاهما لايصح ان يقع حالا او مع المؤمنين خاصة لتقيد
المنة عليهم وتبعيد الكفر عنهم على معنى كيف يتصور منكم الكفر
وكنتم امواتا اي جهالا فاحياكم بما افادكم من العلم والايمان
ثم يميتكم الموت المعروف ثم يحييكم الحيوة الحقيقة ثم اليه
ترجعون فيثيبكم بما لاعين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر
على قلب بشر والحيوة حقيقية في القوة الحساسة اومايقضها

وبها سمي الحيوان حيوانا مجاز في القوة بالنامية لانها من طلا
يعها ومقدماتها وفيما يخص الانسان من الفضائل كالعقل
والعلم والايمان من حيث انها كمالها وغايتها والموت بانها
يقال على ما يقابلها في كل مرتبة قال الله كيف تكفرون بالله وكنتم
امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه ترجعون وقال الله اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها و
قال الله او من كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في
الناس واذا وصف بها الباري كما اريد بها صحة اتصافه بالعلم
والقدرة اللازمة لهذه القوة فينا او معنى قائم بذاته يقتضي ذلك
على الاستعارة وقرئ يعقوب ترجعون بفتح التاء في جميع القرآن
هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا بيان نعمة اخرى مرتبة على
الاولى فانها خلقهم احياء قادرين مرة بعد اخرى وهذه خلق
ما يتوقف عليه بقاءهم ويتم به معاشهم ومعنى لكم لاجلكم وا
نتفاعكم في دنياكم باستنفاعكم بها في مصالح ابدانكم بوسط
او غير وسط او دينكم بالاستدلال والاعتبار والتعرف
بما يلائمها من لذات الآخرة وآلامها لاعلى وجه الغرض فان
الفاعل لغرض مستكمل به بل على انه كالغرض من حيث انه عاقبة
الفعل وموءداه وهو يقتضي اباحة الاشياء النافعة ولا يمنع
اختصاص بعضها ببعض لاسباب عارضة فانه يدل على ان
الكل للكل لا ان كل واحد لكل واحد وما يعم كل ما في الارض
لا الارض الا اذا اريد به جهة السفل كما يراد بالسماء جهة
العلو وجميعا حال عن الموصول الثاني ثم استوى الى السماء
قصد اليها بارادته من قولهم استوى اليه كالسهم المرسل
اذا قصده قصدا مستويا من غير ان يلوي على شيء واصل
الاستواء طلب السواء واطلاقه على الاعتدال لما فيه من
تسوية وضع الاجزاء ولا يمكن حمله عليه لانه من خواص
الاجسام وقيل استوى اي استولى ومسلك شعر قال
قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهراق و

الاول اوفق للاصل والصلة المعدى بها والتسوية المرتبة
عليه بالفاء والمراد بالسماء هذه الاجرام العلوية او جهات
العلو وثم لعله لتفاوت ما بين الخلقين وفضل خلق السماء
على خلق الارض كقوله كه ثم كان من الذين آمنوا الا انه لفي
في الوقت فانه يخالف ظاهر قوله كه والارض بعد ذلك دحيها
فانه يدل على تأخر دحو الارض المتقدم على خلق ما فيها عن
خلق السماء وتسويتها الا ان تستأنف بدحيها مقدرا النصب
الارض فعلا آخر دل عليه استم اشد خلقا ام السماء بنى رفع سمكها
وتدبر امرها بعد ذلك لكنه خلاف الظاهر فسويهن عدلهن
وخلقهن مصونة من العوج والفطور وهن ضمير السماء
ان فسر بالاجرام لانه جمع به او في معنى الجمع والا فضمير يفسره
ما بعده كقولهم ربه رجلا سبع سموات بدل او تفسير فان
قيل اليس ان اصحاب الارصاد اثبتوا تسعة افلاك قلت فيما
ذكروه شكوك وان صح فليس في الآية نفي الزائد مع انه ان ضم
اليها العرش والكرسي لم يبق خلاف وهو بكل شيء عليم فيه
تعليل كانه قال ولكونه عالما بكنه الاشياء كلها خلق ما خلق على
هذا النمط الاكمل والوجه الانفع واستدلال بان من كان فعله
على هذا النسق العجيب والترتيب الانيق كان عليما فان اتقان
الافعال واحكامها وتخصيصها بالوجه الاحسن الانفع لا
يتصور الا من عالم حكيم رحيم وازاحة لما يختلج في صدور هم
من الابدان بعد ما تفتت وتبدد وت اجزاؤها واتصلت بما
يشاكلها كيف يجمع اجزاء كل بدن مرة ثانية بحيث لا يشذ شيء
منها ولا ولا ينضم اليها ما لم يكن معها فيعاد منها كما كان ونظيره
قوله كه وهو بكل خلق عليم واعلم ان صحة الحشر مبنية على ثلث
مقدمات وقد برهن عليها في هاتين الآيتين اما الاولى فرى

انّ موادّ الابدان قابلة للجمع والحيوة واشار الى البرهان
عليها بقوله كما وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم فان تعاقب
الافتراق والاجتماع والموت والحيوة عليها يدلّ على انّها
قابلة لها بذاتها وما بالذات يأبى ان يزول ويتغيّر واما
الثانية والثالثة فانه عالم بها وبمواقعها قادر على جمعها وا
حيائها واشار الى وجه اتيانهما بانه كما قادر على ابدائهم و
ابداء ما هو اعظم خلقا واعجب صنعا فكان اقدر على اعاد
تهم واحيائهم وانه خلق ما خلق خلقا سويا محكما من
غير تفاوت واختلال مراعىً فيه مصالحهم وسدّ حاجا
تهم وذلك دليل على تناهي علمه وكمال حكمته جلّت قدرته
ودقّة حكمته وقد سكن نافع وابو عمرو والكسائي الهاء في
نحو فهو ونحوه تشبيها له بعضدٍ واذ قال ربّك للملائكة
انّي جاعل في الارض خليفة تعداد لنعمة ثالثة تعمّ الناس
كلهم فانّ خلق آدم واكرامه وتفضيله على ملكوته بان
امرهم بالسجود انفع يعمّ ذرّيته واذ ظرف وضع لزمان
منبهم ماضية وقع فيه اخرى كما وضع اذا الزمان نسبة مستقبلة يقع
فيه اخرى ولذلك يجب اضافتهما الى الجمل كحيث في المكان وبنيتا
تشبيها بالموصولات واستعملتا للتعليل والمجازات ومحلهما
النصب ابدا بالظرفية فانهما من الظروف الغير المتصرف فما
ذكرناه وامّا قوله واذكروا اخا عادٍ اذا انذر قومه و
نحوه فعلى تأويل اذكر الحادث اذا كان كذا فحذف الحادث
واقيم الظرف مقامه وعامله في الآية قالوا واذكر على
التأويل المذكور لانّه حاء معمولا له صريحا في القرآن كثيرا
او مضمر دلّ عليه مضمون الآية المتقدّمة مثل وبدأ
خلقكم اذ قال وعلى هذا فالجملة معطوفة على خلق لكم

داخلة

داخلة في حكم الصلة وعن معمر انه مزيد والملائكة جمع مَلَاك
على الاصل كالشمائل في جمع شمئل والتاء لتانيث الجمع وهو
مقلوب من مألك من الألوكة وهي الرسالة لانهم وسائط
بين الله وبين الناس فهم رسل الله او كالرسل اليهم وا
ختلف العقلاء في حقيقتهم بعد اتفاقهم على انها ذوات
موجودة قائمة بانفسها فذهب اكثر المسلمين الى انها اجسا
لطيفة قادرة على التشكّل باشكال مختلفة مستدلين بان
الرسل كانوا يرونهم كذلك وقالت طائفة من النصارى
هي النفوس الفاضلة البشرية المفارقة للابدان وزعم
الحكماء انها جواهر مجردة مخالفة للنفوس الناطقة في
الحقيقة منقسمة الى قسمين قسم شانهم الاستغراق في معرفة
الحق والتنزّه عن الاشتغال بغيره كما وصفهم في محكم تنزيله
فقال يسبّحون الليل والنهار لا يفترون وهم العليون والملا
المقربون وقسم يدبّر الامر من السماء الى الارض على ما سبق
به القضاء وجرى به القلم الالهي لا يعصون ما امرهم و
يفعلون ما يؤمرون وهم المدبّرات امرا فمنهم سماوية و
منهم ارضية على تفصيل اثبته في كتاب الطوالع والمقول
لهم الملائكة كلهم لعموم اللفظ وعدم المخصّص وقيل ملا
ئكة الارض وقيل ابليس ومن كان معه في محاربة الجن فانه
كان اسكنهم في الارض اوّلا فافسدوا فيها فبعث الله اليهم
ابليس في جند من الملائكة فدمّرهم وفرّقهم في الجزائر والجبا
وجاعل من جعل الذي له مفعولان وهما في الارض خليفة عمل
فيهما لانه بمعنى الاستقبال ومعتمد على مسند اليه ويجوز ان يكون
بمعنى خالق والخليفة من يخلف غيره وينوب منابه والهاء
فيها للمبالغة والمراد به آدم عم لانه كان خليفة الله كما في ارضه

فكة

ل

وكذلك كل نبي استخلفهم في عمارة الارض وسياسة الناس و
تكميل نفوسهم وتنفيذ امره فيهم لاحاجة به ﷻ الى من ينوبه بل
لقصور المستخلف عليه عن قبول فيضه وتلقي امره بغير وسط
ولذلك لم يستنبئ ملكا كما قال الله ﷻ ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا
الا ترى ان الانبياء لما فاقت قوتهم واشتغلت قريحتهم بحيث
يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار ارسل اليه الملائكة ومن
كان منهم اعلى رتبة كلمه بلا وسط كما كلم موسى في الميقات
ومحمدا ﷺ ليلة المعراج ونظير ذلك في الطبيعة ان العظم
لما عجز عن قبول الغذاء من اللحم لما بينهما من التباعد جعل
الباري ﷻ بحكمته بينهما الغضروف المناسب لهما ليأخذ
من هذا اللحم ويعطي ذلك او خليفة من سكن الارض قبله
او هو وذريته لانهم يخلفون من قبلهم او يخلف بعضهم
بعضا وافراد اللفظ اما للاستغناء بذكره عن ذكر نبيه كما
استغنى بذكر ابي القبيلة في قولهم مضر هاشم او على تأ
ويل من يخلف او خلفا بخلف وفائدة قوله هذا للملائكة تعليم
المشاورة وتعظيم شان المجعول بان ينبأ بوجوده وسكان
ملكوته ولقبه بالخليفة قبل خلقه واظهار فضله الراجح على
ما فيه من المفاسد بسؤالهم وجوابه وبيان ان الحكمة تقتضي
ايجاد ما يغلب خيره فان ترك الخير الكثير لاجل الشر القليل
شر كثير الى غير ذلك قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك
الدماء تعجب من ان يستخلف لعمارة الارض واصلاحها من
يفسد فيها او يستخلف مكان اهل الطاعة اهل المعصية وا
ستكشاف عما خفي عليهم من الحكمة التي باعتبارها تلك المفاسد
والغتها واستخبار عما يرشدهم ويزيح شبهتهم كسؤال
المتعلم معلمه عما يختلج في صدوره وليس باعتراض على الله

ﷻ ولا طعن في بني آدم على وجه الغيبة فانهم اعلى من يظن بهم
ذلك لقوله ﷻ بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم با
مره يعملون وانما عرفوا ذلك باخبار من الله او تلقي من اللو ح
او استنباط عما ركن في عقولهم ان العصمة من خواصهم او
قياس لاحد الثقلين على الآخر والسفك والسفح والشن
انواع من الصب السفك يقال في الدم والدمع والسبك
في الجواهر المذابة والسفح في الصب من اعلى والشن في
الصب عن فم القربة ونحوها وكذلك الشن وقرئ يسفك
على بناء للمفعول فيكون الراجع الى من سواء جعل موصولا
او موفا لحذوفا اى يسفك الدماء فيهم ونحن نسبح بحمدك
ونقدس لك حال مقدرة لجهة الاشكال كقولك الحسن
الى اعدائك وانا الصديق المحتاج والمعنى استخلف خليفة
عصاة ونحن معصومون احقاء بذلك والمقصود لمن
الاستفسار عما رجحهم مع ما هو متوقع منهم على الملائكة ا
لمعصومين في الاستخلاف لا العجب والتفاخر وكانهم علموا
ان المجعول خليفة ذو ثلث قوى عليها مدار امره شهوية
وغضبية تؤديان به الى الفساد وسفك الدماء وعقلية تدعو ه
الى المعرفة والطاعة ونظروا اليها مفردة وقالوا ما الحكمة
في استخلافه وهو باعتبار تينك القوتين لا يقتضي الحكمة
ايجاده فضلا عن استخلافه واما باعتبار القوة العقلية
فنحن نقيم بما يتوقف منها سليما عن معارضة تلك المفاسد
وغفلوا عن فضيلة كل واحدة من القوتين اذا صارت مهذبة
مطوعة للعقل متمرنة على الخير كالعفة والشجاعة ومجاهدة ا
لهوى والانصاف ولم يعلموا ان التركيب يفيد ما يقصر عنه
الاحاد كالاحاطة بالجزئيات واستنباط الصناعات واستخرا ج

منافع الكائنات من القوة الى الفعل الذى هو المقصود من الاستخلاف
واليه اشار قوله كما اجملا بقوله انى اعلم مالا تعلمون والتسبيح
تبعيد الله عن السوء وكذلك التقديس من سبح فى الارض
والملاء وقدس فى الارض اذا ذهب وابعد ويقال قدس اذا
طهر الشئ مبعده عن الاقذار وبحمدك فى موضع الحال اى ملتبسين
بحمدك على ما الهمتنا معرفتك ووفقتنا تسبيحك تدارکوا به ما
اوهم اسناد التسبيح الى انفسهم بقولهم نحن نسبح ونقدس لك
تطهر نفوسنا عن الذنوب لاجلك كانهم قابلوا الفساد المفسر
بالشرك عند قوم بالتسبيح وسفك الدماء الذى هو اعظم الا
فعال الذميمة بتطهير النفس عن الاثام وقيل نقدسك والام
مزيدة وعلم آدم الاسماء كلها اما بخلق علم ضرورى بها فيه
او القاء فى روعه ولا يفتقر الى سابقة اصطلاح ليتسلسل والا
لتعلم فعل يترتب عليه العلم غالبا ولذلك يقال علمته فلم يتعلم و
آدم اسم اعجمى كآزر وشالخ واشتقاقه من الادمة او الادمة
بالفتح بمعنى الاسوة او من اديم الارض لما روى عنه ع انه
قبض قبضة من جميع الارض سهلها وحزنها فخلق منها آدم فلذلك
يجاء بنوه اخيافا او من الادم والادمة بمعنى اللفقة تعسف كما
شتقاق ادريس من الدرس ويعقوب من العقب وابليس من
الابلاس والاسم باعتبار الاشتقاق ما يكون علامة للشئ ود
لئلا يرفعه الى الذهن من الالفاظ والصفات والافعال والمتعارف
عرفا فى اللفظ الموضوع بمعنى سواء كان مركبا او مفردا اخبرا
عنه او خبرا او رابطة بينهما واصطلاحا فى المفرد الدال على معنى
فى نفسه غير مقترن باحد الازمنة والمراد فى الآية اما الاول او
الثانى وهو يستلزم الاول لان العلم بالالفاظ من حيث
الدلالة متوقف على العلم بالمعانى والمعنى انه لما خلقه من جنس

مختلفة وقوى متباينة مستعدا لادراك انواع المدركات من
المعقولات والمحسوسات والمتخيلات والموهومات والهمه
معرفة ذوات الاشياء وخواصها واسمائها واصول العلم و
قوانين الصناعات وكيفية آلاتها ثم عرضهم على الملائكة
الضمير فيه للمسميات المدلول عليها ضمنا اذ التقدير اسماء
المسميات فحذف المضاف اليه لدلالة المضاف عليه وعوض عنه
اللام كقوله واشتعل الرأس شيبا لان العرض للسؤال عن
اسماء المعروضات فلا يكون المعروض نفس الاسماء سيما ان
اريد به الالفاظ والمراد به ذوات الاشياء او مدلولات الالفا ظ
وتذكيره لتغليب ما يشتمل عليه من العقلاء وقرئ عرضهن و
عرضها على معنى عرض مسمياتهن او مسمياتها فقال انبئونى با
سماء هؤلاء تبكيت لهم وتنبيه على عجزهم عن امر الخلافة فا
ن التصرف والتدبير واقامة المعدلة قبل تحقق المعرفة و
الوقوف على مراتب الاستعدادات وقدر الحقوق محال وليس
بتكليف ليكون من باب التكليف بالمحال والانباء اخبار فيه ا
علام ولذلك يجرى مجرى كل واحد منهما ان كنتم صادقين فى
زعمكم انكم احقاء بالخلافة لعصمتكم او ان خلفهم واستخلافهم
وهذه صفاتهم لا يليق بالحكيم وهو وان لم يصرحوا به لكنه لازم
مقالهم والتصديق كما يتطرق الى الكلام باعتبار منطوقه قد
يتطرق اليه بغرض ما يلزم مدلوله من الاخبار وبهذا الاعتبار
يعترى الانشاءات قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا اعتراف
بالعجز والقصور واشعار بان سؤالهم كان استفسارا ولم
يكن اعتراضا وانه قد بان لهم ما خفى عليهم من فضل الانسان و
الحكمة فى خلقه واظهار لشكر نعمته بما عرفهم وكشف لهم ما اعتقل
عليهم ومراعاة للادب بتوفيض العلم كله اليه وسبحان مصدر

كغفران ولا يكاد يستعمل الا مضافا منصوبا باضمار فعله كمعاذ
الله وقد اجرى علما للتسبيح بمعنى التنزيه على الشذوذ في قوله
سبحان من علقمة الفاخر وتصدر الكلام به اعتذار عن الا
ستفسار والجهل بحقيقة الحال ولذلك جعل مفتاح التوبة فقال
موسى عم سبحانك تبت اليك وقال يونس عم سبحانك اني كنت
من الظالمين انك انت العليم الذي لا يخفى عليه خافية الحكيم
المحكم لمبدعاته الذي لا يفعل الا ما فيه حكمة بالغة وانت فصل و
قيل تاكيد للكاف كما في قولك مررت بك انت وان لم يجز مررت
بانت اذا التابع يسوغ فيه ما لا يسوغ في المتبوع ولذلك جاز
يا هذا الرجل ولم يجز يا الرجل وقيل مبتدا خبره ما بعده و
الجملة خبر ان قال يا آدم انبئهم باسمائهم اي اعلمهم وقرئ
بقلب الهمزة ياء وحذفها بكسر الهاء فيهما فلما انبأهم باسمائهم
قال الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض واعلم ما تبدون
وما كنتم تكتمون استحضار لقولهم اعلم ما لا تعلمون لكنه جاء
به على وجه ابسط ليكون كالحجة عليه فانه لما علم ما خفي عليهم من
امور السموات والارض وما ظهر لهم من احوالهم الظاهرة والبا
طنة علم ما لا يعلمون وفيه تعريض بمعاتبتهم على ترك الاولى وهو
ان يتوقفوا متربصين لان يبين لهم وقيل ما تبدون قولهم ا
تجعل فيها من يفسد فيها وما تكتمون استبطانهم انهم احقاء با
لخلافة وانه لا يخلق خلقا افضل منهم وقيل ما اظهر وا من ا
لطاعة واسر منهم ابليس من المعصية والهمزة للانكار دخلت
حرف الجحد فافادة الاثبات والتقدير واعلم ان هذه الآيات تدل
على شرف الانسان ومزيد العلم وفضيلة على العبادة فانه شرط في
الخلافة بل العمدة فيها وان التعليم يصح اسناده الى الله وان لم
يصح اطلاق المعلم عليه لاختصاصه بمن يحترف به وان اللغات

توفيقية فان الاسماء تدل على الالفاظ بخصوص او عموم وتعلمها
ظاهر في القائها على المتعلم مبتدا له معانيها وذلك يستدعي سابقة
وضع والاصل ينبغي ان يكون ذلك الوضع ممن كان قبل آدم فيكون
من الله كه وان مفهوم الحكمة زائد على مفهوم العلم والا لتكرر
قوله كه انك انت العليم الحكيم وان علوم الملائكة وكما لا
تهم تقبل الزيادة والحكماء منعوا ذلك في الطبقة الاعلى منهم
وحملوا عليه قوله كه وما منا الا له مقام معلوم وان آدم افضل
من هؤلاء الملائكة لانه اعلم منهم والاعلم افضل لقوله كه قل هل
يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وانه يعلم الاشياء قبل حدو
ثها
واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم لما انبأهم بالاسماء وعلمهم
ما لا يعلمون امرهم بالسجود له اعتنا بفضله واداء لحقه و
اعتذارا عما قالوا فيه وقيل امرهم به قبل ان يستوي خلقه لقوله
كه فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين
امتحانا لهم واظهارا لفضله فالعاطف عطف الظرف على الظرف
السابقة ان نصبته بمضمر والا عطفه بما يقدر عاملا فيه على
الجملة المتقدمة بل الصفة باسرها على الصفة الاخرى وهي نعمة رابعة
عدها عليهم والسجود في الاصل تذلل مع تطامن قال ترى الاكم
فيه سجدا للحوافر قال شعر وقلن له اسجد لليلى فاسجدا يعني
البعير اذا انطاء رأسه وفي الشرع وضع الجبهة على قصد العبادة
والمأمور به اما المعنى الشرعي فالمسجود له في الحقيقة هو الله
كه وجعل آدم قبلة سجودهم تفخيما لشانهم او سببا لوجوبه
وكانه كه لما خلقه بحيث يكون الموذج للمبدعات كلها بل
الموجودات باسرها ونسخة لما في العالم الروحاني والجسماني
وذريعة للملائكة الى استقاء ما قدر لهم من الكمالات ووصلة

الى ظهور ما تباينوا فيه من المراتب والدرجات امرهم بالسجود
تذللا لما وافيه من عظيم قدرته وباهر آياته وشكرا لما
انعم عليهم بواسطة فاللام فيه كاللام فى قول حسان شعر
اليس اول من صلى لقبلتكم واعرف الناس بالقرآن و
السنن او فى قوله تعالى اقم الصلوة لدلوك الشمس واما
لمعنى اللغوى وهو التواضع للآدم تحية وتعظيما له كسجود
خوة يوسف له او التذلل والانقياد بالسعى فى تحصيل ما ينوط
به معاشهم ويتم به كمالهم والكلام فى ان المامورين بالسجود
الملائكة كلهم او طائفة منهم ما سبق فسجدوا الا ابليس ابى
واستكبر امتنع عما امر به استكبارا من ان يتخذه وصلة فى عبادة
ربه او يعظمه ويتلقاه بالتحية او يخدمه ويسعى فيما فيه خيره
وصلاحه والاباء امتناع باختيار والتكبر ان يرى الرجل نفسه
اكبر من غيره والاستكبار طلب ذلك بالتشيع وكان من الكا
فرين اى فى علم الله كما وصار منهم باستقباحه امر الله اياه
بالسجود لآدم اعتقادا بانه افضل منه والافضل لا يحسن ان
يامر بالتخضع للمفضول والتوسل به كما اشعر به قوله انا
خير منه جوابا لقوله ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدى ا
ستكبرت ام كنت من العالين لا بترك الواجب وحده والآية
تدل على ان آدم افضل من الملائكة المامورين بالسجود له
ولو من وجه وان ابليس كان من الملائكة والا لم يتناوله امرهم
ولم يصح استثناؤه منهم ولا يدعى ذلك قوله كما الا ابليس
كان من الجن لجواز ان يقال انه كان من الجن فعلا ومن الملا
ئكة نوعا ولان ابن عباس روى ان من الملائكة ضربا يتوا
لدون يقال لهم الجن ومنهم ابليس ولمن زعم انه لم يكن من
الملائكة ان يقول انه كان جنيا نشاء بين اظهر الملائكة وكان

مغمورا محاوطا بالالوف منهم فغلبوا عليه او الجن ايضا كانوا
مامورين من الملائكة لكنه استغنى بذكر الملائكة فانه اذا علم
ان الاكبر مامورين بالتذلل لاحد والتوسل به علم ان الا
صاغر ايضا مامورين به والضمير فى سجدوا راجع الى
القبيلتين فكانه قال فسجد المامورون بالسجود الا ابليس
وان من الملائكة من ليس بمعصوم وان كان الغالب فيهم
العصمة كما ان من الانس معصومين والغالب فيهم عدم
العصمة ولعل ضربا من الملائكة لا يخالف الشياطين بالذات
وانما يخالفهم بالعوارض والصفات كالبررة والفسقة
من الانس والجن يشملهما وكان ابليس من هذه الصنف
كما قال ابن عباس رضى فلذلك صح عليه التغير من حاله و
الهبوط عن محله كما اشار اليه بقوله كما الا ابليس كان من ا
لجن ففسق عن امر ربه لا يقال كيف يصح ذلك والملائكة خلقت
من نور وخلق الجن من نار لما روت عائشة رضى انه ع م قال
خلقت الملائكة من النور وخلق الجن من مارج من النار لانه
كالتمثيل لما ذكرنا فان المراد بالنور الجوهر المضئ والنار
كذلك غير ان ضوءها مكدر مغمور بالدخان محذور عنه
بسبب ما يصحبه من فرط الحرارة والاحراق فاذا صارت
مهذبة مصفاة كانت محض نور ومتى نكصت عادت الحالة
الاولى جذعة ولا تزال تتزايد حتى ينطفئ نورها ويبقى الد
خان الصرف وهذا اشبه بالصواب واوفق بالجمع بين النصوص
والعلم عند الله ومن فوائد الآية استقباح الاستكبار وانه
قد يفضى بصاحبه الى الكفر والحث على الائتمار لامره وترك
الخوض فى سره وان الامر للوجوب وان الذى علم الله من
حاله انه يتوفى على الكفر هو الكافر على الحقيقة اذ العبرة بالخا

تيم

وان كان بحكم الحال الموافاة وهو المواخاة المنسوبة الى شيخنا
ابى الحسن الاشعرى وقلنا يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة
السكنى من السكون لانها استقرار ولبث وانت تأكيد اكد
به المستكن ليصح العطف عليه وانما لم يخاطبهما او لا تنبيها على
انه المقصود بالحكم وللمعطوف عليه تبع له والجنة دار الثواب
لان اللام للعهد ولا معهود غيرها ومن زعم انها لم تخلق
بعد قال انه بستان كان بارض فلسطين او بين فارس و
كرمان خلق الله تعالى امتحانا لآدم وحمل الاهباط على الانتقال
منه الى ارض الهند كما فى قوله تعالى اهبطوا مصرا وكلا منها رغدا
واسعا رغدا صفة مصدر محذوف اى حيث شئتما اى مكان من
الجنة شئتما وسع الامر عليهما ازاحة للعلة والعذر فى التناول
من الشجرة المنهى عنها من بين اشجارها الفائتة للحصر ولا
تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين فيه مبالغات تعليق
النهى بالقرب الذى هو من مقدمات التناول مبالغة فى تحريمه
ووجوب الاجتناب عنه وتنبيها على ان القرب من الشئ يورث
داعية وميلا يأخذ بمجامع القلب ويلويه عن ما هو مقتضى
العقل والشرع كما روى حبتك الشئ يعمى ويصم فينبغى ان لا يحوم
حول ما حرم عليهما مخافة ان يقعا فيه وجعله سببا لان يكونا
من الظالمين الذين ظلموا انفسهم بارتكاب المعاصى وينقص
خطرهما بالاتيان بما يخل بالكرامة والنعم فان الفاء يفيد التسبيبة
سواء جعلته للعطف على النهى او الجواب له والشجرة هى الحنطة
او الكرامة او التينة او شجرة من اكل منها احدث والاول ان لا
تعين من غير قاطع كما لم تعين فى الآية لعدم توقف ما هو المهم
المقصود عليه وقرئ بكسر الشين وتقربا بكسر التاء وبهدى
بالياء فازلهما الشيطان عنها اصدر زلتهما عن الشجرة وحملهما

على

على الزلة بسببها ونظيره عن هذه فى قوله تعالى وما فعلته عن
امرى او ازلهما عن الجنة بمعنى اذهبهما ويعضده قراءة
حمزة فازالهما وهما يتقاربان فى المعنى غير ان ازل يقتضى
عثرة مع الزوال وازالا له قوله هل ادلك على شجرة الخلد
وملك لا يبلى وقوله ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا
ملكين او تكونا من الخالدين ومقاسمته اياهما بقوله انى
لكما لمن الناصحين واختلف فى انه تمثل لهما فقالوا ليهما بذلك
او القاء اليهما على طريق الوسوسة وانه كيف توصل الى ازلالهما
بعد ما قيل له اخرج منها فانك رجيم فقيل انه منع من الدخول
خول على جهة التكرمة كما كان يدخل مع الملائكة ولم يمنع ان
يدخل للوسوسة ابتلاء لآدم وحواء وقيل قام عند الباب فنادا
هما وقيل تمثل بصورة دابة فدخل ولم يعرفه الخزنة وقيل دخل
فى فم الحية حتى دخلت به وقيل ارسل بعض اتباعه فازلهما والعلم
عند الله فاخرجهما مما كانا فيه اى من الكرامة والنعيم وقلنا
اهبطوا خطاب لآدم وحواء لقوله تعالى قال اهبطا منها جميعا وجمع
الضمير لانهما اصلا الانس فكانهما الجنس كلهم او هما وابليس اخرج
منها ثانيا بعد ما كان يدخلها للوسوسة او دخلها مسارقة او
من السماء بعضكم لبعض عدو حال استغنى فيها عن الواو بالضمير
والمعنى متعادين يبغى بعضكم على بعض بتضليله وكم فى الارض
مستقر موضع استقرار او استقرار ومتاع تمتع الى حين يريد به وقت
الموت او القيمة فتلقى آدم من ربه كلمات استقبلها بالاخذ والقبول
والعمل بها حين علمها وقرأ ابن كثير بنصب آدم ورفع كلمات
على انها استقبلته وبلغته وتلقته وهى قوله تعالى ربنا ظلمنا انفسنا
الآية وقيل سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك لا
اله الا انت ظلمت نفسى فاغفر لى انه لا يغفر الذنوب الا انت و

عن ابن عباس رضي قال يارب الم تخلقني بيدك قال بلى قال
يارب الم تنفخ في الروح من روحك قال بلى قال الم تسبق
رحمتك غضبك قال بلى قال الم تسكني جنتك قال بلى قال يارب
ان تبت واصلحت اراجعي انت الى الجنة قال نعم واصل الكلمة
الكلم هو تأثير المدرك باحدى الحاستين السمع والبصر كالكلاء
والجراحة فتاب عليه رجع عليه بالرحمة وقبل التوبة فانما رتبه
بالفاء على تلقي الكلمات لتضمنه معنى التوبة وهو الاعتراف بالذنب
والندم عليه والعزم على ان لا يعود اليه واكتفى بذكر آدم لان
حوا كانت تبعا له في الحكم ولذلك طوى ذكر النساء في اكثر القرآن
والسنن انه هو التواب الرجاع على عباده بالمغفرة او الذي يكثر اعا
نتهم على التوبة واصل التوبة الرجوع فاذا وصف بها العبد كان
رجوعا عن المعصية واذا وصف بها الباري مع اريد بها الرجوع
من العقوبة الى المغفرة الرحيم المبالغ في الرحمة وفي الجمع بين الو
صفين وعد للتائب بالاحسان مع العفو قلنا اهبطوا منها جميعا
كرر للتأكيد او لاختلاف المقصود فان الاول دل على ان الهبوط
لهم الى دار بلية يتعادون فيها ولا يخلدون والثاني اشعر بانهم
اهبطوا للتكليف فمن اهتدى الهدى نجا ومن ضله هلك و
التنبيه على ان به مخافة الاهباط المقترن بهدين الامرين و
حدها كافية للجازم ان لفوقه عن مخافة حكم الله فكيف با
لمقترن بهما ولكنه نسي ولم نجد له عزما وان كل واحد منهما
كفى به نكالا لمن اراد ان يذكى وقيل الاول من الجنة الى السماء
الدنيا ومنها الى الارض وهو كما ترى وجميعا حال في اللفظ تأ
كيد في المعنى كانه قيل اهبطوا انتم اجمعون ولذلك لا يستدعي
اجتماعهم على الهبوط في زمان واحد كقولك جاؤا جميعا له
فاما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم

يحزنون

يحزنون الشرط الثاني مع جوابه جواب الشرط الاول وما مزيدة
اكدت به ان ولذلك حسن تأكيد الفعل بالنون وان لم يكن
فيه معنى الطلب والمعنى ان يأتينكم مني هدى بانزال اوا
سال فمن تبعه منكم نجا وفاز وانما جمع بحرف الشك واتيان
الهدى كان لانه محتمل في نفسه غير واجب عقلا وكرر
لفظ الهدى ولم يضمر لانه اراد بالثاني اعم من الاول و
هو ما اتى به الرسل واقتضاه العقل اي فمن تبع ما اتاه مما
عيا فيه ما يشهد به العقل فلا خوف عليهم فضلا من ان يحل
به مكروه ولا هم يفوت عنه محبوب فيحزنوا عليه فالخوف
على المتوقع والحزن على الواقع نفى عنهم العقاب واثبت لهم الثوا ب
على اكد وجه وابلغه وقرئ هدى على لغة هذيل ولا خوف
بالفتح والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب النار
هم فيها خالدون عطف على من تبع الى آخره قسيم له كانه قال
ومن لم يتبع بل كفروا بالله وكذبوا بآياته او كفروا بالآيات
جنانا وكذبوا بها لسانا فيكون الفعلان متوجهين الى الجا
والمجرور والآية في الاصل العلامة الظاهرة وتقال للمصنوعا ن
من حيث انها تدل على وجود الصانع وعلمه وقدرته ولكل
طائفة من كلمات القرآن المتميزة عن غيرها بفصل وا
شتقاقها من اتى لانها تبين ايا من اتى او من اوى اليه
واصلها اية او اوية كتمرة فابدلت عنها على غير قياس
او ايئة او اوية كرمكة فاعلت او ايية كقايلة فحذفت الهمزة
تخفيفا والمراد بآياتنا الآيات المنزلة او ما يعمها والمعقولة
وقد تمسكت الحشوية بهذه القصة على عدم الانبياء عليهم
السلام من وجوه الاول ان آدم عليه السلام كان نبيا وارتكب المنهي
عنه والمرتكب له عاص والثاني انه جعل بارتكابه من الظالمين

والظالم ملعون لقوله ﷺ الا لعنة الله على الظالمين والثالث
انه ﷺ اسند اليه العصيان والغي قال وعصى آدم ربه فغوى و
الرابع انه ﷺ لقنه التوبة وهي الرجوع عن الذنب والندم عليه
والخامس اعترافه بانه خاسر لولا مغفرة الله ﷺ اياه لقوله
وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين والخاسر من
يكون ذا كبيرة والسادس انه لو لم يذهب لم يجر عليه
ماجرى والجواب من وجوه الاول انه لم يكن حينئذ نبيا
والمدعى بالبيان الثاني ان النهي للتنزيه وانما سمي ظالما
وخاسرا لانه ظلم نفسه وخسر حظه بترك الاولى له فاما
اسناد الغي والعصيان اليه فسيأتي الجواب عنه في موضعه ان
شاء الله ﷺ وانما امر بالتوبة تلافيا لما فات عنه وجرى عليه
له على ترك الاولى وفاء بما قاله للملائكة قبل خلقه الثالث انه
فعله ناسيا لقوله ﷺ فنسي ولم نجد له عزما ولكنه عوتب بترك
التحفظ عن اسباب النسيان ولعله وان حط عن الامة لم يحط
عن الانبياء لعظم قدرهم كما قال وم اشد الناس بلاء الانبياء
ثم الالياء ثم الامثل فالامثل او اذى فعله الى ماجرى عليه
على طريق الشبيهة المقدرة دون المؤاخذة كتناول اليسير على
الجهل لشانه لا يقال انه باطل لقوله ﷺ فانها كما رتكبا وقاسمهما
الانيان لانه ليس فيهما ما يدل على انه يتناوله حين ما قاله ابليس
فلعل مقاله اورث فيه ميلا طبعيا ثم انه كف نفسه عنه مراعاة
آدم لحكم الله ﷺ الى ان نسي ذلك زال الملتفع فحمله الطبع عليه الرابع
انه وم اقدم عليه بسبب اجتهاد اخطاء فيه فانه ظن ان النهي
للتنزيه او الاشارة الى عين تلك الشجرة فتناول من غيرها
من نوعها وكان المراد بها الاشارة الى النوع كما روي انه وم
اخذ حريرا وذهبا بيده وقال هذان حرامان على ماذكور امتي

ماجرى معاتبة

حل

حل لاناثها وانما جرى عليه ماجرى تقطيع الشان الخطيئة

ليجتنبها اولاده وفيها دلالة على ان الجنة مخلوقة وانها في
جهة عالية وان التوبة مقبولة وان متبع الهدى مأمون
العاقبة وان عذاب النار دائم والكافر فيه مخلد وان غيره
لا يخلد فيه بمفهوم قوله ﷺ هم فيها خالدون واعلم انه سبحانه
وﷺ لما ذكر دلائل التوحيد والنبوة والمعاد وعقبها بتعداد
النعم العامة تقريرا لها وتأكيدا فانها من حيث انها حوادث
بحكمه له الخلق والامر وحده لا شريك له ومن حيث ان الاخبار
بها على ما هو مثبت في الكتب السابقة ممن لم يتعلمها ولم يمارس
شيئا منها اخبار بالغيب معجز يدل على نبوة المخبر عنها
ومن حيث اشتمالها على الخلق الانسان واصوله وما هو اعلم
اعظم من ذلك تدل على انه قادر على الاعادة كما كان قادرا على الا
بتداء خاطب اهل العلم والكتاب منهم وامرهم ان يذكروا انعم الله
عليهم ويوفوا بعهوده في اتباع الحق واقتفاء الحجج ليكونوا اول
من آمن بمحمد وم وما انزل فقال يا بني اسرائيل يا اولاد يعقوب
والابن من البناء لانه مبني ابيه ولذلك ينسب المصنوع الى صانعه
فيقال ابو الحرب وبنت فكر واسرائيل لقب يعقوب وم ومعناه با
لعبرية صفوة الله وقيل عبد الله وقرئ اسرائل بحذف الياء وا
سرال بحذفهما واسرائل بقلب الهمزة الياء اذكروا نعمتي التي انعمت
عليكم بالتفكر فيها والقيام بشكرها وتقييد النعمة بهم لان الانسان
غيور حسود بالطبع فاذا نظر الى ما انعم الله غيره حمله الغيرة وا
لحسد على الكفران والسخط وان نظر الى ما انعم الله به عليه حمله
على حسب النعمة على الرضاء والشكر وقيل اراد بها ما انعم على آبا
ئهم من الانجاء من فرعون والغرق ومن العفو عن اتخاذا
لعجل وعليهم من ادراك زمن محمد وم وقرئ اذكروا والاصل

افتكروا ونعمتي باسكان الياء واسقاطها دراجا وهو مذهب
من لايحرك الياء المكسور ما قبلها واوفوا بعهدي بالايمان و
الطاعة اوفي بعهدكم بحسن الاثابة والعهد يضاف الى المعاهد
والمعاهد ولعل الاول مضاف الى الفاعل والثاني الى المفعول فانه
كما عهد اليهم بالايمان والعمل الصالح بنصب الدلائل وانزال الكتب
ووعد لهم بالثواب على حسناتهم ولا وفاء بما عرض عريض فاذا
فاول مراتب الوفاء منها هو الاتيان بكلمتي الشهادة ومن الله كما
حقن المال والدم واخرها منتها الاستغراق في بحر التوحيد بحيث
يغفل عن نفسه فضلا عن نفسه وعن غيره ومن الله كما الفوز با
للقاء الدائم وما روى عن ابن عباس رضيه اوفوا بعهدي في
اتباع محمد اوفي بعهدكم في دفع الاصار والاغلال وعن غيره
اوفوا باداء الفرائض وترك الكبائر اوفي بالمغفرة والثواب
اواوفوا بالاستقامة على الطريق المستقيم اوفي بالكرامة والنعيم
المقيم فبالنظر الى الوسائط وقيل مضاف الى المفعول والمعنى اوفوا
بما عاهدتموني من الايمان والتزام الطاعة اوفي بما عاهدتكم من
حسن الاثابة وتفصيل العهدين في سورة المائدة قوله كما ولقد
اخذ الله ميثاق بني اسرائيل الى قوله ولادخلنكم جنات وقرئ اوفي
بالتشديد للمبالغة وايای فارهبون فيما يأتون وتذرون وخصوصا
في نقض العهد وهو اكد في عبارة التخصيص من ايای نعبد لما فيه
مع التقديم من تكرير المفعول والفاء الجزائية الدالة على تضمين ا
لكلام معنى الشرط كانه قيل ان كنتم راهبين شيئا فارهبون والرهبة
خوف معه تحرز والآية متضمنة للوعد والوعيد دالة على وجوب
الشكر والايفاء بالعهد وان المؤمن ينبغي ان لايخاف احدا الا الله و
آمنوا بما انزلت مصدقا لما معكم افراد للايمان بالامر به والحث
عليه لانه المقصود والعمدة للوفاء بالعهود وتقييد المنزل بانه

مصدق

مصدق لما معهم من الكتب الالهية من حيث انه نازل حسب ما نعت
فيها ومطابق في القصص والمواعيد والدعاء الى التوحيد والا
مر بالعبادة والعدل بين الناس والنهي عن المعاصي والفواحش
وفيما يخالفها من جزئيات الاحكام بسبب تفاوت الاعصار
في المصالح من حيث ان كل واحدة منها حق بالاضافة الى زمانها مرا
عى فيها صلاح من خوطب بها حتى لو نزل المتقدم في ايام المتأخر
لنزل على وفقه ولذلك قال عم لو كان موسى حيا لما وسعه الا اتبا
تنبيه على ان اتباعها لاينافي الايمان به بل يوجبه ولذلك عرض بقوله
ولاتكونوا اول كافر به بان الواجب ان يكونوا اول من آمن به و
ين
لانهم كانوا اهل النظر في معجزاته والعلم بشأنه والمستفتحين والمبشر
بزمانه واول كافر وقع خبرا عن ضمير الجمع بتقدير اول فريق او
فوج او بتأويل لايكون كل واحد منكم اول كافر به كقولك كسانا
حلة فان قيل كيف نهوا عن التقدم في الكفر وقد سبقهم مشركوا
العرب قلت المراد به التعريض لا الدلالة على ما نطق به الظاهر
كقولك انا انا فلست بجاهل ولاتكونوا اول كافر من اهل
الكتاب اوممن كفر بما معه فان من كفر بالقرآن فقد كفر بما يصد
قه
او مثل من كفر من مشركي مكة واول افعل لافعل له وقيل اصله اوءل
من وءل فابدلت همزته واوا تخفيفا غير قياسي او اوءل من آل
فقلبت همزته واوا وادغمت ولاتشتروا بآياتي ثمنا قليلا ولا
تستبدلوا بالايمان بها والاتباع لها حظوظ الدنيا فانها وان جلت
قليلة مسترذلة بالاضافة الى ما يفوت عنكم من حظوظ الآخرة
بترك الايمان قيل كان لهم رياسة في قومهم ورسوم وهدا
يا
منهم فخافوا عليها واتبعوا رسول الله ﷺ فاختاروها عليه و
قيل كانوا يأخذون الرشى فيحرفون الحق ويكتمونه وايای
فاتقون بالايمان واتباع الحق والاعراض عن الدنيا ولما كانت

الآية السابقة مشتملة على ما هو كالمبادى لما فى الآية الثانية فصلت
بالرهبة التى هى مقدمة التقوى ولان الخطاب بها لما عم العالم و
المقلد امرهم بالرهبة التى هى مبتداء السلوك والخطاب بالثانية
لما خص اهل العلم امرهم بالتقوى الذى هو منتهاه ولا تلبسوا
الحق بالباطل عطف على ما قبله واللبس الخلط وقد يلزمه جعل
الشئ مشبها بغيره والمعنى لا تخلطوا الحق المنزل بالباطل الذى
تختلقونه وتكتبونه حتى لا تميز بينهما او ولا تجعلوا الحق ملـ
ـتبسا بسبب خلط الباطل الذى تكتبونه فى خلاله او تذكرونه
فى تأويله وتكتموا الحق جزم داخل تحت حكم النهى كأنهم امروا
بالايمان وترك الضلال ونهوا عن الاضلال بالتلبيس على من سمع
الحق والاخفاء على من لم يسمعه او نصب باضمار ان على ان الواو
للجمع اى لا تجمعوا لبس الحق بالباطل وكتمانه ويعضده انه فى مصحف
بن مسعود وتكتمون اى وانتم تكتمون بمعنى كاتمين وفيه اشعار
بان استقباح اللبس لما يصحبه من كتمان الحق وانتم تعلمون ما
لمين بانكم لابسون كاتمون فانه اقبح اذ الجاهل قد يعذر واقيموا الصـ
ـلوة وآتوا الزكوة يعنى صلوة المسلمين وزكوتهم فان غيرهما
كلا صلوة ولا زكوة امرهم بفروع الاسلام بعد ما امرهم باصوله
وفيه دليل على ان الكفار مخاطبون بها والزكوة من زكى الزرع اذا
نما فان اخراجها يستجلب بركة فى المال ويثمر للنفس فضيلة الكرم
او من الزكاء بمعنى الطهارة فانها تطهر المال من الخبث والنفس
من البخل وار كعوا مع الراكعين اى فى جماعتهم فان صلوة الجماعة
تفضل صلوة الفذ بسبع وعشرين درجة لما فيها من تظاهر النفوس
وعبر عن الصلوة بالركوع احتراز عن صلوة اليهود وقيل
الركوع الخضوع والانقياد لما يلزمهم الشارع قال الاضبط
السعدى لا تذل الضعيف لعلك ان تركع يوما والدهر قد رفعه

اتأمرون

اتأمرون الناس بالبر تقرير مع توبيخ وتعجيب والبر التوسع
فى الخير من البر وهو الفضاء الواسع يتناول كل خير ولذلك
قيل البر ثلثة بر فى عبادة الله كه وبر فى مراعات الاقارب
وبر فى معاملة الاجانب وتنسون انفسكم وتتركونها من البر
كالمنسيات وعن ابن عباس رضيه انها نزلت فى احبار المدينة كانوا
يأمرون سرا من نصحوه باتباع محمد ولا يتبعونه وقيل كانوا
يأمرون بالصدقة ولا يتصدقون وانتم تتلون الكتاب توبيخ
كقوله كه وانتم تعلمون اى تتلون التورية وفيها الوعيد على
العناد وترك البر ومخالفة القول العمل افلا تعقلون قبح صنيعكم
فيصدكم عنه او افلا عقل لكم يمنعكم عما تعلمون وخامة عاقبته وا
لعقل فى الاصل الحبس سمى به الادراك الانسان لانه يحبسه عما
يقبح ويعقله على ما يحسن ثم القوة التى بها النفس تدرك
هذا الادراك والآية ناعية على من يغط غيره ولا يتغط بنفسه
سوء صنيعه وخبث نفسه وان فعله فعلى الجاهل بالشرع او الاخف
الخالى عن العقل فان الجامع بينهما ابى عنه لسلكيته والمراد به الحث
الواعظ على تزكية النفس والاقبال عليها بالتكميل ليقوم فيقيم غيره
لا منع الفاسق عن الوعظ فان الاخلال باحد الامرين المأمور
بهما لا يوجب الاخلال بالآخر واستعينوا بالصبر والصلوة من
متصل بما قبله كانهم لما امروا بما شق عليهم لما فيه من الكلفة و
ترك الرياسة والاعراض عن المال عولجوا بذلك والمعنى استعينوا
على حوايجكم بانتظار النجح والفرج توكلا على الله كه او بالصوم
الذى هو الصبر عن المفطرات لما فيه من كسر الشهوة وتصفية
النفس والتوسل بالصلوة والالتجاء اليها فانها فانها جامعة لانواع
العبادات النفسانية والبدنية من الطهارة وستر العورة وصرف
المال فيهما والتوجه الى الكعبة والعكوف للعبادة واظهار الخشوع

بالجوارح واخلاص النية بالقلب ومجاهدة الشيطان ومناجات
الحق وقراءة القرآن والتكلم بالشهادتين وكف النفس عن الاطيبين
حتى تجابوا الى تحصيل المآرب وجبر المصائب روى انه ﷺ كان
اذا حزبه امر فزع الى الصلوة ويجوز ان يراد بها الدعاء وانما
اى الاستعانة بهما او الصلوة وتخصيصها بردّ الضمير اليها لعظم
شانها واستجماعها ضروبا من الصبر او جملة ما امر بها ونهوا
عنها الكبيرة لثقيلة شاقة لقوله لكبر على المشركين ما تدعوهم اليه
الا على الخاشعين اى المخبتين والخشوع الاخبات ومنه الخشعة
للرمل المتطامنة والخضوع اللين والانقياد ولذلك يقال الخشوع با
لجوارح والخضوع بالقلب الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وانهم
اليه راجعون اى يتوقعون لقاء الله ونيل ما عنده او يتيقنون
انهم يحشرون الى الله كما فيجازيهم ويؤيده ان فى مصحف بن مسعود
يعلمون وكان الظن لما شابه العلم فى الرجحان اطلق عليه لتضمين معنى
التوقع قال اوس بن حجر فارسلته مستيقن الظن انه بخالطا ما
بين الشراسيف جائف وانما ثقل عليهم ثقلها على غيرهم فان
نفوسهم مرتاضة بامثالها متوقعة فى مقابلتها ما يستقل لا
جله مشاقها ويستلذ بسببه متاعبها ومن ثمة قال ﷺ وجعلت
قرة عيني فى الصلوة يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم
كرره للتوكيد وتذكير التفضيل الذى هو اجل النعم خصوصا و
ربطه بالوعيد الشديد تخويفا لمن غفل عنها واخل بحقوقها
وانى فضلتكم عطف على نعمتي على العالمين اى عالمى زمانهم يريد
به تفضيل آبائهم الذين كانوا فى عصر موسى ﷺ وبعده قبل ان
يغيروا بما منحهم من المعلم والعمل وجعلهم انبياء وملوكا ومحا
مقسطين واستدل به على تفضيل البشر على الملك وهو ضعيف و
اتقوا يوما اى ما فيه من الحساب والعذاب لا تجزى نفس عن

نفس

نفس شيئا لا تقضى عنها شيئا من الحقوق او شيئا من الجزاء فيكون
نصبه على المصدر وقرئ لا تجزئ من اجزاء عنه اذا اغنى وعلى
هذا تعين ان يكون مصدرا وايراده منكرا مع تنكير النفس للتعميم
والاقناط الكلى والجملة صفة ليوما والعايد فيها محذوف تقديره
لا تجزى فيه ولمن لم يجوز حذف عايد المجرور قال اتسع منه
فحذف عنه الجار واجرى مجرى المفعول به ثم حذف كما حذف
من قوله اوما لا صابوا ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها
عدل اى من النفس الثانية العاصية او من الاولى وكانه اريد
بالآية نفى ان يدفع العذاب احد عن احد من كل وجه محتمل فانه
اما ان يكون قهرا او غيره والاول النصرة والثانى اما ان يكون
مجانا او غيره والاول ان يشفع والثانى اما باداء ما كان عليه
وهو ان يجزى عنه او بغيره وهو يعطى عنه عدلا والشفاعة
من الشفع كان المشفوع له كان فردا فجعله الشفيع شفعا بضم
نفسه اليه والعدل الفدية وقيل البدل واصله التسوية سمى به
الفدية لانها سويت بالمفدى ولا هم ينصرون يمنعون من عذاب
الله والضمير لما دل عليه النفس الثانية المنكرة الواقعة فى سياق
النفى من النفوس الكثيرة وتذكيرة بمعنى العباد والاناسى والنصرة
اخص من المعونة لاختصاصه بدفع الضر وقد تمسك المعتزلة
بهذه الآية على نفى الشفاعة لاهل الكبائر واجيب بانها مخصوصة
بالكفار للايات والاحاديث الواردة فى الشفاعة ويؤيده ان
الخطاب معهم والآية نزلت ردا لما كانت اليهود وتزعم ان
آباءهم تشفع لهم واذ نجيناكم من آل فرعون تفصيل لما اجمل فى
قوله اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم وعطف على نعمتي عطف جبرئيل
وميكائيل على الملائكة وقرئ انجيتكم واصل آل اهل لان تصغيره
اهيل وخص بالاضافة الى اولى الخطر كالانبياء والملوك وقد

عون

لقب لمن ملك العمالقة ككسرى وقيصر لملك الفارس والروم
ولعتقهم اشتق منه نفرعن عن الرجل اذا عتا وكان فرعون
موسى مصعب بن ريان وقيل ابنه وليد من بقايا عاد وفرعون
يوسف ءم ريان وكان بينهما اكثر من اربعمائة سنة يسومونكم
يبغونكم من سامه خسفا اذا اولاده ظلما واصل السوم الذهاب
في طلب الشيء سوء العذاب افظعه فانه قبيح بالاضافة الى سائره
والسوء مصدر ساء يسوء ونصبه على المفعول ليسومونكم والجملة
حال من الضمير في انجيناكم او من آل فرعون او منهما جميعا لان
فيها ضميرى كل واحد منهما يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم
بيان ليسومونكم ولذلك لم يعطف وقرئ يذبحون بتخفيف وانما
فعلوا بهم ذلك لان فرعون راى في المنام او قال له الكهنة سيولد
منهم من يذهب بملكه فلم يرد اجتهادهم من قدر الله شيأ وفي ذلكم
بلاء محنة ان اشير بذلكم الى صنيعهم ونعمة ان اشير به الى الانجاء
واصله الاختبار لكن لما كان اختيار الله عباده تارة بالمحنة
وتارة بالمنحة اطلق عليهما ويجوز ان يشار بذلكم الى الحالة و
يراد به الامتحان الشايع بينهما من ربكم بتسليطهم عليكم او ببعث
موسى وتوفيقه لتخليصكم او بهما عظيم صفة بلاء وفي الآية تنبيه
على ان مايصيب العبد من خير او شر اختبار من الله فعليه ان
يشكر على مسارة ويصبر على مضاره ليكون خير المختبرين وان
فرقنا بكم البحر فلقناه وفصلناه بين بعضه وبعض حتى حصلت
فيه مالك بسلوكم فيه او بسبب انجائكم او ملتبسا بكم كقوله تدوس
بنا الجماجم دلتريا وقرئ فرقنا على بناء التكثير لان المسالك كانت
اثني عشر بعدد الاسباط فانجيناكم واغرقنا آل فرعون اراد به فرعون
وقومه واقتصر على ذكرهم للعلم بانه كان اولى به وقيل شخصه كما روى
ان الحسن كان يقول اللهم صل على آل محمد اى شخصه واستغنى بذكره

عن ذكر

عن ذكر اتباعه وانتم تنظرون ذلك اوغرقهم واطباق البحر عليهم
او انفلاق البحر عن طرق يابسة مذللة او جثثهم التي قذفها
البحر الى الساحل او ينظر بعضكم بعضا روى انه كان امر موسى ان
يسري ببني اسرائيل فخرج بهم فصبحهم فرعون وجنوده وصار
فوهم على شاطئ البحر فاوحى الله اليه ان اضرب بعصاك البحر
فضربه فظهرت فيه اثنا عشر طريقا يابسا فسلكوها فقالوا يا موسى
نخاف ان يغرق بعضنا ولا نعلم ففتح الله فيها كوى فتراؤها و
تسامعوا حتى عبروا البحر ثم لما وصل اليه فرعون ورأوه منفلقا
اقتحم فيه وجنوده فالتطم عليهم واغرقهم اجمعين واعلم ان
هذه الواقعة من اعظم ما انعم الله به على بني اسرائيل ومن الآيات
الملجئة الى العلم بوجود الصانع الحكيم وتصديق موسى ءم ثم انهم
اتخذوا العجل وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ونحو ذلك
فرهم بمعزل في الفطنة والذكاء وسلامة النفس وحسن الاتباع
عن امة يحذو ءم ان ما تواتر من معجزاته امور نظرية دقيقة مثل
القرآن والتحدي به والفضائل المجتمعة فيه الشاهدة على نبوة محمد
دقيقة يدركها الاذكياء واخباره ءم عنها من جملة معجزاته على ما
مر تقريره واذ واعدنا موسى اربعين ليلة لما عاد والى مصر بعد
هلاك فرعون واعد الله موسى ان يعطيه التوراة وضرب له
ميقاتا اذا القعدة وعشر ذي الحجة وعبر عنها بالليالي لانها غرر
الشهور وقراء ابن كثير ونافع وعاصم وابن عامر وحمزة والكسائي
واعدنا لانه تعالى وعده الوحي ووعده موسى المجيء للميقات الى
الطور ثم اتخذتم العجل الها ومعبودا من بعده من بعد موسى
او مضيه وانتم ظالمون باشراكم ثم عفونا عنكم حين تبتم
والعفو محو الجريمة عفي اذا درس من بعد ذلك اى الاتخاذ
لعلكم تشكرون لكي تشكروا عفوه واذ آتينا موسى الكتاب و

الفرقان يعنى التورية الجامع بين كونه كتابا وحجة يفرق بين
الحق والباطل وقيل اراد بالفرقان معجزاته الفارقة بين
المحق والمبطل فى الدعوى او بين الكفر والايمان وقيل
الشرع الفارق بين الحلال والحرام او النصر الذى فرق بينه
وبين عدوه كقوله يوم الفرقان يريد به يوم بدر لعلكم
تهتدون لكى تهتدوا بتدبر الكتاب والتفكر واذ قال
موسى لقومه يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل
فتوبوا الى بارئكم فاعزموا على التوبة والرجوع الى من خلقكم
برئيا من التفاوت وممتازا بعضكم عن بعض بصور وهيئات مختلفة
واصل التركيب لخلوص الشئ عن غيره اما على سبيل التفصى كقولهم
برئ المريض من مرضه والمديون من دينه او الانشاء كقولهم
برء الله آدم من الطين او فتوبوا فاقتلوا انفسكم تماما لتوبتكم
بالبخع او قطع الشهوات كما قيل من لم يعذب نفسه لم ينعمها ومن
لم يقتلها لم يحيها وقيل امروا ان يقتل بعضهم بعضا وقيل امر
من لم يعبد العجل ان يقتل العبدة روى ان الرجل كان يرى بعضه
وقريبه فلم يقدر على المضى لامر الله فارسل ضبابة وسحابة سوداء
لايتباصرون فاخذوا يقتلون من الغداة الى العشى حتى دعا موسى
وهرون فكشفت السحابة ونزلت التوبة وكانت القتلى سبعين
الفا والفاء الاولى للتسبيب والثانية للتعقيب ذلكم خير لكم عند
بارئكم من حيث انه طهرة عن الشرك ووصلة الى الحيوة الابدية
والبهجة السرمدية فتاب عليكم متعلق بمحذوف ان جعلته من
كلام موسى عليه السلام لهم تقديره ان فعلتم ما امرتم به فقد تاب عليكم
او عطف على محذوف ان جعلته خطابا من الله لهم على طريقة
الالتفات كانه قال ففعلتم ما امرتم به فتاب عليكم بارئكم وذكر
البارئ وترتيب الامر عليه اشعار بانهم بلغوا غاية الجهالة وا

لغباوة

لغباوة وان لم يعرف حق منعمه حقيقة بان يسترد منه ولذلك
امروا بالقتل وفك التركيب انه هو الثواب الجزيل الذى يكفر
توفيق التوبة او قبولها من المذنبين ويبالغ فى الانعام عليهم
واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك لاجل قولك او لن نقر لك حتى نرى
الله جهرة عيانا والجهر فى الاصل مصدر قولك جهرت بالقراءة
استعيرت للمعاينة ونصبها على المصدر لانها نوع من الرؤية
او حال عن الفاعل او المفعول وقرئ جهرة بالفتح على انها مصدر
كالغلبة او جمع جاهر كالكتبة فيكون حالا او القائلون
هم السبعون الذين اختارهم موسى للميقات وقيل عشرة آلاف من
قومه والمؤمن به ان الله الذى اعطاك التورية وكلمك او انك
نبى فاخذتكم الصاعقة لفرط العناد والتعنت وطلب المستحيل
فانهم ظنوا انه كما يشبه الاجسام فطلبوا رؤيته رؤية الاجسام ٤
فى الجهات والاحيان المقابلة للرائى وهى محال بل الممكن ان يرى
رؤية منزهة عن الكيفية وذلك للمؤمنين فى الآخرة والافراد
من الانبياء فى بعض الاحوال فى الدنيا قيل جاءت نار من السماء فا
حتى قترهم وقيل صيحة وقيل جنود سمعوا بحيشها فخروا صعقين
مبين يوما وليلة وانتم تنظرون ما اصابكم بنفسه او اثره ثم
بعثناكم من بعد موتكم بسبب الصاعقة وقيد البعث لانه قد يكون
من اغماء او نوم كقوله ثم بعثناهم لعلكم تشكرون نعمة البعث او لما
كفرتموه لما رايتم بأس الله بالصاعقة وظللنا عليكم الغمام سخر
الله لهم السحاب يظلهم من الشمس حين كانوا فى التيه وانزلنا
عليكم المن والسلوى اى التر نجبين والسمانى قيل كان ينزل عليهم
المن مثل الثلج من الفجر الى الطلوع ويبعث الجنوب عليهم السمانى
وينزل بالليل عمودا فاذا يسيرون فى ضوءه وكانت ثيابهم لا
تتسخ ولا تبلى كلوا من طيبات ما رزقناكم على ارادة القول وما

ظلمونا فيه اختصار واصله فظلموا بان كفروا هذه النعم و
ماظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون بالكفران لانه لايتخطا
هم ضره واذ قلنا ادخلوا هذه القرية يعني بيت المقدس وقيل
اريحا امروا به بعد التيه فكلوا منها حيث شئتم رغدا واسعا و
نصبه على المصدر او الحال من الواو وادخلوا الباب اى باب
القرية او القبة التى كانوا يصلون اليها فانهم لم يدخلوا بيت
المقدس فى حيوة موسى وم سجدا متطامنين مخبتين اوسا
جدين لله شكرا على اخراجكم من التيه وقولوا حطة اى مسئلتنا او
مرکب حطة وهى فعلة من الحط كالجلسة وقرئ بالنصب على
الاصل بمعنى حط عنا ذنوبنا حطة اوعلى انه مفعول قولوا اى
قولوا هذه الكلمة وقيل معناه امرنا حطة ان نحط فى هذه القرية
وتعميم بها نغفر لكم خطاياكم بسجودكم ودعاءكم وقرأ نافع
بالياء وابن عامر بها على البناء للمفعول وخطايا اصله خطاءئ
كخضايع فعند سيبويه ابدلت الياء الزائدة همزة لوقوعها بعد
الالف واجتمعت همزتان فابدلت الثانية ياء ثم قلبت الفا
وكانت الهمزة بين الالفين فابدلت ياء وعند الخليل قدمت الهمزة
على الياء ثم فعل بهما ماذكر وسنزيد المحسنين ثوابا جعل الا
متثال تعوبة للمسئ وبسبب زيادة الثواب به للمحسنين واخرجه
عن صورة الجواب الى الوعد ايرادا بان المحسن بصدد ذلك وان
لم يفعله فكيف اذا فعله وانه يفعل لامحالة فبدل الذين ظلموا
قولا غير الذى قيل لهم بدلوا بما امروا به من التوبة والاستغفار
طلب مايشتهون من اغراض الدنيا فانزلنا على الذين ظلموا رجزا
مبالغة فى تقبيح امرهم واشعارا بان الانزال عليهم بظلمهم بوضع
غير المامور به موضوعه اوعلى انفسهم بان تركوا مايوجب
نجاتهم الى مايوجب لهلاكهم رجزا من السماء بما كانوا يفسقون

عذابا مقدرا من السماء بسبب فسقهم والرجز فى الاصل مايعاف
عنه وكذلك الرجس وقرئ بالضم وهو لغة فيه والمراد به الطا
عون روى انه مات به فى ساعة اربعة وعشرون الفا واذ
استسقى موسى لقومه لما عطشوا فى التيه فقلنا اضرب بعصاك
الحجر اللام فيه للعهد على ماروى انه كان حجرا طوريا معكبا
حمله معه وكانت يسبع من كل وجه ثلث اعين تسيل كل عين فى
جدول الى سبط وكانوا ستمائة الف وسعة العسكر اثنى عشر
ميلا اوحجرا اهبطه آدم من الجنة ووقع الى شعيب فاعطاه
مع العصا اوالحجر الذى فر بثوبه لما وضعه عليه ليغتسل وبراه
الله به عما رموه به من الادرة فاشار اليه جبرائيل بحمله او الحجر
الجنس وهذا اظهر فى الحجة قيل لهم يامره ان يضرب حجرا بعينه
ولكن لما قالوا كيف نبالوا فصينا الى الارض لاحجارة بل احمل حجرا فى
مخلاته وكان يضربه بعصاه اذا نزل فينفجر به ويضربه اذا ار
تحل فيبيبس فقالوا ان فقد موسى عصاه متنا عطشا فاوحى
الله اليه لاتقرع الحجارة وكلمها تطعك لعلهم يعتبرون
وقيل كان الحجر من رخام وكان ذراعا فى ذراع والعصى عشرة
اذرع فى طول موسى من آس الجنة وله شعبتان تتقدان فى
الظلمة فانفجرت منه اثنتى عشرة عينا متعلق بمحذوف تقديره
فان ضربت فقد انفجرت اوفضرب فانفجرت كما فى قوله تعالى
فتاب عليكم وقرئ عشرة بكسر الشين وفتحها وهما لغتان فيه قد
علم كل اناس كل سبط منهم عينهم التى يشربون منها كلوا وا
شربوا على تقدير القول من رزق الله يريد ماررزقهم من المن
والسلوى وماء العيون وقيل الماء وحده لانه يشرب ويوكل ما
ينبت به ولاتعثوا فى الارض مفسدين لاتعتدوا حال افساد كم و
انما قيده لانه وان غلب فى الفساد قد يكون منه مالايس بفساد

كمقابلة الظالم المعتدى بفعله ومنه مايتضمن صلاحا راجحا كقتل
الخضر الغلام وخرقه السفينة ويقرب منه الغيث غير انه يغلب
فيما يدرك حسا ومن اكبر امثال هذه المعجزات فلغاية جهله با
الله وقلة تدبره فى عجائب صنعه فانه لما امكن ان يكون من الا
حجب مايخلق الشعر وينفذ الحل ويجذب الحديد له يمتنع ان
يخلق الله حجرا يسخره لجذب الماء من تحت الارض او لجذب الطعا
من الجوانب وتصييره ماء بقوته التبريد ونحو ذلك واذ قلتم يا
موسى لن نصبر على طعام واحد يريد به ما رزقوا فى التيه من ا
لمن والسلوى وبوحدته انه لايختلف ولايتبدل كقولهم طعام ما
ئدة الامير واحد يريدون انه لايتغير الوانه ولذلك اجمعوا او
ضرب واحد لانهما معا طعام اهل التلذذ وهم كانوا فلاحة فتزعوا
الى عسكرهم واشتهوا ماكانوا الفوه فادع لنا ربك سله لنا بدعائك
اياه يخرج لنا يظهر لنا ويوجد وجزمه بانه جواب فادع فان دعوته
بسبب الاجابة مما تنبت الارض من الاسناد المجازى فاقامة القا
بل مقام الفاعل ومن للتبعيض من بقلها وقثائها وفومها وعد
سها وبصلها تفسير وبيان وقع موقع الحال وقيل بدل باعادة
الجار والبقل ما انبته الارض من الخضر والمراد به اطايبه التى تؤكل
والفوم الحنطة ويقال الخبز ومنه فوموا لنا وقيل الثوم وقرئ
قثائها بالضم وهو لغة فيه قال اى الله او موسى أتستبدلون الذى
هو ادنى اقرب منزلة ودون قدرا واصل الدنو القرب فى
المكان استعير للخسة كما استعير البعد فى الشرف والرفعة فقيل
البعيد الهمة بعيد المحل وقرئ ادناء من الدناة بالذى هو خير تريد
به المن والسلوى فانه خير فى اللذة والنفع وعدم الحاجة الى السعى اهبطوا
مصرا انحدروا اليه من التيه يقال هبط الوادى اذا نزل به وهبط منه
اذا خرج منه وقرئ بالضم والمصر البلد العظيم واصله الحد بين الشيئين

وقيل

وقيل اراد به العلم وانما صرفه لسكون وسطه او على تأويل البلد
ويؤيده انه غير منون فى مصحف ابن مسعود وقيل اصله مصرا
فعرب فان لكم ما سألتم وضربت عليهم الذلة والمسكنة احيطت
بهم احاطة القبة لمن ضربت عليه او الصقت بهم من ضرب
الطين على الحائط او جاز لزومهم على الكفران النعمة واليهود فى غالب
الامر اذلاء مساكين اما على الحقيقة او على التكلف مخافة ان يضا
جزيتهم وباؤا بغضب من الله رجعوا به او صاروا احقاء
بغضبه من باء فلان بفلان اذا كان حقيقا بان يقتل به واصل
البوء المساواة ذلك اشارة الى ما سبق من ضرب الذلة والم
المسكنة والبواء بالغضب بانهم كانوا يكفرون بايات الله و
يقتلون النبيين بغير الحق بسبب كفرهم بالمعجزات التى من جملتها
ما عد عليهم من فلق البحر واظلال الغمام وانزال المن والسلوى
وانفجار العيون من حجر او فى من الكتب المنزلة كالانجيل و
الفرقان وآية الرجم والتى فيها نعت محمد ﷺ من التورية وقتلهم
الانبياء فانهم قتلوا شعيبا وزكريا ويحيى وغيرهم بغير الحق
عندهم اذ لم يروا منهم مايعتقدون به جواز قتلهم وانما حمل
على ذلك اتباع الهوى وحب الدنيا كما اشار اليه بقوله ذلك
بما عصوا وكانوا يعتدون اى جرهم العصيان والتمادى والا
عتداء فيه الى الكفر بالآيات وقتل النبيين فان صغار الذنوب
بسبب يؤدى الى ارتكاب كبائرها كما ان صغائر الطاعات بالباب
مؤدية الى التحرى كبارها وقيل كرر الاشارة للدلالة على ان ما لحقهم
كما هو بسبب الكفر والقتل وهو بسبب ارتكابهم المعاصى واعتداد
حدود الله وقيل الاشارة الى الكفر والباء بمعنى مع وانما جمعت
الاشارة بالمفرد الى شيئين فصاعدا على تأويل ما ذكر او تقدم الا
ونظيره فى الضمير قول رؤبة فيها خطوط من سواد وبلق كانه

في الجلد تو ليع البرهق والذي حسّن ذلك ان لتثنية المضمرات
والمبهمات وجمعهما وتأنيثهما ليست على الحقيقة ولذلك جاء
الذي بمعنى الجمع ان الذين آمنوا بالسنتهم يريد به المتدبنين
بدين محمد ص المخلصين منهم والمنافقين وقيل المنافقين لا
نخز اطهم في سلك الكفر والذين هادوا تهودوا يقال هاد
وتهود اذا دخل في اليهودية ويهود اما عربي من هاد اذا
تاب سموا بذلك لما تابوا من عبادة العجل واما معرب يهوذا
وكانهم سموا باسم اكبر اولاد يعقوب ص والنصارى جمع
نصران كندامى والياء في نصران للمبالغة كما في احمري سموا بذلك
لانهم نصروا المسيح او لانهم كانوا معه في قرية يقال لها نصران
او ناصرة فسموا باسمها او من اسمها والصابئين قوم بين النصارى
والمجوس وقيل اصل دينهم دين نوح ص وقيل هم عبدة الملائكة
وقيل عبدة الكواكب وهو ان كان عربيا فمن صباء اذا خرج وقراء
نافع وحده بالياء اما لانه حذف الهمزة او لانه من صبا اذا مال
لانهم مالوا من سائر الاديان الى دينهم او من الحق الى الباطل من
آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا من كان منهم في دينه قبل ان
ينسخ مصدقا بقلبه وبالمبداء والمعاد عاملا بمقتضى شرعه وقيل
من آمن من هؤلاء الكفرة ايمانا خالصا ودخل الاسلام دخولا صا
دقا فلهم اجرهم عند ربهم الذي وعد لهم على ايمانهم وعملهم
ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون حتى يخاف الكفار من العقاب
ويحزن المقصرون في تضييع العمر وتفويت الثواب ومن مبتداء
خبره فلهم اجرهم والجملة خبر ان او بدل من اسم ان وخبرها
فلهم اجرهم والفاء لتضمن المسند اليه معنى الشرط وقد منع سيبويه
دخولها في خبر ان من حيث انها لا تدخل الشرطية ورد بقوله ك
ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب ص
جهنم واذ اخذنا ميثاقكم باتباع موسى ص والعمل بالتوراة و

رفعنا

رفعنا فوقكم الطور حتى اعطيتم الميثاق روي ان موسى ص
لما جاءهم بالتوراة فرأوا ما فيها من التكاليف الشاقة كبرت
عليهم وابوا قبولها فامر جبرائيل بقطع الطور فظللهم فوقهم
حتى قبلوا اخذوا على ارادة القول ما اتيناكم من الكتاب بقوة
بجد وعزيمة واذكروا ما فيه ادرسوه ولا تنسوه او تفكروا فيه
فانه ذكر بالقلب او اعملوا به لعلكم تتقون لكي تتقوا المعاصي او رجاء
منكم ان تكونوا متقين ويجوز عند المعتزلة ان يتعلق بالقول
المحذوف اي قلنا خذوا واذكروا ارادة ان تتقوا ثم توليتم من
بعد ذلك عرضهم عن الوفاء بالميثاق بعد اخذه فلو لا فضل الله
عليكم ورحمته بتوفيقكم للتوبة او بمحمد ص يدعوكم الى الحق و
يهديكم اليه لكنتم من الخاسرين المغبونين بالانهماك في المعاصي
او بالخبط والضلال في فترة من الرسل ولعل في الاصل لامتناع الشيء
لامتناع غيره فاذا دخل على الافادة اثباته وهو امتناع الشيء لثبوت
غيره والاسم الواقع بعده عند سيبويه مبتداء خبره واجب الحذف
لدلالة الكلام عليه وسد الجواب مسده وعند الكوفيون فاعل
فعل محذوف ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت اللام موطئة
للقسم والسبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت يوم السبت و
اصله القطع امروا بان يتجردوه للعبادة فاعتدى فيه ناس منهم
في زمن داود ص واشتغلوا بالصيد وذلك انهم كانوا استكفوا قرية
الساحل يقال لها ايلة واذا كان يوم السبت لم يبق حوت في البحر
الاحضر هناك واخرج خرطومه فاذا مضى تفرقت فحفروا احياضا
وشرعوا اليها الجداول وكانت الحيتان تدخلها يوم السبت فيصطا
دونها يوم الاحد فقال لهم كونوا قردة خاسئين جامعين بين
صورة القردة والخسوء وهو الصغار والطرد فقال مجاهد مامسخ
صورتهم ولكن قلوبهم فمثلوا بالقردة كما مثلوا بالحمار في قوله ك

كمثل الحمار يحمل اسفارا وقوله كونوا ليس بامر اذ لا قدرة لهم عليه
وانما المراد به سرعة التكوين وانهم صاروا كذلك كما اراد بهم
وقرئ قردة بفتح القاف وكسر الراء وخاسئين بغير همز فحعلنا
ها اى المسخة او العقوبة نكالا عبرة تنكل المعتبر بها اى تمنعه
منه النكل للقيد لما بين يديها وما خلفها لما قبلها وما بعدها من الا
مم اذ كرت حالهم فى زمن الاولين واشتهرت قصتهم فى الآخرين
او لمعاصريهم ومن بعدهم او لما حضرتها من القرى وما تباعد
عنها او لاهل تلك القرية وما حواليها او لاجل ما تقدم عليها من ذ
نوبهم وما تاخر عنها وموعظة للمتقين من قومهم او لكل متق سم
سمعها واذ قال موسى لقومه ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة اول
هذه القصة قوله ها واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها وانما فكت
عنه وقدمت عليه للاستقلال بنوع آخر من مساويهم وهو الاستهزاء
بالامر والاستقصاء فى ترك المسارعة الى الامتثال وقصته انه كان
فيهم شيخ موسر فقتل ابنه بنو اخيه طمعا فى ميراثه وطرحوه على باب
المدينة ثم جاؤا يطالبون بدمه فامرهم الله ان يذبحوا بقرة ويضربوه
ببعضها ليحيى فيخبر بقاتله قالوا اتتخذنا هزوا امكان هزؤا او
اهله او مهزوءا بنا او الهزوء نفسه لفرط الاستهزاء استبعادا لما قاله
واستخفافا به وقرأ حمزة واسمعيل عن نافع بالتسكون وحفص عن
عاصم بالضم وقلبت الهمزة واوا قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين
لان الهزء فى مثل ذلك جهل وسفه نفى عن نفسه ما رمى على طريقة البر
هان واخرج ذلك فى صورة الاستعاذة استقظاعا له قالوا ادع لنا ربك
يبين لنا ما هى اى ما حالها وصفتها وكان حقه ان يقولوا اى بقرة
هى او كيف هى لان ما يسئال به عن الجنس غالبا لكنهم لما رأوا ما امروا على
حال لم يوجد بها شئ من جنسه اجروه مجرى ما لم يعرفوا حقيقته ولم
يروا مثله قال انه يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر لا مسنة ولا فتية

يقال فرضت البقرة فروضا من الفرض وهو القطع كانها فرضت
سنها وتركيب البكر للاولية ومنه البكرة والباكورة عوان
نصف قال نواعم بين ابكار وعون بين ذلك اى بين ما ذكر
من الفارض والبكر ولذلك اضيف اليه بين فانه لا يضاف
الا اذا سقد وعود لهذه الكنايات واجراء تلك الصفات
على بقرة يدل على ان المراد بها معينة ويلزمه تاخير البيان
عن وقت الخطاب ومن انكر ذلك زعم ان المراد بها بقرة
من شق البقر غير مخصوصة ثم انقلبت مخصوصة بسؤالهم
ويلزمه النسخ قبل الفعل فان التخصيص ابطال للتخيير الثابت
بالنص والحق جوازهما ويؤيد الرأى الثانى ظاهر اللفظ و
المروى عنهم لو ذبحوا اى بقرة اراد وا لاجزأتهم ولكن شدد
على انفسهم فشدد الله عليهم وتقريعهم بالتمادى وزجرهم
عن المراجعة بقوله فافعلوا ما تؤمرون اى ما تؤمرونه بمعنى
تؤمرون به من قوله امرتك الخير فافعل ما امرت به او امركم
بمعنى ما موركم قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال انه
يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها الفقوع نصوع الصفرة ولذلك
تؤكد به فيقال اصفر فاقع كما يقال اسود حالك وفى اسناده الى
اللون وهى صفة صفراء لملابسة بها فضل تأكيد كانه قيل صفراء
شدة الصفرة صفرتها وعن الحسن سوداء شديدة السواد
وبه فسر قوله جمالات صفر قال الاعشى تلك الحيلى منه وتلك
ركابى هن صفر اولادها كالزبيب ولعله عبر بالصفرة عن
السواد لانها من مقدماتها ولان سواد الابل تعلوه صفرة
وفيه نظر لان الصفرة بهذا المعنى لا تؤكد بالفقوع تسر الناظرين
اى تعجبهم والسرور اصله لذة فى القلب عند حصول نفع او
توقعه من السر قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هى تكرير للسؤال

الاول واستكشاف زائد ان البقر تشابه علينا اعتذار عنه اى
ان البقر الموصوف بالتعوين والصفرة كثير فاشتبه علينا وقرأ
ان البناقر وهو اسم لجماعة البقر والاباقر والبواقر ويتشابه
بالياء والتاء والتشابه بطرح التاء وادغامها على التذكير والتأ
نيث وتشابهت مخففا ومشددا وشبه بمعنى تتشبه ويشبه با
لتذكير وتشابه وتشابهة ومشبه ومتشبهة وانا ان شاء الله
لمهتدون الى المراد بوجها او الى القاتل وفى الحديث لو لم يستثنوا
لما بينت لهم آخر الابد واحتج به اصحابنا على ان الحوادث
بارادة الله تعالى وان الامر قد ينفك عن الارادة والا لم يكن له
للشرط بعد الامر معنى والمعتزلة والكرامية على حدوث الارا
دة واجيب بان التعليق باعتبار التعلق قال انه يقول انها بقرة
لا ذلول تثير الارض ولا تسقى الحرث اى لم تذلل للكراب وسقى
الحرث ولا ذلول صفة لبقرة بمعنى غير ذلول ولا الثانية مزيدة
للتأكيد الاولى والفعلان صفتا الذلول كانه قيل لا ذلول مثيرة
وساقية وقرئ لا ذلول بالفتح اى حيث هى كقولك مررت
برجل لا بخيل ولا جبان اى حيث هو وتسقى من اسق مسلمة
سلمها الله من العيوب واهلها من العمل او اخلص لونها من سلم
له كذا اذا خلص له لا شية فيها لا لون فيها يخالف لون جلدها
وفى الاصل مصدر وشاه وشيا وشية اذا خلط بلونه لونا آخر
قالوا الآن جئت بالحق اى الحقيقة وصف البقرة وحقيقتها لنا
وقرئ آلآن جئت بالمد على الاستفهام والآن بحذف الهمزة والقاء
حركتها على اللام فذبحوها فيه اختصار والتقدير فحصلوا البقرة
المنعوتة فذبحوها وما كادوا يفعلون لتطويلهم وكثرة مرا
جعاتهم او الخوف او الفضيحة فى ظهور القاتل او لغلاء ثمنها
اذ روى ان شيخا صالحا منهم كان له عجلة فاتى بها الغيضة وقال

مسكة

مسكة اصل اللهم استودعتكها لابنى حتى يكبر فشبت وكانت و
حيدة بتلك الصفات فساوموها اليتيم وامه حتى اشتروها
بملء جلدها ذهبا وكانت البقرة اذ ذاك بثلثة دنانير وكاد
من افعال المقاربة وضع لدنو الخبر حصولا فاذا دخل عليه النفى
قيل معناه الاثبات مطلقا وقيل ماضيا والصحيح انه كسائر
الافعال ولا ينافى قوله وما كادوا يفعلون قوله فذبحوها الا
ختلاف وقتيهما اذ المعنى انهم ما قاربوا ان يفعلوا حتى انتهت
سؤالاتهم وانقطعت تعللاتهم ففعلوا كالمضطر الملجئ الى
الفعل واذ قلتم نفسا خطاب الجمع لوجود القتل فيهم فادارأتم
فيها اختصمتم فى شانها اذ المتخاصمان يدفع بعضهم بعضا او تدا
فعتم بان طرح كل قتلها عن نفسه الى صاحبه واصله تدارأتم فاد
غمت التاء فى الدال واجتلبت لها همزة الوصل والله مخرج ما كنتم تكتمون
مظهره لا محالة واعمل مخرج لانه حكاية مستقبل كما اعمل باسط
ذراعيه لانه حكاية حال ماضية فقلنا اضربوه عطف على اداراتم
وما بينهما اعتراض والضمير للنفس والتذكير على تاويل الـ
شخص او القتيل ببعضها اى ببعض كان وقيل باصغريها و
قيل بلسانها وقيل بفخذها اليمنى وقيل بالاذن وقيل بالعجب كذلك
يحيى الله الموتى يدل على ما حذف وهو فضربوه فحيى او فظا
مع من حضر جيفة القتيل او نزول الآية ويريكم آياته دلائله
على كمال قدرته لعلكم تعقلون لكى يكمل عقلكم وتعلموا ان من
قدر على احياء نفس قدر على احياء النفس كلها او تعلمون على
قضيته ولعله كما انما لم يجب ابتداء وشرط لما فيه من التقرب واداء
الواجب ونفع اليتيم والتنبيه على بركة التوكل والشفقة على الاو
وان من حق الطالب ان يقدم قربة والمتقرب ان يتحرى الا
حسن ويغالى بثمنه كما روى عن عمر رضه ضحى بنجيبة بثلثمائة

تم

ب

للاد

ديناد وان المؤثر في الحقيقة هو الله تع والاسباب امارات لا
اثر لها ومن اراد ان يعرف اعدى عدوه الساعي في اماتته الموت
الحقيقي فطريقه ان يذبح بقرة نفسه التي هي القوة الشهوية حين
زال عنها شرة الصبى ولم يلحقها ضعف الكبر وكانت معجبة ذا
يقة المنظر غير مذللة في طلب الدنيا مسلمة عن دنسها الاسمة بها
من قبايحها بحيث يصل اثره الى نفسه فتحيى حيوة طيبة وتقرب عما
به ينكشف الحال وترتفع مابين العقل والوهم من التداره والفراع
ثم قست قلوبكم القساوة عبارة عن الغلظ مع الصلابة كما في ا
لحجر وقساوة القلب مثل في البتوة عن الاعتباد ونتم لاستبعاد اله
لقسوة من بعد ذلك يعني احياء القتيل وجميع ماعدد من الآيات
فانها مما يوجب لين القلب فهي كالحجارة في قسوتها او اشد قسوة
منها والمعنى انها في القساوة مثل الحجارة أو زايد عليها او انها مثلها
او اشد مثل منها قسوة كالحديد فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه
ويعضده قراءة الجر بالفتح عطفا على الحجارة وانما لم يقل اقسى لما في ا
شد من المبالغة والدلالة على اشتداد القسوتين واشتمال الافضل
على زيادة واو للتخيير او للترديد بمعنى ان من عرف حالها شبهها
بالحجارة او بما هو اقسى منها وان من الحجارة لما يتفجى منه الانهار وان
منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله تعليل
للتفضيل والمعنى ان الحجارة تتأثر وتنفعل فان منها ما يتشقق فينبع
منه الماء ويتفجى منه الانهار ومنها ما يتردى من اعلى الجبل انقياد الما ا
د الله به وقلوب هؤلاء لا تتأثر ولا تنفعل عن امره والتفجى التفتح بسعة
وكثرة والخشية مجاز عن الانقياد وقرئ ان على انها المخففة من
الثقيلة ويلزمها اللام الفارقة بينها وبين النافية ويهبط بالضم
وما الله بغافل عما تعملون وعيد على ذلك وقراء ابن كثير ونافع و
يعقوب وابو بكر بالتاء ختما الى ما بعده والباقون بالياء امص

افتطمعون

افتطمعون الخطاب لرسول الله والمؤمنين ان يؤمنوا لكم ان
يصدقوكم او يؤمنوا لاجل دعوتكم يعني اليهود وقد كان فريق
منهم طائفة من اسلافهم يسمعون كلام الله يعني التورية ثم
يحرفونه كنعت محمد ع وآية الرجم او تأويله ويفسرونه بما
يشتهون وقيل هؤلاء من السبعين المختارين سمعوا كلام الله
حين كلم موسى ع بالطور ثم قالوا سمعنا الله يقول في آخره
ان استطعتم ان تفعلوا هذه الاشياء فافعلوا وان شئتم فلا ه
تفعلوا من بعد ما عقلوه اى فهموه بعقولهم ولم يبق لهم
فيه ريبة وهم يعلمون انهم مفترون مبطلون ومعنى الآية ان
اخبار هؤلاء ومقدميهم كانوا على هذه الحالة فما طمعكم بسلفتهم
وجبلتها لهم وانهم ان كفروا وحرفوا فلهم سابقة في ذلك و
اذا لقوا الذين آمنوا يعني منافقيهم قالوا آمنا بانكم على رسولكم
هو المبشر به في التورية واذا خلا بعضهم الى بعض قالوا اى
الذين لم ينافقوا منهم عاتبين على من نافق اتحدثونهم بما فتح
الله عليكم بما بين لكم في التورية من نعت محمد ع والذين نافقوا
لاعقابهم اظهار التصلب في اليهودية ومنعا لهم عن ابداء ما
وجدوا في كتبهم فينافقون الفريقين فالاستفهام على الاول
تقريع وعلى الثاني انكار وتوبيخ ليحاجوكم به عند ربكم ليحتجوا عليكم
بما انزل ربكم في كتابه جعلوا محاجتهم بكتابه وحكمه بحاجة عنده كما
يقال عند الله كذا ويراد به انه في كتابه وحكمه وقيل عند ذكر ربكم او
بين يدى رسول ربكم وقيل عند ربكم في القيمة وفيه نظر اذ الاخفاء
لا يدفعه افلا تعقلون اما من تمام الكلام اللا يمين وتقديره ا
فلا تعقلون انهم يحاجونكم به فيحقق نكم او خطاب من الله للمؤ
منين متصل بقوله افتطمعون والمعنى افلا تعقلون حالهم وان
لا مطمع لكم في ايمانهم او لا يعلمون يعني هؤلاء المنافقين او اللا

يمين

او كليهما او اياهم والمحرفين ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون
ومن جملتها اسرارهم الكفر واعلانهم الايمان واخفاء ما فتح الله
عليهم واظهار غيره وتحريف الكلم عن مواضعه ومعانيه و
منهم امّيّون لا يعلمون الكتاب جهلة لا يعرفون الكتابة فيطا
لعوا التورية ويتحققوا ما فيها الا اماني استثناء منقطع والاماني
جمع امنية وهي في الاصل ما يقدره الانسان في نفسه من منا اذا قدر
ولذلك يطلق على الكذب وعلى ما يتمنى وما يقرء والمعنى ولكن هم
يعتقدون الاكاذيب اخذوها تقليدا من المحرفين او مواعيدا فا
رغة سمعوها منهم من ان الجنة لا يدخلها الا من كان هودا او ان
النار لن تمسهم الا ايمانا معدودة وقيل الا ما يقرؤن قراءة
عارية عن معرفة المعنى وتدبره من قولهم تمنى كتاب الله اول
ليلة تمنى داود الزبور على رسل وهو لا يناسب وصفهم بانهم امّيّون
وان هم الا يظنون ما هم الا قوم يظنون لا علم لهم وقد يطلق الظن
باذاء العلم على كل رأى واعتقاد من غير قاطع وان جزم به صاحبه
كاعتقاد المقلد والزايغ عن الحق بشبهة فويل اى تحسر و هلاك ومن
قال انه واد او جبل في جهنم فمعناه ان فيها موضعا يتبوء فيها من
جعل له الويل ولعله سماه بذلك مجازا وهو في الاصل مصدر لافعل
له وانما ساغ الابتداء بنكرة لانه دعاء للذين يكتبون الكتاب بعني
المحرف ولعله اراد به ما كتبوه من التاويلات الزايغة بايديهم
تاكيد كقولك كتبه بيميني ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به
ثمنا قليلا لكي يحصلوا به غرضا من اغراض الدنيا فانه وان جل قليل
بالنسبة الى ما استوجبوه من العقاب الدائم فويل لهم مما كتبت ايديهم
يعني المحرف وويل لهم مما يكسبون يريد الرشى وقالوا لن تمسنا
النار المس اتصال الشيء بالبشرة بحيث تتأثر الحاسة به واللمس كا
لطلب له ولذلك يقال المسته فلم اجده الا ايّاما معدودة محصورة

قليلة

قليلة روي ان بعضهم قالوا نعذب بعدد ايام عبادة العجل اربعين
يوما وبعضهم قالوا مدة الدنيا سبعة آلاف سنة وانما نعذب مكان
كل الف سنة يوما قل اتخذتم عند الله عهدا خبر او وعدا بما تنعون
وقرأ ابن كثير وحفص باظهار الذال والباقون بادغامه فلن
يخلف الله عهده جواب شرط مقدر اى ان اتخذتم عند الله عهدا
فلن يخلف الله عهده وفيه دليل على ان الخلف في خبره محال ام
تقولون على الله ما لا تعلمون ام معادلة بالهمزة الاستفهام بمعنى
اي الامرين كاين على سبيل تقرير العلم بوقوع احدهما او منقطعة
بمعنى بل اتقولون على التقرير والتقريع بلى اثبات لما نفوه من
مساس النار لهم زمانا مديدا وعدها طويلا على وجه اعم ليكون
كالبرهان على بطلان قولهم وتختص بجواب النفي من كسب سيئة
قبيحة والفرق بينها وبين الخطيئة انها قد تقال فيما يقصد بالذا
والخطيئة تغلب فيما يقصد بالعرض لانها من الخطاء والكسب
استجلاب النفع وتعليقه بالسيئة على طريق قوله فبشرهم بعذاب
اليم واحاطت به خطيئته اى استولت عليه وشملت جملة احواله
حتى صار كالمحاط بها لا يخلو عنها شيء من جوانبه وهذا انما يصح
في شان الكافر لان غيره وان لم يكن له سوى تصديق قلبه واقرار
لسانه فلم تحط الخطيئة به ولذلك فسرها السلف بالكفر وتحقيق
ذلك ان من اذنب ذنبا ولم يقلع عنه استحق العقوبة مثله
والانهماك فيه وارتكاب ما هو اكبر منه حتى يستولي عليه الذنوب
وتأخذ بمجامع قلبه فيصير بطبعه مائلا الى المعاصي مستحسنا اياها
معتقدا ان لا لذة سواها مبغضا لمن يمنعه عنها مكذبا لمن ينصحه
فيها كما قال الله ثم كان عاقبة الذين اساؤا السوء ان كذبوا
بآيات الله وقرأ نافع خطيئاته وقرئ خطيته وخطياته على القلب
والادغام فيهما فاولئك اصحاب النار ملازموها في الآخرة كما

انهم ملازمون اسبابها في الدنيا هم فيها خالدون دائمون ولا
يبغون لبثا طويلا والآية كما ترى لا حجة فيها على خلود صاحب
الكبيرة وكذا التي قبلها والذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك
اصحاب الجنة هم فيها خالدون جرت عادته سبحانه وتعالى على
ان يشفع وعده بوعيده وترجى رحمته ويخشى عذابه وعطف
العمل على الايمان يدل على خروجه عن مسماه واذ اخذنا ميثاق
بني اسرائيل لا تعبدون الا الله اخبار في معنى النهي كقوله لا
يضار كاتب ولا شهيد وهو ابلغ من صريح النهي لما فيه من ايهام
ان النهي صارع الى الانتهاء فهو يخبر عنه ويعضده قراءة لا تعبدوا
وعطف قولوا عليه فيكون على ارادة القول وقيل تقديره ان لا
تعبدوا فلما حذف ان رفع كقوله الا ايها الزاجري احضر الوغا
ويدل عليه قراءة ان لا تعبدوا فيكون بدلا من ميثاق او معمول الله
بحذف الجار وقيل انه جواب قسم دل عليه المعنى كانه قال حلفناهم
لا يعبدون وقرأ نافع وابو عمرو وعاصم ويعقوب بالتاء حكاية
لما خوطبوا به والباقون بالياء لانهم غيب وبالوالدين احسانا
متعلق بمضمر تقديره وتحسنون او احسنوا وذي القربى واليتامى
والمساكين عطف على الوالدين ويتامى جمع يتيم كنديم وندامى و
هو قليل ومسكين مفعيل من التسكن كان الفقراء سكنه وقولوا
للناس حسنا اى قولا حسنا وسماه حسنا للمبالغة وقرأ حمزة
والكسائي ويعقوب حسنا بفتحتين وقرئ حسنا بضمتين وهو
لغة اهل الحجاز وحسنا وحسنى على المصدر كبشرى والمراد به ما
فيه تحلق وارشاد واقيموا الصلوة واتوا الزكوة يريد بهما ما
فرض عليهم في ملتهم ثم تولليتم على طريقة الالتفات ولعل
الخطاب مع الموجودين منهم في عهد رسول الله ﷺ ومن قبلهم
على التغليب اى اعرضتم عن الميثاق ورفضتموه الا قليلا منكم يريد

به من اقام اليهودية على وجهها قبل النسخ ومن اسلم منهم وانتم
معرضون قوم عادتكم الاعراض عن الوفاء والطاعة واصل
الاعراض الذهاب عن المواجهة الى جهة العرض واذ اخذنا
ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون انفسكم من دياركم
على نحو ما سبق والمراد به ان لا يتعرض بعضهم لبعض بالقتل
والاجلاء وانما جعل قتل الرجل غيره قتل نفسه لاتصاله به
نسبا او دينا او لانه يوجبه قصاصا وقيل معناه لا تتركوا
ما يستحق سفك دمائكم واخراجكم من دياركم او تفعلوا ما
يرديكم ويصيركم عن الحيوة الابدية فانه القتل في الحقيقة و
تفتيت قواما تمنعون به عن الجنة التي هي داركم فانه الجلاء الحقيقي
ثم اقررتم بالميثاق واعترفتم بلزومه وانتم تشهدون تأكيد
كقولك اقر فلان شاهدا على نفسه وقيل وانتم ايها الموجو
على اقراركم فيكون اسناد الاقرار اليهم مجازا ثم انتم
هؤلاء استبعاد لما ارتكبوه بعد الميثاق والاقرار به والتنبيه
عليه وانتم مبتدأ وهؤلاء خبره على معنى انتم بعد ذلك هؤلاء
الناقضون كقولك انت ذلك الرجل الذي فعل كذا نزل تغير
الصفة منزلة تغير الذات وعذرهم باعتبار ما اسند اليهم
حضورا وباعتبار ما سيحكى عنهم غيبا وقوله تقتلون
انفسكم وتخرجون فريقا منكم من دياركم اما حال والعامل فيها
معنى الاشارة او بيان لهذه الجملة وقيل هؤلاء تأكيد والخبر هو الجملة
وقيل بمعنى الذين والجملة صلته والمجموع هو الخبر وقرئ تقتلون
على التكثير تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان حال من
فاعل تخرجون او مفعوله او كليهما والتظاهر التعاون من
الظهر وقرأ عاصم والكسائي وحمزة بحذف احدى التاءين
وقرئ باظهارهما وتظهرون بمعنى تتظاهرون وان يأتوكم

كيد
دون

دة
ئ

أسارى تفادوهم روى ان قريظة كانوا حلفاء الاوس والنضيرة
حلفاء الخزرج فاذا اقتتلا عاون كل فريق حلفاءه فى القتل وتخريب
الديار واجلاء اهلها واذا اسر احد من الفريقين جمعوا له حتى
يفدوه وقيل معناه ان يأتوكم اسارى فى ايدى الشياطين تصدقون
تنصدقون لانقاذهم بالارشاد والوعظ مع تضييعكم انفسكم
كقوله تعالى اتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وقرأ حمزة
اسرى وهو جمع اسير كجرحى وجريح واسارى كسكرى وسكارى
وقيل هو ايضا جمع اسير وكانه شبهه بالكسلان وجمع جمعه وقرأ
ابن كثير وابو عمرو وحمزة وابن عامر تفدوهم وهو يحتمل عليكم
اخراجهم تتعلق بقوله ويخرجون فريقا منكم من دياره وما
بينهما اعتراض والضمير للشان او مبهم وتفسيره لاخراجهم
او راجع الى ما دل عليه تخرجون من المصدر واخراجهم تأكيد او
بدل او بيان افتؤمنون ببعض الكتاب يعنى الفداء وتكفرون
ببعض يعنى حرمة المقاتلة والاجلاء فما جزاء من يفعل ذلك منكم
الا خزى فى الحيوة الدنيا كقتل قريظة وسبيهم واجلاء النضيرة
وضرب الجزية على غيرهم واصل الخزى ذل يستحى منه ولذلك
يستعمل فى كل منهما ويوم القيمة يردون الى اشد العذاب لان عصيانهم
اشد وما الله بغافل عما تعملون تأكيد للوعيد اى الله سبحانه وتعالى
بالمرصاد لا يغفل عن افعالهم وقرأ عاصم فى رواية المفضل
تردون على الخطاب لقوله منكم وابن كثير ونافع ويعقوب يعملون
على ان الضمير لمن اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالآخرة
آثروا الحيوة الدنيا على الآخرة فلا يخفف عنهم العذاب بنقض الجزية
فى الدنيا والتعذيب فى الآخرة ولا هم ينصرون بدفع ما عنهم
ولقد آتينا موسى الكتاب التوراة وقفينا من بعده الرسل اى
ارسلنا على اثره الرسل كقوله ثم ارسلنا رسلنا تترى يقال

قفاه به اذا اتبعه اياه من القفا كخوذ نبه من الذنب وآتينا عيسى
ابن مريم البينات المعجزات الواضحات كاحياء الموتى وابراء
الاكمه والابرص والاخبار بالمغيبات او الانجيل وعيسى بالعبرانية
ايشوع ومريم بمعنى الخادم وهو بالعبرية من النساء كالزير من
الرجال قال راويه قلت لزيد لم تصله مريمية ووزنه مفعل اذا
لم يثبت فعيل وايدناه قويناه وقرئ ايدناه بروح القدس
بروح المقدسة كقولك حاتم الجود ورجل صدق اراد به جبرائيل
وقيل روح عيسى عم ووصفها به لطهارته عن مس الشيطان
او لكرامته على الله ولذلك اضافه الى نفسه او لانه لم يتضمن الاصلاب
والارحام الطوامث او الانجيل او اسم الله الاعظم الذى كان يحيى
به الموتى وقرأ ابن كثير القدس بالاسكان فى جميع القرآن افكلما
جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم بما لا تحبه يقال هوى يا بالكسر هوى
اذا احب وهو بالفتح هوّ يا بالضم سقط ووسطت الهمزة
بين الفاء وما تعلقت به توبيخا لهم على تعقيبهم ذلك بهذا وتعجيبا من
شانهم ويحتمل ان يكون استينافا والفاء للعطف على مقدر كالمنكر
عن الايمان واتباع الرسل ففريقا كذبتم كموسى وعيسى عليهما
السلام والفاء للسببية او للتفصيل وفريقا تقتلون كزكريا
ويحيى عليهما السلام وانما ذكر بلفظ المضارع على حكاية
الحال الماضية استحضارا لها فى النفوس فان الامر فظيع ومراعاة
للفواصل او للدلالة على انكم بعد فيه فانكم حول قتل محمد لولا
ان اعصمه منكم ولذلك ستحموه وسممتم له الشاة وقالوا قلوبنا
غلف مغشاة باغطية خلقية لا يصل اليها ما جئت به ولا تفقه
مما تعار من الاغلف الذى لم يختن وقيل اصله غلف جمع غلاف
فخفف والمعنى انها اوعية العلم لا تسمع علما ولا تعى ما تقول او
نحن مستغنون بما فيها من غيره بل لعنهم الله بكفرهم رد لما قالوا

والمعنى انها خلقت على الفطرة والتمكن من قبول الحق ولكن الله خذلهم
بكفرهم فابطل استعدادهم وانها له ناب قبحا ما تقولوا بخلل فيه بل
لان الله خذلهم بكفرهم كما قال فاصمهم واعمى ابصارهم او بهم
كفرة ملعونون فمن اين لهم دعوى العلم والاستغناء فقليلا
ما يؤمنون فايمانا قليلا يؤمنون وما مزيدة للمبالغة في التقليل
وهم ايمانهم ببعض الكتاب وقيل اراد بالقلة العدم ولما جاءهم
هم كتاب من عند الله يعني القران مصدق لما معهم من كتابهم
وقرئ بالنصب على الحال من كتاب لتخصيصه بالوصف وجواب
لما محذوف دل عليه جواب لما الثانية وكانوا من قبل يستفتحون
على الذين كفروا اى يستنصرون على المشركين ويقولون اللهم
انصرنا بنبي آخر الزمان المنعوت في التورية او يفتحون عليهم
ويعرفونهم ان نبيا يبعث منهم وقد قرب زمانه والسين للمبالغة
والاشعار بان الفاعل يسئل ذلك عن نفسه فلما جاءهم ما عرفوا
من الحق كفروا به حسدا وخوفا على فوت الرياسة فلعنة الله
على الكافرين اى عليهم والى بالمظهر للدلالة على انهم لعنوا
لكفرهم فيكون اللام للعهد ويجوز ان يكون للجنس ويدخلوا
فيه دخولا اوليا لان الكلام فيهم بئسما اشتروا به انفسهم ما
نكرة بمعنى شيء مميزة لفاعل بئس المستكن واشتروا صفته و
معناه باعوا او اشتروا بحسب ظنهم فانهم ظنوا انهم خلصوا
انفسهم من العقاب بما فعلوا ان يكفروا بما انزل الله هو المخصوص
بالذم بغيا طلبا لما ليس لهم وحسدا وهو علة ليكفروا ودون
اشتروا والمفضل ان ينزل الله لان ينزل او حسدوه على ان
ينزل الله وقرأ ابن كثير وابو عمرو بالتخفيف من فضله يعني
الوحي على من يشاء من عباده على من اختاره للرسالة فباؤا
بغضب على غضب للكفر والحسد على من هو افضل الخلق وقيل

لكفرهم

لكفرهم بمحمد بعد عيسى او بعد قولهم عزير ابن الله وللكافرين
عذاب مهين يراد به اذلالهم بخلاف عذاب العاصي فانه
طهرة لذنوبه واذا قيل لهم آمنوا بما انزل الله يعم الكتب المنزلة
باسرها قالوا نؤمن بما انزل علينا اى بالتورية ويكفرون بما
وراءه حال من الضمير في قالوا وراء في الاصل مصدر جعل
ظرفا ويضاف الى الفاعل ويراد به ما يتوارى به وهو خلفه
والى المفعول فيراد به ما يوارى به وهو قدامه ولذلك عد
من الاضداد وهو الحق الضمني لما وراءه والمراد به القران
مصدقا لما معهم حال مؤكدة تتضمن رد مقالهم فانهم لما
كفروا بما يوافق التورية فقد كفروا بها قل فلم تقتلون انبياء
الله من قبل ان كنتم مؤمنين اعتراض عليهم بقتل الانبياء مع
ادعاء الايمان بالتورية والتورية تسوغه وانما اسنده
اليهم لانه فعل آبائهم وانهم راضون به عازمون عليه و
قراء نافع انبياء بالهمزة في كل القران ولقد جاءكم موسى بالبينات
يعني الآيات التسع المذكورة في قوله ع ولقد آتينا موسى تسع
آيات بينات ثم اتخذتم العجل اى الها من بعده من بعد
مجيء موسى عليه وم او ذهابه الى الطور وانتم ظالمون حال
بمعنى اتخذتم العجل ظالمين بعبادته او بالاخلال بآيات الله
واعتراض بمعنى وانتم قوم عادتكم الظلم ومساق الآية
ايضا لابطال قولهم نؤمن بما انزل علينا والتنبيه على ان طريقتهم
طريقتهم مع الرسول طريقة اسلافهم مع موسى وم لا بتكرير
القصة وكذا ما بعدها واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور
خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا اى قلنا لهم خذوا ما امرتم به
في التورية بجد واسمعوا سماع طاعة قالوا سمعنا قولك و
عصينا امرك واشربوا في قلوبهم العجل تداخلهم محبته وتسخ

في قلوبهم صورته لفرط شغفهم به كما يتداخل الصبغ الثوب
والشراب اعماق البدن وفي قلوبهم بيان لمكان الاشراب
كقوله انما يأكلون في بطونهم نارا بكفرهم سبب كفرهم وذلك
لانهم كانوا مجسمة او حلولية ولم يروا جسما اعجب منه فتمكن
في قلوبهم ما سولت لهم السامري قل بئسما يأمركم به ايمانكم
اي بالتوراة والمخصوص بالذم محذوف نحو هذا الامر او ما
يعمه وغيره من قبايحهم المعدودة في الآيات الثلث الزاما
عليهم ان كنتم مؤمنين تقرير للقدح في دعوى هم الايمان
بالتوراة وتقديره ان كنتم مؤمنين بها لم يأمركم بهذه القبايح
ولا يرخص لكم فيها ايمانكم بها او ان كنتم مؤمنين بها فبئس
ما امركم به ايمانكم بها لان المؤمن ينبغي ان لا يتعاطى الا ما يقتضيه ايمانه لكن الايمان بها لا يأمر به فاذا ليستم بمؤمنين قل
ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة خاصة لكم كما قلتم
لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصبها على الحال من الدار
من دون الناس سائرهم او المسلمين واللام للعهد فتمنوا الموت
ان كنتم صادقين لان من ايقن انه من اهل الجنة اشتاقها واحب
التخلص اليها من الدار ذات الشوائب كما قال علي رضي لا ابالي
سقطت على الموت او سقط الموت علي وقال عمار بن ياسر رضي
بصفين الآن ألاقي الاحبة محمدا وحزبه وقال حذيفة حين احتضر
جاء حبيب على فاقة لا افلح من ندم على التمني سيما اذا علم انها
سالمة له لا يشاركه فيها غيره ولن يتمنوه ابدا بما قدمت ايديهم من موجبات النار كالكفر بمحمد والقرآن وتحريف التوراة و
لما كانت اليد العاملة مختصة بالانسان آلة لقدرته بها عامة
صنايعه ومنها اكثر منافعه عبر بها عن النفس تارة والقدرة
اخرى وهذه الجملة اخبار بالغيب وكان كما اخبر لانهم لو

تمنوا

تمنوا النقل واشتهر فان التمني ليس من عمل القلب ليخفى بل هو
ان يقول ليست كذا وان كان بالقلب لقالوا تمنينا وعن النبي
ع لو تمنوا الموت لغص كل انسان بريقه فمات مكانه وما
بقي على وجه الارض يهودي والله عليم بالظالمين تهديد لهم
وتنبيه على انهم ظالمون في دعوى ما ليس لهم ونفيه عمن
هو لهم ولتجدنهم احرص الناس على حيوة من وجد بعقله
الجاري مجرى علم ومفعوله اه وهم احرص وتنكير حيوة لانه
اريد فرد من افرادها وهي الحيوة المتطاولة وقرئ بالالف و
من الذين اشركوا محمول على المعنى فكانه قال احرص من الناس و
من الذين اشركوا وافرادهم بالذكر للمبالغة فان حرصهم شديد
اذ لم يعرفوا الا الحيوة العاجلة والزيادة في التوبيخ والتقريع فانه
لما اراد حرصهم وهم مقرون بالجزاء على حرص المنكرين دل ذلك
على علمهم بانهم صائرون الى النار ويجوز ان يراد ولاحرص
من الذين اشركوا فحذف لدلالة الاول عليه وان يكون خبر
مبتداء محذوف وصفته يود احدهم على انه اريد بالذين اشركوا
اليهود لانهم قالوا عزير ابن الله اي ومنهم ناس يود احدهم
وهو على الاولين بيان لزيادة حرصهم على طريف الاستيناف
لو يعمر الف سنة حكاية لود اداتهم ولو بمعنى ليت وكان ا
صله لو اعمر فاجرى على الغيبة لقوله يود كقولك حلف بالله
ليفعلن وما هو بمزحزحه من العذاب ان يعمر الضمير لاحد
هم وان يعمر فاعل مزحزحه اي وما احدهم ممن يزحزحه من
النار تعميره او لما دل عليه يعمر وان يعمر بدل منه او مبتدا و
ان يعمر موضحة واصل سنة سنوة لقولهم سنوات وقيل
سنهة كجبهة لقولهم سانهته وتسنهت النخلة اذا
اتت عليها السنون والزحزحة التبعيد والله بصير بما يعملون

فيجازيهم قل من كان عدوا لجبريل نزل في عبد الله بن صوريا
يسئال رسول الله ﷺ عمن ينزل عليه فقال جبرائيل فقال ذلك
عدونا عادنا مرارا واشدها انه انزل على نبينا ان بيت المقدس
سيخرب بيخت نصر فبعثنا من يقتله فراد ببابل فدفع عنه
جبرائيل وقال ان كان ربكم امره بهلاكم فلا سلطكم عليه والا
فبم تقتلونه وقيل دخل عمر رضيه مدراس اليهود يوما
فسئالهم عن جبرائيل فقالوا ذاك عدونا يطلع محمدا على اسرارنا
وانه صاحب كل خسف وعذاب وميكائيل الخصب والسلام
فقال وما منعكم لنبيها من الله قالوا جبرائيل عن يمينه وميكائيل عن
يساره وبينهما عداوة فقال ليئن كانا كما تقولون فليسا بعدوين
ولا انتم اكفر من الحمير ومن كان عدوا احدهما فهو عدو الله لكه
ثم رجع عمر رضيه فوجد جبرائيل قد سبقه بالوحي فقال لهم لقد
وافقك ربك يا عمر وفي جبرائيل ثماني لغات قراءة بن ست اربع
في المشهورة جبرائيل كسلسبيل قراءة حمزة والكسائي وجبريل
بكسر الراء وحذف الهمزة قراءة ابن كثير وجبرال كحبرئل قراءة
عاصم برواية ابي بكر وجبريل كقنديل قراءة الباقون واربع
في الشواذ جبرائيل وجبرئيل وجبرين ومنع صرفه للعجمة و
التعريف وقيل معناه عبد الله فانه نزله البارز للاول الجبريل
والثاني للقران واضماره غير مذكور يدل على فخامة شانه كانه
لتعينه وفرط شهرته لم يحتج الى سبق ذكره على قلبك فانه القابل
الاول للوحي ومحل الفهم والحفظ وكان حقه على قلبي لكنه جاء
على حكاية كلام الله كانه قال قل ما تكلمت به باذن الله بامره او
بتيسيره حال من فاعل نزل مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى
للمؤمنين احوال من مفعوله والظاهر انه جواب الشرط فانه
نزله والمعنى من عادى منهم جبرائيل فقد خلع ربقة الانصاف

اوكفر

او كفر بما معه من الكتاب بمعاداته اياه لنزوله عليك بالوحي لانه
نزل مصدقا للكتب المقدمة فحذف الجواب واقيم علته مقامه
او من عاداه فالسبب في عداوته انه نزل مصدقا للكتب المقدمة
فحذف الجواب عليه مقامه انه نزل عليك وقيل بحذوف مثل
فليمت غيظا او فهو عدو لي وانا عدوه كما قال من كان
عدوا لله وملائكته وكتبه ورسله وجبريل وميكائيل
فان الله عدو للكافرين اراد بعداوة الله مخالفته عنادا
او معاداة المقربين من عباده وصدر الكلام بذكره تفخيما
لشانهم كقوله والله ورسوله احق ان يرضوه وافرد
الملكان بالذكر لفضلهما كانهما من جنس آخر والتنبيه
على ان معاداة الواحد والكل سواء في الكفر واستجلاب
العداوة من الله لكه وان من عادى احدهم فكانه عادى
الجميع اذ الموجب لمحبتهم وعداوتهم على الحقيقة واحد
ولان المحاجة كانت فيهما ووضع الظاهر موضع المضمر للدلا
على انه كه عاداهم لكفرهم وان عداوة الملائكة والرسل كفر
كميعاد وقراء نافع ميكائل كميكاعل وابو عمرو ويعقوب و
عاصم ميكال كميعاد وقرئ ميكيل وميكئيل وميكائيل ولقد انزلنا
اليك آيات بينات وما يكفر بها الا الفاسقون اي متمردون
من الكفرة والفسق اذا استعمل في نوع من المعاصي دل على
اعظمه كانه متجاوز عن حده ونزل في ابن صوريا حين
قال لرسول الله ﷺ ما جئتنا بشيء نعرفه وما انزل عليك من
آية فنتبعك او كلما عاهد واعهد الهمزة للانكار والواو
للعطف على محذوف تقديره اكفروا بالايات وكلما عاهدوا
وقرئ بسكون الواو على ان التقدير الا الذين فسقوا او
كلما عاهدوا وقرئ عوهدوا وعهدوا انبذه فريق منهم نقضه

لته

واصل النبذ الطرح لكنه يغلب فيما يبنى وانما قال فريق لان
بعضهم لم ينقض بل اكثرهم لا يؤمنون رد لما يتوهم ان الفريق
منهم الاقلون او ان من لم ينبذ جهارا فهم يؤمنون به
خفاء ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم كعيسى
ومحمد عليهما السلام نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب كتاب
الله يعنى التورية لان كفرهم بالرسول المصدق لها كفر بها
فيما يصدقه ونبذ لما فيها من وجوب الايمان بالرسل المؤيدين
بالآيات وقيل ما مع الرسول وهو القران وراء ظهورهم
مثل للاعراض عنه رأسا بالاعراض عما يرى به وراء الظهر
لعدم الالتفات اليه كانهم لا يعلمون انه كتاب الله يعنى ان علمهم
به رصين ولكن يتجاهلون عنادا واعلم انه تعالى دل بالآيتين على
ان جل اليهود اربع فريق فرقة آمنوا بالتورية وقاموا بحقوقها
كمؤمنى اهل الكتاب وهم الاقلون المدلول عليهم بقوله بل اكثرهم
هم لا يؤمنون وفرقة جاهدوا بنبذ عهودها وتخطى حدودها
تمردا وفسوقا وهم المعنيون بقوله كلما عاهدوا عهدا فريق منهم و
فرقة لم يجاهدوا نبذها لجهلهم بها وهم الاكثرون وفرقة لم
تمسكوا بها هذا ظاهرا ونبذوها حقيقة عالمين بالحال بغيا وعنادا
وهم المتجاهلون واتبعوا ما تتلوا الشياطين عطف على نبذ اى
نبذوا كتاب الله واتبعوا كتب السحر التى يقرؤها او تتبعها الشياطين
من الجن والانس او منهما على ملك سليمان اى عهده وتتلو حكاية
حال ماضية قيل كانوا يستمعون السمع ويضمون الى ما سمعوا اكاذيب
ويلقونها الى الكهنة وهم يدونونها ويعلمون الناس و
فشا ذلك فى عهد سليمان حتى قيل ان الجن يعلم الغيب وان ملك سليمان
تم بهذا العلم وانه يسخر الانس والجن والريح له وما كفر سليمان
تكذيب لمن زعم ذلك وعبر عن السحر بالكفر ليدل على انه

كفر

كفر وان من كان نبيا كان معصوما ولكن الشياطين كفروا باستعماله
وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى ولكن بالتخفيف ورفع الشياطين
يعلمون الناس السحر اغواء واضلالا والجملة حال عن الضمير والمراد
بالسحر ما يستعان فى تحصيله بالتقرب الشيطان مما لا يستقل به الا
نسان وذلك لا يستتب الا لمن يناسبه فى الشرارة وخبث النفس
فان التناسب شرط فى التضام والتعاون وبهذا تميز الساحر
عن النبى والولى واما ما يتعجب منه كما يفعله اصحاب الحيل
بمعونة الآلات والادوية او يريه صاحب خفة يد ففن مذموم
وتسميته سحرا على التجوز ولما فيه من الدقة لانه فى الاصل لما
خفى سببه وما انزل على الملكين عطف على السحر والمراد بهما واحد
والعطف لتغاير الاعتبار او به نوع اقوى منه او على ما تتلوا
وهما ملكان انزلا لتعليم السحر ابتلاء من الله كما ونميز ابينه وبين
المعجزة وما روى انهما مثلا بشرين وركب فيهما الشهوة كما
فتعرضا لامر يقال لهما زهرة فحملتهما على المعاصى والشرك ثم صعدت
الى السماء بما تعلمت منهما فمحكى عن اليهود ولعله من اموه الاقاتل
وحله لا يخفى على ذوى البصائر وقيل رجلان سميا ملكين باعتبار
صلاحهما ويؤيده قراءة الملكين بالكسر وقيل ما انزل نفى معطوف
على ما كفر تكذيب لليهود فى هذه القصة ببابل ظرف او حال من
الملكين او الضمير فى انزل والمشهور انه بلدة من سواد الكوفة
هاروت وماروت عطف بيان للملكين وفتح صرفهما للعجمة والعلمية
ولو كانا من الرهرت والمرت بمعنى الكسر لانصرفا ومن جعل ما نافية
ابدلهما من الشياطين بدل البعض وما بينهما اعتراض وقرئ با
لرفع على هما هاروت وماروت وما يعلمان من احد حتى يقولا انما
نحن فتنة فلا تكفر فعناه على الاول وما يعلمان احدا حتى ينصحاه
ويقولا له انما نحن ابتلاء من الله فمن تعلم منا وعمل به كفر ومن تعلم

وتوفى عمله ثبت على الايمان فلا تكفر باعتقاد جوازه والعمل به وفيه
دليل على ان تعلم السحر وما لا يجوز اتباعه غير محظور وانما المنع
من اتباعه والعمل به وعلى المثانى ما يعلمانه حتى يقولا انا مفتونان
فلا تكفر مثلنا فيتعلمون منهما الضمير لما دل عليه من احد ما يفرقون
به بين المرء وزوجه اى من السحر ما يكون بسبب تفريقهما وما هم
بضارين به من احد الا باذن الله لانه وغيره من الاسباب غير مؤثرة
بالذات بل امر الله كه وجعله وقرئ بضارى على الاضافة الى احد
وجعل الجار جزاء منه والفصل بالظرف ويتعلمون ما يضرهم لانهم
يقصدون به العمل او لان العلم يجر الى العمل غالبا ولا ينفعهم اذ
بحد العلم به غير مقصود ولا نافع فى الدارين وفيه ان التحرز
عنه افط ولقد علموا اليهود لمن اشتراه اى استبدل ما تتلوا
الشياطين بكتاب الله والاظهر ان اللام لام الابتداء علقت علما
عن العمل ما له فى الآخرة من خلاق نصيب ولبئس ما شروا به انفسهم
يحتمل المعنيين على ما مر لو كانوا يعلمون يتفكرون فيه او يعلمون
قبحه على المتقين او حقيقة ما يشبعه من العذاب والمثبت لهم اولا
على التوكيد القسمى العقل العزيزى او العلم الاجمالى بقبح الفعل
او ترتب العقاب من غير تحقيق وقيل نعيا عليهم لو كانوا يعملون
بعلمهم فان من لم يعمل بما علم فهو كمن لم يعلم ولو انهم آمنوا
بالرسول والكتاب واتقوا بترك المعاصى كنبذ كتاب الله واتباع
السحر لمثوبة من عند الله خير جواب لو واصله لاثيبوا مثوبة
من الله خير مما شروا به انفسهم فحذف الفعل وركب الباقى جملة
اسمية ليدل على ثبات المثوبة والجزم بخيريتها وحذف المفضل
عليه اجلالا للمفضل من ان ينسب اليه وتنكير المثوبة لان المعنى
لشئ من الثواب خير وقيل لو للتمنى ولمثوبة كلام مبتدا وهو
قرئ لمثوبة كمشورة وانما سمى الجزاء ثوابا ومثوبة لان المحسن

يثوب اليه لو كانوا يعلمون ان ثواب الله خير جهلهم
لترك التدبر والعمل بالعلم يا ايها الذين آمنوا لا تقولوا
راعنا وقولوا انظرنا الرعى حفظ الغير لمصلحته وكانوا
المسلمون يقولون للرسول راعنا اى راقبنا وتأن بنا
فيما تلقينا حتى نفهمه وسمعه اليهود فافترصوه وخاطبوا
به مريدين نسبة الى الرعن او لسبه بالكلمة العبرانية التى
كانوا يتسابون بها وهى راعينا فنهى المؤمنون عنها وامروا
بما يفيد تلك الفائدة ولا يقبل التلبيس وهو انظرنا بمعنى
انظر الينا او انتظرنا من نظره اذا انتظره وقرئ انظرنا
من الانظار اى امهلنا لنحفظ وقرئ راعونا على لفظ
الجمع للتوقير وراعنا بالتنوين اى قولا ذا رعن نسبة الى
الرعن وهو الهوج لما شابه قولهم راعينا وتسبب للسبب
واسمعوا واحسنوا الاستماع حتى تفتقروا الى طلب المراعات
او اسمعوا سماع قبول لا كسماع اليهود او اسمعوا ما امرتم
به بجد حتى لا تعودوا الى ما نهيتم عنه وللكافرين عذاب اليم
يعنى الذين تهاونوا بالرسول وسبوه ما يود الذين كفروا
من اهل الكتاب ولا المشركين نزلت تكذيبا لجمع اليهود هم
يظهرون مودة المؤمنين ويزعمون انهم يودون لهم الخير
والود محبة الشئ مع تمنيه ولذلك يستعمل فى كل منهما ومن للس
للتبيين كما فى قوله كه لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب ان
ينزل عليكم من خير من ربكم مفعول يود من الاولى مزيد
للاستغراق والثانية للابتداء وفسر الخير بالوحى والمعنى
انهم يحسدونكم به وما يحبون ان ينزل عليكم بشئ منه و
بالعلم وبالنصرة ولعل المراد به ما يعم ذلك والله يختص برحمته
من يشاء يستنبئ ويعلمه الحكمة وينصره لا يجب عليه شئ وليس

لاحد عليه حقّ والله ذو الفضل العظيم اشعار بانّ النبوة من
الفضل وانّ حرمان بعض عباده ليس لضيق الفضل بل لمشيته وما
عرف فيه من حكمته ما ننسخ من آية او ننسها نزلت لما قال المشركون
او اليهود الا ترون الى محمد يأمر اصحابه بامر ثمّ ينهاهم عنه ويأمر
بخلافه والنسخ في اللغة ازالة الصورة عن الشيء واثباتها في غيره
كنسخ الظلّ الشمس والنقل منه التناسخ ثمّ استعمل لكلّ واحد منهما
كقولك نسخت الريح الاثر ونسخت الكتاب ونسخ الآية بيان
انتهاء التعبد بقراءتها او الحكم المستفاد منها او بهما جميعا وانسأوها
اذهابها عن القلوب وما شرطية جازمة لننسخ منتصبة به على المفعولية
وقراء ابن عامر ننسخ من انسخ اى نأمرك او جبرائيل بنسخها او نجدها
منسوخة وابن كثير وابو عمرو ننسأها نؤخرها من النساء وقرئ
ننسئها اى ننسئ احدا اياها وتنسها اى انت وتنسها على البناء للمفعول
ونُنسكها باظهار نات بخير منها او مثلها اى بما هو خير للعباد في
النفع والثواب ومثلها في الثواب وقراء ابو عمرو بقلب الهمزة الفا
الم تعلم انّ الله على كلّ شيء قدير فيقدر على النسخ والاتيان بمثل المنسوخ
بما هو خير منه والآية دلّت على جواز النسخ وتأخير الانزال اذا لا
صل اختصاص ان وما يتضمنها بالامور المتحملة وذلك لانّ الاحكام
شرعت والآيات نزلت لمصالح العباد وتكميل نفوسهم فضلا
من الله ورحمة وذلك يختلف الاعصار والاشخاص كاسباب
المعاش فانّ النافع في عصر قد يضرّ في غيره واحتجّ بها من
منع النسخ بالابدال او ابدل انقل ونسخ الكتاب بالسنّة فانّ
الناسخ هو المأتي به بدلا والسنّة ليس كذلك والكلّ ضعيف
اذ قد يكون عدم الحكم او الانقل اصلح والنسخ قد يعرف بغيره
والسنّة ممّا اتى به الله وليس المراد بالخير والمثل ما يكون كذلك
في اللفظ والمعنزلة على حدوث القران فانّ التغيّر والتفاوت

من لوازمه واجيب بانّهما من عوارض الامور المتعلّقة با
لمعنى القائم بالذات القديم الم تعلم خطاب للنبيّ ع م والمراد
هو امّته لقوله ومالكم وانّما افرده لانّه اعلمهم ومبداء علمهم
انّ الله له ملك السموات والارض يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد
وهو كالدليل على قوله انّ الله على كلّ شيء قدير وعلى جواز
النسخ ولذلك ترك العاطف ومالكم من دون الله من ولىّ
ولا نصير وانّما هو الّذي يملك امركم ويجريها على ما يصلح
كم والفرق بين الولىّ والنصير انّ الولىّ يضعف عن
النصرة والنصير قد يكون اجنبيّا عن المنصور ام تريدون
ان تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل ام معادلة الا
الهمزة في الم تعلم اى الم تعلموا انّه مالك الامور قادر
على الاشياء كلّها يأمر وينهى كما اراد ام تعلمون وتقترحون
بالسؤال كما اقترحت اليهود على موسى ع م او منقطعة و
المراد ان يوصّيهم بالثقة به وترك الاقتراح عليه قيل نزلت
في اهل الكتاب حين سألوا ان ينزّل الله عليهم كتابا من السماء
وقيل في المشركين لمّا قالوا لن نؤمن لرقيك حتّى تنزل علينا كتابا
نقرأه ومن يتبدّل الكفر بالايمان فقد ضلّ سواء السبيل ومن
ترك الثقة بالآيات البيّنة وشكّ فيها واقترح غيرها فقد
ضلّ الطريق المستقيم حتّى وقع في الكفر بعد الايمان ومعنى الآية
لا تقترحوا فتضلّوا وسط السبيل ويؤدّي بكم الضلال الى البعد
عن المقصد وتبديل الكفر بالايمان وقرئ يبدل من ابدل وود
كثير من اهل الكتاب يعني احبارهم لو يردّونكم ان يردّوكم فانّ
لو تنوب عن ان في المعنى دون اللفظ من بعد ايمانكم كفّارا حال
مرتدّين وهو حال من ضمير المخاطبين حسدا علّة ودّ من انفسهم
يجوز ان يتعلّق بودّ اى تمنّوا ذلك من عند انفسهم وتشتهيه

لامن قبل التدين والميل مع الحق او بحسدا بالغا منبعثا من صل
نفوسهم من بعد ما تبين لهم الحق بالمعجزات والتعوت المذكورة
في التورية واعفوا واصفحوا العفو ترك عقوبة المذنب والصفح
ترك تثريبه حتى يأتي الله بامره الذي هو الاذن في قتالهم
وضرب الجزية عليهم او قتل قريظة واجلاء بني النضير وعن
ابن عباس رضيه انه منسوخ باية السيف وفيه نظر اذ الامر غير
المطلق ان الله على كل شئ قدير فيقدر على الانتقام منهم واقيموا
الصلوة واتوا الزكوة عطف على فاعفوا كانه امرهم بالصبر و
المخالقة والالجاء الى الله بالعبادة والبر وما تقدموا لانفسكم من
خير كصلوة او صدقة وقرئ تقدموا من اقدم تجدوه عند
الله اي ثوابه ان الله بما تعملون بصير لا يضيع عنده عمل وقرئ
بالياء فيكون وعيدا وقالوا عطف على الضمير لاهل الكتاب من
اليهود والنصارى لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى
لف بين قولي الفريقين كما في قوله وقالوا كونوا هودا او نصارى
تفة بفهم السامع وهود جمع هاد كعائذ وعوذ وتوحيد الا
سم المضمر وجمع الخبر لاعتبار اللفظ والمعنى تلك امانيهم اشارة
الى الامانى المذكورة وهي ان لا ينزل على المؤمنين خير من ربهم
وان يردوهم كفارا وان لا يدخل الجنة غيرهم او الى ما في الآية
على حذف المضاف اى امثال تلك الامنية امانيهم والجملة اعتراض
والامنية اُفعولة من التمني كالاضحوكة والاعجوبة قل هاتوا
برهانكم على اختصاصكم بدخول الجنة ان كنتم صادقين في دعواكم
فان كل قول لا دليل عليه غير ثابت بلى اثبات لما نفوه من
دخول غيرهم الجنة من اسلم وجهه لله اخلص له نفسه او قصد
واصله العضو وهو محسن في عمله فله اجره الذي وعد له
على عمله عند ربه ثابتا عنده لا يضيع ولا ينقص والجملة جواب

من

من ان كانت شرطية وخبرها ان كانت موصولة والفاء فيها لتضمنها
معنى الشرط فيكون الرد بقوله بلى وحده ويحسن الوقف عليه ويجوز
ان يكون من اسلم فاعل فعل مقدر مثل بلى يدخلها من اسلم ولا خوف
عليهم ولا هم يحزنون في الآخرة وقالت اليهود ليست النصارى
على شئ وقالت النصارى ليست اليهود على شئ اى امر يصح و
يعتد به نزلت لما قدم وفد نجران على رسول الله ﷺ فاتاهم
احبار اليهود فتناظروا وتناولوا بذلك وهم يتلون الكتاب
الواو للحال والكتاب للجنس اى قالوا ذلك وهم من اهل العلم
والكتاب كذلك مثل ذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم كعبدة
الاصنام والمعطلة وبخهم على المكابرة والتشبه بالجهال فان قيل
لم وبخهم وقد صدقوا فان كلا الدينين بعد النسخ ليس بشئ
قلت لم يقصدوا ذلك وانما قصد به كل فريق ابطال دين الآخر
من اصله والكفر بنبيه وكتابه مع ان ما لم ينسخ منهما حق واجب
القبول والعمل به فالله يحكم بينهم بين الفريقين يوم
القيمة فيما كانوا فيه يختلفون بما يفسم لكل فريق ما يليق به
من العقاب وقيل حكمه بينهم ان يكذبهم ويدخلهم النار ومن اظلم
ممن منع مساجد الله عام لكل من خرب مسجدا او سعى في تعطيل مكا
ن مر نسخ للصلوة وان نزل في الروم لما غزوا بيت المقدس و
خل خربوه وقتلوا اهله او المشركين لما منعوا رسول الله ﷺ ان يد
المسجد الحرام عام الحديبية ان يذكر فيها اسمه تالى مفعولى منع و
سعى في خرابها بالهدم او التعطيل اولئك اى المانعون ما كان لهم
ان يدخلوها الا خائفين ما كان ينبغي لهم ان يدخلوها الا
الخشية وخشوع فضلا ان يجترؤا على تخريبها او ما كان الحق
ان يدخلوها الا خائفين من المؤمنين ان يبطشوا بهم فضلا
ان يمنعوهم منها او ما كان لهم في علم الله وقضائه فيكون وعدا

المؤمنين بالنصرة واستخلاص المساجد منهم وقد انجز
وعده وقيل معناه النهي عن تمكينهم من الدخول في المسجد
واختلف الائمة فيه فجوّز ابو حنيفة ومنع مالك وفرق الشافعي
بين المسجد الحرام وغيره لهم في الدنيا خزي قتل وسبي او
ذلة بضرب الجزية ولهم في الآخرة عذاب عظيم بكفرهم وظلمهم
ولله المشرق والمغرب يريد بهما ناحية الارض اي له الارض
كلها لا يختص به مكان دون مكان فان منعتم ان تصلوا في المسجد
الحرام او الاقصى فقد جعلت لكم الارض مسجدا فاينما تولوا في
اي مكان فعلتم التولية شطر القبلة فثم وجه الله اي جهة التي
امر بها فان امكان التولية لا يختص بمسجد او مكان او فثم ذاته
اي عالم مطلع بما يفعل فيه ان الله واسع بالاحاطة بالاشياء او
بالرحمة يريد التوسعة على عباده عليم بمصالحهم واعمالهم في
اماكنها وعن ابن عمر انها نزلت في صلوة المسافرين على الراحلة
وقيل في قوم عميت عليهم القبلة فصلوا الى اتجاه مختلفة فلما اصبحوا
تبينوا خطأهم وعلى هذا لو اخطأ المجتهد ثم تبين له الخطأ لم يلزمه
التدارك وقيل هي توطئة لنسخ القبلة وتنزيه للمعبود ان يكون في
حيز وجهة وقالوا اتخذ الله ولدا نزلت لما قال اليهود عزير ابن
الله والنصارى المسيح ابن الله والمشركوا العرب الملائكة بنات
الله وعطفه على قالت اليهود او منع او مفهوم قوله ومن اظلم
وقرأ ابن عامر بغير واو وسبحانه تنزيه له عن ذلك فانه لا
يقتضي التشبيه والحاجة وسرعة الفناء الا ترى ان الاجرام العا
الفلكية مع امكانها وفنائها لما كانت باقية ما دام العالم لم تتخذ
ما يكون لها كالولد اتخاذ الحيوان والنبات اختيارا او طبعا
بل له ما في السموات والارض رد لما قالوه واستدلال على فساد
والمعنى انه خالق ما في السموات والارض الذي من جملة الملائكة او

عزير والمسيح كل له قانتون منقادون لا يمتنعون عن مشيته
وتكوينه وكل ما كان بهذه الصفة لم يجانس مكوّنه الواجب
لذاته فلا يكون له ولد لان من حق الولد ان يجانس والده
وانما جاء بما الذي لغير اولي العلم وقال قانتون على تغليب
اولي العلم تحقيرا لشانهم وتنوين كل عوض من المضاف اليه
اي كل ما فيهما ويجوز ان يراد كل من جعلوه ولدا له مطيعون
مقرون بالعبودية فيكون الزاما بعد اقامة الحجة والآية
مشعرة على فساد ما قالوه من ثلثة اوجه واحتج بها الفقهاء
على ان من ملك ولده عتق عليه لانه لما نفى الولد باثبات الملك
وذلك يقتضي تنافيهما بديع السموات والارض مبدعهما و
نظيره السميع في قوله ان ربي لسميع الدعاء السميع او بديع
سمواته وارضه من بدع فهو بديع وهو حجة رابعة وتقريرها
ان الولد عنصر الولد المنفعل بانفصال مادته عنه والله سبحانه
مبدع الاشياء كلها فاعل على الاطلاق منزه عن الانفعال فلا
يكون والدا والابداع اختراع الشيء لا عن شيء دفعة وهو
اليق بهذا الموضع من الصنع الذي هو تركيب الصورة بالعنصر
والتكوين الذي يكون بتغيير وفي زمان غالبا وقرئ بديع
مجرورا على البدل من الضمير في قوله ومنصوبا على المدح
واذا قضى امرا اي اراد شيئا واصل القضاء اتمام الشيء قولا
او فعلا كقوله تعالى وقضى ربك او فعلا كقوله تعالى فقضاهن
سبع سموات واطلق على تعلق الارادة الالهية لوجود الشيء
من حيث انه يوجبه فانما يقول له كن فيكون من كان التامة
اي احدث فيحدث اوليس المراد به حقيقة امر امتثال بل
تمثيل حصول ما تعلقت به ارادته بلا مهلة بطاعة المأمور
المطيع بلا توقف وفيه تقرير لمعنى الابتداع وايماء الى الحجة

خامسة وهو ان اتخاذ الولد مما يكون باطوار ومهلة و
فعله تعالى يستغنى عن ذلك وقراء ابن عامر فيكون بنصب النون
واعلم ان السبب فى هذه الضلالة ان ارباب الشرايع المتقدمة
كانوا يطلقون الاب على الله تعالى باعتبار انه السبب الاول
حتى قالوا ان الاب هو الرب الاصغر والله سبحانه وتعالى
هو الرب الاكبر ثم ظنت الجهلة منهم ان المراد به معنى الوالد
ة فاعتقدوا ذلك تقليدا ولذلك كفر قائله ومنع منه مطلقا
حسما لمادة الفساد وقال الذين لا يعلمون اى جهلة المشركين
او المجاهلون من اهل الكتاب لو لا يكلمنا الله هلا يكلمنا كما
يكلم الملائكة او يوحى الينا بانك رسوله او تأتينا آية حجة
على صدقك والاول استكبار والثانى جحود بان ما اتاهم
آيات استهانة به وعنادا كذلك قال الذين من قبلهم من الامم
الماضية مثل قولهم فقالوا ارنا الله جهرة هل يستطيع ربك
ان ينزل علينا مائدة من السماء تشابهت قلوبهم قلوب
هؤلاء ومن قبلهم فى العمى والعناد وقرئ بشديد الشين
قد بينا الآيات لقوم يوقنون اى يطلبون اليقين او يوقنون
الحقايق لا يعترضهم شبهة ولا عناد وفيه اشارة الى انهم ما قالوا
ذلك لخفاء فى الآيات او لطلب مزيد يقين وانما قالوه عتوا
وعنادا انا ارسلناك بالحق ملتبسا مؤيدا به بشيرا ونذيرا
فلا عليك ان اصروا وكابروا ولا تسئل عن اصحاب الجحيم ما لهم
لم يؤمنوا بعد ان بلغت وقراء نافع ويعقوب لا تسئل على انه نهى
للرسول عن السؤال عن حال ابويه او تعظيم لعقوبة الكفار كانها
لفظاعتها لا يقدر ان تخبر عنها او السامع لا يصبر على استماع خبرها
فنهاه عن السؤال والجحيم المتأجج من النار ولن ترضى عنك اليهود
ولا النصارى حتى تتبع ملتهم مبالغة فى اقناط الرسول على اسلامهم

فانهم اذا لم يرضوا عنه حتى يتبع ملتهم فكيف يتبعون ملته و
لعلهم قالوا مثل ذلك فحكى الله عنهم ولذلك قال قل تعليما للجواب
ان هدى الله هو الهدى اى هدى الله الذى هو الاسلام هو
الهدى الى الحق لا ما تدعون اليه ولئن اتبعت اهواءهم ارادهم
الزايغة والملة ما شرعه الله لعباده على لسان انبيائه من املت
الكتاب اذا املته والهوى اى يتبع الشهوة بعد الذى جاءك
من العلم اى الوحى والدين المعلوم صحته ما لك من الله من ولى
ولا نصير يدفع عنك اعقابه وهو جواب لئن الذين آتيناهم
الكتاب يريد به مؤمنى اهل الكتاب يتلونه حق تلاوته بمراعاة
اللفظ عن التحريف والتدبر فى معناه والعمل بمقتضاه وهو حال
مقدرة والخبر ما بعده او خبر على ان المراد بالموصول مؤمنوا
اهل الكتاب اولئك يؤمنون به بكتابهم دون المحرفين و
من يكفر به بالتحريف والكفر بما يصدقه فاولئك هم الخاسرون
حيث اشتروا الكفر بالايمان يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى انعمت
عليكم وانى فضلتكم على العالمين واتقوا يوما لا تجزى نفس عن
نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم
ينصرون لما صدر قصتهم بالامر بذكر النعم والقيام بحقوقها
والحذر عن اضاعتها والخوف عن الشناعة واهوالها كرر فى
ذلك وختم به الكلام معهم مبالغة فى النصح وايذانا بانه فذلكة
القصة والمقصود من القصة واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات
كلفه باوامر ونواه والابتلاء فى الاصل التكليف بالامر الشاق
من البلاء لكنه لما استلزم الاختيار بالنسبة الى من يجهل العواقب
ظن ترادفهما والضمير لابراهيم وحسن لتقدمه لفظا وان
تاخر رتبة لان الشرط احد التقدمين والكلمات قد تطلق
على المعانى فلذلك فسرت بالخصال الثلثين المحمودة فى قوله تعالى

الصابئين العابدون وقوله ان المسلمين الى آخر الآيتين وقوله
قد افلح المؤمنون الى قوله اولئك هم الوارثون كما فسرت بها
فى قوله كه فتلقى آدم من ربه كلمات وبالعشر التى هى من سنة
وبمناسك الحج وبالكواكب والقمرين وذبح الولد والنار
والهجرة على انه كه عامله بها معاملة المختبر بهن وبما
تضمنه الآيات التى بعدها وقرئ ابراهيم ربه على انه دعا
ربه بكلمات مثل ارنى كيف تحيى الموتى اجعل هذا البلد آمنا
ليرى هل يجيبه وقرأ هشام ابراهام بالالف جميع ما فى هذه
السورة وفى النساء ثلثة احرف وهى الاخيرة وفى الانعام
الحرف الاخير وفى التوبة الحرفان الاخيران وفى ابراهيم
حرف وفى النحل حرفان وفى مريم ثلثة احرف وفى العنكبوت
حرف وفى الذاريات حرف وفى النجم حرف وفى المرتجلة الحرف
الاول فذلك ثلثة وثلثون حرفا وقرأ ابن ذكوان فى البقرة
خاصة بالوجهين ابن براهام فاتمهن فاذا هن كملا وقام بهن
حق القيام لقوله كه وابراهيم الذى وفى وفى الاخيرة الضمير
لربه اى اعطاه جميع ما دعاه قال انى جاعلك للناس اماما
استيناف ان اضمرت ناصب اذ كانه قيل فما ذا قال له ربه
حين اتمهن فاجيب بذلك او بيان لقوله ابتلى فيكون الكلمات
ما ذكره من الامامة وتطهير البيت ورفع قواعده والاسلام
وان نصبته بقال فالمجموع جملة معطوفة على ما قبلها وجاعل
من جعل الذى له مفعولان والامام اسم من يؤتم به وامامته
عامة موبدة اذ لم يبعث بعده نبى الا كان من ذريته مأمورا
باتباعه قال ومن ذريتى عطف على الكاف اى وبعض ذريتى
كما تقول وزيدا فى جواب ساكر مك والذرية نسل الرجل
فعيلة او فعولة قلبت راءها الثانية ياء كما فى تقضيت من

الذر

الذر بمعنى التفريق او فعولة او فعيلة قلبت همزتها ياء
من الذرء بمعنى الخلق وقرئ ذرياتى بالكسر وهى لغة قال
لا ينال عهدى الظالمين اجابة الى ملتمسه وتنبيه على انه قد
يكون من ذريته ظلمة وانهم لا ينالون الامامة لانها امانة
من الله كه وعهده والظالم لا يصلح لها وانما ينالها البررة
الاتقياء منهم وفيه دليل على عصمة الانبياء من الكبائر قبل البعثة
وان الفاسق لا يصلح للامامة وقرئ الظالمون والمعنى واحد
اذ كل ما نالك فقد نلته وواذ جعلنا البيت اى الكعبة غلب عليها
كالنجم على الثريا مثابة للناس مرجعا يثوب اليه اعيان الذ
او امثالهم او موضع ثواب يثابون بحجه واعتماده وقرئ
مثابات لانه مثابة كل احد وامنا موضع امن لا يتعرض لاهله
كقوله كه حرما آمنا ويخطف الناس من حولهم او يأمن
حاجه من عذاب الآخرة من حيث ان الحج يجب ما قبله او
لا يواخذ الجانى الملتجئ اليه حتى يخرج وهو مذهب ابيح
واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى على ارادة القول او عطف
على المقدر عاملا لاذ او اعتراض معطوف على مضمر تقديره
ثوبوا اليه واتخذوا واعلى ان الخطاب لامة محمد ع وهو امر
استحباب ومقام ابراهيم الحجر الذى فيه اثر قدميه او الموضع
الذى كان فيه حين قام عليه ودعا الناس الى الحج او رفع بناء
البيت حين قام وهو موضعه اليوم روى انه ع اخذ بيد
عمر فقال هذا مقام ابراهيم فقال عمر افلا نتخذه مصلى فقال
لم اومر بذلك فلم تغب الشمس حتى نزلت وقيل المراد
به الامر بركعتى الطواف لما روى جابر انه ع لما فرغ من
طوافه عمد الى مقام ابراهيم فصلى خلفه ركعتين وقرئ واتخذوا
من مقام ابراهيم مصلى والشافعى فى وجوبهما قولان وقيل

قوا

مقام ابراهيم الحرم كله وقيل معالم الحج واتخاذها مصلى
ان يدعى فيها ويتقرب الى الله ك وقرأ نافع وابن عامر و
اتخذوا بلفظ الماضي عطفا على جعلنا اى واتخذ الناس مقام
الموسوم به يعنى الكعبة قبلة يصلون اليها وعهدنا الى ابراهيم
واسمعيل امرناهما ان طهرا بيتي بان طهرا ويجوز ان تكون
مفسرة لتضمن العهد عن القول يريد طهراه من الاوثان
والانجاس وما لا يليق به او اخلصاه للطائفين حوله و
العاكفين المقيمين عنده او المعتكفين والركع السجود اى
المصلين جمع راكع وساجد واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا
يريد البلد او المكان بلدا آمنا ذا امن كقوله فى عيشة راضية او
آمنا اهله كقولك ليل نائم وارزق اهله من الثمرات من آمن
منهم بالله واليوم الآخر ابدل من آمن من اهله بدل البعض
لتخصيص قال ومن كفر عطف على من آمن والمعنى وارزق
من كفر قاس ابراهيم الرزق على الامامة فنبه سبحانه وتعالى
ان الرزق رحمة دنيوية تعم المؤمن والكافر بخلاف الامامة و
التقدم فى الدين او مبتدأ تضمن معنى الشرط فامتعه قليلا اخبر
والكفر وان لم يكن سبب التمتع لكنه سبب تقليله بان يجعله
مقصورا بحظوظ الدنيا غير متوسل به الى نيل الثواب ولذلك
عطف عليه ثم اضطره الى عذاب النار اى الجئه اليه الجار المضطر
للكفر وتضييعه ما متعته به من النعم قليلا نصب على المصدر او الظرف
وقرئ بلفظ الامر فيهما على انه من دعاء ابراهيم وفى قال ضمير
وقرأ ابن عامر فأمتعه من امتع وقرئ ثم نضطره واضطره
بكسر الهمزة على لغة من يكسر حرف المضارعة فاطرهم بادغام
الضاد وهو ضعيف لان حروف ضم شغر يدغم فيها ما يجاورها
دون العكس وبئس المصير المخصوص بالذم محذوف وهو

العذاب واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت حكاية حال ماضية
والقواعد جمع قاعدة وهى الاساس صفة غالبة من القعود
بمعنى الثبات ولعله مجاز من المقابل للقيام ومنه قعد الله و
رفعها البناء عليها فانه ينقلها عن هيئة الانخفاض الى الهيئة
الارتفاع ويحتمل ان يراد بها ساقات البناء فان كل ساقة
قاعدة ما يوضع فوقه ويرفعها بناؤها وقيل المراد رفع مكا
واظهاره شرفه بتعظيمه ودعاء الناس الى حجه وفى ابهام الم
القواعد وتبيينها تفخيم لشانها واسمعيل كان يناوله الحجارة
ولكنه لما كان له مدخل فى البناء عطف عليه وقيل كانا
يبنيان فى طرفين او على التناوب ربنا تقبل منا اى يقولان
ربنا وقد قرئ به والجملة حال منهما انك انت السميع لدعائنا
العليم بنياتنا ربنا واجعلنا مسلمين لك مخلصين لك من اسلم
وجهه او مستسلمين من اسلم اذا استسلم وانقاد والمراد
طلب الزيادة فى الاخلاص والاذعان او الثبات عليه
وقرئ مسلمين لك على ان المراد انفسهما وهاجر وان التثنية
من مراتب الجمع ومن ذريتنا امة مسلمة لك اى واجعل بعض
ذريتنا وانما خصا الذرية بالدعاء لانهم احق بالشفقة
ولانهم اذا صلحوا صلح بهم الاتباع وخصا بعض لما اعلما
ان فى ذريتهما ظلمة وعلما ان الحكمة الالهية لا تقتضى الاتفا
على الاخلاص والاقبال للكل على الله ك فانه مما يشوش
المعاش ولذلك قيل لعالم الحق لجربت الدنيا وقيل اراد با
لامة امة محمد ع ويجوز ان يكون من للتبيين كقوله ك
وعد الله الذين آمنوا منكم قدم على المبين وفصل به بين العا
والمعطوف كما فى قوله ك خلق سبع سموات ومن الارض
مثلهن وارنا من رأى بعفا او عرف ولذلك لم يتجاوز

نته

ق

طف

مفعولين منا سكنا متعبدا تنا في الحج او مذابحنا والنسك في
الاصل غاية العبادة وشاع في الحج لما فيه من الكلفة والبعد
عن العادة وقراء ابن كثير ويعقوب ارنا قياسا على فخذه
فيه اجحاف لان الكسرة منقولة من الهمزة الساقطة دليل
عليها وقرئ الدوري عن ابي عمرو بالاختلاس وتب علينا
استيابة لذريتهما او عما فرط منهما سهوا ولعلهما قالا
هضما لانفسهما وارشاد الذريتهما انك انت التواب
الرحيم لمن تاب ربنا وابعث فيهم في الامة المسلمة رسولا
منهم ولم يبعث من ذريتهما غير محمد ص فهو المجاب به
دعوتهما كما قال عيسى ع انا دعوة ابي ابراهيم وبشرى
عيسى ورويا امي يتلو عليهم آياتك يقرأ عليهم ويبلغهم
ما يوحى اليه من دلائل التوحيد والنبوة ويعلمهم الكتاب
القران والحكمة ما يكمل به نفوسهم من المعارف والاحكام
ويزكيهم عن الشرك والمعاصي انك انت العزيز الذي لا
يقهر ولا يغلب على ما يريد الحكيم المحكم له ومن يرغب عن
ملة ابراهيم استبعاد وانكار لان يكون احد يرغب عن
ملته الواضحة الغراء اى لا يرغب احد عن ملته الا من سفه
نفسه الا من استهنها واذلها واستخف بها قال المبرد وتعلب
سفه بالكسر متعد وبالضم لازم ويشهد له ما جاء في الحديث
الكبر ان تسفه الحق وتغمص الناس وقيل اصله سفه نفسه
على الرفع فنصب على التمييز نحو غبن رايه والمراد سه وقعل
جرير وناخذ بعده بذناب عيشى اجب الظهر ليس له
سنام او سفه في نفسه فنصب بنزع الخافض والمستثنى في محل
الرفع على المختار بدلا من الضمير في يرغب لانه في معنى النفي
ولقد اصطفيناه في الدنيا وانه في الاخرة لمن الصالحين حجة

في نخذ صح

وبيان

وبيان لذلك فان من كان صفوة العباد في الدنيا مشهودا له
بالاستقامة والصلاح يوم القيمة كان حقيقيا بالاتباع لا يرغب
عنه الا سفيه او متفه اذل نفسه بالجهل والاعراض عن
النظر اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين ظرف
لاصطفيناه او تعليل له او منصوب باضمار اذكر كانه قيل
ذلك الوقت لتعلم انه المصطفى الصالح المستحق للامامة و
التقدم وانه نال امال بالمبادرة الى الاذعان واخلاص
النصحين دعاه ربه واخطر بباله دلائله المؤدية الى المعرفة
الداعية الى الاسلام روى انه لما نزلت لما دعا عبد الله بن
سلام ابن اخيه سلمة وسماه جرا الى الاسلام فاسلم سلمة و
ابى مهاجر ووصى بها ابراهيم بنيه التوصية هو التقدم الى
الغير بفعل فيه صلاح وقربة واصلها الوصلة يقال وصاه
اذا وصله وفصاه اذا فصله كان الموصى يصل فعله بفعل
الموصى والضمير في بها للملة او لقوله اسلمت او الجملة على تاويل
الكلمة وقراء ابن عامر اوصى والاول ابلغ ويعقوب عطف
على ابراهيم اى وصى هو ايضا بها بنيه وقرئ بالنصب على انه
ممن وصاه ابراهيم يا بني على اضمار القول عند البصريين متعلق
بوصى عند الكوفيين لانه نوع منه ونظيره رجلان من ضبة
اخبرانا انارئينا رجلا عريانا بالكسر وبنو ابراهيم كانوا اربعة
اسمعيل واسحق ومعرين ومدان وقيل ثمانية وقيل اربعة
عشر وبنو يعقوب اثنى عشر روبين واشمعون ولاوى ويهوذا
ويشسوخور وذبولون ودون ويفتعلى وكودا واوشير
وبنيامين ويوسف ان الله اصطفى لكم الدين دين الاسلام الذي
هو صفوة الاديان لقوله ص فلا تموتن الا وانتم مسلمون ظاهره
النهي عن الموت على خلاف حال الاسلام والمقصود هو النهي

عن ان يكونوا على تلك الحال اذ اماتوا والامر بالثبات على الاسلام
كقولك لاتصل الا وانت خاشع وتغيير العبارة للدلالة على ان
موتهم لا على الاسلام موت لاخير فيه وان من حقه ان لا يحل
لهم ونظيره في الامر مت وانت شهيد روى ان اليهود قالوا
لرسول الله ﷺ الست تعلم ان يعقوب اوصى بنيه باليهودية
يوم مات فنزلت ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت ام
منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار اى ما كنتم حاضرين اذ حضر يعقوب
الموت وقال لبنيه ما قال فلم تدعوا اليهودية عليه او متصلة
بمحذوف في تقديره ان كنتم غائبين ام كنتم شهداء وقيل الخطاب
للمؤمنين والمعنى ما شهدتم ذلك وانما علمتموه من الوحي و
قرئ حضر بالكسر اذ قال لبنيه بدل من اذ حضر ما تعبدون
من بعدي اى شيء تعبدونه اراد به تقريرهم على التوحيد
والاسلام واخذ ميثاقهم على الثبات عليهما وما يسئل به
عن كل شيء ما لم يعرف فاذا عرف خص العقلاء بمن اذا سئل عن
تعيينه ما زيدا فقيه ام طبيب قالوا نعبد الهك واله آبائك
ابراهيم واسمعيل واسحق المتفق على وجوده والوهيته و
وجوب عبادته وعد اسمعيل من آبائه تغليبا للاب والجد
او لانه كالاب لقوله ﷺ عم الرجل صنو ابيه كما قال في العباس
رضي هذا بقية آبائي وقرئ اله ابيك على انه جمع بالواو والنون
كما قال ولما تبين اصواتنا بكين وفدينا بالابينا او مفرد
وحده عطف بيان الها واحدا بدل من اله آبائك كقوله
بالناصية ناصية كاذبة وفائدته التصريح بالتوحيد ونفي التوهم
الناشئ من تكرير المضاف لتعذر العطف على المجرور والتأكيد
او نصب على الاختصاص ونحن له مسلمون حال من فاعل نعبد
او مفعوله او منهما ويحتمل ان يكون اعتراضا تلك امة قد خلت يعني

ابراهيم ويعقوب وبنوهما والامة في الاصل المقصود وسمي بها
الجماعة لان الفرق تؤمها لها ما كسبت ولكم ما كسبتم لكل اجر عمله
والمعنى ان انتسابكم اليهم لا يوجب انتفاعكم باعمالهم وانما
تنتفعون بموافقتهم وباتباعهم كما قال ﷺ يا بني الناس
باعمالهم وتأتون بانسابكم ولا تسئلون عما كانوا يعملون
ولا تؤاخذون بسيئاتهم كما لا تثابون بحسناتهم وقالوا
كونوا هودا او نصارى الضمير الغائب لاهل الكتاب
واو للتنويع والمعنى بقالهم احد هذين القولين قالت
اليهود كونوا هودا وقالت النصارى كونوا نصارى تهتدوا
جواب الامر قل بل ملة ابراهيم اى بل يكون ملة ابراهيم اى
اهل ملته او بل نتبع ملة ابراهيم وقرئت بالرفع اى ملته ملتنا
او عكسه او نحن ملته بمعنى نحن اهل ملته حنيفا مائلا عن
الباطل اى الحق حال من المضاف او المضاف اليه كقوله و
نزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا وما كان من المشركين
تعريض باهل الكتاب وغيرهم فانهم يدعون اتباعهم وهم
مشركون قولوا آمنا بالله الخطاب للمؤمنين كقوله فان آمنوا
بمثل ما آمنتم به وما انزل الينا يعني القرآن قدم ذكره لانه اقل
بالاضافة الينا او سبب للايمان بغيره وما انزل الى ابراهيم و
اسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط الصحف وهي وان
نزلت على ابراهيم لكنهم لما كانوا متعبدين بتفصيلها داخلين
تحت احكامها فهي ايضا منزلة اليهم كما ان القرآن منزل
الينا والاسباط جمع سبط وهو الحافد يريد به حفدة يعقوب
او ابناءه وذراريهم فانهم حفدة ابراهيم واسحق وما
اوتي موسى وعيسى التوراة والانجيل افرادهما بحكم ابلغ
لان امرهما بالاضافة الى موسى وعيسى مغاير لما سبق وانزاع

وقع فيهما وما اوتى النبيّون جملة المذكورين منهم وغيرهم المذ
كورين من ربّهم منحن لا نفرق بين احد
منهم كاليهود فنؤمن ببعض ونكفر ببعض واحد لوقوعه
فى سياق النفى عام فساغ ان يضاف اليه بين ونحن له اى للّه مسلمون
مذعنون مخلصون فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا من
باب التعجيز والتبكيت كقوله فأتوا بسورة من مثله اذ لا مثل
لما آمن به المسلمون ولا دين كدين الاسلام وقيل الباء للآلة دون
التعدية والمعنى ان تحرّوا الايمان بطريق يهدى الى الحقّ مثل طريقكم
فان وحدة المقصد لا تأبى تعدّد الطرق او مزيدة للتأكيد كقوله
جزاء سيئة بمثلها والمعنى فان آمنوا باللّه ايمانا مثل ايمانكم به او
المثل مقحم فى قوله وشهد شاهد من بنى اسرائيل على مثله اى عليه
ويشهد عليه قراءة من قرأ بما آمنتم به او بالذى آمنتم به وان تولّوا
فانما هم فى شقاق اى ان اعرضوا عن الايمان او عما تقولون لهم
فما هم الا فى شقاق الحقّ وهو المناواة والمخالفة فانّ كلّ واحد
من المتخالفين فى شقاق غير شقّ الآخر فسيكفيكهم اللّه تسلية
وتسكين للمؤمنين ووعد لهم بالحفظ والنصرة على من ناواهم
وهو السميع العليم امّا من تمام الوعد بمعنى انه يسمع اقوالكم و
يعلم اخلاصكم وهو مجازيكم للاحالة او وعيد للمعرضين بمعنى
انه يسمع ما تبدون ويعلم ما تخفون وهو معاقبهم عليه صبغة
اللّه اى صبغنا اللّه صبغته وهى فطرة اللّه التى فطر الناس عليها
فانها حلية الانسان كما انّ الصبغة حلية المصبوغ او هدانا هدايته
وارشدنا حجته او طهّر قلوبنا بالايمان تطهيره وسمّاه صبغة لانه
ظهر اثره عليهم ظهور الصبغ على المصبوغ وتداخل فى قلوبهم
تداخل الصبغ الثوب او للمشاكلة فانّ النصارى كانوا يغمسون
اولادهم فى ماء اصفر يسمّونه المعمودية ويقولون هو تطهير

لهم وبه تحقّق نصرانيّتهم ونصبها على انه مصدر مؤكّد لقوله
آمنّا وقيل على الاغراء وقيل على البدل من ملّة ابراهيم ومن
احسن من اللّه صبغة لا صبغة احسن من صبغته ونحن له
عابدون تعريض بهم اى لا نشرك به كشركهم وهو عطف
على آمنّا وذلك تقتضى دخول قوله صبغة اللّه فى مفعول قولوا
ومن نصبها على الاغراء او البدل ان يضمر قولوا معطوفا
على الزموا او اتبعوا ملّة ابراهيم وقولوا آمنّا بدل اتبعوا
حتى لا يلزم فكّ النظم وسوء الترتيب قل اتحاجّوننا هو
اتجادلوننا فى اللّه فى شأنه واصطفائه نبيّا من العرب دونكم
روى انّ اهل الكتاب قالوا الانبياء كلهم منّا فلو كنت نبيّا
لكنت منّا فنزلت وهو ربّنا وربّكم لا اختصاص له بقوم
دون قوم يصيب برحمته من يشاء من عباده ولنا اعمالنا و
لكم اعمالكم فلا يبعد ان يكرمنا باعمالنا كما نلزمهم على كل
مذهب يستحونه افحاما وتبكيتا فانّ كرامة النبوّة امّا تفضل
من اللّه على ما يشاء والكلّ فيه سواء وامّا افاضة حقّ على المستعدين
لها بالمواظبة على الطاعة والتحلّى بالاخلاص وكما انّ لكم اعمالا
ربّما يعتبرها اللّه فى اعطائها فلنا ايضا اعمال ونحن له مخلصون
موحّدون نخلصه بالايمان والطاعة دونكم ام يقولون انّ
ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا
او نصارى ام منقطعة والهمزة للانكار وعلى قراءة ابن عامر
وحمزة والكسائى وحفص بالتاء ويحتمل ان يكون معادلة هـ
للهمزة فى اتحاجّوننا بمعنى اىّ الامرين تأتون المحاجّة او
ادّعاء اليهودية او النصرانية على الانبياء قل انتم اعلم ام اللّه
وقد نفى الامرين عن ابراهيم بقوله ما كان ابراهيم يهوديا
ولا نصرانيا واحتجّ عليه بقوله وما انزلت التورية والانجيل

الا من بعده وهؤلاء المعطوفون عليه اتباعه فى الدين وفلقا
ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله يعنى شهادة الله ه
لابراهيم بالحنفية وابراة عن اليهودية والنصرانية والمعنى
لاحد اظلم من اهل الكتاب لانهم كتموا هذه الشهادة او مثا
لو كتمنا هذه الشهادة وفيه تعريض بكتمانهم شهادة الله ه
لمحمد بالنبوة فى كتبهم وغيرها ومن للابتداء كما فى قوله ه
براءة من الله وما الله بغافل عما تعملون وعيد لهم وقرئ
بالياء تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون
عما كانوا يعملون تكرير للمبالغة فى التحذير والزجر عما
استحكم فى الطباع من الافتخار بالاباء والاتكال عليهم وقيل
الخطاب فيما سبق لهم وفى الآية لنا تحذيرا عن الاقتداء ه
بهم وقيل المراد بالامة فى الاول الانبياء وفى الثانى اسلاف
اليهود والنصارى سيقول السفهاء من الناس الذين خف
اخلامهم او استمهنوها بالتقليد والاعراض عن النظر يريد
المنكرين لتغيير القبلة من المنافقين واليهود والمشركين
وفائدة تقديم الاخبار به توطين النفس واعداد الجواب ه
ما وليهم ما صرفهم عن قبلتهم التى كانوا عليها يعنى بيت المقدس
والقبلة فى الاصل الحال التى عليها الانسان من الاستقبال فصارت
عرفا للمكان المتوجه نحوه للصلوة قل لله المشرق والمغرب
لا يختص به مكان دون مكان لخاصة ذاتية تمنع اقامة غيره
مقامه وانما العبرة بارتسام امره لا بخصوص المكان يهدى
من يشاء الى صراط مستقيم وهو ما تقتضيه الحكمة وتقتضيه المصلحة
من التوجه الى بيت المقدس تارة والكعبة اخرى وكذلك ه
اشارة الى مفهوم الآية المتقدمة اى كما جعلناكم مهديين
الى الصراط المستقيم اوجعلنا قبلتكم افضل القبل جعلناكم امة

وسطا

وسطا اى خيارا اوعدولا مركبين بالعلم والعمل وهو فى الاصل
اسم المكان الذى يستوى اليه المسافة من الجوانب ثم استعير
للخصال المحمودة لوقوعها بين طرفى افراط وتفريط كالجود
بين الاسراف والبخل والشجاعة بين التهور والجبن ثم
اطلق على المتصف بها مستويا فيه الواحد والجمع والمذكر و
المؤنث كسائر الاسماء التى توصف بها واستدل به على ان الا
جماع حجة اذ لو كان فيما اتفقوا عليه باطل لانسلمت به عدالتهم
لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا ه
علة للجعل اى لتعلموا بالتأمل فيما نصب لكم من الحجج وانزل
اليكم من الكتاب انه كما بخل على احد وما ظلم بل اوضح السبيل واسل
الرسل فبلغوا ونصحوا ولكن الذين كفروا حملهم الشقاوة على
اتباع الشهوات والاعراض عن الايات فشهدون بذلك على
معاصريكم وعلى الذين قبلكم وبعدكم لا مم يوم القيمة ويجحدون
تبليغ الانبياء فيطالبهم بنية التبليغ وهو اعلم بهم اقامة للحجة
على المنكر بامة صلى الله عليه وسلم فيشهدون فيقول الامم من اين
عرفتم فيقولون علمنا ذلك باخبار الله فى كتابه الناطق على لسان
نبيه الصادق فيؤتى بمحمد فيسئل حال امته فيشهد بعد التهم وهذه
الشهادة وان كانت لهم لكن لما كان الرسول كالرقيب المهيمن
على امته عدى بعلى وقدمت الصلة للدلالة على اختصاصهم بكون
الرسول شهيدا عليهم وما جعلنا القبلة التى كنت عليها اى الجهة
التى كنت عليها وهى الكعبة فانه كان يصلى اليها بمكة ثم لما ها
امر بالصلوة الى الصخرة تألفا لليهود او الصخرة لقول ابن
عباس كانت قبلة بمكة بيت المقدس الا انه كان يجعل الكعبة
بينه وبينه فالمخبر به على الاول الجعل الناسخ وعلى الثانى ه
المنسوخ والمعنى على ان اصل امرك ان يستقبل الكعبة وما جعلنا

قبلتك بيت المقدس الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على
عقبيه الا لنمحن الناس ونعلم من يتبعك في الصلوة اليها ممن
يرتد عن دينك الفا القبلة آبائه او لنعلم الآن من يتبع الرسول
ممن لا يتبعه وما كان لعارض يزول بزواله وعلى الاول معناه
ما رددناك الى التي كنت عليها الا لنعلم الثابت على الاسلام ممن
ينكص على عقبه لقلته وضعف ايمانه فان قيل كيف يكون عالما
غاية الجعل وهو لم يزل عالما قلت هذا واشباهه باعتبار التعلق
الحالي الذي هو مناط الجزاء والمعنى ليتعلق علمنا به موجودا
وقيل ليعلم رسوله والمؤمنون لكنه اسند الى نفسه لانهم
خواصه او لتميز الثابت عن المتزلزل كقوله ليميز الله
الخبيث من الطيب فوضع العلم موضع التمييز المسبب عنه و
يشهد له قراءة ليعلم على البناء للمفعول به والعلم اما بمعنى المعرفة
او معلق لما في من من معنى الاستفهام او مفعوله الثاني ممن
ينقلب اي لنعلم من يتبع الرسول متميزا ممن ينقلب وان كانت
لكبيرة ان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة وقال
الكوفيون ان هي النافية واللام بمعنى الا والضمير لما دل عليه
قوله وما جعلنا القبلة التي كنت عليها من الجعلة او الردة او
التحويلة او للقبلة وقرئ كبيرا بالرفع فيكون كان زائدة
الا على الذين هدى الله لحكمة الاحكام الثابتين على الايمان
والاتباع وما كان الله ليضيع ايمانكم اي ثباتكم على الايمان
وقيل ايمانكم بالقبلة المنسوخة او صلوتكم اليها لما روي
انه لما وجه الى الكعبة قالوا كيف بمن مات يا رسول الله قبل
التحويل من اخواننا فنزلت ان الله بالناس لرؤف
الرحيم فلا يضيع اجوركم ولا يدع صلاتهم ولعله قدم
الرؤف وهو ابلغ محافظة على الفواصل وقراء الحرميان و

ابن عامر وخفص لرؤف بالمد والباقون بالقصر قوله تعالى ربما
نرى تقلب وجهك في السماء تردد وجهك في جهة السماء هو
تطلعا للوحي وكان رسول الله ﷺ يفرح في رجوعه ويتوقع من
ربه ان يحوله الى الكعبة لانها قبلة ابيه ابراهيم واقوم القبلتين
واذعى للعرب الى الايمان ولمخالفة اليهود وذلك يدل على
كمال أدبه حيث انتظر ولم يسئل فلنولينك قبلة فلنعطينك
من استقبالها من قولك ولاه كذا اذا اصيرته واليا لها او
فلنجعلنك تلي جهتها ترضيها تحبها وتتشوق اليها لمقاصد
دينية وافقت مشية الله وحكمه فول وجهك اصرف وجهك
شطر المسجد الحرام نحوه وقيل الشطر في الاصل لما انفصل عن
الشيء من شطر اذا انفصل ودار شطور منفصلة عن الدور
ثم استعمل لجانبه وان لم ينفصل كالقطر والحرام المحرم اي
محرم فيه القتال او ممنوع عن الظلمة ان يتعرضوه وانما ذكر
المسجد دون الكعبة لانه ﷺ كان في المدينة والبعيد يكفيه
مراعات الجهة فان استقبال عينها خرج عليه بخلاف القريب
روي انه ﷺ قدم المدينة فصلى نحو بيت المقدس ستة
عشر شهرا ثم وجه الى الكعبة في رجب بعد الزوال قبل قتال
بدر بشهرين وقد صلى باصحابه في مسجد بني سلمة ركعتين
من الظهر فتحول في الصلوة واستقبل الميزاب وتبادل الرجال
والنساء صفوفهم فسمي المسجد مسجد قبلتين وحيث ما كنتم
فولوا وجوهكم شطره خص الرسول بالخطاب تعظيما له و
ايجابا للرغبة ثم عمم تصريحا بعموم الحكم وتأكيدا لامر القبلة و
تخصيصا للامة على المتابعة وان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون
انه الحق من ربهم جملة لعلمهم بان عدته تعالى تخصيص كل شريعة
بقبلة وتفصيلا لتضمن كتبهم انه يصلي الى القبلتين والضمير للتحويل

او التوجه وما الله بغافل عما يعملون وعد ووعيد للفريقين
وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي بالتاء ولئن أتينا الذين اوتوا
الكتاب بكل آية برهان وحجة على ان الكعبة قبلة واللام موطئة
للقسم ما تبعوا قبلتك جواب القسم المضمر والقسم وجوابه
سادّ مسدّ جواب الشرط والمعنى ما تركوا قبلتك لشبهة تزيلها
بحجة وانما خالفوك مكابرة وعنادا وما انت بتابع قبلتهم
قطع لاطماعهم فانهم قالوا لو ثبت على قبلتنا لكنا نرجو ان
يكون صاحبنا الذي ننتظره تغريرا له وطمعا في رجوعه وقبلتهم
وان يتعددت لكنها متحدة بالبطلان ومخالفة الحق وما بعضهم
بتابع قبلة بعض فان اليهود يستقبل الصخرة والنصارى هـ
مطلع لا يرجى توافقهم لك لتصلب كل حزب فيما هو فيه هـ
ولئن اتبعت اهواءهم من بعد ما جاءك من العلم على سبيل
الفرض والتقدير اى ولئن اتبعتهم مثلا بعد ما بان لك الحق
وجاءك فيه الوحي انك اذا لمن الظالمين وأكد تهديده وبالغ
فيه من سبعة اوجه الاتيان باللام الموطئة للقسم المضمر حرف
التحقيق وهي ان على تركيبه من جملة اسمية الاتيان باللام في الخبر و
جمعه من الظالمين ولم يقل انك ظالم فان في الانذراج معهم
ابهام بحصول انواع الظلم التقييد بمجيء العلم تعظيما للحق العلوم
وتحريضا على اقتنائه وتحذيرا عن متابعة الهوى واستفظاعا
لصدور الذين عن الانبياء الذين آتيناهم الكتاب يعني علما وهم
يعرفونه الضمير لرسول الله وان لم يسبق ذكره لدلالة الكلام
عليه او للعلم او القرآن او التحويل كما يعرفون ابناءهم يشهد
للاول اى يعرفونه باوصافه كمعرفتهم ابناءهم لا يلتبسون هـ
عليهم بغيرهم عن عمر رضي الله سئل عبد الله ابن سلام عن هـ
رسول الله صلعم فقال انا اعلم به مني يا بني عمر ولم قال لاني لست

اشك

فقبل وجهه

اشك في محمد انه نبي فاما ولدي فلعل والدته خانت و
ان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون تخصيصا لمن عاند
واستثناء لمن آمن الحق من ربك كلام مستأنف والحق اما
مبتدأ خبره من ربك واللام للعهد والاشارة الى ما عليه هـ
الرسول او الحق الذي يكتمونه او للجنس والمعنى ان الحق
ما ثبت انه من الله كما الذي انت عليه لا ما لم يثبت كالذي
عليه اهل الكتاب واما خبر مبتدأ محذوف اى هو الحق
ومن ربك حال او خبر بعد خبر وقرئ بالنصب على انه
بدل من الاول او مفعول يعلمون فلا تكونن من الممترين
الشاكين في انه من ربك او في كتمانهم الحق عالمين به وليس
المراد به نهي الرسول عن الشك فيه لانه غير متوقع منه
وليس بقصد واختيار بل امّا تحقيق باللام وانه بحيث لا شك
فيه ناظر او امر الامة بانكباب المعارف الترجمة للشك على الوجه
الابلغ ولكل وجهة لكل امة قبلة او لكل قوم من المسلمين جهة
وجانب من الكعبة والتنوين بدل الاضافة هو موليها احد
مفعولين محذوف اى هو موليها وجهة او الله موليها اياه
وقرئ لكل وجهة بالاضافة والمعنى ولكل وجهة الله موليها هـ
اهلها واللام مزيدة للتأكيد جبرا لضعف العامل وقرأ ابن
عامر مولاها اى مولى تلك الجهة قد وليها فاستبقوا الخيرات
من القبلة وغيره مما ينال به سادة الدارين او الفاضلات من
الجهات وهي المسامتة للكعبة اينما تكونوا يات بكم الله جميعا في
اى موضع تكونوا من موافق ومخالف يجمع الاجزاء ومفترقها
بحشركم الله الى المحشر للجزاء واينما تكونوا من اعماق الارض
وقلل الجبال يقبض ارواحكم او اينما تكونوا من الجهات المتقابلة
يات بكم الله جميعا ويجعل صلوتكم كانتها الى جهة واحدة ان الله على

كل شيء قدير فيقدر على الاماتة والاحياء والجمع ومن حيث هـ
خرجت ومن اى مكان خرجت للسفر فول وجهك شطر
المسجد الحرام اذا صليت وانه اى وان هذه الامر الحق هـ
من ربك وما الله بغافل عما تعملون ومن حيث خرجت فول
وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم
شطره كرر هذا الحكم لتعدد علله فانه ذكر للتحويل ثلث
علل تعظيم الرسول بابتغاء مرضاته وجرى العادة الالهية هـ
على ان يولى كل نبى اهل ملته وصاحب دعوة وجهة يستقبلها و
يتميز بها ودفع حجج المخالفين على ما بينه وقرن بكل علة
معلولها كما يقرن المدلول بكل واحد من دلائله تقريبا و
تقريرا من ان القبلة لها شان والنسخ من مظان الفتنة والد
الشبهة فبالحرى ان يؤكد امرها ويعاد مرة بعد اخرى لئلا
يكون الناس عليكم حجة علة لقوله فولوا والمعنى ان التولية
عن الصخرة الى الكعبة تدفع احتجاج اليهود بان النعوت فى
التورية قبلة الكعبة وان محمدا يجحد دينا ويتبعنا فى قبلتنا
والمشركين بانه يدعى ملة ابراهيم ويخالف قبلته الا الذين
ظلموا منهم استثناء من الناس اى لئلا يكون لاحد من الناس
حجة الا للمعاندين منهم فانهم يقولون ما تحول الى الكعبة الا
ميلا الى دين قومه وحبا لبلده او بداله فرجع الى ملة آبائه ويوشك
ان يرجع الى دينهم وسمى هذه حجة كقوله حجتهم داحضة هـ
لانهم يسوقون مساقها وقيل الحجة بمعنى الاحتجاج وقيل الا
استثناء للمبالغة فى نفى الحجة رأسا كقوله ولا عيب فيهم غير ان
سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب للعلم بان الظالم لا
حجة له وقرئ الا الذين ظلموا على انه استيناف بجر فى التنبيه
فلا تخشوهم فلا تخافوهم فان معاندتهم لا تضركم ولخشونى

فلا تخالفوا

فلا تخالفوا اوامركم ولاتمّ نعمتى عليكم ولعلكم تهتدون علة
محذوف اى وامركم لاتمام النعمة عليكم وارادتى اهتداءكم
او عطف على علة مقدرة مثل ولخشونى لاحفظكم عنهم
ولاتمّ نعمتى عليكم او لئلا يكون وفى الحديث تمام النعمة
دخول الجنة وعن على رضى الله عنه تمام النعمة الموت على
الاسلام كما ارسلنا فيكم رسولا منكم متصل بما قبله اى
ولاتمّ نعمتى عليكم فى امر القبلة او فى الآخر كما اتممتها بارسال
رسول منكم او بما بعده اى كما ذكرتكم بالارسال فاذكرونى
يتلوا عليكم آياتنا ويزكيكم بحملكم على ما تصيرون به ازكياء
قدم به باعتبار القصد واخره فى دعوة ابراهيم باعتبار الفعل
ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون باهـ
لكفر والنظر اذ لا طريق الى معرفته سوى الوحى وكرره هـ
الفعل ليدل على انه جنس آخر فاذكرونى بالطاعة اذكركم
بالثواب واشكروا لى ما انعمت به عليكم ولا تكفرون بجحد
النعم وعصيان الامر يا ايها الذين آمنوا استعينوا بالصبر
عن المعاصى وحظوظ النفس والصلوة التى هى العبادات
والمعراج المؤمنين ومناجات رب العالمين ان الله مع الصابرين
بالنصر واجابة الدعوة ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله اموات
اى هم اموات بل احياء بل هم احياء ولكن لا يشعرون ما حالهم
وهو تنبيه على ان حياتهم ليست بالجسد ولا من جنس ما
يحس به من الحيوانات وانما هى امر لا يدرك بالعقل بل باهـ
لوحى وعن الحسن ان الشهداء احياء عند الله تعرض ارزاقهم
على ارواحهم فيصل اليهم الروح والفرح كما تعرض النار على
ارواح آل فرعون غدوا وعشيا فيصل الوجع والآية نزلت
فى شهداء بدر وكانوا اربعة عشر وفيها دلالة على ان الارواح

كم

جواهر قائمة بانفسها مغايرة لما يحس من البدن تبقى بعد الموت
دراكة وعليه جمهور الصحابة والتابعين وبه نطقت الآيات
والسنن وعلى هذا فتخصيص الشهداء لاختصاصهم بالقرب من
الله كه ومزيد البهجة والكرامة ولنبلونكم ولنصيبنكم اصابة من
يختبر احوالكم هل تصبرون على البلاء وتستسلمون للقضاء
بشيء من الخوف والجوع بقليل من ذلك وانما قلله بالاضافة
الى ما وقاهم عنه لتخفف عليهم ويريهم ان رحمته لانفاد قهم
او بالنسبة الى ما يصيب به معانديهم في الآخرة وانما اخبرهم به قبل
وقوعه ليوطنوا عليه نفوسهم ونقص من الاموال والانفس
والثمرات عطف على شيء او الخوف وعن الشافعي رضه الخوف
خوف الله والجوع صوم رمضان والنقص من الاموال الزكوة
والصدقات ومن الانفس الامراض ومن الثمرات موت هـ
الاولاد وعن النبي صم اذا مات ولد العبد قال الله كه للملائكة
اقبضتم ولد عبدي فيقولون نعم فيقول اقبضتم ثمرة قلبه هـ
فيقولون نعم فيقول الله كه ماذا قال عبدي فيقولون حمدك
واسترجع فيقول الله ابنوا لعبدي بيتا في الجنة وسموه بيت
الحمد وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله
وانا اليه راجعون الخطاب للرسول او لمن يتاتى منه البشارة
والمصيبة تعم ما يصيب الانسان من مكروه لقوله صم كل شيء
يؤذي المؤمن فهو له مصيبة وليس الصبر بالاسترجاع بالـ
اللسان بل بالقلب بان يتصور ما خلق لاجله فانه راجع الى ربه
ويتذكر نعم الله عليه سيرى ما ابقى عليه اضعافا ما استرده منه
فيرضى ويستسلم له والمبشر به محذوف دل عليه او
لئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة الصلوة في الاصل الدعاء
ومن الله التزكية والمغفرة وجمعها للتنبيه على كثرتها وتنويعها

والمراد

والمراد بالرحمة اللطف والاحسان وعن النبي صم من استرجع عند
المصيبة جبر الله مصيبته واحسن عقباه وجعل له خلفا صالحا يرضاه
واولئك هم المهتدون للحق والصواب حيث استرجعوا
وسلموا لقضاء الله ان الصفا والمروة هما علما جبلين بمكة
من شعائر الله من اعلام مناسكه جمع شعيرة وهي العلامة
فمن حج البيت او اعتمر الحج لغة القصد والاعتمار الزيارة
فغلبا شرعا على قصد البيت وزيارته على الوجهين المخصوصين
فلا جناح عليه ان يطوف بهما كان اساف على الصفا ونائلة
على المروة وكان اهل الجاهلية اذا سعوا مسحوهما فلما جاء هـ
الاسلام وكسر الاصنام تحرج المسلمون ان يطوفوا بينهما هـ
لذلك فنزلت والاجماع على انه مشروع في الحج والعمرة وانما
الخلاف في وجوبه وعن احمد انه سنة وبه قال انس وابن
عباس لقوله كه فلا جناح فانه يفهم منه التخيير وهو ضعيف
لان نفي الجناح يدل على الجواز الداخل في معنى الوجوب فلا يد
فعه وعن ابي حنيفة رضه انه واجب يجبر بالدم وعن مالك
والشافعي رضه انه ركن لقوله صم اسعوا فان الله كتب عليكم
السعي ومن تطوع خيرا اي فعل طاعة فرضا كان او نفلا او
زاد على ما فرض الله عليه من حج او عمرة او طواف او تطوع
بالسعي ان قلنا انه سنة وخيرا نصب على انه صفة مصدر محذوف
او بحذف الجار وايصال الفعل اليه او بتعدية فعل لتضمنه معنى
اتى او فعل وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب يطوع واصله
يتطوع فادغم مثل يطوف فان الله شاكر عليم مثيب على
الطاعة لا يخفى عليه ان الذين يكتمون كاحبار اليهود ما انزلنا
من البينات كالآيات الشاهدة على امر محمد صم والهدى و
ما يهدي الى وجوب اتباعه والايمان به من بعد ما بيناه هـ

للناس لخصّناه في الكتاب في التعدية اولئك يلعنهم الله و
يلعنهم اللاعنون اى الذين يتأتّى منهم اللعن عليهم من
الملائكة والثقلين الا الذين تابوا عن الكتمان وسائر مايجب
ان يتاب عنه واصلحوا امّا افسدوا بالتدارك وبيّنوا مابيّنه
الله في كتابهم ليتم توبتهم وقيل ما احدثوه من التوبة هـ
ليمحوا اسمه الكف عن انفسهم ويقتدى بهم اضرابهم هـ
فاولئك اتوب عليهم بالقبول والمغفرة وانا التوّاب هـ
الرحيم المبالغة في قبول التوبة وافاضة الرحمة انّ الذين هـ
كفروا وماتوا وهم كفار اى ومن لم يتب من الكاتمين هـ
حتى مات اولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس هـ
اجمعين استقرّ عليهم لعنة الله ومن يعتدّ بلعنة من خلفه
وقيل الاوّل لعنهم احياء وهذا لعنهم امواتا وقرئ والملا
ئكة والناس اجمعين عطفا على محلّ اسم الله لانه فاعل في
المعنى كقولك اعجبني ضرب زيد وعمرو اوفاعلا لفعل مقدّر
نحو ويلعنهم الملائكة خالدين فيها اى في اللعنة او في النار
واضمارها قبل الذكر تفخيما لشانها وتهويلا او اكتفاء بدلالة
اللعن عليها لايخفّف عنهم العذاب ولاهم ينظرون لايمهلون
اولاينظرون ليعتذروا اولاينظر اليهم نظر رحمة والهكم هـ
اله واحد خطاب عامّ اى المستحقّ منكم بالعبادة واحد لاشريك
له يصحّ ان يعبد اويسمّى الها لا اله الا هو تقرير للوحدانية و
ازاحة لان يتوهّم انّ في الوجود آلهة ولكن لايستحقّ منهم هـ
العبادة الرحمن الرحيم كالحجة عليها فانّه لمّا كان معطى النعم
كلّها اصولها وفروعها وماسواه امّا نعمة اومنعم عليه لم
يستحقّ العبادة احد غيره وهما جزءا آخر ان لقوله لا
آلهكم او لمبتدإ محذوف قيل لمّا سمعه المشركون تعجّبوا و

قالوا

قالوا ان كنت صادقا فأت بآية نعرف بها صدقك فنزلت انّ
في خلق السموات والارض وانّما جمع السموات وافرد الارض
لانّها طبقات متفاصلة بالذات مختلفة بالحقيقة بخلاف هـ
الارضين واختلاف الليل والنهار تعاقبهما كقوله هـ جعل
الليل والنهار خلفة والفلك التي تجري في البحر بما ينفع
الناس اى ينفعهم او بالذي ينفعهم والقصد به الى الاهـ
ستدلال بالبحر واحواله وتخصيص الفلك بالذكر لانه
سبب الخصوص فيه والاطّلاع على عجائبه ولذلك قدّمه على
ذكر المطر والسحاب لانّ منشأها البحر في غالب الامر وتأنيث
الفلك لانّها بمعنى السفينة وقرئ بضمّتين على الاصل والجمع
وضمّة الجمع غير ضمّة الواحد عند المحقّقين وما انزل الله هـ
من السماء من ماء من الاولى للابتداء والثانية للبيان والسماء
يحتمل الفلك والسحاب وجهة العلوّ فاحيى به الارض بعد
موتها بالنبات وبثّ فيها من كلّ دابّة عطف على انزل كأنه
استدلّ بنزول المطر وتكوّن النبات به وبثّ الحيوانات
في الارض اوعلى احيى فانّ الدابّ يتموّن بالخصب ويعيشون
وبثّ النشر والتفريق وتصريف الرياح في مهابّها وهـ
احوالها وقرأ حمزة والكسائي على الافراد والسحاب المسخّر
بين السماء والارض لاينزل ولاينقشع مع انّ الطبع هـ
يقتضي احدهما حتى يأتي امر الله وقيل مسخّر للرّبح هـ
تقلّبه في الجوّ بمشيّة الله واشتقاقه من السحب لانّ بعضه
يجرّ بعضا الآيات لقوم يعقلون يتفكّرون فيها وينظرون
اليها بعين عقولهم وعندهم ويل لمن قرأ هذه الآية فمجّ
بها اى لم يتفكّر فيها واعلم انّ دلالة هذه الآية على وجود
الآله ووحدته من وجوه كثيرة يطول شرحها مفصّلا و

الكلام المجمل انها امور ممكنة وجد كل منها بوجه مخصوص
من وجوه محتملة وانجاء مختلفة اذ كان من الجائز مثلا ان
لا يتحرك بعكس حركاتها وبحيث تصير المنطفة دائرة مائة
بالقطبين وان لا يكون لها اوج وحضيض اصلا او على هذا
الوجه لبساطتها وتساوى اجزائها فلا بدّ لها من موجد هـ
قادر حكيم يوجدها على ما تستدعه حكمته ويقتضيه مشيته
متعاليا عن معارضة غيره اذ لو كان معه آلهة يقدر على ما يقدر
عليه فان توافقت ارادتهما فالفعل ان كان لهما لزم اجتماع
مؤثرين على اثر واحد وان كان لاحدهما لزم ترجيح الفاعل
بلا مرجح وعجز الآخر المنافى للالهيّة وان اختلفت لزم هـ
التمانع والتطارد كما اشار اليه بقوله لو كان فيهما آلهة
الا الله لفسدتا وفى الآية تنبيه على شرف علم الكلام واهله و
حث على البحث والنظر فيه ومن الناس من يتخذ من دون
الله انداداً من الاصنام وقيل الرؤساء الذين كانوا يطيعونهم
كقوله اذ تبرّء الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ولعل المراد
اعمّ منهما وهو ما يشغله عن الله يحبّونهم يعظمونهم ويصد
يطيعونهم كحبّ الله كتعظيمه والميل الى طاعته اى يسوّون بينه
وبينهم فى المحبّة والطاعة والمحبّة ميل القلب من الحبّ استعير
لحبّة القلب ثم اشتق منه الحب لانّه اصابها ورسخ فيها ومحبّة هـ
العبد لله ارادة طاعته والاعتناء بتحصيل مرايضه ومحبّة الله
للعبد ارادة اكرامه واستعماله فى الطاعة وصونه عن المعاصى
والذين آمنوا اشدّ حبا لله لانّه لا ينقطع محبتهم لله بخلاف
محبّة الانداد فانّها لاغراض فاسدة موهومة تزول بادنى
سبب ولذلك كانوا يعدلون عن آلهتهم الى الله عند الشدائد
ويعبدون الصنم زمانا ثم يرفضونه الى غيره ولو يرى الذين

ظلموا

ظَلَمُوا ولو يعلم هؤلاء الذين ظلموا باتخاذ الانداد اذ يرون
العذاب اذ عاينوه يوم القيمة واجرى المستقبل مجرى الماضى
لتحقّقه كقوله ونادى اصحاب الجنّة انّ القوّة لله جميعا
سادّ مسدّ مفعولى يرى وجواب لو محذوف اى لو هـ
يعلمون انّ القدرة لله جميعا اذ عاينوا العذاب لندموا اشدّ
الندم وقيل هو متعلق الجواب والمفعول محذوف اى و
التقدير لو يرى الذين ظلموا انداده لا تنفع لعلموا انّ
القوّة لله كلها لا ينفع ولا يضرّ غيره وقرأ ابن عامر ونا فع
ويعقوب ولو ترى على انّه خطاب للنبىّ ص اى ولو ترى
ذلك لرأيت امرا عظيما وابن عامر اذ يرون على البناء هـ
للمفعول ويعقوب انّ بالكسر وانّ الله شديد العذاب على
الاستيناف او على اضمار القول اذ تبرّأ الذين اتبعوا من الذ ين
اتّبعوا بدل من اذ يرون اى اذ تبرّأ المتبوعون من الاتباع
وقرئ بالعكس اى تبرّأ الاتباع من الرؤساء ورأوا العذاب
اى رأيتين له فالواو للحال وقد مضمرة وقيل عطف على تبرّء هـ
وتقطّعت بهم الاسباب يحتمل العطف على تبرّء او واو الحال
للحال والاوّل اظهر والاسباب الوصل التى كانت بينهم من
الاتباع والاتفاق على الدين والاغراض الداعية الى ذلك
واصل السبب الحبل الذى يرتقى به الشجر وقرئ تقطعت
على البناء للمفعول وقال الذين اتبعوا لو انّ لنا كرّة فنتبرّأ
منهم كما تبرّءوا منا لعلّق التمنّى ولذلك اجيب بالفاء اى ليت
لنا كرّة الى الدنيا فنتبرّأ منهم كذلك مثل ذلك الاراء الفضيع
يريهم الله اعمالهم حسرات عليهم بدامات وهى ثالث هـ
مفاعيل يرى ان كان من رؤية القلب والاّ فحال وما هم بخار جين
من النار اصله وما يخرجون فعدل به الى هذه العبارة للمبالغة

فى الخلود والاقناط من الخلاص والرجوع الى الدنيا يا ايها
الناس كلوا مما فى الارض حلالا انزلت فى قوم حرموا على
انفسهم رفيع الاطعمة والملابس وحلالا مفعول كلوا او
صفة مصدر محذوف اوحال مما فى الارض ومن للتبعيض
اذ لا يوكل كل ما فى الارض طيبا يستطيبه الشرع او الشهوة
المستقيمة اذ الحلال دل على الاقل ولا تتبعوا خطوات الشيطان
لا تقتدوا به فى اتباع الهوى فتحرموا الحلال وتحللوا
الحرام وقرأ نافع وابو عمرو وحمزة والبزى وابو بكر حيث
وقع بتسكين الطاء وهما لغتان فى جمع خطوة وهى ما بين
قدمى الخاطى وقرئ بضمتين وهمزة جعلت ضمة الطاء
كانها عليها وبفتحتين على انه جمع خطوة وهى المرة من الخطو
انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة عند ذوى البصيرة و
ان كان يظهر الموالاة لمن يغويه ولذلك سماه وليا فى قوله
اولياؤهم الطاغوت انما يأمركم بالسوء والفحشاء بيان
لعداوته ووجوب التحرز عن متابعته واستعير الامر
لتزيينه وبعثه لهم على الشر تسفيها لرايهم وتحقيرا
لشانهم والسوء والفحشاء ما الكمع العقل واستقبحه
الشرع والعطف لاختلاف الوصفين فانه سوء لاغتمام
العاقل به وفحشاء باستقباحه اياه وقيل السوء يعم القبايح
والفحشاء ما تجاوز الحد فى القبح من الكبائر وقيل الاول
ما لا حد فيه والثانى ما شرع فيه الحد وان تقولوا على الله
ما لا تعلمون كاتخاذ الانداد وتحليل المحرمات وتحريم
الطيبات وفيه دليل على المنع من اتباع الظن رأسا واما
اتباع المجتهد لما ادى اليه ظنه مستند الى مدرك شرعى
فوجوبه قطعى والظن فى طريقه كما بيناه فى الكتب الاصولية

واذا

واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله الضمير للناس وعدل عن
الخطاب عنهم للنداء على ضلالهم كانه التفت الى العقلاء
وقال لهم انظروا الى هؤلاء الحمقى ماذا يجيبون قالوا بل نتبع
ما الفينا عليه آباءنا ما وجدنا هم عليه فنزلت فى
المشركين امروا باتباع القرآن وسائر ما انزل الله من
الحجج والآيات فجنحوا الى التقليد وقيل فى طائفة من اليهود
دعاهم رسول الله ﷺ الى الاسلام فقالوا نتبع ما وجدنا عليه
آباءنا لانهم كانوا خيرا منا واعلم وعلى هذا فيعم ما انزل الله
التوراة لانها ايضا تدعوا الى الاسلام او لو كان آباؤهم
لا يعقلون شيئا ولا يهتدون الواو للحال او العطف والهمزة
للرد والتعجيب وجواب لو محذوف اى لو كان آباؤهم
جهلة لا يتفكرون فى امر الدين ولا يهتدون الى الحق لا
اتبعهم وهو دليل على المنع من التقليد لمن قدر على
النظر والاجتهاد واما اتباع الغير فى الدين اذا علم بدليل
ما انه محق كالانبياء والمجتهدين فى الاحكام فهو فى
الحقيقة ليس بتقليد بل اتباع لما انزل الله ومثل الذين
كفروا كمثل الذى ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء على
حذف مضاف تقديره ومثل داعى الذين كفروا كمثل الذين
ينعق او مثل الذين كفروا كمثل بهايم الذى ينعق والمعنى
ان الكفرة لانهماكهم فى التقليد لا يلقون اذهانهم الى
ما يتلى عليهم ولا يتأملون فيما يقرر معهم فهم فى ذلك
كالبهايم التى ينعق عليها فتسمع الصوت ولا تعرف مغزاه و
تحتس بالنداء ولا تفهم معناه وقيل هو تمثيل لهم فى اتباع
آباءهم على ظاهر حالهم جاهلين بحقيقتها بالبهايم التى تسمع
الصوت ولا تفهم ما تحته او تمثيل لهم فى دعائهم الاصنام

بالناعق الذي نعقه وهو التصويت على البهائم وهذا يغني
عن الاضمار ولكن لا يساعده قوله الا دعاء ونداء لان هؤ
الاصنام لا تسمع الا ان يجعل ذلك من باب التمثيل المركب
صم بكم عمي رفع على الذم فهم لا يعقلون اي بالفعل هـ
للاخلال بالنظر يا ايها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما
رزقناكم لما وسع الامر على الناس كافة واباح لهم ما
في الارض سوى ما حرم عليهم امر المؤمنين منهم ان يتحروا
طيبات ما رزقوا ويقوموا بحقوقها فقال واشكروا لله
على ما رزقكم واحدكم ان كنتم اياه تعبدون فان عبادتكم
لا تتم الا بالشكر فالمعلق بفعل العبادة هو الامر بالشكر
لا تمامه وهو عدم عند عدمه وعن النبي ﷺ يقول الله تعالى
اني والانس والجن في بناء عظيم اخلق ويعبد غيري وارزق
ويشكر غيري انما حرم عليكم الميتة اكلها وانتفاع بها وهي
التي ماتت من غير ذكوة والحديث الحق بها ما ابين من حي و
السمك والجراد اخرجها العرف عنها او استثنى الشرع والحرمة
المضافة الى العين تفيد عرفا حرمة التصرف فيها مطلقا الا ما
خصه الدليل كالتصرف في المدبوغ والدم ولحم الخنزير انما هـ
خص اللحم بالذكر لانه معظم ما يوكل من الحيوان وسائر
اجزائه كالتابع له وما اهل به لغير الله اي رفع به الصوت
عند ذبحه للصنم والاهلال اصله رؤية الهلال يقال اهل
الهلال واهللته لكن لما جرت العادة ان يرفع الصوت هـ
بالتكبير اذا رؤي سمي ذلك اهلالا ثم قيل لرفع الصوت
وان كان لغير ه فمن اضطر غير باغ بالاستيثار على مضطر
آخر وقرأ عاصم وابو عمرو وحمزة بكسر النون والاعاد سد
الرمق او الجوع وقيل غير باغ على الوالي والاعاد بقطع الطريق

فعلى

فعلى هذا لا يباح للعاصي بالسفر وهو ظاهر مذهب الشافعي
رضيه وقول احمد فلا اثم عليه في تناوله ان الله غفور لما فعل
رحيم بالرخصة فيه فان قيل انما تفيد قصر الحكم على ما ذكر وكم
من حرام لم يذكر قلت المراد قصر الحرمة على ما ذكر بما هـ
استحلوه لا مطلقا او قصر حرمته على حال الاختيار كانه قيل
انما حرم عليكم هذه الاشياء مالم تضطروا اليها ان الذين
يكتمون ما انزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا هـ
عوضا حقيرا اولئك ما يأكلون في بطونهم الا النار امثاني
الحال لانهم اكلوا ما يتلبس بالنار لكونها عقوبة عليه فكانه
اكل النار كقوله اكلت دما ان لم ارعك بضرة بعيدة مهوى
القرط طيبة النشر يعني الدية او في المال اي لا يأكلون يوم هـ
القيمة الا النار ومعنى في بطونهم ملأ بطونهم يقال اكل هـ
في بطنه واكل في بعض بطنه كقوله كلوا في بعض بطنكم تعفوا
ولا يكلمهم الله يوم القيمة عبارة عن غضبه عليهم وتعريض
بحرمانهم حال مقابليهم في الكرامة والزلفى من الله ولا يزكيهم
ولا يثني عليهم ولهم عذاب اليم مولم اولئك الذين اشتروا
الضلالة بالهدى في الدنيا والعذاب بالمغفرة في الاخرة هـ
بكتمان الحق للمطامع والاغراض الدنيوية فما اصبرهم على هـ
النار تعجب من حالهم في الالتباس بموجبات النار من غير
مبالاة وما نافية مرفوعة بالابتداء وتخصيصها كتخصيص
شر اهر ذا ناب او استفهامية وما بعدها الخبر او موصولة
وما بعدها صلته والخبر محذوف ذلك بان الله نزل الكتاب
بالحق اي ذلك العذاب بسبب ان الله نزل الكتاب بالحق هـ
فرضوه بالتكذيب او الكتمان وان الذين اختلفوا في الكتاب
اللام فيه اما للجنس واختلافهم ايمانهم ببعض كتب الله

اللام فيه اما للجنس واختلافهم ايمانهم ببعض كتب الله وكفرهم
ببعض او للعهد والاشارة اما الى التوراة واختلفوا بمعنى ه
تخلفوا عن المنهج المستقيم فى تأويلها او خلفوا خلاف ما انزل
الله مكانه اى حرفوا ما فيها واما الى القرآن واختلافهم فيه قولهم
سحر وتقوّل وكلام علمه بشر واساطير الاولين لفى شقاق ه
بعيد لفى خلاف بعيد عن الحق ليس البرّ ان تولوا وجوهكم قبل
المشرق والمغرب البرّ كل فعل مرضى والخطاب لاهل الكتاب
فانهم اكثروا الخوض فى امر القبلة حين حوّلت وادّعى كل ه
طائفة انّ البرّ هو التوجه الى قبلته فردّ الله عليهم فقال ليس
البرّ ما انتم عليه فانه منسوخ ولكنّ البرّ ما يبتنيه واتبعه المؤ
منون وقيل عامّ لهم وللمسلمين اى ليس البرّ مقصورا
بامر القبلة اوليس البرّ العظيم الذى يحسن ان تذهلوا بشانه
عن غيره امرها وقرأ حمزة وحفص ليس البرّ بالنصب ولكنّ
البرّ من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيّين
اى ولكنّ البرّ الذى ينبغى ان يهتمّ به برّ من آمن او ولكنّ
ذا البرّ من آمن ويؤيّده قرأ ولكنّ البارّ والاوّل اوفق
واحسن والمراد بالكتاب الجنس او القرآن وقرأ نافع وابن
عامر ولكن بالتخفيف ورفع البرّ وآتى المال على حبّه اى على
حبّ المال كما قالوا ثم لمّا سئل الى الصدقة افضل ان تؤتيه و
انت صحيح شحيح تأمّل العيش وتخشى الفقر وقيل الضمير
لله او للمصدر والجار والمجرور فى موضع الحال ذوى ه
القربى واليتامى يريد المحاويج منهم ولم يقيّد لعدم الا
لتباس وقدم ذوى القربى لانّ ايتامهم احقّ اثنتان
صدقة وصلة كما قالوا ثم صدقتك على المسكين صدقة و
على ذى رحمك اثنتان لانها صدقة وصلة وقالوا ثم افضل

الصدقة على ذى الرحم الكتاب والمساكين جمع المسكين و
هو الذى اسكنته الخلّة واصله دائم السكون كالمسكير ه
الدائم السكر وابن السبيل المسافر سمّى به لملازمته السبيل
كما سمّى القاطع ابن الطريق وقيل الضعيف لانّ السبيل
توصف به والسائلين الذين الجأتهم الحاجة الى السؤال و
قالوا هم للسائل حقّ وان جاء على ظهر فرسه وفى الرقاب
وفى تخليصها بمعاونة المكاتبين او فكّ الاسارى او ابتياع
الرقاب لعتقها واقام الصلوة المفروضة وآتى الزكوة
يحتمل ان يكون المقصود منه ومن قوله وآتى المال الزكوة
المفروضة ولكنّ الغرض من الاوّل بيان مصارفها والثانى
ادائها والحثّ عليها ويحتمل ان يكون المراد بالاوّل نوافل
الصدقات اوحقوقا كانت فى المال سوى الزكوة وفى الحديث
نسخت الزكوة كلّ صدقة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا
عطف على من آمن والصابرين فى البأساء والضرّاء نصبه على
المدح ولم يعطف لفضل الصبر على سائر الاعمال وعن الا
زهرى البأساء فى الاموال كالفقر والضرّاء فى النفس ه
كالمرض وحين البأس وقت مجاهدة العدوّ اولئك الذين
صدقوا فى الدين واتباع الحقّ وطلب البرّ واولئك هم
المتقون من الكفر وسائر الرذائل والآية كما ترى ه
جامعة للكمالات الانسانية باسرها دالّة عليها صريحا او
ضمنا فانها بكثرتها وتشعبها منحصرة بثلثة الاشياء صحة
الاعتقاد وحسن المعاشرة وتهذيب النفس وقد اشير الى
الاوّل بقوله من آمن الى والنبيين والى الثانى بقوله و
آتى المال الى وفى الرقاب والى الثالث بقوله واقام الصلوة
الى آخرها ولذلك وصف المستجمع لها بالصدق نظرا الى ايمانه

واعتقاده وبالتقوى اعتبارا بمعاشرته للخلق ومعاملته مع
الحق واليه اشار بقوله ع من عمل بهذه الآية فقد استكمل
الايمان يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى
الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى كان فى الجاهلية
بين حيين من احياء العرب دماء وكان لاحدهما طول
على الآخر فاقسموا لنقتلن الحر منكم بالعبد والذكر بالا
نثى فلما جاء الاسلام تحاكموا الى رسول الله ع فنزلت
وامرهم ان يتباوؤا ولا تدل على ان لا يقتل الحر بالعبد والذكر
بالانثى كما لا تدل على عكسه فان المفهوم حيث لم يظهر للتخصيص
غرض سوى اختصاص الحكم وقد بينا ما كان الغرض وانما
منع مالك والشافعى رضيه قتل الحر بالعبد سواء كان عبده او
عبد غيره لما روى على رضيه ان رجلا قتل عبده فجلده رسول
الله ع ونفاه سنة ولم يقده به وروى عنه عنه انه قال من
السنة ان لا تقتل مسلم بذى عهد ولا حر بعبد ولان ابا بكر
وعمر رضيه كانا لا يقتلان الحر بالعبد بين اظهر الصحابة من
غير نكير والقياس على الاطراف ومن اسلم دلالته فليس له
دعوى نسخه بقوله النفس بالنفس لانه حكاية ما فى التورية
فلا ينسخ ما فى القرآن واحتجة الحنفية به على ان مقتضى العمد
القود وحده وهو ضعيف اذ الواجب على التخيير يصدق عليه
انه وجب وكتب ولذلك قيل التخيير بين الواجب وغيره هو
ليس نسخا لوجوب به وقرئ كتب على البناء للفاعل والقصاص
بالنصب وكذا كل فعل جاء فى القرآن فمن عفى له من اخيه شئ
اى شئ من العفو لان عفا لازم وفائدة الاشعار بان بعض
العفو كالعفو التام فى اسقاط القصاص وقيل عفى بمعنى ترك
وشئ مفعول به وهو ضعيف اذ لم يثبت عفا الشئ بمعنى تركه

بل اعفاه

بل اعفاه وعفا تعدى بعن الى الجانى وبالى الذنب قال الله ﷻ عفا الله
عنك وقال الله ﷻ عفا الله عنها فاذا عدى به الى الذنب عدى
الى الجانى باللام وعليه ما فى الآية كانه قيل فمن عفى له عن جنايته
من جهة اخيه يعنى ولى الدم وذكره بلفظ الاخوة الثابتة
بينهما من الجنسية والاسلام ليرق له ويعطف عليه فاتباع
بالمعروف واداء اليه باحسان اى فليكن اتباع او فالامر اتباع
والمراد به وصية العافى بان يطالب الدية بالمعروف فلا يعنف و
المعفو عنه بان يؤديها باحسان وهو ان لا يمطل ولا يبخس
وفيه دليل على ان الدية احد مقتضى العمد والا لما رتب الامر
بادائها على مطلق العفو وللشافعى رضيه فى المسئلة قولان
ذلك اى الحكم المذكور فى العفو والدية تخفيف من ربكم و
رحمة لما فيه من التسهيل والنفع قيل كتب على اليهود القصاص
وحده وعلى النصارى العفو مطلقا وخيرت لهذه الامة بينهما
وبين الدية تيسيرا عليهم وتقديرا للحكم على حسب مراتبهم ه
فمن اعتدى بعد ذلك اى قتل بعد العفو واخذ الدية فله ه
عذاب اليم فى الآخرة وقيل فى الدنيا بان يقتل لا محالة لقوله ع
لا اعافى احدا قتل بعد اخذه الدية ولكم فى القصاص حيوة
كلام فى غاية الفصاحة والبلاغة من حيث جعل الشئ محل ضده
وعرف القصاص ونكر الحيوة ليدل على ان فى هذا الجنس من
الحكم نوعا ما به الحيوة عظيما وذلك لان العلم به يردع القاتل
عن القتل فيكون سبب حيوتة نفسين ولانهم كانوا يقتلون
غير القاتل والجماعة بالواحد فتنعدد الفتنة بينهم فاذا اقتص
من القاتل سلم الباقون ويصير ذلك سببا لحيوتهم وعلى ه
الاول فيه اضمار وعلى الثانى تخصيص وقيل المراد بها الحيوة
الاخروية فان القاتل اذا اقتص منه فى الدنيا لم يؤاخذ به

في الآخرة ولكم في القصاص حيوة يحتمل ان يكونا خبرين لحيوة
وان يكون احدهما خبرا والآخر صلة له اوحالا عن الضمير
المستكن فيه وقد قرئ في القصص اى فيما قص عليكم من حكم
القتل حيوة او في القرآن حيوة للقلوب يا اولى الالباب ذوى
العقول الكاملة نادا هم للتأمل في حكمة القصاص من استبقاء
الارواح وحفظ النفوس لعلكم تتقون في المحافظة على هذه
القصاص والحكم به والاذعان له اوعن القصاص فتكفوا عن
القتل كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت اى حضر اسبابه و
ظهرت اماراته ان ترك خيرا مالا وقيل مالا كثيرا لما روى عن
علي رضي ان مولى له اراد ان يوصي وله سبع مائة درهم فمنعه وقال قال الله تعالى ان ترك خيرا والخير هو المال الكثير
وعن عائشة رضي انّ رجلا اراد ان يوصي فسألته كم مالك
فقال ثلثة آلاف فقالت كم عيالك قال اربعة قالت انما قال
الله تعالى ان ترك خيرا وان هذا الشيء يسير فاتركه لعيالك هو
الوصية للوالدين والاقربين مرفوع بكتب وتذكير فعلها هو
للفصل اوعلى تأويل ان يوصي او الايصاء ولذلك ذكر الراجع
في قوله فمن بدله والعامل في اذا مدلول كتب لا الوصية لتقدمه
عليها وقيل مبتدأ وخبره للوالدين والجملة جواب الشرط باضمار
الفاء كقوله من يفعل الحسنات الله يشكرها وردّ بانه ان صح
فمن ضرورات الشعر وكان هذا الحكم في بداء الاسلام فنسخ
بآية المواريث وبقوله ﷺ انّ الله اعطى كلّ ذي حق حقه الا
لا وصية لوارث وفيه نظر لانّ آية المواريث لا تعارضه بل
تؤكّد ايضا من حيث انها تدل على تقديم الوصية مطلقا والحديث من
الآحاد وتلقي الامة لها بالقبول لا يلحقه بالمتواتر ولعله احترز
عنه من فسّر الوصية بما اوصى به الله من توريث الوالدين وهو

الاقربين

الاقربين بقوله يوصيكم او بايصاء المحتضر لهم بتوفير ما اوصى
به الله عليهم بالمعروف بالعدل فلا يفضل الغني ولا يتجاوز
الثلث حقا على المتقين مصدر مؤكد اى حق ذلك حقا فمن
بدّله غيّره من الاوصياء والشهود بعد ما سمعه ووصل اليه
وتحقق عنده فانما اثمه على الذين يبدلونه فان اثم الايصاء
المغيّر او التبديل الا على مبدّل اليه لانهم الذين خالفوا وهو
خالفوا الشرع انّ الله سميع عليم وعيد للمبدّل بغير حق هو
فمن خاف من موص اى توقع وعلم من قولهم اخاف ان يرسل
السماء وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب وابو بكر موص بالتشديد
جنفا ميلا بالخطاء في الوصية او اثما تعمد الحيف فاصلح بينهم
بين الموصى لهم باجرائهم على نهج فلا اثم عليه في هذا التبديل
لانه تبديل باطل الى حق بخلاف الاول انّ الله غفور رحيم
وعد للمصلح وذكر المغفرة لمطابقة ذكر الاثم وكون الفعل من
جنس ما يؤنم يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب
على الذين من قبلكم يعني الانبياء والامم من لدن آدم وهو
فيه توكيد للحكم وترغيب على الفعل وتطييب على النفس و
الصوم في اللغة الامساك عما تنازع اليه النفس وفي الشرع
الامساك عن المفطرات فانها معظم ما تشتهيه الانفس هو
لعلكم تتقون فان الصوم يكسر الشهوة التي هي مبتدأ فجورها
كما قال ﷺ فعليه بالصوم فان الصوم له وجاء او الاخلال هو
بادائه لاصالته وقدره ايّاما معدودات موقتات بعدد معلوم
او قلائل فان القليل من المال يعدّ عدا والكثير يرسل هيلا
ونصبها ليس بالصيام لوقوع الفصل بينهما بل باضمار صوموا
لدلالة الصيام عليه والمراد بها رمضان او ما وجب صومه
قبل وجوبه ونسخ به وهو عاشوراء او ثلثة ايام من كل شهر

او بكما كتب على الظرفية او على انه مفعول ثان لكتب عليكم على هذه
السعة وقيل معناه صوموكم كصومهم في عدد الايام كما روى ان
رمضان كتب على النصارى فوقع في برد او حر شديد فحولوه
الى الربيع وزادوا عليه عشرين كفارة لتحويله وقيل زادوا هذا
ذلك لموت ان اصابهم فمن كان منكم مريضا مرضا يضره الصوم
ويعسر معه او على سفر او راكب سفر وفيه ايماء بان من سافر
اثناء اليوم لم يفطر فعدة من ايام اخر اى فعليه صوم عدة
ايام المرض او السفر من ايام اخر ان افطر فحذف الشرط هذا
والمضاف والمضاف اليه للعلم بهما وقرئ بالنصب اى فليصم
عدة وهذا على سبيل الرخصة وقيل على الوجوب واليه ذهب
الظاهرية وبه قال ابو هريرة وعلى الذين يطيقونه وعلى المطيقين
للصيام ان افطروا فدية طعام مسكين نصف صاع من بر او
صاع من غيره عند فقهاء العراق ومد عند فقهاء الحجاز هذا
خص لهم في ذلك في اول الامر لما امروا بالصوم فاشتد عليهم
لانهم لم يتعودوه ثم نسخ وقرأ نافع وابن عامر برواية
ابن ذكوان باضافة الفدية الى الطعام وجمع المساكين وقرئ
يطوقونه اى يكلفونه او يقلدونه من الطوق بمعنى
الطاقة او القلادة ويتطوقونه اى ويتكلفونه او يتقلدونه
ويطوقونه بالادغام ويطيقونه على ان الاصل ما يطيوقونه
ويتطوقونه من فيعل وتفيعل بمعنى تتطيقونه وعلى هذه القراءة
يحتمل معنى ثانيا وهو الرخصة لمن يتعبه الصوم ويجهده و
هم الشيوخ والعجائز في الافطار والفدية فيكون ثابتا وقد
اول به القراءة المشهورة اى يصومونه جهدهم وطاقتهم
فمن تطوع خيرا فزاد في اية تقدية فهو خا التطوع او الخير
خير له وان تصوموا ايتها المطيقون او المطوقون وجهدكم

طاقتكم

خير لكم من الفدية وتطوع الخير او منهما ومن التاخير للقضاء
ان كنتم تعلمون ما في الصوم من الفضيلة وبراءة الذمة وجواب
محذوف دل عليه ما قبله الى اخر تمامه وقيل معناه ان كنتم
من اهل العلم والتدبر علمتم ان الصوم خير من ذلك شهر
رمضان مبتداء خبره ما بعده او خبر محذوف تقديره ذلكم
شهر رمضان او بدل من الصيام على المضاف اى كتب عليكم
الصيام صيام شهر رمضان وقرئ بالنصب على اضمار هذا
صوموا او على انه مفعول وان تصوموا وفيه ضعف او بدل من
ايام معدودات والشهر من الشهرة ورمضان مصدر رمض
اذا احترق فاضيف اليه الشهر وجعل علما ومنع من الصرف للعلمية
والالف والنون كما منع داية في ابن داية علما للغراب للعلمية
والتانيث وقوله وهم من صام رمضان فعلى حذف المضاف هذا
لامن الالتباس وانما سموه بذلك امالارتماضهم فيه من حر
الجوع والعطش او لارتماض الذنوب فيه او لوقوعه ايام
رمض الحر حينما نقلوا اسماء الشهور عن اللغة القديمة الذي
انزل فيه القرآن اى ابتداء فيه انزاله وكان ذلك ليلة القدر
او انزل فيه جملة الى سماء الدنيا ثم نزل منجما الى الارض او انزل
في شانه القرآن وهو قوله كتب عليكم الصيام وعن النبي صلعم
نزلت صحف ابراهيم اول ليلة من رمضان وانزلت التوراة
لستة مضين والانجيل لثلث عشرة والقرآن لاربع وعشرين
والموصول بصلته خبر المبتداء او صفته والخبر فمن شهد و
الفاء لوصف المبتداء بما تضمن معنى الشرط وفيه اشعار بان
الانزال فيه سبب اختصاصه بوجوب الصوم فيه هدى للناس
وبينات من الهدى والفرقان حالان من القرآن اى انزل وهو

هداية للناس باعجازه وآيات واضحات مما يهدى الى
الحق ويفرق بينه وبين الباطل بما فيه من الحكم والاحكام
فمن شهد منكم الشهر فليصمه فمن حضر في الشهر
ولم يكن مسافرا فليصم فيه والاصل فمن شهد فيه
فليصمه فيه ولكن وضع المظهر موضع المضمر الاول
للتعظيم ونصب على الظرفية وحذف الجار ونصب به
الضمير الناقل على الاتساع وقيل فمن شهد منكم هلال
الشهر فليصمه على انه مفعول به كقولك شهدت الجمعة
اى صلوتها فتكون ومن كان مريضا او على سفر فعدة
من ايام اخر مخصصا له لان المسافر والمريض ممن شهد
الشهد ولعل تكريره لذلك ولئلا يتوهم لنسخه لما نسخ
قرينه يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر اى يريد ان
ييسر عليكم ولا يعسر فلذلك اباح الفطر للمسافر والمرض
ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون
علل الفعل المحذوف دل عليه ما سبق اى وشرع جملة ما ذكر من
امر الشاهد بصوم الشهر والمريض بالقضاء ومراعاة عدة
ما افطر فيه والترخيص لتكملوا العدة الى آخرها على سبيل
اللف فان قوله ولتكملوا علة الامر بمراعاة العدد ولتكبروا
الله علة الامر بالقضاء وبيان كيفيته ولعلكم تشكرون علة
الترخيص والتيسير او الافعال كل فعله او معطوفة على علة
مقدرة مثل ليسهل عليكم او لتعلموا ما لا تعلمون ولتكملوا ويجوز
ان يعطف على اليسر اى ويريد بكم لتكملوا كقوله يريدون
ليطفؤا والمعنى بالتكبير تعظيم الله بالحمد والثناء عليه ولذلك
عدى بعلى وقيل تكبير يوم الفطر عند الاهلال وما يحتمل

المصدر

المصدر والخبر اى الذى هداكم اليه وعن عاصم برواية ابى بكر
ولتكملوا بالتشديد واذا سألك عبادى عنى فانى قريب اى
فقل لهم انى قريب وهو تمثيل لكمال علمه بافعال العباد واقوالهم واطلاعه على احوالهم بحال من قرب مكانه منهم
روى ان اعرابيا قال لرسول الله ﷺ اقريب ربنا فيناجيه
ام بعيد فينادیه فنزلت اجيب دعوة الداعى اذا دعان
تقرير للقرب ووعد للداعى بالاجابة فليستجيبوا لى اذا هم
دعوتهم للايمان والطاعة كما اجيبهم اذا دعونى لمهماتهم
وليؤمنوا بى امر بالثبات والمداومت عليه لعلهم يرشدون
راجين اصابة الرشد وهو اصابة الحق وقرئ بفتح الشين
وكسرها واعلم انه لما امرهم بصوم الشهر ومراعاة العدة
وحثهم على القيام بوظائف التكبير والشكر عقبه بهذه الآية
الدالة على انه خبير باحوالهم سميع لاقوالهم مجيب لدعائهم
مجازيهم على اعمالهم تأكيدا له وحثا عليه ثم بين احكام الصوم
فقال احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم روى ان المسلمين
كانوا اذا اصابوا حل لهم الاكل والشرب والجماع على ان يصلوا
العشاء او يرقدوا ثم ان عمر رضى بالشر بعد الصلوة فندم و
اتى النبى ﷺ واعتذر اليه فقال رجال واعترفوا بما صنعوا بعد
العشاء فنزلت احل لكم ليلة الصيام الليلة التى يصبح منها
صائما والرفث كناية عن الجماع لانه لا يكاد يخلو من رفث
وهو الافصاح بما يجب ان يكنى عنه وعدى بالى لتضمنه معنى الافضاء وايثاره ههنا لتقبيح ما ارتكبوه ولذلك سماه خيانة
وقرئ الرفوث لهن لباس لكم وانتم لباس لهن استيناف
يبين سبب الاحلال وهو قلة الصبر عنهن وصعوبة
اجتنابهن لكثرة المخالطة وشدة الملابسة ولما كان الرجل

والمراءة يعتنقان ويشتمل كل منهما على صاحبه شبه باللباس قال ره
الجعدى اذا ما الضجيع ثنى عطفها تثنت فكانت عليه لباسا
او لان كلا منهما يستر حال صاحبه ويمنعه عن الفجور علم
الله انكم كنتم تختانون انفسكم يظلمونها بتعريضها ره
للعقاب وتنقيص حظها من الثواب والاختيان ابلغ ره
من الخيانة كالاكتساب من الكسب فتاب عليكم لما تبتم مما
اقترفتموه وعفى عنكم ومحى عنكم اثره فالآن باشروهن
لما نسخ عنكم التحريم وفيه دليل على جواز نسخ السنة
بالقرآن والمباشرة الزاق البشرة بالبشرة كنى به عن
الجماع وابتغوا ما كتب الله لكم واطلبوا ما قدره لكم و
اثبته فى اللوح من الولد والمعنى ان المباشر ينبغى ان ره
يكون غرضه الولد فانه لحكمة من خلق الشهوة وره
لشرع النكاح لاقضاء الوطر وقيل النهى عن العزل و
قيل عن غير الحلال والتقدير وابتغوا المحل الذى كتبه الله لكم ره
وكلوا واشربوا حتى تبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود
من الفجر شبه اول ما يبدو من الفجر المعترض فى الافق وما يمتد
معه من غبش الليل بخيطين ابيض واسود واكتفى ببيان
الخيط الابيض بقوله من الفجر عن بيان الخيط الاسود لدلالته
عليه وبذلك خرجا عن الاستعارة الى التمثيل ويجوز ان يكون
من للتبعيض فان ما يبدو بعض الفجر وما روى انها نزلت
ولم ينزل من الفجر فعمد رجال الى خيطين ابيض واسود ولا
يزالون يأكلون ويشربون حتى تبين لهم فنزلت ان صح
فلعله كان قبل دخول رمضان وتاخير البيان الى وقت
الحاجة جائز واكتفى اولا باشتهارهما فى ذلك ثم صرح به ره
لبيان لما التبس على بعضهم وفى تجويز المباشرة الى الصبح ره

الدلالة على جواز تاخير الغسل اليه وصحة صوم الصبح جنبا
ثم اتموا الصيام الى الليل بيان آخر وقته ولخارج الليل عنه فينافى
صوم الوصال ولا تباشروهن وانتم عاكفون فى المساجد
معتكفون فيها والاعتكاف هو اللبث فى المسجد بقصد القربة
والمراد بالمباشرة الوطء وعن قتادة كان الرجل يعتكف
فيخرج الى امراته فيباشرها ثم يرجع فنهوا عن ذلك وفيه
دليل على ان الاعتكاف يكون فى المسجد ولا يختص بمسجد
دون مسجد وان الوطء يحرم فيه ويفسده لان النهى فى
العبادات يوجب الفساد وتلك حدود الله اى الاحكام
التى ذكرت فلا تقربوها نهى ان يقرب الحد الحاجز بين الحق
والباطل للاحتياط فى الباطل فضلا ان يتخطى عنه كما قالوا ان
لكل ملك حمى وان حمى الله محارمه فمن وقع حول الحمى يوشك
ان يقع فيه وهو ابلغ من قولنا فلا تعتدوها ويجوز ان يريد
بحدود الله محارمه ومناهيه كذلك مثل ذلك التبيين يبين
الله آياته للناس لعلهم يتقون مخالفة الاوامر والنواهى
ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل اى ولا تأكل بعضكم مال ره
بعض بالوجه الذى لم يبحه الله وبين نصب على الظرف او
الحال من الاموال وتدلوا بها الى الحكام عطف على النهى ره
او نصب باضمار ان والادلاء الالقاء اى ولا تلقوا حكومتكم
الى الحكام لتاكلوا بالتحاكم فريقا طائفة من اموال الناس
بالاثم بما يوجب اثما كشهادة الزور واليمين الكاذبة او
ملتبسين بالاثم وانتم تعلمون انكم مبطلون فان ارتكاب
المعصية مع العلم بها اقبح روى ان عبدان الحضرمى ادعى على امرئ
القيس الكندى قطعة ارض ولم يكن له بينة فحكم رسول الله
بان يحلف امرئ القيس فهم به فقراء هم ان الذين يشترون

بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا فاردع عن اليمين وسلم الارض ه
الى عبد ان الخصم فنزلت وهي دليل على ان حكم القاضي لا ينفذ ه
باطنا ويؤيده قوله ع انما انا بشر وانتم تختصمون الي ولعل
بعضكم يكون الحن بحجته عن بعض فاقضي له على نحو ما اسمع
منه فمن قضيت له بشيء من حق اخيه فانما اقضي له قطعة من
نار يسئلونك عن الاهلة سئله معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم
فقالا ما بال الهلال يبدو دقيقا كالخيط ثم يزيد حتى يستوي
ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدا قل هي مواقيت للناس
والحج انهم سئلوه عن الحكمة في اختلاف حال القمر وتبدل
امره فامره الله بان يجيب بان الحكمة الظاهرة في ذلك ان تكون
معالم للناس يوقتون بها امورهم ومعالم للعبادات الموقتة
يعرف بها اوقاتها وخصوصا الحج فان الوقت يراعى فيه ه
اداء وقضاء والمواقيت جمع ميقات من الوقت والفرق بينه
وبين المدة والزمان ان المدة المطلقة امتداد حركة الفلك ه
من مبدائها الى منتهاها والزمان مدة الى الماضي والحال والمستقبل
والوقت الزمان المفروض لامر وليس البر بان تاتوا البيوت
قراء ابو عمرو وورش وحفص بضم الباء والباقون بالكسر من
ظهورها ولكن البر من اتقى وقراء نافع وابن عامر بتخفيف
لكن ورفع البر كانت الانصار اذا احرموا لم يدخلوا دارا
ولا فسطاطا من بابه وانما يدخلون ويخرجون من ثقب او
فرجة وراءه ويعدون ذلك برا فبين لهم انه ليس ببر و
انما البر من اتقى المحارم والشهوات ووجه اتصاله بما
قبله انهم سئلوا عن الامرين او انه لما ذكر انها مواقيت
الحج وهذا ايضا من افعالهم في الحج ذكره للاستطراد وانهم
لما سئلوا عما لا يعنو نه ولا يتعلق بعلم النبوة وترك السؤال

عما يعنو نه ويختص بعلم النبوت عقب بذكره ما سئلوه ه
تنبيها على ان اللائق بهم ان يسئلوا امثال ذلك ويهتموا بالعلم
بها او ان المراد به التنبيه على تعكسهم السئوال وتمثيلهم
بحال من ترك باب البيت ودخل من ورائه والمعنى وليس
البر ان تعكسوا في مسائلكم ولكن البر من اتقى ذلك ولم
يحبس على مثله واتوا البيوت من ابوابها اذ ليس في العدو
بر وبادروا الامور من وجوهها واتقوا الله في تغيير
احكامه والاعتراض على افعاله لعلكم تفلحون لكي تظفروا
بالهدى والبر وقاتلوا في سبيل الله جاهدوا الاعداء لاعلاء كلمته واعزاز دينه الذين يقاتلونكم قيل كان ذلك
قبل ان امروا بقتال المشركين كافة المقاتلين منهم والمجاهرين
وقيل معناه الذين يناصبونكم القتال ويتوقع منهم ذلك
دون غيرهم من المشايخ والصبيان والرهابنة والنساء او
الكفرة كلهم فانهم بصدد قتال المسلمين وعلى قصده ويؤيده
الاول ما روى ان المشركين صدوا رسول الله ص عام ه
الحديبية وصالحوه على ان يرجع من قابل فيخلوا له مكة ثلثة
ايام فرجع لعمرة القضاء وخاف المسلمون ان لا يفوا لهم وه
يقاتلوهم في الحرم وفي الشهر الحرام وكرهوا ذلك فنزلت ه
ولا تعتدوا بالابتداء القتال او بقتال المعاهد والمفاجات به
من غير دعوة والمثلة واقتل من نهيتم عن قتله ان الله لا ه
يحب المعتدين لا يريد بهم الخير واقتلوهم حيث ثقفتموهم
حيث وجدتموهم في حل او حرم واصل الثقف الحذق في ادراك
الشيء علما او عملا فهو يتضمن معنى الغلبة ولذلك استعمل فيها
قال فاما تثقفنهم في الحرب فاقتلوهم فمن اثقف فليس الى خلود ه
واخرجوهم من حيث اخرجوكم اى من مكة وقد فعل ذلك بمن لم

يسلم يوم الفتح والفتنة اشد من القتل اى المحنة التى يفتتن
بها الانسان كالاخراج من الوطن اصعب من القتل لدوامه
تعبها وتالم النفس بها وقيل معناه شركهم فى الحرم وصدهم
اياكم عنه اشد من قتلكم اياهم فيه ولا تقاتلوهم عند المسجد
الحرام حتى يقاتلوكم فيه لا تفاتحوهم بالقتال وهتك حرمة
المسجد الحرام فان قاتلوكم فاقتلوهم فلا تبالوا بقتالهم
ثمة فانهم الذين هتكوا حرمته وقرأ حمزة والكسائى ولا
تقتلوهم حتى يقتلوكم فان قتلوكم والمعنى حتى يقتلوا
بعضكم كقولهم قتلنا بنو اسد كذلك جزاء الكافرين مثل
ذلك جزاؤهم يفعل بهم مثل ما فعلوا فان انتهوا عن الكفر و
القتال فان الله غفور رحيم يغفر لهم ما قد سلف وقاتلوهم
حتى لا تكون فتنة وهى شرك ويكون الدين لله خالصا له
ليس للشيطان فيه نصيب فان انتهوا عن الشرك فلا عدوان
الا على الظالمين اى فلا تعتدوا على المنتهين ان لا يحسن ان
يظلم الا من ظلم فوضع العلة موضع الحكم وسمى جزاء الظلم
باسمه للمشاكلة كقوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه
او انكم ان تعرضتم صرتم ظالمين وينعكس الامر عليكم و
الفاء الاولى للتعقيب والثانية للجزاء الشهر الحرام بالشهر
الحرام والحرمات قصاص فاقتلكم المشركون عام الحديبية
فى ذى القعدة فاتفق خروجهم لعمرة القضاء فيه وكرهوا
ان يقاتلوهم لحرمته فقيل لهم هذا الشهر بذلك وهتكه
بهتكه فلا تبالوا به فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه احتجاج
عليه اى كل حرمة وهو ما يجب ان يحافظ عليها يجرى فيه
القصاص فلما هتكوا حرمة شهركم بالصد فافعلوا بهم مثله
وادخلوا عليهم عنوة واقتلوهم ان قاتلوكم كما قال بمثل ما

للمنتهين ٢

اعتدى

اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا ان الله مع المتقين وهو
فذلكة التقرير واتقوا الله فى الانتصار ولا تعتدوا الى ما لم
يرخص لكم فيه بشرهم ويصلح شانهم وانفقوا فى
سبيل الله ولا تمسكوا كل الامساك ولا تلقوا بايديكم
الى التهلكة بالاسراف وتضييع وجه المعاش او بالكف
عن الغزو والانفاق فيه فانه يقوى العدو ويسلطهم
على اهلاكهم ويؤيده ما روى عن ابى ايوب الانصارى انه
قال لما اعز الله الاسلام وكثر اهله رجعنا الى اهالينا واموالنا
نقيم فيها ونصلحها فنزلت او بالامساك وحب المال فانه
يؤدى الى الاهلاك المؤبد ولذلك سمى البخل هلاكا وهو
فى الاصل انتهاء الشئ فى الفساد والالقاء طرح الشئ وعدى
بالى لتضمن معنى الانتهاء والباء مزيدة والمراد بالايدى الا
نفس والتهلكة والهلاك والهلك واحد فهى مصدر كا
لتضرة والتسرة اى لا توقعوا انفسكم فى الهلاك وقيل معناه
لا تجعلوها آخذة بايديكم او لا تلقوا بايديكم انفسكم اليها
فحذف المفعول واحسنوا اعمالكم واخلاقكم او تفضلوا على
المحاوج ان الله يحب المحسنين واتموا الحج والعمرة لله ائتوا
بهما تامين مستجمع المناسك لوجه الله وهو على هذا يدل على
وجوبهما ويؤيده قراءة من قرأ واقيموا الحج والعمرة وما روى
عن جابر انه قيل يا رسول الله العمرة واجبة مثل الحج فقال لا
ولكن ان تعتمر خير لك معارض بما روى ان رجلا قال لعمر
رضه انى وجدت الحج والعمرة مكتوبين على اهللت بهما
جميعا فقال هديت لسنة نبيك ولا يقال انه فسر وجدانهما
مكتوبين بقوله اهللت بهما جميعا فجاز ان يكون الوجوب
بسبب اهلاله بهما لانه رتب الاهلال على الوجدان وذلك يدل

على انه سبب الاهلال دون العكس وقيل اتمامهما ان تحرم بهما
من دويرة اهلك او ان تفرد لكل منهما سفرا او ان تجرده
لهما لا تشوبهما بغرض دنيوي او ان تكون النفقة حلالا فان
احصر تمتع منعتم يقال حصره العدو واحصره اذا حبسه ومنعه
عن المضي مثل صده واصده والمراد حصر العدو عند الشافعي
ومالك لقوله ﷺ فاذا امنتم ولنزوله في الحديبية ولقول ابن عباس
رضيه لا حصر الا حصر العدو وكل منع من عدو او مرض او غيرهما
عند ابي حنيفة لما روي عنه رضيه من كسر او عرج فعليه الحج من
قابل وهو ضعيف يا قول بما اذا شرط الاحلال به لقوله رضيه
لضباعة بنت الزبير حجي واشترطي وقوله اللهم محلي حيث
حبستني فما استيسر من الهدى فعليكم ما استيسر او فالواجب
ما استيسر او فاهدوا اما استيسر والمعنى ان احصر المحرم و
اراد ان يتحلل تحلل بذبح هدى يسر عليه من بدنة او بقرة او
شاة حيث احصي عند الاكثر لانه رضيه ذبح عام الحديبية بها
وهي من الحل وعند ابي حنيفة رضيه يبعث به ويجعل المبعوث
بيده يوما ما فاذا جاء اليوم وظن انه ذبح تحلل لقوله ولا تحلقوا
رؤسكم حتى تبلغ الهدى محله اي لا تحلقوا حتى تعلموا
ان الهدى المبعوث الى الحرم بلغ محله اي مكانه الذي يجب
ان ينحر فيه وحمل الاولون بلوغ الهدى محله على ذبحه فيه حلا
او حرما واقتصاره الهدى دليل عدم القضاء وقال ابو حنيفة
والمحل بالكسر يطلق للمكان والزمان والهدى جمع هدية كجدي
جمع جدية وقرئ من الهدى جمع هدية كمطي في مطية فمن كان
منكم مريضا بحوجه الى الحلق او به اذى من رأسه كجراحة وقمل
ففدية فعليه فدية ان حلق من صيام او صدقة او نسك بيان
لجنس الفدية واما قدرها فقد روي انه رضيه قال لكعب بن عجرة

لعلك

لعلك اذاك هوامك قال نعم يا رسول قال احلق وصم ثلثة ايام
او صدق بفرق على ستة مساكين او انسك شاة والفرق هو
ثلثة اصوع فاذا امنتم الاحصار او كنتم في حال سعة وامن
فمن تمتع بالعمرة الى الحج فمن استمتع وانتفع بالتقرب الى الله
بالعمرة قبل الانتفاع بتقربه بالحج في اشهره وقيل فمن استمتع
بعد التحلل من عمرته باستباحة محظورات الاحرام الى ان يحرم
بالحج فما استيسر من الهدى فعليه دم استيسره بسبب التمتع
فهو دم جبر ان يذبحه اذا احرم بالحج ولا ياكل منه وقال
ابو حنيفة رضيه انه دم نسك فهو كالاضحية فمن لم يجد
اي الهدى فصيام ثلثة ايام في الحج في ايام الاشتغال به
بعد الاحرام وقبل التحلل وقال ابو حنيفة في اشهره بين
الاحرامين والاحب ان يصوم سابع ذي الحجة وثامنه
وتاسعه ولا يجوز صوم النحر وايام التشريق عند
الاكثرين وسبعة اذا رجعتم الى اهليكم وهو احد قولي
الشافعي رضيه او نفرتم وفرغتم من اعماله وهو قوله
الثاني ومذهب ابو حنيفة رضيه وقرئ سبعة بالنصب
عطفا على ثلثة ايام تلك عشرة فذلك الحساب وفائدتها
ان لا يتوهم ان الواو بمعنى او كقولك جالس الحسن و
ابن سيرين وان يعلم العدد جملة كما علم تفصيلا فان
اكثر العرب لم يحسنوا الحساب وان المراد بالسبعة هو
العدد دون الكثرة فانه يطلق لهما كاملة موكدة تفيد
المبالغة في محافظة العدد او مبينة كالعشرة فانه اول
عدد كامل اذ به تنتهي الاحاد ويتم مراتبها او مقيدة
تفيد كمال بدليتها من الهدى ذلك اشارة الى الحكم
المذكور عندنا والتمتع عند ابي حنيفة رضيه اذ لا متعة ولا

قران لحاضر المسجد الحرام عنده فمن فعل ذلك منهم فعليه
دم جناية لمن لم يكن اهله حاضر المسجد وهو من كان من
الحرم على مسافة القصر عندنا وان كان على الاقل فانه هـ
مقيم الحرام او في حكمه ومن كان مسكنه وراء الميقات عنده
واهل الحل عند طاوس وغير المكي عند مالك واتقوا الله
في المحافظة على اوامره ونواهيه وخصوصا في الحج واعلموا ان
الله شديد العقاب لمن لم يتقه كي يصدكم العلم به عن العصيان
الحج اشهر اي وقته كقولك البرد شهران معلومات معروفات هو شوال وذي القعدة وتسع ذي الحجة بليلة النحر
عندنا والعشر عند الحج رضيه وذي الحجة كله عند مالك و
بناء الخلاف ان المراد بوقته وقت احرامه او وقت اعماله
ومناسكه او ما لا يحسن فيه غيره من المناسك مطلقا فان
ما لا كره العمرة في بقية ذي الحجة والابرج رضيه وان صح الاهـ
حرام به قبل شوال فقد استكرهه وانما سمي شهرين وبعض
شهر اشهرا اقامة للبعض مقام الكل او اطلاقا للجمع على ما فوق
الواحد فمن فرض فيهن الحج فمن اوجبه على نفسه بالاحرام فيهن
عندنا او بالتلبية او سوق الهدى عند الحج وهو دليل على
ما ذاهب اليه الشافعي رضيه وان من احرم بالحج لزمه الاتمام
فلا رفث فلا جماع او فلا فحش من الكلام ولا فسوق ولا
خروج عن حدود الشرع بالسباب وارتكاب المحظورات
ولا جدال ولا مراء مع الخدم والرفقة في الحج في ايامه نفي الثلث
على قصد النهي للمبالغة والدلالة على انها حقيقة بان لا
يكون وما كانت منها مستقبحة في انفسها ففي الحج اقبح كلبس
الحرير في الصلوة والتطريب بقراءة القرآن لانه خروج هـ
عن مقتضى الطبع والعادة الى محض العبادة وقراء ابن كثير

وابو عمرو

وابو عمرو والاولين بالرفع على معنى لا يكدنن رفث ولا
فسوق والثالث بالفتح على معنا الاخبار بانتفاء الخلاف
في الحج وذلك ان قريشا كانت تخالف سائر العرب فتقف
بالمشعر الحرام فارتفع الخلاف في بان امروا بان يقفوا ايضا
بعرفة وما تفعلوا من خير يعلمه الله حث على الخير عقيبا
النهي عن الشر ليستبدل به ويستعمل مكانه وتزودوا
فان خير الزاد التقوى وتزودوا لمعادكم التقوى هـ
فانه خير زاد وقيل نزلت في اهل اليمن كانوا يحجون ولا
يتزودون ويقولون نحن متوكلون فتكون كلا كسلا
على الناس فامروا ان يتزودوا ويتقوا الابرام في التوكل
والتثقيل على الناس واتقوني يا اولي الالباب فان خشية
اللب خشية الله هـ واتقوه حثهم على التقوى ثم امرهم
بان يكون المقصود بها هو الله فيتبرأ عن كل شيء سواه هـ
الله وهو مقتضى العقل المعرى عن شوائب الهوى فلذلك هـ
خصص اولي الالباب بهذا الخطاب ليس عليكم جناح ان تبتغوا
في ان تبتغوا اي تبطلوا فضلا من ربكم عطاء ورزقا منه يريد
الربح بالتجارة قيل كان عكاظ ومجنة وذي المجاز اسواقهم
في الجاهلية يقيمون بها مواسم الحج وكانت معايشهم منها فلما
جاء الاسلام تأثموا منه فنزلت فاذا افضتم من عرفات هـ
رفعتم منها بكثرة من افضت الماء اذا صببته بكثرة واصله
افضتم انفسكم فحذف المفعول كما حذف في دفعت من البصرة
وعرفات جمع سمي به كاذرعات وانما ينون ويكسر وفيها هـ
العلمية والتانيث لان تنوين الجمع تنوين المقابلة لا تنوين
التمكن ولذلك يجمع بالالف وذهاب الكسرة تبع ذهاب التنوين
من غير عوض لعدم الصرف وهنا ليس كذلك او لان التا

نيث

امّا ان يكون بالتاء المذكورة وهى ليست تاء تأنيث وانما هى
مع الف قبلها علامة جمع المؤنث او بتاء مقدرة كما فى سعاد
ولا يصح تقديرها لان المذكورة تمنعه من حيث انها
كالبدل لها لاختصاصها بالمؤنث كتاء بنتٍ وانما سمّى
الموقف عرفة لانه نعت لابراهيم لما ابصره عرفه او
لان جبرائيل كان يدور به فى المشاعر فلما اراه قال قد عرفت
او لان آدم وحوّى التقيا فيه فتعارفا والاصل ان الناس يتعارفون
يتعارفون فيه وعرفات للمبالغة فى ذلك وهى من الاسماء
المرتجلة الآن تجعل جمع عارف وفيه دليل وجوب الوقوف
بها لان الافاضة لا تكون الا بعده وهى مأمور بها بقوله ثم
افيضوا او مقدمة للذكر المأمور به وفيه نظر اذ الذكر غير
واجب والامر به غير مطلق فاذكروا الله بالتلبية والتهليل
والدعاء وقيل بصلوة العشاءين عند المشعر الحرام جبل يقف
عليه الامام وسمّى قزح وقيل ما بين مازمى عرفة اى طريقين
ووادى محسّر ويؤيد الاول ما روى جابر انه ﷺ لما صلى
الفجر يعنى بالمزدلفة بغلس ركب فاقته حتى اتى المشعر
الحرام فدعاه وكبّره وهلّله ولم يزل واقفا حتى اسفر واتما
سمّى مشعرا لانه معلم العبادة ووصف بالحرام لحرمته و
معنى عند المشعر الحرام مما يليه ويقرب منه فانه افضل والا
فالمزدلفة كلها موقف الا وادى محسّر واذكروه كما هداكم
كما علّمكم او اذكروه ذكرا حسنا كما هداكم هداية حسنة الى
المناسك وغيرها او مصدرية او كافة وان كنتم من قبله
اى الهدى لمن الضالين الجاهلين بالايمان والطاعة وان
هى المخففة واللام هى الفارقة وقيل ان نافية واللام بمعنى الا
كقوله ﴿وان انظنك لمن الكاذبين﴾ ثم افيضوا من حيث

افاض

افاض الناس اى من عرفة لا من المزدلفة والخطاب مع
قريش كانوا يقفون بجمع وسائر الناس بعرفة ويرون
ذلك ترفعا عليهم فامروا بان يساووهم وثم لتفاوت
ما بين الافاضتين كما فى قولك احسن الى الناس ثم لا تحسن
الى غير كريم وقيل من مزدلفة الى منا بعد الافاضة من هـ
عرفة اليها والخطاب عام وقرئ الناس بكسر السين اب
الناس يريد به آدم من قوله ﴿فنسى﴾ والمعنى ان الافاضة
من عرفة شرع قديم فلا تغيروه واستغفروا الله من
جاهليتكم فى تغيير المناسك ونحوه ان الله غفور رحيم يغفر
ذنب المستغفر وينعم عليه فاذا قضيتم مناسككم فاذا قضيتم
العبادات الحجية وفرغتم منها فاذكروا الله كذكركم آباءكم
فاكثروا ذكره وبالغوا فيه كما تفعلون بذكر آبائكم فى المفاخر
كانت العرب اذا قضوا مناسكهم وقفوا بمنى بين المسجد
والجبل فيذكرون مفاخر آبائهم ومحاسن ايامهم او اشدّ ذكرا
اما مجرور معطوف على الذكر بجعل الذكى ذكرا على المجاز و
المعنى فاذكروا الله ذكرا كذكركم آباءكم او كذكرا اشدّ منه
وابلغ او على ما اضيف اليه على ضعف بمعنى او كذكر قوم هـ
اشدّ منكم ذكرا وامّا منصوب بالعطف على آبائكم وذكر من
فعل المذكور بمعنى او كذكركم اشدّ مذكورا من آبائكم او
بمضمر دلّ عليه المعنى تقديره او كونوا اشدّ ذكرا الله منكم هـ
لآبائكم فمن الناس من يقول تفصيل للذاكرين الى مقلّ لا
يطلب بذكر الله الا الدنيا ومكثر يطلب خيرى الدارين و
المراد به الحث على الاكثار والارشاد اليه ربنا آتنا فى الدنيا
اجعل ايتاءنا ومنحتنا فى الدنيا وما له فى الآخرة من خلاق
اى نصيب وحظ لان همته مقصورة بالدنيا او من طلب خلاق

ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة يعني الصحة والكفاف
وتوفيق الخير وفي الآخرة حسنة يعني الثواب والرحمة وقنا
عذاب النار بالعفو والمغفرة وقول علي رضيه الحسنة في الدنيا
المرأة الصالحة وفي الآخرة الحوراء وعذاب النار امرأة ه
السوء وقول الحسن الحسنة في الدنيا العلم والعبادة ه
وفي الآخرة الجنة وقنا عذاب النار معناه احفظنا من
الشهوات والذنوب المؤدية الى النار امثلة للمراد بها
اولئك اشارة الى الفريق الثاني وقيل اليهما لهم نصيب
مما كسبوا اي من جنسه ولهو جزاؤه او من اجله كقوله ه
مما خطيئاتهم اغرقوا او مما دعوا به تعطيهم منه ما قدرناه
فعنى الدعاء كسبا لانه من الاعمال والله سريع الحساب بحاسب
العباد على كثرتهم وكثرة اعمالهم في مقدار لمحة او بيقين
ان يقيم القيامة ويحاسب الناس فبادروا الى الطاعات وه
اكتساب الحسنات واذكروا الله في ايام معدودات كبروه
او بادروا الصلوة وعند ذبح القرابين ورمي الجمار وغيرها
في ايام التشريق فمن تعجل النفر في يومين يوم القر
والذي بعده اي فمن نفر في ثاني التشريق بعد رمي الجمار
عندنا وقبل طلوع الفجر عنده فلا اثم عليه باستعجاله ومن
تاخر فلا اثم عليه ومن تاخر في النفر حتى رمى اليوم الثالث
بعد الزوال وقال ابو حنيفة رضيه يجوز تقديم رميه على
الزوال ومعنى نفي الاثم بالتعجل والتاخير التخيير بينهما
والرد على اهل الجاهلية فان منهم من اثم المستعجل ومنهم ه
من اثم المتاخر لمن اتقى الذي ذكر من التخيير او من الاثم
مكان لمن انفى لانه الحاج على الحقيقة والمنتفع به او لاجله حتى
لا يتقرب بترك ما يتمه منهما واتقوا الله في مجامع اموركم ه

لعباداتكم واعلموا انكم اليه تحشرون للجزاء بعد الاحياء واصل
الحشر الجمع وضم المتفرق ومن الناس من يعجبك قوله بروقه
ويعظم في نفسك والتعجب حيرة تعرض للانسان لجهله بسبب
المتعجب منه في الحيوة الدنيا متعلق بالقول اي ما يقوله في امور
الدنيا واسباب المعاش او في معنى الدنيا فانها مرادة من
ادعاء المحبة واظهار الايمان او بيعجبك اي يعجبك قوله في
الدنيا حلاوة وفصاحة ولا يعجبك في الآخرة لما يعتريه من
الدهشة والحيشة او لانه لا يؤذن له في الكلام ويشهد الله
على ما في قلبه يحلفه ويستشهد على ان ما في قلبه موافق لكلامه
وهو الد الخصام شديد العداوة والجدال للمسلمين والخصام
المخاصمة ويجوز ان يكون جمع خصم كصعب وصعاب بمعنى
اشد الخصوم خصومة قيل نزلت في الاخنس بن شريق
الثقفي وكان المنظر حلو المنطق يوالي رسول الله ويدعي
الاسلام وقيل في المنافقين كلهم واذا تولى ادبر وانصرف
عنك وقيل اذا غلب وصار والي ساعي في الارض ليفسد فيها
ويهلك الحرث والنسل كما فعله الاخنس بن شقفي اذ بيتهم
واحرق زروعهم واهلك مواشيهم او كما يفعله ولات
السوء بالقتل والاتلاف او بالظلم حتى يمنع الله بشومه القطر
فيهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد ولا يرتضيه فاحذروا
غضبه عليه واذا قيل له اتق الله اخذته العزة بالاثم حملته الا
نفة وحمية الجاهلية على الاثم الذي يوبى باتقائه لجاجا من ه
قولك اخذته بكذا اذا حملته عليه والزمته اياه فحسبه جهنم
كفته جزاء وعذابا وجهنم علم لدار العقاب وقيل مرادف
للنار وقيل معرب ولبئس المهاد وجواب مقدر والمخصوص
بالذم محذوف للعلم به والمهاد الفراش وقيل ما يوطأ ه

للجنب ومن الناس من يشترى نفسه يبيعها اى يبذلها فى
الجهاد او يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر حتى يقتل ابتغاء
مرضات الله طلبا لرضاه وقيل انها نزلت فى صهيب بن
سنان الرومى اخذه المشركون وعذبوه ليرتد فقال انى
شيخ كبير لاينفعكم ان كنت معكم ولايضركم ان كنت عليكم
فخلوا لى وما انا عليه وخذوا مالى فقبلوه منه واتى المدينة
والله رؤف بالعباد حيث ارشدهم الى مثل هذا الشراء و
كلفهم بالجهاد فعرضهم لثواب الغزاة والشهداء يا ايها الذين
آمنوا ادخلوا فى السلم كافة السلم بالكسر والفتح الاستسلام
والطاعة ولذلك يطلق فى الصلح والاسلام فتحه ابن كثير و
نافع والكسائى وكسره الباقون وكافة اسم للجملة لانها تكف
الاجزاء من التفرق حال من الضمير او السلم لانها تؤنث
كالحرب قال السلم تأخذ منها ما رضيت به والحرب تكفيك
من انفاسها جراع والمعنى استسلموا لله واطيعوه جملة ظاهرا
وباطنا والخطاب للمنافقين او ادخلوا فى الاسلام بكليتكم ولا
تخلطوا به غيره والخطاب لمن منى اهل الكتاب فانهم يعلم
اسلامهم عظموا السبت وحرموا الابل والبانها او فى شرائع
الله كلها بالايمان والانبياء والكتب جميعا والخطاب لاهل
الكتاب او فى شعب الاسلام واحكامه كلها فلا تخلوا بشئ
منها والخطاب للمسلمين ولا تتبعوا خطوات الشيطان ه
بالتفرق والتفريق انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة فان ه
زللتم عن الدخول فى السلم من بعد ماجاءتكم البينات الآيات
والحجج الشاهدة على انه الحق فاعلموا ان الله عزيز لايعجزه
الانتقام حكيم لاينتقم الا بالحق هل ينظرون استفهام فى معنى
النفى ولذلك جاء بعده الا ان يأتيهم الله اى يأتيهم امره وبأسه

كقوله تع او يأتى امر ربك فجاءهم بأسنا او يأتيهم الله ببأسه
فحذف المأتى به للدلالة عليه بقوله ان الله عزيز حكيم فى الظلل
جمع ظلة كقلة وقلل وهى ما اضلك وقرئ ظلال كقلال من
الغمام السحاب الابيض وانما يأتيهم العذاب فيه لانه مظنة
الرحمة فاذا جاء منه العذاب كان افظع لان الشر اذا جاء
من حيث لايحتسب كان اصعب فكيف اذا جاء من حيث
يحتسب الخير والملائكة فانهم الواسطة فى اتيان امره او
الآتون على الحقيقة ببأسه وقرئ بالجر عطفا على ظلل او
الغمام وقضى الامر اتم امر اهلاكهم وفرغ منه وضع ه
الماضى موضع المستقبل لدنوه ويتقن وقوعه وقرئ
وقضاء الامر عطفا على الملائكة والى الله ترجع الامور ه
قراءه ابن كثير ونافع وابو عمرو وعاصم على بناء للمفعول
على انه من الرجع وقراءة الباقون على البناء للفاعل بالتأنيث
غير يعقوب على انه من الرجوع وقرئ ايضا بالتذكير ه
وبناء للمفعول سل بنى اسرائيل امر للرسول ع م او
لكل احد والمراد بهذا السؤال تقريعهم كم آتيناهم من
آية بينة معجزة ظاهرة او آية فى الكتب شاهدة على الحق
والصواب على ايدى الانبياء وكم خبرية او استفهامية ه
مقررة ومحلها النصب على المفعولية او الرفع بالابتداء
على حذف العائد من الخبر الى المبتدأ وآية مميزها ومن
الفصل ومن يبدل نعمة الله اى آيات الله فانها سبب الهدى
الذى هو اجل النعم بجعلها سبب الضلالة وازدياد الرجس
او بالتحريف والتأويل الزائغ من بعد ما جاءته من بعد ما
وصلت اليه ويمكن معرفتها وفيه تعريض بانهم بدلوها بعد
ماعقلوها ولذلك قيل تقديره فبدلوها ومن تبدل فان ه

الله شديد العقاب فيعاقبه اشد عقوبة لانه ارتكب اشد جريمة
زين للذين كفروا الحيوة الدنيا ويسخرون من الذين آمنوا حسنت
في اعينهم واشربت محبتها في قلوبهم حتى تهالكوا عليها وهم
اعرضوا عن غيرها والمزين على الحقيقة هو الله كما اذا من شيء
الا وهو فاعله ويدل عليه قراءة زين على البناء للفاعل وكل من
الشيطان والقوة الحيوانية وما خلق الله فيها من الامور البهية
والاشياء الشهية مزين بالعرض يريد فقراء والمؤمنين هو
كبلال وعمار وصهيب اى يستذلونهم ويستهزؤن بهم على
رفضهم الدنيا واقبالهم على العقبى ومن للابتداء كانهم جعلوا
مبداء السخرية مبتدئة منهم والذين اتقوا فوقهم يوم القيمة
لانهم في عليين وهم في اسفل السافلين او لانهم في كرامة و
هم في مذلة او لانهم يتطاولون عليهم فيسخرون منهم كما
يسخر منهم في الدنيا وانما قال والذين اتقوا بعد قوله من
الذين آمنوا ليدل على انهم متقون وان استعلاهم للتقوى و
الله يرزق من يشاء في الدارين بغير حساب بغير تقدير هو
فيوسع في الدنيا استدراجا تارة وابتلاء اخرى كان الناس
امة واحدة متفقين على الحق فيما بين آدم وادريس او نوح
او بعد الطوفان او متفقين على الجهالة والكفر في فترة ادريس
او نوح فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين اى اختلفوا هو
فبعث الله وانما حذف للدلالة فعلم مما اختلفوا فيه وعن كعب
الذى علمته من عدد الانبياء مائة واربعة وعشرين الفا و
المرسل منهم ثلثمائة وثلثة عشر والمذكور في القرآن
باسم العلم ثمانية وعشرون وانزل معهم الكتاب يريد به
الجنس ولا يريد به انزل مع كل واحد كتابا يخصه فان اكثرهم
لم يكن لهم كتاب يخصهم وانما كانوا ياخذون بكتب من هو

قبلهم بالحق حال من الكتاب اى ملتبسا بالحق شاهدا به ليحكم
بين الناس اى الله او النبى المبعوث او كتابه فيما اختلفوا فيه
اى في الحق الذى اختلفوا فيه او فيما التبس عليهم وما اختلف
فيه في الحق والكتاب الا الذين اوتوه الكتاب المنزل لازالة
الخلاف اى عكسوا الامر فجعلوا ما انزل من بحاللاختلاف
سببا لاستحكامه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم حسدا
بينهم وظلما لحصولهم على الدنيا فهدى الله الذين آمنوا لما هو
اختلفوا فيه اى للحق الذى اختلف فيه من الحق بيان لما
اختلفوا فيه باذنه بامره او بارادته ولطفه والله يهدى
من يشاء الى صراط مستقيم لا يضل سالكه ام حسبتم ان تدخلوا
الجنة خاطب به النبى والمؤمنين بعد ما ذكر اختلاف الامم على
الانبياء بعد مجيء الآيات تشجيعا لهم على الثبات مع مخالفتهم
وام منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار ولما يأتكم ولم يأتكم
واصل لما لم زيدت عليها ما وفيها توقع ولذلك جعل مقابل
قد مثل الذين خلوا من قبلكم حالهم التى هى مثل في الشدة هو
مستهم البأساء والضراء بيان له على الاستيناف وزلزلوا
وازعجوا ازعاجا شديدا بما اصابهم من الشدائد حتى يقول
الرسول والذين آمنوا معه لمتناهى الشدة واستطالة المدة
بحيث تقطعت حبال الصبر وقراء نافع يقول بالرفع على انها
حكاية حال ماضية كقولك مرض حتى لا يرجونه متى نصر الله
استبطاء لتأخيره الا ان نصر الله قريب استيناف على ارادة
القول اى فقيل لهم ذلك اسعافا لهم الى طلبتهم من عاجل
النصر وفيه اشارة الى ان الوصول الى الله والفوز بالكرامة
عنده برفع الهوى واللذات ومكابدة الشدائد والرياضات
كما قال عليه السلام حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات هو

يسئلونك ماذا ينفقون عن ابن عباس رضيه ان عمرو بن ه
الجموح الانصارى كان هما ذا مال عظيم فقال يارسول الله ه
ماذا ينفق من اموالنا واين نضعها فنزلت قل ما انفقتم من
خير فللوالدين والاقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل
سبيل على المنفق فاجيب ببيان المصرف لانه اهم فان اعتداد
النفقة باعتباره ولانه كان فى سئوال عمرو وان لم يكن مذكورا
فى الآية واقتصر فى بيان المنفق على ما تضمنه قوله ما انفقتم من
خير وما تفعلوا من خير فى معنى الشرط فان الله به عليم جوابه
اى ان تفعلوا خيرا فان الله يعلم كنهه ويوفى ثوابه وليس
فى الآية ينافيه فرض الزكوة ليسخ به كتب عليكم القتال وهو
كره لكم شاق عليكم مكروه طبعا وهو مصدر نعت به للمبالغة
او فعل بمعنى مفعول كالخبز وقرئ بالفتح على انه لغة فيه
كالضعف والضعف او بمعنى الاكراه على المجاز كانهم اكرهوا
عليه لشدته وعظم مشقته كقوله ه حملته امه كرها ووضعته
كرها وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وهو جميع ما كلفوا
به فان الطبع يكرهه وهو مناط صلاحهم وسبب فلاحهم ه
وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم وهو جميع ما نهوا عنه فان
النفس تحبه وتهواه وهو يفضى بها الى الردى وانما ذكر عسى
لان النفس اذا اريد تاضات ينعكس الامر عليها والله يعلم ما
هو خير لكم وانتم لا تعلمون ذلك وفيه دليل على ان الاحكام
تتبع المصالح الراجحة وان لم يعرف عينها يسئلونك عن الشهر
الحرام روى انه ص بعث عبد الله ابن جحش ابن عمته على سرية
فى جمادى الآخرة قبل بدر بشهر ين ليترصد عير القريش فيهم
عمرو ابن عبد الله الحضرمى وثلثة معه فقتلوه واسروا اثنين
واستاقوا العير وفيها تجارة الطائف وكان ذلك غرة رجب ه

وهم يظنونه من جمادى الآخرة فقالت قريش استحل محمد ه
الشهر الحرام شهرا يأمن فيه الخائف ويبذعر فيه الناس الى
معايشهم وشق على اصحاب السرية وقالوا ما نرجو حتى تنزل
توبتنا وردد رسول الله ص العير والاسارى وعن ابن عباس
لما نزلت اخذ رسول الله الغنيمة وهو اول غنيمة فى الاسلام
والسائلون هم المشركون كتبوا اليه فى ذلك تشنيعا وتعييرا او
قيل اصحاب السرية فقال فيه بدل اشتمال من الشهر وقرئ
عن قتال فيه بتكرير العامل قل قتال فيه كبير اى ذنب كبير و
الاكثر على انه منسوخ بقوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم
خلافا لعطاء وهو نسخ الخاص بالعام وفيه خلاف والاولى
منع دلالة الآية على حرمة القتال فى الشهر الحرام مطلقا فان ه
القتال فيه نكرة فى حيز مثبت فلا تعم وصد اى صرف ومنع
عن سبيل الله اى الاسلام اى ما يوصل العبد الى الله من الطاعات
وكفر به اى بالله والمسجد الحرام على ارادة المضاف اى وصد
عن المسجد الحرام كقوله ابى دواد اكل امرئ تحسبين امرأ و
نار توقد بالليل نار ولا يحسن عطفه على سبيل الله لان عطف
قوله وكفر به على وصد مانع منه اذ لا يقدم العطف على الموصول
على العطف على الصلة وعلى الضمير فى به فان العطف على الضمير المجرور
انما يكون باعادة الجار واخراج اهله منه اهل المسجد وهم النبى
والمؤمنون اكبر عند الله مما فعلته السرية خطاء وبناء على الظن
خبر عن الاشياء الاربعة المعدودة من كبائر قريش وافعل من
يستوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث والفتنة اكبر
من القتل اى ما يرتكبونه من الاخراج والشرك افظع مما
ارتكبوه من قتل الحضرمى ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم
عن دينكم اخبار عن دوام عداوة الكفار لهم وانهم لا ينفكون

عنها حتى يردّوهم عن دينهم وحتى للتعليل كقولك اعبد الله حتى
ادخل الجنة لقوله ان استطاعوا وهو استبعاد لاستطاعتهم ه
كقول الواثق بقوته على قرنه ان ظفرت فلا تبق علىّ وايذان
بانهم لا يردّونهم ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر
فاولئك حبطت اعمالهم قيد الردّة بالموت عليها فى احباط
الاعمال كما هو مذهب الشافعىّ والمراد بها الاعمال النافعة
وقرئ حبطت بالفتح وهو لغة فيه فى الدنيا لبطلان ما ه
تحيلوه وفوات ما للاسلام من الفوائد الدنيوية والآخرة
بسقوط الثواب واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون
كسائر الكفرة ان الذين آمنوا نزلت ايضا فى السرية لما ظن
بهم انهم ان سلموا من الاثم فليس لهم اجر والذين هاجروا
وجاهدوا فى سبيل الله كرّر الموصول لتعظيم الهجرة والجهاد
كانهما مستقلان فى تحقيق الرجاء اولئك يرجون رحمة الله
ثوابه انبت لهم الرجاء اشعارا بانّ العمل غير موجب ولا قا
طع فى الدلالة سيما والعبرة بالخواتم والله غفور لما فعلوا
خطاء وقتلة احتياط رحيم باجزال الاجر والثواب يسئلونك
عن الخمر والميسر روى انه نزل بمكة قوله ومن ثمرات النخيل
والاعناب تتخذون منه سكرا فاخذ المسلمون يشربونها ثم
ان عمر ومعاذ فى نفر من الصحابة قالوا افتنا يا رسول الله فى
الخمر فانها مذهبة للعقل فنزلت هذه الآية فشربها قوم وتركها
آخرون ثم دعى عبد الرحمن بن عوف ناسا منهم فشربوا ه
فسكروا فامّ احدهم فقرأ اعبد ما تعبدون فنزلت لا تقربوا
الصلوة وانتم سكارى فقل من يشربها ثم دعى عتبان بن ه
مالك سعد ابن ابى وقاص فى نفر فلما سكروا افتخروا وتناه
شدوا فانشد سعد شعرا فيه هجاء الانصار فضربه انصارى

بلحى بعير فشجّه فشكا الى رسول الله ﷺ فقال عمر اللهم بين لنا
فى الخمر بيانا شافيا فنزلت انما الخمر والميسر الى قوله فهل انتم ه
منتهون فقال عمر انتهينا يا رب والخمر فى الاصل مصدر خمره اذا
ستره سمّى بها عصير العنب والتمر اذا اشتد وغلا كانه يخمر
العقل كما سمّى سكرا لانه يسكره اى يحجره وهى حرام مطلقا
وكذا كلما اسكر عند اكثر العلماء وقال ابو حنيفة نقيع الزبيب و
التمر اذا طبخ حتى ذهب ثلثاه ثم اشتد حلّ شربه ما دون
السكر والميسر ايضا مصدر كالموعد سمّى به القمار لانه اخذ مال
الغير بيسير او سلب يساره والمعنى يسئلونك عن تعاه
طيهما لقوله قل فيهما اى فى تعاطيهما اثم كبير من حيث ان
يؤدّى الى الارتكاب عن المأمور وارتكاب المخطور وقراءة
حمزة والكسائىّ كثير بالثاء ومنافع للناس من كسب المال
والطرب والالتذاذ ومصادفة الفيتان وفى الخمر خصوصا
تشجيع الجبان وتوفر المروة وتقوية الطبيعة واثمهما ه
اكبر من نفعهما المفاسد التى تنشأ منهما اعظم من المنافع
المتوقعة منهما ولهذا قيل انها المحرّمة للخمر فان المفسدة
اذا ترجحت على المصلحة اقتضت تحريم الفعل والاظهر انه
ليس كذلك لما مرّ ويسئلونك ماذا ينفقون قيل سائله ايضا
عمر وابن الجموح سئل اوّلا عن المنفق والمصرف ثم سئل عن
كيفية الانفاق قل العفو العفو نقيض الجهد ومنه يقال للارض
السهلة وهو ان ينفق ما تيسر له بذله ولا يبلغ من الجهد قال
خذ ما صفا لك منى تستديم مودّتى ودعى ان رجلا اتى النبىّ
ببيضة من ذهب اصابها فى بعض المغانم فقال خذها منى ه
صدقة فاعرض عنه حتى كرّر مرارا فقال هاتها مغضبا فحذفها
لو اصابه لشجّته ثم قال يأتى احدكم بماله كله يتصدق به وه

يجلس ينكفف الناس فاخذها انما الصدقة عن ظهر غنى وقراء
ابو عمرو برفع الواو كذلك يبين الله لكم الآيات مثل ما بين ان
العفو اصلح من الجهد او ما ذكر من الاحكام والكاف فى موضع
النصب صفة لمصدر محذوف اى نبينا مثل هذا التبيين وانما
وحد العلامة والمخاطب بهم جمع على تاويل القبيل والجمع لعلكم
تتفكرون فى الدلائل والاحكام فى الدنيا والآخرة فى امور الدا
ارين فتاخذون بالاصلح والانفع منها وتجتنبون عما
يضركم ولا ينفعكم او يضركم اكثر مما ينفعكم ويسئلونك
عن اليتامى لما نزلت ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما
اعتزلوا اليتامى ومخالطتهم والاهتمام بامرهم فشق ذلك
عليهم فذكروا لرسول الله ﷺ فنزلت قل اصلاح لهم خير اى
مداخلتهم لاصلاحهم واصلاح اموالهم خير من مجانبتهم
وان تخالطوهم فاخوانكم جئ على المخالطة اى انهم اخوانكم
فى الدين ومن حق الاخ ان يخالط الاخ وقيل المراد بالمخا
لطة المصاهرة والله يعلم المفسد من المصلح وعيد ووعد لمن
خالطهم لافساد واصلاح اى يعلم امره فيجازيه عليه ولو
شاء الله لاعنتكم اى ولو شاء الله اعناتكم لاعنتكم اى كلفكم
ما يشق عليكم من العنت وهى المشقة ولم يجوز لكم مداخلتهم
ان الله عزيز غالب يقدر على الاعنات حكيم يحكم ما يقتضيه
الحكم ويتسع له الطاقة ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ولا
تتزوجوهن وقرئ بالضم اى ولا تزوجوهن من المسلمين
والمشركات يعم الكتابيات لان اهل الكتاب مشركون لقولهم
وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن
الله الى قوله سبحانه وتعالى عما يشركون ولكنها خصت عنها
بقوله والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب روى انه ﷺ

بعث مرثد الغنوى الى مكة ليخرج منها اناسا من المسلمين فاتته
عناق وكان يهويها فى الجاهلية فقالت الا تخلو فقال ان
الاسلام حال بيننا فقالت هل لك ان تتزوج بى فقال نعم و
لكن استاذن رسول الله ﷺ فاستاذنه فنزلت ولامة مؤمنة
خير من مشركة اى ولامراة مؤمنة حرة كانت او مملوكة فان
الناس عبيد الله واماء الله ولو اعجبتكم بحسنها وشمائلها
والواو للحال ولو بمعنى ان وهو كثير ولا تنكحوا المشركين ه
حتى يؤمنوا ولا تزوجوا منهم المؤمنات حتى يؤمنوا وهو
على عمومه ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو اعجبكم تعليل
للنهى عن مواصلتهم وترغيب فى مواصلة المؤمنين اولئك
اشارة الى المذكور من المشركين والمشركات يدعون الى النار
اى الكفر المؤدى الى النار فلا نليق موالاتهم ومصاهرتهم
والله اى واولياؤه يعنى المؤمنين حذف المضاف واقيم مقام
المضاف اليه مقامه تفخيما لشانهم يدعوا الى الجنة والمغفرة اى
الاعتقاد والعمل الموصلين اليهما فهم الاحقاء بالمواصلة با
ذنه بتوفيق الله وتيسيره او بقضائه وارادته ويبين ه
آياته للناس لعلهم يتذكرون لكى يتذكروا او ليكونوا ه
بحيث يرجى منهم التذكر لما ذكر فى العقول من ميل الخير و
مخالفة الهوى ه يسئلونك عن المحيض روى ان اهل الجا
هلية كانوا لا يساكنوا المحيض ولم يواكلوها كفعل اليهود و
المجوس واستمر ذلك الى ان سال ابو الدحداح فى نفر من
الصحابة عن ذلك فنزلت والمحيض مصدر كالمجئ والمبيت
ولعله سبحانه وتعالى انما ذكر يسئلونك بغير الواو ثلثا ثم
بها ثلثا لان السؤالات الاول كانت فى اوقات متفرقة و
الثلثة الاخيرة كانت فى وقت واحد فلذلك ذكرها بحرف

الجمع قل هو اذى اى الحيض مستقذر يوذى من يقربه نفرة ه
منه فاعتزلوا النساء فى المحيض فاجتنبوا مجامعتهن لقوله م
انما امرتم ان تعتزلوا مجامعتهن اذا حضن ولم يأمركم با
خراجهن من البيوت كفعل الاعاجم وهو الاقتصاد بين ه
افراط اليهود و تفريط النصارى فانهم كانوا يجامعونهن
ولا يبالون بالحيض وانما وصفه بانه اذى ورتب الحكم عليه
بالفاء اشعارا بانه العلة ولا تقربوهن حتى يطهرن تأكيد
للحكم وبيان لغايته وهو ان يغتسلن بعد الانقطاع ويدل عليه
صريحا قراءة حمزة والكسائى وعاصم فى رواية ابن عياش يطهرن
اى يتطهرن بمعنى يغتسلن والتزاما قوله فاذا تطهرن فأتوا
هن فانه يقتضى تأخر جواز الاتيان عن الغسل وقال ابو ح
رضيه ان طهرت لاكثر الحيض جاز قربانها قبل الغسل من
حيث امركم الله اى المأتى الذى امركم الله به وحل لكم ان
الله يحب التوابين من الذنوب ويحب المتطهرين المتنزهين
عن الفواحش والاقذار كمجامعة الحائض والاتيان فى غير
المأتى نساؤكم حرث لكم مواضع حرث لكم شبههن بها تشبيها بالما
يلقى فى ارحامهن دبرها من النطف بالبذور فأتوا حرثكم اى
فأتوهن كما تأتون المحارث وهو كالبيان لقوله فأتوهن
من حيث امركم الله اى شئتم من اى جهة شئتم روى ان اليهود
كانوا يقولون من جامع امرأته من دبرها فى قبلها كان ولدها
احول فذكر ذلك لرسول الله ع فنزلت وقدموا لانفسكم
ما يدخر لكم الثواب وقيل هو طلب الولد وقيل التسمية على الوطئ
واتقوا الله بالاجتناب عن معاصيه واعلموا انكم ملاقوه فتزو
ما لا تفتضحون به وبشر المؤمنين الكاملين فى الايمان بالكرا
والنعيم الدائم امر الرسول ع ان يبشر من صدقه

دوا

مة

وامتثل

وامتثل امره منهم ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم ان تبروا و
تتقوا وتصلحوا بين الناس نزلت فى الصديق لما حلف ان لا
ينفق على مسطح لافترائه على عائشة او فى عبد الله بن رواحة
حلف ان لا يكلم صفة بشر بن نعمان ولا يصلح بينه وبين اخته
العرضة فعلة بمعنى المفعول كالقبضة تطلق على ما يعرض ه
دون الشئ والمعرض للامر ومعنى الآية على الاول ولا تجعلوا
الله حاجزا لما حلفتم عليه من انواع الخير فيكون المراد بالايمان
الامور المحلوف عليها كقوله ع لابن سمرة اذا حلفت على
يمين فرايت غيرها خيرا منها فأت الذى هو خير وكفر عن
يمينك وان مع صلتها عطف بيان لها واللام صلة عرضة لما فيها
من معنى الاعتراض ويجوز ان يكون للتعليل ويتعلق ان بالفعل
او بعرضة اى ولا تجعلوا الله عرضة لان تبروا والاجل ايمانكم
به وعلى الثانى ولا تجعلوه معرضا لايمانكم فتستبدلوه بكثرة
الحلف به ولذلك ذم الحلاف بقوله و لا تطع كل حلاف مهين
وان تبروا علة النهى اى انهاكم عنه ارادة بركم وتقويكم وه
اصلاحكم بين الناس فان الحلاف مجترئ على الله والمجترى
عليه لا يكون برا متقيا ولا موثوقا به فى اصلاح ذات البين
والله سميع لايمانكم عليم بنياتكم لا يؤاخذكم الله باللغو فى
ايمانكم اللغو الساقط الذى لا يعتد به من كلام وغيره و
لغو اليمين ما لا عقد معه كما سبق به البيان او تكلم جاهلا
لمعناه او كقول العرب لا والله بلى والله لمجرد التأكيد لقوله
ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم والمعنى لا يؤاخذكم الله
بعقوبة ولا كفارة بما لا قصد معه ولكن يؤاخذكم بهما او
بأحدهما بما قصدتم من الايمان و اوطأت فيها قلوبكم ه
السنتكم وقال ابو ح اللغو ان يحلف الرجل بناء على ظنه الكا

ذب

والمعنى لايعاقبكم بما اخطأتم فيه من الايمان ولكن يعاقبكم
بما تعمدتم الكذب فيها والله غفور حيث لم يؤاخذكم بالاغفو
حليم حيث لم يعجل بالمؤاخذة على يمين الجد تربصا للتوبة
للذين يؤلون من نسائهم اى يحلفون على ان لايجامعوهن
والايلاء الحلف وتعديته بعلى ولكن لما تضمن هذا القسم معنى
البعد عدى بمن تربص اربعة اشهر مبتداء ماقبله خبره
او فاعل الظرف على خلاف سبق والتربص الانتظار والتوقف
اضيف الى الظرف على الاتساع اى للمولى حق التلبث فى هذه
المدة فلا يطالب بفئ ولا طلاق ولذلك قال الشافعى رضيه
لاايلاء الا فى اكثر من اربعة اشهر ويؤيده فان فاؤا اى ان
رجعوا فى اليمين بالحنث فان الله غفور رحيم للمولى اثم حنثه
اذا كفر او ماتوفى بالايلاء من ضرار المراة ونحوه بالفيئة
التى هى كالتوبة وان عزموا الطلاق وان صمموا قصده فان
الله سميع لطلاقهم عليم بغرضهم فيه وقال ابوحنيفة رضيه الايلاء
فى اربعة اشهر لافيما دونها وحكمه ان المولى ان فاء فى المدة
بالوطئ ان قدر والوعد ان عجز صح الفئ ولزم الواطئ ان
يكفر والا بانت بعدها بطلقة وعندنا يطالب بعد المدة باحد
الامرين فان ابى عنهما طلق عليه الحاكم والمطلقات يريد بها
المدخول بهن من ذوات الاقراء لما دلت الآيات والاخبار
ان حكم غيرهن خلاف ما ذكر يتربصن خبر بمعنى الامر وهو
تغيير العبارة للتاكيد والاشعار بانه مما يجب ان يسارع الى
امتثاله وكان المخاطب قصد ان يمتثل الامر فيخبر عنه كقولك
فى الدعاء رحمك الله وبناءه على المبتداء يزيده فضل تاكيد هـ
بانفسهن تهييج وبعث لهن على التربص فان نفوس النساء
طوامح الى الرجال فامرن بان يقمعنها ويحملنها على التربص ثلثة

قروء

قروء نصب على الظرف او المفعول به اى يتربصن مضيها او
قُرُوء جمع قرء وهو يطلق للحيض لقوله ع دعى الصلوة
ايام اقرائك وللطهر الفاصل بين حيضين كقول الاعشى
لما ضاع فيها من قروء نسائك واصله الانتقال من الطهر
الى الحيض وهو المراد به فى الآية لانه الدال على براءة هـ
الرحم لا الحيض كما قاله الحنفية لقوله ع فطلقوهن هـ
لعدتهن اى وقت عدتهن والطلاق المشروع لايكون
فى الحيض اما قوله ع طلاق الامة تطليقتان وعدتها هـ
حيضتان فلا تقاوم ما رواه الشيخان فى قصة ابن عمر رضه
فليراجعها ثم ليمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر ثم
ان شاء امسك بعد وان شاء طلق قبل ان يمس فتلك العدة
التى امر الله ك ان يطلق لها النساء وكان القياس ان يذكر
بصفة القلة التى هى الاقراء ولكنهم يتسعون فى ذلك هـ
فيستعملون كل واحد من البنائين مكان الآخر ولعل الحكم لما
عم المطلقات ذوات الاقراء تضمن معنى الكثرة فحسن بناء ها
ولايحل لهن ان يكتمن ما خلق الله فى ارحامهن من الولد
والحيض استعجالا فى العدة وابطالا لحق الرجعة وفيه دليل هـ
على ان قولها مقبول فى ذلك ان كن يؤمن بالله واليوم الآخر
ليس المراد منه تقييد نفى الحل بايمانهن بل التنبيه على انه ينافى
الايمان وان المؤمن لايجترئ عليه ولاينبغى ان يفعل وبعولتهن
اى ازواج المطلقات احق بردهن الى النكاح والرجعة اليهن
ولكن وليس له اذا كان الطلاق رجعيا للآية التى يتلوها
فالضمير اخص من المرجوع اليه ولا امتناع فيه كما لو كرر هـ
الظاهر وخصصه والبعولة جمع بعل والتاء التانيث الجمع هـ
كالعمومة والخؤولة او مصدر من قولك بعل حسن البعولة

نعت به او اقيم مقام المضاف المحذوف اى واهل بعولتهن
وافعل ههنا بمعنى الفاعل فى ذلك اى فى زمان التربص ان
ارادوا اصلاحا بالرجعة لاضرار المراءة وليس المراد منه
شريطة قصد الاصلاح للرجعة بل التحريض عليه والمنع
من قصد الضرار ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف اى
ولهن حقوق على الرجال مثل حقوق قوم عليهن فى الوجوب
والاستحقاق المطالبة عليها لا فى الجنس والرجال عليهن
درجة زيادة فى الحق وفضل فيه لان حقوقهم فى انفسهن
وحقوقهن المهر والكفاف وترك الضرار ونحوها او شرف و
فضيلة لانهم قوام عليهن وحراس لهن يشاركون هن فى غرض
الزواج ويخصون بفضيلة الرعاية والانفاق والله عزيز يقدر
على الانتقام ممن خالف الاحكام حكيم يشرع ما الحكم ومصالح الطلاق
مرتان التطليق الرجعى اثنتان لما روى انه ع سئل ابن هـ
الثالثة فقال او تسريح باحسان وقيل معناه التطليق الشرعى
تطليقة بعد تطليقة على التفريق ولذلك قالت الحنفية الجمع هـ
بين التطليقين والثلث بدعة فامساك بمعروف بالرجعة
وحسن المعاشرة وهو يؤيده المعنى الاول او تسريح باحسان
بالتطلقة الثالثة او بان لا يراجعها حتى تبين وعلى المعنى الاخير
حكمه مبتداء وتخيير مطلق عقب به تعليمهم كيفية التطليق
ولا يحل لكم ان تاخذوا مما آتيتموهن شيئا اى من الصدقات
روى ان جميلة بنت اخت عبد الله بن ابى بن سلوك كانت
تبغض زوجها ثابت بن قيس فاتت رسول الله ع وقالت
لا انا ولا ثابت لا يجمع رأسى ورأسه شئ والله ما اعتبه فى
دين ولا خلق ولكنى اكره الكفر فى الاسلام ما اطيقه بغضا
انى رفعت جانب الخباء فرأيته اقبل فى عدة فاذا هو اشدهم

سوادا

سوادا واقصرهم قامة واقبحهم وجها فنزلت فاختلعت منه
بحديقة اصدقها والخطاب مع الحكام واسناد الاخذ والايتاء
اليهم لانهم الآمرون بهما عند التنافع وقيل انه خطاب هـ
للازواج وما بعده خطاب للحكام وهو شيوش النظم على
القراءة المشهورة الا ان يخافا الزوجان وقرئ يظنا وهو
يؤيد تفسير الخوف بالظن الا يقيما حدود الله بترك اقامة
احكامه من مواجب الزوجية وقراء حمزة ويعقوب يخافا هـ
على البناء للمفعول وابدال ان بصلته من الضمير بدل الاشتمال
وقرئ تخافا وتقيما بتاء الخطاب فان خفتم ايها الحكام الا يقيما
حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به على الزوج فى اخذ
ما افتدت به نفسها واختلعت وعلى المراءة فى اعطائه تلك
حدود الله اشارة الى ما حد من الاحكام فلا تعتدوها فلا
تتعدوها بالمخالفة ومن يتعد حدود الله فاولئك هم الظا لمون
تعقيب للنهى بالوعيد مبالغة فى التهديد واعلم ان ظاهر
الآية يدل على ان الخلع لا يجوز من غير كراهة وشقاق
ولا يجمع ما شاق الزوج اليها فضلا عن الزوائد ويؤيد
ذلك قوله ع ايما امراءة سئلت زوجها طلاقا فى غير بأس
فحرام عليها رائحة الجنة وما روى انه ع قال لجميلة اترددين
عليه حديقته فقالت ازدها وازيد عليها فقال ع اما الزائد
فلا والجمهور استكرهوه ولكن تفدوه فان المنع عن
العقد لا يدل على فساده وانه يصح بلفظ المفاداة فانه
سيماه اقتداء واختلف فى انه اذا جرى بغير لفظ الطلا
فسخ او طلاق ومن جعله فسخا احتج بقوله فان طلقها
فان تعقيبه للخلع بعد ما ذكر الطلقتين يقتضى ان يكون
طلقة رابعة لو كان الخلع طلاقا والاظهر انه طلاق لانه

لمون

ق

فرقة باختيار الزوج فهو كالطلاق بالعوض وقوله فان طلقها
متعلق بقوله الطلاق مرتان تفسير لقوله او تسريح باحسان
اعترض بينهما ذكر الخلع دلالة على ان الطلاق يقع مجانا تارة
وبعوض اخرى والمعنى فان طلقها بعد الثنتين فلا تحل له
من بعد من ذلك الطلاق حتى تنكح زوجا غيره حتى تتزوج
غيره والنكاح يسند الى كل منهما كالتزوج والتعلق بظاهره
من اقتصر على العقد كابن المسيب واتفق الجمهور على انه لا
بد من الاصابة لما روى ان امراة رفاعة قالت لرسول الله
ﷺ ان رفاعة طلقني فبت طلاقي وان عبد الرحمن ابن الزبير
تزوجني وانما معه مثل هدبة الثوب فقال رسول الله ﷺ
اتريدين ان ترجعي الى رفاعة قالت نعم فقال ﷺ لا حتى تذوقي
عسيلته ويذوق عسيلتك فالآية مطلقة قيدتها السنة ويحتمل
ان يفسر النكاح بالاصابة وبكونه العقد مستفادا من لفظ الزوج
والحكمة في هذا الحكم الردع عن الشرع الى الطلاق والعود الى
المطلقة ثلثا والرغبة فيها والنكاح بشرط التحليل فاسد
عند الاكثر وجوزه ابو حنيفة رضيه مع الكراهة ولعن رسول
الله ﷺ المحلل والمحلل له فان طلقها الزوج الثاني فلا جناح
عليهما ان يتراجعا ان يرجعا كل من المراة والزوج الاول
الى الآخر بالزواج ان ظنا ان يقيما حدود الله ان كان في
ظنهما انهما يقيمان ما حده الله وشرعه من حقوق الزوجية
وتفسير الظن ههنا بالعلم غير سديد كان عواقب الامور
غيب تظن ولا تعلم ولانه لا يقال علمت ان يقوم زيد لان
التاصبة للتوقع وهي ينافي العلم وتلك حدود الله اي الاحكام
المذكورة بينها لقوم يعلمون يفهمون ويعملون بمقتضى العلم
واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن اي آخر عدتهن والاجل

يطلق للمدة ولمنتهاها فيقال لعمر الانسان وللموت الذي به
ينتهي قال فان كل حتى مستكمل مدة العمر وموقد اذا انتهى اجله
والبلوغ هو الوصول الى الشيء وقد يقال للذوق منه على الا
تساع وهو المراد في الآية ليصح ان يترتب عليه فامسكوهن
بمعروف او سرحوهن بمعروف اذا امساك بعد انقضاء
الاجل والمعنى فراجعوهن من غير ضرار او خلوهن حتى
تنقضي عدتهن من غير تطويل واعادة الحكم في بعضهن
صورة الاهتمام به ولا تمسكوهن ضرارا ولا تراجعوهن
ارادة الاضرار بهن كان المطلق يترك المعتدة حتى تشارف
الاجل ثم يراجعها ليطول العدة عليها فنهي عنه بعد الامر بضده
مبالغة ونصب ضرارا على العلة او الحال بمعنى مضارين لتعتدوا
لتظلموهن بالتطويل او الالجاء الى الافتداء واللام متعلقة
بالضرار اذا المراد تقييده ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه
بتعريضها للعقاب ولا تتخذوا آيات الله هزوا بالاعراض
عنها والتهاون في العمل بما فيها من فعلهم لمن لم يجد في الامر
انما انت هازئ كانه نهي عن الهزء وارادبه الامر بضده
وقيل كان الرجل يتزوج ويطلق ويعتق ويقول كنت هازلا
العب فنزلت وعنه ﷺ ثلث جدهن جد وهزلهن جد
الطلاق والنكاح والعتاق واذكروا نعمة الله عليكم التي من
جملتها الهداية وبعثة محمد ﷺ اي بالشكر والقيام بحقوقها
وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة القرآن والسنة افردهما
بالذكر اظهارا لشرفهما يعظكم به بما انزل عليكم واتقوا الله
واعلموا ان الله بكل شيء عليم تاكيد وتهديد واذا طلقتم
النساء فبلغن اجلهن اي انقضت عدتهن وعن الشافعي
رضيه دل سياق الكلامين على افتراق البلوغين فلا تعضلوهن

ان ينكحن ازواجهن المخاطب به الاولياء لما روى انها ه
نزلت فى معقل ابن يسار حين عضل اخته جميلاء ان ترجع
الى زوجها الاول بالاستيناف فيكون دليلا على ان المراة ه
لا تزوج نفسها اذ لو تمكنت منه لم يكن بعضل الولى معنى
ولا تعارض اسناد النكاح اليهن لانه بسبب توقفه نكاح
على اذنهن وقيل الازواج الذين يعضلون نساءهم بعد مضى
العدة ولا يتركوهن يتزوجن عدوانا وقسرا لانه جواب
قوله واذا طلقتم وقيل الاولياء والازواج وقيل الناس
كلهم والمعنى لا يوجد فيما بينكم هذا الامر فانه اذا وجد ه
بينهم وهم راضون به كانوا كالفاعلين له والعضل الحبس ه
والتضييق ومنه عضلت الدجاجة اذا نشبت بيضتها فلم تخرج
اذا تراضوا بينهم اى الخطاب للزوج والنساء وهو ظرف ه
لان ينكحن او لا تعضلوهن بالمعروف بما يعرفه الشرع ويستحسنه المروة حال عن الضمير المرفوع او صفة مصدر محذوف
اى تراضيا كائنا بالمعروف وفيه دلالة على ان العضل عن التزوج
من غير كفو غير منهى ذلك اشارة الى ما مضى ذكره والخطاب
للجمع على تأويل القبيل او كل واحد او ان الكاف لمجرد الخطاب
والفرق بين الحاضر والمقتضى دون تعيين المخاطبين او للرسول
ع م على طريقة قوله يا ايها النبى اذا طلقتم للدلالة على ان حقيقة
المشار اليه امر لا يكاد يتصوره كل واحد يوعظ به من كان ه
منكم يؤمن بالله واليوم الآخر المتعظ به والمنتفع به ذلكم اى
ذلك العمل بمقتضى ما ذكر ازكى لكم انفع واطهر من دنس
الآثام والله يعلم ما فيه من النفع والصلاح وانتم لا تعلمون
لقصور علمكم والوالدات يرضعن اولادهن امر عبر عنه
بالخبر للمبالغة ومعناه الندب او الوجوب فيخص بما اذا

لم يرتضع الصبى الا من امه او لم يوجد له ظئر او عجز الوالد
عن الاستئجار والوالدات تعم المطلقات وغيرهم وقيل ه
تختص بهن اذ الكلام فيهن حولين كاملين اكده بصفة
الكمال لانه مما يتسامح فيه لمن اراد ان يتم الرضاعة بيان ه
للمتوجه اليه الحكم اى ذلك لمن اراد اتمام الرضاعة وقيل اللام
متعلقة بيرضعن فان الاب يجب عليه الارضاع كالنفقة و
الام ترضع له وهو دليل على ان اقصى مدة الارضاع حولان
ولا عبرة به بعدهما وانه يجوز ان ينقص عنه وعلى المولود له
اى الذى يولد له وينسب اليه وتغيير العبارة للاشارة الى
المعنى المقتضى لوجوب الارضاع ومؤن المرضعة عليه رزقهن
وكسوتهن اجرة لهن واختلف فى استيجار الام فجوزه ه
الشافعى ومنعه ابو حنيفة ما دامت زوجة او معتدة نكاح
بالمعروف فى حسب ما يراه الحاكم ويفى به وسعه لا تكلف نفس
الا وسعها تعليل لايجاب المؤن والتقييد بالمعروف ودليل
على انه ه لا يكلف العبد بما لا يطيقه وذلك لا يمنع امكانه لا تضار
والدة بولدها ولا مولود له بولده تفصيل له وتعذيب اى
ولا يكلف كل منهما الآخر ما ليس فى وسعه ولا يضاره بسبب ه
الولد وقرأ ابن كثير وابو عمرو ويعقوب لا تضار بالرفع بدلا
عن قوله لا تكلف واصله على القراءتين تضارر بالكسر على
البناء للفاعل او الفتح على البناء للمفعول وعلى الاول يجوز
ان يكون بمعنى تضر والباء من صلته اى لا يضر الوالدان با
ولد فيفرط فى تعهده ويقصر فيما ينبغى له وقرئ لا يضار
بالسكون مع التشديد على نية الوقف وبه مع التخفيف على
انه من ضاره يضيره واضافة الولد اليها تارة واليه اخرى
استعطاف لهما عليه وتنبيه على انه حقيق بان يتفقا على اصلاح

استصلاحه والاشفاق عليه ولاينبغي ان يضار به او يتضار ابسببه
وعلى الوارث مثل ذلك عطف على قوله وعلى المولود له رزقهن
وكسوتهن وما بينهما تعليل معترض والمراد بالوارث
وارث الاب وهي الصبي اى مؤن المرضعة من ماله اذا مات
الاب وقيل الباقي من الابوين من قوله هم واجعله الوارث
منا وكلا القولين يوافق مذهب الشافعي اذ لا نفقة عنده
فيما عدا الولادة وقيل وارث الطفل واليه ذهب ابن هـ
ابي ليلى وقيل وارثه المحرم منه وهو مذهب ابو حنيفة
رضيه وقيل عصابة وبه قال ابو يزيد وذلك اشارة الى ما هـ
وجب على الاب من الرزق والكسوة فان اراد فصالا
عن تراض منهما وتشاور اى فصالا صادرا عن التراضي
منهما وتشاور بينهما قبل الحولين والتشاور والمشاورة
والمشورة والمشورة استخراج الرأى من بشرة العسل
اذا استخرجته فلا جناح عليهما في ذلك وانما اعتبر تراضيهما
مراعاة لصلاح الطفل وحظ وحذرا ان يقدم احدهما على
ما يضر به لغرض او غيره وان اردتم ان تسترضعوا اولادكم
كم اى تسترضعوا المراضع اولادكم يقال ارضعت المرأة هـ
الطفل واسترضعتها اياه كقولك انجح الله حاجتي واستنجحته
اياها فحذف المفعول الاول للاستغناء عنه فلا جناح عليكم
فيه واطلاقه يدل على ان للزوج ان يسترضع للولد ويمنع هـ
الزوجة من الارضاع اذا سلمتم الى المراضع ما آتيتم ما اردتم
ايتاءه كقوله هـ اذا قمتم الى الصلوة وقرأ ابن كثير ما اتيتم
من اتى اليه احسانا اذا فعله وقرئ اوتيتم اى ما اتاكم الله
واقدركم عليه من الاجرة بالمعروف صلة سلمتم اى بالوجه
المقارن للمستحسن شرعا وجواب الشرط محذوف دل عليه

ما قبله وليس اشتراط التسليم بجواز الاسترضاع بل لسلوك
ما هو الاولى والاصلح للطفل واتقوا الله مبالغة في المحافظة
على ما شرع في امر الاطفال والمراضع واعلموا ان الله بما تعملون
بصير حث وتهديد والذين يتوفون منكم ويذرون هـ
ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا اى و
ازواج الذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن
بعدهم كقولهم الثمن منوان بدرهم وقرئ يتوفون
بفتح الياء اى يستوفون اجالهم وتأنيث العشر باعتبار
الليالي لانها غرر الشهور والايام وحذف لذلك لايستعملون
التذكير في مثله قط ذهابا الى الايام حتى انهم يقولون
صمت عشرا ويشهد له قوله ان لبثتم الا عشرا ثم ان لبثتم
الا يوما ولعل المقتضي لهذا التقدير ان الجنين في غالب الامر
يتحرك في ثلثة اشهر ان كان ذكرا او الاربعة ان كان انثى
فاعتبر اقصى الاجلين وزيد عليه العشر استظهارا اذ ربما
يضعف حركته في المبادي فلا يحس بها وعموم اللفظ يقتضي
تساوي المسلمة والكتابية فيه كما قال الشافعي رحمه الله والحرة
والامة كما قاله الاصم والحامل وغيرها لكن القياس اقتضى هـ
تنصيف المدة للامة والاجماع خص الحامل عنه لقوله هـ واو
لات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن وعن علي وابن عباس
رضيه انما تعتد باقصى الاجلين احتياطا فاذا بلغن اجلهن
اى انقضت عدتهن فلا جناح عليكم ايتها الائمة او المسلمون
جميعا فيما فعلن في انفسهن من التعرض للخطاب وسائر ملزم
عليها العدة بالمعروف بالوجه الذي لاينكره الشرع ومفهومه هـ
انهن لو فعلن ما ينكره فعليهم ان يكففهن فان قصروا فعليهم
الجناح والله بما تعملون خبير فيجازيكم عليه ولا جناح عليكم

فيما عرضتم به من خطبة النساء التعريض والتلويح ايهام المقصود
بما لم يوضع له حقيقة ولا مجازا كقول السائل جيئتك لاسلم
عليك والكناية هي الدلالة على الشيء بذكر لوازمه وروادفه
كقولك طويل النجاد للطويل وكثير الرماد للمضياف والخطبة
بالضم والكسر اسم الحالة غير ان المضمومة خصت بالموعظة
والمكسورة لطلب المراة والمراد بالنساء المعتدات للوفاة
وتعريض خطبتها ان يفعل لها انك جميلة او نافقة ومن غرضه
ان يتزوج ونحو ذلك او اكننتم في انفسكم اضمرتم في قلوبكم
فلم تذكروه تصريحا ولا تعريضا علم الله انكم ستذكرونهن هـ
ولا تصبرون على السكوت عنهن وعن الرغبة فيهن وفيه نوع
توبيخ ولكن لا تواعدوهن سرا استدراك عن محذوف دل عليه
ستذكرونهن اى فاذكروهن ولكن لا تواعدوهن نكاحا او
جماعا عبر بالسر عن الوطء لانه مما يستر ثم عن العقد لانه سبب
فيه وقيل معناه لا تواعدوهن في السر على ان المعنى بالمواعدة في
السر المواعدة بما يستحيى الآن تقولوا قولا معروفا وهو ان
تعرضوا ولا تصرحوا والمستثنى منه محذوف اى لا تواعدوهن هـ
مواعدة الا مواعدة معروفة او الا مواعدة بقول معروف وقيل
انه استثناء منقطع من سرا وهو ضعيف لادائه الى قولك لا تواعدوهن
الا التعريض وهو غير موعود وفيه دليل حرمة تصريح
خطبة المعتدة وجواز تعريضها ان كانت معتدة وفاة واختلف
في معتدة الفراق البائن والاظهر جوازه ولا تعزموا عقدة هـ
النكاح ذكر العزم مبالغة في النهي عن العقد اى ولا تعزموا عقد
عقدة النكاح وقيل لا تقطعوا عقدة النكاح فان اصل العزم القطع
حتى يبلغ الكتاب اجله حتى ينتهي ما كتب من العدة واعلموا
ان الله يعلم ما في انفسكم من العزم على ما لا يجوز فاحذروه و

لا تعزموه

لا تعزموه واعلموا ان الله غفور لمن عزم ولم يفعل خشية من
الله حليم لا يعاجلكم بالعقوبة لا جناح عليكم لا تبعة من مهر و
قيل من وزر لانه لا بدعة في الطلاق قبل المسيس وقيل كان هـ
النبي ﷺ يكثر النهي عن الطلاق فظن ان فيه حرجا فنفى ان طلقتم
النساء ما لم تمسوهن اى تجامعوهن وقرا حمزة والكسائي
تماسوهن بضم التاء ومد الميم في جميع القرآن او تفرضوا لهن هـ
فريضة الا ان تفرضوا او حتى تفرضوا او وتفرضوا والفرض هـ
تسمية المهر وفريضة نصب على المفعول به فعيلة بمعنى مفعول
والتاء لنقل اللفظ من الوصفية الى الاسمية ويحتمل المصدر وهـ
المعنى لا تبعة على المطلق من مطالبة المهر اذا كانت المطلقة غير
ممسوسة ولم يسم لها مهر اذ لو كانت ممسوسة ولم يسم لها مهر
فعليه المسمى او مهر المثل ولو كانت غير ممسوسة ولكن سمي لها
فلها نصف المسمى فنطوق الآية ينفي الوجوب في الصورة الاولى
ومفهومها يقتضي الوجوب على الجملتين في الاخيرتين ومتعوهن
عطف على مقدر اى فطلقوهن ومتعوهن والحكمة في ايجاب هـ
المتعة جبر ايحاش الطلاق وتقديرها مفوض الى راى الحاكم و
يؤيده قوله على الموسع قدره وعلى المقتر قدره اى على كل من الذي
له سعة ومن المقتر الضيق الحال ما يطيقه ويليق به ويدل عليه
قوله ﷺ للانصاري طلق امراته المفوضة قبل ان يمسها متعها
بقلنسوتك وقال ابو حنيفة رحمه الله هي درع وملحفة وخمار على
حسب الحال الا ان يقل مهر مثلها من ذلك فلها نصف مهر المثل وهـ
مفهوم الآية يقتضي تخصيص ايجاب المتعة للمفوضة التي لم يمسها
الزوج والحق بها الشافعي في احد قوليه الممسوسة المفوضة وغيرها
قياسا وهو مقدم على المفهوم متاعا تمتيعا بالمعروف بالوجه الذي
استحسنه الشرع والمروة حقا صفة لمتاعا او مصدر مؤكد اى

حق ذلك حقا على المحسنين الذين يحسنون الى انفسهم بالمسارعة
الى الامتثال او الى المطلقات وسماهم محسنين للمشارفة وترغيبا
وتحريضا وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم
لهن فريضة فنصف ما فرضتم لما ذكر حكم المفوضة اتبعه حكم ه
قسيمها اي فعليكم اي فالواجب نصف ما فرضتم لهن وهو
دليل على ان الجناح المنفي ثم تبعه المهر وان لا متعة مع التشطير
لانه قسيمها الا ان يعفون اى المطلقات فلا يأخذون شيئا وه
الصيغة تحتمل التذكير والتأنيث والفرق ان الواو في الاول
ضمير والنون علامة الرفع وفي الثاني لام الفعل والنون ه
ضمير والفعل مبني ولذلك لم يؤثر فيه ان ههنا ونصب ه
المعطوف عليه او يعفو الذي بيده عقدة النكاح الزوج ه
المالك لعقده وحله عما يعود اليه بالتشطير فيسوق المهر
اليها كملا وهو مشعر بان الطلاق قبل المسيس مخير للزوج
المالك غير مشطر بنفسه واليه ذهب بعض اصحابنا والحنفية
وقيل العلي الذي يلي عقد نكاحهن وذلك اذا كانت المرأة
صغيرة وهو قول قديم للشافعي رح وان تعفوا اقرب للتقوى
يؤيد الوجه الاول وعفو الزوج على التخيير ظاهر وعلى الوجه
الآخر عبارة عن الزيادة على الحق وتسميتها عفوا اما على المشاكلة
واما لانهم يسوقون المهر الى النساء عند الزوج فمن طلق ه
قبل المسيس استحق استرداد النصف فاذا لم يسترده فقد
عفا عنه وعن جبير ابن مطعم رضيه الله تزوج امرأة وطلقها
قبل الدخول فاكمل لها الصداق وقال انا احق بالعفو ولا
تنسوا الفضل بينكم اى ولا تنسوا ان يتفضل بعضكم على بعض
ان الله بما تعملون بصير لا يضيع تفضلكم واحسانكم حافظوا
على الصلوات بالاداء لوقتها والمداومة عليها ولعل الامر بها

في

في تضاعيف احكام الاولاد والازواج ليدل على ان لا يلهيهم الاشتغال
بشانهم عنها والصلوة الوسطى اى الوسطى بينها او الفضلى
منها خصوصا وهي صلوة العصر لقوله ع يوم الاحزاب شغلونا
عن صلوة الوسطى صلوة العصر ملأ الله بيوتهم نارا وفضلها
لكثرة اشتغال الناس في وقتها واجتماع الملائكة وقيل صلوة
الظهر لانها في وسط النهار وكانت اشق الصلوات عليهم فكانت
افضل لقوله ع افضل العبادات احمزها وقيل الفجر لانها بين
صلوتي النهار والليل والواقعة في الحد المشترك بينهما ولانها مشهودة
وقيل المغرب لانها المتوسطة بالعدد ووتر النهار وقيل العشاء
لانها بين جهريتين واقعتين في طرفي النهار والليل وعن ه
عائشة رضيه الله ع كان يقرأ والصلوة الوسطى وصلوة
العصر فتكون صلوة من الاربع خصت بالذكر مع العصر لانفرادها
بالفضل وقرئ بالنصب على الاختصاص وقوموا لله في الصلوة
قانتين ذاكرين له في القيام والقنوت الذكر فيه وقيل خاشعين
وقال ابن المسيب المراد به القنوت في الصبح فان خفتم من عدو
او غيره فرجالا او ركبانا فصلوا راجلين او راكبين ورجال
جمع راجل او رجل بمعناه كقائم وقيام وفيه دليل على وجوب ه
الصلوة حال المسايفة واليه ذهب الشافعي وقال ابو حنيفة حال ه
المشي والمسايفة مالم يمكن الوقوف فاذا امنتم وزال خوفكم ه
فاذكروا الله صلوا صلوة الامن او اشكروه على الامن كما علمكم
مثل ما علمكم من الشرايع وكيفية الصلوة حالتي الخوف والامن ه
او شكرا يوازيه وما مصدرية او موصولة مالم تكونوا تعلمون
مفعول علمكم والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية ه
لازواجهم قراها بالنصب ابو عمرو وابن عامر وحمزة وخفص
عاصم على تقدير والذين يتوفون منكم يوصون وصية او ليوصوا

وصية اوكتب الله عليهم وصية او الزم الذين يتوفون وصية و
يؤيد ذلك قراءة كتب عليكم الوصية لازواجكم متاعا الى الحول
مكانه وقرأ الباقون بالرفع على تقدير ووصية الذين يتوفون
او وحكمهم وصية او والذين يتوفون اهل وصية اوكتب هـ
عليهم وصية وقرئ متاع بدلها متاعا الى الحول نصب بيوصون
ان اضمرت والا فبالوصية وبمتاع على قراءة من قراءه لانه
بمعنى التمتع غير اخراج بدل منه او مصدر مؤكد كقولك هذا
القول غير ما نقول او حال من ازواجهم اى غير مخرجات
والمعنى انه يجب على الذين يتوفون ان يوصوا قبل ان يحتضروا
لازواجهم بان تمتع بعدهم حولا بالسكنى والنفقة وكان ذلك
اول الاسلام ثم نسخت المدة بقوله اربعة اشهر وعشرا و
هو ان كان متقدما في التلاوة فهو متأخر في النزول وسقطت
النفقة بتعديتها الربع والثمن والسكنى لها بعد ثابتة عندنا
خلافا لابي حنيفة رضيه فان خرجن عن منزل الازواج فلا جناح
عليكم ايتها الائمة فيما فعلن في انفسهن كالتطيب وترك هـ
الحداد من معروف مما لم ينكره الشرع وهذا يدل على انه لم يجب
عليها ملازمة مسكن الزوج والحداد عليه وانما كانت مخيرة
بين الملازمة واخذ النفقة وبين الخروج وتركها والله عزيز
ينتقم ممن خالفه منهم حكيم راعى مصالحهم وللمطلقات هـ
متاع بالمعروف حقا على المتقين اثبت المتعة للمطلقات جميعا
بعدما اوجبها لواحدة منهن وافراد بعض العام بالحكم لا هـ
يخصصه الا اذا جوزنا تخصيص المنطوق بالمفهوم ولذلك
اوجبها ابن حبيب لكل مطلقة واول غيره بما يعم التمتع الوا
جب والمستحب وقال قوم المراد بالمتاع نفقة العدة لجواز
ان يكون الام للعهد والتكرر للتأكيد او لتكرر القضية هـ

كذلك اشارة الى ما سبق من احكام الطلاق والعدة يبين الله
لكم آياته وعد بانه سيبين لعباده من الدلائل والاحكام ما
يحتاجون اليه معاشا ومعادا لعلكم تعقلون لعلكم تفهمونها
او تستعملون العقل فيها الم تر تعجيب وتقرير لمن سمع بقصتهم
من اهل الكتاب وارباب التواريخ وقد يخاطب به من لم ير و
لم يسمع فانه صار مثلا في التعجيب الى الذين خرجوا من ديارهم
يريد اهل داوردان قرية قبل واسط وقع فيهم طاعون فخرجوا
هاربين فاماتهم الله ثم احياهم ليعتبروا ويتيقنوا ان لا مفر
من قضاء الله وقدره او قوما من بني اسرائيل دعاهم ملكهم الى
الجهاد ففروا حذر الموت فاماتهم الله ثمانية ايام ثم احياهم
وهم الوف اى الوف كثيرة قيل عشرة وقيل ثلثون وقيل سبعون
وقيل متألفون جمع الف او آلف كقاعد وقعود والواو للحال
حذر الموت مفعول له فقال لهم الله موتوا فماتوا بقوله كن
فيكون والمعنى انهم ماتوا ميتة رجل واحد من غير علة بامر الله
ومشيته وقيل ناداهم به ملك وانما اسند الى الله كتخويفا و
تهويلا ثم احياهم قيل مر حزقيل على اهل داوردان وقد عريت
عظامهم وتفرقت اوصالهم فتعجب من ذلك فاوحى اليه ناد
فيهم ان قوموا باذن الله فناداهم وقاموا يقولون سبحانك
اللهم وبحمدك لا اله الا انت وفائدة القصة تشجيع المسلمين
على الجهاد والتعريض للشهادة وحثهم على التوكل والاستسلام
للقضاء ان الله لذو فضل على الناس حيث احياهم ليعتبروا وهم
يفوزوا وقص عليكم حالهم لتستبصروا ولكن اكثر الناس لا هـ
يشكرون اى لا يشكرون كما ينبغي ويجوز ان يراد بالشكر الاعتبار
والاستبصار وقاتلوا في سبيل الله لما بين ان الفرار عن الموت
غير مخلص وان المقدر لا محالة واقع امرهم بالقتال اذ لجاء

اجلهم ففى سبيل الله والا ففى النصر والثواب واعلموا ان الله سميع
لما يقوله المتخلف والتابق عليم بما يضمر انه وهو من وراء هـ
الجزاء من ذا الذى يقرض الله من استفهامية مرفوعة الموضع
بالابتداء وذا خبره والذى صفة ذا او بدله واقراض الله
مثل لتقديم العمل الذى يطلب به ثوابه قرضا حسنا اقراضا هـ
حسنا مقرونا بالاخلاص وطيب النفس او مقرضا حلالا لا طيبا و
قيل القرض الحسن المجاهدة والانفاق فى سبيل الله فيضاعفه له هـ
فيضاعفه جزاءه اخرجهم على صورة المبالغة وقراءة عاصم بالنصب
على جواب الاستفهام حملا على المعنى فان من ذا الذى يقرض الله
فى معنى اقرض الله احد وقراءة ابن كثير يضعفه بالرفع وابن هـ
عامر ويعقوب بالنصب اضعافا كثيرة كثيرة لا يقدرها الا
الله وقيل للواحد بسبعمائة واضعافا جمع ضعف ونصبه على الحال هـ
من الضمير المنصوب او المفعول الثانى لتضمن المضاعفة معنى
التصيير او المصدر على ان الضعف اسم المصدر وجمعه للتنويع
والله يقبض ويبسط يقتر على بعض ويوسع على بعض حسبما
اقتضت حكمته فلا تبخلوا عليه بما وسع عليكم كيلا يبدل حالكم
وقراءة نافع والكسائى والبزى وابو بكر بالصاد ومثله فى الاه
عراف فى قوله كما فى الخلق بسطة واليه ترجعون فيجازيكم على
ما قدمتم الم تر الى الملا من بنى اسرائيل الملا جماعة يجتمعون هـ
للتشاور لا واحد له كالقوم ومن للتبعيض من بعد موسى
اى من بعد وفاته ومن للابتداء اذ قالوا لنبى لهم هو يوشع او
شمعون او اشمويل ابعث لنا ملكا نقاتل فى سبيل الله اقيم لنا
امرا نفزع معه للقتال يدبر امره ونصدر فيه عن رأيه و
جزم نقاتل على الجواب وقرئ بالرفع على انه حال اى ابعثه لنا
مقدرين القتال ويقاتل بالياء مجزوما ومرفوعا على الجواب و
الوصف للملك قال هل عسيتم ان كتب عليكم القتال الا تقاتلوا فصل

بين عسى وخبره بالشرط والمعنى ان توقع جبنكم عن القتال ان كتب
عليكم فادخل هل على فعل التوقع مستفهما عما هو المتوقع عنده
تقريرا وتشبيثا وقراءة نافع عسيتم بكسر السين قالوا وما لنا الا
نقاتل فى سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا اى اى
غرض لنا فى ترك القتال او قد عرض لنا ما يوجبه ويحثه من هـ ت
الاخراج عن الاوطان والافراد عن الاولاد وذلك ان جالوت
ومن معه من العمالقة كانوا يسكنون ساحل بحر الروم بين
مصر وفلسطين وظهروا على بنى اسرائيل فاخذوا ديارهم
وسبوا اولادهم واسروا من ابناء الملوك اربعمائة واربعين
فلما كتب عليهم القتال تولوا الا قليلا منهم ثلثمائة وثلثة عشر
بعدد اهل بدر والله عليم بالظالمين وعيد لهم على ظلمهم فى ترك
الجهاد وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا علم عبرى
كداود وجعله فعلوتا من الطول تعسف يدفعه منع صرفه روى
ان نبيهم لما دعا الله ان يملكهم اتى بعصا يقاس بها من يملك
عليهم فلم يساوها الا طالوت قالوا انى يكون له الملك علينا من
اين يكون له ذلك ونحن يستأهل ونحن احق بالملك منه ولم يؤت
سعة من المال والحال انا احق منه بالملك وراثة ومسكنة وانه
فقير لا مال له يعتضد به وانما قالوا ذلك لان طالوت كان هـ
فقيرا راعيا او سقاء او دباغا من اولاد بنيامين ولم يكن هـ
فيهم النبوت والملك وانما كانت النبوة فى اولاد لاوى والملك ٥
فى اولاد يهودا وكان فيهم من السبطين خلق قال ان الله اصطفاه
عليكم وزاده بسطة فى العلم والجسم والله يؤتى ملكه من يشاء
والله واسع عليم لما استبعدوا تملكه لفقره وسقوط نسبه رد
عليهم ذلك اولا بان العمدة فيه اصطفاء الله وقد اختاره عليكم
وهو اعلم بالمصالح منكم وثانيا بان الشرط فيه وفور العلم ليتمكن

به من معرفة الامور التيلية وجسامة البدن ليكون اعظم حظا في القلوب واقوى على مقاومة العدو ومكايدة الحروب
لا ما ذكرتم وقد زاده الله فيهما وكان الرجل القائم يمد يده
فينال رأسه وثالثا بانه تعالى مالك الملك على الاطلاق فله ان
يؤتيه من يشاء ورابعا بانه واسع الفضل يوسع على الفقير و
يغنيه عليهم بمن يليق بالملك من النسب وغيره وقال لهم
نبيهم لما طلبوا منه حاجة على انه سبحانه اصطفى طالوت وملكه
عليهم ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت الصندوق فعلوت
من التوب فانه لا يزال يرجع اليه ما يخرج منه وليس بفاعول
لقلته نحو سلس وقلق ومن قراءه بالهاء فلعله ابدل منه كما
ابدل من تاء التانيث لاشتراكهما في الهمس والزيادة يريد به
صندوق التوراة وكان من خشب الشمشاد مموها بالذهب
نحوا من ثلثة اذرع في ذراعين فيه سكينة من ربكم الضمير للاتيان
اى في اتيانه سكون لكم وطمانينة او للتابوت اى مودع فيه
ما به سكنون اليه وهو التوراة وكان موسى عليه السلام اذا قاتل قدمه
فتسكن نفوس بني اسرائيل ولا يفرون وقيل صورة كانت فيه
من زبرجد وياقوت لها راس وذنب كرأس الهرة وذنبها و
جناحان فتأن فيه في التابوت نحو العدو وهم يتبعونه فاذا
استقر ثبتوا وسكنوا ونزل النصر وقيل صور الانبياء من آدم
الى محمد عليهم السلام وقيل التابوت هو القلب والسكينة ما فيه
من العلم والاخلاص واتيانه فصير قلبه مقرا للعلم والوقار بعد ان
لم يكن وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون رضاض الالواح
وعصا موسى ونعلاه وعمامة هرون وآلهما ابناؤهما تحمله الملائكة
قيل رفعه الله بعد موسى فنزلت به الملائكة وهم ينظرون
اليه وقيل بعده كان مع انبيائهم يستفتحون به حتى افسدوا فغلبهم

الكفار عليه وكان في ارض جالوت الى ان ملك الله الطالوت
فاصابهم الله ببلاء حتى هلكت خمس مدائن فتشاءموا بالتابوت
فوضعوا على ثورين فساقتهما الملائكة الى طالوت ان في ذلك
لآية لكم ان كنتم مؤمنين يحتمل ان يكون من كلام النبي عليه السلام و
ان يكون ابتداء وخطاب من الله تعالى فلما فصل طالوت
بالجنود انفصل بهم عن بلده لقتال العمالقة واصله فصل
نفسه عنه ولكن لما كثر حذف مفعوله صار كاللازم روى
انه عليه السلام قال لهم لا يخرج معي الا الشاب النشيط الفارغ فاجتمع
اليه ممن اختاره ثمانون الفا وكان الوقت قيظا فسلكوا
مفازة وسألوا ان يجري الله لهم نهرا قال ان الله مبتليكم
بنهر ليعاملكم معاملة المختبر بما اقترحتموه فمن شرب منه
فليس مني فليس من اشياعي وليس بمتحد معي ومن لم يطعمه فانه
مني اى من لم يذقه من طعم الشيء اذا اذاقه مأكولا او مشروبا
قال وان شئت لم اطعم نفاخا ولا بردا وانما علم ذلك بالوحي
ان كان نبيا كما قيل او باخبار النبي عليه السلام الا من اغترف غرفة
بيده استثناء من قوله فمن شرب وانما قدمت عليه الجملة الثانية
للعناية بها كما قدم الصابئون على الخبر في قوله ان الذين
آمنوا والذين هادوا والمعنى الرخصة في القليل دون الكثير
وقرأ ابن عامر والكوفيون بضم الغين فشربوا منه الا
قليلا منهم اى فكرعوا والاصل في الشرب منه ان لا يكون
بوسط وتعميم الاول ليتصل الاستثناء او افرطوا في الشرب
الا قليلا منهم وقرئ بالرفع حملا على المعنى فان قوله فشربوا
منه فلم يطيعوه والقليل منه كانوا ثلثمائة وثلثة عشر رجلا
وقيل ثلثة آلاف وقيل الف وروي ان من اقتصر على الغرفة
كفته لشربه واداوته ومن لم يقتصر غلب عطشه واسودت

نية

شفته ولم يقدر ان يمضى وهكذا الدنيا القاصد الآخرة فلما جاوزه
هو والذين آمنوا معه اى القليل الذين لم يخالفوه قالوا اى هو
بعضهم لبعض لاطاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده لكثرتهم
وقوتهم قال الذين يظنون انهم ملاقوا الله اى قال الخلص هو
منهم الذين يتيقنون لقاء الله ويتوقعون ثوابه اوعلموا انهم هو
يستشهدون عما قريب فيلقون الله وقيل هم القليل الذين هو
ثبتوا معه والضمير فى قالوا للكثير المنخزلين عنه اعتذارا فى
التخلف وتحذيرا للقليل وكانتهم تقاولوا به والتهر بينهما
كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله بحكمه وتيسيره وكم
يحتمل الاستفهام والخبر ومن مزيدة اومبنية والفئة فرقة من
الناس من فاوت رأسه اذا شققته اومن فاء اذا رجع فوزنها
فِعَة اوفِلَة والله مع الصابرين بالنصر والاثابة ولما برزوا
لجالوت وجنوده اى ظهروا لهم ودنوا منهم قالوا ربنا افرغ
علينا صبرا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين التجاؤا
الى الله بالدعاء وفيه ترتيب بليغ اذ سئلوا اولا افراغ الصبر
فى قلوبهم الذى ملاك الامر ثم ثبات القدم فى مداحض الحرب
المسبب منه ثم النصر على العدو المسبب عليهما غالبا فهزموهم هو
باذن الله فكسروهم بنصره اومصاحبين لنصره اياهم اجابة
لدعائهم وقتل داود جالوت قيل كان ايشى فى عسكر طالوت
مع ستة من بنيه وكان داود سابعهم وكان صغيرا يرعى الغنم
فاوحى الله الى نبيهم انه الذى يقتل جالوت فطلبه من ابيه فجاء
وقد كلمه فى الطريق ثلثة احجار وقالت له انك بنا تقتل جالوت
فحملها فى مخلاته ورماه بها فقتله ثم زوجه طالوت بنته واتاه
الله الملك اى ملك بنى اسرائيل ولم يجتمعا قبل داود على ملك
والحكمة النبوة وعلم مما يشاء كالسرد وكلام الدواب والطير

ولولا

لولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ولكن
الله ذو فضل على العالمين ولولا انه كان يدفع بعض الناس
ببعض وينصر المسلمين على الكفار ويكف بهم فسادهم لغلبوا
وفسدوا فى الارض اولفسدت الارض بشؤمهم وفراء نافع
هنا وفى الحج دفاع الله تلك آيات الله اشارة الى ما قص من
حديث الالوف وتمليك طالوت واتيان التابوت وانهزام
الجبابرة وقتل داود جالوت نتلوها عليك بالحق بالوجه هو
المطابق الذى لايشك فيه اهل الكتاب وارباب التواريخ هو
وانك لمن المرسلين لما اخبرت بها من غير تعرف واستماع
تلك الرسل اى اشارة الى الجماعة المذكورة قصصها فى السورة او
المعلومة للرسول اوجماعة الرسل واللام للاستغراق فضلنا هو
بعضهم على بعض بان خصصناه بمنقبة ليست لغيره منهم من كلم
الله تفضيل له وهو موسى وقيل موسى ومحمد عليهما السلام كلم
موسى ليلة الحيرة وفى الطور ومحمد ليلة المعراج حين كان
قاب قوسين اوادنى وبينهما بون بعيد وقرئ كلم الله وكالم
الله بالنصب فانه كلم الله كما ان الله كلمه ولذلك قيل كليم الله
بمعنى مكالمه ورفع بعضهم درجات بان فضله على غيره من و
جوه متعددة اوبمراتب متباعدة وهو محمد هم فانه خص با
لدعوة العامة والحجج المتكاثرة والمعجزات المستمرة والآيات هو
المترقبة المتعاقبة بتعاقب الدهر والفضائل العلمية والعملية
الفائتة للحصر والابهام لتفخيم شانه كانه العلم المتعين لهذا هو
الوصف المستغنى عن التعيين وقيل ابراهيم هم خصصه بالخلة التى
هى اعلى المراتب وقيل ادريس لقوله هو ورفعناه مكانا عليا وقيل
اولوا العزم من الرسل وآتينا عيسى بن مريم البينات وايدناه
بروح القدس خصه بالتعيين لافراط اليهود والنصارى فى تحقيره

وتعظيمه وجعل معجزاته سبب تفضيله لانها آيات واضحة ومعجزات
عظيمة لم يستجمعها غيره ولو شاء الله لهدى الناس جميعا ما اقتتل
الذين من بعدهم من بعد الرسل من بعد ما جاءتهم البينات المعجزات
الواضحة لاختلافهم في الدين وتفضيل بعضهم بعضا ولكن اختلفوا
فمنهم من آمن بتوفيقه لالتزام دين الانبياء تفضلا ومنهم من
كفر لاعراضه عنه بخذلانه ولو شاء الله ما اقتتلوا كرره للتاكيد
ولكن الله يفعل ما يريد فيوفق من يشاء فضلا ويخذل من
يشاء عدلا والآية دليل على ان الانبياء متفاوتة الاقدام وانه
يجوز تفضيل بعضهم على بعض لكن بقاطع لان اعتبار الظن
فيما يتعلق بالعمل وان الحوادث بيد الله تابعة لمشيته خير اكان
او شرا ايمانا كان او كفرا يا ايها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم
ما اوجبت عليكم انفاقه من قبل ان يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة
ولا شفاعة من قبل ان يأتي يوم لا تقتدرون على تدارك ما
فرطتم والخلاص من عذابه اذ لا بيع فيه فتحصلون ما تنفقون
او تقتدرون به من العذاب ولا خلة حتى تعينكم عليه الاخلاء
او يسامحونكم به ولا شفاعة الا لمن اذن له الرحمن ورضي له
قولا حتى تتكلموا على شفعاء تشفع لكم في حط ما في ذممكم
وانما رفعت ثلثتها مع قصد التعميم لانها في التقدير جواب هل فيه
بيع او خلة او شفاعة وقد فتحها ابن كثير وابو عمرو ويعقوب
على الاصل والكافرون هم الظالمون يريد التاركون للزكوة هم
الذين ظلموا انفسهم او وضعوا المال في غير موضعه وصرفوه على
غير وجهه فوضع الكافرون موضعه تغليظا وتهديدا كقوله
ومن كفر فمكان من لم يحج وايذانا بان ترك الزكوة من صفات
الكفار كقوله فويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة الله
لا اله الا هو مبتدأ وخبره والمعنى انه المستحق للعبادة لا غير

والنجاة خلاف في انه هل يضم للاخبر مثل في الوجود او يصح ان
يوجد الحي الذي يصح ان يعلم ويقدر وكل ما يصح له فهو
واجب لا يزول لامتناعه عن القوة والامكان القيوم الدائم
القيام بتدبيره وحفظه فيعول من قام بالامر اذا حفظه
وقرئ القيام والقيم لا تأخذه سنة ولا نوم السنة فتور
يتقدم النوم قال ابن الرقاع وسنان اقصده النعاس
فرنقت في عينه سنة وليس بنائم والنوم حال يعرض للحيوان
من استرخاء رنقت اعصاب الدماغ من رطوبات الابخرة
المتصاعدة بحيث تقف الحواس الظاهرة عن الاحساس رأسا
وتقديم السنة عليه وقياس المبالغة عكسه على ترتيب الوجود
الجملة نفي التشبيه وتأكيد لكونه حيا قيوما فان من اخذه
نعاس او نوم كان موقوف الحيوة قاصرا في الحفظ والتدبير
ولذلك ترك العاطف فيه وفي الجمل التي بعده له ما في السموات
وما في الارض تقرير لقيوميته واحتجاج به على تفرده في الا
لوهية والمراد بما فيهما ما وجد فيهما داخلا في حقيقتهما او
خارجا عنهما متمكنا فيهما فهو ابلغ من قوله له ملك السموات
والارض وما فيهن من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه بيان
لكبرياء شانه وانه لا احد يساويه او يدانيه يستقل بان
يدفع ما يريده شفاعة واستكانة فضلا عن ان يعاوقه عنادا
ومناصبة يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ما قبلهم وما بعدهم
او بالعكس لانك مستقبل المستقبل ومستدبر الماضي وامور الدنيا
وامور الآخرة او عكسه او ما يحسونه وما يعقلونه او ما يدر
كونه وما لا يدرك كونه والضمير لما في السموات والارض لان
فيهم العقلاء او لما دل عليه من ذا من الملائكة والانبياء ولا يحيطون
بشيء من علمه من معلوماته الا بما شاء ان يعلموا وعطفه على ما قبله

لان مجموعها يدل على تفرده بالعلم الذاتي التام الدال على وحدانيته
وسع كرسيه السموات والارض تصوير لعظمته وتمثيل مجرد هـ
كقوله وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيمة هـ
والسموات مطويات بيمينه والكرسي في الحقيقة والاقاعد
وقيل كرسيه مجاز عن علمه او ملكه مأخوذ من كرسي العالم
والملك وقيل جسم بين يدي العرش ولذلك سمي كرسيا محيط
بالسموات السبع والارضون السبع مع الكرسي الكل خلقة في فلاة
وفضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة و
لعله الفلك المشهود بفلك البروج وهو في الاصل ما يقعد
عليه ولا يفضل عن مقعد القاعد وكانه منسوب الى الكرسي هـ
وهو المبدد ولا يؤوده ولا يثقله مأخوذ من الاود وهو الا
عوجاج حفظهما اي حفظ السموات والارض فحذف الفاعل
واضافة المصدر الى المفعول وهو العلي المتعالي عن الانداد
والاشباه العظيم المستحق بالاضافة اليه كل ما سواه وهذه الآية
مشتملة على امهات المسائل الالهية فانها دالة على انه تعالى موجود
واحد في الالهية متصف بالحيوة واجب الوجود لذاته موجد هـ
لغيره اذ القيوم هو القايم بنفسه المقيم لغيره منزه عن التحيز
والحلول مبرا عن التغير والفتور ولا يناسب الاشباح ولا
يعتريه ما يعتري الارواح مالك الملك والملكوت ومبدع الاصول
والفروع ذو البطش الشديد الذي لا يشفع عنده الا من اذن له العالم هـ
وحده بالاشياء كلها وجزئياتها جليتها وخفيتها واسع الملك والقدرة
كل ما يصح ان يملك ويقدر عليه ولا يؤوده شاق ولا يشغله شان
متعال عما يدركه وهم عظيم لا يحيط به فهم ولذلك قال ع ان اعظم
آية في القرآن آية الكرسي من قراءها بعث الله ملكا يكتب من حسناته
ويمحو من سيئاته الى الغد من تلك الساعة وقال ع من قراء آية الكرسي

في دبر

في دبر كل صلوة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة الا الموت ولا
يواظب عليها الا صديق او عابد ومن قراءها اذا اخذ من مضجعه
امنه الله على نفسه وجاره وجار جاره والابيات حوله لا اكراه
في الدين اذ الاكراه في الحقيقة الزام الغير فعلا لا يرى فيه خيرا
يحمله عليه ولكن قد تبين الرشد من الغي تميز الايمان من الكفر بالآيا
ت الواضحة ودلت الدلائل على ان الايمان رشد يوصل الى السعادة الا
بدية والكفر غي يؤدي الى الشقاوة السرمدية والعاقل متى تبين
له ذلك بادرت نفسه الى الايمان طلبا للفوز بالسعادة والنجاة
ولم يحتج الى الاكراه والالجاء وقيل لخبار في معنى النهي اي لا تكر
هوا في الدين وهو اما عام منسوخ بقول جاهد الكفار والمنافقين
واغلظ عليهم او خاص باهل الكتاب لما روي ان انصاريا
كان له ابنان تنصرا قبل المبعث ثم قدما المدينة فلزمهما ابوهما
وقال والله لا ادعكما حتى تسلما فابيا فاختصموا الى رسول الله ع
فنزلت فمن يكفر بالطاغوت بالشيطان او الاصنام او كل ما
عبد من دون الله او صد من عبادة الله فعلوت من الطغيان
قلبت عينه ولامه ويؤمن بالله بالتوحيد وتصديق الرسل فقد
استمسك بالعروة الوثقى طلبا لامساك من نفسه بالعروة
الوثقى من الحبل الوثيق ومستعارة لمتمسك المحق من النظر
الصحيح والرجاء القويم لا انفصام لها يقال فصمته فانفصم اذا
كسرته اي لا انقطاع لها والله سميع بالاقوال عليم بالنيات
ولعله تهديد على النفاق الله ولي الذين آمنوا محبهم ومتولي
امرهم والمراد بهم من اراد ايمانه وثبت في علمه انه يؤمن يخرجهم
بهدايته وتوفيقه من الظلمات ظلمات الجهل واتباع الهوى
وقبول الوساوس والمشبهة المؤدية الى الكفر الى النور الى الهدى
الموصل الى الايمان والجملة خبر بعد خبر او حال من المستكن في

الخبر او من الموصول ومنهما او استيناف مبين ومقرر للولاية
والذين كفروا اوليآؤهم الطاغوت اى الشياطين او المضلات
من الهوى والشيطان وغيرهما يخرجونهم من النور الى الظلمات
من النور الذى منحوه بالفطرة الى الكفر وفساد الاستعداد
والانهماك فى الشهوات او من نور اليقينيات الى ظلمات هى
الشكوك والشبهات وقيل نزلت فى قوم ارتدوا عن الاسلام
واسناد الاخراج الى الطاغوت باعتبار السبب لا ينافى تعلق
قدرته تع وارادته به اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون
وعيد وتحذير ولعل عدم مقابلته بوعد المؤمنين تعظيم لشانهم
الم تر الى الذى حاج ابراهيم فى ربه تعجيب من محاجة نمرود و
حماقته ان آتيه الله الملك لان آتيه اى ابطره ايتاء الملك و
حمله على المحاجة او حاج لاجله شكرا له على طريقة العكس هو
كقولك عاديتنى لانى احسنت اليك او وقت ان آتاه الله الملك
وهو حجة على من منع ايتاء الله الملك الكافر من المعتزلة اذ قال
ابراهيم ظرف لحاج او بدل من آتاه الله على الوجه الثانى ربى الذى
يحيى ويميت يخلق الحيوة والموت فى الاجساد وقرأ حمزة ربّ
الذى بحذف الياء قال انا احيى واميت بالعفو عن القتل وقرأ
نافع انا بالالف قال ابراهيم فان الله يأتى بالشمس من المشرق
فات بها من المغرب اعرض ابراهيم عن الاعتراض على معارضته
الفاسدة الى الاحتجاج بما لا يقدر فيه على هذا التمويه دفعا هو
للمشاغبة وهى فى الحقيقة عدول عن مثال خفى الى مثال جلى من
مقدوراته التى يعجز عن الاتيان بها غيره لا عن حجة الى اخرى
ولعله نمرود زعم انه يقدر ان يفعل كل جنس يفعله الله كما هو
فنقضه ابراهيم بذلك وانما حمله عليه بطر الملك وحماقته او
اعتقاد الحلول وقيل لما كسر ابراهيم الاصنام سجنه اياما ثم

اخرجه ليحرقه فقال له من ربك الذى تدعونا اليه وحاجه فيه
فبهت الذى كفر فصار مبهوتا او قرئ فبهت اى فغلب
ابراهيم الكافر والله لا يهدى القوم الظالمين الذين هم
ظلموا انفسهم بالامتناع عن قبول الهداية وقيل لا يهديهم
بحجة الاحتجاج او سبيل النجاة او طريق الجنة يوم القيمة
او كالذى مر على قرية تقديره او رأيت مثل الذى فحذف
لدلالة الم تر عليه وتخصيصه بحرف التشبيه لان المنكر هو
للاحياء كثير والجاهل بكيفيته اكثر من ان يحصى خلاف
مدعى الربوبية وقيل الكاف مزيدة وتقدير الكلام الم تر الى
الذى حاج او الذى مر وقيل انه عطف يحمل على المعنى كانه
قيل الم تر كالذى حاج او كالذى مر وقيل انه من كلام
ابراهيم ذكره جوابا لمعارضته وتقديره ان كنت تحيى
فاحيى كاحياء الله الذى مر وهو عزير بن شرحيا او الخضر
او كافر بالبعث ويؤيده نظمه مع نمرود والقرية هى بيت
المقدس حين خربه بخت نصر وقيل القرية التى خرج منها الالوف
وقيل غيرها واشتقاقها من القرى وهو الجمع وهى خاوية على عروشها
خاوية ساقطة حيطانها على سقوفها قال انى يحيى هذه الله
بعد موتها اعترافا بالقصور عن معرفة طريق الاحياء وهو
استعظاما لقدرة المحيى ان كان القائل مؤمنا او استبعادا ان
كان كافرا وانى فى موضع النصب على الظرف بمعنى متى او على
الحال بمعنى كيف فاماته الله مائة عام فالبثه ميتا مائة عام او
اماته الله فلبث ميتا مائة عام ثم بعثه بالاحياء قال كم لبثت هو
القائل هو الله وساغ ان يكلمه وان كان كافرا لانه آمن بعد البعث
او شارف الايمان وقيل ملك او نبى قال لبثت يوما او بعض
يوم كقول الظان وقيل انه مات ضحى وبعث بعد المائة قبيل

١٢٥

المغرب فقال قبل النظر الى الشمس يوما ثم التفت فرأى بقية
منها فقال او بعض يوم على الاضراب قال بل لبثت مائة عام
فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه لم يتغير بمرور الزمان
واشتقاقه من السنة والهاء اصلية ان قدر لام السنه هاؤها
السكت ان قدرت واوا وقيل ان اصله لم يتسنن من الحماء ه
المسنون فابدلت النون الساكنة حرف علة كتقضى البازى و
انما افرد الضمير لان الطعام والشراب كالجنس الواحد قيل
كان طعامه تينا وعنبا وشرابه عصيرا او لبنا وكان الكل على
حاله وقرأ حمزة والكسائى لم يتسن بغير الهاء فى الاصل وانظر
الى حمارك كيف نفرقت عظامه او انظر اليه سالما فى مكانه كما
ربطته حفظناه بالاماء وعلف كما حفظنا الطعام والشراب من
التغير والاول ادل على الحال او افق لما بعده ولنجعلك آية
للناس اى وفعلنا ذلك لنجعلك آية روى انه اتى قومه على
حماره فقال انا عزير فكذبوه فقراء التوراة من الحفظ ولم
يحفظها احد قبله فعرفوه بذلك وقالوا هو ابن الله وقيل لما
رجع الى منزله كان شابا واولاده شيوخا فاذا احدثهم بحديث
قالوا حديث مائة سنة وانظر الى العظام يعنى عظام الحمار او ه
الاموات الذين تعجبت من احيائهم كيف ننشزها كيف نحييها او
نرفع بعضها الى بعض ونركبه عليه وكيف منصوب بننشزها وه
الجملة حال من العظام اى انظر اليها محياة وقراء ابن كثير ونافع
وابو عمرو ويعقوب ننشزها من انشر الله الموتى وقرأ ه
ننشزها من نشز بمعنى انشز ثم نكسوها لحما فلما تبين له ه
فاعل تبين مضمر يفسره مابعده تقديره فلما تبين له ان الله على كل
شىء قدير قال اعلم ان الله على كل شىء قدير فحذف الاول لدلالة
الثانى عليه او يفسره ما قبله اى فلما تبين له ما اشكل عليه وقراء

حمزة والكسائى قال اعلم على الامر والآمر مخاطبه هو نفسه خاطبها
به على طريقة التبكيت واذ قال ابراهيم رب ارنى كيف تحيى الموتى
انما سئل ذلك ليصير علمه عيانا وقيل لما قال نمرود انا احيى
واميت قال له ان احياء الله بردّ الروح الى بدنها فقال نمرود
هل عاينته فلم يقدر ان يقول نعم وانتقل الى تقرير آخر ثم
سئل ربه ان يريه ليطمئن قلبه على الجواب ان سئل عنه مرة
اخرى قال او لم تؤمن بانى قادر على الاحياء باعادة التر
كيب الحيوة قال له ذلك وقد علم انه اعرف الناس فى الايمان
ليجيب بما اجاب فيعلم السامعون غرضه قال بلى ولكن ليطمئن
قلبى اى بلى آمنت ولكن سئلت لازيد بصيرة وسكون
قلب بمضامة العيان الى الوحى والاستدلال قال فخذ اربعة ه
من الطير قيل طاوسا وديكا وغرابا وحمامة ومنهم من ذكر
النسر بدل الحمامة وفيه ايماء الى ان احياء النفس بالحيوة الا
بدية انما يتاتى باماتة حب الشهوات والزخارف التى هى
صفة الطاوس والصورة المشهورة بها الديك وحسنة ه
النفس وبعد الامل المتصف بهما الغراب والترفع والمسارعة
الى الهوى الموسوم بهما الحمام وانما خص الطير لانه اقرب
الى الانسان واجمع لخواص الحيوان والطير مصدر سمى به او جمع
كصحب فصرهن اليك فاملهن واضممهن اليك لتتامل بها و
تعرف شياتها لئلا يلتبس عليك بعد الاحياء وقراء حمزة ويعقوب
فصرهن بالكسر وهما لغتان قال ولكن اطراف الرماح تصورها
قال وفرع يصير الجيد وجف كانه على الليث قنوان الكروم ه
الذوالح وقرئ فصرهن بضم الصاد وكسرها مشددة الراء
من صره يصره اذا جمعه وفصرهن من التصرية وهى الجمع ايضا
ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا اى ثم جزئهن وفرق اجزاءهن

على الجبال التى بحضرتك قيل كانت اربعة وقيل سبعة ثم ادعهن
قل لهن تعالين باذن الله يأتينك سعيا ساعيات مسرعات
طيرانا او مشيا روى انه امر بان يذبحها وينتف ريشها
ويقطعها فيمسك رؤسها ويخلط سائر اجزائها فيوزعها
على الجبال ثم يناديهن ففعل ذلك فجعل كل طير يطير الى الآخر
حتى صارت خشيا ثم اقبلن فانضممن الى رؤسهن وفيه اشارة
الى ان من اراد احياء نفسه بالحيوة الابدية فعليه ان يقبل على
القوى البدنية فيقتلها فيمزج بعضها ببعض حتى ينكسر صورتها
فيطاوعته مسرعات متى دعاهن بداعية العقل والشرع
وكفى لك شاهدا على فضل ابراهيم ويمن الضراعة فى الدعاء و
حسن الادب فى السؤال انه كيف اراه ما اراد ان يريه فى الحال
على اليسير الوجوه واراه عزيزا بعد ان اماته مائة عام واعلم
ان الله عزيز لا يعجز عما يريده حكيم ذو حكمة بالغة فى كل ما يفعله
ويذره مثل الذين ينفقون اموالهم فى سبيل الله كمثل حبة اى
مثل نفقتهم كمثل حبة او مثلهم كمثل باذر حبة على حذف مضاف هـ
انبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة اسند الانبات الى الحبة لما
كانت من الاسباب كما اسند الى الارض والماء والمنبت على الحقيقة
هو الله هـ والمعنى انه يخرج منها ساقا يتشعب منها سبع شعب
لكل سنبلة فيها مائة حبة وهو تمثيل لا يقتضى وقوعه وقد يكون فى الذرة
والدخن وفى البر فى الارض المغلة والله يضاعف تلك هـ
المضاعفة لمن يشاء بفضله على حسب حال المنفق من اخلاصه و
تعبه ومن اجله تفاوتت الاعمال فى مقادير الثواب والله هـ
واسع لا يضيق عليه ما يتفضل به من الزيادة عليم بنية المنفق
وقدر انفاقه الذين ينفقون اموالهم فى سبيل الله ثم لا يتبعون
ما انفقوا منا ولا اذى نزلت فى عثمان رضيه فانه جهز جيش

العسرة بالف بعير باقتابها واحلاسها وعبد الرحمن بن عوف
رضيه فاتى النبى ع م باربعة آلاف درهم صدقة والمن ان يعتد
باحسانه على من احسن اليه والاذى ان يتطاول عليه بسبب
ما انعم عليه وثم للتفاوت بين الانفاق وترك المن والاذى
لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون لعله
لم يدخل الفاء فيه وقد تضمن ما اسند اليه معنى الشرط ايها ما هـ
بانهم اهل لذلك وان لم يفعلوا فكيف بهم اذا فعلوا قول هـ
معروف ورد جميل ومغفرة وتجاوز عن السائل الحاجة او نيل
مغفرة من الله بالرد الجميل او عفو من السائل بان يعذره ويغتفر
رده خير من صدقة يتبعها اذى خبر عنها وانما صح الابتداء
بالنكرة لاختصاصها بالصفة والله غنى عن انفاق بمن وايذاء
حليم عن معاجلة من يمن ويوذى بالعقوبة يا ايها الذين هـ
آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى اى لا تحبطوا اجرها
بكل واحد منهما كالذى ينفق ماله رياء الناس ولا يؤمن
بالله واليوم الآخر كابطال المنافق الذى يراءى بانفاقه لا هـ
يريد به رضاء الله ولا ثواب الآخرة او مماثلين الذى ينفق
ماله رياء فالكاف فى محل النصب على المصدر او الحال ورياء هـ
نصب على المفعول له او الحال بمعنى مرائيا او المصدر الذى هـ
انفاق رياء فمثله مثل المرائى فى انفاقه كمثل صفوان كمثل حجر املس
عليه تراب فاصابه وابل مطر عظيم القطر فتركه صلدا املس
نقيا من التراب لا يقدرون على شىء مما كسبوا لا ينفقون بما هـ
فعلوا رياء ولا يجدون ثوابه والضمير للذى ينفق باعتبار
المعنى لان المراد به الجنس او الجمع كما فى قوله وان الذى يفلح دما
والله لا يهدى القوم الكافرين الى الخير وفيه تعريض بان الرياء
والمن والاذى على الانفاق من صفة الكفار ولا بد للمؤمنين

وهم حانت ع هلاك
والفلح كالفوز اسم موضع

ان يجتنب عنها ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات
الله وتثبيتا من انفسهم وتثبيتا بعض انفسهم على الايمان فان
فان المال شقيق الروح فمن بذله لوجه الله تثبت بعض نفسه
ومن بذل ماله وروحه تثبتها كلها او تصديقا للاسلام و
تحقيقا للجزاء مبتدا من اصل انفسهم وفيه تنبيه على ان حكمه
الانفاق للمنفق تزكية النفس عن البخل وحب المال كمثل جنة
بربوة اى ومثل نفقة هؤلاء فى الزكاء كمثل بستان بموضع
مرتفع فان شجره يكون احسن منظرا وازكى ثمرا وقراء ابن
عامر وعاصم بربوة بالفتح وقرئ بالكسر وثلثها لغات
فيها اصابها وابل مطر عظيم القطر فاتت اكلها ثمرتها وقراء
ابن كثير ونافع وابو عمرو بالتسكون للتخفيف ضعفين مثلى
ماكانت تثمر بسبب وابل والمراد بالضعف المثل كما اريد بالزوج
الواحد فى قوله من كل زوجين اثنين وقيل اربعة امثال ونصبه
على الحال اى مضاعفا فان لم يصبها وابل فطل اى فيصيبها
اى فالذى يصيبها طل او فطل يكفيها لكرم منبتها وبرودة
هوائها لارتفاع مكانها وهو المطر الصغير القطر والمعنى ان
نفقة هؤلاء زاكية عند الله لا تضيع بحال وان كانت تتفاوت
باعتبار ما ينضم اليها من احواله ويجوز ان يكون التمثيل
بحالهم عند الله بالجنة على الربوة ونفقاتهم الكثيرة والقليلة
الزائدتين زلفاهم بالوابل والطل والله بما تعملون بصير
تحذير عن الرياء وترغيب فى الاخلاص ايود احدكم الهمزة
فيه للانكار ان تكون له جنة من نخيل واعناب تجرى من تحتها
الانهار له فيها من كل الثمرات جعل الجنة منهما مع ما فيها من
سائر الاشجار تغليبا لهما لشرفهما وكثرة منافعهما ثم ذكر ان
فيها كل الثمرات ليدل على احتوائها على سائر انواع الاشجار و

يجوز ان يكون المراد بالثمرات المنافع واصابه الكبر اى
كبر السن فان الفاقة والعالة فى الشيخوخة اصعب والواو
للحال او للعطف حملا على المعنى فكانه قيل ايود احدكم لو
كانت له جنة واصابه الكبر وله ذرية ضعفاء صغار لا
قدرة لهم على الكسب فاصابها اعصار فيه نار فاحترقت
عطف على اصابه او تكون باعتبار المعنى والاعصار ريح
عاصفة تنعكس من الارض الى السماء مستديرة كعمود والمعنى
تمثيل حال من يفعل الافعال الحسنة ويضم اليها ما يحبطها
كرياء وايذاء فى الحسرة والاسف اذا كان يوم القيمة واشتد
حاجته اليها وحدها محبطة بحال من هذا شانه واشبههم
به من حال بستر فى عالم الملكوت وترقى بفكره الى جناب
الجبروت ثم نكص عقيبه الى عالم الزور والتفت الى ما سوى
الحق وجعل سعيه هباء منثورا كذلك يبين الله لكم الآيات
لعلكم تتفكرون اى تتفكرون فيها فيعتبرون بها ايها
الذين آمنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم من حلال او جياده
ومما اخرجنا لكم من الارض اى من طيبات ما اخرجنا لكم من
الحبوب والثمر والمعادن فحذف المضاف لتقدم ذكره
ولا تيمموا الخبيث منه ولا تقصدوا الردئ منه اى من المال
او مما اخرجنا ونخصيصه بذلك لان التفاوت فيه اكثر وقرئ
ولا تأمموا ولا تيمموا بضم التاء تنفقون حال مقدرة من
فاعل تيمموا ويجوز ان يتعلق به منه ويكون الضمير للخبيث
والجملة حالا منه ولستم باخذيه اى وحالكم انكم لا تأخذونه
فى حقوقكم لرداءته الا ان تغمضوا فيه الا ان تتسامحوا فيه
مجاز من اغمض بصره اذا غضه وقرئ تغمضوا اى تحملوا
على الاغماض او توجدوا مغمضين وعن ابن عباس رضه كانوا يتصدقون

بخشف النمي وشاره فنهوا عنه واعلموا ان الله غني عن
انفاقكم وانما يأمركم به لانتفاعكم حميد بقبوله واثابته
الشيطان يعدكم الفقر في الانفاق والوعد في الاصل هـ
شايع في الخير والشر وقرئ الفقر بالضم والتسكون و
بضمتين وفتحتين ويأمركم بالفحشاء ويغريكم على البخل و
العرب يسمي البخيل فاحشا وقيل المعاصي والله يعدكم مغفرة
منه اي يعدكم في الانفاق مغفرة ذنوبكم وفضلا خلفا افضل
مما انفقتم في الدنيا وفي الآخرة والله واسع اي واسع الفضل
لمن انفق عليم بانفاقه يؤتي الحكمة تحقيق العلم واتقان العمل
من يشاء مفعول اول آخر للاهتمام بالمفعول الثاني ومن هـ
يؤت الحكمة بناؤه للمفعول لانه المقصود وقراء يعقوب بالكسر
اي ومن يؤت الله فقد اوتي خيرا كثيرا اي اي خير كثير
ادخر له خير الدارين وما يذكر وما يتعظ بما قصّ من الآيات
او وما يتفكر فان المتفكر كالمتذكر لما اودع الله في قلبه من
العلوم بالقوة الا اولوا الالباب ذوو العقول الخالصة عن
شوائب الوهم والركون الى متابعة الهوى وما انفقتم من نفقة
قليلة او كثيرة سرا او علانية في حق او باطل او نذرتم من
نذر بشرط او بغير شرط في طاعة او معصية فان الله يعلمه فيجازيكم
عليه وما للظالمين الذين ينفقون في المعاصي وينذرون
فيها او يمنعون الصدقات ولا يفون بالنذور من انصار
من ينصرهم على الله ويمنعهم من عقابه ان تبدوا الصدقات فنعما
هي فنعم شيئا ابداؤها وقراء ابن عامر وحمزة والكسائي بفتح هـ
النون وكسر العين على الاصل وان تخفوها وتؤتوها هـ
الفقراء اي تعطوها مع الاخفاء فهو خير لكم فالاخفاء خير لكم
وهذا في التطوع ولمن لم يعرف بالمال فان ابداء الفرض لغير

افضل لنفي التهمة عن ابن عباس صدقة السر في التطوع تفضل
علانيتها سبعين ضعفا وصدقة الفريضة افضل من سرها
بخمسة وعشرين ضعفا ويكفر عنكم من سيئاتكم قراء ابن عامر
وعاصم في رواية حفص بالياء اي والله يكفر وقراء ابن
كثير وابو عمرو وعاصم في رواية ابن عباس ويعقوب هـ
بالنون مرفوعا على انه جملة فعلية مبتداء او اسمية معطوفة
على ما بعد الفاء اي ونحن نكفر وقراء نافع وحمزة والكسائي
به بالجزم ما عطفا على محل الفاء وما بعده وقرئ بالتاء هـ
مرفوعا بجزوما والفعل للصدقات والله بما تعملون خبير
ترغيب في الاسرار ليس عليك هداهم لا يجب عليك ان
تجعل الناس مهتدين وانما عليك الارشاد والحث على
المحاسن والنهي عن المقابح كالمن والاذى وانفاق الخبيث
ولكن الله يهدي من يشاء صريح بان الهداية من الله و هـ
بمشيته وانما تخص بقوم دون قوم وما تنفقوا من خير
من نفقة معروفة فلانفسكم فهو لانفسكم لا ينتفع به غيركم
ولا تمنعوا عليه ولا تنفقوا الخبيث وما تنفقون الا ابتغاء
وجه الله حال وكانه قال وما تنفقوا من خير فلانفسكم غير
منفقين الا ابتغاء وجه الله وطلب ثوابه او عطف على ما
قبله اي وليس نفقتكم الا لابتغاء وجهه فما بالكم تمنون
بها وتنفقون الخبيث وقيل نفي في معنى النهي وما تنفقوا
من خير يوف اليكم ثوابه اضعافا مضاعفة فهو تاكيد للشرط
التابعة او ما يخلف المنفق استجابة لقوله عم اللهم اعط
لمنفق خلفا ولممسك تلفا وروي ان ناسا من المسلمين كانت
لهم اقرباء ورضاع في اليهود وكانوا ينفقون عليهم فكرهوا
لما اسلموا ان ينفقوا عليهم فنزلت وهذا في غير الواجب هـ

من اخفائكم صح

طيبة

امّا الواجب فلا يجوز صرفه الى الكافر وانتم لا تظلمون اى
لا تنقصون ثواب نفقتكم للفقراء متعلّق بمحذوف اى اعمدوا
للفقراء او اجعلوا ما تنفقونه للفقراء او صدقاتكم للفقراء
الّذين احصروا فى سبيل الله احصرهم الجهاد ولا يستطيعون
لاشتغالهم به ضربا فى الارض ذهابا فيها للاكتساب وقيل هم
اهل الصّفّة كانوا نحو اربعمائة من فقراء المهاجرين ه
يسكنون صفّة المسجد يتفرّغون او قائمهم بالتعلّم والعبادة
وكانوا يخرجون فى كلّ سريّة بعثها رسول الله ص يحسبهم
الجاهل بحالهم اغنياء من التّعفّف من اجل تعفّفهم عن السّؤال
تعرفهم بسيماهم من الضّعف ورثاثة الحال والخطاب للرّسول
او لكلّ احد لا يسئلون النّاس الحافا الحاحا وهو ان يلازم ه
المسؤل حتّى يعطيه من قولهم لحفنى من فضل الحافهم اى اعطانى
من فضل ما عنده والمعنى انّهم لا يسئلون وان سئلوا للضّرورة
لم يلحّوا وقيل هو نفى الحال للامرين كقوله على لا احبّ لا يهتدى
بمناره ونصبه على المصدر فانّه كنوع من السّؤال او على الحال
وما تنفقوا من خير فانّ الله به عليم ترغيب للانفاق وخصوصا
على هؤلاء الّذين ينفقون اموالهم باللّيل والنّهار سرّا وعلانية
اى يعمّون الاوقات والاحوال بالخير نزلت فى ابى بكر الصّدّيق
رضه تصدّق باربعين الف دينار عشرة باللّيل وعشرة ه
بالنّهار وعشرة بالسّر وعشرة بالعلانية وقيل فى على رضه ه
لم يملك الّا اربعة دراهم فتصدّق بدرهم ليلا ودرهم نهارا ودرهم
سرّا ودرهم علانية وقيل فى ربط الخيل فى سبيل الله والانفاق
عليها فلهم اجرهم عند ربّهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون
خبر الّذين ينفقون والفاء للسّببيّة وقيل للعطف والخبر
محذوف اى ومنهم الّذين ولزلزة جوّز الوقف على وعلانية

الّذين يأكلون الرّبوا اى الآخذون له وانّما ذكر الاكل لانّه ه
اعظم منافع المال ولانّ الرّبوا شايع فى المطعومات وهو
زيادة فى الاجل بان يباع مطعوم بمطعوم او نقد بنقد الى
اجل او فى العوض بان يباع احدهما اكثر من جنسه وانّما ه
كتب بالواو كالصّلوة للتّفخيم على لغة من تفخّم وزيدة ه
الالف بعدها تشبيها بواو الجمع لا يقومون اذا بعثوا من ه
قبورهم الّا كما يقوم الّذى يتخبّطه الشّيطان الآقياما ه
كقيام المصروع وهو وارد على ما يزعمون انّ الشّيطان ه
يخبط الانسان فيصرع والخبط ضرب على غير استواء كخبط
العشواء من المسّ اى الجنون وهذا ايضا من زعماتهم
انّ الجنّى يمسّه فيختلط عقله ولذلك قيل لجنّ الرّجل وهو
متعلّق بلا يقومون اى لا يقومون من المسّ الّذى بهم بسبب
اكل الرّبوا او بيقوم او بيتخبّطه فيكون نهوضهم وسقو
كالمصروعين للاختلال عقلهم ولكن لانّ الله ازلى فى
بطونهم ما اكلوا من الرّبوا فاثقلهم ذلك بانّهم قالوا
انّما البيع مثل الرّبوا اى ذلك العقاب بسبب انّهم نظموا الرّ
والبيع فى سلك واحد لافضائهما الى الرّبح فاستحلّوه استحلا
وكان الاصل انّما الرّبوا مثل البيع ولكن عكس للمبالغة كانّهم
جعلوا الرّبوا اصلا وقاسوا به البيع وفرّق بين وانّ من ه
اعطى درهمين بدرهم ضيّع درهما ومن اشترى سلعة
تساوى درهما بدرهمين فلعلّ مساس الحاجة اليها او
توقّع رواجها يجبر هذا الغبن واحلّ الله البيع وحرّم ه
الرّبوا انكار لتسويتهم وابطال القياس لمعارضة النّصّ
فمن جاءه موعظة من ربّه فمن بلغه وعظ من الله وزجر
بالنّهى عن الرّبوا فانتهى فاتّعظ واتّبع النّهى فله ما سلف

طبع

بوا
لله

تقدم اخذه التحريم ولا يسترد منه وما في موضع الرفع بالظرف
ان جعل من موصولة وبالابتداء ان جعل شرطية على رأى
سيبويه اذ الظرف غير معتمد على ما قبله وامره الى الله يجازيه
على انتهائه ان كان غير قبول الموعظة وصدق النية وقيل يحكم
في شانه ولا اعتراض لكم عليه ومن عاد الى تحليل الربوا اذ
الكلام فيه فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون لانهم
كفروا به يمحق الله الربوا يذهب بركته ويهلك المال الذي يدخل
فيه ويربي الصدقات يضاعف ثوابها ويبارك فيما اخرجت
منه وعنهم ان الله يقبل الصدقة فيربيها كما يربي احدكم مهره
وعنهم ما نقصت زكوة من مال قط والله لا يحب لا يرضى ولا
يحب محبته للتوابين كل كفار مصر على تحليل المحرمات اثيم لنهمك
في ارتكابه ان الذين آمنوا بالله ورسله وبما جاءهم منه وعملوا
الصالحات واقاموا الصلوة وآتوا الزكوة عطفهما على ما يعمها
لانافتهما على سائر الاعمال لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف هـ
عليهم من آت ولا هم يحزنون على فائت يا ايها الذين آمنوا هـ
اتقوا الله وذروا ما بقي من الربوا واتركوا بقايا ما شارطتم على هـ
الناس من الربوا ان كنتم مؤمنين بقلوبكم فان دليله امتثال ما
امرتم به روي انه كان لثقيف مال على بعض قريش فطالبوهم
عند المحل بالمال والربوا فنزلت فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب
من الله ورسوله اي فاعلموا بها من اذن بالشيء اذا علم به وقراء
حمزة وعاصم في رواية ابن عياش فآذنوا اي فاعلموا بها غيركم
من الاذن وهو الاستماع فانه من طرق العلم وتنكير حرب هـ
للتعظيم وذلك يقتضي ان يقاتل المرتبي بعد الاستتابة حتى يفيء الى
امر الله كالباغي ولا يقتضي كفره روي انها لما نزلت قال ثقيف
لا يدى لنا بحرب الله ورسوله وان تبتم من الارتباء واعتقاد

حله فلكم رؤس اموالكم لا تظلمون باخذ الزيادة ولا تظلمون
بالمطل والنقصان ويفهم منه انهم ان لم يتوبوا فليس لهم
رؤس مالهم وهو سديد على ما قلنا اذ المصر على التحليل مرتد
وماله فيء وان كان ذو عسرة وان وقع غريم ذو عسرة وقرئ
ذا عسرة اي وان كان الغريم ذا عسرة فنظرة فالحكم نظرة او
فعليكم نظرة او فليكن نظرة وهي الانظار وقرئ فناظرة
على الخبر اي فالمستحق ناظرة بمعنى منتظرة او صاحب نظرة
على طريق النسب وعلى الامر اي فسامحه بالنظرة الى ميسرة
يسار وقرئ نافع وحمزة بضم السين وهما لغتان كمشرقة و
مشرقة وقرئ بهما مضافين بحذف التاء عند الاضافة هـ
كقوله واخلفوك عد الامر الذي وعدوا وان تصدقوا ابا
لابراء وقراء عاصم بتخفيف الصاد خير لكم اكثر ثوابا من
الانظار او خير مما تأخذون لمضاعفة ثوابه ودوامه
وقيل المراد بالتصدق الانظار لقوله هم لا يحل دين رجل
مسلم فيؤخره الا كان له بكل يوم صدقة ان كنتم تعلمون
ما فيه من الذكر الجميل والاجر الجزيل واتقوا يوما ترجعون
فيه الى الله يوم القيمة او يوم الموت فتلقى كل نفس المصير كبم اليه
وقراء ابو عمرو ويعقوب بفتح التاء وكسر الجيم ثم توفى
كل نفس ما كسبت جزاء بما تعملت من خير او شر وهم لا يظلمون
بنقص ثواب وتضعيف عقاب وعن ابن عباس رضيه انها
آخر آية نزل بها جبرائيل هم وقال ضعها في رأس المائتين
والثمانين من البقرة وعاش رسول الله هم بعدها احدا و
عشرين يوما وقيل احدا وثمانين وقيل سبعة ايام وقيل ثلث
ساعات يا ايها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين اذا داين بعضكم
بعضا نقول داينته اذا عاملته نسيئة معطيا او آخذا وفائدة

ذكر الدين ان لا يتوهم من التداين المجازاة ويعلم تنوعه الى المؤجل والحال وانه الباعث على الكتبة ويكون مرجع ضمير فاكتبوه فاكتبوه الى اجل مسمى معلوم بالايام والاشهر لا بالحصاد وقدوم الحاج فاكتبوه لانه اوثق وادفع للنزاع والجمهور على انه مستحب وعن ابن عباس ان المراد به السلم وقال لما حرم الله الربوا اباح السلف وليكتب بينكم كاتب بالعدل من يكتب بالسوية لا يزيد ولا ينقص وهو في الحقيقة امر للمتداينين باختيار كاتب ففيه دين حتى يجيء مكتوبا به موثوقا به معدا للاتباع ولا ياب كاتب ولا يمنع احد من الكتاب ان يكتب كما علمه الله مثل ما علمه من كتبة الوثاق ولا ياب ان ينفع الناس بكتابته كما نفعه الله بتعليمها كقوله ص واحسن كما احسن اليك فليكتب تلك الكتابة المعلمة امر بها بعد النهي عن الاباء عنها تأكيدا ويجوز ان يتعلق الكاف بالامر فيكون النهي عن الامتناع منها مطلقة ثم الامر بها مقيدة وليملل الذي عليه الحق وليكن المملى من عليه الحق لانه هو المقر المشهود عليه والاملال والاملاء واحد وليتق الله ربه اى المملى او الكاتب ولا يبخس ولا ينقص منه شيئا اى من الحق او مما املى عليه فان كان الذي عليه الحق سفيها ناقص العقل مبذرا او ضعيفا صبيا او شيخا مختلا او لا يستطيع ان يمل هو او غير مستطيع للاملا بنفسه لخرس او جهل باللغة فليملل وليه بالعدل اى الذي يلي امره ويقوم مقامه من قيم ان كان صبيا او مختل عقل او وكيل او مترجم ان كان غير مستطيع وهو دليل على جريان النيابة في الاقرار ولعله مخصوص بما تعاطاه هو القيم او الوكيل واستشهدوا شهيدين واطلبوا ان يشهد على الدين شاهدين من رجالكم من رجال المسلمين وهو دليل هو اشتراط اسلام الشهود واليه ذهب عامة العلماء وقال ابو ح

رضيه تسمع شهادة الكفار بعضهم على بعض فان لم يكونا رجلين فان لم يكن الشهيدان رجلين فرجل وامراتان فليشهد رجل وامراتان وهذا مخصوص بالاموال عندنا وبما عدا الحدود والقصاص عند ابي ح ممن ترضون من الشهداء لعلمكم بعد التحمل ان تضل احديهما فتذكر احديهما الاخرى علة اعتبار العدد اى لاجل ان احديهما ان ضلت الشهادة بان نسيتها ذكرتها اخرى والعلة في الحقيقة التذكير ولكن بما كان الضلال سببا له نزل منزلته كقولهم اعددت السلاح ان يجيء عدو فادفعه فكانه قيل ارادة ان تذكر احديهما الاخرى ان ضلت وفيه اشعار بنقصان عقلهن وقلة ضبطهن وقرا حمزة ان تضل على الشرط فتذكر على الرفع وابن كثير وابو عمرو ويعقوب فتذكر من الاذكار ولا ياب الشهداء اذا ما دعوا لاداء الشهادة او التحمل وسموا شهداء تنزيلا لما يشاهد منزلة الواقع وما مزيدة ولا تسئموا ان تكتبوه ولا تملوا من كثرة مداينا تكم ان تكتبوا الدين او الحق او الكتاب وقيل كني بالسئام عن الكسل لانه صفة المنافق ولذلك قالوا لم لا يقول المؤمن كسلت صغيرا او كبيرا صغيرا كان الحق او كبيرا ومختصرا كان الكتاب او مشبعا الى اجله الى وقت حلوله الذي اقر به المديون ذلكم اشارة الى ان تكتبوه اقسط عند الله اكثر قسطا واقوم للشهادة واثبت لها واعون على اقامتها وهما مبنيان من اقسط واقام على غير قياس او من قاسط بمعنى ذي قسط وقويم وانما صحت الواو في اقوم كما صحت في التعجب لجموده وادنى الا ترتابوا واقرب في ان لا تشكوا في جنس الدين وقدره واجله والشهود ونحو ذلك الا ان تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس هو عليكم جناح الا تكتبوها استثناء من الامر بالكتابة والتجارة

الحاضرة تعمّ المبايعة بدين اوعين واداء تها بينهم تعاطيهم اياها
يدا بيد الآ ان تتبايعوا يدا بيد فلا بأس ان لا تكتبوا بعده عن
التنازع والنسيان ونصب عاصم تجارة على انه الخبر والاسم
مضمر تقديره الآ ان تكون التجارة تجارة حاضرة كقوله بني
اسد هل تعلمون بلاء نا اذا كان يوما ذا كواكب اشنعا ورفعها
الباقون على انه الاسم والخبر تديرونها اوعلى كان التامة ه
واشهدوا اذا تبايعتم هذا التبايع اومطلقا لانه احوط و
الاوامر التي في هذه الآية للاستحباب عند اكثر الائمة وقيل انها
للوجوب ثم اختلف في احكامها ونسخها ولا يضار كاتب ولا
شهيد يحتمل البنائين ويدل عليه ان قرئ ولا يضار بالكسر والفتح
وهو نهي لهما عن ترك الاجابة والتحريف والتغيير في الكتبة و
الشهادة او النهي عن الضرار بهما مثل ان يعجلا عن مهم ويكلفا
الخروج عما حد لهما ولا يعطى الكاتب جعله والشهيد مؤنة ه
مجيئه حيث كان وان تفعلوا الضرار او ما نهيتم عنه فانه فسوق
بكم خروج عن الطاعة لاحق بكم واتقوا الله في مخالفة امره و
نهيه ويعلمكم الله احكامه المتضمنة لمصالحكم والله بكل شيء عليم كرر
لفظة الله في الجمل الثلث لاستقلالها فان الاولى حث على التقوى
والثانية وعد بانعامه والثالثة تعظيم لشانه ولانه ادخل في
التعظيم من الكناية وان كنتم على سفر مسافرين ولم تجدوا كاتبا
فرهان مقبوضة فالذي يستوثق به رهان اوفعليكم رهان او
فليؤخذ رهان وليس هذا التعليق لاشتراط السفر في الارتهان
كما ظنه مجاهد والضحاك لانه ﷺ رهن درعه في المدينة من يهودي
بعشرين صاعا من شعير لاخذه لاهله بل لاقامة التوثق بالارتهان
مقام التوثق بالكتبة في السفر الذي هو مظنة اعوازها والجمهور
على اعتبار القبض فيه غير مالك وقراء ابن كثير وابو عمرو فرهن

كسقف وكلاهما جمع رهن بمعنى مرهون وقرئ باسكان الهاء
على التخفيف فان امن بعضكم بعضا اى بعض الدائنين بعض
المديونين واستغنى بامانته عن الارتهان فليؤد الذي
اؤتمن امانته اى دينه سماها امانة لائتمانه عليه بترك الا
رتهان به وقرئ والذي يتمن بقلب الهمزة ياء والذ تمن باد
غام الياء في التاء وهو خطاء لان المنقلبة عن الهمزة في حكمها
فلا تدغم وليتق الله ربه في الخيانة وانكار الحق وفيه مبالغات
ولا تكتموا الشهادة ايها الشهود او المديونون والشهادة
شهادتهم على انفسهم ومن يكتمها فانه اثم قلبه اى مأثم قلبه
او قلبه يأثم والجملة خبر ان واسناد الاثم الى القلب لان الكتمان
مقترفه وتظيره العين زانية والاذن زانية اولمبالغة فانه
رايس الاعضاء وافعاله اعظم الافعال وكانه تمكن الاثم في
نفسه واخذ اشرف اجزائه وفاق سايئ ذنوبه وقرئ قلبه
بالنصب كحسن وجهه والله بما تعملون عليم تهديد لله ما في ه
السموات وما في الارض خلقا وملكا وان تبدوا ما في انفسكم
او تخفوه يعني ما فيها من السوء والعزم عليه لترتب المغفرة و
العذاب عليه يحاسبكم به الله يوم القيمة وهو حجة على من انكر
الحساب كالمعتزلة والروافض فيغفر لمن يشاء مغفرته و
يعذب من يشاء تعذيبه وهو صريح في وجوب التعذيب وقد
رفعهما ابن عامر وعاصم ويعقوب على الاستيناف وجزمهما ه
الباقون عطفا على جواب الشرط ومن جزم بغير فاء جعلها
بدلا عنه بدل البعض عن الكل او الاشتمال كقوله متى تأتنا تلمم
بنا في ديارنا تجد حطبا جزلا ونارا تأججا وادغام الراء في اللام
لحن اذ الراء لا يدغم في مثله والله على كل شيء قدير فيقدر على
الاحياء والمحاسبة آمن الرسول بما انزل اليه من ربه شهادة

وتنصيص من الله على صحة ايمانه والاعتداد به وانه جازم فى
امره غير شاك فيه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه و
رسله لا يخلو من ان يعطف المؤمنون على الرسول فيكون ه
الضمير الذى ينوب عنه التنوين راجعا الى الرسول والمؤمنين
او يجعل مبتداء فيكون الضمير للمؤمنين وباعتباره ك يصح وقوع
كل بخبره خبر المبتداء فيكون افراد الرسول بالحكم امّا لتعظيمه
او لان ايمانه عن مشاهدة وعيان وايمانهم عن نظر واستدلال
وقراء حمزة والكسائى وكتابه يعنى القرآن او الجنس والفرق
بينه وبين الجمع انه شايع فى وحدان الجنس والجمع فى جموعه ولذلك
قيل الكتاب اكثر من الكتب لا نفرق بين احد من رسله اى ه
يقولون لا نفرق وقراء يعقوب لا يفرق بالياء على ان الفعل
لكل وقرئ لا يفرقون حملا على معناه كقوله وكل اتوه داخرين
واحد فى معنى الجمع لوقوعه فى سياق النفى كقوله فما منكم من احد
عنه حاجزين ولذلك دخل عليه بين والمراد نفى الفرق بالتصديق
والتكذيب وقالوا سمعنا اجبنا واطعنا امرك غفرانك ربنا ه
اغفر لنا غفرانك او نطلب غفرانك واليك المصير المرجع بعد الموت
وهو اقرار منهم بالبعث لا يكلف الله نفسا الا وسعها الا ما ه
يسعه قدرتها فضلا ورحمة او ما دون مدى طاقتها بحيث
يتسع فيه طوقها ويتيسر عليها كقوله ك يريد الله بكم اليسر وهو
يدل على عدم وقوع التكليف بالمحال ولا يدل على امتناعه لها
ما كسبت من خير وعليها ما اكتسبت من شر لا ينتفع بطاعتها
ولا يتضرر بمعاصيها غيرها وتخصيص الكسب بالخير والاكتساب
بالشر لان الاكتساب فيه اعتمال والشر تشتهيه النفس
وتنجذب اليه فكانت اجد فى تحصيله واعمل بخلاف الخير ربنا
لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطانا اى لا تؤاخذنا بما ادّى بنا الى

نسيان او خطاء من تفريط وقلة مبالاة او بانفسهما اذ لا يمتنع
المؤاخذة بهما عقلا فان الذنوب كالسموم فكما ان تناولها
يؤدى الى الهلاك وان كان خطاء فتعاطى الذنوب لا يبعد
ان يفضى الى العقاب وان لم يكن له عزيمة لكنه ك وعد ه
التجاوز رحمة وفضلا فيجوز ان يدعوا الانسان به لامتداده
واعتدادا بالنعمة فيه ويؤيد ذلك مفهوم قوله ع رفع عن
امتى الخطاء والنسيان ربنا ولا تحمل علينا اصرا اعياء ثقيلا
يأصر صاحبه اى يحبسه فى مكانه يريد به التكاليف لشاقة
وقرئ ولا تحمل بالتشديد للمبالغة كما حملته على الذين من
قبلنا حملا مثل حملك اياه من قبلنا او مثل الذى حملته اياهم ه
فيكون صفة لاصرا والمراد به ما كلف به بنى اسرائيل من قتل
النفس وقطع موضع النجاسة وخمسين صلوة فى اليوم والليلة
وصرف ربع المال للزكوة او ما اصابهم من الشدايد والمحن
ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به من البلاء والعقوبة او من
التكاليف التى لا تقع بها الطاقة البشرية وهو يدل على جواز
التكليف بما لا يطاق والمسائل التخلص عنه والتشديد ه
ههنا لتعدية الفعل الى مفعول ثان واعف عنا واصح ذنوبنا
واغفر لنا واسترعيوبنا ولا تفضحنا بالمؤاخذة وارحمنا
وتعطف بنا وتفضل علينا انت مولينا سيدنا فانصرنا على
القوم الكافرين فان من حق المولى ان ينصر من اليه على الاعداء
والمراد به عامة الكفرة روى انه ع لما دعا بهذه الدعوات
قيل له فعلت وعنه ع انزل الله آيتين من كنوز الجنة كتبهما
الرحمن بيده قبل ان يخلق الخلق بالفى سنة من قراءهما بعد ه
العشاء الاخيرة اجزأتاه عن قيام الليل وعنه ع من قراء ه
آيتين من آخر سورة البقرة فى ليلة كفتاه وهو يرد قول من

استكره سورة البقرة وقال ينبغي ان يقال التي يذكر فيها البقرة كما
قال عم السورة التي يذكر فيها البقرة فسطاط القرآن فتعلموها
فان تعلمها بركة وتركها حسرة ولن يستطيع البطلة قيل ما البطلة
قال السحرة سورة آل عمران مدنية وآيها مائتان

بسم الله الرحمن الرحيم

الم الله لا اله الا هو انما فتح الميم في المشهور وكان حقها ان
يوقف عليها لالتقاء حركة الهمزة عليها ليدل على انها في حكم الثابت
لانها اسقطت للتخفيف لا للدرج فان الميم في حكم الوقف ه
كقولهم واحد اثنان لالتقاء الساكنين فانه غير محذوف في
باب الوقف ولذلك لم يحرك في لام وقرئ بكسرها على توهم
التحريك لالتقاء الساكنين وبسكونها والابتداء بما بعدها على
الاصل الحي القيوم روي انه ص قال ان اسم الله الاعظم في ثلث
سور في البقرة الله لا اله الا هو الحي القيوم وفي آل عمران
الله لا اله الا هو الحي القيوم وفي طه وعنت الوجوه للحي القيوم
نزل عليك الكتاب القرآن نجوما بالحق بالعدل او بالصدق في
اخباره او بالحجج المحققة انه من عند الله وهو موضع الحال ه
مصدقا لما بين يديه من الكتب وانزل التورية والانجيل جملة
على موسى وعيسى عليهما السلام واشتقاقهما من الوري و
النحل ووزنهما تفعلة وافعيل تعسف لانهما اعجميان ويؤيد
ذلك انه قرئ الانجيل بالفتح وهو ليس من ابنية العرب من
قبل من قبل تنزيل القرآن هدى للناس على العموم ان قلنا
انا متعبدون بشرع من قبلنا والا فالمراد قومهما وانزل
الفرقان يريد به جنس الكتب الالهية فانها فارقة بين الحق
والباطل ذكر ذلك بعد ذكر الكتب الثلثة ليعم ما عداها كانه
قال وانزل سائر ما يفرق بين الحق والباطل او الزبور او

القرآن وكرر ذكره بما هو نعت له مدحا وتعظيما واظهار الفضله
من حيث انه يشاركها في كونه وحيا منزلا ويتميز بانه معجز ه
يفرق به بين المحق والمبطل او المعجزات ان الذين كفروا به
بآيات الله من كتبه المنزلة وغيرها لهم عذاب شديد بسبب
كفرهم والله عزيز غالب لا يمنع من التعذيب ذو انتقام لا يقدر
على مثله منتقم والنقمة عقوبة المجرم والفعل منه نقم بالفتح
والكسر وهو وعيد جيء به بعد تقرير التوحيد والاشارة الى ما
هو العمدة في اثبات النبوة تعظيما للامر وزجرا عن الاعراض عنه
ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء اي شيء كائن
في العالم كليا كان او جزئيا ايمانا وكفرا عبر عنه بالسماء والا
رض اذ الحسي لا يتجاوزهما وانما قدم الارض ترقيا من الادنى
الى الاعلى ولان المقصود بالذكر ما اقترف فيها وهو كالدليل
على كونه حيا وقوله هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء
اي من الصور المختلفة كالدليل على القيومية والاستدلال على ه
انه عالم بالقان فعله في خلق الجنين وتصويره وقرئ تصوركم
اي صوركم لنفسه وعبادته لا اله الا هو اذ لا يعلم غيره جملة ما
يعلمه ولا يقدر على مثل ما يفعله العزيز الحكيم اشارة الى كمال قدر
وتناهي حكمته قيل هذا حجاج على من زعم ان عيسى ع كان ربا
فان وفد نجران لما حاجوا فيه رسول الله ص نزلت السورة
من اولها الى نيف وثمانين آية تقريرا لما احتج عليهم واجاب عن
شبههم هو الذي انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات احكمت
عبارتها بان حفظت عن الاحتمال هن ام الكتاب اصله يرد
اليها غيرها والقياس امهات فافرد على تاويل كل واحدة وعلى
ان الكل بمنزلة آية واحدة واخر متشابهات محتملات لا يتضح ه
مقصودها لاجمال او مخالفة ظاهرها الا بالفحص والنظر ليظهر

ته

فيها فضل العلماء ويزداد حرصهم على ان يجتهدوا في تدبرها و
تحصيل العلوم المتوقف عليها استنباط المراد بها فينالوا بها
وبأتعاب القرايح في استخراج معانيها والتوفيق بينها و
بين المحكمات معالي الدرجات واما قوله كتاب احكمت آياته فمعناه انها حفظت من فساد المعنى وركاكة
اللفظ وقوله كتابا متشابها فمعناه انه يشبه بعضه بعضا
في صحة المعنى وجزالة اللفظ وآخر جمع اخرى وانما لم
ينصرف لانه وصف معدول عن الآخر ولا يلزم منه معرفته
لان معناه ان القياس ان يعرف ولم يعرف لانه في معنى
المعرف او عن آخر من فامّا الذين في قلوبهم زيغ عدول عن
الحق كالمبتدعة فيتبعون ما تشابه منه فيتعلقون بظاهره او
بتأويل باطل ابتغاء الفتنة طلب ان يفتنوا الناس عن دينهم
بالتشكيك والتلبيس ومناقضة المحكم بالمتشابه وابتغاء تأويله
وطلب ان يأولوه على ما يشتهونه ويحتمل ان يكون الداعي الحامل
لاتباع مجموع الطلبتين او كل واحد منهما على التعاقب والاول
يناسب المعاند والثاني يلائم الجاهل وما يعلم تأويله الذي
يجب ان يحمل عليه الا الله والراسخون في العلم اي الذين ثبتوا وتمكنوا
فيه ومن وقف على الا الله فسر المتشابه بما استأثر الله بعلمه كمدة
بقاء الدنيا ووقت قيام الساعة وخواص الاعداد كعدد الزبانية
او بما دل القاطع على ان الظاهر غير مراد ولم يدل على ما هو المراد
يقولون آمنا به استيناف موضح لحال الراسخين او حال منهم او
خبر ان جعلته مبتدأ وكل من عند ربنا اي كل من المتشابه والمحكم
من عنده وما يذكر الا اولوا الالباب مدح للراسخين بجودة
الذهن وحسن النظر واشارة الى ما استعدوا به للاهتداء الى تأويله
وهو تجرد العقل عن غواشي الحس واتصال الآية بما قبلها من

حيث انها في تصوير الروح بالعلم وتزيينه وما قبلها في تصوير
الجسد وتسويتها او انها جواب عن تشبث النصارى بنحو
قوله وكلمته القيها الى مريم وروح منه كما انه جواب قولهم
لا اب له غير الله فتعين ان يكون هو ابا بانة مصور الاجنة كيف
يشاء فيصور من نطفة اب ومن غيرها وبانة صوره في الرحم
والمصور لا يكون اب المصور ربنا لا تزغ قلوبنا من مقال
الراسخين وقيل استيناف والمعنى لا تزغ قلوبنا عن نهج الحق
الى اتباع المتشابه بتأويل لا ترتضيه وقال ع م قلب ابن آدم بين
اصبعين من اصابع الرحمن ان شاء اقامه على الحق وان شاء ازاغه
عنه وقيل لا تبتلينا ببلايا تزيغ فيها قلوبنا بعد اذ هديتنا الى الحق
والايمان بالقسمين وبعد نصب على الظرف واذ موضع الجر
باضافته اليه وقيل انه بمعنى ان وهب لنا من لدنك رحمة
تزلفنا اليك ونفوز بها عندك او توفيقا للثبات على الحق او
مغفرة للذنوب انك انت الوهاب لكل سؤال وفيه دليل على
ان الهدى والضلال من الله وانه متفضل بما ينعم على عباده لا
يجب عليه شيء ربنا انك جامع الناس ليوم لحساب يوم او
لجزاء لا ريب فيه في وقوع اليوم وما فيه من الحشر والجزاء
نبهوا به على ان معظم غرضهم من الطلبتين ما يتعلق بالآخرة
فانها المقصد والمآل ان الله لا يخلف الميعاد فان الالهية تنافيه
والاشعار به وتعظيم الموعود لون الخطاب واستدل به الوعيدية
واجيب بان وعيد الفساق مشروط بعدم العفو لا
مفصلة كما هو مشروط بعدم التوبة وفاقا ان الذين كفروا
عام في الكفرة وقيل المراد به وفد نجران او اليهود او المشركو
العرب لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا اي
من رحمته او طاعته على معنى البدلية او من عذابه واولئك

وقود النار حطبها وقرئ بالضم بمعنى اهل وقودها كدأب آل
فرعون متصل بما قبله اى لن تغنى عنهم كما لم تغن عن اولئك
او توقد بهم كما توقد باولئك او استينافى مرفوع المحل وتقدير
تقديره دأب هؤلاء كدأبهم فى الكفر والعذاب وهو مصدر
دأب فى العمل اذا كدح فيه فنقل الى معنى الشان والذين من قبلهم
عطف على آل فرعون وقيل استينافى كذبوا بآياتنا فاخذهم
الله بذنوبهم حال باضمار قد او استينافى بتفسير حالهم او
خبر ان ابتدئ بالذين من قبلهم والله شديد العقاب ه
بتهويل للمؤاخذة وزيادة تخويف للكفرة قل للذين كفروا
ستغلبون وتحشرون الى جهنم اى قل لمشركى مكة ستغلبون
يعنى يوم بدر وقيل لليهود فانه ص جمعهم بعد بدر فى سوق
بنى قينقاع فحذرهم ان ينزل بهم ما نزل بقريش فقالوا لا ه
يغرنك انك اصبت اغمارا لا علم لهم بالحرب لئن قاتلتنا لعلمت
انا نحن الناس فنزلت وقد صدق الله وعده بقتل قريظة و
اجلاء بنى النضير وفتح خيبر وضرب الجزية على من عداهم وهو
من دلائل النبوة وقرأ حمزة والكسائى بالياء فيهما على ان الا
مر بان يحكى لهم ما اخبره به من وعيدهم بلفظه وبئس المهاد
تمام ما يقال لهم او استينافى وتقديره بئس المهاد جهنم او ما
مهدوه لانفسهم قد كان لكم آية الخطاب لقريش ولليهود و
قيل للمؤمنين فى فئتين التقتا يوم بدر فئة تقاتل فى سبيل الله
واخرى كافرة يرونهم مثليهم يرى المشركون المؤمنين مثلى ه
عدد المشركين وكان قريبا الفا او مثلى عدد المسلمين وكانوا
ثلثمائة وبضعة عشر وذلك كان بعد ما قللهم فى اعينهم حتى
اجترءوا عليهم وتوجهوا اليهم فلما وقعوا بهم كثروا فى اعينهم
حتى غلبوا مددا من الله للمؤمنين او يرى المؤمنون المشركين

مثلى المؤمنين وكانوا ثلثة امثالهم ليثبتوا لهم ويتيقنوا بالنصر
الذى وعدهم الله به فى قوله ان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا
مائتين ويؤيده قراءة نافع ويعقوب بالتاء وقرئ بهما على
البناء للمفعول اى يريهم الله او يريكم بقدرته وفئة بالجر
على البدل من فئتين والنصب على الاختصاص او الحال من فاعل
التقتا رأى العين رؤية ظاهرة معاينة والله يؤيد بنصره
من يشاء نصرا كما ايد اهل بدر ان فى ذلك اى فى التقليل و
التكثير او غلبة القليل عديم العدة على الكثير شاكى السلاح
وكون الواقعة آية ايضا يحتملهما ويحتمل وقوع الامر على ما
اخبر به الرسول ص لعبرة لاولى الابصار لعظة لذوى الا
بصار وقيل لمن ابصرهم زين للناس حب الشهوات اى ه
المشتهيات سماها شهوات مبالغة وايماء على انهم انهمكوا فى ه
محبتها حتى احتبوا شهواتها كقوله ه احببت حب الخير والمزين
هو الله ه انه الخالق للافعال والدواعى ولعله زينه ابتلاء او
لانه يكون وسيلة الى السعادة الاخروية اذا كان على وجه يرتضيه
الله ولانه من اسباب التعيش وبقاء النوع وقيل الشيطان فان
الآية فى معرض الذم وفرق الجبائى بين المباح والمحرم من النساء
والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل ه
المسومة والانعام والحرث بيان للشهوات والقنطار المال الكثير
وقيل مائة الف دينار وقيل ملئ مسك ثور واختلف فى انه ه
فعلال او فنعال والمقنطرة مأخوذة منه للتأكيد كقولهم بدرة
مبدرة والمسومة المعلمة من السومة وهى العلامة او المرعية
من اسام الدابة وسومها او المطهمة والانعام والبقر والغنم
ه الابل ع
ذلك متاع الحيوة الدنيا اشارة الى ما ذكر والله عنده حسن المآب
اى المرجع وهو تحريض على استدلال ما عنده من اللذات الحقيقة

الابدية بالشهوات المخدجة الفانية قل اؤ نبئكم بخير من ذلكم
يريد به تقرير ان ثواب الله خير من مستلذات الدنيا للذين ه
اتقوا عند ربهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها
استيناف لبيان ما هو خير ويجوز ان يتعلق اللام بخير و
يرتفع جنات على ما هو جنات ويؤيده قراءة من جرها بدلا
من خير وازواج مطهرة مما يستقذر من النساء ورضوان
من الله قراء عاصم ~~وحمزة والكسائي~~ في جميع القرآن بضم الراء
~~ما عدا الحرف الثاني في المائدة وهو قوله رضوانه سبل السلام~~
وهما لغتان والله بصير بالعباد اى باعمالهم فيثيب المحسن
ويعاقب المسئ او باحوال الذين اتقوا فلذلك اعد لهم جنات
وقد نبه بهذه الآية على نعمة فادنا ها متاع الدنيا واعلاها رضوان
الله لقوله ورضوان من الله اكبر واوسطها الجنة ونعيمها
الذين يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار
الثاني صفة للمتقين او للعباد او مدح منصوب او مرفوع وفي ترتيب ٨
السؤال على مجرد الايمان دليل على انه كاف في استحقاق المغفرة
والاستعداد لها الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين
والمستغفرين بالاسحار حصر لمقامات السالك على احسن ه
الترتيب فان معاملته مع الله اما توسل واما طلب والتوسل
اما بالنفس وهو منعها عن الرزائل وحبسها على الفضائل و
الصبر يشملهما واما بالبدن وهو اما قولي وهو الصدق و
اما فعلي وهو القنوت الذي هو ملازمة الطاعة واما بالمال
وهو الانفاق في سبيل الخير واما الطلب فالاستغفار لان
المغفرة اعظم المطالب بل الجامع لها وتوسيط الواو بينها ه
للدلالة على استقلال كل واحد منها وكمالهم فيها او لتغاير ه
الموصوفين بها وتخصيص الاسحار لان الدعاء فيها اقرب ه

الى الاجابة لان العبادة حينئذ اشق والنفس اصفى والروع ه
اجمع سيما للمتهجدين قيل انهم كانوا يصلون الى السحر ثم ه
يستغفرون ويدعون شهد الله انه لا اله الا هو بتين و
حدانيته بنصب الدلائل الدالة عليها وانزال الآيات الناطقة
بها والملائكة بالاقرار واولوا العلم بالايمان بها والاحتجاج
عليها شبه ذلك في البيان والكشف بشهادة الشاهد قائما با
لقسط مقيما للعدل في قسمه وحكمه وانتصابه على الحال من الله
وانما جاز افراده بها ولم يجئ جاء زيد وعمرو راكبا لعدم ه
اللبس كقوله ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة او عن هو و
العامل فيها معنى الجملة اى تفرد قائما او احقه لانها لحال مؤكدة
او على المدح او الصفة للمنفي وفيه ضعف للفصل وهو مندرج
في المشهود به اذا جعلته صفة او حالا عن الضمير وقرئ القائم
بالقسط على البدل من هو او الخبر لمحذوف لا اله الا هو كرره
للتأكيد ومزيد الاعتناء بمعرفة ادلة التوحيد والحكم به بعد اقا منه
الحجة ليبنى عليه قوله العزيز الحكيم فيعلم انه الموصوف بهما و
قدم العزيز لتقدم العلم بقدرته على العلم بحكمته ورفعهما على
البدل من الضمير او الصفة لفاعل شهد وقد روى في فضلها
انه ﷺ قال يجاء بصاحبها يوم القيمة فيقول الله ان لعبدي هذا
عندي عهدا وانا احق من وفى بالعهد ادخلوا عبدي الجنة
وهي دليل على فضل علم اصول الدين وشرف اهله ان الدين
عند الله الاسلام جملة مستأنفة مؤكدة للاولى اى لا دين
مرضي عند الله سوى الاسلام وهو التوحيد والتدريع با ه
لشرع الذي جاء به محمد ﷺ وقرأ الكسائي بالفتح على انه بدل
من انه بدل الكل ان فسر الاسلام بالايمان او بما يتضمنه وبدل
الاشتمال ان فسر بالشريعة وقرئ انه بالكسر وان بالفتح على

وقوع الفعل على الثانى واعتراض ما بينهما او اجراء شهد مجرى
قال تارة وعلم اخرى لتضمنه معناهما وما اختلف الذين اوتوا
الكتاب من اليهود والنصارى او من اباب الكتب المقدمة
فى دين الاسلام فقال قوم انه حق وقال قوم انه مخصوص
بالعرب ونفاه اخرون مطلقا او فى التوحيد فثلثت النصارى
وقالت اليهود عزير ابن الله وقيل هم قوم موسى اختلفوا من
بعده وقيل هم النصارى اختلفوا فى امر عيسى ع الا من بعد
ماجاءهم العلم اى بعد ما علموا حقيقة الامر او تمكنوا من العلم
بها بالآيات والحجج بغيا بينهم حسدا بينهم وطلبا للرياسة
لالشبهة وخفاء فى الامر ومن يكفر بآيات الله فان الله سريع
الحساب وعيد لمن كفر منهم فان حاجوك فى الدين وجادلوك
فيه بعد ما اقمت الحجج فقل اسلمت وجهى لله اخلصت نفسى
وجملتى له لا اشرك فيها غيره وهو الدين القويم الذى قامت
عليه الحجج ودعا اليه الآيات والرسل وانما عبّر بالوجه عن النفس
لانه اشرف الاعضاء الظاهرة ومظهر القوى والحواس ومن
اتبعن عطف على التاء وحسن للفصل او مفعول معه وقل للذين
اوتوا الكتاب والامّيين الذين لا كتاب كمشركى العرب ءاسلمتم
كما اسلمت لما وضحت لكم الحجة ام انتم بعد على كفركم ونظيره
قوله فهل انتم منتهون وفيه تغليب لهم بالبلادة والمعاندة ه
فان اسلموا فقد اهتدوا فقد نفعوا انفسهم بان اخرجوها
من الضلال وان تولوا فانما عليك البلاغ اى فلم يضروك اذ
ما عليك الا ان تبلغ وقد بلغت والله بصير بالعباد وفيه وعد
ووعيد ان الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين ه
بغير حق ويقتلون الذين يامرون بالقسط من الناس فبشرهم
بعذاب اليم هم اهل الكتاب الذين فى عصره قتل اولوهم الانبياء

ومتابعيهم وهم رضوا به وقصدوا قتل النبى والمؤمنين ولكنه ه
الله عصمهم وقد سبق مثله فى سورة البقرة وقرأ حمزة ويقاتلون
يقاتلون الذين يامرون ومنع سيبويه ادخال الفاء فى خبر ان
كليت ولعل ولذلك قيل الخبر اولئك الذين حبطت اعمالهم
فى الدنيا والآخرة كقولك زيد فاضربه رجل صالح والفرق انه
لا يغير معنى الابتداء بخلاف ما وما لهم من ناصرين يدفع عنهم
العذاب الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب اى التوراة
او جنس الكتب السماوية ومن للتبعيض او البيان وتنكيره ه
النصيب يحتمل التعظيم والتحقير يدعون الى كتاب الله ليحكم
بينهم الداعى محمد ع وكتاب الله القرآن او التوراة لما روى
انه ع دخل مدارسهم فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد
على اى دين انت فقال على دين ابراهيم فقالا له ان ابراهيم كان
يهوديا فقال هلموا الى التوراة فانها بيننا وبينكم فابيا ه
فنزلت وقيل نزلت فى الرجم وقرئ ليحكم على البناء للمفعول
فيكون الاختلاف فيما بينهم وفيه دليل على ان الدلالة السمعية
حجة فى الاصول ثم يتولى فريق منهم استبعاد لتوليهم مع
علمهم بان الرجوع اليه واجب وهم معرضون وهم قوم
عادتهم الاعراض والجملة حال من فريق وانما ساغ لتخصصه
بالصفة ذلك اشارة الى التولى والاعراض بانهم جاز
قالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودات بسبب تسهيلهم
امر العقاب على انفسهم لهذا الاعتقاد الزايغ والطمع الفارغ
وغرهم فى دينهم ما كانوا يفترون من ان النار لن تمسهم
الا اياما قلائل وان آباءهم الانبياء يشفعون لهم او
انه ه وعد يعقوب ع م ان لا يعذب اولاده الا تحلة القسم
فكيف اذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه استعظام لما يحيق بهم

في الآخرة وتكذيب لقولهم لن تمسنا النار الا اياما ٭ روى انه
اول راية ترفع يوم القيمة من رايات الكفار راية اليهود
فيفضحهم الله على رؤس الاشهاد ثم يأمر بهم الى النار و
وفيت كل نفس ما كسبت جزاء ما كسبت وفيه دليل على ان
العبادة لا تحبط وان المؤمن لا يخلد في النار لان توفية
ايمانه وعمله لا يكون في النار ولا قبل دخولها فاذن هي بعد
الخلاص منها وهم لا يظلمون الضمير لكل نفس على المعنى لانه
في معنى كل انسان قل اللهم اليم عوض من ياء ولذلك لا هـ
يجتمعان وهو من خصايص هذا الاسم كرخولها عليه
مع لام التعريف وقطع همزته وتاء القسم وقيل اصله يا الله هـ
امنا بخير فخففت بحذف حرف النداء ومتعلقات الفعل وهـ
لهمزته مالك الملك يتصرف فيما يمكن التصرف فيه تصرف الملاك
وهو بزاء ثان عند سيبويه فان اليم عنده يمنع الوصفية تؤتي
الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء تعطي منها ما تشاء ممن
تشاء وتسترد فالملك الاول عام والاخيران بعضان منه
وقيل المراد بالملك النبوة ونزعها نقلها من قوم الى قوم وتعز
من تشاء وتذل من تشاء في الدنيا او في الآخرة او فيهما بالنصر
والادبار والتوفيق والخذلان بيدك الخير انك على كل شيء قدير
ذكر الخير وحده لانه المقضي بالذات والشر مقضي بالعرض اذ
لا يوجد شر جزئي ما لم يتضمن خيرا كليا او لمراعات الادب في
الخطاب او لان الكلام وقع فيه اذ روى انه ﷺ لما خط الخندق
وقطع لكل عشرة رجال اربعين ذراعا واخذوا يحفرون فظهر
فيه صخرة عظيمة لم تعمل فيها المعاول فوجهوا سلمان الى رسول
الله ﷺ يخبره فجاء فاخذ المعول منه فضربها ضربة صدعتها
وبرق منها برق اضاء لما بين لابتيها لكانه مصباح في جوف

بيت مظلم فكبر وكبر معه المسلمون وقال اضاءت لي منها قصور
الحيرة كانها انياب الكلاب ثم ضرب الثانية فقال اضاءت لي
منها قصور الحمراء من ارض الروم ثم ضرب الثالثة فقال هـ
اضاءت لي منها قصور الصنعاء واخبر ان جبرائيل عم ان امتي
ظاهرة على كلها فابشروا فقال المنافقون الا تعجبون يمنيكم و
يعدكم الباطل ويخبركم انه يبصر من يثرب قصور الحيرة و
انها تفتح لكم وانتم انما تحفرون الخندق من الفرق فنزلت
ونبه على ان الشر ايضا بيده بقوله انك على كل شيء قدير هـ
تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وتخرج الحي من الميت
وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب عقب هـ
ذلك ببيان قدرته على معاقبة الليل والنهار والموت والحيوة و
سعة فضله دلالة على ان من قدر على ذلك قدر على معاقبة الذل
والعز وايتاء الملك ونزعه والولوج الدخول في مضيق وايلاج
الليل والنهار ادخال احدهما بالآخر بالتعقيب او الزيادة وهـ
النقص واخراج الحي من الميت وبالعكس نشاء الحيوانات من موادها
واماتتها او انشاء الحيوان من النطفة والنطفة منه وقيل اخراج
المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن وقرأ ابن كثير وابو عمرو
وابن عامر وابو بكر الميت بالتخفيف لا يتخذ المؤمنون الكا فرين
اولياء نهوا عن موالاتهم لقرابة او صداقة جاهلية ونحوها
حتى لا يكون حبهم وبغضهم الا في الله او عن الاستعانة بهم في
الغزو وسائر الامور الدينية من دون المؤمنين اشارة الى
انهم الاحقاء بالموالات وان في موالاتهم مندوحة عن موالاة
الكفرة ومن يفعل ذلك اي اتخاذهم اولياء فليس من الله في
شيء من ولايته في شيء يصح ان يسمى ولاية فان موالاة هـ
المتعاديين لا يجتمعان قال تود عدوي ثم تزعم انني صديقك

ليس النوك عنك بعازب الآن تتقعا منهم تقية الا تخافوا من
جهتهم ما يجب اتقاؤه او اتقاء والفعل معدى بمن لانه فى معنى تحذروا
وتخافوا وقرأ يعقوب تقية منع عن موالاتهم ظاهرا وباطنا فى
الاوقات كلها الا وقت المخافة فان اظهار الموالات حينئذ جائز
كما قال عيسى ع كن وسطا وامش جانبا ويحذركم الله نفسه الى
الى الله المصير فلا تتعرضوا لسخطه بمخالفة احكامه وموالات
اعدائه وهو تهديد عظيم مشعر بتناهى المنهى فى القبح وذكر الله
النفس ليعلم ان المحذر منه عقاب يصدر منه فلا يؤبه دونه مما
يحذر من الكفرة قل ان تخفوا ما فى صدوركم او تبدوه يعلمه الله
اى انه يعلم ضمائركم من ولاية الكفار وغيرها ان تخفوها او تبدوها
ويعلم ما فى السموات وما فى الارض فيعلم سركم وعلانيتكم والله على كل
شئ قدير فيقدر على عقوبتكم ان لم تنتهوا عما نهيتم عنه والآية بيان
لقوله ويحذركم الله نفسه فكانه قال ويحذركم نفسه لانها متصفة
بعلم ذاتى يحيط بالمعلومات كلها وقدرة ذاتية تعم المقدورات
باسرها فلا تجترئوا على عصيانه اذا من معصية والا وهو مطلع
عليها قادر على العقاب بها يوم تجد كل نفس ما عملت من خير
محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا يوم
منصوب بتود اى تتمنى كل نفس يوم تجد صحائف اعمالها
اوجزاء اعمالها من الخير والشر حاضرا لو ان بينها وبين ذلك
اليوم وهو له امدا بعيدا او بمضمر نحو اذكر وتود حال من الضمير
فى عملت لما عملت او خبر من سوء وتجد مقصور على ما عملت من
خير ولا تكون ما شرطية لارتفاع تود وقرئ ودت وعلى هذا
يصح ان تكون شرطية ولكن الحمل على الخبر اوقع معنى لانه حكاية
كائن واوفق للقراءة المشهورة ويحذركم الله نفسه كرره
للتأكيد والتذكير والله رؤف بالعباد اشارة الى انه انما نهاهم

وحذرهم رأفة بهم ومراعاة لصلاحهم والله ذو مغفرة
وذو عقاب فيرجى رحمته ويخشى عذابه قل ان كنتم تحبون الله
فاتبعونى المحبة ميل النفس الى الشئ لكمال ادرك فيه بحيث يحملها
على ما يقربه اليه والعبد اذا علم ان الكمال الحقيقى ليس الا لله وان
كل ما يراه كمالا من نفسه او غيره فهو من الله وبالله والى الله ولم
يكن حبه الا لله وفى الله وذلك يقتضى ارادة طاعته والرغبة
فيما يقربه فلذلك فسرت المحبة بارادة الطاعة وجعلت مستلزمة
لاتباع الرسول ع فى عبادته والحرص على مطاوعته يحببكم الله
ويغفر لكم ذنوبكم جواب للامر اى يرض عنكم ويكشف الحجب
عن قلوبكم بالتجاوز عما فرط منكم فيقربكم الى جناب عزه
ويبوئكم فى جوار قدسه عبر عن ذلك بالمحبة على طريق الاستعارة او المقابلة والله غفور رحيم لمن تحبب اليه بطاعته
واتباع نبيه روى انها نزلت لما قالت اليهود نحن ابناء الله
واحباؤه وقيل نزلت فى وفد نجران لما قالوا انما نعبد المسيح
حبا لله وقيل فى اقوام زعموا على عهده عليه السلام انهم يحبون
الله فامروا ان يجعلوا لقولهم تصديقا من العمل قل اطيعوا
الله والرسول فان تولوا يحتمل الماضى والمضارعة بمعنى
فان تتولوا فان الله لا يحب الكافرين لا يرضى عنهم ولا
يثنى عليهم وانما لم يقل ولا يحبهم لقصد العموم والدلالة
على ان التولى كفر وانه من هذه الحيثية ينفى محبة الله وان محبته
مخصوصة بالمؤمنين ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم
وآل عمران على العالمين بالرسالة والخصائص الروحانية
والجسمانية فلذلك قووا على ما لم يقو عليه غيرهم لما اوجب
طاعة الرسل وبين انها جالبة لمحبة الله عقب ذلك ببيان
مناقبهم تحريضا عليها وبه استدل على فضلهم على الملائكة

وآل ابراهيم اسمعيل واسحق واولادهما وقد دخل فيهم هـ
الرسول وآل عمران موسى وهرون ابنا عمران بن لهـ
يصهر ابن قاهث بن لاوى ابن يعقوب او عيسى وامه هـ
مريم بنت عمران ابن ماثان بن اسبعان ابن ابى يود ابن
رب بابل ابن سالكيان بن يوحنا بن اوشا بن امون بن يسكن
بن جاز فابن اجاد بن يوفام بن غرب ابن يورام
بن ساقط بن يوذ بن يعقوب بن سليمان بن داود بن
اشا بن عويد بن سلمون بن باعز بن يخشون بن عمياد
بن رام بن حصرم بن فارض بن يهوذا بن يعقوب و
كان بين العمرانين الف وثمانمائة سنة ذرية بعضها
من بعض حال او بدل من الآل ابن او منهما او من نوح
اى انهم ذرية واحدة متشعبة بعضها من بعض وقيل هـ
بعضها من بعض فى الدين والذرية الولد يطلق على الواحد
والجمع فعيلة من الذر او فعولة من الذرو ابدلت لهمزتها
ياء ثم قلبت الواو ياء وادغمت والله سميع باقوال الناس
واعمالهم فيصطفى من كان مستقيم القول والعمل او سميع
بقول امرأة عمران عليم بنيتها اذ قالت امرأت عمران رب
انى نذرت لك ما فى بطنى فينصب به وقيل نصبه باضماد
اذكر وهذه حنة بنت فاقوذ اجدة عيسى ع وكانت
لعمران بن يصهر بنت اسمها مريم اكبر من موسى وهرون
فظن ان المراد زوجته ويرده كفالة زكريا فانه كان
معاصر الابن ماثان وتزوج بنته ايشاع وكان يحيى ع
عيسى ابنى خالة من الاب روى انها كانت عاقرا عجوزا
فبينا هى فى ظل شجرة اذ رأت طائرا يطعم فرخه فحنت الى
الولد وتمنته فقالت اللهم ان لك علىّ نذرا ان رزقتنى

اخت مريم ع

ولدا ان اتصدق به على بيت المقدس فيكون من خدمه فحملت
بمريم وهلك عمران وكان هذا النذر مشروعا عندهم فى
الغلمان فلعلها بنت الامر على التقدير او طلبت ذكرا محررا
معتقا لخدمته لا اشغله بشئ او مخلصا للعبادة ونصبه على
الحال فتقبل منى ما نذرته انك انت السميع العليم لقولى
ونيتى فلما وضعتها قالت رب انى وضعتها انثى الضمير لما فى
بطنها وتأنيثه لانه كان انثى وجاز انتصاب انثى حالا عنه لان
تأنيثها علم منه فان الحال وصاحبها بالذات واحدا وعلى تأويل
مؤنث كالنفس والجبلة وانما قالته تحسرا وتحزنا الى ربها
لانها كانت ترجو ان تلد ذكرا ولذلك نذرت تحريره والله
اعلم بما وضعت اى بالشئ الذى وضعت وهو استيناف
من الله تعظيما للموضوع عنها وتجهيلا لها بشانها وقرئ ابن عامر
وابو بكر عن عاصم ويعقوب وضعت على انه كان من كلامها
تسلية لنفسها اى ولعل لله فيه سرا والانثى كان خيرا وقرئ
وضعت على خطاب الله لها وليس الذكر كالانثى بيان لقوله
والله اعلم اى وليس الذكر الذى طلبت كالانثى التى وهبت
واللام فيهما للعهد ويجوز ان يكون من قولها بمعنى وليس
الذكر والانثى سيان فيما نذرت فيكون اللام للجنس وانى
سميتها مريم عطف على ما قبلها من مقالها وما بينهما اعتراض
وانما ذكرت ذلك لربها تقربا اليه وطلبا لان يعصمها ويصلح
ويصلحها حتى يكون فعلها مطابقا لاسمها فان مريم فى
لغتهم بمعنى العابدة وفيه دليل على ان الاسم والمسمى و
التسمية امور متغايرة واني اعيذها بك اجيبها بحفظك
وذريتها من الشيطان الرجيم المطرود واصل الرجيم الرمى
بالحجارة وعن النبى ص ما من مولود يولد الا والشيطان

ض

بمسّه حين يولد فيستهل من مسّه الا مريم وابنها ومعناه ان
الشيطان يطمع فى اغواء كل مولود بحيث يتأثّر منه الا مريم
وابنها فان الله عصمهما ببركة هذه الاستعاذة فتقبّلها
ربّها فرضى بها فى النذر مكان الذكر بقبول حسن بوجه حسن
يقبل به النذائر وهو اقامتها مقام الذكر او تسلّمها عقيب
ولادتها قبل ان تكبر وتصلح للسدانة روى ان حنّة لمّا
ولدتها لفّتها فى خرقة وحملتها الى المسجد ووضعتها عند
الاحبار وقالت دونكم هذه النذيرة فتنافسوا فيها لانّها
كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم فانّ بنى ماثان
كانت رؤس بنى اسرائيل وملوكهم فقال زكريّا انا احق
بها عندى خالتها فابوا الا القرعة وكانوا سبعة وعشرين
فانطلقوا الى نهر فالقوا فيه اقلامهم فطفى قلم زكريّا وربت
اقلامهم فكفلها ويجوز ان يكون مصدرا على تقدير مضاف اى بذى
قبول حسن وان يكون تقبّل بمعنى استقبل كتقضّى وتعجّل اى فاخذها
فى اوّل امرها حين ولدت بقبول حسن وانبتها انباتا حسنا
مجازا عن تربيتها بما يصلحها فى جميع احوالها وكفّلها بالتشديد
شدّد الفاء حمزة والكسائى وعاصم وقصر وزكريّا غير
عاصم فى رواية ابن عيّاش على ان الفاعل هو الله وزكريّا
مفعول اى جعله كافلا لها وضامنا لمصالحها وخفّف الباقون ومدّ وزكريّاء مرفوعا كلّما دخل عليها زكريّا
المحراب اى الغرفة التى بنى لها او المسجد او اشرف
مواضعه ومقدّمها سمّى به لانه محل محاربة الشيطان
كانّها وضعت فى اشرف موضع من بيت المقدس وجد عندها
رزقا فجواب كلّما وناصبه روى انه لا يدخل عليها غيره
واذا خرج اغلق عليها سبعة ابواب فكان يجد عندها

فاكهة الشتاء فى الصيف وبالعكس قال يا مريم انّى لك هذا
من اين لك هذا الرزق الذى فى غير اوانه والابواب مغلقة
عليك وهو دليل جواز الكرامة للاولياء وجعل ذلك معجزة
لزكريّا يدفعه اشتباه الامر عليه قالت هو من عند الله فلا هـ ... وهى حج
تستبعد قيل تكلّمت صغيرة كعيسى ولم ترضع ثديا قطّ وكان
رزقها ينزل من الجنّة انّ الله يرزق من يشاء بغير حساب
بغير تقدير لكثرته او بغير استحقاق تفضّلا به وهو يحتمل
ان يكون من كلامها وان يكون من كلام الله تعالى روى انّ
فاطمة رضى الله تعالى عنها اهدت لرسول الله صلعم رغيفين و
بضعة لحم فرجع بها اليها وقال هلمّى يا بنيّة فكشفت عن هـ
الطبق فاذا هو مملوّ خبزا ولحما فقال انّى لك هذا قالت ... لها ح
هو من عند الله انّ الله يرزق من يشاء بغير حساب فقال
الحمد لله الذى جعلك شبيهة بسيّدة بنى اسرائيل ثمّ جمع عليّا
والحسن والحسين وجميع اهل بيته وبقى الطعام كما هو هـ
فاوسعت على جيرانها هنالك دعا زكريّا ربّه فى ذلك ... نساء فاكلوا حتى شبعوا ح
المكان او الوقت اذ يستعار هنا وثمّ وحيث للزمان لمّا
رأى كرامة مريم ومنزلتها من الله قال رب هب لى من
لدنك ذرّية طيّبة كما وهبتها لحنّة العجوز العاقر وقيل
لمّا رأى الفواكه فى غير اوانها انتبه على جواز ولادة هـ
العاقر من الشيخ الفانى فسئله فقال هب لى من لدنك ... الباقى ح
لانه لم يكن على الوجوه المعتادة وبالاسباب المعهودة
انك سميع الدعاء مجيبه فنادته الملائكة اى من جنسهم
كقولك زيد يركب الخيل فانّ المنادى كان جبرئيل
وحده وقرأ حمزة والكسائى فناداه بالامالة والتذكير
وهو قائم يصلّى فى المحراب اى قائما فى الصلوة ويصلّى

صفة قائم او خبر او حال آخر او حال عن الضمير في قائم ان الله
يبشرك بيحيى اى بان الله وقرء نافع وابن عامر بالكسر
على ارادة القول او لان النداء نوع منه وقرء حمزة وعلى
الكسائى ينبشرك ويحيى اسم اعجمى وان جعل عربيا فمنع
صرفه للتعريف ووزن الفعل مصدقا بكلمة من الله اى
بعيسى سمى بذلك لانه وجد بامره تعالى دون اب فشابه
البدعيات التى هى عالم الامر او بكتاب الله سمى كلمة
كما قيل كلمة الجويدرة لقصيدته وسيدا يسود قومه ويفوقهم
وكان فائقا للناس كلهم فى انه ما هم بمعصية وحصورا
مبالغا فى حبس النفس عن الشهوات والملاهى روى انه
مر فى صباه بصبيان فدعوه الى اللعب فقال ما للعب خلقت
ونبيا من الصالحين ناشيا منهم او كائنا من عداد من لم
يأت كبيرة ولا صغيرة قال رب انى يكون لى غلام استبعادا من
حيث العادة او استعظاما او تعجبا او استفهاما عن كيفية
حدوثه وقد بلغنى الكبر اى دركنى كبر السن وانث فى وكان له
تسع وتسعون سنة ولامراته ثمانى وتسعون سنة وامرأتى
عاقر لا تلد من العقر وهو القطع لانها ذات عقر من الاولاد قال كذلك الله يفعل ما يشاء اى يفعل ما يشاء ه
من العجائب مثل ذلك الفعل وهو انشاء الولد من شيخ فان
وعجوز عاقر او كما انت عليه وزوجك من الكبر والعقر يفعل
ما يشاء من خلق الولد او كذلك الله مبتداء وخبر اى الله
على مثل هذه الصفة ويفعل ما يشاء بيان له او كذلك خبر
مبتداء محذوف اى الامر كذلك والله يفعل ما يشاء بيان
له قال رب اجعل لى آية علامة اعرف بها الحبل لاستقبله
بالبشاشة والشكر وتزيح مشقة الانتظار قال آيتك الا

فطاء

تكلم الناس ثلثة ايام الى الا تقدر على تكليم الناس ثلثة ايام
وانما حبس لسانه عن مكالمتهم خاصة ليخلص المدة
لذكر الله وشكره قضاء لحق النعمة فكانه قال آيتك ان
تحبس لسانك الا عن الشكر واحسن الجواب ما اشتق
من السؤال الا رمزا اشارة بتحويد او راس واصليه
التحريك ومنه الرامز للبحر والاستثناء منقطع وقيل ه
متصل والمراد بالكلام ما دل على الضمير وقرئ رمزا كالخدم
جمع رامز ورمز كرسل جمع رموز على انه حال منه ومن
الناس بمعنى مترامزين كفعله متى تلقنى فردين ترجف
روانق الا لينبك وتستطار او اذكر ربك كثيرا فى ايام الحبسة
وهو مؤكد لما قبله مبين للغرض منه وتقييد الامر بالكثرة
يدل على انه لا يفيد التكرار وسبح بالعشى من الزوال الى
الغروب وقيل من العصر الى المغرب او الغروب الى ذهاب
صدر الليل والابكار من طلوع الفجر الى الضحى وقرئ بفتح
الهمزة جمع بكر كسحر واسحار واذ قالت الملائكة يا مريم
ان الله اصطفاكِ وطهرك واصطفاك على نساء العالمين كلمو هما
شفاها كرامة لها ومن انكر الكرامة زعم ان ذلك كانت معجزة
لزكريا او ارهاصا لنبوة عيسى فان الاجماع على انه لم يستنبئ
امرأة لقوله ه وما ارسلنا قبلك الا رجالا وقيل الرسول هو ه
الاصطفاء الاول لتقبلها من امها ولم يتقبل قبلها انثى وتفريغها
للعبادة واغناؤها برزق الجنة عن الكسب وتطهيرها عما يستقذ
من النساء والثانى لهدايتها وارسال الملائكة اليها وتخصيصها
بالكرامات السنية كالولد من غير اب وتبرئتها مما قذفته اليهود
بانطاق الطفل وجعلها وابنها آية للعالمين يا مريم اقنتى لربك
واسجدى واركعى مع الراكعين امرت بالصلاة فى الجماعة

ايام

اى لتحركه واضطرابه ه

بذكر اد كان لها مبالغة في المحافظة عليها وقدم السجود على الركوع امالكونه كذلك في شريعتهم او للتنبيه على ان الواو لا توجب الترتيب اوليقترن اركعي بالراكعين للايذان بان من ليس في صلوتهم ركوع ليسوا مصلين وقيل المراد بالقنوت ادامة الطاعة كقوله تعالى امن هو قانت اناء الليل ساجدا وقائما وبالسجود الصلوة كقوله تعالى وادبار السجود وبا الركوع الخشوع والانخبات الخضوع والتواضع ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك اى ماذكرنا من القصص من هذه الغيوب التي لم تعرفها الا بالوحي وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم اقداحهم للاقتراع وقيل اقتراعا باقلامهم التي كانوا يكتبون بها التورية قبل كما والمراد تقرير كونه وحيا على سبيل التهكم لمنكريته فان طريق معرفة الوقايع المشاهدة والسماع وعدم السماع معلوم لاشبهة فيه عندهم فنفي ان يكون الاتهام باحتمال العيان ولا يظن به عاقل ايهم يكفل مريم متعلق بمحذوف دل عليه يلقون اقلامهم اى يلقونها ليعلموا او يقولون ايهم يكفل وما كنت لديهم اذ يختصمون تنافسا في كفالتها اذ قالت الملائكة بدل من اذ قالت الاولى وما بينهما اعتراض او من اذ يختصمون على ان وقوع الاختصام والبشارة في زمان متسع كقولك لقيته سنة كذا اذ قال يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم المسيح لقبه وهو من الالقاب المشرفة كالصديق واصله بالعبرانية مشيحا ومعناه المبارك وعيسى معرب ايشوع واشتقاقهما من المسح لانه مسح بالبركة او بما طهر من الدنوب او مسح الارض ولم يقم في موضع او مسحه جبرائيل او من العيسى وهو بياض تعلوه حمرة تكلف الاطلاق

تحته وابن مريم لما كانت صفة تميز تعيين الاسماء نظمت في سلكها ولا ينافي تعدد الخبر افراد المبتداء فانه اسم جنس مضاف ويحتمل ان يراد ان الذي يعرف به ويتميز عن غيره هذه الثلثة فان الاسم علامة المسمى والمميز له ممن سواه ويجوز ان يكون عيسى خبر مبتداء محذوف وابن مريم صفته وانما قيل ابن مريم والخطاب لها تنبيها على انه يولد من غير اب اذ الاولاد تنسب الى الاباء الا اذا فقد الاب وجيها في الدنيا والآخرة حال مقدرة من كلمة وهي وان كانت نكرة لكنها موصوفة وتذكير حال المعنى والوجاهة في الدنيا النبوة وفي الآخرة الشفاعة ومن المقربين من الله وقيل اشارة الى علو درجته في الجنة او رفعه الى السماء وصحبة الملائكة ويكلم الناس في المهد وكهلا اى يكلمهم حال كونه طفلا وكهلا كلاما من غير تفاوت و المهد مصدر سمي به ما يمهد للصبي من مضجعه وقيل انه رفع شابا والمراد وكهلا بعد نزوله وذكر احواله المختلفة المنافية ارشاد الى انه بمعزل عن الالوهية ومن الصالحين حال ثالثة من كلمة او ضميرها الذي في يكلم قالت رب انى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر تعجب او استبعاد عادي او استفهام عن ان يكون بتزوج او غيره قال كذلك الله يخلق ما يشاء القائل والله وجبرائيل حكى لها قوله تعالى اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون اشارة الى انه كما يقدر ان يخلق الاشياء مدرجا باسباب ومواد يقدر ان يخلقها دفعة من غير ذلك ويعلمه الكتاب والحكمة والتورية و الانجيل كلام + مبتداء ذكر تطييبا لقلبها وازاحة لما عسى ان يخطر من خوف اللوم لما علمت انها تلد من غير زوج او عطف

والانسب الى الام صح

الهة

وتذكير الضمير صح

جبرائيل صح

على يبشرك او وجيها والكتاب الكتب اوجنس الكتب المنزلة
وخص الكتابان لفضلهما وقرأ نافع وعاصم ويعلمه بالياء و
رسولا الى بنى اسرائيل انى قد جئتكم بآية من ربكم منصوب
بمضمر على ارادة القول تقديره ويقول ارسلت رسولا
بانى قد جئتكم او بالعطف على الاحوال المتقدمة مضمناه
معنى التطق فكانه قال وناطقا بانى قد جئتكم وتخصيص بنى
اسرائيل لخصوص بعثته اليهم او للرد على من زعم انه مبعوث
الى غيرهم انى اخلق لكم من الطين كهيئة الطير نصب بدل
من انى قد جئتكم اوجر بدل آية او رفع على هى انى اخلق
لكم والمعنى اقدر لكم وصور شيئا مثل صورة الطير وقرأ
نافع بالكسر فانفخ فيه الضمير للكاف اى فى ذلك المماثل
فيكون طيرا باذن الله فيصير حيا طيارا بامر الله نبه به على
ان احياءه من الله لامنه وقرأ نافع هنا وفى المائدة طائرا
بالالف والهمزة وابرئ الاكمه والابرص الاكمه الذى
ولد اعمى او الممسوح العين روى انه ربما كان يجتمع عليه
الوف من المرض من اطاق منهم اتاه ومن لم يطق اتاه
عيسى ومايداوى الا بالدعاء واحيى الموتى باذن الله كرره
باذن الله دفعا لوهم الالهية فان الاحياء ليس من جنس
الافعال البشرية وانبئكم بما تاكلون وما تدخرون فى بيوتكم
بالمغيبات من احوالكم التى لاتشكون فيها ان فى ذلك لآية
لكم ان كنتم مؤمنين موفقين للايمان فان غيرهم لاينتفع
بالمعجزات اومصدقين للحق غير معاندين ومصدقا لما بين
يدى من التورية عطف على رسولا على الوجهين او منصوب
باضمار فعل دل عليه قد جئتكم اى وجئتكم مصدقا او لاحل
لكم مقدر باضماره او مردود على قوله انى قد جئتكم بآية ه

اوبخلق ج

انى ج

او معطوف على معنى مصدقا كقوله جئتك معتذرا او لاطيب
قلبك بعض الذى حرم عليكم اى فى شريعة موسى عم كاه
لشحوم والثروب والسمك ولحوم الابل والعمل فى السبت
وهو يدل على ان شرعه كان ناسخا لشرع موسى ولايخل
ذلك بكونه مصدقا للتورية كما لايعد نسخ القرآن ه
بعضه ببعض بتناقض وتكاذب فان النسخ فى الحقيقة
بيان وتخصيص فى الازمان وجئتكم بآية من ربكم فاتقوا
الله واطيعون ان الله ربى وربكم فاعبدوه هذا ه
صراط مستقيم اى جئتكم بآية اخرى الزمتنيها ربكم على و
هو قوله ان الله ربى وربكم فانه دعوة الحق المجمع عليها
فيما بين الرسل الفارق بين النبى والساحر اوجئتكم ه
بآية على ان الله ربى وربكم وقوله فاتقوا الله واطيعون
اعتراض والظاهر انه تكرير لقوله قد جئتكم بآية من
ربكم اى جئتكم بآية بعد اخرى مما ذكرت لكم والاول
لتمهيد الحجة والثانى لتقريبها الى الحكم ولذلك رتب
عليه بالفاء قوله ه فاتقوا الله اى لما جئتكم بالمعجزات
الظاهرة والآيات الباهرة فاتقوا الله فى المخالفة و
اطيعون فيما ادعوكم اليه ثم شرع فى الدعوة واشار
اليها بالقول المجمل فقال ان الله ربى وربكم اشارة الى
ان استكمال القوة النظرية بالاعتقاد الحق الذى غا
يته التوحيد وقال فاعبدوه اشارة الى استكمال القوة
العملية فانه بملازمة الطاعة التى هى الاتيان بالاوامر
والانتهاء عن المناهى ثم قرر ذلك بان بين ان الجمع بين
الامرين هو الطريق المشهود له بالاستقامة ونظيره قوله
قل آمنت بالله ثم استقم فلما احس عيسى منهم الكفر تحقق

م

كفرهم عنده تحقق مايدرك بالحواس قال من انصاري الى
الله ملتجئا الى الله او ذاهبا او ضاما اليه ويجوز ان يتعلق
الجار بانصاري مضمنا معنى الاضافة اى من الذين يضيفون انفسهم
الى الله في نصرى وقيل الى ههنا بمعنى مع او في او اللام هـ
قال الحواريون حواري الرجل خالصته الحور وهو البياض
الخالص ومنه الحواريات للحضريات لخلوص الوانهن وسمي
به اصحاب عيسى لخلوص نيتهم ونقاء سريرتهم وقيل
كانوا ملوكا يلبسون البيض استنصر بهم عيسى من اليهود
وقيل قصارون يحورون الثياب اى يبيضونها نحن انصار
صار الله اى انصار دينه آمنا بالله واشهد بانا مسلمون هـ
لتشهد لنا يوم القيمة حين يشهد الرسل لقومهم وعليهم ربنا
آمنا بما انزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين اى
مع الشاهدين بوحدانيتك او مع الانبياء الذين يشهدون هـ
لاتباعهم او امة محمد ص فانهم شهداء على الناس ومكروا
اى الذين الحتى منهم الكفر من اليهود بان وكلوا عليه من
يقتله غيلة ومكر الله حين رفع عيسى والقى شبهه على من
قصد اغتياله حتى قتل والمكر من حيث انه في الاصل حيلة
يجلب بها غيره الى مضرة لايستند الى الله هـ الا على سبيل هـ
المقابلة والازدواج والله خير الماكرين اقواهم مكرا واقدرهم
على ايصال الضر من حيث لايحتسب اذ قال الله ظرف
لمكر الله او خير الماكرين او لمضمر مثل وقع ذلك ياعيسى اني
متوفيك مستوفي اجلك ومؤخرك الى اجلك المسمى عاصما
اياك من قتلهم او قابضك من الارض من توفيت مالي
او متوفيك نائما اذ روى انه رفع نائما او ممتك عن هـ
الشهوات العائقة عن العروج الى عالم الملكوت وقيل اماته

من ح

ونظافتهم ح

الله سبع ساعات ثم رفعه الى السماء واليه ذهب النصارى الصح
ورافعك الى محل كرامتي ومقر ملائكتي ومطهرك من
الذين كفروا من سوء جوارهم او قصدهم وجاعل الذين اتبعوك
فوق الذين كفروا الى يوم القيمة يعلونهم في غالب الله بالحجة
او السيف ومتبعوه من امن بنبوته من المسلمين والنصارى
والى الآن لم تسمع غلبة اليهود عليهم ولم يبق لهم ملك ودولة
ثم الى مرجعكم الضمير لعيسى ومن تبعه وكفر به وغلب المخاطبين
على الغائبين فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون من الدين فاما
الذين كفروا فاعذبهم عذابا شديدا في الدنيا والآخرة وما
لهم من ناصرين واما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم
اجورهم تفسير للحكم وتفصيل له وقراء حفص فيوفيهم
بالياء والله لايحب الظالمين تقرير لذلك ذلك اشارة الى
ماسبق من نبأ عيسى وغيره وهو مبتدأ خبره نتلوه
عليك وقوله من الآيات حال من الهاء ويجوز ان يكون هـ
الخبر ونتلوه حالا على ان العامل معنى الاشارة وان يكونا هـ
خبرين وان ينتصب ايضا بمضمر يفسره نتلوه والذكر الحكيم
المشتمل على الحكم او المحكم الممنوع عن تطرق الخلل اليه يريد
به القرآن وقيل اللوح ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم ان شانه
الغريب كشان آدم خلقه من تراب جملة مفسرة للتمثيل
مبينة لحاله الشبيه وهو انه خلق بلا اب كما خلق آدم من
التراب بلا اب وانه شبيه حاله بما هو اغرب اجماما للخصم
وقطعا لمواد الشبه والمعنى خلق قالبه من التراب ثم قال
له كن اى انشأه بشرا كقوله ثم انشأناه خلقا آخر اوقدر
تكوينه من التراب ثم كونه ويجوز ان يكون ثم لتراخي
الخبر لا المخبر فيكون حكاية حال ماضية ويجوز بعضهم

الحق

في غالب الامر صح

امر صح

فيكون صح

ان يكون الترتيب المخبر عنه اى صورة طينا ثم قال له كن لحما
ودما فكان من غير ترتيب الحق من ربك خبر محذوف اى
هو الحق وقيل الحق مبتداء ومن ربك خبره اى الحق المذكور
من الله فلا تكن من الممترين اى الشاكين على خطاب للنبى
صلى الله عليه وسلم على طريق التهييج لزيادة الثبات او
لكل سامع فمن حاجك من النصارى فيه فى عيسى من بعد
ما جاءك من العلم من البينات الموجبة للعلم فقل تعالوا
هلموا بالرأى والعزم ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا
ونساءكم وانفسنا وانفسكم اى يدع كل منا ومنكم نفسه
واعز اهله والصقهم بقلبه الى المباهلة ويحمل عليها وانما
قدموهم على النفس لان الرجل يخاطر بنفسه لهم ويحارب دونهم
ثم نبتهل اى نتباهل بان نلعن الكاذب منا والبهلة بالضم
والفتح اللعنة واصله الترك من قولهم بهلت الناقة اذا
تركتها بلا اصرار فنجعل لعنة الله على الكاذبين عطف فيه
بيان روى انهم لما دعوا الى المباهلة قالوا حتى ننظر فلما
تخالوا الى العاقب وكان ذا رأيهم ما ترى فقال والله لقد
عرفتم نبوته ولقد جاءكم بالفصل فى امر صاحبكم والله
ما باهل قوم نبيا الا هلكوا فان ابيتم الا الف دينكم فوادعوا
الرجل وانصرفوا فاتوا رسول الله ﷺ وقد غدا
محتضنا الحسين فاخذ بيد الحسن وفاطمة تمشى خلفه و
على خلفها وهو يقول اذا انا دعوت فامنوا فقال اسقفهم
يا معشر النصارى انى لارى وجوها لو سالوا الله ان
يزيل جبلا من مكانه لازاله فلا تباهلوا فتهلكوا فاذعنوا له
لرسول الله ﷺ وبذلوا له الجزية ففى حلة حمراء وثلثين درعا
من حديد فقال ﷺ والذى نفسى بيده لو تباهلوا لمسخوا

الضراء ما يضر به اى ينذ
به اخلاف الناقة لئلا يرتضع ولدها كما فى حواشى
الكشاف

قالوا صح

قرادة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادى نارا ولاستا
صل الله
وفضله
نجران واهله حتى الطير على الشجر وهو دليل على نبوته
وفضل من اتى بهم من اهل بيته ان هذا اى ما قص من نبأ
عيسى ومريم لهو القصص الحق بجملتها خبر ان او هو
فيه صح
فصل يفيد ان ما ذكره فى شان عيسى ومريم حق دون ما
ذكروه وما بعده خبره واللام دخلت لانه اقرب الى
المبتداء من الخبر واصلها ان تدخل المبتداء وما من اله
الا الله صح فيه بمن المزيدة للاستغراق تاكيد الرد
على النصارى فى تثليثهم وان الله لهو العزيز الحكيم لا
احد سواه يساويه فى القدرة التامة والحكمة البالغة هـ
ليشاركه فى الالوهية فان تولوا فان الله عليم بالمفسدين
وعبدلهم ووضع المظهر موضع المضمر ليدل على ان التولى
عن الحق والاعراض عن التوحيد افساد للدين والاعتقا
د
الموجب للعذاب الى فساد النفس بل الى فساد العالم قل يا اهل هـ
الكتاب هم اهل الكتابين وقيل يريد به وفد نجران او هـ
يهود المدينة تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم لا يختلف
فيها الرسل والكتب وتفسيرها ما بعدها ان لا نعبد الا
الله ان نوحده بالعبادة ونخلص فيها ولا نشرك به شيئا
ولا يجعل غيره شريكا له فى استحقاق العبادة ولا نراه اهلا
لان نعبد ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله
ولا نقول عزير بن الله ولا المسيح بن الله ولا نطيع
الاحبار فيما احدثوا من التحليل والتحريم لان كلا
منهم بشر مثلنا روى انه لما نزلت اتخذوا احبارهم
ورهبانهم اربابا من دون الله قال عدى بن حاتم ما كنا
رضى الله عنه ح
نعبدهم يا رسول الله قال اليس كانوا يحلون لكم ويحرمون

فتأخذون بقولهم قال نعم قال هو ذاك فان تولوا عن
التوحيد فقولوا اشهدوا بانا مسلمون اى لزمتكم الحجة
فاعترفوا بانا مسلمون دونكم او اعترفوا بانكم كافرون
بما نطقت به الكتب وتطابقت عليه الرسل تنبيه انظر
الى ما راعى فى هذه القصة من المبالغة والارشاد وحسن
التدرج فى الحجاج بين اولا احوال عيسى وما تعاوروا عليه
من الاطوار المنافية للالهية ثم ذكر ما يحل عقدتهم ويدحض
شبهتهم فلما رأى عنادهم ولجاجهم دعاهم الى المباهلة
بنوع من الاعجاز ثم لما اعرضوا عنها وانقادوا بعض
الانقياد عاد عليهم بالارشاد وسلك طريقا اسهل و
الزم بان دعاهم الى ما وافق عليه عيسى وهم والانجيل
وسائر الانبياء والكتب ثم لم يجد ذلك ايضا عليهم و
علم ان الآيات والنذر لم تغن عنهم اعرض وقال
اشهدوا بانا مسلمون يا اهل الكتاب لم تحاجون فى ابرا
ابراهيم وما انزلت التورية والانجيل الا من بعده تنازعت
اليهود والنصارى فى ابراهيم وزعم كل فريق انه منهم
وترافعوا الى رسول الله ﷺ فنزلت والمعنى ان اليهودية
والنصرانية حدثت بنزول التورية والانجيل على موسى
وعيسى عليهما السلام وكان ابراهيم قبل موسى بالغ سنة
وعيسى بالغين فكيف يكون عليهما افلا تعقلون فتدعون
المحال ها انتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون
فيما ليس لكم به علم ها حرف تنبيه نبهوا بها على حالهم
التى غفلوا عنها وانتم مبتدأ وهؤلاء خبره وحاججتم
جملة اخرى مبينة للاولى اى انتم هؤلاء الحمقى وبيان
حماقتكم انكم جادلتم فيما لكم به علم مما وجدتموه فى التورية

والانجيل عنادا وتدعون ورود فيه فلم تحاجون فيما
لا علم لكم به ولا ذكر فى كتابكم من دين ابراهيم وقيل هؤلاء
بمعنى الذين وحاججتم صلته وقيل ها انتم اصله اى انتم
على الاستفهام للتعجب من حماقتهم فقلبت الهمزة هاء وقراء
نافع وابو عمرو ها انتم حيث وقع بالمد من غير همز وورد
اقل مدا وقبل بالهمزة من غير الف بعد الهاء والباقون با
لمد والهمزة البزى بقصر المد على اصله والله يعلم ما حاججتم
فيه وانتم لا تعلمون وانتم جاهلون به ما كان ابراهيم يهود
ولا نصرانيا تصريح بمقتضى ما قرره من البرهان ولكن
كان حنيفا مائلا عن العقائد الزائغة مسلما منقادا لله و
ليس المراد انه كان على ملة الاسلام والا لاشترك الالزام
وما كان من المشركين تعريض بانهم مشركون لاشتراكهم
به عزير والمسيح وردّ لادعاء المشركين انهم على ملة ابرا
ان اولى الناس بابراهيم ان اخصهم به واقربهم منه من
الولى وهو القرب للذين اتبعوه من امته وهذا النبى و
الذين آمنوا الموافقتهم له فى اكثر ما شرع لهم على الاصالة
وقرئ هذا النبى بالنصب عطفا على الهاء فى اتبعوه وبا
لجر عطفا على ابراهيم والله ولى المؤمنين ينصرهم ويجازيهم
الحسنى لايمانهم ودت طائفة من اهل الكتاب لو يضلونكم
نزلت فى اليهود لما دعوا حذيفة وعمارا ومعاذا الى اليهودية
ولو بمعنى ان وما يضلون الا انفسهم وما يتخطاهم الاهم
ضلال ولا يعودوا بالمعاطيهم ايضا عقوبة عذابهم
او ما يضلون الا امثالهم وما يشعرون وزره واختصاص
ضرره بهم يا اهل الكتاب لم تكفرون بايات الله بما نطقت
به التورية والانجيل ودلت على نبوة محمد ﷺ وانتم تشهدون

ش

يا

هم
على ح

انها آيات الله او بالقرآن وانتم تشهدون نعته في الكتابين او
تعلمون بالمعجزات انه حق يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق
بالباطل بالتحريف وابدال الباطل في صورة او بالتقصير في
التبيين بينهما وقرئ وتلبسون بفتح الباء اي تلبسون الحق
بالباطل كقولهم كلابس ثوبي زور وتكتمون الحق نبوة
محمد ﷺ وبعثه وانتم تعلمون عالمين بما تكتمونه وقالت
طائفة من اهل الكتاب آمنوا بالذي انزل على الذين
آمنوا وجه النهار اظهروا الايمان بالقرآن اول النهار
واكفروا آخره لعلهم يرجعون واكفروا به آخره لعلهم
يشكون في دينهم ظنا بانكم رجعتم لخلل ظهر لكم والمراد
بالطائفة كعب بن الاشرف ومالك بن الضيف قالا لاصحابهما
لما حولت القبلة له آمنوا بما انزل عليهم من الصلوة الى الكعبة و
صلوا اليها اول النهار ثم صلوا الى الصخرة آخره لعلهم يقولون
هم اعلم منا وقد رجعوا فيرجعون وقيل اثنى عشر من احبار
خيبر تقاولوا بان يدخلوا في الاسلام اول النهار ويقولوا
آخره نظرنا في كتابنا وشاورنا علماءنا فلم نجد محمدا باهة
لنعت الذي ورد في التوراة لعل اصحابه يشكون فيه ولا
تؤمنوا الا لمن تبع دينكم ولا تقروا عن تصديق قلب الا لاهل
دينكم او لا تظهروا ايمانكم وجه النهار الا لمن كان على دينكم
فان رجعوهم ارجاؤاهم قل ان الهدى هدى الله يهدي
من يشاء الى الايمان وينبته عليه ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم
متعلق بمحذوف اي دبر تم ذلكم وقلتم لان يؤتى احد و
المعنى ان حملكم على ذلك او بلا تؤمنوا اي ولا تظهروا ايمانكم
بان يؤتى احد مثل ما اوتيتم الا لاشياعكم ولا تفشوه الى
المسلمين لئلا يزيد اتباعهم والا الى المشركين لئلا يدعوهم الى

تلبسون بالتشديد صح

الحسد صح

الاسلام وقوله قل ان الهدى هدى الله اعتراض يدل على ان
كيدهم لا يجدي بطائل وخبر ان على ان هدى الله بدل
عن الهدى وقراءة ابن كثير ان يؤتى على الاستفهام هو
للتقريع يؤيد الوجه الاول اي الا ان يؤتى احد مثل ما
اوتيتم او يحاجوكم عند ربكم عطف على ان يؤتى على
الوجهين الاولين وعلى الثالث معناه حتى يحاجوكم
عند ربكم فيدحضوا حجتكم والعامل فيه احد لانه في
معنى الجمع اذ المراد به غير اتباعهم قل ان الفضل بيد الله
يؤتيه من يشاء والله واسع عليم يختص برحمته من يشاء
والله ذو الفضل العظيم رد وابطال لما زعموه بالحجة
الواضحة ومن اهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده
اليك كعبد الله ابن سلام استودعه قرشي الفا ومائتي
اوقية ذهبا فاداه اليه ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده
اليك كفنحاص بن عازوراء استودعه قرشي آخر دينارا
فجحده وقيل المأمونون على الكثير النصارى اذ الغالب فيهم الا
مانة والخائنون في القليل اليهود اذ الغالب عليهم الخيانة
وقرأ حمزة وابو بكر وعمرو يؤده اليك ولا يؤده اليك
باسكان الهاء وقالون باختلاف عنه كسرة الهاء وكذا روى
عن هشام والباقون باشباع الكسرة الا مادمت عليه قائما
الا مدة دوامك قائما على رأسه مبالغة في مطالبته بالتقاضي
والتحافي واقامة البينة ذلك اشارة الى ترك الاداء المدلول
عليه بقوله لا يؤده بانهم قالوا بسبب قولهم ليس علينا
في الاميين سبيل اي ليس علينا في شان من ليس من اهل الكتاب

٥

ولم يكونوا على دينا عتاب وذم ويقولون على الله الكذب
بادعائهم ذلك وهم يعلمون انهم كاذبون وذلك لانهم
استحلوا ظلم من خالفهم وقالوا لم يجعل لهم في التورية
حرمة وقيل عامل اليهود رجلا من قريش فلما اسلم اتقاضه
فقالوا اسقط حقك حيث تركت دينكم وزعموا انه كذلك
في كتابهم وعن النبي ﷺ انه قال عند نزولها كذب اعداء
الله ما من شيء في الجاهلية الا وهو تحت قدمي الا الامانة
فانها مؤداة الى البر والفاجر بلى اثبات لما نفوه اي بلى هم
عليهم فيهم سبيل من اوفى بعهده واتقى وان الله يحب هم
المتقين استيناف مقرر للجملة التي سدت بلى مسدها و
الضمير المجرور لمن او لله وعمم المتقين ناب مناب الراجع
من الجزاء الى من واشعر بان التقوى ملاك الامر وهو يعم
الوفاء وغيره من اداء الواجبات والاجتناب عن المناهي
ان الذين يشترون يستبدلون بعهد الله بما عاهدوا عليه من
الايمان بالرسول والوفاء بالامانات وايمانهم وبما حلفوا
به من قولهم والله لنؤمنن به ولننصرنه ثمنا قليلا متاعهم
الدنيا اولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله بما يسرهم
او بشيء اصلا فان الملائكة يسئلونهم يوم القيمة او لا ينتفعون
بكلمات الله وآياته والظاهر انه كناية عن غضبه عليهم لقوله
ولا ينظر اليهم يوم القيمة فان من سخط على غيره واستهان
به اعرض عنه وعن التكلم معه والالتفات لنحوه كما ان من اعتد
بغيره يقاوله ويكثر النظر اليه ولا يزكيهم ولا يثني عليهم و
لهم عذاب اليم على ما فعلوه قيل انها نزلت في اخبار حرفوا
التورية وبدلوا نعت محمد ﷺ وحكم الامانات وغيرهما واو
خذوا على ذلك رشوة وقيل نزلت في رجل اقام سلعته في

السوق فحلف لقد اشتراها بما لم يشتر به وقيل في ترافع
كان بين اشعث بن قيس ويهودي في بئر او ارض وتوجه
الحلف على اليهودي وان منهم لفريقا يعني المحرفين ككعب
ومالك وحيي بن اخطب يلوون ألسنتهم بالكتاب يفتلونها
بقراءته فيميلونها عن المنزل الى المحرف او يطعنون فيها بتشبيه
الكتاب وقرئ يلوون على قلب الواو همزة ثم تخفيفها
بحذفها والقاء حركتها على الساكن قبلها ليحسبوه من الكتاب
وما هو من الكتاب الضمير المحرف المدلول عليه بفعله يلوو
وقرئ ليحسبوه بالياء والضمير للمسلمين ويقولون هو من
عند الله تأكيد لقوله ما هو من الكتاب وتشنيع عليهم وبيان هم
لانهم يزعمون ذلك تصريحا او تعريضا اي ليس هو نازلا من
عنده وهذا لا يقتضي ان لا يكون فعل العبد فعل الله ويقولون
على الله الكذب وهم يعلمون تأكيد وتسجيل عليهم بالكذب
على الله والتعمد فيه ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم و
النبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله تكذيب
ورد على عبدة عيسى وقيل ان ابا رافع القرظي وسيد النجراني
قالا يا محمد اتريد ان نعبدك ونتخذك ربا فقال معاذ الله
ان نعبد غير الله وان نأمر بعبادة غير الله فما بذلك هم
بعثني ولا بذلك امرني فنزلت وقيل قال رجل يا رسول الله
نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض افلا نسجد لك قال لا ينبغي
ان يسجد لاحد من دون الله ولكن اكرموا نبيكم واعرفوا الحق
لاهله ولكن كونوا ربانيين ولكن يقول كونوا ربانيين
والرباني منسوب الى الرب بزيادة الالف والنون كاللحياني
والرقباني وهو الكامل في العلم والعمل بما كنتم تعلمون هم
الكتاب وبما كنتم تدرسون بسبب كونكم معلمين الكتاب

المضمون منه صح

ن

وما هو من عند الله صح

وبسبب كونكم دارسين له فان فائدة التعليم والتعلم معرفة
الحق والخير للاعتقاد والعمل وقراء ابن كثير ونافع وابو
عمرو ويا يعقوب تعلمون بمعنى عالمين وقرئ تدرّسون
من التدريس وتدرسون من ادرس بمعنى درّس كاكرم
وكرّم ويجوز ان تكون القراءة المشهورة ايضا بهذا
المعنى على تقدير وبما تدرسونه على الناس ولا يأمركم
ان تتخذوا الملائكة والنبيين ارباباً نصبه ابن عامر وحمزة
وعاصم ويعقوب عطفا على ثم يقول ويكون لا مزيدة
لتأكيد معنى النفي في قوله ماكان الى ماكان لبشر ان يستنبئه الله
ثم يأمر الناس بعبادة نفسه ويأمر باتخاذ الملائكة والنبيين
ارباباً وغير مزيدة على معنى انه ليس له ان يأمر بعبادته
ولا يأمر باتخاذ اكفاءه ارباباً بل ينهى عنه وهو ادنى من لا
العبادة ورفعه الباقون على الاستيناف ويحتمل الحال وقراء ابو
عمرو على اصله برواية الدوري باختلاس الضم ايأمركم
بالكفر انكار والضمير فيه للبشر وقيل لله بعد اذ انتم مسلمون
دليل على ان الخطاب للمسلمين وهم المستأذنون لان يسجدوا
له واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة
ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه
قيل انه على ظاهره واذا كان هذا حكم الانبياء كان الامم به
اولى وقيل معناه انه اخذ الميثاق من النبيين وامهم
واستغنى بذكرهم عن الامم وقيل اضافة الميثاق من النبيين
اضافته الى الفاعل والمعنى واذ اخذ الله الميثاق الذي وثقه
الانبياء على امهم وقيل المراد اولاد النبيين على حذف
المضاف وهم بنو اسرائيل او سماهم النبيين تهكما لانهم
كانوا يقولون نحن اولى بالنبوة من محمد لانا اهل كتاب

ف

والنبيون كانوا مناً والام في لما توطئة للقسم لان اخذ الميثا
بمعنى الاستحلاف وما يحتمل الشرطية ولتؤمنن ساد مسد
جواب القسم والشرط ويحتمل الخبرية وقراء حمزة لما بالكسر
على ان ما مصدرية اى لاجل ايتائي اياكم بعض الكتاب
ثم مجيء رسول مصدق اخذ الله الميثاق لتؤمنن به
ولتنصرنه او موصولة والمعنى اخذه للذي آتيتكموه وجاءكم
رسول مصدق له وقرئ لما بمعنى حين آتيتكم او لمن اجل
ما آتيتكم على ان اصله لمن ما بالادغام فحذف احدى الميمات
الثلاث استثقالا وقراء نافع آتيناكم بالنون والالف جميعا
قال اقررتم واخذتم على ذلكم اصري اى عهدي سمي
به لانه يوصى به ويشد وقرئ بالضم وهو امالغة فيه كعبر
وعبر او جمع اصار وهو ما يشد به قالوا اقررنا قال فاشهدوا
فليشهد بعضكم على بعض بالاقرار وقيل الخطاب فيه للملائكة
وانا معكم من الشاهدين وانا ايضا على اقراركم وتشاهدكم
شاهد وهو تأكيد وتحذير عظيم فمن تولى بعد ذلك بعد
الميثاق والتوكيد بالاقرار والشهادة فاولئك هم الفا
المتمردون من الكفر افغير دين الله يبغون عطف على
الجملة المتقدمة والهمزة متوسطة بينهما للانكار او محذوف
تقديره ايتولون فغير دين الله يبغون وتقديم المد
المفعول لانه المقصود بالانكار والفعل بلفظ الغيبة
عند ابي عمرو وعاصم في رواية حفص ويعقوب وبالتاء
عند الباقين على تقدير وقيل لهم وله اسلم من في السموات
والارض طوعا وكرها اى طائعين بالنظر وانباع الحجة
وكارهين بالسيف ومعاينة ما يلجئ الى الاسلام كتطلق
الجبل وادراك الغرق والاشراف على الموت او مختارين

كم

سفعون

على

كالملائكة والمؤمنين او مسخرين كالكفرة فانهم لايقدرون
ان يمتنعوا عما قضي عليهم و اليه ترجعون و قرئ بالياء
على ان الضمير لمن قل آمنا بالله وما انزل علينا وما انزل
على ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط ه
وما اوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم امر للرسول
صلى الله عليه وسلم بان يخبر عن نفسه ومتابعيه بالايمان
والقرآن كما هو منزل عليه منزل عليهم بتوسط تبليغه
اليهم وايضا المنسوب الى واحد من الجمع قد ينسب اليهم
او بان يتكلم عن نفسه على طريقة الملوك اجلالا له و
النزول كما يعدى بالى لانه ينتهي الى الرسل يعدى ه
بعلى لانه من فوق وانما قدم المنزل عليه على المنزل
على سائر الرسل لانه المعرف له والعيار عليه لانفرق
بين احد منهم بالتصديق والتكذيب ونحن له مسلمون
منقادون او مخلصون في عبادته ومن يتبع غير الا
سلام دينا اى غير التوحيد والانقياد لحكم الله فلن
يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين اى الواقعين في ه
الخسران والمعنى ان المعرض عن الاسلام والطالب لغيره
فاقد للنفع واقع في الخسران بابطال الفطرة السليمة التي
فطر الناس عليها واستدل به على ان الايمان هو الاسلام
اذ لو كان غيره لم يقبل والجواب انه ينفي قبول كل دين
يغايره لا قبول كل ما يغايره ولعل الذين ايضا للاعمال كيف
يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم وشهدوا ان الرسول
حق وجاءهم البينات استبعاد للان يهديهم الله فان
الحائد عن الحق بعد ما وضع له منهمك في الضلال بعيد عن
الرشاد وقيل نفي وانكار له وذلك يقتضي ان لا تقبل توبته

المرتد ويشهدوا عطف على ما في ايمانهم من معنى الفعل ونظيره
فاصدق واكن من او حال باضمار قد من كفروا وهو على العـ
جبهين دليل على ان الاقرار باللسان خارج عن حقيقة
الايمان والله لا يهدي القوم الظالمين الذين ظلموا انفسهم
بالاخلال بالنظر ووضع الكفر موضع الايمان فكيف من جاء
الحق وعرفه ثم اعرض عنه اولئك جزاؤهم ان عليهم لعنة
الله والملائكة والناس اجمعين يدل بمنطوقه على جواز لعنهم
وبمفهومه ينفي جواز لعن غيرهم ولعل الفرق انهم مطبع
على الكفر ممنوعون عن الهدى مأيوسون عن الرحمة رأسا
بخلاف غيرهم والمراد بالناس المؤمنون او العموم فان
الكافر ايضا يلعن منكر الحق والمرتد عنه ولكن لا يعرف الحق
بعينه خالدين فيها في اللعنة او العقوبة او النار وان لم
يجر ذكرها لدلالة الكلام عليها لا يخفف عنهم العذاب
ولا هم ينظرون الا الذين تابوا من بعد ذلك اى من بعد
الارتداد واصلحوا ما افسدوا ويجوز ان لا يقدر له
مفعول بمعنى ودخلوا في الصلاح فان الله غفور يقبل
توبته رحيم يتفضل عليه قيل انها نزلت في الحارث بن سويد
حين ندم على ردته فارسل الى قومه ان يسألوا هل لي من توبة
فارسل اليه اخوه الجلاس بالآية فرجع الى المدينة فتاب ان
الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا كاليهود كفروا
بعيسى والانجيل بعد الايمان بموسى والتوراة ثم ازدادوا
كفرا بمحمد والقرآن او كفروا بمحمد بعد ما آمنوا به قبل مبعثه
ثم ازدادوا كفرا بالاصرار والفساد والطعن فيه والصد
عن الايمان ونقض الميثاق او كقوم ارتدوا ولحقوا بمكة
ثم ازدادوا كفرا بقولهم لن نبرح بمحمد رب المنعن او

من الصالحين ح

ه

عون

نرجع اليه ونناقشه باظهاره لن نقبل توبتهم لانهم لايتوبون
او لايتوبون الا اذا اشرفوا على الهلاك فكنى عن عدم توبة
هم بعدم قبولها تغليظا فى شانهم وابراز حالهم فى صورة
حال الآيسين من الرحمة اولان توبتهم لاتكون الا نفاقا
لا لارتدادهم وزيادة كفرهم ولذلك لم يدخل الفاء فيه
والئك هم الضالون الثابتون على الضلالة ان الذين كفروا
وماتوا وهم كفار فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا
تغليظا فى شانهم وابراز حالهم فى صورة حال الآيسين
من الرحمة لما كان الموت على الكفر سببا لامتناع قبول
الفدية ادخل الفاء ههنا للاشعار به وملء الشئ ما يملوه
وذهبا نصب على التمييز وقرئ بالرفع على البدل من ملء
او الخبر لمحذوف ولو افتدى به محمول على المعنى كانه قيل
فلن يقبل من احدهم فدية ولو بملء الارض ذهبا او معطوف
على مضمر تقديره فلن تقبل من احدهم ملء الارض ذهبا
لو تقرب به فى الدنيا ولو افتدى به من العذاب فى الآخرة
او المراد ولو افتدى بمثله كقوله تعالى ولو ان للذين ظلموا ما
فى الارض جميعا ومثله معه والمثل محذوف ويزاد كثيرا لان المثلين
فى حكم شئ واحد اولئك لهم عذاب اليم مبالغة فى التحذير و
اقناط لان من لايقبل منه الفداء ربما يعفى عنه تكرم او ما لهم
من ناصرين فى دفع العذاب ومن مزيدة للاستغراق لن تنالوا
البر اى لن تبلغوا حقيقة البر الذى هو كمال الخير اولن تنالوا
بر الله الذى هو الرحمة والرضى والجنة حتى تنفقوا مما تحبون
من المال او مما يعمه وغيره كبذل الجاه فى معاونة الناس والبدن
فى طاعة الله والمهجة فى سبيله روى انها لما نزلت جاء ابو
طلحة فقال يارسول الله ان احب اموالى الى بيرحاء وضعها

افتدى صح

اوابح صح

حيث اراد الله فقال بخ بخ ذاك مال رابح وانى ارى ان تجعلها
فى الاقربين وجاء زيد بن حارثة بفرس كان يحبها فقال هذا
فى سبيل الله فحمل عليها رسول الله صلعم اسامة بن زيد اغاظ اردت
ان اتصدق به فقال صلعم ان الله قد قبلها منك وذلك يدل على
ان انفاق احب الاموال على اقرب الاقارب افضل وان الآية
تعم الانفاق الواجب والمستحب وقرأ بعض ما تحبون و
هو يدل على ان من للتبعيض يحتمل التبيين وما تنفقوا من
شئ من اى شئ محبوب اوغيره ومن لبيان فان الله به عليم
فيجازيكم بحسبه كل الطعام اى المطعومات والمراد اكلها كان
حلا لبنى اسرائيل حلالا لهم وهو مصدر نعت ولذلك يستوى
فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث قال الله تعالى لاهن حل
لهم الا ما حرم اسرائيل يعقوب على نفسه كلحوم الابل و
البانها قيل كان به عرق النساء فنذر ان شفى لم ياكل
احب الطعام اليه وكان ذلك احب اليه وقيل فعل ذلك
للتداوى باشارة الاطباء واحتج به من جوز للنبى ان
يجتهد وللمانع ان يفعل ذلك باذن بل الله صرح بتحريمه
ابتداء من قبل ان تنزل التوراة من انزالها مشتملة على تحريم
ما حرم عليهم لظلمهم وبغيهم عقوبة وشديدا وذلك
رد على اليهود فى دعوى البراءة عما نفى عليهم فى قوله فبظلم
من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات وقوله وعلى الذين
هادوا حرمنا كل ذى ظفر الآيات بان قالوا السنا اول من
حرمت عليه وانما كانت محرمة على نوح وابراهيم ومن
بعده حتى انتهى الامر الينا فحرمت علينا كما حرمت على من قبلنا
او فى منع النسخ والطعن فى دعوى الرسول موافقة ابراهيم
بتحليل لحوم الابل والبانها قل فاتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم

ما صح

بع صح

قبل صح

احلت لهم صح

صادقين ام الحاجتهم بكتابهم وتبكيتهم بما فيه من انه قد حرم
الله ما حرم عليهم بسبب ظلمهم مالم يكن محرما وروى انه لما
قال لهم بهتوا ولم يجسروا ان يخرجوا التوراة وفيه
دليل على ان نبوته فمن افترى على الله الكذب ابتدعه
على الله بزعمه انه حرم ذلك قبل نزول التوراة على بني
اسرائيل ومن قبلهم من بعد ذلك من مالئ من هم الحجة فاو
فاولئك هم الظالمون الذين لا ينصفون من انفسهم و
يكابرون الحق بعد ما وضح قل صدق الله تعريض بكذبهم
اي ثبت ان الله صادق فيما انزل وانتم الكاذبون
فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا اي ملة الاسلام التي هي الاصل
ملة ابراهيم او مثل ملته حتى تخلصوا من اليهودية التي
اضطرتكم الى التحريف والمكابرة لسوية الاغراض الدنيوية
والزمتكم تحريم طيبات احلها لابراهيم ومن تبعه وما كان
من المشركين فيه اشارة الى ان اتباعه واجب في التوحيد
الصرف والاستقامة في الدين والتجنب عن الافراط و
التفريط وتعريض بشرك اليهود ان اول بيت وضع
للناس اي وضع للعبادة وجعل متعبدا لهم الواضع هو
هو الله ويدل عليه انه قرئ على البناء للفاعل الذي
ببكة للبيت الذي وهي لغة في مكة كالنبيط والنمط و
ام دانب ورانم ولازب ولازم وقيل هي موضع
المسجد ومكة البلد من بكة اذا زحمه او من بكة اذا
دقه فانها تبك اعناق الجبابرة روى انه لما سئل عن
اول بيت وضع للناس فقال المسجد الحرام ثم بيت
المقدس وسئل كم بينهما فقال اربعون سنة وقيل
اول من بناه ابراهيم ثم هدم فبناه قوم من جرهم ثم

ببكة ح
وجمع مغبطة
ومغطة ح

العمالقة ثم قريش وقيل هو اول بيت بناه آدم عم فا
نطمس في الطوفان ثم بناه ابراهيم وقيل كان في موضعه
قبل آدم بيت يقال له الضراح ويطوف به الملائكة هـ
فلما اهبط ادم بان يحجه ويطوف حوله ورفع في الطوفان
الى السماء الرابعة يطوف به الملائكة السموات وهو الا
بالايمن ظاهر الآية وقيل المراد به اول بالشرف لا بالزمان
مباركا كثير الخير والنفع لمن حجه واعتمره واعتكف
دونه وطاف حوله حال من المستكن في الظرف وهدى
للعالمين لانه قبلتهم ومتعبدهم ولان فيه آيات عجيبة
كما قال فيه آيات بينات كاثر في الطير عن موازاة
البيت على مدى الاعصار وان ضواري السباع يخالط
الطيور في الحرم ولا يتعرض لها وان كل جبار قصده هـ
بسوء هلكه كاصحاب الفيل والجملة مفسرة للهدى او
حال اخرى مقام ابراهيم مبتدأ محذوف خبره اي منها
مقام ابراهيم او بدل من آيات بدل البعض من الكل وقيل هـ
عطف بيان على ان المراد بالآيات اثر القدم في الصخرة
الصماء وغوصها فيها الى الكعبين وتخصيصها بهذه الآية لـ
من بين الصخار وابقاؤه دون سائر آثار الانبياء وهـ
حفظه مع كثرة اعدائه الوف سنة ويؤيده ان قرئ آية
بينة على التوحيد وسبب هذا الاثر انه لما ارتفع بنيان
الكعبة قام على هذا الحجر ليتمكن من رفع الحجارة فغاصت فيه
قدماه ومن دخله كان آمنا جملة ابتدائية او شرطية هـ
معطوفة من حيث المعنى على مقام لانه في معنى من من د
اختص بذكرهما من الآيات الكثيرة وطوى ذكر غيرهما
كقوله ثم حبب الي من دنياكم ثلث الطيب والنساء هـ

فان

خلده اي ومنها امن من دخله
او فيه آيات بينات مقام
ابراهيم و امن من دخله ح

وقرة عيني في الصلوة لان فيها عينية عن غيرها في الدارين
بقاء الانس مدى الدهر والامن من العذاب يوم القيمة هـ
قال كم من مات في احدى الحرمين بعث يوم القيمة آمنا و
عند ابو حنيفة رضي الله عنه من لزمه القتل بردة او قصاص
او غيرهما لم يتعرض له ولكن الحج الى الخروج وللة على هـ
الناس حج البيت قصده للزيادة على الوجه المخصوص
وقراء حمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص حج بالكسر
هي لغة نجد من استطاع اليه سبيلا بدل من الناس مخصص
له وقد فسر رسول الله ﷺ الاستطاعة بالزاد والراحلة وهو
يؤيد قول الشافعي رضي الله عنه انها بالمال ولذلك هـ
اوجب الاستنابة على الزمن اذا وجد اجرة من ينوب
عنه وقال مالك رضي الله عنه انها بالبدن فيجب على من
قدر على المشي والكسب في الطريق وقال ابيح رضي الله
عنه انها بمجموع الامرين والضمير في اليه للبيت او الحج و
كل ما يؤتى الى الشيء فهو سبيله ومن كفر فان الله غني عن
العالمين وضع من كفر موضع لم يحج تأكيد الوجوب به و
تغليظا على تاركه ولذلك قال ﷺ من مات ولم يحج فليمت
ان شاء يهوديا او نصرانيا وقد اكد امر الحج في هذه الآية
من وجوه الدلالة على وجوبه بصيغة الخبر وابرازه في
صورة الاسمية وايراده على وجه يفيد انه حق واجب
لله هـ في رقاب الناس وتعميم الحكم اولا وتخصيصه هـ
فانه كايضاح بعد ابهام وتثنية وتكرير للمراد وتسمية
ترك الحج كفرا من حيث انه فعل الكفرة وذكر الاستغناء هـ
فانه في هذا الموضع مما يدل على المقت والخذلان وقوله
عن العالمين بدل عنه لما فيه من مبالغة التعميم والدلالة على

فالتجاء الى الحرم ح

الاستغناء عنه بالبرهان والاشعار بعظم السخط فانه تكليف
شاق جامع بين كسر النفس وانصاب البدن وصرف المال
والتجرد عن الشهوات والاقبال على الله روي انه لما نزلت
صدر الآية جمع رسول الله ﷺ ارباب الملل فخطبهم وقال
ان الله كتب عليكم الحج فحجوا فآمنت به ملة ولحدة وكفرت
به خمس ملل فمن اين ومن كفر قل يا اهل الكتاب لم تكفرون
بآيات الله اي بآياته السمعية والعقلية الدالة على صدق
محمد ﷺ فيما يدعيه من وجوب الحج وغيره وتخصيص اهل
الكتاب بالخطاب دليل على ان كفرهم اقبح وانهم وان هـ
زعموا انهم يؤمنون بالتوراة والانجيل فهم كافرون بهما
والله شهيد على ما تعملون والحال انه شهيد مطلع على اعمالكم هـ
فيجازيكم عليها لا يخفعكم التحريف والاستار قل يا اهل
الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن يريد الخطاب
والاستفهام مبالغة في التقريع ونفي العذر لهم واشعارا بان
كل واحد من الامرين مستقبح في نفسه مستقل باستجلاب
العذاب وسبيل الله دينه الحق المأمور بسلوكه وهو الاسلام قيل كانوا يفتنون المؤمنين ويحرشون بينهم حتى
اوقعوا الاوس والخزرج فذكرهم ما بينهم في الجاهلية من هـ
التعادي والتحارب ليعودوا لمثله ويقاتلون لصدهم
عنه تبغونها عوجا حال من الواو اي باغين طالبين لها
اعوجاجا بان تلبسوا على الناس وتوهموا ان فيه عوجا
عن الحق بمنع النسخ وتغيير صفة رسول الله ﷺ ونحو
هما او بان يحرشوا بين المؤمنين ليختلف كلمتهم وهـ
يختل امر دينهم وانتم شهداء انها سبيل الله والصد هـ
عنها ضلال واضلال وانتم عدول عن اهل ملتكم يشقون

باقوالكم ويستشهدونكم في القضايا وما الله بغافل عما تعملون
وعيد لهم ولما كان المنكر في الآية الاولى كفرهم وهم يجهرون
به ختمها بقوله والله شهيد ولما كان في هذه الآية صدهم
المؤمنون عن الاسلام وكانوا يخفونه ويحتالون فيه قال
وما الله بغافل عما تعملون يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا
فريقا من الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين
نزلت في نفر من الاوس والخزرج كانوا جلوسا يتحدثون
فمر بهم شاس بن قيس اليهودي ففاظه تالفهم واجتماعهم
فامر شابا من اليهود ان يجلس اليهم ويذكر يوم بعاث و
ينشدهم بعض ما قيل فيه وكان الظفر في ذلك اليوم للاوس
ففعل فتنازع القوم وتفاخروا وتفاضلوا وقالوا السلاح
السلاح واجتمع من القبيلين خلق كثير فتوجه اليهم رسول
الله ﷺ واصحابه فقال ادعون الجاهلية وانا بين اظهركم
بعد اذ اكرمكم الله بالاسلام وقطع به عنكم امر الجاهلية والف
بينكم فعلموا انها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فالقوا
السلاح واستغفروا وعانق بعضهم بعضا وانصرفوا معه
مع رسول الله ﷺ وانما خاطبهم الله بنفسه بعد ما امر الرسول
بان يخاطب اهل الكتاب اظهارا لجلالة قدرهم
واشعارا بانهم الاحقاء بان يخاطبهم الله ويكلمهم وكيف
تكفرون وانتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله انكار
وتعجيب لكفرهم في حال اجتمع لهم الاسباب الداعية الى
الايمان الصارفة عن الكفر ومن يعتصم بالله ومن يتمسك
بدينه او يلتجئ اليه في جامع اموره فقد هدي الى صراط
مستقيم فقد اهتدى لا محالة يا ايها الذين آمنوا اتقوا
الله حق تقاته حق تقواه وما يجب منها وهو استفراغ الع

على ما تعملون ح

الوسع في القيام بالواجب والاجتناب عن المحارم لقوله ﷺ
فاتقوا الله ما استطعتم وعن ابن مسعود رضي الله عنه هو
ان يطاع فلا يعصى ويشكر ولا يكفر ويذكر فلا ينسى وقيل
هو ان ينزه الطاعة عن الالتفات اليها وعن توقع المجازاة
عليها وفي هذا الامر تاكيد للنهي عن طاعة اهل الكتاب ه
واصل تقاة وقية فقلبت واوها المضمومة تاء كما في تولج
وتخمة والياء الفا ولا تموتن الا وانتم مسلمون اي ولا
تكونن على حال سوى حال الاسلام اذا ادركتكم الموت
فان النهي عن المقيد بحال او غيرها فقد يتوجه بالذات
نحو الفعل تارة والقيد اخرى وقد يتوجه نحو المجموع دونها
وكذلك النفي واعتصموا بحبل الله بدين الاسلام او بكتابه
لقوله ﷺ القرآن حبل الله المتين استعار له الحبل من
حيث ان التمسك به سبب للنجاة عن الردى كما ان
التمسك بالحبل سبب للسلامة عن الردى والموثوق
به والاعتماد عليه الاعتصام نوشيحا للمجاز جميعا مجتمعين
عليه ولا تفرقوا ولا تتفرقوا عن الحق بوقوع الاختلاف
بينكم كاهل الكتاب او لا تتفرقوا تفرقكم الجاهلي يحارب
بعضكم بعضا او لا تذكروا ما يوجب التفرق وبين لهم
الالفة واذكروا نعمة الله عليكم التي من جملتها الهداية
والتوفيق للاسلام المؤدي الى التالف وزوال الغل ان
كنتم اعداء في الجاهلية متقاتلين فالف بين قلوبكم بالاسلام
فاصبحتم بنعمته اخوانا متحابين مجتمعين على الاخوة في الله ه
قيل كان الاوس والخزرج اخوين لابوين فوقع بين اولادهما
العداوة وتطاولت الحروب مائة وعشرين سنة حتى اطفاء
الله بالاسلام والف بينهم برسوله ﷺ وكنتم على شفا حفرة

به

ف

ها

من النار مشفين على الوقوع فى نار جهنم لكفركم اذ لو اد
رككم الموت فى تلك الحال لوقعتم فى النار فانقذكم منها
بالاسلام والضمير للحفرة او النار او للشفا وتانيثه لتا
نيث ما اضيف اليه او لانه بمعنى الشفة فان شفا البئر و
شفتها طرفها كالجانب والجانبة واصله شفو فقلبت
الواو فى المذكر وحذفت فى المؤنث كذلك مثل ذلك
التبيين يبين الله لكم آياته دلائله لعلكم تهتدون ارادة
ثباتكم على الهدى وازديادكم فيه ولتكن منكم امة هم
يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن
المنكر من التبعيض لان المراد بالمعروف والنهى عن المنكر
من فروض الكفاية ولانه لا يصلح له كل احد اذ للمتصدى له
شروط لا يشترك فيها جميع الامة كالعلم بالاحكام ومراتب
الاحتساب وكيفية اقامتها والتمكن من القيام بها خاطب
الجمع وطلب فعل بعضهم ليدل على انه واجب على الكل حتى لو تركوه
رأسا أثموا جميعا ولكن يسقط بفعل بعضهم وهكذا كل ما هو
فرض كفاية او للتبيين بمعنى كونوا امة تأمرون كقوله كنتم
خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف والدعاء الى
الخير يعم الدعاء الى ما فيه صلاح دينى ودنيوى وعطف الا
مر بالمعروف والنهى عن المنكر عليه عطف الخاص على العام
للايذان بفضله واولئك هم المفلحون المخصوصون بكمال
الفلاح روى انهم سئل من خير الناس فقال امرهم
بالمعروف وانهاهم عن المنكر واتقاهم لله واوصلهم والا
مر بالمعروف يكون واجبا ومندوبا على حسب ما يأمر به
والنهى عن المنكر واجب كله لان جميع ما انكره الشرع
حرام والاظهر ان العاصى يجب ان ينهى عما يرتكبه لانه

بالمعروف صح

للرحم صح

يجب عليه تركه وانكاره فلا يسقط بترك احدهما وجوب
الاخر ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا كاليهود
والنصارى اختلفوا فى التوحيد والتنزيه واحوال الآ
خرة على ما عرفت من بعد ما جاءهم البينات الآيات و
الحجج المبينة للحق الموجبة للاتفاق عليه والاظهر ان النهى فيه
مخصوص بالتفرق فى الاصول دون الفروع لقوله ص اختلا
امتى رحمة ولقوله ص من اجتهد فاصاب فله اجران و
من اخطاء فله اجر واحد واولئك لهم عذاب عظيم و
عيد للذين تفرقوا وتهديد على التشبيه يوم تبيض
وجوه وتسود وجوه نصب بما فى لهم من معنى الفعل او
باضمار اذكر وبياض الوجه وسواده كنايتان عن ظهور
بهجة السرور وكآبة الخوف فيه وقيل يوسم اهل الحق
ببياض الوجه والصحيفة واشراق البشرة وسعى النور بين
يديه ويمينه واهل الباطل باضداد ذلك فاما الذين اسودت
وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم على ارادة القول اى فيقال
لهم اكفرتم والهمزة للتوبيخ والتعجيب من حالهم وهم
المرتدون او اهل الكتاب كفروا برسول الله ص بعد
ايمانهم به قبل مبعثه او جميع الكفار كفروا بعد ما اقروا
حين اشهدهم على انفسهم او تمكنوا من الايمان بالنظر فى
الدلائل والآيات فذوقوا العذاب امر اهانة بما كنتم تكفرون
بسبب كفركم او جزاء لكفركم واما الذين ابيضت وجوههم
ففى رحمة الله يعنى الجنة والثواب المخلد عبر ذلك بالرحمة
تنبيها على ان المؤمن وان استغرق عمره فى طاعة الله لن
لا يدخل الجنة الا برحمته وفضله وكان حق الترتيب ان هم
يقدم ذكرهم لكن قصد ان يكون مطلع الكلام ومقطعه

ف

ت

هم

حلية المؤمنين وثوابهم هم فيها خالدون آخره مخرج الاستيناف
للتاكيد كانه قيل كيف يكونون خالدون تلك آيات الله الواردة
في وعده ووعيده نتلوها عليك بالحق ملتبسة بالحق لاشبهة
فيها وما الله يريد ظلما للعالمين ان يستحيل الظلم منه لانه لا
يحق عليه شيء فيظلم بنقصه والا يمنع عن شيء فيظلم بفعله لانه
المالك على الاطلاق كما قال ولله ما في السموات وما في الارض والى
الله ترجع الامور فيجازي كلا بما وعد له واوعده كنتم خير
امة دل على خلوكم تتمم فيما مضى ولم يدل على انقطاع طرا كقوله
وكان الله غفورا رحيما وقيل كنتم في علم الله او في اللوح
او فيما بين الامم المتقدمين اخرجت للناس اظهرت لهم
تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر استيناف بين به كونهم
خير امة او خبر ثان لكنتم وتؤمنون بالله يتضمن الايمان
بكل ما يجب ان يؤمن به لان الايمان به انما يحق ويعتد به اذا
حصل الايمان بكل ما امر ان يؤمن به وانما اخره وحقه ان يقدم
لانه قصد بذكره الدلالة على انهم امروا بالمعروف ونهوا عن
المنكر ايمانا بالله وتصديقا به واظهارا لدينه واستدل بهذه
الآية على ان الاجماع حجة لانها تقتضي كونهم آمرين بكل معروف
وناهين عن كل منكر اذ الامم فيهما لا استغراق فلو اجمعوا
على باطل كان امرهم على خلاف ذلك ولو آمن اهل الكتاب
ايمانا كما ينبغي لكان خيرا لهم لكان الايمان خيرا لهم مما هم
عليه منهم المؤمنون كعبد الله بن سلام واصحابه واكثرهم
الفاسقون المتمردون في الكفر وهذه الجملة والتي بعدها
واردتان على سبيل الاستطراد لن يضروكم الا اذى ضررا
يسيرا كطعن وتهديد وان يقاتلوكم يولوكم الادبار
ينهزموا ولا يضروكم بقتل واسر ثم لا ينصرون ثم لا

فيها افعال هم فيها ح

يكون احد ينصرهم عليكم او يدفع باسكم عنهم نفي لضرارهم
سوى ما يكون بقول وقد ذلك بانهم لو قاموا الى القتال
كانت الدبرة عليهم ثم اخبر بانه يكون عاقبتهم الغي والخذ
وقرئ لا ينصروا عطفا على يولوا على ان ثم للتراخي في المرتبة
فيكون عدم النصر مقيدا بقتالهم وهذه الآية من المغيبات التي
وافقها الواقع اذ كان كذلك حال قريظة والنضير وبني قينقا ع
ويهود خيبر ضربت عليهم الذلة هو النفس والمال و
الاهل او ذل التمسك بالباطل والجزية اينما ثقفوا وجدوا الا
الا بحبل من الله وحبل من الناس استثناء من اعم عام الاحوال
اي ضربت عليهم الذلة في عامة الاحوال الا معتصمين او ملتبسين
بذمة الله او كتابه الذي اتاهم وذمة المسلمين او بدين الاسلام
واتباع سبيل المؤمنين وباؤوا بغضب من الله رجعوا به هو
مستوجبين له وضربت عليهم المسكنة فهي محيطة بهم احاطة
البيت المضروب على اهله واليهود في غالب الامر فقراء هو
مساكين ذلك اشارة الى ما ذكر من ضرب الذلة والمسكنة و
البوء بالغضب بانهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون هو
الانبياء بغير حق بسبب كفرهم بالآيات وقتلهم الانبياء ذلك
الكفر والقتل بما عصوا وكانوا يعتدون بسبب عصيانهم و
اعتدائهم حدود الله فان الاصرار على الصغائر يفضي الى الكبائر
والاستمرار عليها يؤدي الى الكفر وقيل معناه ان ضرب الذلة
في الدنيا واستجاب الغضب في الآخرة كما هو معلل بكفرهم و
قتلهم فهو مسبب عن عصيانهم واعتدائهم من حيث انهم هو
مخاطبون بالفروع ايضا ليسوا سواء في المساوي والضمير
لاهل الكتاب من اهل الكتاب امة قائمة استيناف لبيان نفي
الاستواء والقائمة المستقيمة العادلة من امنت العود فقام

لان

والتقييد بغير حق مع انه كذلك
في نفس الامر للدلالة على انه
لم يكن حقا بحسب اعتقادهم
ايضاح

وهم الذين اسلموا منهم يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون في تهجدهم عبّر عنه بالتلاوة وساعات الليل مع السجود ليكون ابين وابلغ في المدح وقيل المراد به صلوة العشاء لان اهل الكتاب لا يصلونها ما روي انهم اخرها ثم خرج فاذا الناس ينتظرون الصلوة فقال اما انه ليس من اهل الاديان احد يذكر الله هذه الساعة غيركم يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات صفات آخر لائقة وصفهم بخصائص ما كانت في اليهود فانهم منحرفون عن الحق غير متعبدين بالليل مشركون بالله ملحدون في صفاته واصفون يوم الاحد بخلاف صفته مداهنون في الاحتساب متباطئون عن الخيرات واولئك من الصالحين اى الموصوفون بتلك الصفات ممن صلحت احوالهم عند الله واستحقوا رضاءه وثناءه وقرئ حفص وحمزة والكسائي فلن يكفروه بالياء والباقون بالتاء ليلاقوا الباقون بالتاء وما يفعلوا من خير فلن يكفروه فلن يضيع ولا ينقص ثوابه البتة سمي ذلك كفرانا كما سمي توفية الثواب شكرانا وتعديته الى مفعولين لتضمنه معنى الحرمان والله عليم بالمتقين بشارة لهم واشعار بان التقوى مبداء الخير وحسن العمل وان الفائز عند الله هو اهل التقوى ان الذين كفروا لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا من العذاب او من الغناء فيكون مصدرا واولئك اصحاب النار ملازموها هم فيها خالدون مثل ما ينفقون ما ينفق الكفرة قربة او مفاخرة وسمعة والمنافقون رياء وخوفا في هذه الحيوة الدنيا كمثل ريح فيها صر برد شديد وشائع اطلاقه للريح الباردة كالصرصر فهو في الاصل مصدر نعت به

وهم الذين اسلموا منهم يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون ه يتلون القرآن ح

وقرأ حفص وحمزة وكسائي بالياء والباقون بالتاء ح

اثنعت وصف به البرد للمبالغة كقولك برد بارد اصابت حرث قوم ظلموا انفسهم بالكفر والمعاصي فاهلكته عقوبة لهم ه لان الاهلاك من سخط اشد والمراد به تشبيه ما انفقوا في ضياعه بحرث كفار ضربته صر فاستاصلته ولم تبق لهم فيه منفعة ما في الدنيا والآخرة وهو من التشبيه المركب وه لذلك لم يبال باثبات كلمة التشبيه الريح دون الحرث ويجوز ان يقدر كمثل مهلك ريح وهو الحرث وما ظلمهم الله ولكن انفسهم يظلمون اى ما ظلم المنفقين بضياع نفقاتهم ولكنهم ظلموا انفسهم لما لم ينفقوها بحيث يعتد بها او وما ظلم اصحاب الحرث باهلاكه ولكنهم ظلموا انفسهم بارتكاب ما استحقوا به العقوبة وقرئ ولكن اى ولكن انفسهم ه يظلمونها ولا يجوز ان يقدر ضمير الشان لانه لا يحذف الا في الشعر كقوله ولكن من يبصر جفونك يعشق يا ايها ه الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة وليجة وهو الذي يعرفه الرجل استداره ثقة به شبه ببطانة الثوب لما شبه بالشعار قال عليه الصلوة والسلام الانصار شعار والناس دثار من دونكم من ه دون المسلمين وهو متعلق بلا تتخذوا او بمحذوف وهو صفة بطانة كائنة من دونكم لا يألونكم خبالا لا يقصرون لكم في الفساد والالو التقصير واصله ان يعدى بالحرف ثم عدي الى مفعولين كقولهم لا آلوك نصحا على تضمين معنى المنع او النقص ودوا ما عنتم تمنوا عنتكم وهو شدة الضرر والمشقة وما مصدرية قد بدت البغضاء من ه افواههم اى في كلامهم لانها لا تتمالك عن افشاء ما تكن صدورهم ه لفرط بغضهم وما تخفي صدورهم اكبر مما بدا لان بدو ليس عن روية واختيار قد بينا لكم الآيات الدالة على وجوب

اى صفة بطانة

الاخلاص ومعالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين ان كنتم تعقلون
ما بين لكم والجمل الاربع جاءت مستانفات على التعليل ويجوز
ان يكون الثلث الاول صفات لبطانة ها انتم اولاء تحبونهم
ولا يحبونكم اى انتم اولاء الخاطيون فى موالات الكفار
وتحبونهم ولا يحبونكم ببيان لخطائهم فى موالاتهم ه
وهو خبر ثان او خبر لاولاء والجملة خبر انتم كقولك
انت زيدا تحبه او صلته او حال والعامل فيها معنى الاشارة
ويجوز ان ينصب اولاء بفعل يفسره ما بعده وتكون
الجملة خبرا وتؤمنون بالكتاب كله بجنس الكتب كله و
هو حال من لا يحبونكم والمعنى انهم لا يحبونكم والحال انكم
تؤمنون بكتابهم ايضا فما بالكم تحبونهم وهم لا يؤمنون
بكتابكم وفيه توبيخ بانهم فى باطلهم اصلب منكم فى حقكم
واذا لقوكم قالوا امنا نفاقا وتغريرا واذا خلوا عضوا
عليكم الانامل من الغيظ من اجله تاء تشفيا وتحسرا حيث لم
يجدوا الى التشفى سبيلا قل موتوا بغيظكم دعاء عليهم بدوام
الغيظ وزيادته بتضاعف قوة الاسلام واهله حتى يهلكوا به
ان الله عليم بذات الصدور فيعلم ما فى صدورهم من البغضاء
والحنق ويحتمل ان يكون من المقول اى وقل لهم ان الله ه
عليم بما هو اخفى مما تخفونه من عض الانامل غيظا وان ه
يكون خارجا عنه بمعنى قل لهم ذلك والتعجب من اطلاعى
اياك على اسرارهم فانى عليم بالاخفى من ضمائرهم ان تمسسكم
حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها بيان لتناهى ه
عداوتهم الى حد حسدوا اماناتهم من خير ومنفعة وشمتوا
بما اصابهم من ضر وشدة والمس مستعار للاصابة وان ه
تصبروا على عداوتهم او على مشاق التكاليف وتتقوا موالا

للمؤمنين ح

هو ح

تهم او ملاحمتهم الله عليكم لا يضركم كيدهم شيئا بفضل الله وحفظه
الموعود للصابرين والمتقين ولان المجد فى الامر المندوب
بالاتقاء والصبر يكون قليل الانفعال جزما على الخصم وضمة
الراء للاتباع كضمة مد وقراءة ابن كثير ونافع وابو عمرو
ويعقوب لا يضركم من ضاره يضيره ان الله بما تعملون ه
من الصبر والتقوى وغيرهما محيط اى محيط علمه فيجازيكم
بما انتم اهله وقرئ بالياء اى بما يعملون فى عداوتكم عليهم ه
فيعاقبهم عليه واذ غدوت اى واذكر اذ غدوت من اهلك
من حجرة عائشة تبوئ المؤمنين تتخذ لهم او تسوى وتهيئ
لهم ويؤيده القراءة بالالف مقاعد للقتال مواقف واماكن
له وقد يستعمل المقعد والمقام بمعنى المكان على الاتساع كقوله
تعالى فى مقعد صدق وقوله قبل ان تقوم من مقامك والله ه
سميع لاقوالكم عليم بنياتكم روى ان المشركين نزلوا باحد
يوم الاربعاء ثانى عشر شوال سنة ثلث من الهجرة فاستشار
رسول الله صلعم اصحابه ودعا عبد الله بن ابى ولم يدعه
قبل فقال هو ذا كثى الانصار اقم يا رسول الله بالمدينة ولا تخرج
اليهم فو الله ما خرجنا منها الى عدو الا اصاب منا ولا دخلها
علينا الا اصبنا منه فكيف وانت فينا فدعهم فان اقاموا
اقاموا بشر محبس وان دخلوا قاتلهم الرجال ورماهم ه
النساء والصبيان بالحجارة وان رجعوا رجعوا خائبين والتشاور
بعضهم الى الخروج فقال صلعم رايت فى المنام بقرا مذبوحة حولى
فاولتها خيرا ورايت كانى ادخلت يدى فى درع حصينة
فاولته المدينة فان رايتم ان تقيموا بالمدينة وتدعوهم
فقال رجال فاستهم بدد واكرمهم الله بالشهادة يوم ه
احد اخرج بنا الى اعدائنا ويا لغوا حتى دخل فلبس لامته

يكم

رجعوا ح

ورايت فى ذباب سيفى ثلما
فاولته هزيمة ح

فلمّا راوا ذلك ندموا على مبالغتهم فقالوا اصنع يا رسول
الله ما رايتَ فقال لاينبغي لنبيّ ان يلبس لأمته فيضعها
حتّى يقاتل فخرج بعد صلوة الجمعة فاصبح بشعب احد
يوم السّبت ونزل في عدوة الوادي وجعل ظهره و
عسكره الى احد وسوّى صفوفهم وامّر عبد الله بن جبير
على الرّماة وقال انضحوا عنّا بالنّبل لايتوا من ورائنا
اذ همّت طائفتان منكم بنو اسلمة من الخزرج وبنو حارثة
عن الاوس وكانا جناحي العسكر ان تفشلا ان تجبنا
وتضعفا روي انهم خرج في ذلك الف رجل ووعدهم
النّصر ان صبروا فلمّا بلغوا الشّوط اعتزل ابن ابيّ وثلثمائة
وقال علام نقتل انفسنا واولادنا فتبعهم عمرو بن حزم
الانصاري وقال انشدكم الله في نبيّكم وانفسكم فقال ابن
ابيّ لو نعلم قتالا لاتبعناكم فهم الحيّان بانباعه فعصمهم
الله فخضعا مع رسوله والظّاهر انّه ما كانت عزيمة لقوله
والله وليّهما اي عاصمها عن اتّباع تلك الخطرة ويجوز ان
يراد والله ناصرهما فما لهما يفشلان وعلى الله فليتوكّل المؤ
منون اي فليتوكّلوا عليه ولايتوكّلوا على غيره لينصرهم
كما نصرهم ببدر ولقد نصركم الله ببدر تذكير ببعض ما
افادهم التّوكّل وبدر ماء بين مكّة والمدينة كان لرجل يسمّى
بدرا او انتم اذلّة حال من الضّمير وانّما قال اذلّة ولم
يقل ذلائل ليدلّ على قلّتهم مع ذلّتهم لضعف الحال وقلّة
المراكب والسّلاح فاتّقوا الله في الثبات لعلّكم تشكرون
ما انعم عليكم بتقواكم من نصره او لعلّكم ينعم الله عليكم
فتشكرون فوضع الشّكر موضع الانعام لانّه سببه اذ
تقول للمؤمنين ظرف لنصركم وقيل بدل ثان من اذ هـ

متعلق بقوله سميع عليم او بدل من قوله اذ غدوت ح

الى احد ح

رئيس المنافقين ح

الله ح ٢

فسمى ٢ ح

٣

ح

غدوت على انّ قوله لهم يوم احد وكان مع اشتراط الصّبر
والتّقوى عن المخالفة فلمّا لم يصبروا عن القيام وخا
لفوا امر رسول الله ﷺ لم تنزل الملائكة الّا ان يكفيكم ان
يمدّكم ربّكم بثلثة آلاف من الملائكة منزلين انكاد ان
لايكفيهم ذلك وانما جيء بلن اشعارا بانّهم كانوا كالآ
يسين من النّصر لضعفهم وقلّتهم وقوّة العدوّ وكثر
قيل امدّهم الله يوم بدر اوّلا بالف من الملائكة ثمّ صاروا
ثلثة آلاف ثمّ صاروا خمسة وقراء ابن عامر منزلين هـ
بالتّشديد للتّكثير والتّدريج بلى ايجاب لما بعد لن
اي بلى يكفيكم ثمّ وعدلهم الزّيادة على الصّبر والتّقوى
حثّا عليهما وتقوية لقلوبهم فقال ان تصبروا وتتّقوا
ويأتوكم اي المشركون من فورهم هذا من ساعتهم هذه
وهو في الاصل مصدر فارت القدر اذا غلت فاه
ستعير للسّرعة ثمّ اطلق للحالة الّتي لاريب فيها ولاهـ
تراخي والمعنى ان يأتوكم في الحال يمددكم ربّكم بخمسة آلاف
من الملائكة في حال اتيانهم بلا تراخ وتأخير مسوّمين
معلّمين من التّسويم الّذي هو اظهار شيء الشّيء لقوله ﷺ
لاصحابه تسوّموا فان الملائكة قد تسوّمت او مرسلين
من التّسويم بمعنى الاسامة وقراء ابن كثير وابو عمرو و
عاصم ويعقوب بكسر الواو وما جعله الله وما جعل امدا
الا بشرى لكم الا بشارة لكم بالنّصر ولتطمئنّ قلوبكم به و
لتسكن اليه من الخوف وما النّصر الا من عند الله لا من
العدّة والعدد وهو تنبيه على انّه لاحاجة في نصرهم الى مدد
وانّما امدّهم ووعدلهم به بشارة لهم وربطا على قلوبهم
من حيث ان نظر العامّة الى الاسباب اكثر وحثّا على ان

تمام

دكم

الايبالغ من تأنف عنهم العزيز الذى لايغالب فى قضيته ه
الحكيم الذى ينصر ويخذل بوسط وغيره وسط على مقتضى
الحكمة والمصلحة ليقطع طرفا من الذين كفروا متعلق بنصركم
او وما النصر الا ان كان اللام فيه للعهد والمعنى لينقص منهم
بقتل بعض واسر آخرين وهو ماكان يوم بدر من قتل ه
سبعين واسر سبعين من صناديدهم او يكبتهم اى يخزيهم
والكبت شدة غيظ او وهن يقع فى القلب واو للتنويع
دون الترديد فينقلبوا خائبين فيما هموا منقطعى الآمال ليس
لك من الامر شئ اعتراض اويتوب عليهم اويعذبهم عطف
على قوله اويكبتهم والمعنى ان الله مالك امرهم فاما ان يتوب عليهم
اويكبتهم عليهم ان اسلموا اويعذبهم ان اصروا وليس لك من ٨ اويتوب ج
امرهم شئ وانما انت عبد مأمور بانذارهم وجهادهم وله
يحتمل ان يكون معطوفا على الامر او شئ باضمار ان اى ليس لك
من امرهم او من التوبة عليهم او من تعذيبهم شئ او ليس
لك من امرهم شئ او التوبة عليهم او تعذيبهم وان يكون او
بمعنى الا ان اى ليس لك من امرهم شئ الا ان يتوب الله عليهم
فتسر بهم او يعذبهم فتشفى منهم روى ان عتبة بن ابى ه
وقاص شجه يوم احد وكسر رباعيته فجعل يمسح الدم عن
وجهه ويقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم ه
فنزلت وقيل اهم ان يدعو عليهم فنهاه الله بعلمه بان فيهم
من يؤمن فانهم ظالمون قد استحقوا التعذيب بظلمهم ه
ولله ما فى السموات وما فى الارض خلقا وملكا وله الامر
كله يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء صريح فى نفى وجوب ه
التعذيب والتقييد بالتوبة وعدمها كالمنافى له والله غفور
رحيم لعباده فلاتبادر الى الدعاء عليهم يا ايها الذين آمنوا

لاتأكلوا الربوا اضعافا مضاعفة لاتزيدوا زيادات مكررة
ولعل التخصيص بحسب الواقع اذ كان الرجل منهم يربى الى
اجل ثم يزيد فيه زيادة اخرى حتى يستغرق بالشئ ه
الطفيف مال المديون وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب
مضعفة واتقوا الله فيما نهيتم عنه لعلكم تفلحون راجين
الفلاح واتقوا النار التى اعدت للكافرين بالتحذير عن
متابعتهم وتعاطى افعالهم وفيه تنبيه على ان النار باقية
معدة للكفار وبالعرض للعصاة واطيعوا الله والرسول
لعلكم ترحمون اتبع الوعيد بالوعد ترهيبا عن المخالفة و
ترغيبا على الطاعة ولعل وعسى فى امثال ذلك دليل عزة
التوصل الى ما جعل خبرا له وسارعوا بادروا واقبلوا الى
مغفرة من ربكم الى ما يستحق به المغفرة كالاسلام والتوبة
والاخلاص وقرأ نافع وابن عامر سارعوا بلا واو و
جنة عرضها السموات والارض اى عرضها كعرضهما وذكر
العرض للمبالغة فى وصفها بالسعة على طريق التمثيل لانه
دون الطول وعن ابن عباس كسبع سموات وسبع ارضين
لو وصل بعضها ببعض اعدت للمتقين هيئت لهم وفيه دليل
على ان الجنة مخلوقة وانها خارجة عن هذا العالم الذين ه
ينفقون صفة مادحة للمتقين او مدح منصوب او مرفوع
فى السراء والضراء فى حالة الرخاء والشدة او الاحوال ه
كلها ان الانسان لايخلو عن مسرة ومضرة اى لايخلون
فى حال ما عن انفاق ما قدروا عليه من قليل او كثير والكاظمين
الغيظ الممسكين عليه الكافين عن امضائه مع القدرة من عليه ٨
كظمت القربة اذا ملأتها وشددت رأسها وعن النبى ه
من كظم غيظا وهو قادر على انفاذه ملأ الله قلبه امنا وايمانا

والعافين عن الناس التاركين عقوبة من استحق منهم اخذته
وعن النبي ﷺ ان هؤلاء في امتي قليل الا من عصم الله وقد
كانوا كثيرا في الامم التي مضت والله يحب المحسنين يحتمل
الجنس ويدخل تحته هؤلاء والعهد فيكون الاشارة اليهم ه
والذين اذا فعلوا فاحشة فعلة بالغة في القبح كالزنا او ه
ظلموا انفسهم بان اذنبوا اي ذنب كان وقيل الفاحشة الكبيرة
وظلم النفس الصغيرة ولعل الفاحشة ما يتعدى وظلم النفس
ما ليس كذلك ذكروا الله تذكروا وعيده او حكمه او حقه العظيم
فاستغفروا لذنوبهم بالندم والتوبة ومن يغفر الذنوب
الا الله استفهام بمعنى النفي معترض بين المعطوفين والمراد به
وصفه تعالى بسعة الرحمة وعموم المغفرة والحث على الاستغفار
والوعد بقبول التوبة ولم يصروا على ما فعلوا ولم يقيموا
على ذنوبهم غير مستغفرين لقوله ﷺ ما اصر من استغفر و
ان عاد في اليوم سبعين مرة وهم يعلمون حال من يصروا اي
ولم يصروا على قبيح فعلهم عالمين به اولئك جزاؤهم مغفرة
من ربهم وجنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها
خبر الذين ان ابتدأت به وجملة مستأنفة مبينة لما قبلها
ان عطفت على المتقين او على الذين ينفقون ولا يلزم من
اعداد الجنة للمتقين والتائبين جزاء لهم ان لا يدخلها
المصرون كما لا يلزم من اعداد النار للكافرين جزاء لهم
ان لا يدخلها غيرهم وتنكير جنات على الاول يدل على ان
ما لهم ادون مما للمتقين الموصوفين بتلك الصفات ه
المذكورة في الآية المتقدمة وكفاك فارقا بين الفضيلتين
انه آيتهم بان بين انهم محسنون مستوجبون لمحبة الله
وذلك لانهم حافظوا على حدود الشرع وتخطوا الى الكما

فصل

لفضل

التخصيص بمكارمه وفضل آية هؤلاء بقوله ونعم اجر العاملين
لان المدارك لتقصيره كالعامل لتحصيل بعض ما فوت على نفسه
وكم بين المحسن والمتدارك والمحبوب والاجير ولعل تبديل
الجزاء بالاجر لهذه النكتة والمخصوص بالمدح محذوف تقديره
ونعم اجر العاملين ذلك يعني المغفرة والجنات قد خلت من قبلكم
سنن وقائع سنها الله في الامم المكذبة لقوله ﷺ وقتلوا تقتيلا ه
سنة الله في الذين خلوا من قبل وقيل امم قال شاعر ما عاين الناس
من فضل كفضلكم ولا ارى مثله في سالف السنن فسيروا في الارض
فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين لتعتبروا وتمتنعوا من اتباع ه
هلاكهم هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين اشارة
الى قوله قد خلت او مفهوم قوله فانظروا الى انه مع كونه بيانا
للمكذبين فهو زيادة بصيرة وموعظة للمتقين او الى ملخص
من امر المتقين والتائبين وقوله قد خلت اعتراض للبعث
على الايمان والتوبة وقيل الى القرآن ولا تهنوا ولا تحزنوا تسلية
لهم مما اصابهم يوم احد والمعنى لا تضعفوا عن الجهاد بما اصا
يوم احد ولا تحزنوا على من قتل منكم وانتم الاعلون وحالكم
انكم اعلى منهم شانا فانكم على الحق وقتالكم لله وقتلاكم في
الجنة وانهم على الباطل وقتالهم للشيطان وقتلاهم في النار
او لانكم اصبتم منهم يوم بدر اكثر مما اصابوا منكم اليوم او و
انتم الاعلون في العاقبة فيكون بشارة لهم بالنصر في الغلبة ه
ان كنتم مؤمنين متعلق بالنهي اي لا تهنوا ان صح ايمانكم فانه
يقتضي قوة القلب بالوثوق على الله او بالاعلون ان يمسسكم
قرح فقد مس القوم قرح مثله قرا حمزة والكسائي وابن عياش
عن عاصم بضم القاف والباقون بالفتح وهما لغتان كالضعف و

بكم

بوا

الضعف وقيل هو بالفتح الجراح وبالضم الهاء والمعنى ان اصا

منكم يوم احد فقد اصبتم منهم يوم بدر مثله ثم انهم لم يضعفوا
ولم يهنوا فانتم اولى بان لا تضعفوا فانكم ترجون من الله ه
مالا يرجون وقيل كلا المسين كان يوم احد فان المسلمين نالوا
منهم قبل ان يخالفوا امر الرسول وتلك الايام نداولها بين الناس
نصرفها بينهم نديل لهؤلاء تارة ولهؤلاء اخرى كقوله فيوما
علينا ويوما لنا ويوما نساء ويوما نسر والمداولة كالمعاودة
يقال داولت الشئ بينهم فتداولوه والايام تحتمل الوصف و
الذات ونداولها يحتمل الذي والحال والمراد بها اوقات النصر
والغلبة وليعلم الله الذين آمنوا عطف على علة محذوفة اى ه
نداولها ليكون كيت وكيت وليعلم الله ايذانا بان العلة فيه
واحدة وان ما يصيب المؤمن فيه من المصالح ما لا يعلم والفعل ه
المعلل به محذوف تقديره وليميز الثابتون على الايمان من الذين
على حرف فعلنا ذلك والقضية في امثاله ونقائضه ليس الى اثبات
علمه كه ونفيه بل الى اثبات المعلوم ونفيه على طريقة البرهان
وقيل معناه ليعلمهم علما يتعلق به الجزاء وهو العلم بالشئ ه
موجودا ويتخذ منكم شهداء ويكرم ناسا منكم بالشهادة ه
يريد شهداء احدا ويتخذ منكم شهداء معدلين بما صودف منهم ه
من الثبات والصبر على الشدايد والله لا يحب الظالمين الذين ه
يضمرون خلاف ما يظهرون او الكافرين وهو اعتراض وفيه ه
تنبيه على انه كه لا ينصر الكافرين على الحقيقة وانما يغلبهم احيانا
استدراجا لهم وابتلاء للمؤمنين وليمحص الله الذين آمنوا
ليطهرهم ويصفيهم من الذنوب ان كانت الدولة عليهم ويمحق
الكافرين ويهلكهم ان كانت عليهم والمحق نقص الشئ قليلا ه
قليلا ام حسبتم ان تدخلوا الجنة بل احسبتم ومعناه الانكار ولما
يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولما تجاهدوا بعضكم وفيه دليل على

من الذنوب ان كانت الدولة عليهم ويمحق الكافرين و
يهلكهم ان كانت عليهم ويمحق نقص الشئ قليلا قليلا ام ه
حسبتم ان تدخلوا الجنة بل احسبتم ومعناه الانكار ولما يعلم
الله الذين جاهدوا منكم ولما تجاهدوا بعضكم وفيه دليل ه
على انه فرض كفاية والفرق بين لما ولم ان فيه توقع الفعل
فيما يستقبل وقرئ يعلم بفتح الميم على ان اصله يعلمن فحذفت
النون ويعلم الصابرين نصب باضمار ان على ان الواو للجمع
وقرئ بالرفع على ان الواو للحال كانه قال ولما تجاهدوا و
انتم صابرون ولقد كنتم تمنون الموت اى الحرب فانها من
اسباب الموت او الموت بالشهادة والخطاب للذين لم
يشهدوا بدرا وتمنوا ان يشهدوا مع رسول الله يوم ه
مشهدا لينالوا ما نال شهداء بدر من الكرامة فلما لقوا يوم
احد على الخروج من قبل ان تلقوه من قبل ان تشاهدوه
وتعرفوا شدته فقد رأيتموه وانتم تنظرون فقد رأيتموه
معاينين له حين قتل دونكم من قتل من اخوانكم وهو تع
بيخ لهم على انهم تمنوا الحرب وتسببوا لها ثم اجتنبوا
وانهزموا عنها او على تمني الشهادة فان في تمنيها تمني
غلبة الكفار وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل
فسيخلو كما خلوا بالموت او القتل أفإن مات او قتل انقلبتم
على اعقابكم انكفرتم بعد ارتدادهم وانقلابهم على اعقابهم
عن الدين لخلوه بموت او قتل بعد علمهم لخلو الرسل قبله
وبقاء دينهم متمسكا به وقيل الفاء للسببية والهمزة للانكار
ان يجعلوا خلو الرسل قبله سببا لانقلابهم على اعقابهم بعد
وفاته روى انه لما نادى عبد الله بن قميئة الحارثي رسول
الله ﷺ بمكة فكسر رباعيته وشج وجهه فذب عنه مصعب

ابن عمير وكان صاحب الراية حتى قتله ابن قميئة وهو يرى
انه قتل النبى ﷺ فقال قد قتلت محمدا وصرخ الا ان محمدا قد قتل
فانكفاء الناس وجعل الرسول يدعو الى عباد الله فانحاز
اليه ثلثون من اصحابه وحموه حتى كشفوا عنه المشركين و
تفرق الباقون وقال بعضهم ليت ابن ابى يأخذ لنا امانا
من ابى سفيان وقال ناس من المنافقين لو كان نبيا لما قتل
ارجعوا الى اخوانكم ودينكم فقال انس بن النضر عم انس
ابن مالك يا قوم ان كان قتل محمد فان رب محمد حى لا يموت
وما تصنعون بالحياة بعده فقاتلوا على ما قاتل عليه ثم قال
اللهم انى اعتذر اليك مما يقول هؤلاء وابرأ منه وشد بسيفه
فقاتل حتى قتل فنزلت ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله
شيئا بارتداده بل يضر نفسه وسيجزى الله الشاكرين على
نعمة الاسلام بالثبات عليه كانس واخوانه وما كان لنفس
ان تموت الا باذن الله الا بمشيته له او باذنه لملك الموت فى قبض
روحه والمعنى ان لكل نفس اجلا مسمى فى علمه له وقضائه لا
يستأخرون ساعة ولا يستقدمون بالاحجام عن القتال والا
قدام عليه وفيه تحريض وتشجيع على القتال ووعد للرسول
بالحفظ وتأخير الاجل كتابا مصدر مؤكد اذ المعنى كتب الموت
كتابا مؤجلا صفة له اى موقتا لا يتقدم ولا يتأخر ومن يرد
ثواب الدنيا نؤته منها تعريض بمن شغلتهم الغنائم يوم
احد فان المسلمين حملوا على المشركين وهزموهم واخذوا
ينهبون فلما رأى الرماة ذلك اقبلوا على النهب وخلوا
مكانهم فانتهز المشركون وحملوا عليهم من ورائهم فهزموهم ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها اى من ثوابها و
سنجزى الشاكرين الذين شكروا نعمة الله فلم يشغلهم شئ

عن الجهاد وكأين اصله اى دخلت الكاف عليها وصارت بمعنى
كم والنون تنوين انبت فى الخط على غير قياس وقراءة ابن
كثير وكائن كعاع ووجهه انه قلب قلب الكلمة الواحدة
كفعلهم رعملى فى لعمرى فصار كيأ ثم حذف الياء الثانية
للتخفيف ثم ابدلت الياء الاخرى الفا كما ابدلت من طائى
من نبى بيان له قاتل معه ربيون كثير ربانيون علماء
اتقياء او عابدون لربهم وقيل جماعات والربى منسوب الى
الربة وهى الجماعة للمبالغة وقراءة ابن كثير ونافع وابن عمرو
ويعقوب قتل واسناده الى ربيون او ضمير النبى ومعه
ربيون حال عنه ويؤيده الاول انه قرئ بالتشديد وقرئ
ربيون بالفتح على الاصل وبالضم وهو من تغيرات النسب
كالكسر فما وهنوا لما اصابهم فى سبيل الله فما فتروا ولم ينكسر
جدهم لما اصابهم من قتل النبى او بعضهم وما ضعفوا عن
العدو او فى الدين وما استكانوا وما خضعوا للعدو واصله
استكن من السكون لان الخاضع يسكن لصاحبه ليفعل به ما
يريده والالف من اشباع الفتحة او استكون من الكون لانه
يطلب من نفسه ان تكون لمن يخضع له وهذا تعريض لما اصابهم
عند الارجاف بقتله ﷺ والله يحب الصابرين فينصرهم ويعظم
قدرهم وما كان قولهم الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا و
اسرافنا فى امرنا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين
اى وما كان قولهم مع ثباتهم وفوقهم فى الدين وكونهم
ربانيين الا هذا القول وهو اضافة الذنوب فى الاسراف الى
انفسهم لقضمها لها واضافة ما اصابهم الى سوء اعمالهم و
الاستغفار عنها ثم طلب التثبيت فى مواطن الحرب والنصر
على العدو ليكون عن خضوع وطهارة فيكون اقرب الى الا

جابة وانما جعل قولهم خبلا لان ان قالوا اعرف لدلالته على
جهة النسبة وزمان الحدث فاثابهم الله ثواب الدنيا وحسن
ثواب الآخرة والله يحب المحسنين فاثابهم الله بسبب
الاستغفار واللجاء الى الله النصر والغنيمة والعز وحسن
الذكر في الدنيا والجنة والنعيم في الآخرة وخص ثوابها
بالحسن اشعارا بفضله وانه المعتد به عند الله يا ايها الذين
آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم على اعقابكم فتنقلبوا
خاسرين نزلت في قول المنافقين للمؤمنين عند الهزيمة
ارجعوا الى دينكم والخوانكم ولو كان محمد نبيا لما قتل وقيل
ان تستكينوا لابي سفيان واشياعه وتستأمنوهم يردوكم
الى دينهم وقيل عام في مطاوعة الكفار والنزول على
حكمهم فانه يستجر الى موافقتهم بل الله مولاكم ناصركم
وقرئ بالنصب على تقدير بل اطيعوا الله مولاكم وهو
خير الناصرين فاستغنوا به عن ولاية غيره ونصره سنلقي
في قلوب الذين كفروا الرعب بريد ما قذف في قلوبهم من
الخوف يوم احد حتى تركوا القتال ورجعوا من غير سبب و
نادى ابو سفيان يا محمد موعدنا موسم بدر لقابل ان شئت
فقال ع ان شاء الله وقيل لما رجعوا وكانوا ببعض الطريق
ندموا وعزموا ان يعودوا عليهم ليستأصلوهم فالقى الله
الرعب في قلوبهم وقرأ ابن عامر والكسائي ويعقوب بالضم
لضم على الاصل في كل القرآن بما اشركوا بالله بسبب اشراكهم
به ما لم ينزل به سلطانا اى آلهة ليس على اشراكها حجة ولم
ينزل عليهم به سلطانا وهو كقوله ولا ترى الضب بها
ينجحر واصل التسلط من القوة ومنه السليط لقوة اشتعاله
والسلاطة لحدة اللسان ومأواهم النار وبئس مثوى

الظالمين اى مثواهم فوضع الظاهر موضع المضمر للتغليظ
والتعليل ولقد صدقكم الله وعده اى وعده اياهم بالنصر
بشرط التقوى والصبر وكان كذلك حتى خالف الرماة هـ
فان المشركين لما اقبلوا جعل الرماة يرشقونهم والباقون
يضربونهم بالسيف حتى انهزموا والمسلمين على اثارهم
اذ تحسونهم باذنه تقتلونهم من احسه اذا ابطل حسه
حتى اذا فشلتم جبنتم لضعف رأيكم او ملتم الى الغنيمة فان
الحرص من ضعف العقل وتنازعتم في الامر يعني اختلافكم
حين انهزم المشركون فقال بعضهم لنا موقفنا هذا وقال
آخرون لا نخالف امر الرسول فثبت مكانه امير هم في نفر
دون العشرة ونفر الباقون للنهب وهو المعنى بقوله وعصيتم
من بعد ما اراكم ما تحبون من الظفر والغنيمة وانهزام
العدو وجواب اذا محذوف وهو امتحنكم منكم يريد الذ
وهم الناركون المركز للغنيمة ومنكم من يريد الآخرة وهم
الثابتون محافظة على امر الرسول ثم صرفكم عنهم ثم لكفكم
عنهم حتى حالت الحال فغلبوكم ليبتليكم على المصائب و
محنكم ثباتكم على الايمان عندها ولقد عفا عنكم تفضلا و
لما علم من ندامتهم على المخالفة والله ذو فضل على المؤمنين
يتفضل عليهم بالعفو في الاحوال كلها سواء ادیل لهم او
عليهم اذ تصعدون الابتلاء ايضا حمة اذ تصعدون متعلق بصرفكم
او ليبتليكم او بعفا عنكم كاذكر والاصعاد والذهاب والابعاد
في الارض يقال اصعد نا من مكة الى المدينة ولا تلوون على احد لا
يقف احد لاحد ولا ينتظره والرسول يدعوكم كان
يقول الى عباد الله انا رسول الله من يكرّ فله الجنة في
اخراكم في ساقتكم وجماعتكم الاخرى فاثابكم غما بغم لكيلا

ة

نيا
من ع ٨

تحزنوا على ما فاتكم ولا ما اصابكم عطف على صرفكم والمعنى
فيجازيكم الله عن فشلكم وعصيانكم غما متصلا بغم من الاه
غنام بالقتل والجرح وظفر المشركين والارجاف بقتل الرسول
او فيجازيكم غما بسبب غم اذ فتموه رسول الله ﷺ بعصيانكم
له لتمرنوا على الصبر فى الشدائد فلا تحزنوا فيما بعد على
نفع فائته ولا ضر لاحق وقيل لا مزيدة والمعنى لتأسفوا
على ما فاتكم من الظفر والغنيمة وعلى ما اصابكم من الجرح و
الهزيمة عقوبة لكم وقيل الضمير فى ما اصابكم للرسول
فاساكم فى الاغتمام فاغتم بما نزل عليكم كما اغتممتم بما نزل
عليه ولم يثبكم على عصيانكم تسلية لكم لئلا تحزنوا على
ما فاتكم من النصر ولا على ما اصابكم من الهزيمة والله خبير
بما تعملون عالم باعمالكم وبما قصد بها ثم انزل عليكم من
بعد الغم امنة نعاسا انزل الله عليكم الامن اخذكم النعاس
وعن ابى طلحة غشينا النعاس فى المصاف حتى كان السيف
يسقط من يد احدنا فيأخذه ثم يسقط فيأخذه وامنة
الامن نصب على المفعول ونعاسا بدل منها او هو المفعول
وامنة حال منه متقدمة او مفعول له او حال من المخاطبين
بمعنى ذوى امنة او على انه جمع امن كبار وبررة وقرئ امنة
كانها المرة من الامن يغشى طائفة منكم اى النعاس وقراء
حمزة والكسائى بالتاء ردا على امنة والطائفة المؤمنون
حقا وطائفة هم المنافقون قد اهمتهم انفسهم اوقعتهم
انفسهم فى الهموم او ما يهم الا انفسهم وطلب خلاصها
يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية صفة اخرى لطائفة
او حال او استيناف على وجه البيان لما قبله وغير الحق نصب
على المصدر اى يظنون بالله غير الظن الحق الذى يحق

بسكون الميم

ان يظن به وظن الجاهلية بدله وهو الظن المختص بالملة الجاهلية
واهلها يقولون اى لرسول الله ﷺ وهو بدل من يظنون هو
هل لنا من الامر من شئ هل لنا مما امر الله ووعد من النصر وا
لظفر نصيب قط وقيل اخبر ابن ابى بقتل بنى الخزرج فقال
ذلك والمعنى انا منعنا تدبير انفسنا وتصريفها باختيارنا
فلم يبق لنا من الامر شئ او هل يرد علينا هذا القهر فيكون
لنا من الامر شئ قل ان الامر كله لله اى الغلبة الحقيقة لله وا
ولياؤه فان حزب الله هم الغالبون او القضاء له يفعل ما ه
يشاء ويحكم ما يريد وهو اعتراض وقراء ابو عمرو ويعقوب
كله بالرفع على الابتداء يخفون فى انفسهم ما لا يبدون لك
حال من ضمير يقولون اى يقولون مظهرين انهم مستر
شدون طالبون للنصر مبطنين للانكار والتكذيب يقو
لون اى فى انفسهم او اذا خلا بعضهم الى بعض وهو
بدل من يخفون او استيناف على وجه البيان لو كان لنا
من الامر شئ كما وعد محمد وزعم ان الامر كله لله ولاوليائه
او لو كان لنا اختيار وتدبير لم نبرح كما كان رأى ابن ابى
وغيره ما قتلنا ههنا لما غلبنا ولما قتل من قتل منا فى هذه ه
المعركة قل لو كنتم فى بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل
الى مضاجعهم اى لخرج الذين كتب الله عليهم القتل الذى
فى اللوح المحفوظ الى مصارعهم ولم تنفع الاقامة بالمدينة
ولم ينج منه احد فانه قدر الامور ودبرها فى سابق ه
قضائه لا معقب لحكمه وليبتلى الله ما فى صدوركم وليمحص
ما فى صدوركم ويظهر سرائرها من الاخلاص والنفاق
وهو علة فعل محذوف اى فعل ذلك ليبتلى او عطف على
محذوف اى ليبرز لنفاذ القضاء او لمصالح جمة والابتلاء

امر من ج ٢

هو كائن

او على قوله لكيلا تحزنوا ولِيُمَحِّصَ ما فى قلوبكم وليكشفه ويميزه
او يخلصه من الوساوس والله عليم بذات الصدور بخفياتها
قبل اظهارها وفيه وعد ووعيد وتنبيه على انه غنى عن الا
بتلاء وانما فعل ذلك لتمييز المؤمنين واظهار حال المنافقين
ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان
ببعض ما كسبوا يعنى ان الذين انهزموا يوم احد انما كان السبب
فى انهزامهم ان الشيطان طلب منهم الزلل فاطاعوه واقترفوا
ذنوبا بتركهم المركز والحرص على الغنيمة او الجبهة فمنعوا التأييد
وقوة القلب بمخالفة النبى ع وقيل استزلال الشيطان توليهم
وذلك بسبب الذنوب سلفت لهم فان المعاصى تجر بعضها
بعضا كالطاعة وقيل استزلهم بذكر ذنوب سلفت منهم
وكرهوا القتل قبل اخلاص التوبة والخروج من المظلمة ه
ولقد عفا الله عنهم لتوبتهم واعتذارهم ان الله غفور للذ
نوب حليم لا يعاجل بعقوبة المذنب كى يتوب يا ايها الذين آمنوا
لا تكونوا كالذين كفروا يعنى المنافقين وقالوا لاخوانهم ه
لاجلهم وفيهم ومعنى اخوتهم اتفاقهم فى النسب او المذهب
اذا ضربوا فى الارض اذا سافروا فيها وابعد والشجارة
او غيرها وكان حقه اذ لقوله قالوا لكنه جاء على حكاية ه
الحال الماضية او كانوا غزى جمع غاز كعاف وعفى لو كانوا
عندنا ما ماتوا وما قتلوا مفعول قالوا وهو يدل على ان ه
اخوانهم لم يكونوا مخاطبين به ليجعل الله ذلك حسرة ه
فى قلوبهم متعلق بقالوا على ان اللام لام العاقبة مثلها
فى ليكون لهم عدوا وحزنا او لا تكونوا اى لا تكونوا
مثلهم فى النطق بذلك القول والاعتقاد ليجعله حسرة
فى قلوبهم خاصة فذلك اشارة الى ما دل عليه قولهم من ه

منين

الاعتقاد وقيل الى ما دل عليه النهى اى لا تكونوا مثلهم ليجعل الله
انتفاء كونكم مثلهم حسرة فى قلوبهم فان مخالفتهم ومضادتهم
مما يغمهم والله يحيى ويميت رد لقولهم اى هو المؤثر فى الحياة
والممات لا الاقامة والنفر فانه قد يحيى المسافر والغازى
ويميت المقيم والقاعد والله بما تعملون بصير تهديد للمؤ
منين على ان يماثلوهم وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائى بالياء على
انه وعيد للذين كفروا ولئن قتلتم فى سبيل الله او متم اى
متم فى سبيله وقرأ نافع وحمزة وكسائى بكسر الميم من مات
يمات لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون جواب القسم
وهو سادّ مسدّ الجزاء والمعنى ان التفرق والغزاء ليس
مما يجلب الموت ويقدم الاجل وان وقع ذلك فى سبيل
الله فما تنالون من المغفرة والرحمة بالموت خير مما يجمعون
من الدنيا ومنافعها لو لم تموتوا وقرأ حفص بالياء
ولئن متم او قتلتم على اى وجه اتفق هلاككم لا الى الله ه
تحشرون لا الى معبودكم الذى توجهتم اليه وبذلتم ه
مهجتكم لوجهه لا الى غيره لامحالة تحشرون فيوفى جزاءكم
وبعظم ثوابكم وقرأ حمزة ونافع وكسائى متم بكسر الميم
رحمة من الله لنت لهم اى فبرحمة وما مزيدة للتأكيد
والدلالة على ان لينته لهم ما كان الا برحمة من الله وهو
ربطه على جأشه وتوفيقه للرفق بهم حتى اغتم لهم بعد
ما خالفوه ولو كنت فظا من الخلق جافيا غليظ القلب
قاسيه لا نفضوا من حولك لتفرقوا عنك ولم يسكنوا اليك
فاعف عنهم فيما يختص بك واستغفر لهم فيما لله وشاورهم
فى الامر اى فى امر الحرب اذ الكلام فيه او فيما يصح ان يشا
فيه استظهارا لرأيهم وتطييبا لنفوسهم وتمهيدا لسنة ه

المشاورة للامة فاذا عزمت فاذا وطنت نفسك على شئ فه
بعد الشورى فتوكل على الله فى امضاء امرك على ما هو ه
اصلح لك فانه لا يعلمه سواه وقرئ فاذا عزمت على التكلم
اى فاذا عزمت لك على شئ وعينته لك فتوكل علىّ ولا تشا
ورفيه احدا ان الله يحب المتوكلين فينصرهم ويهديهم
الى الصلاح ان ينصركم الله كما نصركم يوم بدر فلا غالب
لكم فلا احد يغلبكم وان يخذلكم كما خذل كم يوم احد فمن
ذا الذى ينصركم من بعده من بعد خذلانه او من بعد الله
بمعنى اذا جاوزتموه فلا ناصر لكم وهذا تنبيه على المقتضى
للتوكل وتحريض على ما يستحق به النصر من الله وتحذير
عما يستجلب خذلانه وعلى الله فليتوكل المؤمنون فليخصوه
بالتوكل عليه لما علموا ان لا ناصر سواه وآمنوا به وما كان
لنبى ان يغل وما صح لنبى ان يكون له فى الغنائم فان النبوة
تنافى الخيانة يقال غل شيئا من المغنم يغل غلولا دخل
احدا اذا اخذه فى خفية والمراد منه اما براءة الرسول الله
عما اتهم به اذ روى ان قطيفة حمراء فقدت يوم بدر
فقال بعض المنافقين لعل رسول الله اخذها او ظن به ه
الرمات يوم احد حين تركوا المركز للغنيمة وقالوا نخشى ه
ان يقول رسول الله من اخذ شيئا فهو له ولا يقسم الغنائم
واما المبالغة فى النهى للرسول على ما روى انه بعث ه
طلايع فغنم رسول الله فقسم على من معه ولم يقسم لطلايع
فنزلت فيكون تسمية حرمان بعض المستحقين غلولا ه
تغليظا ومبالغة ثانية وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائى
ويعقوب على البناء للمفعول والمعنى وما صح له ان يوجد ه
غالا او ان ينسب الى الغلول ومن يغلل يأت بما غل يوم ه

لغة

ان يغل ح

القيمة يأت بالذى غله يحمله على عنقه كما جاء فى الحديث او بما ه
احتمل من وباله واثمه ثم توفى كل نفس ما كسبت تعطى جزاء
ما كسبت وافيا وكان الاولى بما قبله ان يقال ثم يوفى ما ه
كسبت لكنه عمم الحكم ليكون كالبرهان على المقصود والمبا
فيه فانه اذا كان كل كاسب مجزيا بعمله فالغال مع عظم جرمه
بذلك اولى وهم لا يظلمون فلا ينقص ثواب مطيعهم ولا يزا
زاد عقاب عاصيهم افمن اتبع رضوان الله بالطاعة كمن
باء رجع فى بسخط من الله بسبب المعاصى ومأويه جهنم وبئس
المصير الفرق بينه وبين المرجع ان المصير يجب ان يخالف
الحالة الاولى ولا كذلك المرجع هم درجات عند الله شبهوا با
لدرجات لما بينهم من التفاوت فى الثواب والعقاب او هم
ذو درجات والله بصير بما يعملون عالم بما عملوه ودرجا
صادرة عنهم فيجازيهم على حسبها لقد من الله على المؤمنين
انعم على من آمن مع الرسول من قومه وتخصيصهم مع ان نعمة
البعثة عامة لزيادة انتفاعهم بها وقرئ لمن من الله على انه
خبر محذوف مثل منه او بعثه اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم
من نسبهم او من جنسهم عربيا مثلهم ليفهموا كلامه بسهولة
ويكونوا واقفين على حاله فى الصدق والامانة مفتخرين
به وقرئ من انفسهم اى من اشرفهم لانه عليه السلام كان من
اشرف قبائل العرب وبطونهم يتلو عليهم آياته اى ه
القرآن بعد ما كانوا جهالا لا يسمعوا الوحى ويزكيهم يطهرهم
من دنس الطباع وسوء العقائد والاعمال ويعلمهم الكتا
والحكمة اى القرآن والسنة وان كانوا من قبل لفى ضلال ه
مبين ان هى المخففة واللام هى الفارقة والمعنى وان الشان
كانوا من قبل بعثة الرسول فى ضلال ظاهر اولما اصابتكم

هم ب

مصيبة قد اصبتم مثليها قلتم انى هذا الهمزة للتقريع والتقريع و
الواو عاطفة للجملة على ما سبق من قصة احد او على محذوف
مثل افعلتم كذا وقلتم ولما ظرف فيه المضاف الى اصابتكم اى حين
اصابتكم مصيبة وهى قتل سبعين منكم يوم احد والحال انكم قد
قلتم ضعفها يوم بدر من قتل سبعين واسر سبعين من اين
هذا اصابنا وقد وعدنا الله النصر قل هو من عند انفسكم اى
بما اقترفته انفسكم من مخالفة الامر بترك المركز فان الوعد
كان مشروطا بالثبات والمطاوعة او اختيار الخروج من
المدينة وعن على رضى الله عنه باختياركم الفداء يوم بدر ان
الله على كل شئ قدير فيقدر على النصر ومنعه وعلى ان يصيب بكم
ويصيب منكم وما اصابكم يوم التقى الجمعان جمع المسلمين وجمع
المشركين يريد يوم احد فباذن الله فهو كائن بقضائه و
تخليته الكفار سنتها اذنا لانها من لوازمه وليعلم المؤمنين
وليعلم الذين نافقوا وليتميز المؤمنون والمنافقون هو
فيظهر ايمان هؤلاء وكفر هؤلاء وقيل لهم عطف على هو
نافقوا داخل فى الصلة او كلام مبتدأ تعالوا قاتلوا فى
سبيل الله او ادفعوا تقسيم للامر عليهم وتخيير بين ان
يقاتلوا للآخرة او للدفع عن الانفس والاموال وقيل هو
معناه قاتلوا الكفرة او ادفعوهم بتكثيركم سواد الجيش فان
كثرة السواد مما يرعب العدو ويكسر منه قالوا لو نعلم
قتالا لا تبعناكم لو نعلم ما يصح ان يسمى قتالا لاتبعناكم فيه
لكنه ما انتم عليه ليس بقتال بل القاء الانفس الى التهلكة او
لو نحسن قتالا لاتبعناكم وانما قالوه دغلا واستهزاء
ثم الكفر يومئذ اقرب منهم للايمان لانخذالهم وكلامهم
هذا فانهم اول ما ارادت ظهرت منهم مؤذنة بكفرهم

وقيل هم لاهل الكفر اقرب نصرة منهم لاهل الايمان اذ كان انخذا
ومقالهم تقوية للمشركين وتخذيلا للمؤمنين يقولون بافواههم
ما ليس فى قلوبهم يظهرون خلاف ما يضمرون لايواطئ
قلوبهم السنتهم بالايمان واضافة القول الافواه تاكيد
وتصوير والله اعلم بما يكتمون من النفاق وما يخلو
به بعضهم الى بعض فانه يعلم مفصلا بعلم ولجب وانتم
تعلمونه مجملا بامارات الذين قالوا ارفع بدلا من الضمير
فى بافواههم او قلوبهم كقوله على جوده لضن بالماء حاتم
لاخوانهم اى لاجلهم يريد من قتل يوم احد من اقاربهم
او من جنسهم وقعدوا حال مقدرة بقد اى قالوا قاعدين
عن القتال لو اطاعونا فى القعود ما قتلوا كما لم نقتل وقراء
هشام ما قتلوا بتشديد القاف قل فادرءوا عن انفسكم الموت
ان كنتم صادقين اى ان كنتم صادقين انكم تقدرون على دفع القتل
عمن كتب عليه فادفعوا عن انفسكم الموت واسبابه فانه احرى
بكم والمعنى ان القعود غير مغن فان اسباب الموت كثيرة
كما ان القتال يكون سببا للهلاك والقعود سببا للنجاة قد يكون
الامر بالعكس ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله امواتا
نزلت فى شهداء احد وقيل فى شهداء بدر والخطاب لرسول
الله صلعم او لكل احد وقراء هشام بالياء وبالتاء ايضا كالذين
على اسناده الى ضمير الرسول او من يحسب صلعم او الى الذين قتلوا
والمفعول الاول محذوف لانه فى الاصل مبتدأ جاز الحذف
عند القرينة وقراء ابن عامر قتلوا بالتشديد بكثر المقتولين
بل احياء اى بل هم احياء وقرئ بالنصب على بل احسبهم
احياء عند ربهم ذو زلفى منه يرزقون من الجنة وهو
تاكيد لكونهم احياء فرحين بما اتاهم الله من فضله وهو شرف

لهم
هم

الحق ٨

من واو يكتمون او نصب
على الذم او الوصف للذين
نافقوا او جر بدل الحق ٧

معنى حق ٥

الشهادة والفوز بالحيوة الابدية والقرب من الله والتمتع بنعيم
الجنة ويستبشرون يسرون بالبشارة بالذين لم يلحقوا بهم
اى باخوانهم المؤمنين الذين لم يقتلوا فيلحقوا بهم من خلفهم
اى الذين من خلفهم زمانا او رتبة الآخذ فى علمهم ولاهم
يحزنون بدل من الذين والمعنى انهم يستبشرون بما تبين
لهم من الآخرة وحال من تركوا خلفهم من المؤمنين وهو انهم
اذا ماتوا او قتلوا كانوا احياء حياة لا يكدرها خوف و
وقوع محذور وحزن فوات محبوب والآية تدل على ان
الانسان غير هيكل المحسوس بل هو جوهر مدرك بذاته لا يفنى
بخراب البدن ولا يتوقف عليه ادراكه ولا تألمه والتذاذه وهو
يؤيد ذلك قوله تعالى فى آل فرعون النار يعرضون عليها الآية
وما روى ابن عباس انه لما اصيب اخوانكم بأحد جعل الله ارواحهم فى اجواف طير
خضر ترد انهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوى الى قناديل
معلقة فى ظل العرش ومن انكر ذلك ولم ير الروح الا ريحانه
وعرضا قال هم احياء يوم القيمة وانما وصفوا به فى الحال لتحققه
ودنوه او احياء بالذكر او بالايمان وفيها حث على الجهاد
وترغيب فى الشهادة وبعث على ازدياد الطاعة واجتهاد لمن تمنى
لاخوانه مثل ما انعم عليه وبشرى للمؤمنين بالفلاح يستبشرون
كرره للتأكيد وليعلق به ما هو بيان لقوله لا خوف ويجوز
ان يكون الاول لحال اخوانهم وهذا لحال انفسهم بنعمة من الله
ثوابا لاعمالهم وفضل زيادة عليه كقوله للذين احسنوا الحسنى
وزيادة وتنكيرهما للتعظيم وان الله لا يضيع اجر المؤمنين من
جملة المستبشر به عطف على فضل وقرأ الكسائى بالكسر على انه
استيناف معترض دال على ان ذلك اجر لهم على ايمانهم مشعر
بان من لا ايمان له اعماله محبطة واجوره مضيعة الذين استجابوا

امرح

لله والرسول من بعد ما اصابهم القرح صفة للمؤمنين او نصب
على المدح او مبتدأ خبره للذين احسنوا منهم واتقوا اجر
عظيم بجملته ومن للبيان والمقصود من ذكر الوصفين المدح و
التعليل لا التقييد لان المستجيبين كلهم محسنون متقون
روى ان ابا سفيان واصحابه لما رجعوا فبلغوا الروحاء ه
ندموا وهموا بالرجوع فبلغ ذلك رسول الله ه فندب
اصحابه للخروج فى طلبه وقال لا يخرجن معنا الا من حضر
يومنا بالامس فخرج ه مع جماعة حتى بلغوا حمراء الاسد و
هى ثمانية اميال من المدينة وكان باصحابه القرح فتحاملوا
على انفسهم حتى لا يفوتهم الاجر والقى الله الرعب فى قلوب
المشركين فذهبوا فنزلت الذين قال لهم الناس يعنى الركب
الذين استقبلهم من عبد القيس او نعيم بن مسعود الاشجعى
واطلق عليه الناس لانه من جنسهم كما يقال فلان يركب الخيل
ويمالها الا فرس واحد او لانه انضم اليه ناس من المدينة واذا
كلامهم ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم يعنى ابا سفيان ه
واصحابه وروى انه نادى عند انصرافه من احد يا محمد موعد
موسم بدر لقابل ان شئت فقال ه ان شاء الله فلما كان
القابل خرج فى اهل مكة حتى نزل مر الظهران فانزل الله
الرعب فى قلبه وبدا له ان يرجع فمر به ركب من عبد القيس
يريدون المدينة للميرة فشارطهم حمل بعير من زبيب ان
ثبطوا المسلمين وقيل لقى نعيم بن مسعود وقد قدم معتمرا
فسأله ذلك والتزم له عشرا من الابل فخرج نعيم فوجد المسلمين
يتجهزون فقال اتوكم فى دياركم فلم يفلت منكم
احد الا شريد افترون ان تخرجوا وقد جمعوا لكم ففزعوا ه
فقال ه والذى نفسى بيده لتخرجن ولو لم يخرج معى احد

فخرج في سبعين راكبا كلهم يقولون حسبنا الله فزادهم ايمانا
بالضمير المستكن للمفعول او المصدر قالوا ولفاعله ان اريد
نعيم وحده والبارز للمقول لهم والمعنى انهم لم يلتفتوا اليه
اليه ولم يضعفوا بل ثبت به ثقتهم بالله وازداد ايمانهم
واظهروا حمية الاسلام واخلصوا النية عنده وهو دليل على
ان الايمان يزيد وينقص ويعضده قول ابن عمر قلنا يا رسول
الله الايمان يزيد وينقص قال نعم يزيد حتى يدخل صاحبه
الجنة وينقص حتى يدخل صاحبه النار وهذا ظاهر ان جعل
الطاعة من جملة الايمان وكذا ان لم يجعل فان اليقين يزداد
بالالف وكثرة التأمل وتناصر الحجج وقالوا حسبنا الله محسبنا
وكافينا من احسبه اذا كفاه ويدل على انه بمعنى المحسب انه
لا يستفيد بالاضافة تعريفا في قولك هذا رجل حسبك ونعم الوكيل
الوكيل ونعم المعكول اليه هو فانقلبوا فرجعوا من بدر ملتبسين
بنعمة من الله بعافية وثبات على الايمان وزيادة فيه وفضل
وربح في التجارة فانهم لما تواعدوا وافوا بها سوقا فاتجروا
وربحوا لم يمسسهم سوء من جراحة وكيد عدو واتبعوا ما
رضوان الله الذي هو مناط الفوز بخيري الدارين لجوء تهم
وخروجهم والله ذو فضل عظيم قد فضل عليهم بالتثبيت و
زيادة الايمان والتوفيق للمبادرة الى الجهاد والتصلب في الدين
واظهار الجراءة على العدو والتحفظ عن كل ما يسوءهم واصابة
النفع مع ضمان الاجر حتى انقلبوا بنعمة منه وفضل وفيه تحسير
للمتخلف وتخطئة لرأيه حيث حرم نفسه ما فاز وابه انما ذلكم
الشيطان يريد به المثبط نعيما او ابا سفيان والشيطان خبر ذلكم
وما بعده بيان لشيطنته او صفته وما بعده خبره ويجوز ان
تكون الاشارة الى قوله على تقدير مضاف اى انما ذلكم قول

الشيطان يعني ابليس يخوف اولياءه القاعدين عن الخروج مع
الرسول او يخوفكم اولياءه الذين هم ابو سفيان واصحابه
فلا تخافوهم الضمير للناس الثاني على الاول وللاولياء
على الثاني وخافون في مخالفة امري فجاهدوا مع رسولي
ان كنتم مؤمنين فان الايمان يقتضي ايثار خوف الله على خوف
الناس ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر يقعون فيه هم
سريعا لهم صاعليه وهم المنافقون من المتخلفين او قوم ارتدوا
عن الاسلام والمعنى لا يحزنك خوف ان يضروك و
يعينوا عليك لقوله انهم لن يضروا الله شيئا اى لن يضروا
اولياء الله بمسارعتهم في الكفر وانما يضرون انفسهم
وشيئا يحتمل المفعول والمصدر وقراء نافع يحزنك بضم الياء
وكسر الزاء حيث وقع ما خلا قوله في الانبياء لا يحزنهم الفزع
الاكبر فانه فتح الياء وضم الزاء فيه والباقون كذلك في الكل
يريد الله ان لا يجعل لهم حظا في الآخرة نصيبا من الثواب في
الآخرة وهو يدل على تمادي طغيانهم وصيرورتهم على
الكفر وفي ذكر الارادة اشعار بان كفرهم بلغ الغاية حتى
اراد ارحم الراحمين ان لا يكون لهم حظا من رحمته وان مسارعتهم
الى الكفر لانه تعالى لم يرد لهم ان يكون لهم حظا في
الآخرة ولهم عذاب عظيم مع الحرمان عن الثواب ان الذين
اشتروا الكفر بالايمان لن يضروا الله شيئا ولهم عذاب اليم
تكرير للتأكيد او تعميم للكفرة بعد تخصيص من نافق من
المتخلفين او ارتد من الاعراب ولا تحسبن الذين كفروا انما
نملي لهم خير لانفسهم خطاب للرسول او لكل من يحسب
والذين مفعول وانما نملي لهم بدل منه وانما اقتصر على
مفعول واحد لان التعويل على البدل وهو ينوب عن

وموتهم ح ٢

المفعولين كقوله ﷺ ام تحسب ان اكثرهم يسمعون او المفعول
الثاني على تقدير مضاف مثل ولا تحسبن الذين كفروا اصحاب
ان الاملاء خير لانفسهم او ولا تحسبن حال الذين كفروا هم
ان الاملاء خير لانفسهم ومامصدرية وكان حقها ان تفصل
في الخط ولكنها وقعت متصلة في الامام فاتبع وقرأ ابن كثير
وابو عمرو وعاصم وكسائي ويعقوب بالياء على ان الذين هم
فاعل وان مع ما في حيزين مفعولي وفتح سينه في جميع القرآن هم
ابن عامر وعاصم وحمزة والاملاء الامهال واطالة العمر وقيل
تخليتهم وشانهم من املى لفرسه اذا ارخى له القطول ليرعى
كيف شاء انما نملي لهم ليزدادوا انما استئناف بما هو العلة
للحكم قبلها وماكافة واللام لام الارادة وعند المعتزلة لام
العاقبة وقرئ انما بالفتح بكسر الاولى ولا يحسبن بالياء على
معنى ولا يحسبن كفروا ان املاءنا لهم لازدياد الاثم بل للتوبة
والدخول في الايمان وانما نملي لهم خير اعتراض معناه ان املاءنا
لهم خير ان انتهوا وتداركوا فيه ما فرط منهم ولهم عذاب
مهين على هذا يجوز ان يكون حالا من العاوا ي ليزدادوا اثما
معدا لهم عذاب مهين ماكان الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه
حتى يميز الخبيث من الطيب الخطاب لعامة المخلصين والمنافقين
في عصره والمعنى لا يتركم مختلطين لا يعرف مخلصكم من منافقكم
حتى يميز المنافق من المخلص بالوحي الى نبيه باحوالكم او بالتكاليف
الشاقة التي لا يصبر عليها ولا يذعن لها الا الخلص المخلصون منكم
كبذل الاموال والانفس في سبيل الله ليختبر به بواطنكم و
يستدل به على عقائدكم وقرأ حمزة وكسائي حتى يميز هنا وفي
الانفال بضم الياء وفتح الميم وكسر الياء وتشديدها والباقون
بفتح الياء وكسر الميم وسكون الياء وماكان الله ليطلعكم على الغيب

ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء وماكان الله ليؤتي
احدكم علم الغيب فيطلع على ما في القلوب من كفر وايمان ولكنه
يجتبي لرسالته من يشاء فيوحي اليه ويخبره ببعض
المغيبات او ينصب له ما يدل عليها فآمنوا بالله ورسله صفة
الاخلاص وبان تعلموه وحده مطلعا على الغيب وتعلموهم
عبادا مجتبين لا يعلمون الا ما علمهم الله ولا يقولون الا ما
يوحي اليهم روي ان الكفار قالوا ان كان محمد نبيا فليخبر
من يؤمن منا ومن يكفر فنزلت وعن السدي انه ﷺ قام
عرضا على امتي وعلمت من يؤمن بي ومن يكفر فقال المنافقون
فقولون انه يزعم انه يعرف من يؤمن ومن يكفر ونحن معه ولا
يعرفنا فنزلت وان تؤمنوا حق الايمان وتتقوا النفاق فلكم
اجر عظيم لا يقادر قدره ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم
الله من فضله هو خيرا لهم القراءات فيه ما سبق ومن قرأ با
لتاء قدر مضافا ليتطابق مفعولاه اي ولا تحسبن بخل الذ
يبخلون هو خيرا لهم وكذا من قرأ بالياء ان جعل الفاعل ه
ضمير الرسول او من يحسب وان جعله للموصول كان الم
المفعول الاول محذوفا والدلالة يبخلون عليه اي ولا يحسبن
البخلاء بخلهم هو خيرا لهم بل هو اي البخل شرا لهم لتجلا
العقاب عليهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيمة بيان لذلك
او المعنى سيلزمون وبال ما بخلوا به الزام الطوق وعنه ﷺ
ما من رجل لا يؤدي زكوة ماله الا جعل الله له شجاعا ينهش عنقه
يوم القيمة ولله ميراث السموات والارض وله ما فيهما مما
يتوارث فما لهؤلاء يبخلون عليه بماله ولا ينفقونه في سبيله
او انه يرث منهم ما يمسكونه ولا ينفقونه في سبيله بهلاكهم و
يبقى عليهم الحسرة والعقوبة والله بما يعملون من المنع والاعطاء

خبير بفيجازيكم وقراء نافع وابن عامر وعاصم وحمزة وكسائى
بالتاء على الالتفات وهو ابلغ فى الوعيد لقد سمع الله قول الذين
قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء قاله اليهود لما سمعوا من ذا الذى
يقرض الله قرضا روى انه ع كتب مع ابى بكر رضى الله عنه الى حسناء
يهود بنى قينقاع يدعوهم الى الاسلام واقام الصلوة وايتاء
الزكوة وان يقرض الله قرضا حسنا فقال فنحاص بن عازوراء ه
ان الله فقير حتى سألنا القرض فلطمه ابو بكر فى وجهه وقال ه
لولا الذى بيننا من العهد لضربت عنقك فشكاه الى رسول الله ع وجحد
ما قاله فنزلت والمعنى انه لم يخف عليه وانه اعد لهم العقاب
عليه سنكتب ما قالوا وقتلهم الانبياء بغير حق اى سنكتبه فى
صحايف الكتبة او سنحفظه فى علمنا الذى لا نهمله لانه كلمة عظيمة اذ
هو كفر بالله واستهزاء بالقرآن والرسول ولذلك فظمه مع قتل
الانبياء وفيه تنبيه على انه ليس اول جريمة ارتكبوه وان من اجترأ
على قتل الانبياء لم يستبعد منه امثال هذا القول وقرأ حمزة سيكتب
بالياء وضمها وفتح التاء وقتلهم بالرفع ويقول بالياء ونقول
ذوقوا عذاب الحريق اى وننتقم منهم بان نقول لهم ذوقوا العذاب
المحرق وفيه مبالغات فى الوعيد والذوق ادراك الطعوم وعلى
الاتساع يستعمل لادراك سائر المحسوسات والحالات وذكره ه
ههنا لان العذاب مرتب على قولهم الناشى عن البخل والشح الك
على المال وحاجة الانسان اليه لتحصيل المطاعم ومعظم بخله ه غالب ج٢
للخوف من فقدانه ولذلك كثر ذكر الاكل مع المال ذلك اشارة
الى العذاب بما قدمت ايديكم من قتل الانبياء وقولهم هذا وه
سائر معاصيهم عبر بالايدى عن الانفس لان اكثر اعمالها ه
ببدن وان الله ليس بظلام للعبيد عطف على ما قدمت وسببيه
للعذاب من حيث ان نفى الظلم يستلزم العدل المقتضى اثابة ه

المحسن ومعاقبة المسئ الذين قالوا هم كعب بن الاشرف ومالك
وحى وفنحاص ووهب بن يهوذا ان الله عهد الينا امرنا
فى التوراية واوصانا ان لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان
تأكله النار بان لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بهذه المعجزة ه
الخاصة التى كانت لانبياء بنى اسرائيل وهو ان يقرب بقربان ه
فيقوم النبى فيدعو فينزل نار سماوية فتأكله اى تحيله الى ه
طبعها بالاحراق وهذا فى مفترياتهم واباطيلهم لان اكل نهوج ٢
النار القربان لم يوجب الايمان الا لكونه معجزة وسائر المعجزات ت
شرع فى ذلك قل قد جاءكم رسل من قبلى بالبينات وبالذى
قلتم فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين تكذيب والزام بان رسلا
جاؤهم قبله كزكريا ويحيى بمعجزات اخر موجبة للتصديق
وبما اقترحوه وقتلوهم فلو كان الموجب للتصديق هو الاتيا ن
وكان تعوقهم وامتناعهم عن الايمان لاجله فالزام لم يؤمنوا
بمن جاء به فى معجزات اخر واجترؤا على قتله فان كذبوك
فقد كذب رسل من قبلك جاؤا بالبينات والزبر والكتاب المنير
تسلية للرسول من تكذيب قومه واليهود والزبر جمع ه
زبور وهو الكتاب المقصور على الحكم من زبرت الشئ اذا
حسنته والكتاب فى عرف القرآن ما يتضمن الشرايع والا
حكام ولذلك جاء الكتاب والحكمة متعاطفين فى عامة ه
القرآن وقيل الزبر المواعظ والزواجر من زبرته اذا
زجرته وقراء ابن عامر وبالزبر وهشام وبالكتاب
باعادة الجار للدلالة على انهما مغايرة للبينات بالذات
كل نفس ذائقة الموت وعد ووعيد للمصدق والمكذب
وقرئ ذايقة الموت مع التنوين وعدمه كقوله ولا اذا كر الله الا بالنصب ج٢
قليلا وانما توفون اجوركم تعطون جزاء اعمالكم خيرا كان فالفيته غير مثعنب ج٢

اوشرا تاما وافيا يوم القيمة يوم قيامكم عن القبور ولفظ
التوفية يشعر بانه قد يكون قبلها بعض الاجور ويؤيده
قوله ص القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر
النيران فمن زحزح عن النار بعد عنها والزحزحة في الا
صل تكرير الزح وهو الجذب بعجلة وادخل الجنة فقد فاز
بالنجاة ونيل المراد والفوز الظفر بالبغية وعن النبي ص
من احب ان يزحزح عن النار ويدخل الجنة فليدركه منيته
وهو يؤمن بالله ويوم الآخر ويأتي الى الناس ما يحب ان
يؤتى اليه وما الحيوة الدنيا اى لذاتها وزخارفها الا متاع ه
الغرور يشبهها بالمتاع الذي يدلس به على المبتاع ويغر حتى
يشتريه وهذا لمن آثرها على الآخرة واما من طلب بها الآخرة
فهي له متاع بلاغ والغرور مصدر او جمع غار لتبلون اى و ه
الله لتختبرن في اموالكم بتكليف الانفاق وبما يصيبه من الآفات
وانفسكم بالجهاد والقتل والاسر والجراح وما يرد عليها من
المخاوف والامراض والمتاعب ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب
من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا من هجاء الرسول والطعن
في الدين واغراء الكفرة على المسلمين اخبرهم بذلك قبل وقوعها
ليوطنوا انفسهم على الصبر والاحتمام ويستعدوا للقائها حتى
لا يزهقهم نزولها وان تصبروا على ذلك وتتقوا مخالفة امر الله
فان ذلك يعني الصبر والتقوى من عزم الامور معزوماتها
الامور التي يجب العزم عليها او مما عزم الله عليه اى امر به
وبالغ فيه والعزم في الاصل ثبات الرأى على الشيء نحو امضائه
واذ اخذ الله اى اذكر وقت اخذه ميثاق الذين اوتوا الكتاب
يريد به العلماء لتبيننه للناس ولا تكتمونه حكاية لمخاطبتهم و
قرأ ابن كثير وابو عمرو وعاصم في رواية ابن عياش بالياء لانهم

والتقوى ص

غيب واللام جواب القسم الذي ناب عنه قوله ليذاقن ه ميثاق ه واذ ج ٢
الذين والضمير للكتاب فنبذوه اى الميثاق وراء ظهورهم فلم
يراعوه ولم يلتفتوا اليه والنبذ وراء الظهر مثل في ترك
الاعتداد وعدم الالتفات ونقيضه جعله نصب عينيه والقاؤه
بين عينيه واشتروا به واخذوا بدله ثمنا قليلا من حطام الدنيا
واعراضها فبئس ما يشترون يختارون لانفسهم وعن النبي ص
من كتم علما عن اهله الجم بلجام من نار وعن علي رضي الله عنه
ما اخذ الله على اهل الجهل ان يتعلموا حتى اخذ على اهل العلم ان
يعلموا لا تحسبن الذين يفرحون بما اتوا ويحبون ان يحمدوا
بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب الخطاب للنبي سول ص
ص او لكل احد ومن ضم الياء جعل الخطاب له وللمؤمنين والمفعول الاول
الذين يفرحون والثاني بمفازة وقوله فلا تحسبنهم تأكيد
والمعنى لا تحسبن الذين يفرحون بما فعلوا من التدليس و
كتمان الحق ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا من الوفاء باه
لميثاق واظهار الحق والاخبار بالصدق بمفازة بمنجاة من
وقرأ نافع وابن كثير وابو عمرو وابن عامر لا يحسبن بالياء العذاب اى فائزين بالنجاة منه ع
وفتح الباء في الاول وضمها في الثاني على ان الذين فاعل ومفعول
لا تحسبن محذوف فان يدل عليهما مفعولا مؤكدة وكانه قيل لا قيل ص ٢
يحسبن الذين يفرحون بما اتوا فلا يحسبن انفسهم بمفازة
اى المفعول الاول محذوف وقوله فلا يحسبنهم تأكيد للفعل
وفاعله ومفعوله الاول ولهم عذاب اليم يكفهم وتدهم
ليسهم روى انه ص سئل اليهود عن شيء مما في التوراة
فلجئوه بخلاف ما كان فيها واروه انهم قد صدقوا وفرحوا بما
فعلوا فنزلت وقيل نزلت في قوم تخلفوا عن الغزو ثم اعتذروا
بانهم راوا المصلحة في التخلف واستحمدوا به وقيل نزلت في المنا فقين

فانهم يفرحون بمنافقتهم ويستحمدون الى المسلمين بالايمان الذى
لم يفعلوه على الحقيقة ولله ملك السموات والارض فهو يملك
امرهم والله على كل شئ قدير فيقدر على عقابهم وقيل هو رد
لقولهم ان الله فقير ان فى خلق السموات والارض واختلاف
الليل والنهار لآيات لاولى الالباب لدلائل واضحة على وجود
الصانع ووحدته وكمال علمه وقدرته لذوى العقول المجلوة
الخالصة عن شوائب الحس والوهم كما سبق فى سورة البقرة
ولعل الاقتصار على هذه الثلثة فى هذه الآية لان مناط الاستدلال
هو التغير وهذه متعرضة لجملة انواعه فانه اما ان يكون فى ذات
الشئ كتغير الليل والنهار او جزئه كتغير العناصر بتبدل صورها
او الخارج عنه كتغير الافلاك بتبدل اوضاعها وعن النبى ﷺ
ويل لمن قرأها ولم يتفكر الذين يذكرون الله قياما وقعودا
وعلى جنوبهم اى يذكرونه دائما على الحالات كلها قائمين و
قاعدين ومضطجعين وعنهم من اراد ان يرتع فى رياض
الجنة فليكثر ذكر الله وقيل معناه يصلون على الهيئات الثلث
حسب طاقتهم لقوله ﷺ لعمران بن حصين صل قائما فان لم
تستطع فقاعدا فان لم تستطع فعلى جنب تومى ايماء وهو حجة
للشافعى رضى الله عنه فى المريض يصلى مضطجعا على جنبه الايمن
مستقبلا بمقاديم بدنه ويتفكرون فى خلق السموات والارض
استدلالا واعتبارا وهو افضل العبادات كما قال ﷺ لا عبادة
كالتفكر لانه المخصوص بالقلب والمقصود من الخلق وعنه ﷺ
بينما رجل مستلق على فراشه اذ رفع رأسه فنظر الى السماء وهو
النجوم فقال اشهد ان لك ربا وخالقا اللهم اغفر لى فنظر
الله اليه فغفر له وهذا دليل واضح على شرف علم الاصول وفضل
اهله ربنا ما خلقت هذا باطلا على ارادة القول اى يتفكرون

الآية ح

قائلين ذلك وهذا اشارة الى المتفكر فيه او الخلق على ان اريد به
المخلوق من السموات والارض او اليهما لانهما فى معنى المخلوق
والمعنى ما خلقته عبثا ضائعا من غير حكمة بل خلقته لحكمة عظيمة
من جملتها ان يكون مبتدأ لوجود الانسان وسببا لمعاشه و
دليلا يدله على معرفتك وحجة على طاعتك لينال الحيوة الابدية
فى جوارك سبحانك تنزيها لك من العبث وخلق الباطل وهو
اعتراض فقنا عذاب النار للاخلال بالنظر فيه والقيام بما هو
يقتضيه وفائدة الفاء هى الدلالة على ان علمهم بالاجلة خلقت
السموات والارض حملهم على الاستعاذة ربنا انك من تدخل النار
فقد اخزيته فقد اخزيته غاية الاخزاء ونظيره قولهم من
ادرك مرعى الضمان فقد ادرك والمراد به تهويل المستعاذ
منه تنبيها على شدة خوفهم وطلبهم الوقاية منه وفيه اشعار
بان العذاب روحانى افضع وما للظالمين من انصار اراد بهم
المدخلين ووضع المظهر موضع المضمر للدلالة على ان ظلمهم
سبب لادخالهم النار وانقطاع النصرة عنهم فى الخلاص منها
وما يلزمه من نفى النصرة نفى الشفاعة لان النصرة دفع بقهر ربنا
انا سمعنا منادیا ينادى للايمان اوقع الفعل على المسمع وحذف
المسموع لدلالة وصفه عليه وتنكيره مبالغة ليست فى ايقاعه على
نفس المسموع وفى تنكير المنادى واطلاقه ثم تقييده تعظيم
لشانه والمراد به الرسول وقيل القرآن والنداء الدعاء ونحوه
مما يعدى باللام والام لتضمنهما معنى الانتهاء والاختصاص
ان آمنوا بربكم فآمنا اى بان آمنوا فامنا ربنا فاغفر لنا
ذنوبنا كبائرنا فانها ذات تبعة وكفر عنا سيئاتنا صغائرنا
فانها مستقبحة ولكن مكفرة عن مجتنب الكبائر وتوفنا مع الا
برار مخصوصين بصحبتهم معدودين فى زمرتهم وفيه تنبيه

آمنوا الوح

والسعادة الشريفة

على انهم يحبون لقاء الله ومن احب لقاء الله احب الله لقاءه
و الابرار جمع بر او بار كارباب واصحاب ربنا وآتنا ما و
عدتنا على رسلك اى ما وعدتنا على تصديق رسلك من
الثواب لما اظهر امتثال لما امر به سئل ما وعد عليه لاخوفا
من اخلاف الوعد بل مخالفة ان لا يكون من الموعودين ه
بسوء عاقبة او قصور فى الامتثال او تعبدا و استكانة و
يجوز ان يعلق على بمحذوف فى تقديره ما وعدتنا من لا
على رسلك او بمحو لا عليهم وقيل معناه على السنة رسولك
ولا تخزنا يوم القيمة بان تعصمنا عما يقتضيه انك لا تخلف
الميعاد بانابة المؤمن واجابة الداعى وعن ابن عباس ه
الميعاد البعث بعد الموت وتكرير ربنا للمبالغة فى الابتهال
والدلالة على استقلال المطالب وعلق شانها وفى الاثار
من حزبه امر فقال خمس مرات ربنا انجاه الله مما يخاف
فاستجاب لهم ربهم اى طلبتهم وهو اخص من اجاب ه
ويتعدى بنفسه وباللام انى لا اضيع عمل عامل منكم اى
باني لا اضيع وقرئ بالكسر على ارادة القول من ذكر
او انثى بيان عامل بعضكم من بعض لان الذكر من الا
نثى والانثى من الذكر او لانهما من اصل واحد او لفرط
الاتصال والاتحاد او الاجتماع والاتفاق فى الدين و
هى جملة معترضة بين بها شركة النساء والرجال فيما و
عد للعمال وروى ان ام سلمة رضى الله عنها قالت ه
يا رسول الله انى اسمع الله يذكر الرجال فى الهجرة ولا
يذكر النساء فنزلت فالذين هاجروا الى آخره تفصيل لا
عمال العمال وما اعد لهم من الثواب على سبيل المدح والمعـ
ـظيم والمعنى فالذين هاجروا الشرك او الاوطان او

العشائر للذين واخرجوا من ديارهم واوذوا فى سبيلى بسبب
ايمانهم بالله ومن من اجله وقاتلوا الكفار وقتلوا فى الجهاد
وقرا حمزة وكسائى بالعكس لان الواو لا يوجب ترتيبا و
الثانى افضل او لان المراد لما قتل منهم قوم قاتل الباقون
ولم يضعفوا وشدد ابن كثير وابن عامر قتلوا للتكثير
لاكفرن عنهم سيئاتهم لامحونها ولادخلنهم جنات تجرى
من تحتها الانهار ثوابا من عند الله اى اثيبهم بذلك اثابة ه
من عند الله تفضلا منه فهو مصدر مؤكد والله عنده حسن ه
الثواب على الطاعات قادر عليه لا يغرنك تقلب الذين كفروا
فى البلاد الخطاب للنبى ع والمراد امته او تثبيته على ما كان عليه
كقوله لئن اشركت ولاقطع المكذبين او لكل احد والنهى فى المعنى للمخا
وانما جعل التقلب تنزيلا للسبب منزلة المسبب للمبالغة و
المعنى لا تنظر الى ما الكفرة عليه من السعة والحظ ولا تغترّ
بظاهر ما ترى من تبسطهم فى مكاسبهم ومتاجرهم ومزا
روى ان بعض المؤمنين كانوا يرون المشركين فى رخاء ولين
عيش فيقولون ان اعداء الله فيما نرى من الخير وقد هلكنا
من الجوع والجهد فنزلت متاع قليل خبر مبتداء محذوف اى ه
ذلك التقلب متاع قليل لقصر مدته فى جنب ما عد الله للمؤمنين
قال ع ما الدنيا فى الآخرة الا مثل ما يجعل احدكم اصبعه فى اليم
فلينظر بم يرجع ثم مأويهم جهنم وبئس المهاد اى ما مهدوا
لانفسهم لكن الذين اتقوا لهم جنات تجرى من تحتها الانهار
خالدين نزلا من عند الله والنزل ما يعد للنازل من طعام
وشراب وصلة قال ابو الشعثاء الضيف وكنا اذا اجتبنا بالجيش
ضافنا جعلنا القنا والمهفات لهم نزلا وانتصابه على الحال من
جنات والعامل فيها الظرف وقيل انه مصدر مؤكد والتقدير ه

طب

عم

ربهم صح ٨
فيها صح ٢

هو الملك المسلط

انزلوها نزلا وما عند الله لكثرته ودوامه خير للابرار مما
ينقلب فيه الفجار لقلته وسرعة زواله وان من اهل الكتاب
لمن يؤمن بالله نزلت في ابن سلام واصحابه وقيل في اربعين
من النجران واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا
نصارى فاسلموا وقيل في اصحمة النجاشي لما نعاه جبرائيل الى
رسول الله ﷺ فخرج فصلى عليه فقال المنافقون انظروا الى هذا
يصلي على علج نصراني لم يره قط وانما دخلت اللام على الاسم
للفصل بينه وبين ان بالظرف وما انزل اليكم وما انزل اليهم
من الكتابين خاشعين لله حال من فاعل يؤمن وجمعه باعتبار
المعنى لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا كما يفعله المحرفون هـ
من اخبارهم اولئك لهم اجرهم عند ربهم ما خصص بهم من
الاجر وعدوه في قوله لكما اولئك يؤتون اجرهم مرتين لا
ان الله سريع الحساب لعلمه بالاعمال وما يستوجبه من الجزاء
واستغنائه عن التأمل والاحتياط والمراد ان الاجل الموعود
سريع الوصول فان سرعة الحساب يستدعي سرعة الجزاء هـ
يا ايها الذين آمنوا اصبروا على مشاق الطاعات وما يصيبكم
من الشدائد وصابروا وغالبوا اعداء الله في الصبر على شدائد
الحرب واعدى عدوكم في الصبر على مخالفة الهوى وهـ
تخصيصه بعد الامر بالصبر مطلقا لشدته ورابطوا ابدانكم
وخيولكم في الثغور مترصدين للغزو وانفسكم على الطاعة
كما قالﷺ من الرباط انتظار الصلوة بعد الصلوة وعنه من
رابط يوما وليلة في سبيل الله كان كعدل صيام رمضان وقيامه
لا يفطر ولا ينقلب عن صلوته الى الحاجة واتقوا الله لعلكم هـ
تفلحون فاتقوه بالتبري عما سواه لكي تفلحوا غاية الفلاح
او اتقوا القبايح لعلكم تفلحون بنيل المقامات الثلث المرتبة

التي هي الصبر على مضض الطاعات ومصابرة النفس في نقض
العادات ومرابطة السر على جناب الحق لترصد الواردات
المعبر عنها بالشريعة والطريقة والحقيقة عن النبيﷺ
من قرأ سورة آل عمران اعطي بكل اية منها امانا
على جسر جهنم وعنهﷺ من قرأ سورة التي يذكر فيها
آل عمران يوم الجمعة صلى الله عليه وملائكته حتى تجب الشمس
سورة النساء مدنية وهي مائة وخمس وسبعون اية هـ
بسم الله الرحمن الرحيم
يا ايها الناس خطاب يعم بني آدم اتقوا ربكم الذي خلقكم
من نفس واحدة هي آدم وخلق منها زوجها عطف على خلقكم
اي خلقكم من شخص واحد وخلق منه امكم حواء من ضلع
من اضلاعه او محذوف تقديره من نفس واحدة هـ وبث هـ
منهما رجالا كثيرا ونساء بيان لكيفية توالدهم منهما والمعنى
ونشر من تلك النفس والزوج المخلوقة منها بنين وبنات
كثيرة واكتفى بوصف الرجال بالكثرة عن وصف النساء بها
اذ الحكمة تقتضي ان يكون الكثرة وذلك كثيرا حملا على الجمع وترتيب الامر بالتقوى على هذه القصة لما فيها من الدلالة هـ
على القدرة القاهرة التي من حقها ان تخشى والنعمة الباهرة
التي توجب طاعة موليها او لان المراد به تمهيد الامر بالتقوى
فيما يتصل بحقوق اهل منزله وبني جنسه على ما دلت عليه هـ
الآيات التي بعدها وقرئ وخالق وبات على حذف مبتدإ هـ
تقديره وهو خالق وبات واتقوا الله الذي تساءلون به اي
يسأل بعضكم بعضا فيقول اسألك بالله واصله تتساءلون
فادغمت التاء الثانية في السين وقرأ عاصم وحمزة والكسائي

خلقها وخلق منها زوجها
وهو تقرير لخلقهم من
نفس واحدة ع ٢

بطرحها والارحام بالنصب عطف على محل الجار والمجرور كقولك
مررت بزيد وعمرا وعلى الله اى اتقوا الله واتقوا الارحام
فصلوها ولا تقطعوها وقرئ حمزة بالجر عطفا على الضمير
المجرور وهو ضعيف لانه كبعض الكلمة وقرئ بالرفع على انه
مبتدأ محذوف الخبر تقديره والارحام كذلك اى مما يتقى او
يتساءل به وقد نبه بسبحانه اذ قرن الارحام باسمه على ان
صلتها بمكان منه وعند رحم الرحمن معلقة بالعرش يقول من
وصلنى وصله الله ومن قطعنى قطعه الله ان الله كان عليكم
رقيبا حافظا مطلعا واتوا اليتامى اموالهم اى اذا بلغوا واليتامى
جمع يتيم وهو الذى مات ابوه من اليتم وهو الانفراد ومنه
الدرة اليتيمة اما على انه لما جرى مجرى الاسماء كفارس و
صاحب جمع على يتائم ثم قلب فقيل يتامى وعلى انه جمع على
يتمى كاسرى لانه من باب الآفات ثم جمع يتمى يتامى كاسرى
واسارى والاشتقاق يقتضى وقوعه على الصغار والكبار
لكن العرف خصصه لمن لم يبلغ ورودة فى الآية اما للبلغ على
الاصل او الاتساع لقرب عهدهم بالصغر حثا على ان يدفع
اليهم اموالهم اول بلوغهم قبل ان يزول عنهم هذا الاسم
ان اونس منهم الرشد ولذلك امر بابتلائهم صغارا او لغير
البلغ والحكم مقيد فكانه قال واتوهم اذا بلغوا ويؤيد الاول
ما روى ان رجلا من غطفان كان معه مال كثير لابن اخ له
يتيما فلما بلغ طلب المال منه فمنعه فنزلت فلما سمعها العم
قال اطعنا الله ورسوله نعوذ بالله من الحوب الكبير ولا
تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تستبدلوا الحرام من اموالهم با
الحلال من اموالكم او الامر الخبيث وهو اختزال اموالهم بالاما

الطيب الذى هو حفظها وقيل ولا تأخذوا الرفيع من اموالهم
وتعطوا الخسيس مكانها وهذا تبديل وليس بتبدل ولا تأكلوا
اموالهم الى اموالكم ولا تأكلوها مضمومة الى اموالكم اى لا هـ
تنفقوهما ولا تسوّوا بينهما وهذا حلال وذلك حرام وهو معا ٢
فيما اذا على قدر اجره لقوله ومن كان فليأكل بالمعروف انه الضمير
للاكل كان حوبا كبيرا ذنبا عظيما وقرئ حوبا وهو مصدر
حاب حوبا وحابا كقال قولا وقالا وان خفتم ان لا تقسطوا لوا
فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء اى ان خفتم ان لا تعد
فى اليتامى النساء اذا تزوجتم بهن فتزوجوا ما طاب بهن غير لكم ٢
هن اذ كان الرجل يجد يتيمة ذات مال وجمال فيتزوجها
ظنا بها فربما يجتمع عنده منهن عدد ولا يقدر على القيام هـ
بحقوقهن او ان خفتم ان لا تعدلوا فى حقوق اليتامى فتحرجتم
منها فخافوا ايضا ان لا تعدلوا بين النساء وانكحوا مقدار ايمانكم
الوفاء بحقه لان المتحرج من الذنب ينبغى ان يتحرج الذنوب
كلها على ما روى انهم لما عظم امر اليتامى تحرجوا من ولايتهم
وما كانوا يتحرجون من تكثير النساء واضاعتهن فنزلت وقـ
قيل كانوا يتحرجون من ولاية اليتامى ولا يتحرجون من هـ
الزنا فقيل لهم ان خفتم ان لا تعدلوا فى امر اليتامى فخافوا
الزنا فانكحوا ما احل لكم وانما عبر عنهن بما ذهابا الى الصفة
او اجراء لهن مجرى غير العقلاء لنقصان عقلهن ونظيره هـ
او ما ملكت ايمانكم وقرئ تقسطوا بفتح التاء على ان لا مزيدة
اى ان خفتم ان تجوروا مثنى وثلث ورباع معدولة عن
اعداد مكررة هى اثنين اثنين وثلث ثلث واربع اربع غير
منصرفة للعدل والصفة فانها بنيت صفات وان كانت اصـ لها
لم تبن لها وقيل لتكرر العدل فانها معدولة باعتبار الصيغة

والتكرير منصوبة على الحال من فاعل طاب ومعناها الاذن لكل ناكح
يريد الجمع ان ينكح ما شاء من العدد المذكور متفقين فيه ومختلفين
كقولك اقتسموا هذه البدرة درهمين درهمين وثلثة ثلثة ولو افردت
كان معنى تجويز بين هذه الاعداد دون التوزيع ولو ذكرت
بالواو لذهب تجويز الاختلاف فى العدد فان خفتم ان لا تعدلوا
بين هذه الاعداد ايضا فواحدة فاختاروا او انكحوا واحدة
وذروا الجمع وقرئ بالرفع على انه فاعل فعل محذوف او خبر
تقديره فيكفيكم واحدة او فالمقنع واحدة او ما ملكت
ايمانكم سوى بين الواحدة من الازواج والعدد من السراري
لخفة مؤنتهن وعدم وجوب القسم بينهن ذلك اى التقليل
منهن او اختيار الواحدة ادنى ان لا تعولوا اقرب من ان لا تميلوا
يقال عال الميزان اذا مال وعال الحاكم اذا جار وعول الفريضة
الميل عن حد السهام المسماة وفسر بالا يكثر عيالكم على انه من
عال الرجل عياله يعولهم اذا مانهم فعبر عن كثرة العيال
بكثرة المؤن على الكناية ويؤيده قراءة ان لا تعيلوا من اعال
الرجل اذا كثر عياله ولعل المراد بالعيال الازواج وان اريد
الاولاد فان التسرى مظنة قلة الولد بالاضافة الى التزوج
لجواز العزل فيه كتزوج الواحدة بالاضافة الى تزوج الاربع
وآتوا النساء صدقاتهن نحلة مصدر ونحل وقرئ بفتح الصاد وهو
سكون الدال على التخفيف وبضم الصاد وسكون الدال جمع
صدقة كغرفة وبضمهما على التوحيد وهو تثقيل صدقة كظلمة
فى ظلمة نحلة عطية يقال نحله كذا نحلة ونحلا اذا اعطاه
اياه عن طيب نفس بلا توقع عوض ومن فسرها بالفريضة
ونحوها نظر الى مفهوم الآية لا الى موضوع اللفظ ونصبها
على المصدر لانها فى معنى الايتاء او الحال من الواو او الصدقات

درهمين ح ٢
الجمع ح ٦
او التسرى ح ٢

اى آتوهن ناحلين او منحولة وقيل المعنى من الله وتفضلا
منه عليهن فيكون حالا من الصدقات وقيل ديانة من قولهم
انتحل فلان كذا اذا دان به على انه مفعول له او حال من هـ
الصدقات اى دينا من الله شرعه والخطاب للازواج وقيل
للاولياء لانهم كانوا يأخذون مهور مولياتهم فان هـ
طبن لكم عن شئ منه نفسا الضمير للصدقات حملا على المعنى
او يجرى مجرى اسم الاشارة كقولك ربوبة فى قوله كانه فى
الجلد توليع البهق اردف كان ذاك وقيل للايتاء ونفسا
تمييز لبيان الجنس ولذلك وحد والمعنى فان وهبن لكم
من الصداق عن طيب نفس لكن جعل العدة طيب النفس
للمبالغة وعداه بعن لتضمن معنى التجافى والتجاوز وقال
منه بعثا لهن على تقليل الموهوب فكلوه هنيئا مريئا فخذوه
وانفقوه حلالا لا تبعة والهنيئ والمريئ صفتان من هنؤ
الطعام ومرؤ اذا ساغ من غير غص فجريا مقام مصدر
بهما او وصف بهما المصدر او جعلتا حالا من الضمير وقيل
الهنيئ ما يلذه الانسان والمريئ ما يحمد عاقبته روى ان نا
كانوا يتأثمون ان يقبل احدهم من زوجته شيئا مما ساق هـ
اليها فنزلت ولا تؤتوا السفهاء اموالكم نهى للاولياء هـ
على ان يؤتوا الذين لا رشد لهم اموالهم فيضيعونها وانما
اضاف الاموال الى الاولياء لانها فى تصرفهم وتحت ولايتهم
وهو الملائم للآيات المتقدمة والمتأخرة وقيل نهى لكل
احد ان يعمد الى ملحوله الله من المال فيعطى امرأته واولاده
ثم ينظر الى ايديهم وانما سماهم سفهاء استخفافا بعقلهم
واستهجانا لجعلهم قواما على انفسهم وهو اوفق لقوله
التى جعل الله لكم قياما اى تقومون بها وتنتعشون وعلى

صدقاتهن ح ٧

سا

الاول يا قول بانها التي من جنس ما جعل الله لكم قياما سمي به
القيام قياما للمبالغة وقرئ قيما بمعناه كعوذ بمعنى عياذ و
قرئ قواما وهو ما يقوم به وارزقوهم فيها واكسوهم وهو
اجعلوها مكانا لرزقهم وكسوتهم بان يتجر وا فيها وتحصلوا
منافعها ما يحتاجون اليه وقولوا لهم قولا معروفا عدة
جميلة تطيب بها نفوسهم والمعروف ما عرفه الشرع او هو
العقل بالحسن والمنكر ما انكره احدهما القبح وابتلوا اليتامى
اختبروهم قبل البلوغ بتتبع احوالهم في صلاح الدين و
الهدى الى ضبط المال وحسن التصرف بان يكل اليه مقدمات العقد وعند ابي حنيفة بان يدفع اليه ما يتصرف فيه حتى
اذا بلغوا النكاح حتى اذا بلغوا حد البلوغ بان يحتلم او
يستكمل خمسة عشر سنة عندنا لقوله ع اذا استكمل المولود خمسة عشر سنة كتب ماله وعليه واقيمت عليه الحدود
ثمانية عشر سنة عند ابي حنيفة وبلوغ النكاح كناية عن البلوغ
لانه يصلح للنكاح عنده فان آنستم منهم رشدا فان ابصرتم
منهم رشدا وقرئ احسستم بمعنى احسستم فادفعوا اليهم
اموالهم من غير تأخير عند حد البلوغ ونظم الآية ان هذه
الشرطية جواب اذا المتضمنة معنى الشرط والجملة غاية الابتلاء
فكانه قيل وابتلوا اليتامى الى وقت بلوغهم واستحقاقهم دفع
اموالهم بشرط ايناس الرشد منهم وهو دليل على انه لا
يدفع اليهم مالهم يونس منهم الرشد وقال ابو حنيفة اذا زادت على
سن البلوغ سبع سنين وهي مدة معتبرة في تغيير الاحوال اذ
الطفل يميز بعدها ويؤمر بالعبادة دفع اليه المال وان لم
يونس منه الرشد ولا تأكلوها اسرافا وبدارا ان يكبروا
مسرفين ومبادرين كبرهم او لاسرافكم ومبادرتكم كبرهم

ومن كان غنيا فليستعفف من اكلها ومن كان فقيرا فليأكل
كل بالمعروف بقدر حاجته واجرة سعيه ولفظ الاستعفاف
والاكل بالمعروف مشعر بان العامل له حق في مال الصبي
وعنه ع ان رجلا قال له ان لي جرحا ينبغي افآكل من ماله
قال كل بالمعروف غير متأثل مالا ولا واق مالك بماله وهو
اراد هذا التقسيم بعد قوله ولا تأكلوها يدل على انه نهى
للاولياء ان يأخذوا وينفقوا على انفسهم اموال اليتامى
فاذا دفعتم اليهم اموالهم فاشهدوا عليهم بانهم هو
قبضوها فانه ابعد من الخصومة ووجوب
الضمان وظاهره يدل على ان القيم لا يصدق في دعواه الا
بالبينة وهو المختار عندنا ومذهب مالك خلافا لابي
حنيفة رضي الله عنه وكفى بالله حسيبا محاسبا فلا تخالفوا
ما امرتم ولا تجاوزوا ما حد لكم للرجال نصيب مما ترك
الوالدان والاقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان
والاقربون يريد به المتوارثين بالقرابة مما قل منه
او كثر بدل مما ترك باعادة العامل نصيبا مفروضا على انه
مصدر مؤكد كقوله فريضة من الله او حال اذ المعنى ثبت
لهم مفروضا نصيب او على الاختصاص بمعنى اعني نصيبا
قطوعا واجبا لهم على ان الوارث لو اعرض عن نصيبه
لم يسقط حقه روي ان اوس بن صامت الانصاري
توفي وترك زوجته ام كحة وثلاث بنات فجاء ورثة ابن عمه سويد
وعرفطة او قتادة وعرفجة ميراثه عنهن على سنة الجاهلية
فانهم ما كانوا يورثون النساء والاطفال ويفعلون انما
يرث من يحارب ويذب عن الحوزة فجاءت ام كحة الى رسول
الله ع في مسجد الفضيخ فشكت اليه فقال ارجعي حتى انظر

الايتام ج ٢
مالهم ج
نصب ج ٦
وفيه دليل ج ٣

ما يحدث الله فنزلت فبعث اليهما الا تفرقا من مال او سن شيئا
فان الله قد جعل لهن نصيبا ولم يبين فنزلت يوصيكم الله
فاعطى ام كحة الثمن والبنات الثلثين والباقى لابنى العم
وهو دليل على جواز تأخير البيان عن الخطاب واذا حضر
القسمة اولوا القربى ممن لا يرث واليتامى والمساكين
فارزقوهم منه فاعطوهم شيئا من المقسوم تطييبا لقلوبهم
وتصديقا عليهم وهو امر ندب للبالغ من الورثة وقيل امر
وجوب ثم اختلف فى نسخه والضمير لما ترك او مادل
عليه القسمة وقولوا لهم قولا معروفا وهو ان يدعوا لهم
ويستقلوا ما اعطوهم ولا يمنوا عليهم وليخش الذين لو تركوا
من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم امر للاوصياء بان هم
يخشوا الله ويتقوه فى امر اليتامى فيفعلوا بهم ما يحبون ان هم
يفعل بذراريهم الضعاف بعد وفاتهم او للحاضرين هم
المريض عند الايصاء بان يخشوا ربهم او يخشوا على اولاد
المريض ويشفقوا عليهم شفقتهم على اولادهم فلا يتركوه
ان يضر بهم بصرف المال عنهم او للورثة بالشفقة على من
حضر القسمة من الضعفاء الاقارب واليتامى والمساكين هم
منصوبين انهم لو كانوا اولادهم بقوا خلفهم ضعافا
مثلهم هل يحبون حرمانهم او للموصين بان ينظروا
الورثة فلا يسرفوا فى الوصية ولو بما فى حيزه جعل صلة هم
للذين على معنى وليخش الذين حالهم وصفتهم انهم لو شارفوا
ان يخلفوا ذرية ضعافا خافوا عليهم الضياع وفى ترتيب هم
الامر عليه اشارة الى المقصود منه والعلة فيه وبعث على التر
حم وان يحب لاولاد غيره ما يحب لاولاده وتهديد للمخالف
بحال اولاده فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا امرهم با

حتى يتبين ج ٢

لتقوى الذى هو غاية الخشية بعد ما امرهم بها مراعاة للمبدأ
والمنتهى ان لا ينفع الاول دون الثانى ثم امرهم ان يقولوا
لليتامى مثل ما يقولون لاولادهم بالشفقة وحسن الادب
او للمريض ما يصده عن الاسراف فى الوصية وتضييع الورثة
ويذكره التوبة وكلمة الشهادة او لحاضر القسمة عذرا
جميلا ووعدا حسنا او ان يقولوا فى الوصية ما لا يؤدى
الى مجاوزة الثلث وتضييع الورثة ان الذين يأكلون
اموال اليتامى ظلما ظالمين او على وجه الظلم انما يأكلون
فى بطونهم ملاء بطونهم نارا ما يجر الى النار ويؤول هو
اليها وعن ابى برزة انذرهم قال يبعث الله قوما من قبورهم
لهم يتأجج افواههم نارا فقيل من هم فقال الم تر ان الله
يقول ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما انما يأكلون
فى بطونهم نارا وسيصلون سعير اسيدخلون نارا وانى
نار وقراء ابن عامر وابن عياش عن عاصم بضم الياء مخففا
وقرئ به مشددا تقول صلى النار فاصلى هرها وصليته هو
القيته فيها والتسعير فعيل بمعنى مفعول من سعرت النار اذا
هيجتها يوصيكم الله يأمركم ويعهد اليكم فى اولادكم فى هو
بيان ميراثهم وهو اجمال تفصيله للذكر مثل حظ الانثيين
اى يعد كل ذكر باثنين حيث اجتمع الصنفان فيضعف
نصيبه وتخصيص الذكر بالتنصيص على حظه لان القصد
الى بيان فضله والتنبيه على ان التضعيف كان للتفضيل فلا
يحرمن بالكلية وقد اشتركا فى الجهة والمعنى للذكر منهم فحذف
للعلم به فان كن نساء اى ان كان الاولاد نساء خلصا ليس
معهن ذكر فانث الضمير باعتبار الخبر او على تأويل المولودات فوق اثنتين خبر ثان او صفة لنساء اى نساء هو

ثة

شوّيته و صليته وصلّيته

الى

زائدات على اثنتين فلهن ثلثا ما ترك الميت وفي منكم ويدل
على المعنى وان كانت واحدة فلها النصف والباقي للعصبة
اى وان كانت المولودة قرء نافع بالرفع على كان التامة
واختلف في الثنتين فقال ابن عباس حكمهما حكم الواحدة
لانه جعل الثلثين لما فوقهما وقال الباقون حكمهما حكم ما
فوقهما لانه بين ان حظ الذكر مثل حظ الانثيين اذا
كان معه انثى وهو الثلثان اقتضى ذلك ان فرضهما الثلثان
ثم لما اوهم ذلك ان يزاد النصيب بزياد العدد رد ذلك بقوله
فان كن نساء فوق اثنتين ويؤيد ذلك ان البنت الواحدة
لما استحقت الثلث مع اخيها فبالحري ان تستحقه مع اخت
مثلها وان البنتين امس رحما من الاختين وقد فرض لهما
الثلثين بقوله فلهما الثلثان مما ترك ولابويه اى ولابوى
الميراث لكل واحد منهما بدل منه بتكرير العامل وفائدته
التنصيص على استحقاق كل واحد منهما السدس والتفصيل
بعد الاجمال تأكيد السدس مما ترك ان كان له للميت ولد
ذكرا وانثى غير ان الاب يأخذ السدس مع الانثى بالفريضة
وما بقي من ذوي الفرض ايضا بالعصوبة فان لم يكن له ولد
وورثه ابواه فلامه الثلث مما ترك ولم يذكر حصة
الاب لانه لما فرض ان الوارث ابواه فقط وعين نصيب
الام علم ان الباقي للاب فكانه قال فلهما مما ترك اثلاثا
وعلى هذا ينبغي ان يكون لها حيث معها احد الزوجين ثلث
ما بقي من فرضه كما قال الجمهور لا ثلث المال كما قال ابن عباس
فانه يفضي الى تفضيل الانثى على الذكر مساوى لها في الجهة
والقرب وهو خلاف وضع الشرع فان كان له اخوة فلامه
السدس باطلاقه يدل على ان الاخوة يردونها من الثلث الى

السدس وان كانوا لا يرثون مع الاب وعن ابن عباس انهم
يأخذون السدس الذي حجبوا عنه الام والجمهور على
ان المراد بالاخوة عدد من له اخوة من غير اعتباره
التثليث سواء كان من الاخوة او الاخوات ه
قال ابن عباس رضي الله عنه لا يحجب الام ما دون الثلثة و
للاخوات الخلص اخذا بالظاهر وقرأ حمزة والكسائي ه
فلامه بكسر الهمزة اتباعا للكسرة التي قبلها من بعد و
صية يوصى بها او دين متعلق بما تقدم من قسمة المو
ريث كلها اى هذه الانصباء للورثة من بعد ما كان ه
من وصية او دين وانما قال باو التي للاباحة دون الوا
للدلالة على انهما متساويان في الوجوب مقدمان على
القسمة مجموعين او مفردين وقدم الوصية على الدين
وهي متأخرة في الحكم لانها مشبهة بالميراث شاقة على ه
الورثة مندوب اليها الجميع والدين انما يكون على الندو
وقرأ ابن كثير وابن عامر وابو بكر بفتح الصاد ه
آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا اى
لا تعلمون من انفع لكم ممن يرثكم من اصولكم وفروعكم
في عاجلكم وآجلكم فتحرجوا فيهم ما وصيكم الله به ولا تعدو
الى تفضيل بعض وحرمانه روي ان احد المتعادلين
اذا كان ارفع درجة من الآخر في الجنة سأل ان يرفع ه
اليه الآخر فيرفع بشفاعته او من موريثكم منهم او من
اوصى منهم فعرضكم للثواب بامضاء وصيته ام من لم يوص
فوفر عليكم ماله فهو اعتراض مؤكد لام القسمة او تنفيذ
الوصية فريضة من الله مصدر مؤكد او مصدر يوصيكم
الله لانه في المعنى يأمركم ويفرض عليكم ان الله كان عليما

بالمصالح والترتيب حكيما فيما قضى وقدر ولكم نصف ما ترك
ازواجكم ان لم يكن لهن ولد فان كان لهن ولد فلكم
الربع مما تركن اى ولد وارث من بطنها او من صلب
بينها او بنى بينها وان سفل ذكرا كان او انثى منكم او من
غيركم من بعد وصية يوصين بها او دين ولهن الربع مما
تركتم ان لم يكن لكم ولد فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما
تركتم من بعد وصية توصون بها او دين فرض للرجل
بحق الزوجية ضعف للمراة كما فى النسب وهكذا قياس كل رجل
وامراة اشتركا فى الجهة والقربة ولا يستثنى عنه الا الاولاد
ام والمعتق والمعتقة وتستوى الواحدة والعدد منهن
فى الربع والثمن وان كان رجل اى الميت يورث منه من ط
ورث صفة رجل كلالة خبر كان او يورث خبره وكلالة
حال من الضمير فيه وهو من لم يخلف ولدا ولا والدا او مفعول
له والمراد بها قرابة ليست من جهة الوالد والولد ويجوز ان
يكون الرجل الوارث ويورث من اورث وكلالة من ليس
بوالد ولا ولد وقرئ يورث على البناء للفاعل فالرجل الميت
وكلالة يحتمل المعانى الثلثة وعلى الاول خبر او حال وعلى الثانى
مفعول له والثالث مفعول به وهى فى الاصل مصدر بمعنى
الكلال قال الاعشى فآليت لا ارثى لها من كلالة فاستعيرت
لقرابة ليست بالبعضية لانها كالة بالاضافة اليها ثم وصف
بها المورث والوارث بمعنى ذى كلالة كقولك فلان من قرابتى
او امراة عطف على رجل وله اى وللرجل والكتفى بحكمه عن حكم
المراة لدلالة العطف على تشاركهما فيه اخ او اخت من الام و
يدل عليه قراءة ابى وسعد ابن مالك وله اخ او اخت من الام ط
انه ذكر آخر السورة ان للاختين الثلثين وللاخوة وهو لا يليق

اى يورث صح ٢

ولا من حفى حتى
ملاق محذا صح ٢

الكل صح ٢

باولاد هذا الام وان ما قدر لهما فرض الام فناسب ان يكون
اولادها فلكل واحد منهما السدس فان كانوا اكثر من ذلك
فهم شركاء فى الثلث سوى بين الذكر والانثى فى القسمة لان
الادلاء بمحض الانوثة ومفهوم الاية انهم لا يرثون ذلك
مع الام والجدة كما لا يرثون مع البنت وبنت الابن فحض
فيه بالاجماع من بعد وصية يوصى بها او دين غير مضار اى
غير مضار لورثته بالزيادة على الثلث او قصد المضارة
بالوصية دون القربة والاقرار بدين لا يلزمه وهو حال عن
فاعل يوصى المذكور فى هذه القراءة والمدلول عليه بقوله
يوصين على البناء للمفعول فى قراءة ابن كثير وابن عامر وابن
عياش عن عاصم وصية من الله مصدر مؤكد او منصوب
بفعل مضار على المفعول به ويؤيده ان قرئ غير مضار
وصية بالاضافة اى لايضار وصية من الله وهو الثلث ط
فما دونه بالزيادة او وصية منه بالاولاد بالاسراف فى ط
الوصية والاقرار الكاذب والله عليم بالمضار وغيره حليم ط
لا يعاجل بعقوبته تلك اشارة الى الاحكام التى تقدمت ط
من امر الينامى والوصايا والمواريث حدود الله شرايعه
المحدودة التى لا يجوز مجاوزتها ومن يطع
الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين
فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله ويتعد
حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين توحيد
الضمير فى يدخله جمع خالدين للفظ والمعنى وقراءة نافع
وابن عامر ندخله بالنون وخالدين حال مقدرة كقولك
مررت برجل معه صقر صائدا به غدا وكذلك خالدا و
نسا صفتين لجنات ونار والا لوجب ابراز الضمير ط

لانهما جريا على غير من هما له واللاتي يأتين الفاحشة من
نسائكم اى يفعلنها يقال اتى الفاحشة وجاءها وغشيها
ورهقها اذا فعلها والفاحشة الزنا الزيادة قبحها وهو
شناعتها فاستشهدوا عليهن اربعة منكم فاطلبوا ممن هو
قذفهن اربعة من رجال المؤمنين يشهدوا عليهن فان شهدوا
فامسكوهن في البيوت فاحبسوهن في البيوت واجعلوها
سجنا عليهن حتى يتوفاهن الموت يستوفى ارواحهن
الموت او يتوفاهن ملائكة الموت قيل كان ذلك عقوبتهن
في اوائل الاسلام فنسخ بالحد ويحتمل ان يكون المراد به
التوصية باماسكهن بعد ان يجلدن كيلا يجرى عليهن ما
جرى بسبب الخروج والتعرض للرجال ولم يذكر الحد هه
استغناء بقوله الزانية والزاني او يجعل الله لهن سبيلا هه
كتعيين الحد المخلص عن الحبس او النكاح المغنى عن السفاح
واللذان يأتيانها منكم يعنى الزاني والزانية وقرأ ابن كثير
بتشديد النون وتمكين مد الالف والباقون بالتخفيف من
غير تمكين فآذوهما بالتوبيخ والتقريع وقيل بالتعيير والجلد
فان تابا واصلحا فاعرضوا عنهما فاقطعوا عنهما الايذاء او هه
اعرضوا عنهما بالاغماض والتنزان الله كان توابا رحيما علة هه
للامر بالاعراض وترك المذمة قيل هذه الآية سابقة على الاولى
نزولا وكان عقوبة الزنا الاذى ثم الحبس ثم الجلد وقيل هه
الاولى في السحاقات وهذه في اللواطين والزانية والزاني هه
في الزناة انما التوبة على الله اى قبول التوبة كالمحتم على الله
بمقتضى وعده من تاب عليه اذا قبل توبته للذين يعملون
السوء بجهالة ملتبسين بها سفها فان ارتكاب الذنب سفه
وتجاهل ولذلك قيل من عصى الله فهو جاهل حتى ينزع عن

جهالته ثم يتوبون من قريب من زمان قريب اى قبل حضور
الموت لقوله تع حتى اذا حضر احدهم الموت وقوله صلعم
ان الله يقبل توبة عبده مالم يغرغر وسماه قريبا لان امد
الحيوة قريب كقوله قل متاع الدنيا قليل او قبل ان يشرب
في قلوبهم حبه فيطبع عليها فيتعذر عليهم الرجوع ومن
للتبعيض اى يتوبون في اى جزء من الزمان القريب الذى
هو ما قبل ان ينزل بهم سلطان الموت او يزين التوء فاو ليك
يتوب الله عليهم وعد بالوفاء بما وعد به وكتب على نفسه هه
بقوله انما التوبة على الله وكان الله عليما فهو يعلم باخلاصهم
في التوبة حكيما والحكيم لا يعاقب التائب وليست التوبة
للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال
اني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار فسوى بين
من سوف التوبة الى حضور الموت من الفسقة والكفار وبين
من مات على الكفر في نفى التوبة للمبالغة في عدم الاعتناء بها
في تلك الحالة وكانه قال وتوبة هؤلاء وعدم توبة هؤلاء
سواء وقيل والمراد بالذين يعملون التوء عصاة المؤمنين
وبالذين يعملون السيئات المنافقون لتضاعف كفرهم و
سوء اعمالهم وبالذين يموتون الكفار اولئك اعتدنا لهم
عذابا اليما تاكيد لعدم قبول توبتهم وبيان ان العذاب هه
اعد لهم هه لا يعجزه عذابهم متى شاء والاعتداد التهيئة من
العتاد وهو العدة وقيل اصله اعددنا فابدلت الدال الاولى
تاء يا ايها الذين آمنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها كان هه
الرجل اذا مات وله عصبة القى ثوبه على امراته وقال انا احق
بها ثم ان شاء تزوجها بصداقها الاول وان شاء زوجها
غيره واخذ صداقها وان شاء اعضلها لتفتدى بما ورثت

من زوجها فنهوا عن ذلك وقيل لا يحل لكم ان تأخذوهن على
سبيل الارث فترثوا وجوههن كارهات لذلك او مكرهات
عليه وقرأ حمزة والكسائي كرها بالضم في مواضعه وهما لغتان
وقيل بالضم المشقة بالفتح ما يكره عليه ولا تعضلوهن لتذهبوا
ببعض ما آتيتموهن عطف على ان ترثوا والتأكيد النفي اى
ولا تعضلوهن من التزوج واصل العضل التضييق يقال عضلت
عضلت الدجاجة بيضها وقيل الخطاب مع الازواج كانوا
يحبسون النساء من غير حاجة ورغبة حتى يرثوا منهن او
يختلعن بمهورهن وقيل نهى الكلام بقوله كرها ثم خاطب
الازواج ونهاهم عن العضل الا ان يأتين بفاحشة مبينة كالنشوز
وسوء العشرة وعدم التعفف والاستثناء من اعم
عام الظرف او المفعول له تقديره ولا تعضلوهن للافتداء الا
وقت ان يأتين بفاحشة او ولا تعضلوهن لعلة الا ان يأتين
بفاحشة وقرأ ابن كثير وابو بكر بفاحشة مبينة هنا وفي الاحزاب والطلاق بفتح الياء والباقون بكسرها فيهن
وعاشروهن بالمعروف بالانصاف في الفعل والاجمال في القول
فان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا فلا تفارقوهن لكراهة النفس فانها قد تكره ما هو اصلح
دينا واكثر خيرا وقد تحب ما هو بخلافه ولكن نظركم الى ما اصلح
للدين وادنى الى الخير وعسى في الاصل علة الجزاء واقيم مقامه
والمعنى فان كرهتموهن فاصبروا عليهن فعسى ان تكرهوا شيئا
وهو خير لكم وان اردتم استبدال زوج مكان زوج تطليق
امراة وتزوج اخرى وآتيتم احديهن اى احدى الزوجات
جمع الضمير لانه اراد بالزوج الجنس قنطارا مالا كثيرا فلا
تأخذوا منه شيئا اى من القنطار أتأخذونه بهتانا واثما مبينا

استفهام انكار وتوبيخ اى اتأخذونه باهتين وآثمين ويحتمل
النصب على العلة كما في قولك قعدت عن الحرب جبنا لان الاخذ
بسبب بهتانهم واقترافهم المأثم قيل كان الرجل منهم اذا اراد
جديدة بهت التي تحته بفاحشة حتى يلجئها الى الافتداء منه
بما اعطاها لتضيفه الى تزويج الجديدة فنهوا عن ذلك والبهتان
الكذب الذي يبهت المكذوب عليه وقد يستعمل في الفعل الباطل
ولذلك فسر ههنا بالظلم وكيف تأخذونه وقد افضى بعضكم الى
بعض انكار لاستبعاد المهر والحال انه وصل اليها بالملامسة و
دخل وتقرر المهر وأخذن منكم ميثاقا غليظا وثيقا وهو حق
الصحبة والممازجة او ما اوثق الله عليهم في شانهن بقوله فامساك
بمعروف او تسريح باحسان او ما اشار اليه النبي ﷺ بقوله اخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ولا تنكحوا ما
نكح آباؤكم ولا تنكحوا التي نكحها اباؤكم وانما ذكر ما دون
من لانه اريد به الصفة وقيل ما مصدرية على ارادة الفعل
من المصدر من النساء بيان ما نكح على الوجهين الا ما قد سلف
استثناء من المعنى اللازم للنهي وكانه قيل ستحقون العقاب
بنكاح ما نكح آباؤكم الا ما قد سلف او من اللفظ للمبالغة في
التحريم والتعميم كقوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن
فلول من قراع الكتائب والمعنى ولا تنكحوا حلائل آبائكم الا ما قد
سلف ان امكنكم ان تنكحوه وقيل الاستثناء منقطع ومعناه ولكن
ما قد سلف فانه لا مؤاخذة عليه لانه مقرر انه كان فاحشة و
مقتا علة للنهي اى ان نكاحهن كان فاحشة عند الله ما رخص
فيه لامة من الامم متقدمة عند ذوي المروآت ولذلك سمي ولد
الرجل من زوجة ابيه المقتي وساء سبيلا سبيل من يراه ويفعله
حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم واخواتكم وعماتكم وخالاتكم

بهاج ٢
ك عهداج ٦

وبنات الاخ وبنات الاخت وليس المراد تحريم ذاتهن بل تحريم
نكاحهن لانه معظم ما يقصد منهن ولانه المتبادر الى الفهم كتحريم
الاكل في قوله تعالى حرمت عليكم الميتة ولان ما قبله وما بعده في
النكاح وامهاتكم تعم من ولدنك او ولدت من ولدتك وان
علت وبناتكم يتناول من ولدتها او ولدت من ولدها وان
سفلت واخواتكم الاخوات من الاوجه الثلثة وكذلك هـ
الباقيات والعمة كل انثى ولدها من ولد ذكرا ولدك والخالة
كل انثى ولدها من ولد انثى ولدتك قريبا او بعيدا وبنات
الاخ وبنات الاخت يتناول القرب والبعدى وامهاتكم هـ
اللاتي ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة نزل الله الرضاعة
منزلة النسب حتى سمى المرضعة اما والمراضعة اختا وامها
على قياس النسب باعتبار المرضعة ووالد الطفل الذي درّ هـ
عليه اللبن قال وم يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب واستثناء
من الرضاع اخت ابن الرجل وام اخيه من هذه الاصل ليس بصحيح فان
حرمتهما في النسب بالمصاهرة دون النسب وامهات نسائكم
وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن ذكر
او لا محرمات النسب ثم الرضاعة لان لها لحمة كلحمة النسب ثم
محرمات المصاهرة فان تحريمهن عارض لمصلحة الزوج والربائب جمع هـ
ربيبة والربيب ولد المرأة من آخر سمي به لانه يربى بما يربى ولده في
غالب الامر فعيل بمعنى مفعول وانما لحقه التاء لانه صار اسما ومن هـ
نسائكم متعلق بربائبكم واللاتي بصلتها صفة لها مقيدة للحفظ والحكم
بالاجماع قضية للنظم ولا يجوز تعليقها بالامهات ايضا لان من اذا
علقتها بالربائب كانت ابتدائية وان علقتها بالامهات لم يجز ذلك
بل وجب ان يكون بيانا لنسائكم والكلمة الواحدة لا تحتمل معنيين
عند جمهور الادباء اللهم الا اذا جعلتها للاتصال كقوله فان لست

منك ولست مني على معنى ان امهات النساء وبناتهن متصلات بهن
ولكن الرسول لم فرق بينهما فقال في رجل تزوج امرأة وهـ
طلقها قبل ان يدخل بها انه لا بأس ان يتزوج ابنتها ولا يحل
له ان يتزوج امها واليه ذهب عامة العلماء غير انه روى عن
علي رضي الله عنه تقييد التحريم فيهما ولا يجوز ان يكون هـ
الموصول الثاني صفة للنسائين لان عاملهما مختلف وفائدة
قوله في حجوركم تقوية العلة وتكميلها والمعنى ان الربائب اذا
دخلتم بامهاتهن وهن في احتضانكم او بصدده قوى الشبهة
بينها وبين اولادكم وصارت احقاء بان تجروها مجراهم لاهـ
تقييد الحرمة واليه ذهب جمهور العلماء وقد روى عن علي
رضي الله عنه جعله شرطا والامهات والربائب يتناولان هـ
القريبة والبعيدة وقوله دخلتم بهن اي دخلتم معهن الستر
وهي كناية عن الجماع ويؤثر ما ليس بزنا كالوطئ بشبهة او
ملك يمين وعند ابي حنيفة لمس المنكوحة ونحوه كالتقبيل فان
لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم تصريح بعد اشعار دفعا للتا
للقياس وحلائل ابنائكم زوجاتهم سميت الزوجة حليلة لحلها
او لحلولها مع الزوج الذين من اصلابكم احتراز عن المتبنين لا
عن ابناء الولد وان تجمعوا بين الاختين في موضع الرفع عطفا على
المحرمات والظاهر ان الحرمة غير مقصورة على النكاح فان هـ
المحرمات المعدودة كما هي محرمة في النكاح فهي محرمة في ملك هـ
اليمين ولذلك قال عثمان وعلي رضي الله عنهما حرمتهما آية وهـ
احلتهما آية يعنيان هذه الآية وقوله او ما ملكت ايمانكم ورجح
علي التحريم وعثمان التحليل وقول علي اظهر لان آية التحليل هـ
مخصوصة في غير ذلك ولقوله ع ما اجتمع الحلال والحرام الا غلب
الحرام الا ما قد سلف استثناء من لازم المعنى او منقطع معناه لكن

ما قد سلف مغفورا لقوله ان الله كان غفورا رحيما والمحصنات
من النساء ذوات الازواج احصنهن التزويج او الازواج وقراء
الكسائي بكسر الصاد لانهن احصن الفروج الا ما ملكت ايمانكم
يريد ما ملكت ايمانكم من الاتي سبين ولهن ازواج كفار فهن
حلائل للسابين والنكاح مرتفع بالسبي لقول ابي سعيد الخدري
رضي الله عنه اصبنا سبايا يوم اوطاس ولهن ازواج فكرهنا
ان نقع عليهن فسئلنا النبي ﷺ فنزلت الآية فاستحللنا هن
واياه عنى الفرزدق بقوله وذات خليل انكحتها رماحنا حلال
لمن يبنى بها لم تطلق وقال ابو حنيفة رضي الله عنه لو سبي الزوج
جاز لم يرتفع النكاح ولم تحل للسابي واطلاق الآية والحديث له
حجة عليه كتاب الله عليكم مصدر مؤكد اى كتب الله عليكم تحريم
هؤلاء كتابا وقرئ كتب الله بالجمع والرفع اى هذه فرائض الله
عليكم وكتب الله بلفظ الفعل واحل لكم عطف على الفعل المضمر الذي
نصب كتاب الله وقرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم على البناء
للمفعول عطفا على حرمت ما وراء ذلكم ماسوى المحرمات الثمان
المذكورة وخص عنه بالسنة ما في المذكورات كسائر محرمات
الرضاع والجمع بين المراة وعمتها وخالتها ان تبتغوا باموالكم
محصنين غير مسافحين مفعول له والمعنى احل لكم ما وراء ذلكم
ارادة ان تبتغوا النساء باموالكم بالصرف في مهورهن او اثمانهم
في حال كونكم محصنين غير مسافحين ويجوز ان لا يقدر مفعول
تبتغوا وكانه قيل ارادة ان تصرفوا اموالكم محصنين غير مسافحين
او بدل من وراء ذلكم بدل الاشتمال واحتج به الحنفية على ان المهر
لابد وان يكون مالا ولا حجة فيه والاحصان العفة فانها تحصن
النفس من اللوم والعقاب والسفاح الزنا من السفح وهو صب
المني فانه الغرض منه فما استمتعتم به منهن من ممتعتم به من المنكوحات

او فما استمتعتم به منهن من جماع او من عقد عليهن فآتوهن اجورهن
من
مهورهن فان المهر في مقابلة الاستمتاع فريضة حال من الاجور
بمعنى مفروضة او صفة مصدر محذوف اى ايتاء مفروضا او مصدر
مؤكد ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة فيما يزاد
على المسمى او يحط عنه بالتراضي او فيما تراضيا به من نفقة او من
مقام او فراق وقيل نزلت الآية في المتعة التي كانت ثلاثة ايام
حين فتحت مكة ثم نسخت كما روى انه ﷺ اباحها ثم اصبح
يقول ايها الناس اني كنت امرتكم بالاستمتاع من هذه النساء
الا ان الله حرم ذلك الى يوم القيمة وهي النكاح المؤقت بوقت
المعلوم سمي به اذ الغرض منه مجرد الاستمتاع بالمرأة وتمتيعها
بما يعطى وجوزها ابن عباس ثم رجع عنها ان الله كان عليما
بالمصالح حكيما فيما شرع من الاحكام ومن لم يستطع منكم طولا لغنى
واعتلاء واصله الفضل والزيادة ان ينكح المحصنات المؤمنات
في موضع النصب بطولا او بفعل مقدر صفة له اى ومن لم يستطع
منكم ان يعتلي نكاح المحصنات او من لم يستطع غنى يبلغ به نكاح
المحصنات يعني الحرائر لقوله فمن ما ملكت ايمانكم من فتياتكم
المؤمنات يعني الاماء المؤمنات وظاهر الآية حجة للشافعي في تحريم
نكاح الامة على من يملك ما يجعله صداق حرة ومنع نكاح الامة
الكتابية مطلقا واول ابو حنيفة طول المحصنات بان يملك
عليهن على ان النكاح هو الوطئ وحمل قوله من فتياتكم المؤمنات
على الافضل كما حمل عليه في قوله المحصنات المؤمنات ومن اصحابنا
من حمله ايضا على التقييد وجوز نكاح الامة لمن قدر على الحرة الكتابية
دون المؤمنة حذرا عن مخالطة الكفار وموالاتهم والمحذور في
نكاح الامة رق الولد وما فيه من المهانة ونقصان حق الزوج
والله اعلم بايمانكم فاكتفوا بظاهر الايمان فانه العالم بالسرائر

او بتفاضل ما بينكم من الايمان فرب امة تفضل الحرة فيه ومن حقكم
ان تعتبروا افضل الايمان لافضل النسب والمراد تأنيسهم بنكاح
الامة ومنعهم عن الاستنكاف منه ويؤيده بعضكم من بعض انتم
وارقاؤكم متناسبون نسبكم من ادم ودينكم الاسلام فانكحوا
هن باذن اهلهن يريد اربابهن واعتباد اذنهم مطلقا للاشعار
له على ان لهن ان يباشرن العقد بانفسهن حتى يحتج به الحنفية
وآتوهن اجورهن اى ادوا اليهن مهورهن باذن اهلهن ه
فحذف ذلك لتقدم ذكره او الى موالیهن فحذف المضاف للعلم بان
المهر للسيد لانه عوض حقه فيجب ان يؤدى اليه وقال مالك ه
المهر للامة ذهابا الى الظاهر بالمعروف بغير مطل وضرار ونقصان
محصنات عفائف غير مسافحات غير مجاهرات بالسفاح ولا
متخذات اخدان اخلاء في السر فاذا احصن بالتزويج فان اتين
بفاحشة زنا فعليهن نصف ما على المحصنات يعني الحرائر من العذاب
من الحد لقوله وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين وهو يدل على
ان حد العبد نصف حد الحر وانه لا يرجم لان الرجم لا ينصف
ذلك اى نكاح الاماء لمن خشي العنت منكم لمن خاف الوقوع في الزنا
وهو في الاصل انكسار العظم بعد الجبر مستعار لكل مشقة وضرر
ولا ضرر اعظم من مواقعة الاثم بالفحش القبيح وقيل المراد به
الحد وهذا شرط آخر لنكاح الاماء وان تصبروا خير لكم اى
وصبركم عن نكاح الاماء متعففين خير لكم قال ع م الحرائر صلاح
البيت والاماء هلاكه والله غفور لمن لم يصبر رحيم بان رخص
له يريد الله ليبين لكم ما تعبدكم به من الحلال والحرام او ما خفي عنكم
من مصالحكم ومحاسن اعمالكم وليبين مفعول يريد واللام مزيدة
لتأكيد معنى الاستقبال اللازم للارادة كما في قول قيس بن سعد
اردت لكيما يعلم الناس انه سلويل فيس والفؤاد شهود وفيك

المفعول محذوف وليبين مفعول له اى يريد الحق لاجله ويهديكم
سنن الذين من قبلكم مناهج من تقدمكم من اهل الرشد لتسلكوا
طريقهم ويتوب عليكم ويغفر ذنوبكم او يرشدكم الى ما يمنعكم
عن المعاصي ويحثكم على التوبة او الى ما يكون كفارة لسيئاتكم والله
عليم بما حكم في وضعها والله يريد ان يتوب عليكم كرره ه
للتأكيد والمقابلة ويريد الذين يتبعون الشهوات يعني الفجرة
فان اتباع الشهوات الايتام ولها وانما المتعاطي لما سوغه الشرع
منها دون غيره فهو متبع له في الحقيقة الا لها وقيل المجوس و
قيل اليهود فانهم يحلون الاخوات من الاب وبنات الاخ
والاخت ان تميلوا عن الحق ميلا بموافقتهم على اتباع الشهوات
واستحلال المحرمات عظيما بالاضافة الى الميل من اقتصر في خطيئة
على ندور غير مستحل له يريد الله ان يخفف عنكم فلذلك شرع
لكم الشريعة الحنفية السمحة السهلة ورخص لكم في المضايق كاه
حلال نكاح الامة وخلق الانسان ضعيفا لا يصبر عن الشهوات
ولا يتحمل مشاق الطاعات وعن ابن عباس رضي الله عنه ثمان ه
آيات في سورة النساء هي خير لهذه الامة مما طلعت عليه الشمس
غربت هذه الثلاث وان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه ان الله
لا يغفر ان يشرك به ان الله لا يظلم مثقال ذرة ومن يعمل سوءا ما
يفعل الله بعذابكم يا ايها الذين آمنوا لا تأكلوا اموالكم بينكم
بالباطل بما لم يبحه الشرع كالغصب والربى والقمار الا ان
تكون تجارة وعن تراض منكم استثناء منقطع اى ولكن كون ه
تجارة عن تراض منكم غير منهي عنه او اقصدوا كون تجارة
وعن تراض صفة لتجارة اى تجارة صادرة عن تراض المتعاقدين
وتخصيص التجارة من الوجوه التي بها يحل تناول مال الغير
لانها اغلب واوفق لذوي المروات ويجوز ان يراد بها ه

الانتقال مطلقا وقيل المقصود بالنهي المنع عن صرف المال فيما لا يرضاه الله كه وبالتجارة صرفه فيما يرضاه وقرأ الكوفيون تجارة بالنصب على كان الناقصة واضمار الاسم اي الا ان تكون التجارة او الجهة تجارة ولا تقتلوا انفسكم بالنحو كما يفعله جهلة الهند او بالقاء النفس الى التهلكة ويؤيده ما روى ان عمرو بن العاص تأوله في التيمم لخوف البرد فلم ينكر عليه النبي صم او بان تكاب ما يؤدي الى قتلها او باقتراف ما يبذ للهلاك ويرديها فان القتل الحقيقي للنفس وقيل المراد بالانفس من كان من اهل دينهم فان المؤمنين كنفس واحدة وجمع في التوصية بين حفظ النفس والمال الذي هو شقيقها من حيث انه سبب قوامها استبقاء لهم ريثما تستكمل النفوس وتستوفي فضائلها رأفة بهم ورحمة كما اشار اليه بقوله ان الله كان بكم رحيما اي امركم ونهى عن ما نهى لفرط رحمته عليكم او معناه انه كان بكم يا امة محمد رحيما لما امر بني اسرائيل بقتل الا نفس ونهاكم عنه ومن يفعل ذلك اشارة الى القتل او ما سبق من المحرمات عدوانا وظلما افراطا في التجاوز عن الحق وايثارا بما لا يستحقه وقيل اراد بالعدوان التعدي على الغير وبالظلم ظلم النفس بتعريضها للعقاب فسوف نصليه نارا ندخله اياها وقرئ بالتشديد من صلى وبفتح النون من صلى يصلى ومنه شاة مصلية ويصليه بالياء والضمير لله كه او لذلك من حيث انه سبب الصلي وكان ذلك على الله يسيرا لا عسر فيه ولا صارف عنه ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه كبائر الذنوب التي نهاكم الله ورسوله عنها وقرئ كبير على ارادة الجنس نكفر عنكم سيئاتكم نغفر لكم صغائركم ونمحها عنكم واختلف في الكبائر والاقرب ان الكبير كل ذنب رتب الشارع عليه حدا او صرح بالوعيد فيه

وقيل ما علم حرمته بقاطع وعن النبي عم انها سبع الاشراك بالله وقتل النفس التي حرم الله وقذف المحصنة واكل مال اليتيم واكل الربا والفرار من الزحف وعقوق الوالدين وعن ابن عباس رضي الله عنهما الكبائر الى سبع مائة اقرب منها الى سبع وقيل اراد بها انواع الشرك لقوله كه ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك وقيل صغر الذنوب وكبرها بالاضافة الى ما فوقها وما تحتها فاكبر الكبائر الشرك واصغر الصغائر حديث النفس وبينهما وسائط يصدق عليها الامران فمن هـ عن له امران منهما ودعت نفسه اليهما بحيث لا ينمالك فكفرها عن اكبرهما كفر عنه ما ارتكب لما استحق من الثواب على احد اجتناب الاكبر ولعل هذا مما يتفاوت باعتبار الاشخاص والاحوال الا ترى انه كه عاتب نبيه صم في كثير من خطراته التي لم تعد على غيره خطيئة فضلا عن ان يؤاخذه عليها ونذ خلكم مدخلا كريما الجنة وما وعد من الثواب او ادخالا مع كرامة وقرأ نافع بفتح الميم وهو ايضا يحتمل المكان والمصدر ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض من الامور الدنيوية كالجاه والمال فلعل عدمه خير والمقتضى للمنع كونه ذريعة الى التحاسد والتعادي معربة عن عدم الرضى بما قسم الله له وانه تشهيا لحصول الشيء له من غير طلب وهو مذموم لان تمنى ما لم يقدر له معارضة لحكمة القدر وتمنى ما قدر له يكسب بطالة وتضييع حظ وتمنى ما قدر له بغير كسب ضائع ومحال للرجال نصيب مما اكتسبوا والنساء نصيب مما اكتسبن بيان لذلك اى لكل من الرجال والنساء فضل ونصيب بسبب ما اكتسب ومن اجله فاطلبوا الفضل بالعمل لا بالحسد والتمنى كما قال عم ليس الايمان بالتمنى وقيل المراد من نصيب الميراث وتفضيل الورثة هـ

بعضهم على بعض فيه وجعل ما قسم لكل منهم على حسب ما عرف من
حاله الموجبة للزيادة والنقص كالمكتسب له واسئلوا الله ه
من فضله اى لا تتمنوا ما للناس واسئلوا مثله من خزائنه التى
لا تنفد وهو يدل على ان المنهى عنه هو الحسد او لا تتمنوا و
اسئلوا الله من فضله مما يقربه وسيوقه اليكم ان الله كان بكل
شىء عليما وهو ما يستحقه كل انسان فيفضل عن علم وتبيان ه يعلم
روى ان ام سلمة رضى الله عنها قالت يا رسول الله يغزو
الرجال ولا نغزو وانما لنا نصف الميراث ليتنا كنا رجالا ه
فنزلت ولكل جعلنا موالى مما ترك الوالدان والاقربون اى
ولكل تركة جعلنا ورثا يلونه ويحقزونه ومما ترك بيان لكل
مع الفصل بالعامل او ولكل ميت جعلنا ورثا مما ترك على ان
من صلة موالى لانه فى معنى الوارث وفى ترك ضمير كل و
الوالدان والاقربون استيناف مفسر للموالى وفيه خروج
الاولاد فان الاقربون لا يتناولهم كما لا يتناول الوالدين او
ولكل قوم جعلنا هم موالى حظا مما ترك الوالدان والاقربون
على ان جعلنا موالى صفة كل والراجع اليه محذوف وعلى هذا
فالجملة من مبتداء وخبر والذين عاقدت ايمانكم معطوف مفعولا
كان الحليف يورث السدس من مال حليفه فنسخ بقوله واولوا
الارحام بعضهم اولى ببعض وعن ابى حنيفة لو اسلم رجل على
يد رجل وتعاقدا على ان يتعاقلا ويتوارثا صح ويورث او
الان واجع على انه العقد عقد النكاح وهو مبتدا ضمن معنى الشرط
وخبره فاتوهم نصيبهم او منصوب بمضمر يفسره ما بعده ه
كفى لك زيدا فاضربه او معطوف على الوالدان وقوله فاتوهم
جملة مستانفة عن الجملة المقدمة مؤكدة لها والضمير للموالى و
قراء الكوفيون عقدت بمعنى عقدت عهودهم ايمانكم فحذف

واقيم الضمير المضاف اليه مقامه ثم حذف كما حذف فى القراءة
الاخرى ان الله كان على كل شىء شهيدا تهديد على منع نصيبهم ه
الرجال قوامون على النساء يقومون عليهن قيام الولاة على
الرعية وعلل ذلك بامرين موهبى وكسبى بما فضل الله ه
بعضهم على بعض بسبب تفضيل الرجال على النساء بكمال العقل
وحسن التدبير ومزيد القوة فى الاعمال والطاعات ولذلك
خصوا بالنبوة والامامة والولاية واقامة الشعائر والشهادة ده
فى مجامع القضايا ووجوب الجهاد والجمعة ونحوها والتعصيب
وزيادة السهم فى الميراث والاستبداد بالفراق وبما انفقوا
من اموالهم فى نكاحهن كالمهر والنفقة روى ان سعد بن
الربيع احد نقباء الانصار نشزت عليه امراته حبيبة بنت
زيد بن ابى زهير فلطمها فانطلق بها ابوها الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فشكا فقال عليه الصلوة والسلام لتقتص
منه فنزلت فقال اردنا امرا واراد الله امرا والذى اراد الله
خير ورفع القصاص فالصالحات قانتات مطيعات لله قائما ت
بحقوق الازواج حافظات للغيب لما يجب الغيب اى
يحفظن فى غيبة الازواج ما يجب حفظه فى النفس والمال
وعنه ع خير النساء امراة ان نظرت اليها سرتك وان امرتها
اطاعتك وان غبت عنها حفظتك فى مالها ونفسها وتلى الآية
وقيل لاسارهم بما حفظ الله بحفظ الله اياهن بالامر على حفظ
الغيب والحث عليه بالوعد والوعيد والتوفيق له او بالذى
حفظه الله لهن عليهم من المهر والنفقة والقيام بحفظهن
والذب عنهن وقرئ بما حفظ الله بالنصب على ان ما مع
صوله فانها لو كانت مصدرية لم يكن لحفظ فاعل والمعنى با
الامر الذى حفظ حق الله او طاعته وهو التعفف والشفقة ه

على الرجال والآتى تخافون نشوزهن عصيانهن وترفعهن عن مطاوعة الازواج من النشز فعظوهن واهجروهن فى المضاجع فى المراقد فلا تدخلوهن تحت اللحف او لا تباشروهن فيكون كناية عن الجماع وقيل المضاجع المبايت اى لا تبايتوهن واضربوهن يعنى ضربا غير مبرح ولا شائن والامور الثلاثة مرتبة ينبغى ان يتدرج فيها فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا بالتوبيخ والايذاء والمعنى فازيلوا عنهن التعرض واجعلوا ما كان منهن كان لم يكن فان التائب من الذنب كمن لا ذنب له ان الله كان عليا كبيرا فاحذروه فانه اقدر عليكم منكم على من تحت ايديكم او انه على علو شانه يتجاوز عن سيئاتكم ويتوب عليكم فانتم احق بالعفو عن اجاكم او الله يتعالى ويتكبر ان يظلم احدا او ينقص حقه وان خفتم شقاق بينهما خلافا بين المرء وزوجته اضمرهما وان لم يجر ذكرهما لجرى ما يدل عليهما واضافة الشقاق الى الظرف امّا لاجرائه مجرى المفعول به كقوله يا سارق الليل او الفاعل كقوله نهارك صائم فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها وابعثوا ايها الحكام متى اشتبه عليكم حالهما لتبين الامر واصلاح ذات البين رجلا وسيطا يصلح للحكومة والاصلاح من اهله ولخر من اهلها فان الاقارب اعرف ببواطن الاحوال وهو اطلب للصلاح وهذا على وجه الاستحباب فلو نصبا من الاجانب جاز وقيل الخطاب للازواج والزوجات واستدل به على جواز التحكيم والاظهر ان النصب لاصلاح ذات البين او لتبيين الامر ولا يليان الجمع والتفريق الا باذن الزوجين وقال مالك لهما ان يتخالعا ان وجد الصلاح فيه ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما الضمير الاول للحكمين وهو

الثانى للزوجين اى ان قصدا الاصلاح اوقع الله بحسن سعيهما الموافقة بين الزوجين وقيل كلاهما للحكمين اى ان قصدا الاصلاح يوفق الله بينهما ليتفق كلمتهما ويحصل مقصودهما وقيل للزوجين اى ان اراد الاصلاح وقوع الشقاق اوقع الله بينهما الالفة والوفاق وفيه تنبيه على ان من اصلح نيته فيما يجرى بينه وبين اصلح الله مبتغاه ان الله كان عليما خبيرا بالظواهر والبواطن فيعلم كيف يرفع الشقاق ويوقع الوفاق واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا صنما او غيره او شيئا من الاشراك جليا او خفيا وبالوالدين هو احسانا واحسنوا بهما احسانا وبذى القربى وبصاحب القرابة واليتامى والمساكين والجار ذى القربى الذى قرب جواره وقيل الذى له مع الجوار قرب وانصال بنسب او دين وقرئ بالنصب على الاختصاص تعظيما لحقه والجار الجنب هو البعيد او الذى لا قرابة له وعنهم الجيران ثلاثة فجار له ثلاثة حقوق حق الجوار وحق القرابة وحق الاسلام وجار له حقان حق الجوار وحق الاسلام وجار له حق واحد حق الجوار وهو المشرك من اهل الكتاب وهو الصاحب بالجنب الرفيق فى امر حسن كتعلم وتصرف وصناعة وسفر فانه صحبك وحصل بجنبك وقيل هو المرأة وابن السبيل المسافر او الضيف وما ملكت ايمانكم العبيد والاماء ان الله لا يحب من كان مختالا منتبا يأنف عن اقاربه وجيرانه واصحابه ولا يلتفت اليهم فخورا يتفاخر عليهم الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل بدل من قوله من كان او نصب على الذم او رفع هو عليه اى هم الذين او مبتداء خبره محذوف تقديره الذين

يبخلون بما منحوا به ويأمرون الناس بالبخل وقرأ حمزة و
الكسائي بالبخل بفتح الحرفين وهي لغة ويكتمون ما آتاهم الله
من فضله الغنى والعلم احقاء بكل ملامة واعتدنا للكافرين
عذابا مهينا وضع الظاهر فيه موضع المضمر لشعار بان من هذا
شأنه فهو كافر لنعمة الله فله عذاب يهينه كما اهان النعمة ه ... ومن كان كافرا لنعمة
بالبخل والاخفاء والآية نزلت في طائفة من اليهود كانوا
يقولون للانصار تنصحا لا تنفقوا اموالكم فانا نخشى عليكم
الفقر وقيل في الذين كتموا صفة محمد ﷺ والذين ينفقون ه
اموالهم رياء الناس عطف على الذين يبخلون او الكافرين و
انما شاركهم في الذم والوعيد لان البخل والشح الذي ه
الانفاق لا على ما ينبغي من حيث انهما طرفا افراط وتفريط
سواء في القبح واستجلاب الذم او مبتدأ خبره محذوف
مدلول عليه بقوله ومن يكن الشيطان ولا يؤمنون بالله ولا
باليوم الآخر ليتحرف بالانفاق مراضيه وثوابه وهم مشركو
مكة وقيل المنافقون ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا
تنبيه على ان الشيطان قرينهم فحملهم على ذلك وزينه لهم كقوله
ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين والمراد ابليس واعوانه
الداخلة والخارجة ويجوز ان يكون وعيدا لهم بان يقرن لهم
الشيطان في النار وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر
وانفقوا مما رزقهم الله اي وما الذي عليهم او اي تبعة
تحيق بهم بالايمان والانفاق في سبيل الله وهو توبيخ لهم
على الجهل بمكان المنفعة والاعتقاد في الشيء على خلاف ما هو عليه
وتحريض على الفكر لطلب الجواب لعله يؤدي بهم الى العلم
فيه من الفوائد الجليلة والعوائد الجميلة وتنبيه على ان المذعن
الى امر لاضر فيه ينبغي ان يجيب اليه احتياطا فكيف اذا اقتضى

النافع وانما قدم الايمان ههنا واخره في الآية الاخرى لان ه
القصد بذكره التخصيص ههنا والتعليل ثم وكان الله بهم
عليما وعيد لهم ان الله لا يظلم مثقال ذرة لا ينقص من الاجر
ولا يزيد في العقاب اصغر شيء كالذرة وهي النملة الصغيرة
ويقال لكل جزء من اجزاء الهباء والمثقال مفعال من الثقل
وفي ذكره ايماء الى انه وان صغر قدره عظم جزاؤه وان تك
حسنة وان تك مثقال ذرة حسنة وانث الضمير لتأنث الخبر او لاضافة المثقال الى المؤنث وحذف النون من غير ه
قياس تشبيها بحروف العلة وقرأ ابن كثير ونافع بالرفع ه
على كان التامة يضاعفها يضاعف ثوابها وقرأ ابن كثير
وابن عامر ويعقوب يضعفها وكلاهما بمعنى واحد ويؤت
من لدنه ويعط صاحبها من عنده على سبيل التفضل زائدا
على ما وعد في مقابلة العمل اجرا عظيما عطاء جزيلا وانما ه
سماه اجرا لانه تابع للاجر مزيد عليه فكيف فكيف حال ه
هؤلاء الكفرة من اليهود وغيرهم اذا جئنا من كل امة ه
بشهيد يعني نبيهم يشهد على فساد عقائدهم وقبح اعمالهم
والعامل في الظرف مضمون المبتدأ والخبر من هول الامر و
تعظيم الشان وجئنا بك يا محمد على هؤلاء شهيدا تشهد على
صدق هؤلاء الشهداء لعلمك على عقائدهم واستجماع شرعك
مجامع قواعدهم وقيل هؤلاء اشارة الى الكفرة المستفهم عن
حالهم وقيل الى المؤمنين لقوله ﷺ لتكونوا شهداء على الناس
ويكون الرسول عليكم شهيدا يوم يذ يود الذين كفروا و
عصوا الرسول لو تسوى بهم الارض ببنائهم ه اي
يود الذين جمعوا بين الكفر وعصيان الامر او الكفرة والعصاة
في ذلك الوقت ان يدفنوا فتسوى بهم الارض كالموتى اولم

يبعثوا اولم يخلقوا وكانوا هم والارض سواء ولا يكتمون
الله حديثا ولا يقدرون على كتمانه لان جوارحهم تشهد
عليهم وقيل الواو للحال اى يودون ان تسوى بهم الارض
وحالهم انهم لا يكتمون الله حديثا ولا يكذبونه بقولهم
والله ربنا ما كنا مشركين اذ روى انهم اذا قالوا ذلك ختم
الله على افواههم فيشهد عليهم جوارحهم فيشتد الامر عليهم
فيمتنعون ذلك وقراء نافع تسوى على ان اصله تتسوى فادغمت
التاء فى السين يا ايها الذين آمنوا لا تقربوا الصلوة وهم
انتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون لا تقوموا اليها وانتم سكارى
من نحو نوم او خمر حتى تنتبهوا وتعلموا ما تقولون فى صلوتكم
روى ان عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه صنع مأدبة ودعا
نفرا من الصحابة حين كان الخمر مباحة فاكلوا وشربوا
حتى ثملوا وجاء وقت الصلوة المغرب فتقدم احدهم ليصلى
بهم فقرأ اعبد ما تعبدون فنزلت وقيل اراد بالصلوة
مواضعها وهى المساجد وليس المراد منه نهى السكران عن
قربان الصلوة وانما المراد منه النهى عن الافراط فى الشرب
والسكر من السكر وهو السد وقرئ سكارى بالفتح و
سكرى على انه جمع كهلكى او مفرد بمعنى وانتم قوم سكرى
وسكرى كحبلى على انها صفة للجماعة ولا جنبا عطف على قوله
وانتم سكارى اذ الجملة فى موضع النصب على الحال والجنب الذى
اصابه الجنابة يستوى فيه المذكر والمؤنث والواحد والجمع لانه
يجرى مجرى المصدر الا عابرى سبيل متعلق بقوله ولا
جنبا استثناء من اعم الاحوال اى لا تقربوا الصلوة جنبا فى
عامة الاحوال الا فى السفر وذلك اذا لم يجد الماء وتيمم وبشرط
لم تعقبه بذكر التيمم او صفة لقوله جنبا اى جنبا غير عابرى

سبيل وفيه دليل على ان التيمم لا يرفع الحدث ومن فسر الصلوة
بمواضعها فسر عابرى سبيل بالمجتازين فيها وجوزوا له
للجنب العبور للمسجد وبه قال الشافعى وقال ابو حنيفة
لا يجوز له المرور فى المسجد الا اذا كان فيه الماء او الطريق
حتى تغتسلوا غاية النهى عن القربان حال الجنابة وفى
الآية تنبيه على ان المصلى ينبغى ان يحترز عما يلهيه وهو
يشغل قلبه ويزكى نفسه عما يجب تطهيرها عنه وان
كنتم مرضى مرضا يخاف معه من استعمال الماء فان الواجد
له كالفاقد او مرضا منعه عن الوصول اليه او على سفر
لا تجدونه فيه او جاء احد منكم من الغائط فاحدث بخروج
الخارج من السبيلين واصل الغائط المطمئن من الارض
او لامستم النساء او ماسستم بشرتهن ببشرتكم وبه استدل
الشافعى على ان اللمس ينقض الوضوء وقيل او جامعتموهن
وقرأ حمزة والكسائى او لمستم النساء واستعماله كناية عن
الجماع اقل من الملامسة فلم تجدوا ماء فلم تتمكنوا من استعماله
اذ الممنوع عنه كالمفقود ووجه هذا التقسيم ان المترخص
بالتيمم اما محدث او جنب والحال المقتضية له فى غالب الامر
مرض او سفر والجنب لما سبق ذكره اقتصر على بيان حاله و
المحدث لما لم يجر ذكره ذكر اسبابه ما يحدث بالذات وما
يحدث بالعرض واستغنى عن تفصيل احواله بتفصيل حال
الجنب وبيان العذر مجملا فكانه قيل وان كنتم جنبا مرضى او
على سفر او محدثين جئتم من الغائط او لامستم النساء فلم
تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم
منه فتمسحوا شيئا من وجه الارض طاهرا ولذلك قال ابو حنيفة
رضى الله عنه يضرب المتيمم يده على حجر صلد ومسح به اجزاءه وقال اصحابنا

لابد من ان يتعلق بالبدن شئ من التراب لقوله في المايدة ه
فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه اى من بعضه وجعل من ه
لابتداء الغاية تعسف اذ لا يفهم من نحو ذلك الا التبعيض
واليد اسم العضو الى المنكب وما روى انه ع تيمم ومسح ه
يديه الى مرفقيه والقياس على الوضوء دليل على ان المراد ههنا
وايديكم الى المرافق ان الله كان عفوا غفورا فلذلك يسر
الامر عليكم ورخص لكم الم تر الى الذين اوتوا من رؤية ه
البصر الم تنظر اليهم او القلب وعدى بالى لتضمين معنى
الانتهاء نصيبا من الكتاب حظا يسيرا من علم التوراة ه
لان المراد احبار اليهود ويشترون الضلالة اى يختارونها
على الهدى او يستبدلونها به بعد تمكنهم منه او حصلوه لهم ه
بانكار نبوة محمد ع وقيل يأخذون الرشى ويحرفون ه
التوراة ويريدون ان تضلوا ايها المؤمنون السبيل سبيل
الحق والله اعلم باعدائكم وقد اخبركم بعداوة هؤلاء و
ما يريدون بكم فاحذروهم وكفى بالله وليا يلى امركم و
كفى بالله نصيرا يعينكم فثقوا عليه واكتفوا به عن غيره و
الباء تزاد في فاعل كفى لتوكيد الاتصال الاسنادى بالاتصال
الاضافى من الذين هادوا بيان للذين اوتوا نصيبا فانه ه
يحتملهم وغيرهم وما بينهما اعتراض او بيان لاعدائكم ه
اوصلة لنصيرا اى ينصركم من الذين هادوا ويحفظكم منهم
او خبر محذوف صفته يحرفون الكلم عن مواضعه اى من
الذين هادوا قوم يحرفون الكلم اى يميلونه عن مواضعه
التى وضعه الله فيها بازالته عنها واثبات غيره فيها او عن
يؤولونه على ما يشتهون فيميلونه عما انزل الله فيه وقرئ
الكلم بالكسر وسكون اللام جمع كلمة تخفيف كلمة ويقولون

سمعنا قولك وعصينا امرك واسمع غير مسمع اى مدعوا
عليك بلا سمعت بصما او صمت او اسمع غير مجاب الى
ما تدعو اليه او اسمع غير مسمع كلاما ترضاه او اسمع ه
كلاما غير مسمع اياك لان اذنك تنبو عنه فيكون مفعولا
به او اسمع غير مسمع مكروها من قولهم اسمعه فلان اذا
شتمه وانما قالوه نفاقا وراعنا انظرنا نكلمك او نفهم كلا ملك
لَيًّا بالسنتهم فتلا بها وصرفا للكلام الى ما يشبه السب حيث ه
وضعوا راعنا المشابه لما يتسابون به موضع انظرنا وغير ه
مسمع موضع لا اسمعت مكروها او فتلا بها وضما ما يظهرون
من الدعاء والثوقير الى ما يضمرون من السب والتحقير ه
نفاقا وطعنا في الدين استهزاء وسخرية به ولو انهم قالوا
سمعنا واطعنا واسمع وانظرنا ولو ثبت قولهم هذا مكان
ما قالوه لكان خيرا لهم واقوم لكان قولهم ذلك خيرا لهم
واعدل وانما يجب حذف الفعل بعد لو في مثل ذلك لد
لالة ان عليه ووقوعه موقعه ولكن لعنهم الله بكفرهم
ولكن خذلهم وابعدهم عن الهدى بسبب كفرهم فلا يؤ منون
الا قليلا الا ايمانا قليلا لا يعبأ به وهو الايمان ببعض الآيات
والرسل ويجوز ان يراد بالعلة العدم لقوله قليل التشكى
للمهم يصيبه او الا قليلا منهم آمنوا او سيء منون يا ايها ه
الذين اوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل
ان نطمس وجوهها فنردها على ادبارها من قبل ان نمحو
تخطيط صورها ونجعلها على هيئة ادبارها يعنى الاقفاء
او ننكسها الى ورائها في الدنيا او في الآخرة واصل الطمس
ازالة الاعلام الماثلة وقد يطلق بمعنى الطمس في ازالة الـ
الصورة ولمطلق القلب والتغيير ولذلك قيل معناه من

قبل ان نغيّر وجوهها فنسلب وجاهتها واقبالها ونكسوها
الصّغار والادبار ونردّها الى حيث جاءت منه وهى اذ
رعات الشّام يعنى اجلاء بنى النّضير ويقرب منه قول من
من قال المراد بالوجوه الرّئساء او من قبل ان نطمس وجوهها
بان نعمى الابصار عن الاعتبار ونصم الاسماع عن الاصغاء
الى الحقّ بالطّبع ونردّها عن الهداية الى الضّلالة او نلعنهم
كما لعنّا اصحاب السّبت اى نخزيهم بالمسخ كما اخزينا هم
اصحاب السّبت او نلعنهم على لسانك كما لعنّاهم على لسان
داود عليه السّلام والضّمير لاصحاب الوجوه او للّذين على
طريقة الالتفات او للوجوه ان اريد بها الوجهاء وعطفه على
الطّمس بالمعنى الاوّل يدلّ على انّ المراد به ليس مسخ الصّورة
فى الدّنيا ومن حمل الوعيد على تغيير الصّورة فى الدّنيا قال
انّه بعد مترقّب او كان وقوعه مشروطا بعدم ايمانهم وقد آمن
منهم طائفة وكان امر اللّه بايقاع شئ او وعيده او ما حكم به
وقضاه مفعولا نافذا وكائنا فيقع لا محالة ما اوعدتم به
ان لم تؤمنوا انّ اللّه لا يغفر ان يشرك به لانّه بت الحكم على
خلود عذابه ولانّ ذنبه لا يتمحّى عنه اثره فلا يستعدّ للعفو
بخلاف غيره ويغفر ما دون ذلك اى ما دون الشّرك صغيرا
كان او كبيرا لمن يشاء تفضّلا عليه واحسانا والمعنى له علّق
بالفعلين على معنى انّ اللّه لا يغفر الشّرك لمن يشاء وهو من لم
يتب ويغفر ما دونه لمن يشاء وهو من تاب وفيه تقييد بلا
دليل اذ ليس عموم آيات الوعيد بالمحافظة اولى منه ونقض
لمذهبهم فانّ تعليق الامر بالمشيّة ينافى وجوب التّعذيب
قبل التّوبة والصّفح بعدها فالآية كما هى حجّة عليهم وهى حجّة
على الخوارج الّذين زعموا انّ كلّ ذنب شرك وانّ صاحبه

خالد فى النّار ومن يشرك باللّه فقد افترى اثما عظيما هو
ارتكب ما يستحقر دونه الآثام وهو اشارة الى المعنى الفاد ق
بينه وبين سائر الذّنوب والافتراء كما يطلق على القول
يطلق على الفعل وكذلك الاختلاق الم تر الى الّذين يزكّون
انفسهم يعنى اهل الكتاب قالوا نحن ابناء اللّه واحبّاؤه و
قيل ناس من اليهود جاؤا الى رسول اللّه ص باطفالهم هو
فقالوا اهل على هؤلاء ذنب فقال لا قالوا واللّه ما نحن الا هو
كهيئتهم ما عملنا بالنّهار كفّر عنّا باللّيل وما عملنا باللّيل هو
كفّر عنّا بالنّهار وفى معناهم من زكّى نفسه واثنى عليها
بل اللّه يزكّى من يشاء تنبيه على ان تزكيته هو المعتدّ به دون
تزكية غيره فانّه العالم بما ينطوى عليه الانسان من حسن وقبح و
قد زكّاهم وزكّى المرتضين من عباده المؤمنين واصل التّزكية
نفى ما يستقبح فعلا وقولا ولا يظلمون بالذّم او العقاب بتزكيتهم
على انفسهم بغير حقّ فتيلا ادنى ظلم واصغره وهو الخطّ الّذى
فى شقّ النّواة يضرب به المثل فى الحقارة انظر كيف يفترون هو
على اللّه الكذب فى زعمهم ابناء اللّه وازكياء عنده وكفى به بزعمهم
هذا او بالافتراء اثما مبينا لا يخفى كونه ما ثما من بين آثامهم
الم تر الى الّذين اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت و
الطّاغوت نزلت فى يهود كانوا يقولون عبادة الاصنام
عند اللّه ارضى ممّا يدعو اليه محمّد وقيل فى حيىّ بن اخطب
وكعب بن الاشرف وجمع من اليهود خرجوا الى مكّة بحالفون
قريشا على محاربة رسول اللّه ص فقالوا انتم اهل كتاب و
انتم اقرب الى محمّد منكم الينا فلا نأمن مكركم فاسجدوا لآلهتنا
حتّى نطمئنّ اليكم ففعلوا والجبت فى الاصل اسم صنم فاستعمل
فى كلّ ما عبد من دون اللّه وقيل اصله الجبس وهو الّذى هـ

لاخير فيه وقلبت سينه تاء والطاغوت يطلق لكل باطل من
معبود اوغيره ويقولون للذين كفروا لاجلهم وفيهم هؤلاء
اشارة اليهم اهدى من الذين آمنوا سبيلا اقوم دينا وهو
ارشد طريقا اولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن
تجد له نصيرا يمنع العذاب عنه بشفاعة اوغيرها ام لهم
نصيب من الملك ام منقطعة ومعنى الهمزة انكار ان يكون
لهم نصيب من الملك وجحد لما زعمت اليهود من ان الملك
سيصير اليهم فاذا لا يؤتون الناس نقيرا اى لو كان لهم
نصيب من الملك فاذا لا يؤتون احدا ما يوازى نقيرا وهو
النقرة في ظهر النواة وهذا هو الاغراق في بيان شحهم
فانهم بخلوا بالنقير وهم ملوك فما ظنك بهم اذا كانوا عبيدا
اذلاء متغارفين ويجوز ان يكون المعنى انكار انهم اونوا
نصيبا من الملك على الكناية وانهم لا يؤتون الناس شيئا و
ان اذا اذا وقع بعد الواو والفاء لا لتشريك مفرد جاز فيه
الالغاء والاعمال ولذلك قرئ فاذا لا يؤتوا على النصب ام
يحسدون الناس بل يحسدون رسول الله ﷺ واصحابه
او العرب او الناس جميعا لان من حسد على النبوة فكانما
حسد الناس كلهم كمالهم ورشدهم ونجدتهم وانكر عليهم
الحسد كما ذمتهم على البخل وهما شر الرذائل وكان بينهما
تلازم وتجاذبا على ما آتاهم الله من فضله يعني النبوة و
الكتاب والنصرة والاعزاز اوجعل النبي الموعود منهم
فقد آتينا آل ابراهيم الذين هم اسلافه محمد وابناء عمه الكتاب
والحكمة النبوة وآتيناهم ملكا عظيما فلا يبعد ان يؤتيه الله
مثل ما آتاهم فمنهم من اليهود من آمن به بمحمد ﷺ او بما ذكر
من حديث آل ابراهيم ومنهم من صد عنه اعرض عنه ولم يؤمن

به وقيل معناه فمن آل ابراهيم من آمن به ومنهم من كفر ولم
يكن في ذلك توهين امره وكذلك لا يوهن كفر هؤلاء امرك
وكفى بجهنم سعيرا نارا مسعورة يعذبون بها اى ان لم يعجل
بالعقوبة فقد كفى هم ما اعد لهم من سعير جهنم ان الذين
كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا كالبيان والتقدير لذلك
كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها بان يعاد
ذلك الجلد بعينه على صورة اخرى كقولك بدلت الخاتم قرصا
او بان يزال عنه اثر الاحراق ليعود احساسه للعذاب كما
قال ليذوقوا العذاب اى ليدوم لهم ذوقه وقيل يخلق مكانه
جلد آخر والعذاب في الحقيقة للنفس العاصية المدركة لا
لآلة ادراكها فلا محذور ان الله كان عزيزا لا يمتنع عليه ما
يريده حكيما يعاقب على وفق حكمته والذين آمنوا وعملوا
الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين
خالدين فيها ابدا قدم ذكر الكفار ووعيدهم على ذكر المؤمنين
ووعدهم لان الكلام فيهم وذكر المؤمنين بالعرض لهم فيها
ازواج مطهرة وندخلهم ظلا ظليلا فينانا لا جوب فيه و
دائما لا تنسخه الشمس وهو اشارة الى النعمة التامة الدائمة
والظليل صفة مشتقة من الظل للتأكيد كقولهم شمس شامس
وليل أليل ويوم ايوم ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات
الى اهلها خطاب يعم المكلفين والامانات وان نزلت يوم
الفتح في عثمان بن طلحة بن عبد الدار لما اغلق باب الكعبة
وابى ان يدفع المفتاح ليدخل فيها وقال لو علمت انه رسول
الله ﷺ لم امنعه فلوى علي كرم الله وجهه يده واخذ منه المفتاح
وفتح فدخل رسول الله ﷺ وصلى ركعتين فلما خرج
سئله العباس رضي الله عنه ان يعطيه المفتاح ويجمع

الله ﷺ

له السقاية والسدانة فامر الله ان يرده اليه فامر عليا بان
يرده ويعتذر اليه وصار ذلك سببا لاسلامه ونزل الوحي
بان السدانة في اولاده واذا حكمتم بين الناس ان ه
تحكموا بالعدل اى ان تحكموا بالانصاف والتسوية ه
اذا قضيتم بين من ينفذ عليه امركم او يرضى بحكمكم و
لان الحكم وظيفة الولاة قيل الخطاب لهم ان الله نعما
يعظكم به اى نعم شيئا يعظكم به او نعم الشئ الذى يعظكم
به فما منصوبة موصوفة بيعظكم او مرفوعة موصولة
والمخصوص بالمدح محذوف وهو المامور به من ادا
الامانات والعدل في الحكومات ان الله كان سميعا ه
بصيرا باقوالكم واحكامكم وما تفعلون في الامانات ه
يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي
الامر منكم يريد بهم امراء المسلمين في عهد الرسول الله
صلى الله عليه وسلم وبعده ويندرج فيه الخلفاء و ه
القضاة وامراء السرية امر الناس بطاعتهم بعد ما ه
امرهم بالعدل تنبيها على ان وجوب طاعتهم ما داموا ه
على الحق وقيل علماء الشرع لقوله تع ولو ردوه الى الرسول
والى اولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ه
فان تنازعتم انتم واولوا الامر منكم في شئ من امور ه
الدين وهو يؤيد الوجه الاول اذ ليس للمقلد ان ينازع
المجتهد في حكمه بخلاف المرؤس الا ان يقال الخطاب ه
لاولي الامر على طريقة الالتفات فردوه فارجعوا فيه
الى الله الى كتابه والرسول بالسؤال عنه في زمانه والى
جعة الى سنته بعده واستدل به منكر القياس وقالوا الله
تع اوجب رد المختلف الى الكتاب والسنة دون القياس

واجيب بان رد المختلف الى المنصوص عليه انما يكون با
لتمثيل والبناء عليه وهو القياس ويؤيد ذلك الامر به بعد
الامر بطاعة الرسول فانه يدل على ان الاحكام ثلاثة
مثبت بالكتاب ومثبت بالسنة ومثبت بالرد اليهما على
وجه القياس ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر فان ه
الايمان يوجب ذلك ذلك اى الرد خير لكم واحسن
تاويلا عاقبة او احسن تاويلا من تاويلكم بلا رد اليم تر
الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما انزل اليك وما انزل
من قبلك يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت عن ابن عبا س
رضي الله عنهما ان منافقا خاصم يهوديا فدعاه اليهودي
الى النبي ع م ودعاه المنافق الى كعب بن الاشرف ثم انهما
اتيتكما الى رسول ع م فحكم لليهودي فلم يرض المنافق و
قال نتحاكم الى عمر فقال اليهودي لعمر قضى لي رسول فلم يرض
بقضائه وخاصم اليك فقال عمر للمنافق اكذلك فقال نعم ه
فقال مكانكما حتى اخرج اليكما فدخل فاخذ سيفه فخرج فضرب
به عنق المنافق حتى برد وقال هكذا اقضي لمن لم يرض ه
بقضاء الله ورسوله فنزلت وقال جبريل ع م ان عمر قد فرق
بين الحق والباطل فسمي الفاروق والطاغوت على هذا كعب
بن الاشرف وفي معناه من يحكم بالباطل ويؤثره لاجله سمي
بذلك لفرط طغيانه او لتشبهه بالشيطان او لان التحاكم
اليه تحاكم الى الشيطان من حيث ان الحامل عليه كما قال وقد
امروا ان يكفروا به ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا
وقرئ ان يكفروا بها على ان الطاغوت جمع كقولهم اولياؤ ه هم
الطاغوت يخرجونهم واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله
والى الرسول وقرئ تعالوا بالضم على انه حذف لام الفعل ه

اعتباطا ثم ضم اللام لواو الضمير رأيت المنافقين يصدون
عنك صدودا هو مصدر او اسم للمصدر الذى هو الصد
والفرق بينه وبين الصدانه غير محسوس والصد محسوس
ويصدون فى موقع الحال فكيف يكون حالهم اذا اصابتهم
مصيبة كقتل عمر رضى الله عنه المنافق او النقمة من الله كهم بما
قدمت ايديهم من التحاكم الى غيرك وعدم الرضا بحكمك
ثم جاءوك حين يصابون للاعتذار عطف على ما اصابتهم
وقيل على ما يصدون وما بينهما اعتراض يحلفون بالله حال
ان اردنا الا احسانا وتوفيقا ما اردنا بذلك الا الفصل
بالوجه الاحسن والتوفيق بين الخصمين ولم نرد مخالفتك
وقيل جاء اصحاب القتيل طالبين بدمه وقالوا ما اردنا بالتحا
كم الى عمر الا ان يحسن الى صاحبنا ويوفق بينه وبين خصمه
اولئك الذين يعلم الله ما فى قلوبهم من النفاق فلا يغنى
عنهم الكتمان والحلف الكاذب من العقاب فاعرض عنهم
اى عن عقابهم لمصلحة فى استبقائهم او عن قبول معذرتهم
وعظهم بلسانك وكفهم عما هم عليه وقل لهم فى انفسهم اى
فى معنى انفسهم او خاليا بهم فان النصح فى السر انجع قولا
بليغا يبلغ المراد منهم ويؤثر فيهم امره بالتجافى عن ذنو
بهم والنصح لهم والمبالغة فيه بالثنى غيب والتثى هيب وذلك
مقتضى شفقة الانبياء وتعليق الظرف ببليغا على معنى بليغا
فى انفسهم مؤثرا فيه ضعيف لان مفعول الصفة لا يتقدم
على الموصوف والقول البليغ فى الاصل هو الذى يطابق
مدلوله المقصود به وما ارسلنا من رسول الا ليطاع
باذن الله بسبب اذنه فى طاعته وامره المبعوث اليهم بان
يطيعوه وكانه احتج بذلك على ان الذى لم يرض بحكمه

وان اظهر الاسلام كان كافرا مستوجب القتل وتقريره ان
ارسال الرسول لما لم يكن الا ليطاع كان من لم يطعه ولم
يرض بحكمه لم يقبل رسالته ومن كان كذلك كان كافرا
مستوجب القتل ولو انهم اذ ظلموا انفسهم بالنفاق او
بالتحاكم الى الطاغوت جاءوك تائبين من ذلك وهو خبر ان
واذ متعلق به فاستغفروا الله بالتوبة والاخلاص واستغفر
لهم الرسول واعتذروا اليك حتى انتصبت لهم شفيعا
وانما عدل عن الخطاب تفخيما لشانه وتنبيها على ان من
حق الرسول ان يقبل اعتذار التائب وان عظم جرمه و
يشفع له ومن منصبه ان يشفع فى كبائر الذنوب لوجدوا الله
توابا رحيما لعلموه بلا تنبيهم متفضلا عليهم بالرحمة و
ان فسر وجد بصادف كان توابا حالا ورحيما بدلا منه
او حالا من الضمير فيه فلا ورب ك اى فورب ك ولا مزيدة
لتاكيد القسم لانتظاهر فى قوله لا يؤمنون لانها تزاد ايضا
فى الاثبات كقوله لا اقسم بهذا البلد حتى يحكموك فيما شجر
بينهم فيما اختلف بينهم واختلط ومنه الشجر لتداخل اغصانه ثم
لا يجدوا فى انفسهم حرجا مما قضيت ضيقا مما
حكمت به او من حكمك او شكا من اجله فان الشاك فى مضيق
من امره ويسلموا تسليما ينقادوا اليك انقيادا بظاهرهم
وباطنهم ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم تعرضوا
بها للقتل فى الجهاد او اقتلوها كما قتل بنو اسرائيل وان
مصدرية او مفسرة لان كتبنا فى معنى امرنا او اخرجوا من
دياركم خروجهم حين استتيبوا من عبادة العجل وقرا
ابو عمرو ان اقتلوا بكسر النون على الاصل بالتحريك او هو
اخرجوا بضم الواو للاتباع والتشبيه بواو الجمع فى نحو

ولا تنسوا الفضل وقراء عاصم بكسرها على الاصل والباقون
بضمها اجراء لها مجرى الهمزة المتصلة بالفعل ما فعلوه
الا قليل منهم الاناس قليل وهم مخلصون لما بين ان ايمانهم
لا يتم الا بان يسلموا حق التسليم تنبيه على قصور اكثرهم
ووهن اسلامهم والضمير للمكتوب ودل عليه كتبنا او
لاحد مصدري الفعلين وقراء ابن عباس بالنصب على
الاستثناء او على الافعلا قليلا ولو انهم فعلوا ما يوعظون
به من متابعة الرسول ع ومطاوعته طمعا ورغبة لكان خيرا
لهم في عاجلهم وآجلهم واشد تثبيتا في دينهم لانه اشد
لتحصيل العلم ونفي الشك او تثبيت الثواب اعمالهم ونصبه
على التمييز والآية ايضا مما نزلت في شان المنافق واليهودي
وقيل انها والتي قبلها نزلت في حاطب بن ابي بلتعة
خاصم زبيرا في سراج من الحرة كانا يسقيان بها النخل
فقال ع اسق يا زبير ثم ارسل الماء الى جارك فقال حاطب
لئن كان ابن عمتك فقال ع اسق يا زبير ثم احبس الماء الى
الجدة واستوف حقك ثم ارسل الى جارك واذا لآتينا
هم من لدنا اجرا عظيما جواب لسؤال مقدر كانه قيل وما
يكون لهم بعد التثبيت فقال واذا لو ثبتوا لآتيناهم لان اذا
جواب وجزاء ولهديناهم صراطا مستقيما يصلون بسلوكه
جناب القدس ويفتح عليهم ابواب الغيب قال ع من عمل
بما علم اورثه الله علم ما لم يعلم ومن يطع الله والرسول
فاولئك مع الذين انعم الله عليهم مزيد ترغيب في الطاعة
بالوعد عليها مرافقة اكرم الخلق واعظمهم قدرا من النبيين
والصديقين والشهداء والصالحين بيان للذين حال منه او
من ضميره قسمهم اربعة اقسام بحسب منازلهم في العلم ه

والعمل وحث كافة الناس على ان لا يتأخروا عنهم وهم الانبياء
الفائزون بكمال العلم والعمل المتجاوزون حد الكمال الى درجة
التكميل ثم الصديقون الذين صعدت نفوسهم نادرة بمراقي
النظر في الحجج والآيات واخرى بمعارج التصفية والرياضات
الى اوج العرفان حتى اطلعوا على الاشياء ولخبروا عنها على
ما هي عليها ثم الشهداء الذين اذى بهم الحرص على الطاعة
والجد في اظهار الحق حتى بذلوا مهجهم في اعلاء كلمة الله
ثم الصالحين الذين صرفوا اعمارهم في طاعته واموالهم في
مرضاته وذلك ان تفعل المنعم عليهم هم العارفون بالله وهم
هؤلاء اما ان يكونوا بالغين درجة العيان او واقفين في
مقام الاستدلال والبرهان والاولون اما ان ينالوا مع هم
العيان القرب بحيث يكونوا ممن يرى الشيء قريبا وهم الانبياء
او لا فيكونون ممن يرى الشيء من بعيد وهم الصديقون
والآخرون اما ان يكون عرفانهم بالبراهين القاطعة
وهم العلماء الراسخون الذين هم شهداء الله في ارضه واما
ان يكون بامارات واقناعات تطمئن اليها نفوسهم وهم
الصالحون وحسن اولئك رفيقا في معنى التعجب ورفيقا
منصوب على التمييز او الحال ولم يجمع لانه يقال للواحد والجمع
كالصديق او لانه اريد وحسن كل واحد منهم رفيقا روي
ان ثوبان مولى رسول الله ع اتاه يوما وقد تغير وجهه
ونحل جسمه فسأله عن حاله فقال ما بي من وجع غير اني
اذا لم اريك اشتقت اليك واستوحشت وحشة شديدة
حتى القاك ثم ذكرت الآخرة فخفت ان لا اراك هناك لاني
عرفت انك ترفع مع النبيين وان ادخلت الجنة كنت في منزل
دون منزلك وان لم ادخل فذاك حين لا اراك ابدا فنزلت

ضات

ذلك اشارة الى ما للمطيعين من الاجر ومن يد الهداية وموافقة
المنعم عليهم او الى فضل هؤلاء المنعم عليهم ومزيدهم الفضل هـ
صفته من الله خبره او الفضل خبر ومن الله حال والعامل
فيه الاشارة وكفى بالله عليما بجزاء من اطاعه او بمقادير
الفضل واستحقاق اهله يا ايها الذين آمنوا خذوا حذركم
تيقظوا واستعدوا للاعداء والحذر والحذر كالاثر والاثر
وقيل ما يحذر به كالحذم والسلاح فانفروا فاخرجوا الى هـ
الجهاد ثبات جماعات متفرقة جمع ثبة من ثبيت على فلان هـ
تثبيت اذا ذكرت متفرق محاسنه ويجمع ايضا على ثبين جبرا
لما حذف من عجزه او انفروا جميعا مجتمعين كوكبة واحدة
والآية وان نزلت في الحرب لكن يقتضي اطلاق لفظها وجوب
المبادرة الى الخيرات كلها كيف ما امكن قبل الفعلات وان منكم
لمن ليبطئن الخطاب لعسكر رسول الله ﷺ المؤمنين منهم هـ
والمنافقين والمبطئون منافقوهم تثاقلوا وتخلفوا عن هـ
الجهاد من بطاء بمعنى ابطاء وهو لازم او ثبطهم اغيرهم كما
ثبطهم ابن ابي ناسا يوم احد من بطاء منقول من بطؤ كنفل
من ثقل واللام الاولى للابتداء دخلت اسم ان للفصل بالجحد
والثانية جواب قسم محذوف والقسم بجوابه صلة من والراجع
اليه ما استكن في ليبطئن والتقدير وان منكم لمن اقسم بالله
ليبطئن فان اصابتكم مصيبة كقتل وهزيمة قال اى المبطئ
قد انعم الله علي اذ لم اكن معهم شهيدا حاضرا فيصيبني ما هـ
اصابهم ولئن اصابكم فضل من الله كفتح وغنيمة ليقولن
اكده تنبيها على فرط تحسرهم وقرئ بضم اللام اعادة للضمير
على معنى من كان لم يكن بينكم وبينه مودة اعتراض بين
الفعل ومفعوله وهو يا ليتني كنت معهم فافوز فوزا هـ

عظيما للتنبيه على ضعف عقيدتهم وان قولهم هذا قول من
لا مواصلة بينكم وبينه وانما يريد ان يكون معكم لمجرد المال
او حال عن الضمير في ليقولن او داخل في المقول اى يقول
المبطئ لمن يثبطه من المنافقين وضعفة المسلمين تضريرا
وحسدا كان لم يكن بينكم وبين محمد موذة حيث لم يتمن
بكم فتفوزوا بما فاز يا ليتني كنت معهم وقيل انه متصل بما هـ
الجملة الاولى وهو ضعيف اذ لا يفصل ابعاض الجملة بما لا يتعلق
بها لفظا ومعنى وكان مخففة من الثقيلة واسم ضمير الشان
محذوف وقراء ابن كثير وحفص عن عاصم وورش عن هـ
يعقوب تكن بالتاء لتانيث لفظ المودة والمنادى في يا ليتني
محذوف اى يا قوم وقيل يا اطلق للتنبيه على الاتساع فافوز
نصب على جواب التمني وقرئ بالرفع على تقدير فانا افوز
في ذلك الوقت او العطف على كنت فليقاتل في سبيل الله هـ
الذين يشترون الحيوة الدنيا بالآخرة اى الذين يبيعونها
بها والمعنى ان بطاء هؤلاء عن القتال فليقاتل المخلصون
الباذلون انفسهم في طلب الآخرة او الذين يشترونها و
يختارونها على الآخرة وهم المبطئون والمعنى حثهم على ترك ما
حكي عنهم ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف
نؤتيه اجرا عظيما وعد له الاجر العظيم غلب او غلب ترغيبا في
القتال وتكذيبا لقوله قد انعم الله علي اذ لم اكن معهم شهيدا
وانما قال فيقتل او يغلب تنبيها على ان المجاهد ينبغي ان يثبت
في المعركة حتى يغلب نفسه بالشهادة او الذين بالظفر والغلبة
وان لا يكون قصده بالذات الى القتل بل الى اعلاء الحق واعزاز
الدين وما لكم مبتدا وخبر لا تقاتلون في سبيل الله حال و
العامل فيها ما في الظرف من معنى الفعل والمستضعفين عطف

على اسم الله اى وفى سبيل المستضعفين وهو تخليصهم عن ه
الاسر وصونهم عن العدو او على السبيل بحذف المضاف اى
وفى خلاص المستضعفين ويجوز نصبه على الاختصاص فان
سبيل يعم ابواب الخير وتخليص ضعفة المسلمين من ايدى
الكفار اعظمها واخصها من الرجال والنساء والولدان بيان
للمستضعفين وهم المسلمون الذين بقوا بمكة لصد المشركين او
ضعفهم عن الهجرة مستلذين ممتحنين وانما ذكر الولدان مبالغة
فى الحث وتنبيها على تناهى ظلم المشركين بحيث بلغ اذاهم الصبيان
وان دعوتهم اجيبت بسبب مشاركتهم فى الدعاء حتى ه
يشاركوا فى استنزال الرحمة واستدفاع البلية وقيل المراد به
العبيد والاماء وهو جمع ولد الذين يقولون ربنا اخرجنا
من هذه القرية الظالم اهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل
لنا من لدنك نصيرا فاستجاب الله دعاءهم بان يسر لبعضهم
الخروج الى المدينة وجعل لمن بقى منهم حميا وليا ونصيرا بفتح
مكة على نبيه وهم فتحوا لهم ونصيرهم ثم استعمل عليهم عتاب بن
اسيد فحماهم ونصيرهم حتى صاروا اعنة اهلها والقرية مكة
والظالم صفتها وتذكيره لتذكير ما اسند اليه فان اسم الفاعل
او المفعول اذا جرى على غير من هى له كان كالفعل يذكر وه
يؤنث على حسب ما عمل فيه الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله
فيما يصلون به الى الله والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت
فيما يبلغ بهم الى الشيطان فقاتلوا اولياء الشيطان لما ذكر مقصد
الفريقين امر اولياءه ان يقاتلوا اولياء الشيطان ثم سجعه
شجعهم بقوله ان كيد الشيطان كان ضعيفا اى ان كيده ه
للمؤمنين بالاضافة الى كيد الله للكافرين ضعيف لاية فلا تخافوا
اولياءه فان اعتمادهم على اضعف شئ واوهنه الم تر الى ه

الذين قيل لهم كفوا ايديكم اى عن القتال واقيموا الصلوة
وآتوا الزكوة واشتغلوا بما امرتم به فلما كتب عليهم القتال
اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله يخشون الكفار
ان يقتلوهم كما يخشون الله ان ينزل عليهم بأسه واذا ه
للمفاجاة جواب لما فريق مبتدأ منهم صفته يخشون خبره
كخشية الله من اضافة المصدر الى المفعول وقع موقع المصدر
او الحال من فاعل يخشون على معنى يخشون الناس مثل اهل
خشية الله منه او اشد خشية عطف عليه ان جعلته حالا او
ان جعلته مصدرا فلا لان افعل التفضيل اذا نصب ما بعده
لم يكن من جنسه بل هو معطوف على اسم الله اى كخشية الله او
كخشية اشد خشية منه على الفرض اللهم الا ان يجعل الخشية ه
ذات خشية كقولهم جد جده على معنى يخشون الناس
خشية مثل خشية الله او خشية اشد خشية من خشية الله و
قالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا اخرتنا الى اجل قريب
استزادة فى مدة الكف عن القتال حذرا عن الموت ويحتمل
انهم ما تفوهوا به ولكن قالوا فى انفسهم فحكى الله عنهم
قل متاع الدنيا قليل سريع النقضى والآخرة خير لمن اتقى
ولا تظلمون فتيلا ولا تنقصون ادنى شئ من ثوابكم ه
فلا ترغبوا عنه او من اجالكم المقدرة وقراءة ابن كثير ولا
يظلمون لتقدم الغيبة اينما تكونوا يدرككم الموت قرئ
بالرفع على حذف الفاء كما فى قوله من يفعل الحسنات الله ه
بشكرها او على انه كلام مبتدأ واينما متصل بالا تظلمون ه
ولو كنتم فى بروج مشيدة فى قصور او حصون مرتفعة
والبروج فى الاصل بيوت على اطراف القصر من تبرج
المراءة اذا ظهرت وقرئ مشيدة وصفها بوصف ه

فاعلها كقولهم قصيدة شاعرة مشيدة من شاد القصر اذا
رفعه وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم
سيئة يقولوا هذه من عندك كما يقع الحسنة والسيئة على الطا
عة والمعصية يقعان على النعمة والبلية وهما المراد في الآية اى
ان تصبهم نعمة كخصب نسبوها الى الله تع وان تصبهم بلية
كقحط اضافوها اليك وقالوا ان هي الا بشؤمك كما قال قالت
اليهود منذ دخل محمد المدينة نقصت ثمارها وغلت اسعار
ها قل كل من عند الله يبسط ويقبض بحسب ارادته فما
لهؤلاء القوم لا يكادون لا يفقهون حديثا يوعظون به وهو
القرآن فانهم لو فهموه وتدبروا معانيه لعلموا ان الكل من الله
او حدثنا ما كبهائم لا افهام لها او حادثا من صرف الزمان
فيتفكروا فيها فيعلموا ان الباسط والقابض هو الله ما اصابك
يا انسان من حسنة من نعمة فمن الله تفضلا منه فان كل ما يفعله
الانسان من الطاعة لا يكافئ نعمة الوجود فكيف يقتضي غيره
ولذلك قال ع ما احد يدخل الجنة الا برحمة الله قيل ولا انت قال
ولا انا وما اصابك من سيئة من بلية فمن نفسك لانها السبب
فيها لاستجلابها بالمعاصي وهو لا ينافي قوله كل من عند الله
فان الكل منه ايجادا وايصالا غير ان الحسنة احسان وامتحان
والسيئة مجازاة وانتقام كما قالت عائشة رضي الله عنها ما من
مسلم يصيبه وصب ولا نصب حتى الشوكة يشاكها وحتى
انقطاع شسع نعله الا بذنب وما يعفو الله اكثر والآيتان
كما ترى لا حجة فيهما لنا ولا للمعتزلة وارسلناك للناس رسولا
حال قصد بها التأكيد ان علق الجار بالفعل والتعميم وان علق
بها اى رسولا للناس جميعا كقوله وما ارسلناك الا كافة
للناس ويجوز نصبه على المصدر كقوله على حلفة لا اشتم

ع

ك

الزهر مسلما ولا خارجا من في زور كلام وكفى بالله شهيدا
على رسالتك بنصب المعجزات من يطع الرسول فقد اطا
الله لانه في الحقيقة مبلغ فالآمر هو الله كما روى انه ع
قال من احبني فقد احب الله ومن اطاعني فقد اطاع
الله فقال المنافقين لقد قارف الشرك وهو ينهى عنه
ما يريد الا ان نتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى
فنزلت ومن تولى عن طاعته فما ارسلناك عليهم حفيظا
تحفظ عليهم اعمالهم وتحاسبهم عليها انما عليك البلاغ و
علينا الحساب وهو حال من الكاف ويقولون اذا امرتهم
بامر طاعة اى امرنا طاعة او منا طاعة واصلها النصب
على المصدر ورفعها للدلالة على الثبات فاذا برزوا من عندك
خرجوا بيت طائفة منهم غير الذي تقول اى زورت هم
خلاف ما قلت لها او ما قالت لك من القبول وضمان الطاعة
والتبييت اما من البيتوتة لان الامور تدبر بالليل او من
بيت الشعر او البيت المبني لانه يسوى ويدبر وقرأ حمزة
بيت طائفة بالادغام لقربهما في المخرج والله يكتب ما هم
يبيتون يثبته في صحائفهم للمجازاة او في جملة ما يوحى
اليك لتطلع على اسرارهم فاعرض عنهم قلل المبالاة بهم
او تجافى عنهم وتوكل على الله في الامور كلها سيما في شانهم
وكفى بالله وكيلا يكفيك مضرتهم وينتقم لك منهم افلا
يتدبرون القرآن يتأملون في معانيه ويتبصرون ما
فيه واصل التدبر النظر في ادبار الشيء ولو كان من
عند غير الله اى ولو كان من كلام البشر كما زعم الكفار
لوجدوا فيه اختلافا كثيرا من تناقض المعنى وتفاوت
النظم وكان بعضه فصيحا وبعضه ركيكا وبعضه يصعب

معارضته وبعضه يسهل ومطابقة بعض اخباره المستقبلة
للواقع دون بعض وموافقة العقل لبعض احكامه دون
بعض على ما دل عليه الاستقراء لنقصان القوة البشرية و
لعل ذكره ههنا للتنبيه على ان اختلاف ما سبق من الاحكام
ليس تناقضا في الحكم بل لاختلاف الاحوال في المحكم وهو
المصالح واذا جاءهم امر من الامن او الخوف مما يوجب
الامن او الخوف اذاعوا به افشوه كان يفعله قوم من
ضعفة المسلمين اذا بلغهم خبر عن سرايا رسول الله ص
او خبروهم الرسول بما اوحى اليه من وعد بالظفر او تخويف
من الكفرة اذاعوا به لعدم جزمهم وكانت اذاعتهم مفسدة
والباء مزيدة او لتضمن الاذاعة معنى التحدث ولو ردوه
ولو ردوا ذلك الخبر الى الرسول والى اولى الامر منهم اى
الى رايه وراى كبار الصحابة البصراء بالامور والامراء
لعلمه على اى وجد يذكره الذين يستنبطونه منهم يستخرجون
تدبيره بتجاربهم وانظارهم وقيل كانوا يسمعون الاخبار
المنافقين فيذيعونها فتعود وبالا على المسلمين ولو ردوه
الى الرسول والى اولى الامر منهم حتى سمعوه منهم ويعرفوا
انه هل هو مما يذاع لعلم ذلك او من هؤلاء الذين يستنبطون
من الرسول واولى الامر يستخرجون علمه من جهتهم
واصل الاستنباط اخراج النبط وهو الماء يخرج من البئر
اول ما يحفر ولولا فضل الله عليكم ورحمته بارسال الرسول
وانزال الكتب لاتبعتم الشيطان بالكفر والضلال الا قليلا
منكم تفضل الله عليه بعقل راجح اهتدى به الى الحق والصواب
وعصمه عن متابعة الشيطان كزيد بن عمرو بن نفيل وورقة
بن نوفل او الا اتباعا قليلا على الندور فقاتل في سبيل الله

ان تنشطوا وتركوك وحدك لا تكلف الا نفسك الا فعل
نفسك لا يضرك في مخالفتهم وتقاعدهم فتقدم الى الجهاد
وان لم يساعدك احد فان الله ناصرك لا الجنود روى
انه ص دعا الناس في بدر الصغرى الى الخروج فكرهه
بعضهم فنزلت فخرج وما معه الا سبعون لم يلو على احد
وقرئ لا تكلف بالجزم والانكلف بالنون على بناء الفاعل
اى لا نكلفك الا فعل نفسك لانا لا نكلف احدا الا نفسك
وحرض المؤمنين على القتال اذ ما عليك في شانهم الا التحريض
عسى الله ان يكف بأس الذين كفروا يعني قريشا وقد فعل ه
بان القى في قلوبهم الرعب حتى رجعوا والله اشد بأسا من ه
قريش واشد تنكيلا تعذيبا منهم وهو تقريع وتهديد لمن
لم يتبعه من يشفع شفاعة حسنة يرغب بها حق مسلم ورفع
بها عنه ضررا او جلب اليه نفعا ابتغاء لوجه الله ومنها الدعاء
لمسلم قال ص من دعا لاخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له
وقال له الملك ولك مثل ذلك يكن له نصيب منها وهو ثواب
الشفاعة والتسبب الى الخير الواقع بها ومن يشفع شفاعة
سيئة يريد بها محرما يكن له كفل منها نصيب من وزرها ه
مساويا لها في القدر وكان الله على كل شيء مقيتا مقتدرا من
اقات على شيء اذا قدر عليه قال وذي ضغن كففت التوى
عنه وكنت على مساءته مقيتا او شهيدا حافظا واشتقاقه من
القوت فانه يقوى البدن ويحفظه واذا حييتم بتحية ه
تحيوا باحسن منها او ردوها الجمهور على انه في السلام ويدل
على وجوب الجواب اما باحسن منها وهو ان يزيد عليه وه
رحمة الله فان قاله المسلم وزاد وبركاته وهي النهاية واما
بمثله لما روي ان رجلا قال لرسول الله ص السلام ه

عليك فقال وعليك السلام ورحمة الله وقال آخر السلام عليك
ورحمة الله فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته وقال
آخر السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال وعليك فقال ه
الرجل نقصتني فاين ما قال الله وتلى الآية فقال انك لم تترك
لي فضيلة فرددت عليك مثله وذلك لاستجماعه اقسام مطالب
السلامة عن المضار وحصول المنافع وثباتها ومنه قيل او ه
للتردد بين ان يحيي المسلم ببعض التحية وبين ان يحيي بتمامها
وهذا الوجوب على الكفاية وحيث السلام مشروع فلا يرد في
الخطبة وقراءة القرآن وفي الحمام وعند قضاء الحاجة والتحية في
الاصل مصدر حياك الله على الاخبار من الحيوة ثم استعمل للحكم
والدعاء بذلك ثم قيل لكل دعاء فغلب في السلام وقيل المراد
بالتحية العطية واوجب الثواب او الرد على الشهب وهو قول
قديم للشافعي ان الله كان على كل شيء حسيبا يحاسبكم على التحية
وغيرها الله لا اله الا هو مبتداء اوخبر او الله مبتداء والخبر
ليجمعنكم الى يوم القيمة اى الله والله ليحشرنكم من قبوركم الى
يوم القيمة او مفضين اليه او في يوم القيمة ولا اله الا هو اعتراض
والقيام والقيامة كالطلاب والطلابة وهي قيام الناس من ه
القبور او للحساب ريب فيه في اليوم او الجمع فهو حال عن اليوم
او صفة للمصدر ومن اصدق من الله حديثا انكار ان يكون ه
احد اكثر صدقا منه فانه لا ينطرق الكذب الى خبره بوجه لانه ه
نقص وهو على الله محال فما لكم في المنافقين فيئتين تفرقتم في
امر المنافقين فيئتين اى فريقين ولم تشفقوا على كفرهم وذلك
ان ناسا منهم استاذنوا رسول الله ﷺ في الخروج الى البدو لا
جتواء المدينة فلما خرجوا لم يزالوا راحلين مرحلة مرحلة ه
حتى لحقوا بالمشركين فاختلف المسلمون في اسلامهم وقيل ه

نزلت في المتخلفين يوم احد او في قوم هاجروا ثم رجعوا
معتلين باجتواء المدينة والاشتياق الى وطن او قوم
اظهروا الاسلام وقعدوا عن الهجرة وفيئتين حال ه
عاملها لكم كقولك قائما وفي المنافقين حال من فيئتين
اى متفرقين فيهم او من الضمير اى فما لكم تفترقون ه
فيهم ومعنى الافتراق مستفاد من فيئتين والله اركسهم
بما كسبوا ردهم الى حكم الكفرة او نكسهم بان صيرهم ه
للنار واصل الركس رد الشيء مقلوبا اتريدون ان ه
تهدوا من اضل الله ان تجعلوه من المهتدين ومن ه
يضلل الله فلن تجد له سبيلا الى الهدى ودوا لو تكفرون
كما كفروا تمنوا ان تكفروا ككفرهم فتكونون سواء فتكو نون
معهم سواء في الضلالة وهو عطف على تكفرون ولو نصب
على جواب التمني جاز فلا تتخذوا منهم اولياء حتى يهاجروا ه
جروا في سبيل الله فلا تتولوهم حتى يؤمنوا ويحققوها ه
ايمانهم بهجرة هي لله ورسوله لا لاغراض الدنيا وسبيل
الله ما امر بسلوكه فان تولوا عن الايمان الظاهر بالهجرة
او عن اظهار الايمان فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم
كما تقدم الكفرة ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا اى جانبا
نفعا ولا تقبلوا لهم ولاية ولا نصرة الا الذين يصلون
الى قوم بينكم وبينهم ميثاق استثناء من قوله فخذوهم و
اقتلوهم اى الا الذين يصلون وينتهون الى قوم عاهدو
ويفارقون محاربتكم والقوم هم خزاعة وقيل الاسلميون
فانهم وادع وقت خروجه الى مكة هلال بن عويمر الاسلمي
على ان لا يعينه ولا يعين عليه ومن لجاء اليه فله من الجوار مثل
ما له وقيل هو بكر بن زيد اوجاؤكم عطف على الصلة اى

نون

هم
هم

كم

او الذين جاؤكم كافين عن قتالكم وقتال قومهم استئنى عن
المأمور باخذهم وقتلهم من ترك المحاربين فلحق بالمعاهدين
او الى رسول الله ﷺ وكف عن قتال الفريقين او على صفة قوم
وكانه قيل الا الذين يصلون الى قوم معاهدين او قوم كافين
عن القتال لكم وعليكم والاول اظهر لقوله فان اعتزلوكم
وقرئ بغير العاطف على انه صفة بعد صفة او بيان ليصلون
او استيناف حصرت صدورهم حال باضمار قد ويدل عليه ان
قرئ حصرة صدورهم وحصرات او بيان لجاؤكم وقيل صفة
محذوف اى جاؤكم قوما حصرت صدورهم وهم بنو اخي
مدلج جاؤا الى رسول الله ﷺ غير مقاتلين وحصر الصدر
والانقباض ان يقاتلوكم او يقاتلوا قومهم اى عن ان اولان
اوكراهة ان يقاتلوكم ولو شاء الله لسلطهم عليكم بان
قوى قلوبهم وبسط صدورهم وازال الرعب عنهم فلقاتلوكم
فلقاتلوكم ولم يكفوا عنكم فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم فان
لم يتعرضوا لكم والقوا اليكم السلم الاستسلام والانقياد
فما جعل الله لكم عليهم سبيلا فما اذن لكم في اخذهم وقتلهم
ستجدون آخرين يريدون ان يامنوكم ويامنوا قومهم هم
اسد وغطفان وقيل بنو عبد الدار اتوا المدينة واظهروا
الاسلام ليامنوا المسلمين فلما رجعوا كفروا كلما ردوا الى
الفتنة دعوا الى الكفر او الى قتال المسلمين اركسوا فيها عادوا
اليها وقلبوا فيها اقبح قلب فان لم يعتزلوكم ويلقوا اليكم
السلم وينبذوا اليكم العهد ويكفوا ايديهم عن قتالكم
فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم حيث تمكنتم منهم فان
مجرد الكف لا يوجب نفي التعرض واولئكم جعلنا لكم عليهم
سلطانا مبينا حجة واضحة في التعرض لهم بالقتل والسبي

لظهور عداوتهم ووضوح كفرهم وغدرهم او تسلطا
ظاهرا حيث اذنا لكم في قتلهم وما كان لمؤمن وما صح له
وليس من شانه ان يقتل مؤمنا بغير حق الا خطاء فانه
على عرضته ونصب على الحال او المفعول له اى لا يقتله
في شيء من الاحوال الا حال الخطاء او يقتله لعلة الا للخطاء
او على انه صفة مصدر محذوف اى الا قتلا خطاء وقيل
ما كان في معنى النهي والاستثناء اى لكن ان قتله خطاء
فجزاؤه ما يذكره والخطاء ما لا يصاحبه القصد الى الفعل
او الشخص او لا يقصد به زهوق الروح غالبا او لا
يقصد به محظور كرمي مسلم في صف الكفار مع الجهل
باسلامه او يكون فعل غير المكلف وقرئ خطاء بالمد
وخطأ كعصا بتخفيف الهمزة والآية نزلت في عياش
بن ابي ربيعة اخي ابي جهل من الام لقي حارث بن زيد
في طريق وكان قد اسلم ولم يشعر به عياش فقتله ومن
قتل مؤمنا خطاء فتحرير رقبة اى فعليه او فواجب
تحرير رقبة والتحرير الاعتاق والحر كالعتيق للكريم
من الشيء ومنه حر الوجه لاكرم موضع منه سمي به لان
الكريم يصان في الاحرار والرقبة عبر بها عن النسمة كما عبر عنها
بالرأس مؤمنة يحكم باسلامها وان كانت صغيرة و
دية مسلمة الى اهله مؤداة الى ورثته يقتسمونها كسائر
الموارث لقول الضحاك بن سفيان الكلابي كتب الي
رسول الله ﷺ ان اورث امرأة اشيم الضبابي
من عقل زوجها وهي على العاقلة فان لم يكن فعلى بيت
المال فان لم يكن ففي ماله الا ان يصدقوا او يتصدقوا عليه
والدية سمي العفو عنها صدقة حثا عليه وتنبيها على فضله

وعن النبي ﷺ كل معروف صدقة وهو متعلق بعليه او بمسلمة
اى تجب الدية عليه او يسلموها الى اهله الا حال تصدقوا عليه
او زمانه فهو فى محل النصب على الحال من القاتل او
الاهل او الظرف فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن
فتحرير رقبة مؤمنة اى فان كان المؤمن المقتول من قوم
كفار محاربين او فى تضاعيفهم ولم يعلم ايمانه فعلى
قاتله الكفارة دون الدية لاهله اذ لا وراثة بينه وبينهم
ولانهم محاربون وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق
فدية مسلمة الى اهله وتحرير رقبة مؤمنة وان كان من
قوم كفرة معاهدين او اهل ذمة فحكمه حكم المسلمين فى
وجوب الكفارة والدية ولعله فيما اذا كان المقتول معاهدا
او كان له وارث مسلم فمن لم يجد رقبة بان لم يملكها ولا
يتوصل به اليها فصيام شهرين متتابعين فعليه او فالواجب
عليه صيام شهرين توبة من تاب الله عليه اذا قبل توبته
او على المصدر اى وتاب عليكم توبة او حال بحذف المضاف
اى فعليه صيام شهرين ذا توبة من الله صفتها وكان الله
عليما بحاله حكيما فيما امر فى شانه ومن يقتل مؤمنا متعمدا
فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه واعد له
عذابا عظيما لما فيه من التهديد العظيم قال ابن عباس رضى الله
عنهما لا تقبل توبة قاتل المؤمن عمدا ولعله اراده به
التهديد اذ روى عنه خلافه والجمهور على انه مخصوص
بمن لم يتب لقوله تعالى وانى لغفار لمن تاب ونحوه وهو
عندنا امّا مخصوص بالمستحل له كما ذكره عكرمة وغيره
ويؤيده انه نزل فى مقيس بن ضبابة وجد اخاه هشاما
قتيلا فى بنى النجار ولم يظهر قاتله فامرهم رسول الله

ان يدفعوا اليه ديته فدفعوا اليه ثم حمل على مسلم فقتله و
رجع الى مكة مرتدا والمراد بالخلود المكث الطويل فان الادلة
متظاهرة على ان عصاة المؤمنين لا يدوم عذابهم
يا ايها الذين آمنوا اذا ضربتم فى سبيل الله سافرتم و
ذهبتم للغزو فتبينوا فاطلبوا بيان الامر وثباته ولا
تعجلوا فيه ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام لمن حياكم
بتحية الاسلام وقراءة نافع وحمزة وابن عامر السلام
بغير الف اى الاستسلام والانقياد وفسر به السلام
ايضا لست مؤمنا وانما فعلت ذلك متعوذا او قرئ
مؤمنا بالفتح اى مبذولا له الامان تبتغون عرض الحياة
الدنيا تطلبون ماله الذى هو حطام الدنيا سريع النفاد
وهو حال عن الضمير فى تقولوا مشعر بما هو الحامل لهم على
العجلة وترك التثبت فعند الله مغانم كثيرة تغنيكم عن قتل
امثاله كذلك كنتم من قبل اى اول ما دخلتم فى الاسلام تفوهتم
بكلمتى الشهادة فحصنت بها دماءكم واموالكم من غير ان يعلم
مواطاة قلوبكم السنتكم فمن الله عليكم بالاستمرار بالايمان
والاستقامة فى الدين فتبينوا وافعلوا بالداخلين فى الاسلام
كما فعل الله بكم ولا تبادروا الى قتلهم ظنا بانهم دخلوا
فيه اتقاء وخوفا فان ابقاء الف كافر عند الله اهون من
قتل امرء مسلم وتكريره تاكيد لتعظيم الامر وترتيب الحكم
على ما ذكر من حالهم ان الله كان بما تعملون خبيرا عالما
به وبالغرض منه فلا تتهافتوا فى القتل واحتاطوا وروى
ان سرية لرسول الله ﷺ غزت اهل فدك فهربوا وبقى
رجل اسن ثقة باسلامه فلما رأى الخيل الجاء غنمه الى عاقول
من الجبل وصعد فلما تلاحقوا وكبروا كبر ونزل وقال

ئل

م

لا اله الا الله محمد رسول الله السلام عليكم فقتله اسامة واسترق
غنمه فنزلت وقيل نزلت في المقداد من رجل في غنيمة ه
فاراد قتله فقال لا اله الا الله فقتله وقال ودلوا فر ه
باهله وماله وفيه دليل على صحة ايمان المكره وان المجتهد
قد يخطى وان خطاءه مغفور لا يستوى القاعدون
عن الحرب من المؤمنين في موضع الحال من القاعدين او
من الضمير الذي فيه غير او الى الضرر بالرفع صفة ه
للقاعدين لانه لم يقصد به قوم باعيانهم او بدل عنه و
قراء نافع بالنصب على الحال او الاستثناء وقرئ بالجر على
انه صفة للمؤمنين او بدل منه وعن زيد بن ثابت انها نزلت
ولم يكن فيها غير او الى الضرر فقال ابن ام مكتوم وكيف
وانا اعمى فغشى رسول الله ص في مجلسه الوحي فوقعت
فخذه على فخذي حتى خشيت ان ترضها ثم سري عنه ه
فقال اكتب لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير اولى
الضرر والمجاهدون في سبيل الله باموالهم وانفسهم اى
لا مساواة بينهم وبين من قعد عن الجهاد من غير عذر
وفائدته تذكير ما بينهما من التفاوت لترغيب القاعد
في الجهاد رفعا لرتبته وانفة عن انحطاط منزلته فضل
الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة ه
جملة موضحة لما نفى الاستوى فيه والقاعدون على التفسير
السابق درجة نصب بنزع الخافض اى بدرجة او على المصدر
لانه يضمن معنى التفضيل ووقع موقع المرة منه او الحال بمعنى
ذى درجة وكلا من القاعدين والمجاهدين وعد الله الحسنى
المثوبة الحسنى وهى الجنة لحسن عقيدتهم وخلوص نيتهم
وانما التفاوت في زيادة العمل المقتضى لمزيد الثواب

فضل الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما نصب على ه
المصدر لان فضل بمعنى اجر والمفعول الثاني له لتضمنه
معنى الاعطاء كانه قيل واعطاهم زيادة على القاعدين
اجرا عظيما درجات منه ومغفرة ورحمة كل واحد منهما ه
بدل من اجرا ويجوز ان ينتصب درجات على المصدر
كقولك ضربته اسواطا واجرا على الحال منها تقدمت ه
عليها لانها نكرة ومغفرة ورحمة على المصدر باضمار فعلها
كرر تفضيل المجاهدين وبالغ فيه اجمالا وتفصيلا تعظيما
للجهاد وترغيبا فيه وقيل المراد بالدرجة ارتفاع منزلتهم
عند الله تعالى وبالدرجات منازلهم في الجنة وقيل القاعدون
الاول هم الامراء والقاعدون الثاني هم الذين اذن ه
لهم في التخلف اكتفاء بغيرهم وقيل الاولون من جاهد
الكفار والآخرون من جاهد نفسه وعليه قوله ص ه
رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر وكان الله ه
غفورا لما عسى يفرط منهم رحيما بما وعدلهم ان الذ
توفاهم الملائكة يحتمل الماضي والمضارع وقرئ تتوفاهم
توفيهم على مضارع وفيت بمعنى ان الله يتوفى الملائكة ه
انفسهم فيتوفونها اى يمكنهم من استيفائها فيستوفونها
ظالمي انفسهم في حال ظلمهم انفسهم بترك الهجرة ومعا
صفة فانها نزلت في ناس من مكة اسلموا ولم يهاجروا
حين كانت الهجرة واجبة قالوا اى الملائكة توبيخا لهم
فيم كنتم في اى شيء كنتم من امر دينكم قالوا كنا مستضعفين
في الارض اعتذروا اما وتجوابا بضعفهم وعجزهم عن
الهجرة او عن اظهار الدين واعلاء كلمته قالوا اى الملائكة
تكذيبا لهم او تبكيتا الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا

ين

فقة

فيها الى قطر آخر كما فعل المهاجرون الى المدينة او الحبشة ه
فاولئك مأواهم جهنم لتركهم الواجب ومساعدتهم
الكفار وهو خبر ان والفاء فيه لتضمين الاسم معنى الشرط
وقالوا فيم كنتم حال من الملائكة باضمار قد او الخبر قالوا
والعائد محذوف اى قالوا لهم وهو جملة معطوفة على جملة
قبلها مستفتحة منها وساءت مصيرا مصيرهم او جهنم
وفى الآية دليل على وجوب الهجرة من موضع لا يتمكن الرجل
فيه من اقامة دينه وعن كل من فر بدينه من ارض الى ارض
وان كان شبرا من الارض استوجبت له الجنة وكان رفيق
ابيه ابراهيم ونبيه محمد ه الا المستضعفين من الرجال و
النساء والولدان استثناء منقطع لعدم دخولهم فى
الموصول وضميره والاشارة اليه وذكر الولدان ان اريد
به المماليك فظاهر وان اريد به الصبيان فللمبالغة فى الامر
والاشعار بانهم على صدد وجوب الهجرة فانهم اذا ه
بلغوا وقدروا على الهجرة فلا محيص لهم عنها وان قوا
هم يجب عليهم ان يهاجروا بهم متى امكنت لا يستطيعون
حيلة ولا يهتدون سبيلا صفة للمستضعفين اذ لا توقيت
فيه او حال عنه او عن المستكن واستطاعة الحيلة وجدان
اسباب الهجرة وما يتوقف عليه واهتداء السبيل معرفة
الطريق بنفسه او بدليل فاولئك عسى الله ان يعفو عنهم
ذكر بكلمة الاطماع ولفظ العفو ايذانا بان ترك الهجرة
امر خطير حتى ان المضطر من حقه ان لا يأمن ويتربص
الفرصة ويعلق بها قلبه وكان الله عفوا غفورا ومن يهاجر
فى سبيل الله يجد فى الارض مراغما كثيرا متحولا من الرغام
وهو التراب وقيل طريقا يراغم قومه بسلوكه اى يفارقهم

على رغم انوفهم وهو ايضا من الرغام وسعة فى الرزق
واظهار الدين ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله
ثم يدركه الموت وقرئ يدركه بالرفع على انه خبر محذوف
اى ثم هو وبالنصب على اضمار ان كقوله والحق بالحجاز ه
فاستريحا فقد وقع اجره على الله وكان الله غفورا رحيما
الوقوع والوجوب متقاربان والمعنى ثبت اجرهم عند الله
بنبوت الامر الواجب والآية نزلت فى جندب بن ضمرة ه
حمله بنوه على سرير متوجها الى المدينة فلما بلغ التنعيم ه
اشرف على الموت فصفق يمينه على شماله فقال اللهم هذه
لك وهذه لرسولك ابايعك على ما بايع عليه رسولك فمات
حميدا واذا ضربتم فى الارض سافرتم فليس عليكم جناح
ان تقصروا من الصلوة بتنصيف ركعاتها ونفى الحرج فيه ه
يدل على جوازه دون وجوبه ويؤيده انه ه اتم فى السفر
وان عائشة رضى الله عنها اعتمرت مع رسول الله ه
وقالت يا رسول الله ه قصرت واتممت وصمت وافطرت
فقال احسنت يا عائشة واوجبه ابو حنيفة لقول عمر ه
رضى الله عنه صلاة السفر ركعتان تام غير قصر على لسان
نبيكم ولقول عائشة اول ما فرضت الصلوة ركعتين
ركعتين فاقرت فى السفر وزيدت فى الحضر فظاهرهما
مخالف للآية فان صحا فالاول مأول بانه كالتام فى الفضيلة
والاجزاء والثانى لا ينفى جواز الزيادة فلا حاجة الى تأو
يل
الآية بانهم الفوا الاربع وكانت مظنة لان يخطر ببالهم
ان ركعتى السفر قصر ونقصان فسمى الآيتان بهما قصرا
على ظنهم ونفى الجناح فيه لتطييب انفسهم واقل سفر
يقصر فيه اربعة برد عندنا وستة عنده وقرئ تقصروا

من اقصر بمعنى قصر ومن الصلوة صفة محذوف اى شيئا من
الصلوة عند سيبويه ومفعول تقصروا بزيادة من عند
الاخفش ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا ان الكافرين ه
كانوا لكم عدوا مبينا شريطة باعتبار الغالب فى ذلك الوقت
ولذلك لم يعتبر مفهومها كما لم يعتبر فى قوله فان خفتم
الا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به و
قد تظاهر السنن على جوازه ايضا فى الحال الامن وقرئ من
الصلوة ان يفتنكم بغير ان خفتم بمعنى كراهة ان يفتنكم و
هو القتال والتعرض بما يكره واذا كنت فيهم فاقمت لهم
الصلوة تعلق بمفهومه من خص صلاة الخوف بحضرة الرسول
لفضل الجماعة وعامة الفقهاء على انه كان علم الرسول كيفيتها
لتأتم به الامة بعده وانهم نواب عنه فيكون حضورهم
كحضوره فلتقم طائفة منهم معك فاجعلهم طائفتين
فلتقم احداهما معك يصلون وتقوم الطائفة الاخرى
تجاه العدو ولياخذوا اسلحتهم اى المصلون حرفا وقبل
الضمير للطائفة الاخرى وذكر الطائفة الاولى يدل عليهم ه
فاذا سجدوا اى المصلون فليكونوا اى غير المصلين من ورائكم
ورائكم يحرسونكم يعنى النبى ع ومن يصلى معه فغلب المخاطب
على الغائب والتأنث طائفة اخرى لم يصلوا لاشتغالهم باه
لحراسة فليصلوا معك ظاهره يدل على ان الامام يصلى مرتين
بكل طائفة مرة كما فعله عليه الصلوة والسلام ببطن النخل
ان اريد به ان يصلى بكل ركعة ان كانت الصلوة ركعتين ه
فكيفيته ان يصلى بالاولى ركعة وينتظر قائما حتى يتموا
اصلاتهم منفردين ويذهبوا الى وجه العدو وتاتى الاخرى
فيتم بهم الركعة الثانية ثم ينتظرهم قاعدا حتى يتموا اصلا

ويسلم بهم كما فعله رسول الله ع بذات الرقاع وقال
ابو حنيفة رضى الله عنه يصلى بالاولى ركعة ثم تذهب
هذه وتقف بازاء العدو وتاتى الاخرى فتصلى معه ه
ركعة وتتم صلوتها ثم تعود الى وجه العدو وتاتى ه
الاولى فتؤدى الركعة الثانية بغير قراءة وتتم صلوتها
فليأخذوا حذرهم واسلحتهم جعل الحذر آلة ليتحصن
بها الغازى فجمع بينه وبين الاسلحة فى وجوب الاخذ
ونظيره قوله والذين تبوؤا الدار والايمان ود الذين
كفروا لو تغفلون عن اسلحتكم وامتعتكم فيميلون ه
عليكم ميلة واحدة تمنعوا ان ينالوا منكم غرة فى صلوتكم
فيشدون عليكم شدة واحدة وهو بيان لما لاجله امروا
باخذ السلاح ولا جناح عليكم ان كان بكم اذى من
مطر او كنتم مرضى ان تضعوا اسلحتكم رخص لهم
فى وضعها اذا ثقل عليهم اخذها بسبب مطر او مرض و
هذا مما يؤيد ان الامر بالاخذ للوجوب دون الاستحباب
وخذوا حذركم امرهم مع ذلك باخذ الحذر كيلا يهجم ه
عليهم العدو ان الله اعد للكافرين عذابا مهينا وعد
الشيء مهينا بالنصر على الكفار بعد الامر بالحزم لتقوى
قلوبهم وليعلموا ان الامر بالحزم ليس لضعفهم وغلبة ه
عدوهم بل لان الواجب ان يحافظوا فى الامور كلها على
رسم التيقظ والتدبير فيتوكلوا على الله فاذا قضيتم
الصلوة اديتم وفرغتم عنها فاذكروا الله قياما وقعودا
وعلى جنوبكم فداوموا على الذكر فى جميع الاحوال او اذا ه
امنتم وتم اداء الصلوة واشتد الخوف فصلوها كيف ما امكن
قياما متسايفين ومقارعين وقعودا مراميين وعلى جنوب

بكم

منحنين بالجراح فاذا اطمأننتم سكنت قلوبكم من الخوف
فاقيموا الصلوة فعدلوا فاحفظوا اركانها وشرائطها واتوا
بها تامة ان الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا ه
فرضا محدودا الاوقات لايجوز اخراجها عن اوقاتها فى
شئ من الاحوال وهذا دليل على ان المراد بالذكر الصلوة
وانها واجبة الاداء حال المسابقة والاضطراب فى المعركة
وتعليل للامر بالاتيان بها كيف ما امكن وقال ابو حنيفة ه
لايصلى المحارب حتى يطمئن ولاتهنوا ولاتضعفوا ه
فى ابتغاء القوم فى طلب الكفار بالقتال ان تكونوا تالمون
فانهم يالمون كما تالمون وترجون من الله مالا يرجون
الزام لهم وتقريع على التوانى فيه بان ضرر القتال دائر
بين الفريقين غير مختص بهم وهم يرجون من الله بسببه
من اظهار الدين واستحقاق الثواب مالا يرجوا عدوهم فينبغى ان
يكونوا ارغب منهم فى الحرب واصبر عليها وقرئ ان تكونوا
بالفتح بمعنى ولاتهنوا الان تكونوا ويكون قوله فانهم ه
يالمون علة النهى عن الوهن لاجله والآية نزلت فى يدى
الصغرى وكان الله عليما باعمالكم وضمائركم حكيما فيما يأمر
وينهى انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس ه
نزلت فى طعمة بن ابيرق من بنى ظفر سرق درعا من جار ه
قتادة بن النعمان فى جراب دقيق فجعل الدقيق ينتثر من
خرق فيه وخبأها عند زيد بن السمين اليهودى فالتمست
الدرع عند طعمة فلم توجد وحلف ما اخذها وما له بها علم
فتركوه واتبعوا اثر الدقيق حتى انتهى الى منزل اليهودى
فاخذوها فقال دفعها الى طعمة وشهد له ناس من اليهود ه
فقالت بنو ظفر انطلقوا بنا الى رسول الله فسئالوه ان يجادل

عن صاحبهم وقالوا ان لم تفعل لهلك وافتضحت وبرئ ه
اليهودى فهم رسول الله عم ان يفعل بما اراك الله بما
عرفك الله واوحى به اليك وليس من الرؤية بمعنى العلم
والا لاستدعى ثلاثة مفاعيل ولاتكن للخائنين اى ه
لاجلهم والذب عنهم خصيما للبرائى واستغفر الله مما
همت به ان الله كان غفورا رحيما لمن يستغفره ولاتجا دل
عن الذين يختانون انفسهم يخونونها فان وبال خيانتهم يعود
عليها اوجعل المعصية خيانة لها كما جعلت ظلما عليها و
الضمير لطعمة وامثاله اوله ولقومه فانهم يشاركوه ه
فى الاثم حين شهدوا على برائته وخاصموا عنه ان الله لا ه
يحب من كان خوانا مبالغا فى الخيانة مصرا عليها اثيما ه
منهمكا فيه روى ان طعمة هرب الى مكة وارتد ونقب
حائطا ليسرق اهله فسقط الحائط عليه فقتله يستخفون
من الناس يستترون منهم حياء وضعفا ولايستخفون
من الله وهو احق ان يستحيى ويخاف منه وهو معهم لا
يخفى عليه سرهم فلا طريق معه الا ترك مايستقبح الشرع
ويؤاخذ عليه اذ يبيتون يدبرون ويزورون مالا
يرضى من القول من رمى البرئ والحلف الكاذب وشهادة
الزور وكان الله بما تعملون محيطا لايفوت عنه شئ ه
ها انتم هؤلاء مبتدا وخبر جادلتم عنهم فى الحيوة
الدنيا جملة مبينة لوقوع هؤلاء خبرا وصلة عند من
يجعله موصولا فمن يجادل الله عنهم يوم القيمة ام من
يكون عليهم وكيلا محاميا يحميهم عن عذاب الله ه و
من يعمل سوءا قبيحا يسوء به غيره او يظلم نفسه بما يختص
به ولايتعداه وقيل المراد بالسوء ما دون الشرك وبالظلم

الشرك وقيل الصغيرة والكبيرة ثم يستغفر الله بالتوبة
يجد الله غفورا لذنوبه رحيما متفضلا عليه وفيه حث
لطعمة وقومه على التوبة والاستغفار ومن يكسب اثما
فانما يكسبه على نفسه فلا يتعداه وبال كفعلكم وان
اسأتم فلها وكان الله عليما حكيما فهو عالم بفعلكم حكيم فى
مجازاته ومن يكسب خطيئة صغيرة او مالا عمد فيه او انما
كبيرة او ما كان عن عمد ثم يرم به بريئا كما رمى طعمة
زيدا او وحد الضمير لمكان او فقد احتمل بهتانا واثما
مبينا بسبب رمى البرئ وتبرئة النفس الخاطئة ولذلك
سوى بينهما وان كان مقترف احدهما دون مقترف
الآخر ولولا افضل الله عليك ورحمته باعلام ما هم عليه
بالوحى والضمير للرسول والجمع للتعظيم او له وللامة فان
عصمة الرسول واطلاعه على الاحوال الطف فى حقهم
لهمت طائفة منهم اى من بنى ظفر ان يضلوك عن الا
القضاء بالحق مع علمهم بالحال والجملة جواب لولا ولبد
القصد فيه الى نفى تأثيره ومايضلون الا انفسهم لانه ما
ازلك عن الحق وعاد وباله عليهم ومايضرونك من شئ
فان الله عصمك وما خطر ببالك كان اعتمادا منك على
ظاهر الامر لاميلا فى الحكم ومن شئ فى موضع النصب على
المصدر اى شيئا من الضر وانزل الله عليك الكتاب
والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم من خفيات الامور
او من امور الدين والاحكام وكان فضل الله عليك
عظيما اذ لا فضل اعظم من النبوة لاخير فى كثير من نجواهم
من متناجيهم كقوله لا واذهم بنجوى او من تناجيهم
فقوله الا من امر بصدقة او معروف على حذف مضاف

اى الا نجوى من امر او على الانقطاع بمعنى ولكن من امر بصدقة
ففى نجواه الخير والمعروف كل ما يستحسنه الشرع ولا ينكره
العقل وفسرهنا بالقرض واعانة الملهوف وصدقة
التطوع وبسائر ما فسر به او اصلاح بين الناس او
اصلاح ذات بين ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله
فسوف نؤتيه اجرا عظيما بنى ذا الكلام على الامر ورتب
الجزاء على الفعل ليدل على انه لما ادخل الامر فى زمرة الخيرين
كان الفاعل ادخل فيهم وان العمدة والفرض هو الفعل
واعتبار الامر من حيث انه وصلة اليه وقيد الفعل بان
يكون لطلب مرضات الله لان الاعمال بالنيات وان
فعل خيرا رياء وسمعة لم يستحق بها من الله اجرا ووصف
الاجر بالعظم تنبيها على حقارة ما فات فى جنبه من اغراض
الدنيا ومن يشاقق الرسول يخالفه من الشق فان كلا
من المتخالفين فى شق غير شق الآخر من بعد ما تبين م
له الهدى ظهر له الحق بالوقوف على المعجزات ويتبع غير
سبيل المؤمنين غير ما هم عليه من اعتقاد او عمل نوله
ما تولى نجعله واليا لما تولى من الضلال ونخلى بينه وبين
ما اختاره ونصله جهنم وندخله فيها وقرئ بفتح النون
من صلاه وساءت مصيرا جهنم والآية تدل على حرمة مخا
الاجماع لانه رتب الوعيد الشديد على المشاقة واتباع
غير سبيل المؤمنين وذلك اما لحرمة كل واحد منهما او احد
الامرين بينهما والثانى باطل اذ يقبح ان يقال من شرب الخمر
او اكل الخنزير استوجب الحد وكذا الثالث لان المشاقة
محرمة ضم اليها غيرها او لم يضم واذا كان اتباع غير
سبيلهم محرمة كان اتباع سبيلهم واجبا لان ترك اتباع

لفة

هما

سبيلهم ممن عرف سبيلهم اتباع غير سبيلهم وقد استقصيت
الكلام فيه في مرصاد الافهام الى مبادى الاحكام ان الله لا
يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء كرره
للتاكيد او لقصة طعمة وقيل جاء شيخ الى رسول الله ﷺ وقال
اني شيخ منهمك في الذنوب الا اني لم اشرك بالله منذ
عرفته وآمنت به ولم اتخذ من دونه وليا ولم اوقع المعاصي
جراءة وما توهمت طرفة عين اني اعجزه هربا واني لنادم
تائب فما ترى حالي عند الله فنزلت ومن يشرك بالله فقد
ضل ضلالا بعيدا عن الحق فان الشرك اعظم انواع الضلال و
ابعدها عن عبادته والمفروض المقطوع اي نصيبا قدر لي وهو
فرض من قولهم فرض له في العطاء ولاضلنهم عن الحق ولامنينهم
الاماني الباطلة كطول الحيوة وان لا بعث ولا عقاب ولآمرنهم
فليبتكن اذان الانعام يشقونها لتحريم ما احل الله وهو
عبادة عما كانت العرب تفعل بالبحائر والسوائب واشارة
الى تحريم كل ما احل الله ونقص كل ما خلق كاملا بالفعل او
القوة ولآمرنهم فليغيرن خلق الله عن وجهه صورة
او صفة ويندرج فيه ما قيل من فقء عين الحامي وخصاء
العبيد والوشم والوشر واللواط والسحق وعبادة الشمس
والقمر ونحو ذلك وتغييره فطرة الله التي هي الا
سلام واستعمال الجوارح والقوى فيما لا يعود على النفس
بكمال ولا يوجب لها من الله زلفى وعموم اللفظ يمنع الخصاء
مطلقا لكن الفقهاء رخصوا في خصاء البهايم للحاجة والجمهور
الاربع حكاية عما ذكره الشيطان نطقا او تاه فعلا ومن يتخذ
الشيطان وليا من دون الله بايثاره وما يدعوه اليه على
امره به ومجاوزته عن طاعة الله الى طاعته فقد خسر

مبينا اذ ضيع رأس ماله وبدل مكانه من الجنة بمكانه من النار
يعدهم ما لا ينجز ويمنيهم ما لا ينالون وما يعدهم الشيطان
الا غرورا وهو اظهار النفع فيما فيه الضر وهذا الوعد اما بالخواطر
الفاسدة او بلسان اوليائه اولئك مأواهم جهنم
ولا يجدون عنها محيصا معدلا وممرا من حاص يحيص
اذا عدل وعنها حال منه وليس صلة له لانه اسم مكان وانه
جعل مصدرا فلا يعمل ايضا فيما قبله والذين آمنوا وعملوا الصالحات
سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا
وعد الله حقا اي وعده وعدا وحق ذلك حقا فالاول
مؤكد لنفسه لان مضمون الجملة الاسمية التي قبله وعده و
الثاني مؤكد لغيره ويجوز ان ينصب الموصول بفعل
يفسره ما بعده ووعد الله بقوله سندخلهم لانه بمعنى
نعدهم ادخالهم وحقا على انه حال من المصدر ومن
اصدق من الله قيلا جملة مؤكدة بليغة والمقصود من
الآية معارضة المواعيد الشيطانية الكاذبة لقرنائه
بوعد الله الصادق لاوليائه والمبالغة في توكيده
ترغيبا للعباد في تحصيله ليس بامانيكم ولا امانيّ
اهل الكتاب اي ليس ما وعد الله من الثواب ينال
بامانيكم ايها المسلمون ولا بامانيّ اهل الكتاب وانما
ينال بالعمل الصالح والايمان وقيل ليس الايمان
بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل وروي
ان المسلمون واهل الكتاب افتخروا فقال اهل الكتاب
نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم ونحن اولى بالله
منكم وقال المسلمون نحن اولى منكم نبينا خاتم الانبياء
وكتابنا يقضي على الكتب المقدمة فنزلت وقيل الخطا

مع المشركين ويدل عليه تقدم ذكرهم اى ليس الامر بامانى
المشركين وهو قولهم لا جنة ولا نار وقولهم ان كان
الامر كما يزعم هؤلاء لنكونن خيرا منهم واحسن حالا
ولا امانى اهل الكتاب وهو قولهم لن يدخل الجنة الا
من كان هودا او نصارى وقولهم لن تمسنا النار الا اياما
معدودة ثم قرر ذلك وقال من يعمل سوءا يجز به عاجلا
او اجلا لما روى انه لما نزلت قال ابو بكر رضى الله عنه
فمن يجو امع هذا يا رسول الله فقال عليه الصلوة والسلام
اما تحزن اما تمرض اما يصيبك الأواء قال بلى يا رسول
الله قال هو ذلك ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا
ولا يجد لنفسه اذا جاوزت موالاة الله ونصرته من يواليه
وينصره فى دفع العذاب عنه ومن يعمل من الصالحات بعضها
او شيئا منها فان كل احد لا يتمكن من كلها وليس مكلفا
بها من ذكر او انثى فى موضع الحال من المستكن فى يعمل ومن
للبيان او من الصالحات اى كائنة من ذكر او انثى ومن للابتداء
وهو مؤمن حال شرط افرد ان العمل بها فى استدعاء
الثواب المذكور تنبيها على انه لا اعتداد دونه فيه فاولئك
يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا بنقص شئ من الثواب
واذا لم ينقص ثواب المطيع فبالحرى ان لا يزاد عقاب
العاصى لان المجازى ارحم الراحمين ولذلك اقتصر على
ذكره عقيب الثواب ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه
لله اخلص نفسه لله لا يعرف لها ربا سواه وقيل بذل
وجهه له فى السجود وفى هذا الاستفهام تنبيه على ان
ذلك منتهى ما يبلغه القوة البشرية وهو محسن آت
بالحسنات تارك للسيئات واتبع ملة ابراهيم الموافقة

لدين

لدين الاسلام المتفق على صحتها حنيفا مائلا عن سائر الاد
وهو حال من المتبع او الملة او الابراهيم واتخذ الله ابرا
خليلا اصطفاه وخصصه بكرامة تشبه كرامة الخليل عند
خليله وانما اعاد ذكره ولم يضمر تفخيما لشانه وتنصيصا
على ان الممدوح والخلة من الخلال فانه يخلل النفس ويخا
لطها وقيل من الخلل فان كل واحد من الخليلين يسد خلل
الآخر او من الخل وهو الطريق فى الرمل فانهما يتوافقان فى
الطريقة او من الخلة بمعنى الخصلة فانهما يتوافقان فى الخصا
والجملة استئناف جئ به للترغيب فى اتباع ملته والايذان
بانه نهاية فى الحسن وغاية كمال البشر روى ان ابراهيم عليه السلام
بعث الى خليل له بمصر فى ازمة اصابت الناس فاختار غلمانه
ببطحاء لينة فملئوا منها الغرائر حياء من الناس فلما اخبروا
ابراهيم فاشتم رائحة الخبز فقال من اين لكم هذا فقالت
من خليلك المصرى فقال بل هو من عند خليلى الله فسما
خليلا ولله ما فى السموات وما فى الارض خلقا وملكا يختار
منها ما يشاء وما يشاء وقيل هو متصل بذكر العمال مقرر
لوجوب طاعته على اهل السموات والارض وكمال قدرته
على مجازاتهم على الاعمال وكان الله بكل شئ محيطا احاطه
علمه وقدرته وكان عالما باعمالهم فيجازيهم على خيرها
وشرها ويستفتونك فى النساء فى ميراثهن الآية سبب
نزوله ان عيينة بن حصين اتى النبى عليه السلام فقال اخبرنا
انك تعطى الابنة النصف وانما كنا نورث من يشهد
القتال ويحوز الغنيمة فقال النبى عليه السلام كذلك امرت قل الله
يفتيكم فيهن يبين لكم حكمه فيهن والافتاء تبيين المبهم
وما يتلى عليكم فى الكتاب عطف على اسم الله او ضميره

يان
هيم

ل

المستكن في يفتيكم وساغ للفصل فيكون الافتاء مسندا الى الله
والى ما في القران من قوله يوصيكم الله ونحوه باعتبارين
مختلفين ونظيره اعتناني زيد وعطاؤه او استيناف
معترض لتعظيم المتلو عليهم على ان ما يتلى عليكم مبتداء
وفي الكتاب خبره والمراد به اللوح المحفوظ ويجوز ان
ينصب على معنى ويبين لكم ما يتلى عليكم او يخفض على
القسم كانه قيل واقسم بما يتلى عليكم في الكتاب ولا يجوز
عطفه على المجرور فيهن لاختلالة لفظا ومعنى في يتامى
النساء صلة يتلى ان عطف الموصول على ما قبله اى يتلى عليكم
في شانهن والا فبدل من فيهن او صلة اخرى ليفتيكم على
معنى الله يفتيكم فيهن بسبب يتامى النساء كما تقول كلمتك
اليوم في زيد وهذه الاضافة بمعنى من لانها اضافة الشيء الى
جنسه وقرئ بيامى على انه ايامى فقلبت الهمزة ياء اللاتي
لا تؤتونهن ما كتب لهن اى فرض لهن من الميراث
وترغبون ان تنكحوهن في ان تنكحوهن او عن ان
تنكحوهن فان اولياء اليتامى كانوا يرغبون فيهن ان
كن جميلات ويأكلون مالهن والا كانوا يعضلونهن
طمعا في مراثهن والواو يحتمل الحال والعطف وليس فيه
دليل على جواز تزويج اليتيمة اذ لا يلزم من الرغبة في
نكاحها جوازه بان العقد في صغرها والمستضعفين من الولدان
عطف على يتامى النساء والعرب ما كانوا يورثون نساءهن كما
يورثون النساء وان تقوموا لليتامى بالقسط ايضا عطف
عليه اى ويفتيكم او ما يتلى في ان تقوموا هذا اذا جعلت
في يتامى صلة لاحدهما فان جعلته بدلا فالوجه نصبهما
عطفا على موضع فيهن ويجوز ان ينصب وان تقوموا

باضمار فعل اى ويأمركم ان تقوموا وهو خطاب للائمة
في ان ينظروا لهم ويستوفوا حقوقهم او للقوم بالنصفة
في شانهم وما تفعلوا من خير فان الله كان به عليما وعد
لمن اثر الخير في ذلك وان امراة خافت من بعلها نشوزا
قعت منه لما ظهر لها من المخائل وامراة فاعل فعل يفسره
الظاهر نشوزا تجافيا عنها وترفعا من صحبتها كراهة
لها ومنعا لحقوقها او اعراضا بان يقل مجالستها ومحادثتها
فلا جناح عليهما ان يصالحا بينهما صلحا ان يتصالحا بان
تحط له بعض المهر او القسم او تهب له شيئا تستميله به
وقراء الكوفيون ان يصلحا من اصلح بين المتنازعين و
على هذا جاز ان ينصب صلحا على المفعول به وبينهما
ظرف او حال منه او على المصدر كما في القراءة الاولى و
المفعول بينهما او هو محذوف وقرئ ان يصلحا من
اصلح بمعنى اصطلح والصلح خير من الفرقة وسوء
العشرة او من الخصومة ويجوز ان لا يراد به التفضيل بل
بيان انه من الخيور كما ان الخصومة من الشرور وهو اعتراض
وكد قوله واحضرت الانفس الشح ولذلك اغتفر عدم
تجانسهما والاول للتن غيب في المصالحة والثاني لتمهيد
العذر في المماكسة ومعنى احضار الانفس الشح جعلها
حاضرة لها مطبوعة عليه فلا تكاد المراة تسمح بالاعراض
عنها او التقصير في حقها ولا الرجل يسمح بان يمسكها
ويقوم بحقوقها على ما ينبغي اذا كرهها او احب غيرها
وان تحسنوا في العشرة وتتقوا النشوز والاعراض
وتقسموا للحق فان الله كان بما تعملون من الاحسان و
الاساءة خبيرا عالما به وبالغرض فيه فيجازيكم عليه

اقام كونه عالما باعمالهم مقام اثابته اياهم عليها الذى هو فى الحقيقة جواب الشرط اقامة السبب و لن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء لان العدل ان لا يقع ميل البتة وهو متعذر و لذلك كان رسول الله ﷺ يقسم بين نسائه فيعدل ويقول اللهم هذه قسمتى فيما املك فلا تؤاخذنى فيما تملك ولا املك ولو حرصتم على تحرى ذلك وبالغتم فيه فلا تميلوا كل الميل بترك المستطاع والجور على المرغوب عنها فان ما لا يدرك كله لا يترك كله ﷺ فتذروها كالمعلقة التى ليست ذات بعل ولا مطلقة وعن النبى ﷺ من كانت له امرأتان يميل مع احداهما جاء يوم القيمة واحد شقيه مائل وان تصلحوا ما كنتم تفسدون من امورهن وتتقوا فيما يستقبل فان الله كان غفورا رحيما يغفر لكم ما مضى من ميلكم وان يتفرقا وفرق وان يتفارقا اى وان يفارق كل واحد منهما صاحبه يغن الله كلا منهما عن الآخر ببدل او سلوة من سعته غناه وقدرته وكان الله واسعا حكيما مقتدرا فى افعاله واحكامه ولله ما فى السموات وما فى الارض ﷺ تنبيه على كمال سعته وقدرته ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم يعنى اليهود والنصارى ومن قبلهم والكتاب الجنس ومن متعلقة بوصينا او باوتوا وعلى مساق الآية لتاكيد الامر بالاخلاص واياكم عطف على الذين ان اتقوا الله بان اتقوا الله ويجوز ان يكون ان مفسرة لان التوصية فى معنى القول وان تكفروا ﷺ فان لله ما فى السموات وما فى الارض على ارادة القول اى وقلنا لهم ولكم ان تكفروا فان الله مالك الملك كله

لا يتضرر بكفركم ومعاصيكم كما لا ينتفع بشكركم وتقواكم وانما وصاكم لرحمته للحاجة ثم قرر ذلك بقوله وكان الله غنيا عن الخلق وعبادتهم حميدا فى ذاته حمد اولم يحمد ولله ما فى السموات وما فى الارض ذكره ثانيا للدلالة على كونه غنيا حميدا فان جميع المخلوقات تدل بحاجتها على غناه وبما افاض عليها من الوجود وانواع الخصائص والكمالات على كونه حميدا وكفى بالله وكيلا راجع الى ﷺ قوله يغن الله كلا من سعته فانه توكل بكفايتهما وما بينهما تقرير لذلك ان يشا يذهبكم ايها الناس يغنكم ومفعول يشا محذوف دل عليه الجواب ويات بآخرين ويوجد قوما آخرين مكانكم او خلقا آخرين مكان الانس وكان الله على ذلك من الاعدام والايجاد قديرا بليغ القدرة لا يعجزه مراد وهذا ايضا تقرير لغناه وقدرته وتهديد لمن كفر به وخالف امره وقيل هو خطاب لمن عادى رسول الله من العرب ومعناه معنى قوله ﷺ وان تتولوا يستبدل قوما غيركم لما روى انه لما نزل ضرب رسول الله ﷺ يده على ظهر سلمان وقال انهم قوم هذا من كان يريد ثواب الدنيا كالمجاهد يجاهد للغنيمة فعند الله ثواب الدنيا والآخرة فمالهما يطلب احسنهما ويطلبهما كمن يقول ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة ﷺ او ليطلب الاشرف منهما فان من جاهد خالصا لله لم تخطئه الغنيمة وله فى الآخرة ما هى فى جنبه كلا شئ او فعند الله ثواب الدارين فيعطى كلا ما يريده كقوله من كان يريد حرث الآخرة نزد له فى حرثه وكان الله سميعا بصيرا عالما بالاغراض فيجازى كلا بحسب قصده يا ايها ﷺ

الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط مواظبين على العدل
مجتهدين فى اقامته شهداء لله بالحق تقيمون شهاداتكم
لوجه الله وهو خير لكم ان اوجال ولو على انفسكم ولو كانت
الشهادة على انفسكم بان تقروا عليها لان الشهادة بيان الحق
سواء كان عليه او على غيره او الوالدين والاقربين ولو على
والديكم واقاربكم ان يكن اى المشهود عليه او كل وا
حد منه ومن المشهود له غنيا او فقيرا فلا تمتنعوا عن
اقامة الشهادة او لا تجحدوا فيهما ميلا وترحما فالله اولى
بهما بالغنى والفقير وبالنظر لهما فلو لم تكن الشهادة
عليهما اولهما صلاحا لما شرعها وهو علة الجواب اقيمت
مقامه والضمير فى بهما راجع الى ما دل عليه المذكور و
هو جنسا الغنى والفقير لا اليه والا لوحد ويشهد عليه
ان ان قرئ فالله اولى بهم فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا
لان تعدلوا عن الحق او كراهة ان تعدلوا من العدل وان
تلووا السنتكم عن شهادة الحق او حكومة العدل وقرئ
وان تلوا بمعنى وان وليتم اقامة الشهادة او تعرضوا
عن ادائها فان الله كان بما تعملون من خبير فيجازيكم
عليه يا ايها الذين آمنوا خطاب للمسلمين او المنافقين
او لمؤمنى اهل الكتاب اذ روى ان بن سلام واصحابه
قالوا يا رسول الله انا نؤمن بك وبكتابك وبموسى و
التورية وعزير ونكفر بما سواه فنزلت آمنوا بالله
ورسوله والكتاب الذى نزل على رسوله والكتاب الذى
انزل من قبل اثبتوا على الايمان بذلك وداوموا عليه او
آمنوا به بقلوبكم كما آمنتم بلسانكم او آمنوا ايمانا خاليا
يعم الكتب والرسل فان الايمان بالبعض كلا ايمان والكتاب

الاول القرآن والثانى الجنس ومن يكفر بالله وملائكته و
كتبه ورسله واليوم الآخر اى ومن يكفر بشئ من ذلك
فقد ضل ضلالا بعيدا عن المقصد بحيث لا يكاد يعود
الى طريقه ان الذين آمنوا يعنى اليهود آمنوا بموسى
ثم كفروا بعيسى حين عبدوا العجل ثم آمنوا بعد عوده
اليهم ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا بمحمد بهم او قوما
تكرر منهم الارتداد ثم اصروا على الكفر وازدادوا اتما
فى الغى لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا اذ
يستبعد ان يتوبوا عن الكفر ويثبتوا على الايمان فان
قلوبهم ضربت بالكفر وبصائرهم عميت عن الحق لا
انهم لو اخلصوا الايمان لم يقبل منهم ولم يغفر لهم
وخبر كان فى امثال ذلك محذوف وفى تعلق به اللام مثل لم
يكن الله مريدا ليغفر لهم بشر المنافقين بان لهم عذابا
اليما يدل على ان الآية فى المنافقين وهم قد آمنوا
فى الظاهر وكفروا فى السر مرة بعد اخرى ثم ازدادوا
بالاصرار على النفاق والافساد الامر على المؤمنين و
ضع بشر مكان انذر تهكم بهم الذين يتخذون الكافر
اولياء من دون المؤمنين فى محل النصب او الرفع على
الذم بمعنى اريد الذين او هم الذين ايبتغون عندهم
العزة أيتعززون بموالاتهم فان العزة لله جميعا لا
يعتز الا من اعزه وقد كتب العزة لاوليائه فقال
وللمؤمنين ولرسوله وللمؤمنين لا يثوبه بعزة غيرهم
بالاضافة اليهم وقد نزل عليكم فى الكتاب يعنى القرآن
فى سورة الانعام نزل والقائم مقام فاعله ان اذا سمعتم آيات
الله وهى المخففة والمعنى انه اذا سمعتم يكفر بها و

دیا

ین

يستهزئ بها حالا ان من الآيات جئ بهما لتقييد النهي عن
المجالسة في قوله فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث
غيره الذي جزاء الشرط بما اذا كان من يجالسهم هازيا معاندا
غير مرجو ويؤيده الغاية وهذا تذكار ما نزل عليهم
بمكة من قوله واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا الآية
والضمير في معهم للكفرة المدلول عليهم بقوله يكفر بها
ويستهزأ بها انكم اذا مثلهم في الاثم لانكم قادرون
عن الاعراض عنهم والانكار عليهم او الكفر ان رضيتم
او لان الذين يقاعدون الخائضين في القرآن من الاخبار
كانوا منافقين ويدل عليه ان الله جامع المنافقين و
الكافرين في جهنم جميعا يعني القاعدين والمقعد معهم
واذا ملغاة لوقوعها بين الاسم والخبر ولذلك لم يذكر
بعدها الفعل وافرد مثلهم لانه كالمصدر او للاستغنا با
لاضافة الى الجمع وقرئ بالفتح على البناء لاضافته الى المبني
كقوله مثل ما انكم تنطقون الذين يتربصون بكم هم
ينتظرون وقوع امركم وهو بدل من الذين يتخذون
او صفة للمنافقين والكافرين او ذم مرفوع او منصوب
او مبتدأ خبره فان كان لكم فتح من الله قالوا الم نكن معكم
مظاهرين لكم فاسهموا لنا فيما غنمتم وان كان للكافرين
نصيب من الحرب فانها سجال قالوا الم نستحوذ عليكم اي
قالوا للكفرة الم نغلبكم ونتمكن من قتلكم فابقينا عليكم و
الاستحواذ الاستيلاء وكان القياس ان يقال استحاذ كاستجاب
استحاذة فجاء نادرا على الاصل ونمنعكم من المؤمنين بان ثبطناهم
خذلناهم بتخييل ما ضعفت به قلوبهم وتعاونا في
هزيمتهم فاشركونا فيما اصبتم وانما سمي ظفر المؤمنين فتحا

وظفر الكافرين نصيبا لخسة حظهم فانه مقصور على امر
دنيوي سريع الزوال فالله يحكم بينكم يوم القيمة ولن
يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا حينئذ او في الدنيا
والمراد بالسبيل الحجة واحتج به اصحابنا على فساد شرى
الكافر المسلم والحنيفة على حصول البينونة بنفسها
الارتداد وهو ضعيف لانه لا ينبغي ان يكون اذا عاد الى
الايمان قبل مضي العدة ان المنافقين يخادعون الله و
هو خادعهم سبق الكلام فيه اول سورة البقرة واذا هم
قاموا الى الصلوة قاموا كسالى متثاقلين كالمكره على الفعل
وقرئ كسالى بالفتح وهما جمعا كسلان يراؤن الناس
ليخالوهم مؤمنين والمراءاة مفاعلة بمعنى التفعيل كنعم وناعم
او المقابلة فان المرائي يري من يرائيه عمله وهو يريه
استحسانه ولا يذكرون الله الا قليلا اذ المرائي لا يفعل
الا بحضرة من يرائيه وهو اقل احواله او لان ذكرهم باللسان
قليل بالاضافة الى الذكر بالقلب وقيل المراد بالذكر الصلوة
وقيل الذكر فيها فانهم لا يذكرون غير التكبير والتسليم هم
مذبذبين بين ذلك حال عن واو يراؤن كقوله ولا يذكرون
الى هؤلاء ولا الى هؤلاء غير ذاكرين مذبذبين او واو يذكرون او هم
منصوب على الذم والمعنى متحيرين بين الايمان والكفر
من الذبذبة وهو جعل الشيء مضطربا واصله الذب و
هو الطرد وقرئ بكسر الذال بمعنى يذبذبون قلوبهم هم
بينهم او يتذبذبون كقولهم صلصل بمعنى تصلصل
وقرئ بالذال المهملة بمعنى اخذوا تارة في ذبة وتارة في
ذبة وهي الطريقة لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء لا منسوبين
الى المؤمنين ولا الى الكافرين او لا صائرين الى احد الفريقين

بالكلية ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا الى الحق والصواب
ونظيره قوله ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور
يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين اولياء من دون
المؤمنين فانه صنيع المنافقين وديدنهم فلا تتشبهوا
بهم اتريدون ان تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا حجة
بينة فان موالاتهم دليل على النفاق او سلطانا تسلط
عليكم عقابه ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار
هو الطبقة التي في قعر جهنم وانما كان كذلك لانهم
اخبث الكفرة اذ ضموا الى الكفر استهزاء بالاسلام و
خداعا للمسلمين واما قوله ثم ثلاث من كن فيه فهو
منافق وان صام وان صلى وزعم انه مسلم من اذا
حدث كذب واذا وعد خالف واذا اؤتمن خان وهو
نحو من باب التشبيه والتغليظ وانما سميت طبقا
لتها السبع دركات لانها متداركة متتابعة بعضها فوق
بعض وقراءة الكوفيين بسكون الراء وهو لغة كالشطر
والشطر بالتحريك اوجه لانه يجمع على ادراك
ولن تجد لهم نصيرا يخرجهم منه الا الذين تابوا عن
النفاق واصلحوا ما افسدوا من اسرارهم واصلحوا امرهم
في حال النفاق واعتصموا بالله وثقوا به وتمسكوا به
واخلصوا دينهم لله لا يريدون بطاعتهم الا وجهه
فاولئك مع المؤمنين ومن عدادهم في الدارين وسوف
يؤت الله المؤمنين اجرا عظيما فيساهمونهم فيه ما يفعل
الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم اي شيء به غيظا او يدفع
به ضرا او يستجلب به نفعا وهو الغني المتعال عن النفع
والضر وانما يعاقب المضر بكفره لان ارادته على كسوة

من اجرح يؤدي الى المرض فاذا ازاله بالشكر والايمان ونقى
عنه نفسه تخلص من تبعته وانما قدم الشكر لان الناظر
يدرك النعم اولا فيشكر شكرا مبهما ثم يمعن النظر حتى
يعرف المولى المنعم فيؤمن به وكان الله شاكرا مثيبا
يقبل اليسير ويعطي الجزيل عليما بحق ايمانكم وشكركم
لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم الاجهر
من ظلم بالدعاء على الظالم والتظلم منه روي ان رجلا
ضاف قوما فلم يطعموه فاشتكاهم فعوتب عليه فنزلت
وقرئ من ظلم بالبنا للفاعل فيكون الاستثناء منقطعا
اي ولكن الظالم يفعل ما لا يحبه الله وكان الله سميعا
لكلام المظلوم عليما بالظالم ان تبدوا خيرا اطاعة وبرا
او تخفوه او تفعلوه سرا او تعفوا عن سوء لكم المؤاخذ
عليه وهو المقصود وذكر ابداء الخير واخفائه تنبيه و
لذلك رتب عليه قوله فان الله كان عفوا قديرا اي يكثر عن
العصاة مع كمال قدرته على الانتقام فانتم اولى بذلك
وهو حث للمظلوم على العفو بعد ما رخص له في الانتصار
حملا على مكارم الاخلاق ان الذين يكفرون بالله ورسله
ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله بان يؤمنوا بالله
ويكفروا برسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض
نؤمن ببعض الانبياء ونكفر ببعضهم ويريدون ان
يتخذوا بين ذلك سبيلا طريقا وسطا بين الكفر والا
يمان ولا واسطة اذ الحق لا يختلف فان الايمان بالله
لا يتم الا بالايمان برسله وتصديقهم فيما بلغوا عنه
اجمالا وتفصيلا فالكافر ببعض ذلك كالكافر بالكل في
الضلال كما قال فماذا بعد الحق الا الضلال اولئك هم

الكافرون هم الكاملون فى الكفر لاعبرة بايمانهم هذا
حقا مصدر مؤكد لغيره او صفة لمصدر الكافرين بمعنى
هم الذين كفروا كفرا حقا اى يقينا محققا واعتدنا للكا
فرين عذابا مهينا والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا
بين احد منهم اضدادهم ومقابلوهم وانما دخل بين على احد وهو يقتضى
متعدد العموم من حيث انه وقع فى سياق النفى اولئك سوف
نؤتيهم اجورهم الموعودة لهم وتصديره بسوف لتوكيد الوعد والدلالة
على انه كائن لا محالة وان تأخر وقراء حفص عن عاصم وقالون عن يعقوب
بالياء على تلوين الخطاب وكان الله غفورا لما فرط منهم رحيما بتضعيف
حسناتهم يسئلك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء نزلت
فى اخبار اليهود قالوا ان كنت صادقا فأتنا بكتاب من السماء جملة
كما اتى به موسى وقيل كتابا محررا بخط سماوى على الواح كما كانت
التورية او كتابا يعاينه حين نزوله وكتابا الينا باعيانتنا بانك
رسول فقد سألوا موسى اكبر من ذلك جوابا شرطه مقدرا اى ان
استكبرت ما سئلوا منك فقد سئلوا موسى اكبر منه وهذا السؤال
وان كان من آبائهم اسند اليهم لانهم كانوا آخذين بمذهبهم تابعين
لهديهم والمعنى ان عرقهم راسخ فى ذلك وان ما اقترحوا عليك
ليس باول جهالاتهم وخبالاتهم فقالوا ارنا الله جهرة عيانا
اى ارنا نره جهرة او مجاهرين معاينين له فاخذتهم الصاعقة
نار جاءت من السماء فاهلكتهم بظلمهم بسبب ظلمهم
وهو تعنتهم وسؤالهم بما يستحيل فى تلك الحال التى كانوا
عليها وذلك لا يقتضى امتناع الرؤية مطلقا ثم اتخذوا
العجل من بعد ما جاءتهم البينات هذه الجناية الثانية
التى اقترفوها ايضا واى لهم والبينات المعجزات ولا يجوز
حملها على التورية اذ لم تأتهم بعد فعفونا عن ذلك

وآتينا موسى سلطانا مبينا تسلطا ظاهرا عليهم حين
امرهم بان يقتلوا انفسهم توبة عن اتخاذهم ورفعنا
فوقهم الطور بميثاقهم بسبب ميثاقهم ليقبلوه وقلنا لهم
ادخلوا الباب سجدا على لسان موسى والطور مظل
عليهم وقلنا لهم لا تعدوا فى السبت على لسان داود
ويحتمل ان يراد على لسان موسى وحين ظلل الجبل عليهم
فانه شرع السبت ولكن كان الاعتداء فيه والمسخ به زمن
داود وهم وقراء ورش عن نافع لا تعدوا على ان اصله
تعتدوا فادغمت التاء فى الذال واخذنا منهم ميثاقا
غليظا على ذلك وهو قولهم سمعنا واطعنا فيما نقضهم
ميثاقهم اى تخالفوا ونقضوا ففعلنا بهم ما فعلنا هـ
بنقضهم وما مزيدة للتاكيد والباء متعلقة بفعل محذوف
ويجوز ان يتعلق بحرمنا عليهم طيبات فيكون التحريم
بسبب النقض وما عطف عليه الى فبظلم لا بما دل عليه هـ
قوله بل طبع الله عليها مثل لا يؤمنون لانه رذل لقولهم هـ
قلوبنا غلف فيكون من صلة قولهم المعطوف على المجرور
فلا يعمل فى جاره وكفرهم بايات الله بالقرآن او بما فى كتاب
غير وقتلهم الانبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف
اى مغشية للعلوم او فى اكنة مما تدعونا اليه بل طبع الله
عليها بكفرهم فجعلها محجوبة عن العلم وخذلها ومنعها
التوفيق للتدبر فى الآيات والتذكر بالمواعظ فلا يؤمنون
الا قليلا منهم كابن سلام او ايمانا قليلا لا عبرة به لنقصانه
وبكفرهم بعيسى وهو معطوف على بكفرهم لانه من اتباع
الطبع او على قوله فبما نقضهم ويجوز ان يعطف بجموع
هذا وما عطف عليه على مجموع ما قبله ويكون تكريرذكر

الكفر ايذانا بتكرر كفرهم فانهم كفروا بموسى ثم بعيسى
ثم بمحمد ﷺ وقولهم على مريم بهتانا عظيما يعنى نسبتها
الى الزنا وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول
الله اى بزعمه ويحتمل انهم قالوه استهزاء ونظير ان
رسولكم الذى ارسل اليكم لمجنون وان يكون استيثاقا من
الله بمدحه او وصفا للذكر بالحسن مكان ذكرهم القبيح
وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم روى ان رهطا
من اليهود سبوه وامه فدعا عليهم فمسخهم الله قردة
وخنازير فاجتمعت اليهود على قتله فاخبره الله تعالى
بانه رافعه الى السماء فقال لاصحابه ايكم يرضى ان يلقى
عليه شبهى فيقتل ويصلب ويدخل الجنة فقام رجل
منهم فالقى الله عليه شبهه فقتل وصلب وقيل كان رجل
ينافقه فخرج ليدل عليه فالقى الله عليه شبهه فاخذ وصلب
وقيل دخل طيطانوس اليهودى بيتا كان هو فيه فلم يجده
فالقى الله عليه شبهه فلما خرج ظن انه عيسى فاخذ وصلب
وامثال ذلك من الخوارق التى لا يستبعد فى زمان النبوة
وانما ذكرهم الله بما دل عليه الكلام من جراتهم على الله تعالى
وقصدهم قتل نبيه المؤيد بالمعجزات القاهرة وتبجحهم
لا لقولهم هذا على حسب حسبانهم وشبه مسند الى الجار
والمجرور وكانه قيل ولكن وقع لهم التشبيه بين عيسى و
المقتول او فى الامر على قول من قال لم يقتل احد ولكن
ارجف لقتله فشاع بين الناس او الى ضمير المقتول الدال
له انا قتلنا على ان ثم مقتولا او ان الذين اختلفوا فيه من
فى عيسى فانه لما وقعت تلك الواقعة اختلف الناس فقال
بعض اليهود انه كان كاذبا فقتلناه حقا وتردد آخرون

فقال بعضهم ان كان هذا عيسى فاين صاحبنا وقال بعضهم
الوجه وجه عيسى والبدن بدن صاحبنا وقال من سمع
منه ان الله يرفعنى الى السماء انه رفع الى السماء وقال قوم
صلب الناسوت ورفع اللاهوت لفى شك منه لفى تردد
والشك كما يطلق على ما لا يترجح احد طرفيه يطلق على
مطلق التردد وعلى ما يقابل العلم ولذلك اكده بقوله
ما لهم به من علم الا اتباع الظن استثناء منقطع اى و
لكنهم يتبعون الظن ويجوز ان يفسر الشك بالجهل
والعلم بالاعتقاد الذى تسكن اليه النفس جزما كان
او غيره فيتصل الاستثناء وما قتلوه يقينا قتلا يقينا كما
زعموه بقولهم انا قتلنا المسيح او متيقنين وقيل معناه
ما علموه يقينا كقوله كذلك تخبر عنها العالمات بها وقده
قتلت يعلمى ذلكم يقينا من قولهم قتلت الشئ علما وتحقيقا
علما اذا بالغ علمك فيه بل رفعه الله اليه رد وانكار
لقتله واثبات لرفعه وكان الله عزيزا لا يغلب على ما هم
به حكيما فيما دبر لعيسى وان من اهل الكتاب الا
ليؤمنن به قبل موته اى وان من اهل الكتاب احدا الا
ليؤمنن فقوله ليؤمنن جملة قسمية وقعت صفة لاحد
ويعود اليه الضمير الثانى والاول لعيسى والمعنى ما من
اليهود والنصارى احد الا ليؤمنن بان عيسى عبد الله و
رسوله قبل ان يموت ولحين تزهق روحه ولا ينفعه
ايمانه ويؤيد ذلك ان قرئ الا ليؤمنن به قبل موتهم بضم
النون لان احدا فى معنى الجمع وهذا كالوعيد لهم والتحريض
على مبادرة الايمان به قبل ان يضطروا اليه ولم ينفعهم
ايمانهم وقيل الضمير ان لعيسى والمعنى انه اذا نزل من

السماء امن به اهل الملل جميعا روى انه ينزل من السماء
حين يخرج الدجال فيهلكه ولا يبقى احد من اهل الكتاب الا
يؤمن به حتى تكون الملة واحدة وهى ملة الاسلام وتقع الامنة حتى ترتع الاسود مع الابل والنمور مع البقر
والذئاب مع الغنم والثعلب الصبيان مع الحيات ويلبث
فى الارض اربعين سنة ثم يتوفى ويصلى عليه المسلمون
ويدفنونه ويوم القيمة يكون عليهم شهيدا على اليهود
بالتكذيب وعلى النصارى بانهم دعوه ابن الله فبظلم
من الذين هادوا اى بناى ظلم منهم حرمنا عليهم طيبات
احلت لهم يعنى ماذكره فى قوله وعلى الذين هادوا
حرمنا وبصدهم عن سبيل الله كثيرا ناسا كثيرا او
صدا كثيرا واخذهم الربوا وقد نهوا عنه كان الربوا
محرما عليهم كما هو محرم علينا وفيه دليل على دلالة
النهى على التحريم واكلهم اموال الناس بالباطل با
لرشوة وسائر الوجوه المحرمة واعتدنا للكافرين منهم
منهم عذابا اليما دون من تاب وآمن لكن الراسخون
فى العلم منهم كابن سلام واصحابه والمؤمنون اى
منهم او من المهاجرين والانصار يؤمنون بما انزل
اليك وما انزل من قبلك خبر المبتدا والمقيمين النصب
نصب على المدح ان جعل يؤمنون الخبر لاولئك او عطف
على ما انزل اليك والمراد بهم الانبياء اى يؤمنون باله
لكتب وبالانبياء وقرئ بالرفع عطفا على الراسخون
او الضمير فى يؤمنون او على انه مبتدا والخبر اولئك
سنؤتيهم والمؤتون الزكوة رفعه لاحد الاوجه المذ
كورة والمؤمنون بالله واليوم الآخر قدم عليه الايمان

بالانبياء والكتب ومايصدقه من اتباع الشرائع لانه هو
المقصود بالاية اولئك سنؤتيهم اجرا عظيما على جمعهم
بين الايمان والعمل الصالح وقرأ حمزة سيؤتيهم بالياء انا
اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده هو
جواب لاهل الكتاب عن اقتراحهم ان ينزل عليهم
كتابا من السماء واحتجاج عليهم بان امره فى الوحى
كسائر الانبياء واوحينا الى ابراهيم واسماعيل واسحق
ويعقوب والاسباط وعيسى وايوب ويونس وهرون
وسليمان خصهم بالذكر مع اشتمال النبيين هو
عليهم تعظيما لهم فان ابراهيم اول اولى العزم منهم
وعيسى اخرهم والباقين اشرف الانبياء ومشاهيرهم
واتينا داود زبورا قرأ حمزة زبورا بالضم وهو
جمع زبر بمعنى مزبور ورسلا نصب بمضمر دل عليه
اوحينا كارسلنا اوفسره قد قصصناهم عليك من قبل
اى من قبل هذه السورة او اليوم ورسلا لم نقصصهم
عليك وكلم الله موسى تكليما وهو منتهى مراتب هو
الوحى خص به موسى من بينهم وقد فضل الله محمدا عم
بان اعطاه مثل ما اعطى كل واحد منهم رسلا مبشرين
ومنذرين نصب على المدح او باضمار ارسلنا او على هو
الحال ويكون رسلا موطئا لما بعده كقولك مررت بزيد
رجلا صالحا لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل هو
فيقولوا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبعه ونعلمنا مالم
نكن نعلم وفيه تنبيه على ان بعثة الانبياء الى الناس هو
ضرورية لقصور العقل عن ادراك جزئيات المصالح
والاشعر عن ادراك كلياتها واللام متعلقة بارسلنا

او بقوله مبشرين ومنذرين وحجة اسم كان وخبره للناس
او على الله والآخر حالا ولا يجوز تعلقه بحجة لانه مصدر
وبعد ظرف لها او صفة وكان الله عزيزا لا يغلب فيما
يريده حكيما فيما دبر من امر النبوة وخص كل نبي بنوع
من الوحي والاعجاز لكن الله يشهد استدراك عن مفهوم
ما قبله وكانه لما تعنتوا عليه بسؤال كتاب ينزل عليهم
من السماء واحتج عليهم بقوله انا اوحينا اليك قال
انهم لا يشهدون ولكن الله يشهد او انهم انكروه ولكن
الله يثبته ويقرره بما انزل اليك من القرآن المعجب الدال
على نبوتك روي انه لما نزل انا اوحينا اليك قالوا ما نشهد
فنزلت انزله بعلمه انزله ملتبسا بعلمه الخاص به
وهو العلم بتأليفه على نظم يعجز عنه كل بليغ او بحال من
يسعد للنبوة ويستأهل نزول الكتاب عليه او بعلمه الذي
يحتاج اليه الناس في معاشهم ومعادهم فالجار والمجرور
على الاولين حال عن الفاعل وعلى الثالث حال عن
المفعول والجملة كالتفسير لما قبلها والملائكة يشهدون
ايضا بنبوتك وفيه تنبيه على انهم يزدرون ان يعلموا صحة
دعوى النبوة على وجه يستغنى عن النظر والتأمل وهذا
النوع من خواص الملك ولا سبيل للانسان الى العلم بذلك
سوى الفكر والنظر فلو اتى هؤلاء بالنظر الصحيح لعرفوا
نبوتك وشهدوا بها كما عرفت الملائكة وشهدوا
عليها وكفى بالله شهيدا اي كفى بما اقام من الحجج على صحة
نبوتك عن الاستشهاد بغيره ان الذين كفروا وصدوا
عن سبيل الله قد ضلوا ضلالا بعيدا لانهم جمعوا بين الضلال
والاضلال ولان المضل يكون اغرق في الضلال

عن

عن الانقطاع عنه ان الذين كفروا وظلموا محمدا بانكار
نبوته او الناس بصدهم عما فيه صلاحهم وخلاصهم
او باشتمالهم على ذلك والآية تدل على ان الكفار مخاطبون
بالفروع اذ المراد بهم الجامعون بين الكفر والظلم
لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا الا طريق
جهنم خالدين فيها ابدا الى حكم السابق ووعده
المحتوم على ان من مات على كفره فهو خالد في النار و
خالدين مقدرة وكان ذلك على الله يسيرا لا يصعب
عليه ولا يستعظمه يا ايها الناس قد جاءكم الرسول بالحق
من ربكم لما قرر امر النبوة وبين الطريق الموصل الى العلم
بها ووعيد من انكرها خاطب الناس عامة بالدعوة
والزام الحجة والوعد بالاجابة والوعيد على الرد فامنوا
خيرا لكم اي ايمانا خيرا لكم او ائتوا امرا خيرا لكم مما انتم
عليه وقيل لتقديره يكن الايمان خيرا لكم ومنعه البصريون
لان كان لا يحذف مع اسمه الا فيما لا بد منه ولانه يؤدي الى
حذف الشرط وجوابه وان تكفروا فان لله ما في السموات
والارض يعني فان تكفروا فهو غني عنكم لا يتضرر بكفركم
كما لا ينتفع بايمانكم ونبه على غناه بقوله لله ما في السموات
والارض وهو يعم ما اشتملتا عليه وعما تركبتا منه وكان الله
عليما باحوالهم حكيما فيما دبر لهم يا اهل الكتاب لا تغلوا
في دينكم الخطاب للفريقين غلت اليهود في حط عيسى
حتى زعموه بانه ولد لغير رشدة والنصارى في رفعه
حتى اتخذوه الها وقيل النصارى خاصة فانه اوفق لقوله
ولا تقولوا على الله الا الحق يعني تنزيهه عن الصاحبة و
الولد انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته

القاها الى مريم اوصلها اليها وحصلها فيها وروح منه
ذو روح صدر منه لا بتوسط ما يجري الاصل والمادة
وقيل سمي روحا لانه كان يحيي الاموات او القلوب ه
فامنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة اي الآلهة الله
والمسيح ومريم ويشهد عليه قوله ءانت قلت للناس
الآية او الله ثلاثة ان صح انهم يقولون الله ثلاثة اقانيم
الاب والابن وروح القدس يريدون بالاب الذات و
بالابن العلم وبروح القدس الحيوة انتهوا عن التثليث
خيرا لكم نصبه كما سبق انما الله إله واحد اي واحد
بالذات لا تعدد فيه بوجه ما سبحانه ان يكون له ولد
لتنزيهه تسبيحا من ان يكون له ولد فانه يكون لمن يعادله
مثل ويتطرق اليه فناء له ما في السموات وما في الارض ملكا
وخلقا لا يماثله شيء من ذلك فيتخذه ولدا وكفى بالله و
كيلا تنبيه على غناه من العلد فان الحاجة اليه لتكون وكيلا
لابيه والله سبحانه قائم بحفظ الاشياء كافل في ذلك مستغن
عمن يخلفه او يعينه لن يستنكف المسيح ان يأنف من نكفت
الدمع اذا نحيته باصبعك كيلا يرى اثره عليك ان يكون
عبدا لله من ان يكون عبدا له فان عبودية اشرف ينتابهم
به وانما المذلة والاستنكاف في عبودية غيره روى انه
وفد نجران قالوا لرسول الله ﷺ لم تعيب صاحبنا قال ﷺ
ما صاحبكم قالوا عيسى قال اي شيء اقول قالوا تقول انه
عبد الله قال انه ليس يعار ان يكون عبد الله قالوا بلى
فنزلت ولا الملائكة المقربون عطف على المسيح اي ولا
تستنكف الملائكة المقربون ان يكونوا عبيد الله واحتج
به من زعم فضل الملائكة على الانبياء وقال مساقة لو

النصارى في رفع المسيح عن مقام العبودية وذلك ه
يقتضي ان يكون المعطوف عليه اعلى درجة منه حتى يكون
عدم استنكافهم كالدليل على عدم استنكافه وجوابه
ان الآية للرد على عبدة المسيح والملائكة فلا يتجه ذلك و
ان سلم اختصاصها بالنصارى فلعله اراد بالعطف ه
المبالغة باعتبار التكثير دون التكبير كقولك اصبح الا
مير لا يخالفه رئيس ولا مرؤس وان اراد به التكبير
فغايته تفضيل المقربين من الملائكة وهم الكروبيون
الذين حول العرش او من اعلى منهم ورتبة من الملائكة على
المسيح من الانبياء وذلك لا يستلزم فضل احد الجنسين
على الآخر مطلقا والنزاع فيه ومن يستنكف عن عبادته
ويستكبر يحشرهم اليه جميعا يوم يحشر العباد للمجازاة او لمجازاتهم فان
اثابة مقابليهم والاحسان اليهم تعذيب لهم بالغم
والحسرة يا ايها الناس قد جاءكم برهان من ربكم و
انزلنا اليكم نورا مبينا عنى بالبرهان المعجزات وبا
لنور القرآن اي جاءكم دلائل العقل وشواهد النقل
ولم يبق لكم عذر ولا علة وقيل البرهان الدين او ه

فيلام

الرسول او القران فاما الذين آمنوا بالله واعتصموا به
فسيدخلهم في رحمة منه ثواب قدره بازاء ايمانه و
عمله رحمة منه لاقتضاء الحق واجب وفضل احسان
زائد عليه ويهديهم اليه الى الله وقيل الى الموعود له
صراطا مستقيما هو الاسلام والطاعة في الدنيا وطريق
الجنة في الآخرة يستفتونك اى في الكلالة حذفت لدلالة
لالة الجواب عليه روى ان جابر بن عبد الله كان مريضا
فعاده رسول الله ﷺ فقال ان كلالة فكيف اصنع في مالي
فنزلت وهي آخر ما نزل في الاحكام قل الله يفتيكم في
الكلالة سبق تفسيرها في اوائل السورة ان امرؤ هلك
هلك ليس له ولد وله اخت فلها نصف ما ترك ارتفع
امرؤ بفعل يفسره الظاهر وليس له ولد صفة له او حال
من المستكن في هلك والعامل في ولد يحتمل الحال والعطف
والمراد بالاخت لاب وام او لاب لانه جعل اخوتها
عصبة وابن الام لا يكون عصبة والولد على ظاهره فان
الاخت وان ورثت مع البنت عند عامة العلماء غير
ابن عباس لكنها لا ترث النصف وهو يرثها والمراد
يرث اخته ان كان الامر بالعكس ان لم يكن لها ولد
ذكرا كان او انثى ان اريد بيان ما يرث جميع ما لها والا
فالمراد به الذكر اذ البنت لا تحجب الاخ والاية كما انها تدل
على سقوط الاخوة بغير الولد لم تدل على عدم سقوطهم
به وقد دلت السنة على انهم لا يرثون مع الاب ولذا
مفهوم قوله الله يفتيكم في الكلالة ان فرضت بالميت
فانكانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك الضمير ان يرثن
بالاخوة وتثنيته محمولة على المعنى وفائدة الاخبار عنه

باثنتين على ان الحكم باعتبار العدد دون الصغر والكبر
وغيرهما وان كانوا اخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ
الانثيين اصله وان كانوا اخوة واخوات فغلب المذكر
يبين الله لكم ان تضلوا اى يبين الله ضلالكم الذي من
شانكم اذا خليتم وطباعكم لتحترزوا عنه وتتحروا
خلافه او يبين لكم الحق والصواب كراهة ان تضلوا او
قيل لئلا تضلوا وحذف لا وهو قول الكوفيين والله بكل
شيء عليم فهو عالم بمصالح العباد في المحيا والممات على
النبي ﷺ من قرأ سورة النساء فكأنما تصدق على كل
مؤمن ومؤمنة وورث ميراثا واعطى من الاجر كمن
اشترى محررا وبرئ من الشرك وكان في مشية الله
من الذين يتجاوز عنهم سورة المائدة وهي مائة وعشرون
آية بسم الله الرحمن الرحيم
يا ايها الذين آمنوا اوفوا بالعقود الوفاء هو القيام
بمقتضى العهد وكذلك الايفاء والعقد العهد الموثق
قال خطيبة قوم اذا عقدوا عقد لجارهم شدوا العناج
وشدوا فوقه الكربا واصله الجمع بين الشيئين بحيث
يصعب انفصال وكل المراد بالعقود ما يعم العقود التي
عقدها الله على عباده والزمها اياهم من التكاليف وما
يعقدون بينهم من عقود الامانات والمعاملات مما
يجب الوفاء به ويحسن ان حملنا الامر على المشترك بين
الوجوب والندب احلت لكم بهيمة الانعام تفصيل
للعقود والبهيمة كل حي لا يميز وقيل كل ذات اربع و
اضافتها الى الانعام للبيان كقولك ثوب خز ومعناه
البهيمة من الانعام وهي الازواج الثمانية والحق بها

الظباء وبقر الوحش وقيل هما المراد بالبهيمة ونحوهما مما
يماثل الانعام في الاجترار وعدم الانياب واضافتها الى
الانعام لملابسة الشبه الآ ما يتلى عليكم تحريمه غير محلي
الصيد حال من الضمير في لكم وقيل من واو اوفوا وقيل
استثناء وفيه تعسف والصيد يحتمل المصدر والمفعول
وانتم حرم حال عما استكن في محلي والحرم جمع حرام وهو
المحرم ان الله يحكم ما يريد من تحليل وتحريم يا ايها الذين
آمنوا لا تحلوا شعائر الله يعني مناسك الحج جمع شعيرة و
هي اسم ما اشعر اي جعل شعارا اسمي به اعمال الحج ومواقفه
لانها علامات الحج واعلام النسك وقيل دين الله كقوله ومن
يعظم شعائر الله دينه وقيل فرائضه التي حدها لعباده و
لا الشهر الحرام بالقتال فيه او بالنسيء ولا الهدى ما اهدى
الى الكعبة جمع هدية كجدى جمع جدية السرج ولا القلائد
اي ذوات القلائد من الهدى وعطفها على الهدى للاه
ختصاص فانها اشرف الهدى او القلائد انفسها والنهي
عن احلالها مبالغة في النهي عن التعريض للهدى ونظيره
قوله ولا يبدين زينتهن والقلائد جمع قلادة وهي ما قلد
بها الهدى من نعل او لحاء الشجر او غيرهما ليعلم به انه
هدى فلا يتعرض له ولا آمين البيت الحرام قاصدين لزيارته
يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا اي يثيبهم ويرضى عنهم
والجملة في موضع الحال من المستكن في امين وليست صفة له
لانه عامل والمختار ان اسم الفاعل الموصوف لا يعمل وفائدته
استنكار تعرض من هذا شانه والتنبيه على المانع له وقيل
معناه يبتغون من الله رزقا بالتجارة ورضوانا بزعمهم
اذ روى ان الآية نزلت عام القضية في حجاج اليمامة

لئلا هم المسلمون ان يتعرضوا لهم بسبب انه كان فيهم الحطم شريح
بن ضبيعة وكان قد استاق سرح المدينة وعلى هذا فالاية
منسوخة وقرئ تبتغون على خطاب المؤمنين واذا حللتم
فاصطادوا اذن في الاصطياد بعد زوال الاحرام ولا يلزم
من ارادة الاباحة ههنا من الامر دلالة الاتي بعد الحظر على الا
باحة مطلقا وقرئ بكسر الفاء على حركة همزة الوصل عليها وهو
ضعيف جدا واحللتم يقال حل المحرم واحل ولا يجرمنكم لا يحملنكم
او لا يكسبنكم نشنآن قوم شدة بغضهم وعداوة
وهو مصدر اضيف الى المفعول او الفاعل وقرأ ابن عامر وحمـ
اسمعيل عن نافع وابن عباس عن عاصم بسكون النون وهو
ايضا مصدر كغيان او نعت بمعنى بغيض قوم وفعلان
في النعت اكثر ان صدوكم عن المسجد الحرام لان صدوكم
عنه عام الحديبية وقرأ ابن كثير بكسر الهمزة على انه شرط
معترض افنى عن جوابه لا يجرمنكم ان تعتدوا بالانتقام
فان مفعول يجرمنكم فانه يعدى الى واحد والى اثنين ككسب
ومن قرأ يجرمنكم بضم الياء جعله منقولا من المتعدي الى مفعو
ل بالهمزة الى مفعولين وتعاونوا على البر والتقوى على العفو
والاغضاء ومتابعة الامر ومجانبة الهوى ولا تعاونوا على
الاثم والعدوان للتشفي والانتقام واتقوا الله ان الله شديد
العقاب فانتقامه اشد حرمت عليكم الميتة بيان ما يتلى عليكم
والميتة ما فارقه الروح من غير تذكية والدم اي الدم المسفو
ح لقوله او دما مسفوحا وكان اهل الجاهلية يصبونها في الامعاء
ويشوونها ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به اي رفع الصوت
لغير الله به كقولهم باسم اللات والعزى عند ذبحه والمنـ
خنقة التي ماتت بالخنق والموقوذة المضروبة بنحو

خشب او حجر حتى تموت من وقذته اذا ضربته والمتردية
التى تردت من علو او فى بئر فماتت والنطيحة التى نطحتها
اخرى فماتت والتاء فيه للنقل وما اكل السبع اى وما اكل منه
السبع فماتت وهو يدل على ان جوارح الصيد اذا اكلت فى
اصطادته لم يحل الا ما ذكيتم الا ما اردتم ذكاته فيه حيوة
مستقرة من ذلك وقيل الاستثناء مخصوص بما الحل السبع والذ
كاة فى الشرع بقطع الحلقوم والمريء بمحدد وما ذبح على النصب
واحد الانصاب وهى احجار كانت منصوبة حول البيت يذ
بحون عليها ويعدون ذلك قربة وقيل هى الاصنام وعلى
معنى اللام او على اصلها بتقدير وما ذبح مسمى على الاصنام
وقيل هو جمع والواحد نصاب وان تستقسموا بالازلام
اى وحرم عليكم الاستقسام بالاقداح وذلك انهم اذا قصدوا
فعلا ضربوا ثلاثة اقداح مكتوب على احدها امرنى ربى و
الاخرى نهانى ربى والثالث غفل فان خرج الامر مضوا على
ذلك وان خرج الناهى تجنبوا عنه وان خرج الغفل اجالوها
ثانيا فمعنى الاستقسام طلب معرفة ما قسم لهم دون ما لم
يقسم بالازلام وقيل هو استقسام الجزور بالاقداح على
الانصباء المعلومة وواحد الازلام زلم كجمل وزلم كصرد ذلكم
فسق اشارة الى الاستقسام وكونه فسقا لانه دخول فى علم
الغيب وضلال باعتقاد ان ذلك طريق اليه وافتراء على
الله ان اريد بزلم وجهالة وشرك ان اريد به الصنم او
الميسر المحرم الى تناول ما حرم عليهم اليوم لم يرد به يوما
بعينه وانما اراد الحاضرة وما يتصل به من الازمنة الآتية
وقيل اراد يوم نزولها وقد نزلت بعد عصر يوم الجمعة
عرفة حجة الوداع يئس الذين كفروا من دينكم اى من

ابطاله ورجوعكم عنه بتحليل هذه الخبائث وغيره او من ان
يغلبوكم عليه فلا تخشوهم ان يظهروا عليكم واخشون
واخلصوا الخشية لى اليوم اكملت لكم دينكم بالنصر والا
ظهار على الاديان كلها او بالتنصيص على قواعد العقائد
التوفيق على اصول الشرايع وقوانين الاجتهاد واتممت
عليكم نعمتى بالهداية والتوفيق او باكمال الدين او بفتح
مكة وهدم منار الجاهلية ورضيت لكم الاسلام اختير له
لكم دينا من بين الاديان وهو الدين عند الله لا غير فمن
اضطر متصل بذكر المحرمات وما بينهما اعتراض بما يوجب
التجنب عنها وهو ان تناولها فسوق وحرمتها من جملة
الدين الكامل والنعمة التامة والاسلام المرضى والمعنى
فمن اضطر الى تناول شىء من المحرمات فى مخمصة فى مجاعة
غير متجانف لاثم غير مائل له ومنحرف اليه بان يأكلها
تلذذا او متجاوز الحد الرخصة كقوله غير باغ ولا عاد فان الله
غفور رحيم لا يؤاخذه بأكله يسئلونك ماذا احل لهم لما
تضمن السؤال معنى القول اوقع على الجملة وقد سبق الكلام
فيما ذا وانما قال لهم ولم يقل لنا على الحكاية لان يسئلونك
بلفظ الغيبة وكلا الوجهين سائغ فى امثاله والمسؤل ما
احل لهم من المطاعم كانه لما قيل عليهم ما حرم عليهم سئلوا
عما احل لهم قل احل لكم الطيبات ما لم تستخبثه الطباع
السليمة ولم تتنفر عنه ومن مفهومه حرم مستخبثات
العرب او ما لم يدل نص ولا قياس على حرمته وما علمتم من
الجوارح عطف على الطيبات ان جعل ما موصولة على تقدير
وصيد ما علمتم وجملة شرطية ان جعلت شرطا وجوابها
فكلوا والجوارح كواسب الصيد على اهلها من السباع من

ذوات الاربع و الطير مكلبين معلمين اياه الصيد والمكلب
مؤدب الجوارح ومضريها بالصيد مشتق من الكلب لان
التاديب يكون اكثر فيه واثر او لان كل سبع يسمى كلبا ه
لقوله عليه الصلوة والسلام اللهم سلط عليه كلبا من كلابك
وانتصابه على الحال من علمتم وفائدتها المبالغة في التعليم ه
تعلمونهن حال ثانية او استيناف مما علمكم الله من الحيل
وطرق التاديب فان العلم بها الهام من الله كه او مكتسب
من العقل الذى هو منحة منه او مما علمكم ان تعلموه من اتباع ه
الصيد بارسال صاحبه وينزجره وينصرف بدعائه وتمسك
عليه الصيد ولا تاكل منه فكلوا مما امسكن عليكم وهو مالم ياكل
منه لقوله صلى الله عليه وسلم لعدى بن حاتم وان اكل منه ه
فلا تاكل انما امسك على نفسه واليه ذهب اكثر الفقهاء وقال
بعضهم لا يشترط ذلك في سباع الطير لان تاديبها الى هذا الحد
ممتنع وقال آخرون لا يشترط مطلقا واذكروا اسم الله عليه
الضمير لما علمتم والمعنى سموا عليه عند ارساله او لما امسكن
بمعنى سموا عليه اذا ادركتم ذكاته واتقوا الله في تحريماته ان الله
سريع الحساب يؤاخذكم بما جل ودق اليوم احل لكم الطيبات
وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم يتناول الذبايح وغيرها
ويعم الذين اوتوا الكتاب من اليهود والنصارى واستثنى ه
على رضى الله عنه نصارى بنى تغلب وقال ليسوا على النصرانية
ولم ياخذوا منها الا شرب الخمر ولا يلحق بهم المجوس في ذلك
وان الحق بهم في التقريب على الجزية لقوله صم سنوا بهم ه
سنة اهل الكتاب غير ناكحي نسائهم ولا اكلى ذبائحهم وه
طعامكم حل لهم فلا عليكم ان تطعموهم وتبيعوا منهم ولو ه
حرم عليهم لم يجز ذلك والمحصنات من المؤمنات الحرائر

رهن

العفائف وتخصيصهن بعث على ما هو الاولى والمحصنات من
الذين اوتوا الكتاب من قبلكم وان كن حرائر بيات وقال ابن ه
عباس رضى الله عنهما لا تحل الحرائر بيات اذا تيقن رهن اجور
مهورهن وتقييد الحل بايتائها لتاكيد وجوبها والحث على الاولى
وقيل المراد بايتائها التزامها محصنين اعفاء بالنكاح غير ه
مسافحين مجاهرين بالزنا ولا متخذي اخدان مسرين به و
الخدن الصديق يقع على الذكر والانثى ومن يكفر بالايمان ه
فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين يريد بالايمان
شرايع الاسلام وبالكفر انكاره والامتناع عنه يا ايها الذين
امنوا اذا قمتم الى الصلوة اذا اردتم القيام كقوله اذا قرات ه
القران فاستعذ بالله عبر عن ارادة الفعل بالفعل المسبب عنها
للايجاز والتنبيه على ان من اراد العبادة ينبغي ان يبادر اليها
بحيث لا ينفك الفعل عن الارادة او اذا قصدتم الصلوة لان
التوجه الى الشيء والقيام اليه قصد له وظاهر الاية يوجب ه
الوضوء على كل قائم الى الصلوة وان لم يكن محدثا والاجماع على
خلافه لانه روى انه صم صلى الخمس بوضوء واحد يوم الفتح
فقال عمر رضى الله عنه صنعت شيئا لم تكن تصنعه فقال عمدا
فعلته فقيل مطلق اريد به التقييد والمعنى اذا قمتم الى الصلوة
وانتم محدثون وقيل الامر فيه للندب وقيل كان ذلك اولا
ثم نسخ وهو ضعيف لقوله صم المائدة من آخر القران نزولا
فاحلوا حلالها وحرموا حرامها فاغسلوا وجوهكم امروا الماء
عليه والحاجة الى ذلك خلافا لمالك وايديكم الى المرافق ه
الجمهور على دخول المرفقين في المغسول ولذلك قيل الى بمعنى
مع لقوله كه ويزدكم قوة الى قوتكم او متعلقة بمحذوف تقديره
وايديكم مضافة الى المرافق ولو كان كذلك لم يبق معنى التحديد

ولا لذكره مزيد فائدة لان مطلق اليد تشتمل عليها وقيل الى
تفيد الغاية مطلقا وامادخولها فى الحكم اوخروجها منه فلا
دلالة لها عليه وانما يعلم من خارج ولم يكن فى الاية وكان الا
يدى متنا ولا لها فى حكم بدخوله احتياطا وقيل الى من حيث ه
انها تفيد الغاية تقتضى خروجها والا لم يكن غاية كقوله فنظرة
الى ميسرة وقوله ثم اتموا الصيام الى الليل لكن لما لم تتغير الغاية
ههنا من ذى الغاية وجب ادخالها احتياطا وامسحوا بروء
سكم الباء مزيدة وقيل للتبعيض فانه الفارق بين قولك ه
مسحت المنديل وبالمنديل ووجهه ان يقال انها تدل على ه
تضمين الفعل معنى الالصاق فكانه قيل والصقوا المسح بروء
سكم وذلك لا يقتضى الاستيعاب بخلاف ما لو قيل وامسحوا
روسكم فانه كقوله فاغسلوا وجوهكم واختلف العلماء فى
القدر الواجب فاوجب الشافعى اقل ما يقع عليه الاسم اخذا
باليقين وابوحنيفة مسح ربع الراس لانه م مسح على نا
صيته وهو قريب من الربع ومالك مسح كلها اخذا بالاحتياط
وارجلكم الى الكعبين نصبه نافع وابن عامر وحفص والكسائ
ويعقوب عطفا على وجوهكم ويؤيده السنة الشائعة وعمل
الصحابة وقول اكثر الائمة والتحديد اذ المسح لم يجئ وجزه ه
الباقون على الجوار ونظيره كثير فى القران والشعر كقوله عذاب
يوم اليم وحور عين فى قراءة حمزة والكسائ وقولهم جحر ضب خرب
وللنحاة باب فى ذلك وفائدته التنبيه على انه ينبغى ان يقتصد
فى صب الماء عليها ويغسل غسلا يقرب من المسح وفى الفصل
بينه وبين اخوته ايماء على وجوب الترتيب وقرئ بالرفع
على وارجلكم مغسولة وان كنتم جنبا فاطهروا فاغتسلوا ه
وان كنتم مرضى اوعلى سفر اوجاء احد منكم من الغايط او لا

مس النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم
وايديكم منه سبق تفسيره ولعل تكريره ليتصل الكلام فى بيان
انواع الطهارة مايريد الله ليجعل عليكم من حرج اى مايريد الا
مر بالطهارة للصلوة اوالامر بالتيمم تضييقا عليكم ولكن يريد
ليطهركم لينظفكم اوليطهركم عن الذنوب فان الوضوء ه
تكفير للذنوب اوليطهركم بالثواب اذا اعوذكم التطهر بالماء
فتفعل يريد فى الموضعين محذوف واللام للعلة وقيل مزيدة
والمعنى مايريد الله ان يجعل عليكم من حرج حتى لايرخص لكم
فى التيمم ولكن يريد ان يطهركم وهو ضعيف لان لا تقدر بعد
المزيدة وليتم نعمته عليكم ليتم بشرعه ماهو مطهرة لابدانكم و
مكفرة لذنوبكم نعمته عليكم فى الدين اوليتم برخصة انعامه عليكم
بعزائمه لعلكم تشكرون نعمته والاية مشتملة على سبعة امور كلها
مثنى طهارتان اصل وبدل والاصل اثنان مستوعب وغيره
مستوعب وغير مستوعب باعتبار الفعل غسل ومسح و
باعتبار المحل محدود وغير محدود وان آلتهما مايع وجا مد
وموجبهما حدث اكبر واصغر وان المسيح المعدول به
الى البدل مرض اوصف وان المعدود عليهما تطهير الذ نوب
واتمام النعمة واذكروا نعمة الله عليكم بالاسلام ليذكركم
المنعم ويرغبكم فى شكره وميثاقه الذى واثقكم به اذ ه
قلتم سمعنا واطعنا يعنى الميثاق الذى اخذه على المسلمين حين
بايعهم رسول الله ص على السمع والطاعة فى العسر واليسر
والمنشط والمكره اوميثاق ليلة العقبة اوبيعة الرضوان ه
واتقوا الله فى انساء نعمه ونقض ميثاقه ان الله عليم بذات
الصدور اى بخفياتها فيجازيكم عليها فضلا عن جليات ه
اعمالكم يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط

و لا يجرمنكم شنآن قوم على ان لا تعدلوا اعداه بعلى لتضمنه
معنى الحمل والمعنى لا يحملنكم شدة بغضكم للمشركين على ترك
العدل فيهم فتعتدوا عليهم بارتكاب ما لا يحل كمثلة وقذف
وقتل نساء وصبية ونقض عهد تشفيا مما فى قلوبكم اعدلوا
هو اقرب للتقوى العدل اقرب للتقوى صرح لهم الامر
بالعدل وبين انه بمكان من التقوى بعد ما نهاهم من الجور
وبين انه مقتضى الهوى واذا كان هذا العدل مع الكفار فما
ظنك بالعدل مع المؤمنين واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون
فيجازيكم وتكرير هذا الحكم اما لاختلاف السبب كما قيل ان
الاولى نزلت فى المشركين وهذه فى اليهود او لمزيد الاهتمام
والمبالغة فى اطفاء نائرة الغيظ وعد الله الذين آمنوا و
عملوا الصالحات لهم مغفرة واجر عظيم وانما حذف هو
ثانى مفعولى وعد استغناء بقوله لهم مغفرة فانه استئناف
يبينه وقيل الجملة فى موقع المفعول فان الوعد ضرب من القول هو
وكانه قال وعدهم هذا القول والذين كفروا وكذبوا بآياتنا
اولئك اصحاب الجحيم هذا من غاية كرمه ان يتبع حال احد
الفريقين بحال الاخر وفاء بحق الدعوة وفيه مزيد وعد
للمؤمنين وتطييب لقلوبهم يا ايها الذين آمنوا اذكروا
نعمة الله عليكم روى ان المشركين زاحموا رسول الله ﷺ و
اصحابه بعسفان قاموا الى الظهر معا فلما صلوا ندموا الا
كانوا اكبوا عليهم وهموا ان يوقعوا بهم اذا قاموا الى صلاة
العصر فرد الله كيدهم بان انزل صلوة الخوف والآية اشارة
الى ذلك وقيل اشارة الى ما روى انه ﷺ اتى قريظة ومعه
الخلفاء الاربعة رضوان الله عليهم يستقرضهم لدية مسلمين
قتلهما عمرو بن امية الضمرى يحسبهما مشركين فقالوا نعم

يا ابا القاسم اجلس حتى نطعمك ونقرضك فاجلسوه وهموا
بقتله فعمد عمرو بن جحاش الى رحى عظيمة فطرحها عليه هو
فامسك الله يده فنزل جبرائيل فاخبره فخرج وقيل نزل هو
رسول الله ﷺ منزلا وعلق سلاحه بشجر وتفرق الناس
عنه فجاءه اعرابى فسل سيفه فقال من يمنعك منى فقال الله ثم
فاسقطه جبرائيل من يده واخذه الرسول ﷺ فقال من يمنعك
فقال لا احد اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ﷺ
فنزلت اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم بالقتل والاهلاك يقال بسط اليه يده اذا بطش به وبسط اليه لسانه
اذا شتمه فكيف ايديهم عنكم منعها ان تمد اليكم ورد مضرتها
عنكم واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون فانه الكافى للايصال
الخير ودفع الشر ولقد اخذ الله ميثاق بنى اسرائيل وبعثنا منهم
منهم اثنى عشر نقيبا شاهدا من كل سبط ينقب عن احوال قومه
ويفتش عنها او كفيلا يكفل عليهم بالوفاء بما امروا به روى ان
بنى اسرائيل لما فرغوا عن فرعون واستقروا بمصر امرهم الله
بالمسير الى اريحا ارض الشام وكان يسكنها الجبابرة الكنعانيون
وقال انى كتبتها لكم دارا وقرارا فاخرجوا اليها وجاهدوا من
فيها فانى ناصركم وامر موسى ان يأخذ من كل سبط نقيبا يكون
كفيلا عليهم بالوفاء بما امروا فاخذ عليهم الميثاق واختار منهم
النقباء وسار بهم فلما دنا من ارض كنعان بعث النقباء هو
يتجسسون الاخبار وينهاهم ان يحدثوا قومهم فراوا اجسادا
عظيمة وبأسا شديدا فهابوا فرجعوا وحدثوا قومهم فنكثوا
الميثاق الا كالب بن يوفنا من سبط يهوذا ويوشع بن نون
من سبط افرائيم بن يوسف وقال الله انى معكم بالنصر لئن
اقمتم موطئة للقسم الصلوة وآتيتم الزكوة وآمنتم برسلى

وعزرتموهم اى نصرتموهم وقويتموهم واصله الرد ومنه
التعزير واقرضتم الله قرضا حسنا فى سبيل الخير وقرضا يحتمل
المصدر والمفعول لاكفرن عنكم سيئاتكم جواب للقسم
المدلول عليه باللام فى لئن ساد مسد جواب الشرط ولا
دخلنكم جنات تجرى من تحتها الانهار فمن كفر بعد ذلك
بعد ذلك الشرط المؤكد المعلق به الوعد العظيم منكم فقد ضل
سواء السبيل ضلالا لا اشبه فيه ولا عذر معه بخلاف من كفر قبل
ذلك اذ قد يمكن ان يكون له شبهة ويتوهم له معذرة فبما
نقضهم ميثاقهم لعناهم طردناهم من رحمتنا او مسخناهم
او ضربنا عليهم الجزية وجعلنا قلوبهم قاسية لا تنفعل عن
الآيات والنذر وقرأ حمزة قسية وهى مبالغة قاسية او بمعنى
ردية من قولهم درهم قسى اذا كان مغشوشا وهو ايضا
من القسوة فان المغشوش فيه يبس وصلابة وقرئ قسية
بانباع القاف الشين يحرفون الكلم عن مواضعه استيناف
لبيان قسوة قلوبهم فانه لا قسوة اشد من تغيير كلام الله تعا
والافتراء عليه ويجوز ان يكون حالا من مفعول لعناهم لا من
القلوب اذ لا ضمير له فيه ونسوا حظا وتركوا نصيبا وافيا مما
ذكروا به من التوراة او من اتباع محمد وهم والمعنى انهم
حرفوا التوراة وتركوا حظهم مما انزل الله عليهم فلم يبق
وقيل معناه انهم حرفوها فنزلت بشومة اشياء منها عن
حفظهم كما روى ان ابن مسعود قال قد ينسى المرء بعض العلم
بالمعصية وتلى هذه الاية ولا تزال تطلع على خائنة منهم خيانة
او فرقة خائنة او خائن والهاء للمبالغة والمعنى ان الخيانة
والضرر عادتهم وعادة اسلافهم لا تزال ترى ذلك منهم
الا قليلا منهم لم يخونوا وهم الذين آمنوا منهم وقيل الاستثناء

من قوله وجعلنا قلوبهم قاسية فاعف عنهم واصفح ان تابوا
وآمنوا او عاهدوا والتزموا الجزية وقيل مطلق نسخ بآية
السيف ان الله يحب المحسنين تعليل للامر بالصفح وحثه
عليه وتنبيه على ان العفو عن الكافر الخائن احسان فضلا
عن العفو عن غيره ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا
ميثاقهم اى اخذنا من النصارى ميثاقهم كما اخذنا ممن قبلهم
وقيل تقديره ومن الذين قالوا انا نصارى قوم اخذنا
وانما قال قالوا انا نصارى ليدل على انهم سموا انفسهم
بذلك ادعاء لنصرة الله فنسوا حظا مما ذكروا به فاغرينا
فالزمنا من غرى بالشئ اذا الصق به بينهم العداوة و
البغضاء الى يوم القيمة بين فرق النصارى وهم نسطورية
ويعقوبية وملكانية او بينهم وبين اليهود وسوف
ينبئهم الله بما كانوا يصنعون بالجزاء والعقاب يا اهل
الكتاب يعنى اليهود والنصارى وحد الكتاب لانه للجنس
قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب
كنعت محمد وآية الرجم فى التوراة وبشارة عيسى باحمد
وهم فى الانجيل ويعفوا عن كثير مما تخفونه لا يخبر به اذا
لم يضطر اليه امر دينى او عن كثير منكم فلا يؤاخذه بجرمه
قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يعنى القرآن فانه الكاشف
لظلمات الشك والضلال والكتاب الواضح الاعجاز وقيل
يريد بالنور محمدا يهدى به الله وحد الضمير لان المراد
بهما واحد او لانهما فى الحكم كواحد من اتبع رضوانه اى
من اتبع رضاه بالايمان منهم سبل السلام طرق السلامة
من العذاب او سبيل الله ويخرجهم من الظلمات الى النور
من انواع الكفر الى الاسلام باذنه بارادته او بتوفيقه و

يهديهم الى صراط مستقيم طريق هو اقرب الطرق الى الله ومؤد
اليه لامحالة لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم
هم الذين قالوا بالاتحاد منهم وقيل لم يصرح به احد منهم
ولكن لما زعموا ان فيه لاهوتا وقالوا الآله الا واحد لزمهم
ان يكون هو المسيح فنسب اليهم لازم قولهم توضيحا لـ
لجهلهم وتفضيحا لمعتقدهم قل فمن يملك من الله شيئا فمن
يمنع عن قدرته وارادته شيئا ان اراد ان يهلك المسيح
بن مريم وامه ومن في الارض جميعا احتج به على فساد ه
قولهم وتقريره ان المسيح مقدور قابل للفنا كسائر ه
الممكنات ومن كان كذلك فهو بمعزل عن الالوهية ولله
ملك السموات والارض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على
كل شيء قدير ازاحة لما عرض لهم من الشبهة في امره والمعنى
انه تعالى قادر على الاطلاق يخلق من غير اصل كما خلق السموات
والارض ومن اصله كخلق ما بينهما فينشئ من اصل ليس من
جنسه كادم وكثير من الحيوان ومن اصل يجانسه اما من ذكر
وحده كحواء او من انثى وحدها كعيسى او منهما كسائر الناس
وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه اشياع ه
ابنيه عزير والمسيح كما قيل لاشياع ابن الزبير الخبيبون او ه
مقربون عنده قرب الاولاد والدلهم وقد سبق لذلك مزيد بيان
في سورة آل عمران قل فلم يعذبكم بذنوبكم اى فان صح ما زعمتم
فلم يعذبكم بذنوبكم فان من كان بهذا المنصب لا يفعل ما يوجب
تعذيبه وقد عذبكم في الدنيا بالقتل والاسر والمسخ فاعترفتم
فتم انه سيعذبكم بالنار ايا ما معدودة بل انتم بشر ممن
خلق يمتن خلقه الله يغفر لمن يشاء وهم من آمن به ويسلم
ويعذب من يشاء وهم من كفر والمعنى انه يعاملكم معاملة

سائر الناس لا مزية لكم عليهم ولله ملك السموات والارض
وما بينهما كلهما سواء في كونه خلقا وملكا له واليه المصير
فيجازي المحسن باحسانه والمسيء باسائته يا اهل الكتاب
قد جاءكم رسولنا يبين لكم اى الذين وحذف لظهوره
او ما كتم وحذف لتقدم ذكره ويجوز ان لا يقدر مفعول
على ومعنى يبدل لكم البيان والجملة في موقع الحال اى جاءكم
رسولنا مبينا لكم على فترة من الرسل متعلق بجاءكم اى
جاءكم على حين فتور من الارسال وانقطاع من الوحي او يبين
حال من الضمير في ان تقولوا ماجاءنا من بشير ولا نذير
كراهة ان تقولوا به وتعتذروا به فقد جاءكم بشير ونذير
متعلق بمحذوف اى لا تعتذروا فقد جاءكم والله على كل
شيء قدير فيقدر على الارسال تترى كما فعل بين موسى
وعيسى اذ كان بينهما الف وسبعمائة سنة والف نبي وعلى الا
رسال على فترة كما فعل بين عيسى ومحمد ع كان بينهما ه
ستمائة او خمسمائة وسبع وستون سنة واربعة انبياء
ثلاثة من بني اسرائيل وواحد من العرب خالد بن سنان وفي
الآية امتنان عليهم بان بعث اليهم حين انطمست آثار
الوحي وكانوا احوج ما يكون اليه واذ قال موسى لقومه
يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء فاراشدكم
وشرفكم بهم ولم يبعث في امة ما بعث في بني اسرائيل من الا
نبياء وجعلكم ملوكا اى جعل منكم او فيكم وقد تكاثر منهم
الملوك بتكاثر الانبياء بعد فرعون حتى قتلوا يحيى و
همتوا بقتل عيسى وقيل لما كانوا مملوكين في ايدي القبط
فانقذهم الله كـ وجعلهم ملاكين لانفسهم وامورهم سما
هم ملوكا واتاكم ما لم يؤت احدا من العالمين من فلق البحر

وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى وقيل المراد بالعالمين عالمى
زمانهم ياقوم ادخلوا الارض المقدسة ارض بيت المقدس
سميت بذلك لانها كانت قرار الانبياء ومسكن المؤمنين وقيل
الطور وماحوله وقيل دمشق وفلسطين وبعض الاردن
وقيل الشام التى كتب الله لكم قسمها او كتب فى اللوح المحفوظ
انها تكون مسكنا لكم ولكن ان امنتم واطعتم لقوله لهم بعدما
عصوا فانها محرمة عليهم ولا ترتدوا على ادباركم ولا ترجعوا
مدبرين خوفا من الجبابرة وقيل لما سمعوا حالهم من النقباء
بكوا وقالوا ليتنا متنا بمصر تعالوا نجعل علينا رأسا ينصرف
بنا الى مصر ولا ترتدوا من دينكم بالعصيان وعدم الوثوق
على الله فتنقلبوا خاسرين ثواب الزارين ويجوز فى تنقلبوا
الجزم على العطف والنصب على الجواب قالوا يا موسى ان فيها
قوما جبارين متغلبين لا يتأتى مقاومتهم والجبار فعال من
جبره على الامر بمعنى اجبره وهو الذى يجبر الناس على مايريد
وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون
اذ لا طاقة لنا بهم قال رجلان كالب ويوشع من الذين يخافون
فون اى يخافون الله ويتقونه وقيل كانا رجلين من الجبابرة
اسلما وصارا الى موسى عليه السلام فعلى هذا الواو لبنى
اسرائيل والراجع الى الموصول محذوف اى من الذين يخافهم
بنى اسرائيل ويشهد لهم ان قرئ يخافون بالضم اى المخوفين
وعلى المعنى الاول يكون هذا من الاضافة اى من الذين
يخوفون من الله بالتذكير او يخوفهم الوعيد انعم الله عليهما
بالايمان والتثبيت وهو صفة ثانية لرجلين او اعتراض
ادخلوا عليهم الباب باب قريتهم اى باغتوهم وضاغطوهم
فى المضيق وامنعوهم من الاصحار فاذا دخلتموه فانكم

غالبون لتعسر الكر عليهم فى المضايق من عظم اجسامهم و
لانهم اجسام لا قلوب فيها ويجوز ان علمها بذلك هـ
من اخبار موسى وقوله كتب الله لكم او مما علما من عاد
فى نصرة رسله وما عهدا من صنعه لموسى فى قهر اعدائه هـ
وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين اى مؤمنين به مصدقين
بوعده قالوا يا موسى انا لن ندخلها ابدا نفى دخولهم
على التأبيد ما داموا فيها بدل من ابدا بدل البعض فاذهب
انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون قالوا ذلك استهانة
بالله ك ورسله وعدم مبالاة بهما وقيل تقديره اذهب
انت وربك يعينك قال رب انى لا املك الا نفسى ولخى
قاله لشكوى بثه وحزنه الى الله لما خالفه قومه وايس
منهم ولم يبق معه موافق يثق به غير هارون والرجلان
المذكوران وان كانا موافقان لم يثق عليهما لما كابد من تلون
قومه ويجوز ان يراد باخى من يواخينى فى الدين فيدخلان
فيه ويحتمل نصبه عطفا على نفسى او على اسم ان ورفعه عطفا
على الضمير فى لا املك او على ان واسمها وجره عند الكوفيين
عطفا على الضمير فى نفسى فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين
بان تحكم لنا ما نستحقه وتحكم عليهم بما يستحقون او بالتبعيد
بيننا وبينهم وتخليصا من صحبتهم قال فانها فان الارض
المقدسة محرمة عليهم لا يدخلونها ولا يملكونها بسبب
عصيانهم اربعين سنة يتيهون فى الارض عامل الظرف اما
محرمة فيكون التحريم موقتا غير مؤبد فلا يخالف ظاهر
قوله التى كتب الله لكم ويؤيد ذلك ما روى ان موسى عم
سار بعده بمن بقى من بنى اسرائيل ففتح اريحا واقام فيها
ما شاء الله ك ثم قبض وقيل انه قبض فى التيه ولما احتضر

اخبرهم بان يوشع بعده نبي وان الله امره بقتال
الجبابرة وصار الشام كله لبني اسرائيل واما التيهون اى
يسيرون فيها متحيرين لا يرون طريقا فيكون التحريم
مطلقا وقد قيل لم يدخل الارض المقدسة احد ممن قال
انا لن ندخلها بل هلكوا في التيه وانما قاتل الجبابرة اولادهم روى انهم لبثوا اربعين سنة في ستة فراسخ
يسيرون من الصباح الى المساء فاذا هم بحيث ارتحلوا عنه
وكان الغمام يظلهم من الشمس وعمود من نور يطلع
عليهم بالليل فيضيء لهم وكان طعامهم المن والسلوى و
ماؤهم من الحجر الذي يحملونه والاكثر على موسى وهارون
كانا معهم في التيه الا انه كان ذلك روحا لهما وزيادة في
درجتهما وعقوبة لهم وانما ماتا فيه مات هرون وموسى
بعده بسنة ثم دخل يوشع اريحا بعد ثلاثة اشهر ومات
النقباء فيه بغتة غير كالب ويوشع فلا تاسى على القوم الفا
سقين خاطب به موسى لما ندم على الدعاء عليهم وبين
انهم احقاء بذلك لفسقهم واتل عليهم نبأ بني آدم قابيل
وهابيل اوحى الله الى آدم ان يزوج كل واحد منهما توءم الآ
خر فسخط منه قابيل لان توءمه كانت اجمل فقال لهما آدم
قربانا فمن ايكما قبل تزوجها فقبل قربان هابيل بان نزلت
نار فاكلته فاراد قابيل سخطا وفعل ما فعل وقيل لم يرد بهما
ابني آدم لصلبه وانهما رجلان من بني اسرائيل ولذلك
قال كتبنا على بني اسرائيل بالحق صفة مصدر محذوف اى تلاوة
ملتبسة بالحق او حال من الضمير في اتل او من نبأ اى ملتبسا
بالصدق موافقا لما في كتب الاولين اذ قربا قربانا ظرف
للنبأ او حال منه او بدل على حذف مضاف اى اتل عليهم

نبأهما نبأ ذلك الوقت والقربان اسم ما يتقرب به الى الله
من ذبيحة او غيرها كما ان الحلوان اسم ما يحلى اى يعطى
وهو في الاصل مصدر ولذلك لم يثن وقيل تقديره اذ
قرب كل واحد منهما قربانا فقبل كان قابيل صاحب زرع
وقرب ارداء قمح عنده وقابيل صاحب ضرع وقرب حملا
سمينا فتقبل من احدهما ولم يتقبل من الآخر لانه سخط
حكم الله ولم يخلص النية في قربانه وقصد الى اخس
ما عنده قال لاقتلنك يوعده بالقتل لفرط الحسد له على تقبل
قربانه ولذلك قال انما يتقبل الله من المتقين في جوابه اى
انما اوتيت من قبل نفسك بترك التقوى لا من قبلي فلم
تقتلني وفيه اشارة الى ان الحسد ينبغي ان يرى حرمانه من
تقصيره ويجتهد في تحصيل ما به صار المحسود محظوظا
لا في ازالة حظه فان ذلك مما يضره ولا ينفعه وان الطاعة
لا تقبل الا من متق لئن بسطت الي يدك لتقتلني ما انا
بباسط يدي اليك لاقتلك اني اخاف الله رب العالمين
قيل كان هابيل اقوى منه ولكن تحرج عن قتله واستسلم له
خوفا من الله لان الدفع لم تبح بعد او تحرجا بالماهو الاهم
فضيل قال لهم كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القا
تل وانما قال ما انا بباسط في جواب لئن بسطت للتبري
عن هذا الفعل الشنيع رأسا والتحرز من ان يوصف به
ويطلق عليه ولذلك اكد النفي بالباء اني اريد ان تبوء
باثمي واثمك فتكون من اصحاب النار وذلك جزاء
الظالمين تعليل لان للامتناع من المعارضة والمقاومة و
المعنى انما استسلم لك ارادة ان تحمل اثمي لو بسطت اليك
يدك واثمك ببسط يدك الي ونحوه المستبان ما قال الافعلى

البادى مالم يعتد المظلوم وقيل معنى باثمى باثم قتلى وبا
ثمك الذى لم يتقبل من اجله قربانك وكلاهما فى موضع اى
ترجع ملتبسا باثمين حاملا لهما ولعله لم يرد معصية اخيه
وشقاوته بل قصده بهذا الكلام الى ان ذلك ان كان لا محالة
واقعا فاريد ان يكون لك لالى فالمراد بالذات ان لا يكون
له لا ان يكون لاخيه ويجوز ان يراد بالاثم عقوبته وارادة
عقوبة العاصى جائزة فطوعت له نفسه قتل اخيه فسهلته
له ووسعته من طاع له المرتع اذا اتسع وقرئ فطاوعت ه
على انه فاعل بمعنى فعل او على ان قتل اخيه كانه دعاه الى الاقدام
عليه فطاوعته وله لزيادة الربط كقولك حفظت لزيد ماله
فقتله فاصبح من الخاسرين دينا ودنيا اذ بقى مدة عمره مطرود
محزونا قيل قتل هابل بن عشرين سنة عند عقبة حراء وقيل
بالبصرة فى موضع المسجد الاعظم فبعث الله غرابا يبحث فى
الارض ليريه كيف يوارى سوءة اخيه روى انه لما قتله
تحير فى امره ولم يدر ما يصنع به اذ كان اول ميت من بنى
ادم فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل احدهما الآخر فحفر له
بمنقاره ورجليه ثم القاه فى الحفرة والضمير فى يرى لله
او للغراب وكيف حال من الضمير فى يوارى والجملة ثانى
مفعولى يرى والمراد بسوءة اخيه جسده الميت فانه مما
يستقبح ان يرى قال ياويلتى كلمة جزع وتحسر والالف
فيها من ابدال ياء المتكلم والمعنى ياويلتى احضرى فهذا
اوانك والويل والعويلة الهلكة اعجزت ان اكون مثل هذا
الغراب فاوارى سوءة اخى لاهتدى الى ما اهتدى اليه و
قوله فاوارى عطف على ان اكون وليس جواب الاستفهام
اذ ليس المعنى لو عجزت لو ريت وقرئ بالسكون على فانا

اوارى او على تسكين المنصوب تخفيفا فاصبح من النادمين
على قتله لما كابد فيه من التحير فى امره وحمله على رقبته سنة
او اكثر على ما قيل وتلمذة للغراب وتبرى ابويه منه واسوداد
لونه اذ روى انه حين قتله اسود جسده فسئاله آدم
عن اخيه فقال ما كنت عليه وكيلا فقال بل قتلته ولذلك
اسود جسدك وتبرأ عنه ومكث بعد ذلك مائة سنة
لا يضحك وعدم الظفر بما فعله من اجله من اجل ذلك
كتبنا على بنى اسرائيل بسببه قضينا عليهم واجل فى الا
صل مصدر اجل شرا اذا جناه واستعمل فى تعليل الجنايات
كقولهم من جرائك فعلته اى من ان جررته اى جنيته
ثم اتسع فيه فاستعمل فى كل تعليل ومن ابتدائية متعلقة
بكتبنا اى ابتداء الكتب ونشاءه من اجل ذلك انه من قتل
نفسا بغير نفس بغير قتل يوجب القصاص او فساد فى
الارض اى بغير فساد فيها كالشرك وقطع الطريق فكانما
قتل الناس جميعا من حيث انه هتك حرمة الدماء وسن القتل
وجزاء الناس عليه او من حيث ان قتل الواحد والجميع سواء
فى استجلاب غضب الله والعذاب العظيم ومن احياها
فكانما احى الناس جميعا اى ومن تسبب لبقاء حياتها بعفو
او منع عن القتل او استنقاذ من بعض اسباب الهلكة فكانما
فعل بالناس ذلك جميعا والمقصود منه تعظيم قتل النفس
واحيائها فى القلوب ترهيبا عن التعرض لها وترغيبا فى
المحاماة عليها ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم ان كثيرا
منهم بعد ذلك فى الارض لمسرفون اى ما كتبنا عليهم هذا
التشديد العظيم من اجل امثال تلك الجناية وارسلنا اليهم
الرسل بالآيات الواضحة تاكيدا للامر وتجديدا للعهد

يتحاموا عنها كثير منهم يسرفون في الارض بالقتل والايبا
لون به وبهذا اتصلت القصة بما قبلها والاسراف التبا
عد عن حد الاعتدال في الامر انما جزاء الذين يحار
بون الله ورسوله اى يحاربون اولياءهما وهم هم
المؤمنون جعل محاربتهم محاربتهما تعظيما واصل
الحرب السلب والمراد به ههنا قطع الطريق وقيل هم
المكابرة بالصعوبة وان كانت في مصر ويسعون في
الارض فسادا اى مفسدين ويجوز نصبه على العلة
او المصدر لان سعيهم كان فسادا وكانه قيل ويفسد
ون في الارض فسادا ان يقتلوا اى قصاصا من غير صلب
ان افردوا القتل او يصلبوا اى يصلبوا مع القتل ان
قتلوا واخذوا المال والفقهاء خلاف في انه يقتل وهم
يصلب او يصلب حيا ويترك او يطعن حتى يموت
او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف تقطع ايديهم
اليمنى وارجلهم اليسرى ان اخذوا المال ولم يقتلوا او هم
ينفوا من الارض ينفوا من بلد بحيث لا يتمكنون من
القرار في موضع ان اقتصروا على الاخافة وقيل ابو حنيفة
النفي بالحبس واوفى الآية على هذا التفصيل وقيل انه
للتخيير والامام مخير بين هذه العقوبات في كل قاطع
طريق ذلك لهم خزي في الدنيا ذل وفضيحة ولهم في
الآخرة عذاب عظيم لعظم ذنوبهم الا الذين تابوا من
قبل ان تقدروا عليهم استثناء مخصوص بما هو حق الله
ويدل عليه قوله فاعلموا ان الله غفور رحيم اما القتل
قصاصا فالى الاولياء يسقط بالتوبة وجوبه لاجواز
وتقييد التوبة بالتقدم على القدرة يدل على انها بعد القدرة

لا يسقط الحد وان اسقطت العذاب وان الآية في قطاع
المسلمين لان توبة المشرك تدرء عنه العقوبة قبل القد
رة وبعدها يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة
سيلة اى ما تتقربون به الى ثوابه والزلفى منه من فعل
الطاعات وترك المعاصي من وسل الى كذا اذا تقرب اليه
وفي الحديث الوسيلة منزلة في الجنة وجاهدوا في سبيله
بمحاربة اعدائه الظاهرة والباطنة لعلكم تفلحون بالوصو
ل الى الله والفوز بكرامته ان الذين كفروا لو ان لهم ما في
الارض من صنوف الاموال جميعا ومثله معه ليفتدوا به
ليجعلوه فدية لانفسهم من عذاب يوم القيمة والاثم
متعلقة بمحذوف يستدعيه لو اذ التقدير لو ثبت ان
لهم ما في الارض وتوحيد الضمير في به والمذكور انه هم
شيئان امالاجرائه مجرى اسم الاشارة في قوله تعالى ان
بين ذلك او لان العاطف في ومثله معه بمعنى مع ما تقبل منهم
منهم جواب لو ولو بما في حيزه خبر ان والجملة تمثيل للزوم
العذاب لهم وانه لا سبيل الى الخلاص منه ولهم عذاب
اليم تصريح بالمقصود منه وكذلك قوله يريدون ان يخرجوا
يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم
وقرئ يخرجوا من اخرج وانما قال وما هم بخارجين بدل
وما يخرجون للمبالغة والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما
ايديهما جملتان عند سيبويه اذ التقدير فيما يتلى عليكم
السارق والسارقة اى حكمهما وجملة عند المبرد والفاء
للسببية دخل الخبر لتضمنهما معنى الشرط اذ المعنى والذي
سرق والتي سرقت وقرئ بالنصب وهو المختار في
مثاله لان الانشاء لا يقع خبرا الا باضمار وتأويل والسر
قة

اخذ مال الغير فى خفية وانما توجب القطع اذا كانت محرزا
والماخوذ ربع دينار او مايساويه لقوله ﷺ القطع فى
ربع دينار فصاعدا وللعلماء خلاف فى ذلك للاحاديث و
ردت فيه واستقصيت الكلام فيه فى شرح المصابيح والمراد
بالايدى الايمان وتؤيده قراءة ابن مسعود ايمانهما ولذلك
ساغ وضع الجمع موضع المثنى كما فى قوله فقد صغت قلوبكما
اكتفاء بتثنية المضاف اليه واليد اسم تمام العضو ولذلك
ذهب الخوارج الى ان المقطوع هو المنكب والجمهور على انه
الرسغ لانه ﷺ اتى بسارق فامر بقطع يمينه منه جزاء
بما كسبا نكالا من الله منصوبان على المفعول له او المصدر
ودل على فعلهما فاقطعوا والله عزيز حكيم فمن تاب من
السراق بعد ظلمه اى سرقته واصلح امره بالتفصى عن
التبعات والعزم على ان لايعود اليها فان الله يتوب
عليه ان الله غفور رحيم يقبل توبته فلا يعذبه فى الآخرة انما
القطع فلا يسقط بها عند الاكثرون لانه فيه حق المسروق
منه الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض الخطاب ﷺ
للنبى ﷺ او لكل احد يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء والله
على كل شئ قدير قدم التعذيب على المغفرة اتيا على ترتيب ما
سبق او لان استحقاق التعذيب مقدم او لان المراد به
القطع وهو فى الدنيا يا ايها الرسول لايحزنك الذين يسارعون
فى الكفر اى صنع الذين يقعون فى الكفر سريعا اى
فى اظهاره اذا وجدوا منه فرصة من الذين قالوا آمنا بافواههم
ولم تؤمن قلوبهم اى من المنافقين والباء متعلقة
بقالوا لا بآمنا والواو يحتمل الحال والعطف ومن الذين ﷺ
هادوا عطف على من الذين قالوا سماعون للكذب خبر

محذوف اى وهم سماعون والضمير للفريقين او للذين ﷺ
يسارعون ويجوز ان يكون مبتدا ومن الذين خبره اى
ومن اليهود قوم سماعون واللام فى للكذب اما مزيدة
للتاكيد او لتضمين السماع معنى القبول اى قابلون لما
يفتريه الاحبار او للعلة والمفعول محذوف اى سماعون
كلامك ليكذبوا عليك فيها سماعون لقوم آخرين لم ياتوك
اى لجمع آخر من اليهود لم يحضروا مجلسك وتجافوا عنك
تكبرا او افراطا فى البغضاء والمعنى على الوجهين اى مصغون
لهم قابلون كلامهم او سماعون منك لاجلهم وللانهاء هم
اليهم ويجوز ان يتعلق اللام بالكذب لان سماعون الثانى
مكرر للتاكيد اى سماعون ليكذبوا لقوم آخرين يحرفون
الكلم من بعد مواضعه اى يميلونه عن مواضعه التى وضعه
الله فيها اما لفظا باهماله او تغييره وصفه واما معنى بحمله
على غير المراد واجرائه فى غير مورده والجملة صفة اخرى
لقوم او صفة لسماعون او حال من الضمير فيه او استيناف
لا موضع الرفع خبر لمحذوف اى هم يحرفون وكذلك يقولون
ان اوتيتم هذا فخذوه اى ان اوتيتم هذا المحرف فاقبلوه و
اعملوا به وان لم تؤتوه بل افتاكم محمد بخلافه فاحذروا واقبلوا
ما افتاكم به روى ان شريفا من خيبر زنى بامراة شريفة
كانا محصنين فكرهوا رجمهما فارسلوهما مع رهط منهم
الى بنى قريظة ليسئلوا رسول الله ﷺ عنه وقالوا ان
امركم بالجلد والتحميم فاقبلوا وان امركم بالرجم فلا
فامرهم بالرجم فابوا عنه فجعل ابن صوريا حكما بينه
وبينهم وقال له انشدك الله الذى لا اله الا هو الذى
فلق البحر لموسى ورفع فوقهم الطور وانجاهم واغرق

ن

آل فرعون والذى انزل عليكم كتابه وحلاله وحرامه ه
هل تجد فيه الرجم على من احصن قال نعم فوثبوا عليه ه
فقال خفت ان كذبته ان ينزل علينا العذاب فامر رسول
الله ﷺ بالزانيين فرجما عند باب المسجد ومن يرد الله
فتنته ضلاله وفضيحته فلن تملك له من الله شيئا فلن
تستطيع له من الله شيئا فى دفعها اولئك الذين لم يرد الله
ان يطهر قلوبهم من الكفر وهو كما ترى نص على ه
فساد قول المعتزلة لهم فى الدنيا خزى هو ان بالجزية
والخوف عن المؤمنين ولهم فى الاخرة عذاب عظيم
وهو الخلود فى النار والضمير للذين هادوا ان ه
استانفت بقوله ومن الذين والآ فالفريقين سماعون
للكذب كرره للتاكيد اكالون للسحت الى الحرام كما
لرشوة من سحته اذا استاصله لانه سحوت البركة
وقرأ ابن كثير بضمتين وهما لغتان كالعنق وقرئ ه
بفتح السين على لفظ المصدر فان جاوك فاحكم بينهم ه
او اعرض عنهم تخيير لرسول الله ﷺ اذا تحاكموا اليه
بين الحكم والاعراض ولهذا قيل لو تحاكم كتابيان الى الفا
ضى لم يجب عليه الحكم وهو قول الشافعى والاصح ه
وجوبه اذا كان المترافعان او احدهما ذميا لانا التزمنا
الذب عنهم ودفع الظلم منهم والآية ليست فى اهل الذمة
وعند ابى حنيفة يجب مطلقا وان تعرض عنهم فلن ه
يضروك شيئا فان يعادوك لاعراضك عنهم فان الله ه
يعصمك من الناس ان الله يحب المقسطين فيحفظهم
ويعظم شانهم وكيف يحكمونك وعندهم التوراة ه
فيها حكم الله تعجب من تحكيمهم من لا يؤمنون به والحال

ان الحكم منصوص عليه فى الكتاب الذى عندهم وتنبيه
على انهم ما قصدوا بالتحكيم معرفة الحق واقامة الشرع
وانما طلبوا به ما يكون الهوى عليهم وان لم يكن ه
حكم الله فى زعمهم وفيها حكم الله حال من التوراة ه
ان رفعتها بالظرف وان جعلتها مبتداء فمن ضميرها
المستكن فيه وتانيثها لكونها نظيرة المؤنث فى كلامهم
لفظا كموعاة ودوداة ثم يتولون من بعد ذلك ه
ثم يعرضون عن حكمك الموافق لكتابهم بعد التحكيم
وهو عطف على يحكمونك داخل فى حكم التعجب وما
اولئك بالمؤمنين بكتابهم لاعراضهم عنه او لانهم
يوافقه ثانيا او بك وبه انا انزلنا التوراة فيها
هدى يهدى الى الحق ونور يكشف ما استبهم من ه
الاحكام يحكم بها النبيون يعنى انبياء بنى اسرائيل او
موسى ومن بعده ان قلنا شرع من قبلنا شرع لنا ما لم ينسخ
وبهذه الآية تمسك القائل به الذين اسلموا صفة اجريت
على النبيين مدحا لهم وتنويها بشان المسلمين وتعريضا
باليهود وانهم بمعزل عن دين الانبياء واقتفاء هديهم ه
للذين هادوا متعلق بانزل او بيحكم اى يحكمون بها فى تحا
كمهم خبار وهو يدل على ان النبيون انبياءهم والربانيون والا
زهادهم وعلماءهم السالكون طريقة انبيائهم عطف
على النبيون بما استحفظوا من كتاب الله بسبب امر الله
اياهم بان يحفظوا كتابه من التضييع والتحريف والراجع
الى ما محذوف ومن للتبيين وكانوا عليه شهداء رقباء
لا يتركون ان يغيروا او شهداء يشبون ما يخفى منه
كما فعل ابن صوريا فلا تخشوا الناس واخشون

نهى للحكام ان يخشوا غير الله ﷻ في حكوماتهم ويداهنوا
فيها خشية ظالم او مراقبة كبير ولا تشتروا بآياتي
ولا تستبدلوا باحكامي التي انزلتها ثمنا قليلا فهو الرشوة والجاه ومن لم يحكم بما انزل الله مستهينا به منكرا
له فاولئك هم الكافرون لاستهانتهم به وتمردهم بان
حكموا بغيره ولذلك وصفهم بقوله الظالمون والفاسقون فكفرهم لانكارهم وظلمهم بالحكم على خلافه و
فسقهم بالخروج عنه ويجوز ان يكون كل واحدة من
الصفات الثلاث باعتبار حال انضمت الى الامتناع عن
الحكم به ملائمة لها او لطائفة كما قيل هذه في المسلمين
لائتصالها بخطابهم والظالمون في اليهود والفاسقون
في النصارى وكتبنا عليهم فرضنا على اليهود فيها في التوراة
ان النفس بالنفس اى ان النفس تقتل بالنفس والعين
بالعين والانف بالانف والاذن بالاذن والسن بالسن
رفعها الكسائي على جعل معطوفة على ان وما في حيزها
باعتبار المعنى وكانه قال وكتبنا عليهم النفس بالنفس
والعين بالعين فان الكتب والقراءة يقعان على الجمل كما
لقول او مستانفة ومعناها وكذلك العين مفقوءة بالعين
والانف مجدوعة بالانف والاذن مصلومة بالاذن والسن
مقلوعة بالسن او على ان المرفوع منها معطوف على المستكن
في قوله بالنفس وانما ساغ لانه في الاصل مفصول عنه بالظرف والجار والمجرور حال مبينة للمعنى والجروح قصاص
اى ذات قصاص وقراءة الكسائي ايضا بالرفع على انه اجمال
للحكم بعد التفصيل فمن تصدق من المستحقين به بالقصاص
اى فمن عفا عنه فهو فالتصدق كفارة له للمتصدق بكفارة

به ذنوبه وقيل للجاني يسقط عنه ما لزمه وقرئ فهو له
كفارة له اى فالمتصدق كفارته التي يستحقها بالتصدق
له لا ينقص منها شيء ومن لم يحكم بما انزل الله من القصاص
وغيره فاولئك هم الظالمون وقفينا على آثارهم اى
واتبعناهم على اثارهم فحذف المفعول لدلالة الجار و
المجرور عليه والضمير للنبيين بعيسى بن مريم مفعول
ثان عدى اليه الفعل بالباء مصدقا لما بين يديه من
التورية وآتيناه الانجيل وقرئ بفتح الهمزة فيه هدى
ونور في موضع النصب بالحال ومصدقا لما بين يديه
من التورية عطف عليه وكذا قوله وهدى وموعظة
للمتقين ويجوز نصبهما على المفعول لهما عطفا على محذوف
تعليقا به وعطف وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه
عليه في قراءة حمزة وعلى الاول اللام متعلقة بمحذوف
اى واتيناه ليحكم وقرئ وان ليحكم على ان ان موصولة بالامر كقوله امرتك بان قم اى وامرنا بان ليحكم ومن لم يحكم بما
انزل الله فاولئك هم الفاسقون عن حكمه او عن الايمان
ان كان مستهينا به والآية تدل على ان الانجيل مشتمل على الاحكام
وان اليهودية منسوخة ببعثة عيسى عم وانه كان مستقلا
بالشرع وحملها على وليحكموا بما انزل الله فيه من ايجاب
العمل باحكام التوراة خلاف الظاهر وانزلنا اليك الكتاب
بالحق اى القرآن مصدقا لما بين يديه من الكتاب من جنس
الكتب المنزلة فاللام الاولى للعهد والثانية للجنس و
مهيمنا عليه ورقيبا على سائر الكتب يحفظه عن التغيير و
يشهد لها بالصحة والثبات وقرئ على بنية المفعول اى
هو من عليه وحفظ من التحريف والحافظ له هو الله ﷻ

ص

ف او

والحفاظ فى كل عصر فاحكم بينهم بما انزل الله اى بما
انزل اليك ولا تتبع اهواءهم عما جاءك من الحق بالا
تحراف عنه الى ما يشتهونه فمن صلة لاتبع لتضمينه معنى
الانحراف اوحال من فاعله اى لاتتبع اهواءهم مائلا عما
جاءك لكل جعلنا منكم ايها الناس شرعة شريعة وهى
الطريقة الى الماء شبه بها الدين لانه طريق الى ما هو سبب
الحيوة الابدية وقرئ بفتح الشين ومنهاجا وطريقا
ضحاى الدين من نهج الامر اذا وضح والسدل به على
انا غير متعبدين بالشرائع المتقدمة ولو شاء الله
لجعلكم امة واحدة جماعة متفقة على دين واحد فى
جميع الاعصار من غير نسخ وتحويل ومفعول لو شاء
محذوف دل عليه الجواب وقيل المعنى لو شاء الله اجتماعكم
على الاسلام لاجبيكم عليه ولكن ليبلوكم فيما اتيكم من
الشرائع المختلفة المناسبة لكل عصر وقرن هل تعملون بها
مذعنين لها معتقدين ان اختلافها بمقتضى الحكمة الالهية
ام تزيغون عن الحق وتفطعون فى العمل فاستبقوا الخيرات
فابتدروها انتهازا للفرصة وحيازة لفضل السبق والتقدم
الى الله مرجعكم جميعا اى بيانا فيه تعليل الامر بالاستباق
ووعد ووعيد للمبادرين والمقصرين فينبئكم بما كنتم فيه
تختلفون بالجزاء الفاصل بين المحق والمبطل والعامل و
المقصر وان احكم بينهم بما انزل الله عطف على الكتاب
اى انزلنا اليك الكتاب والحكم او على الحق اى انزلناه بالحق
وبان احكم ويجوز ان يكون جملة بتقدير وامرنا ان احكم
ولا تتبع اهواءهم واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما
انزل الله اليك اى ان يضلوك ويصرفوك عنه وان

بصلته بدل من هم بدل الاشتمال اى واحذر فتنتهم او هم
مفعول له اى احذرهم مخافة ان يفتنوك روى ان
احبار اليهود قالوا اذهبوا بنا الى محمد لعلنا نفتنه عن
دينه فقالوا يا محمد عرفت انا احبار اليهود وانا ان
اتبعناك اتبعنا اليهود كلهم وان بيننا وبين قومنا
خصومة فنتحاكم اليك فتقضى لنا عليهم ونحن نؤ من
بك ونصدقك فابى ذلك رسول الله ص فنزلت
فان تولوا عن الحكم المنزل وارادوا غيره فاعلم انما
يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم يعنى ذنب ه
التولى عن حكم الله فعبر بذلك تنبيها على ان لهم ه
ذنوبا كثيرة وهذا من عظيمته واحد منها معدود ه
من جملتها وفيه دلالة على التعظيم كما فى التنكير ونظيره
قول لبيد او يرتبط بعض النفوس حمامها وان كثيرا
من الناس لفاسقون لمتمردون فى الكفر المعتدون
فيه الحكم الجاهلية يبغون الذى هو الميل والمداهنة
فى الحكم والمراد بالجاهلية التى هى متابعة الهوى وقيل
نزلت فى بنى قريظة والنضير طلبوا رسول الله ص
ان يحكم بما كان يحكم به اهل الجاهلية من التفاضل
بين القتلى وقرئ برفع الحكم على الله مبتدا ويبغون ه
خبره والراجع محذوف حذفه فى الصلة فى قوله اهذا
الذى بعث الله رسولا واستضعف ذلك فى غير الشعر
وقرئ افحكم الجاهلية اى يبغون حاكما كحاكم الجاهلية
يحكم بحسب تشهيهم وقراء ابن عامر تبغون بالتاء على
قل لهم افحكم الجاهلية تبغون ومن احسن من الله
حكما لقوم يوقنون اى عندهم واللام للبيان كما فى

قوله كه هيت لك اى هذا الاستفهام لقوم يوقنون
فانهم هم الذين يتدبرون الامور ويتحققون الاشياء
بانظارهم فيعلمون ان لا احسن حكما من الله يا ايها
الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء
فلا تعتمدوا عليهم ولا تعاشروهم معاشرة الاحباب
بعضهم اولياء بعض اما الى علة النهى اى فانهم
متفقون على خلافكم يوالى بعضهم بعضا لاتحادهم
فى الدين واجماعهم على مضادتهم ومن يتولهم منكم
فانه منهم اى ومن والاهم منكم فانه من جملتهم وهذا
للتشديد فى وجوب مجانبتهم كما قال عم لا تتنى الى نار
هما او لان الموالى لهم كانوا منافقين ان الله لا يهدى
القوم الظالمين اى الذين ظلموا انفسهم بموالات
الكفار او المؤمنين بموالات اعدائهم فترى الذين
فى قلوبهم مرض يعنى ابن ابى واضرابه يسارعون
فيهم اى فى موالاتهم ومعاونتهم يقولون نخشى ان
تصيبنا دائرة يعتذرون بانهم يخافون ان تصيبهم
دائرة من دوائر الزمان بان ينقلب الامر وتكون
الدولة للكفار روى ان عبادة ابن الصامت رضى
الله عنه قال لرسول الله ص ان لى موالى من
اليهود كثير اعددهم واتى ابراء الى الله ورسوله
من ولايتهم واوالى الله ورسوله فقال ابن ابى
انى رجل اخاف الدوائر لا ابراء من ولايه موالى
فعسى الله ان يأتى بالفتح لرسول الله ص على اعدائه
واظهار المسلمين او امر من عنده بقطع شئافة
اليهود من القتل والاجلاء او الامر باظهار

اسرار المنافقين وقتلهم فيصبحوا اى هؤلاء المنافقين
على ما اسروا فى انفسهم نادمين على ما استبطنوا من
الكفر والشك فى امر الرسول ص فضلا عما اظهروه
مما اشعر على نفاقهم ويقول الذين آمنوا بالرفع ه
قراءة عاصم وحمزة والكسائى على انه كلام مبتدا وه
يؤيده قراءة ابن كثير ونافع وابن عامر مرفوعا بغير
واو على انه جواب قائل يقول فماذا يقول المؤمنون ه
حينئذ وبالنصب قراءة ابو عمرو ويعقوب عطفا على ان
يأتى باعتبار المعنى فكانه قال فعسى ان يأتى الله بالفتح
ويقول الذين آمنوا او بجعله بدلا من اسم الله داخلا فى
اسم عسى مغنيا عن الخبر بما تضمنه من الحدث او على ه
الفتح بمعنى عسى الله ان يأتى بالفتح ويقول المؤمنين فان
الاتيان بما يوجبه كالاتيان به اهؤلاء الذين اقسموا بالله
جهد ايمانهم انهم لمعكم يقول المؤمنون بعضهم لبعض
تعجبا من حال المنافقين وتبجحا بما من الله عليهم من ه
الاخلاص او يقولون لليهود فان المنافقين حلفوا لهم
بالمعاضدة كما حكى الله عنهم وان قوتلتم لننصرنكم وجهد الا
يمان اغلظها وهو فى الاصل مصدر ونصبه على الحال على
تقدير واقسموا بالله يجتهدون جهد ايمانهم فحذف الفعل
واقيم المصدر مقامه ولذلك ساغ كونها معرفة او على ه
المصدر لانه بمعنى اقسموا حبطت اعمالهم فاصبحوا ه
خاسرين اما من جملة المقول او من قول الله شهادة
لهم بحبوط اعمالهم وفيه معنى التعجب كانه قيل ما احبط
اعمالهم وما اخسرهم يا ايها الذين آمنوا من يرتد منكم
عن دينه قراءه على الاصل نافع وابن عامر وهو كذلك

في الامام والباقون بالادغام وهذا من الكائنات التي اخبر
الله عنها قبل وقوعها وقد ارتد من العرب في اواخر
عهد رسول الله ﷺ ثلاث فرق بنو مدلج وكان رئيسهم
ذو الخمار الاسود العنسي تنبأ باليمن واستولى على بلاد
قتله فيروز الديلمي ليلة قبض رسول الله ﷺ من
غدها واخبر الرسول في تلك الليلة فسر المسلمين و
ان النبي في اواخر الربيع الاول وبنو حنيفة اصحاب
مسيلمة تنبأ وكتب الى رسول الله من مسيلمة رسول الله
الى محمد رسول الله اما بعد فان الارض نصفها لي ونصفها
لك فاجاب من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب اما بعد
فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين فحاربه ابو بكر بجند المسلمين وقتله وحشي
قاتل حمزة وبنو اسد قوم طليحة بن خويلد تنبأ فبعث
اليه رسول الله خالدا فهرب بعد القتال الى الشام ثم
أسلم وحسن اسلامه وفي عهد ابي بكر رضي الله عنه قوم سبع
قوم عيينة بن حصين وغطفان قوم قرة بن سلمة وبنو
سليم قوم الفجاءة بن عبد ياليل وبنو يربوع قوم مالك
بن نويرة وبعض تميم قوم سجاح بنت المنذر المتنبأة
زوجة مسيلمة وكندة قوم الاشعث بن قيس وبنو بكر
بن وائل في البحرين قوم الحطم بن زيد وكفى الله امرهم
على يده وفي امارة عمر رضي الله عنه غسان قوم
جبلة بن الايهم تنصر وسار الى الشام فسوف يأتي
الله بقوم يحبهم ويحبونه قيل هم اهل اليمن لما روي
انه ﷺ اشار الى ابي موسى وقال قوم هذا وقيل الفرس
لانه ﷺ سئل عنهم فضرب يده على عاتق سلمان فقال

هذا وذووه وقيل الذين جاهدوا يوم القادسية الفان
من النخع وخمسة الاف من كندة وبجيلة وثلثة الاف
من افناء الناس والراجع الى المحذوف تقديره فسوف
يأتي الله بقوم مكانهم ومحبة الله للعباد ارادة الهوى
والتوفيق لهم في الدنيا وحسن الثواب في الآخرة ومحبة
العباد له ارادة طاعته والتحرز عن معاصيه اذلة
على المؤمنين عاطفين عليهم متذللين لهم جمع ذليل
لا ذليل فان جمعه ذلل واستعماله مع على امّا لتضمين
معنى العطف والحنو او التنبيه على انهم مع علو طبقتهم
وفضلهم على المؤمنين حافظون لهم او للمقابلة اعزة
على الكافرين شداد متغلبين عليهم من عزه اذا غلبه
وقرئ بالنصب على الحال يجاهدون في سبيل الله صفة
اخرى لقوم او حال من الضمير في اعزة ولا يخافون
لومة لائم عطف على يجاهدون بمعنى انهم الجامعون
بين المجاهدة في سبيل الله والتصلب في دينه او حال
بمعنى انهم يجاهدون وحالهم خلاف حال المنافقين
فانهم يخرجون في جيش المسلمين خائفين ملامة اوليا
من اليهود فلا يعملون شيئا يلحقهم فيه لوم من جهتهم
واللومة المرة من اللوم وفيها وفي تنكير لائم مبالغتا
ذلك اشارة الى ما تقدم من الاوصاف فضل الله يؤتيه من
يشاء بمنحه ويوفق له والله واسع كثير الفضل عليم
بمن هو اهله انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا
لما نهى عن موالاة الكفرة ذكر عقيبه من هو حقيق بها
وانما قال وليكم ولم يقل اولياؤكم للتنبيه على ان
الولاية لله تعالى على الاصالة ولرسوله وللمؤمنين على

يأتيهم

ن

الشيع الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة صفة للذين
آمنوا فانه تجرى مجرى الاسم او بدل منه ويجوز نصبه و
رفعه على المدح وهم راكعون متخشعون فى صلاتهم
وزكوتهم وقيل حال مخصوصة بيؤتون اى يؤتون الزكوة
فى حال ركوعهم فى الصلوة حرصا على الاحسان ومسارعة
اليه وانها نزلت فى على كرم الله وجهه حين سئاله سائل
وهو راكع فى صلوته فطرح له خاتمه واستدل بها الشيعة
على امامته زاعمين ان المراد بالعلى المتعطف للامور و
المستحق للتصرف فيهم والظاهر ماذكرناه مع ان حمله
الجمع على الواحد ايضا خلاف الظاهر وان صح انه نزل
فيه فلعله جئ بلفظ الجمع ليرغب الناس فى مثل فعله
فيندرجوا فيه وعلى هذا يكون دليلا على ان الفعل القليل
فى الصلوة لايبطلها وان صدقة التطوع تسمى زكوة و
من يتول الله ورسوله والذين آمنوا ومن يتخذهم
اولياء فان حزب الله هم الغالبون اى فانهم الغالبون
ولكن وضع الظاهر موضع المضمر تنبيها على البرهان
عليه وكانه قيل ومن يتول هؤلاء فانهم حزب الله و
حزب الله هم الغالبون وتنويها بذكرهم وتعظيما
لشانهم وتشريفا لهم بهذا الاسم وتعريضا بمن يوالى غيرهم
هؤلاء بانه حزب الشيطان واصل الحزب القوم يجتمعون
لامر حزبهم يا ايها الذين آمنوا لاتتخذوا الذين اتخذوا
دينكم هزوا ولعبا من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم و
الكفار اولياء نزلت فى رفاعة بن زيد وسويد بن
الحارث اظهروا الاسلام ثم نافقوا وكان رجال من المسلمين
يوادونهما وقد رتب النهى عن موالاتهم على اتخاذ دينهم

هزوا ولعبا ايماء على العلة وتنبيها على ان من هذا شانه هو
بعيد من الموالات جدير بالمعاداة وفصل المستهزئين
باهل الكتاب والكفار على قراءة من جره وهم ابو عمرو و
الكسائى ويعقوب والكفار وان عم اهل الكتاب يطلق
على المشركين خاصة لتضاعف كفرهم ومن نصبه وعطفه
على الذين اتخذوا على ان النهى عن موالات من ليس على
الحق رأسا من كان ذا دين تبع فيه الهوى وحرفه عن الصواب
كاهل الكتاب ومن لم يكن كالمشركين واتقوا الله
بترك المناهى ان كنتم مؤمنين لان الايمان حقا يقتضى
ذلك وقيل ان كنتم مؤمنين بوعده ووعيده واذا ناديتم
الى الصلوة اتخذوها هزوا ولعبا اى اتخذوا الصلوة او
المناداة وفيه دليل على ان الاذان مشروع للصلوة روى ان
نصرانيا بالمدينة كان اذا سمع المؤذن يقول اشهد ان محمدا
رسول الله قال احرق الله الكاذب فدخل خادمه ذات
ليلة بنار واهله ينام فتطاير شرر فى البيت فاحرقه واهله
ذلك بانهم قوم لايعقلون فان السفه يؤدى الى الجهل با
لحق والمهزلة والعقل يمنع منه قل يا اهل الكتاب هل تنقمون
منا هل تنكرون منا وتعيبون يقال نقم منه كذا اذا انكره
وانتقم اذا كافاه وقرئ تنقمون بفتح القاف وهو لغة
الا ان آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل من قبل الايمان با
لكتب المنزلة وان اكثركم فاسقون عطف على ان امنا او
كان المستثنى لازم الامرين وهو المخالفة اى ماتنكرون
منا الا مخالفتكم حيث دخلنا الايمان وانتم خارجون منه
او كان الاصل واعتقاد ان اكثركم فاسقون فحذف المضاف
او على ما اى وما تنقمون منا الا الايمان بالله وبما انزل

وبان اكثركم اوعلى علة محذوفة والتقدير هل تنقمون
منا الا ان آمنا لقلة انصافكم وفسقكم او نصب باضمار
فعل دل عليه هل تنقمون اى ولا تنقمون ان اكثركم فاسقون
او رفع على الابتداء والخبر محذوف اى وفسقكم ثابت
معلوم عندكم ولكن حب الرياسة والمال يمنعكم عن الا
نصاف والآية خطاب ليهود سالوا رسول الله ﷺ عن من
يؤمن به فقال آمنا بالله وما انزل الينا الى قوله ونحن له
مسلمون فقالوا حين سمعوا ذكر عيسى لا نعلم دينا شرا من
دينكم قل هل انبئكم بشر من ذلك اى ذلك المذكور مثوبة
عند الله جزاء ثابتا عند الله والمثوبة مختصة بالخير كما
العقوبة بالشر فوضعت ههنا موضعها على طريقة قولهم تحية
بينهم ضرب وجيع ونصبها على التمييز عن بشر من لعنه الله
وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير بدل من شر
على حذف مضاف اى بشر من اهل ذلك من لعنه الله او بشر من
ذلك دين من لعنه الله او خبر محذوف اى هو من لعنهم
الله وابعدهم الله من رحمته وسخط عليهم بكفرهم والتمادى
كلهم فى المعاصى بعد وضوح الآيات ومسخ بعضهم قردة
وهم اصحاب السبت مسخت وبعضهم خنازير وهم كفار
اهل مائدة عيسى عليه السلام وقيل كلا المسخين فى اصحاب
السبت مسخت شبانهم قردة وشيوخهم خنازير وعبد
الطاغوت عطف على صلة من وكذا عبد الطاغوت على
البناء للمفعول ورفع الطاغوت وعبد بمعنى صار معبودا
فيكون الراجع محذوفا اى فيهم او بينهم ومن قرأ عابد
الطاغوت وعبد على انه نعت كفطن ويقظ وعبدة او
عبد على انه جمع كخدم او ان اصله عبدة محذوف التاء

للاضافة عطفه على القردة ومن قرأ وعبد الطاغوت بالجر
عطفه على من والمراد بالطاغوت العجل وقيل الكهنة وكل
من اطاعوه فى معصية الله ﷻ اولئك اى الملعونون شر
مكانا جعل مكانهم شرا ليكون ابلغ فى الدلالة على شرارتهم
وقيل مكانا منصرفا واضل عن سواء السبيل قصد الطريق
المتوسط بين غلو النصارى وقدح اليهود والمراد منه
صيغتى التفضيل الزيادة مطلقا لا بالاضافة الى المؤمنين فى
الشرارة والضلال واذا جاؤكم قالوا آمنا نزلت فى يهود
نافقوا رسول الله ﷺ او فى عامة المنافقين وقد دخلوا با
لكفر وهم قد خرجوا به اى يخرجون من عندك كما دخلوا لم
يؤثر فيهم ما سمعوا منك والجملتان حالان من فاعل قالوا و
بالكفر به حالان من فاعل دخلوا وخرجوا وقد وان دخلت
لتقريب الماضى من الحال ليصح ان يقع حالا فان ايضا لما فيها
من التوقع ان امارات النفاق كانت لائحة عليهم وكان الرسول
يطلعه ولذلك قال والله اعلم بما كانوا يكتمون اى من الكفر
وفيه وعيد لهم وترى كثيرا منهم اى من اليهود المنافقين
يسارعون فى الاثم اى الحرام وقيل الكذب لقوله عن قولهم
الاثم والعدوان الظلم ومجاوزة الحد فى المعاصى وقيل الاثم
ما يختص بهم والعدوان ما يتعدى الى غيرهم واكلهم السحت
الحرام خصه بالذكر للمبالغة لبئس ما كانوا يعملون
لبئس شيئا عملوه لولا ينهاهم الربانيون والاحبار عن
قولهم الاثم واكلهم السحت تخصيص لعلمائهم على التوبيخ
عن ذلك فان لولا اذا دخل الماضى افاد التوبيخ واذا دخل
المضارع افاد التخصيص لبئس ما كانوا يصنعون ابلغ
من قوله لبئس ما كانوا يعملون من حيث ان الصنع عمل الانسان

سول

بعد تدرب وترق وتحرى اجادة ولذلك ذمّ بهواهم
صومهم ولان ترك الحسبة اقبح من مواقعة المعصية لان
النفس يلتذ بها ويميل اليها ولا كذلك ترك الانكار عليها
فكان جديرا بابلغ الذم وقالت اليهود يد الله مغلولة
اى هو ممسك يقتر بالرزق وغل اليد وبسطها مجاز عن
البخل والجود ولا قصد فيه الى اثبات يد وغل وبسط ولذلك
يستعمل حيث لا يتصور ذلك كقولهم جاد لحيى بسط اليدين
بوابل شكوت نداه تلاعه ووهاده ونظيره من المجازات
المركبة شابت لمة الليل وقيل معناه انه فقير كقولهم لقد
سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء غلت
ايديهم ولعنوا بما قالوا دعاء عليهم بالبخل والنكد او بالـ
لفقر والمسكنة او بغل الايدى حقيقة يغلّون اسارى
فى الدنيا ومسحبين الى النار فى الاخرة فيكون المطابقة من
حيث اللفظ وملاحظة الاصل كقوله ستبنى سبّ الله دابره
بل يداه مبسوطتان ثنى اليد مبالغة فى الرد ونفى البخل عنه
واثباتا لغاية الجود فان غاية ما يبذله السخى من ماله ان يعطيه
بيديه وتثنيها على منح الدنيا والاخرة وعلى ما يعطى للاسنى
وما يعطى للاكرام ينفق كيف يشاء تأكيد لذلك اى هو مختار
فى انفاقه يوسع تارة ويضيق اخرى على حسب مشيته ومقتضى
حكمته لا على تعاقب سعة وضيق فى ذات يد ولا يجوز جعله
حالا من الهاء للفصل بينهما بالخبر ولانها مضاف اليها ولا
من اليدين اذ لا ضمير لها فيه ولا من ضميرهما لذلك والآية
نزلت فى نحاص ابن عازوراء قال لما كف الله عن اليهود
ما ميط عليهم من السعة بشوم تكذيبهم محمدا واشراكهم فيه
الآخرون لانهم رضوا بقوله وليزيدن كثيرا منهم ما انزل

اليك من ربك طغيانا وكفرا اى هم طاغون كافرون ويزدا
دون طغيانا وكفرا بما يسمعون من القران كما يزداد
المريض مرضا من تناول الغذ الصالح للاصحاء والقينا
بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيمة فلا تتوافق قلوبهم
ولا تتطابق اقوالهم كلما اوقدوا نار الحرب اطفاءها
الله كلما ارادوا حرب الرسول هم واثارة شر عليه ردّ
هم الله بان اوقع بينهم منازعة كفى بها عنه شرهم هـ
او كلما ارادوا حرب احد غلبوا فانهم لما خالفوا حكم
التورية سلط الله عليهم بخت نصر ثم افسدوا فسلط
الله عليهم فطرس الرومى ثم افسدوا فسلط الله هـ
عليهم المجوس ثم افسدوا فسلط الله عليهم المسلمين
والحرب صلة اوقدوا او صفة نارا ويسعون فى الارض
فسادا اى للفساد وهو اجتهادهم فى الكيد واثارة
الحرب والفتن وهتك المحارم والله لا يحب المفسدين
فلا يجازيهم الا شرا ولو ان اهل الكتاب آمنوا بمحمد هـ
وملجاء به واتقوا ما عددنا من معاصيهم ونحوه لكفرنا
عنهم سيئاتهم التى فعلوها ولم نؤاخذهم بها ولادخلناهم
جنات النعيم ولجعلناهم من الداخلين فيها وفيه هـ
تنبيه على عظم معاصيهم وكثرة ذنوبهم وان الاسلام
يجب ما قبله وان جل وان الكتابى لا يدخل الجنة ما لم يسلم
ولو انهم اقاموا التورية والانجيل باذاعة ما فيهما والقيام
باحكامهما وما انزل اليهم من ربهم يعنى سائر الكتب المنزلة
فانها من حيث انهم مكلفين بالايمان بها كالمنزل اليهم او
القران لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم لوسع عليهم
ارزاقهم بان يفيض عليهم بركات من السماء والارض او

يكثر ثمرات الاشجار وغلة الزروع او يرزقهم الجنان اليانعة
الثمار فيجنونها من رؤس الشجر ويلتقطون ما تساقط على
الارض بين ذلك ان ما كفى عنهم بسوء كفرهم ومعاصيهم
لا لقصور الفيض ولو انهم آمنوا واقاموا ما امروا به ه
لوسع عليهم وجعل لهم خير الدارين منهم امة مقتصدة
عادلة غير غالية ولا مقصرة وهم الذين آمنوا بمحمد ه
وقيل مقتصدة متوسطة في عداوته وكثير منهم ساء يعملون
اى بئس ما يعملونه وفيه معنى التعجب اى ما اسوء عملهم وهو
المعاندة وتحريف الحق والاعراض عنه والافراط في العداوة
يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك جميع ما انزل اليك
غير مراقب احدا ولا خائف مكروها وان لم تفعل اى وان
لم تبلغ جميعه كما امرتك فما بلغت رسالته فما اديت شيئا ه
منها لان كتمان بعضها يضيع ما ادى منها كترك بعض اركان
الصلوة فان غرض الدعوة ينتقض به اوفكانك ما بلغت ه
شيئا منها كقوله فكانما قتل الناس جميعا من حيث ان كتمان ه
البعض والكل سواء في الشناعة واستجلاب العقاب وقرأ
نافع رسالاته بالجمع والله يعصمك من الناس عدة وضمان ه
من الله بعصمة روحه من تعرض الاعادى وازاحة لمعاذيره
ان الله لا يهدى القوم الكافرين لا يمكنهم مما يريدون بك
وعنه نحوه بعثني الله لكي برسالته فضقت بها ذرعا فاوحى الله
الي ان لم تبلغ رسالاتي عذبتك وضمن لي العصمة فقويت
وعن انس رضي الله عنه كان رسول الله ه يحرس حتى ه
نزلت فاخرج رأسه من قبة آدم فقال انصرفوا ايها الناس
فقد عصمني الله من الناس وظاهر الآية يوجب تبليغ كل
ما انزل ولعل المراد تبليغ ما تعلق به مصالح العباد وقصد

بانزاله اطلاعهم عليه فان من الاسرار الالهية ما يحرم ه
افشاؤه قل يا اهل الكتاب لستم على شيء اى دين يعتد به و
يصح ان يسمى شيئا لانه باطل حتى تقيموا التورية والانجيل
وما انزل اليكم من ربكم ومن اقامتها الايمان بمحمد ه و
الاذعان لحكمه فان الكتب الالهية باسرها امرة بالايمان ه
بمن صدقه المعجزة ناطقة بوجوب الطاعة له والمراد اقامة
اصولها ومالم ينسخ من فروعها وليزيدن كثيرا منهم ما
انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا فلا تاس على القوم الكا
فلا تحزن عليهم لزيادة طغيانهم وكفرهم بما تبلغه اليهم
فان ضرر ذلك لاحق بهم لا يتخطاهم وفي المؤمنين ه
مندوحة لك عنهم ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون ه
والنصارى سبق تفسيره في سورة البقرة والصابئون ه
رفع على الابتدا وخبره محذوف والنية به التاخير عما في حيز
ان والتقدير ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى حكمهم
كذا والصابئون كذلك كقوله فاني وقيارها الغريب وقوله
والا فاعلموا انا وانتم بغاة ما بقينا في شقاق وهو كما ترى
دل به على انه لما كان الصابئون مع ظهور ضلالهم ومخالفتهم
عن الاديان كلها يتاب عليهم ان صح منهم الايمان والعمل
الصالح كان غيرهم اولى بذلك ويجوز ان يكون والنصارى
معطوفا عليه ومن خبرهما وخبر ان محذوف دل عليه ما ه
بعده كقوله نحن بما عندنا وانت بما عندك راض والرأى
مختلف ولا يجوز عطفه على محل ان وسمها فانه مشروط
بالفاء في الخبر اذ لو عطف عليه قبله كان الخبر خبر المبتدا
وخبر ان معا فيجتمع عليه عاملان ولا على الضمير في هادوا
لعدم التاكيد والفصل ولانه يوجب كون الصابئين هودا

فرين

يقون

وقيل ان بمعنى نعم وما بعدها فى موضع الرفع بالابتدا وقيل
الصابئون منصوب بالفتحة وذلك كما تجوز بالياء جوز
بالواو من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فى محل الرفع
بالابتدا وخبره فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والجملة
خبر ان او خبر المبتدا كما مر والراجع محذوف اى من هم
آمن منهم او النصب على البدل من اسم ان وما عطف عليه
وقرئ والصابئين وهو الظاهر والصابيون بقلب
الهمزة ياء والصابون بحذفها من صبا بابدال الهمزة الفا
او من صبوت لانهم صبوا الى اتباع الشهوات ولم يتبعوا
شرعا ولا عقلا لقد اخذنا ميثاق بنى اسرائيل وارسلنا
اليهم رسلا ليذكروهم وليبينوا لهم امر دينهم كلما جاءهم
رسول بما لا تهوى انفسهم بما يخالف هواهم من
الشرائع ومشاق التكاليف فريقا كذبوا وفريقا يقتلون
جواب الشرط والجملة صفة رسلا والراجع محذوف اى
رسول منهم وقيل الجواب محذوف دل عليه ذلك وهو
استيناف واتى بجميع بيقتلون موضع قتلوا على
حكاية الحال الماضية استحضارا لها واستفظاعا للقتل
وتنبيها على ان ذلك ديدنهم ماضيا ومستقبلا ومحافظتهم
على روسهم الاى وحسبوا ان لا تكون فتنة اى وقع
حسب بنو اسرائيل ان لا يصيبهم بلاء وعذاب بقتل
الانبياء وتكذيبهم وقرأ ابو عمرو والكسائى وحمزة
ويعقوب ان لا تكون بالرفع على ان ان هى المخففة
من الثقيلة واصله انه لا يكون وادخال فعل
الحسبان عليها وهى للتحقيق تنزيلا له منزلة العلم
لتمكنه فى قلوبهم وان او ان بما فى خبرها سادة مسد

مفعولى

سفعولية فعموا عن الدين او الدليل والهوى وصموا عن
استماع الحق كما فعلوا حين عبدوا العجل ثم تاب الله
عليهم اى ثم تابوا تاب الله عليهم ثم عموا وصموا
كرة اخرى وقرئ بالضم فيهما على ان الله عماهم وصمهم
اى رماهم بالعمى والصمم وهو قليل واللغة الفاشية هى
اعمى واصم كنبئ منهم بدل من الضميرين او فاعل والواو هى
علامة الجمع كقولهم اكلونى البراغيث او خبر مبتدا
محذوف اى العمى والصمم كثير منهم وقيل مبتدا والجملة
قبله خبره وهو ضعيف لان تقديم الخبر فى مثله ممتنع والله
بصير بما يعملون فيجازيهم وفق اعمالهم لقد كفر الذين
قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يا بنى اسرا
اعبدوا الله ربى وربكم اى انى عبد مربوب مثلكم فاعبدوا
خالقى وخالقكم انه من يشرك بالله فى عبادته او فيما يختص
به من الصفات والافعال فقد حرم الله عليه الجنة يمنع من
دخولها كما يمنع المحرم عليه من المحرم فانها دار الموحدين
ومأواه النار فانها المعدة للمشركين وما للظالمين من هم
انصار اى وبالهم احد ينصرهم من النار فوضع الظاهر هم
موضع المضمر تسجيلا على انهم ظلموا بالاشراك وعدلوا عن
طريق الحق وهو يحتمل ان يكون من تمام كلام عيسى هم وان
يكون من كلام الله هم تنبيها على انهم قالوا ذلك تعظيما هم
لعيسى هم وتقربا اليه وهو مما دبروا بهم بذلك ومحاصهم فما
ظنك بغيره لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلثة اى هم
احد ثلاثة وهو حكاية عما قال النسطورية والمكانية هم
منهم القائلون بالاقانيم الثلاثة وما سبق قول اليعقوبية
القائلين بالاتحاد وما من اله الا اله واحد وما فى الوجود

بئل

دات

ذات واجب مستحق للعبادة من حيث انه مبدء جميع ه
الموجودات الا اله واحد موصوف بالوحدانية منعال
عن الشرك ومن مزيدة للاستغراق وان لم ينتهوا عما
يقولون ولم يوحدوا ليمسن الذين كفروا منهم عذاب ه
اليم اى ليمسنن الذين بقوا منهم على الكفر او ليمسن ه
الذين كفروا من النصارى وضعه موضع ليمسنهم تكريرا
للشهادة على كفرهم وتنبيها على ان العذاب على من دام
على الكفر ولم ينقلع عنه ولذلك عقبه بقوله افلا يتوبون
الى الله ويستغفرونه اى الا يتوبون بالانتهاء عن تلك
العقائد والاقوال الزائغة ويستغفرون بالتوحيد وه
التنزيه عن الاتحاد والحلول بعد هذا التقرير والتهديد
والله غفور رحيم يغفر لهم ويمنحهم من فضله ان تابوا
في هذا الاستفهام تعجيب من اصرارهم ما المسيح ابن مريم الا
رسول قد خلت من قبله الرسل اى ما هو الا رسول كا
الرسل قبله خصه الله بآيات كما خصهم بها فان احياء ه
الموتى على يده فقد احيى العصا وجعلها حية تسعى على يد
موسى وهو اعجب وان خلقه من غير اب وام وهو اغرب
وامه صديقة كسائر النساء اللاتي يلازمن الصدق
او يصدقن الانبياء كانا يأكلان الطعام ويفتقران اليه ه
افتقار الحيوانات بين او لا اقصى ما لهما من الكمالات دل
على انه لا يوجب لهما الوهية لان كثيرا من الناس يشارك
هما في مثله ثم نبه على نقصهما وذكر ما ينافي الربوبية وه
يقتضي ان يكونا من عداد المركبات الكائنة الفاسدة ثم
عجب ممن يدعي الربوبية لهما مع امثال هذه الادلة الظا
هرة فقال انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر اني يؤ

فكون كيف يصرفون عن استماع الحق وتامله ونثم ه
لتفاوت ما بين العجبين اى ان بياننا للآيات عجب و
اعراضهم عنها اعجب قل اتعبدون من دون الله ما لا ه
يملك لكم ضرا ولا نفعا يعني عيسى وهو وان ملك ذلك
بتمليك الله اياه لا يملكه من ذاته ولا يملك مثل ما يضر الله
به من البلايا والمصائب وما ينفع به من الصحة والسعة
وانما قال ما نظرا الى ما هو عليه في ذاته توطئة لنفي القدرة
عنه رأسا وتنبيها على انه من هذا الجنس ومن كان له حقيقة
يقبل المجانسة والمشاركة فيمعزل عن الالوهية وانما قدم
الضر لان التحرز عنه اهم من تحري النفع والله هو السميع
العليم بالاقوال والعقائد فيجازي عليه ان خيرا فخير وان
شرا فشر قل يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق اى
غلوا باطلا فتفرطوا فيعلوا عيسى الى ان تدعوا له الالهية او تضعوه
فتدعوا انه لغير رشدة وقيل الخطاب للنصارى خاصة
ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل يعني اسلافهم وه
ايمتهم الذين ضلوا من قبل مبعث محمد ﷺ في شريعتهم وه
اضلوا كثيرا ممن تابعهم على بدعهم وضلالهم وضلوا عن
سواء السبيل عن قصد السبيل الذي هو الاسلام بعد ه
مبعثه ﷺ اكذبوه وبغوا عليه وقيل الاول اشارة الى ضلالهم
عن مقتضى العقل والثاني اشارة الى ضلالهم عما جاء به ه
الشرع لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود
وعيسى بن مريم اى لعنهم الله في الزبور والانجيل على ه
لسانهما وقيل اهل ايلة لما اعتدوا في السبت لعنهم داود
فمسخهم الله قردة واصحاب المائدة لما كفروا دعا عليهم
عيسى ع ولعنهم فاصبحوا خنازير وكانوا خمسة الاف

رجل ذلك بما عصوا و كانوا يعتدون اى ذلك اللعن الشنيع
المفضى الى المسخ بسبب عصيانهم و اعتدائهم ما حرم الله ه
عليهم كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه اى ينهى بعضهم بعضا
عن معاودة منكر فعلوه او عن مثل منكر فعلوه او عن منكر
ارادوا فعله و تيقنوا له او لا ينتهون عنه من قولهم تناهى
عن الامر و انتهى عنه اذا امتنع لبئس ما كانوا يفعلون ه
تعجب من سوء فعلهم مؤكد بالقسم ترى كثيرا منهم من ه
اهل الكتاب يتولون الذين كفروا يوالون المشركين
بغضا لرسول الله و المؤمنين لبئس ما قدمت لهم ه
انفسهم اى لبئس شيئا قدموه ليردوا عليه يوم القيمة
ان سخط الله عليهم و فى العذاب هم خالدون ه
المخصوص بالذم و المعنى موجب سخط الله و ه
الخلود فى العذاب او علة الذم و المخصوص محذوف
اى لبئس شيئا ذلك لان كسبهم السخط و الخلود ه
و لو كانوا يؤمنون بالله و النبى يعنى نبيهم و ان ه
كانت الاية فى المنافقين فالمراد نبينا و ما انزل اليه ه
ما اتخذوهم اولياء اذ الايمان يمنع ذلك و لكن كثيرا
كثيرا منهم فاسقون خارجون عن دينهم او متمردون
فى نقائهم لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا
اليهود و الذين اشركوا لشدة شكيمتهم و تضاعف
كفرهم و انهماكهم فى اتباع الهوى و ركونهم الى ه
التقليد و بعدهم عن التحقيق و تمردهم على تكذيب
الانبياء و معاداتهم و لتجدن اقربهم مودة للذين
آمنوا الذين قالوا انا نصارى لتدينهم جانبهم و علة ه
حرصهم على الدنيا و كثرة اهتمامهم بالعلم و العمل و

والبه الاشارة بقوله ذلك بان منهم قسيسين و رهبانا
و انهم لا يستكبرون عن قبول الحق اذا فهموه و ينقا
ضعون و لا يتكبرون كاليهود و فيه دليل على ان ه
التواضع و الاقبال على العلم و العمل و الاعراض عن
الشهوات محمودة و ان كان فى كافر و اذا سمعوا ما
انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع ه
عطف على لا يستكبرون و هو بيان لرقة قلوبهم و
شدة خشيتهم و مسارعتهم الى قبول الحق و عدم
تأبيهم عنه و الفيض انصباب عن امتلاء فوضع مو ضع
الامتلاء للمبالغة او جعلت اعينهم من فرط البكاء ه
كانها تفيض بانفسها مما عرفوا من الحق من الاولى
للابتداء و الثانية لتبيين ما عرفوا او للتبعيض فانه
بعض الحق و المعنى انهم عرفوا بعض الحق فابكاهم
فكيف اذا عرفوا كله يقولون ربنا آمنا بذلك او
بمحمد ع فاكتبنا مع الشاهدين من الذين شهدوا ه
بانه حق او بنبوته او من امته الذين هم شهداء على
الامم يوم القيمة و ما لنا لا نؤمن بالله و ما جاءنا من
الحق و نطمع ان يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين
استفهام انكار و استبعاد لانتفاء الايمان مع قيام الدا عى
و هو الطمع فى الانخراط مع الصالحين و الدخول مداخلهم
او جواب سائل قال لم آمنتم بالله و لا نؤمن حال من الضمير
و العامل ما فى اللام من معنى الفعل اى اى شئ حصل لنا غير
مؤمنين بالله اى بوحدانيته فانهم كانوا مثلثين او بكتابه
و رسوله فان الايمان بواحد منها ايمان به حقيقة و ذكر توطئة
و تتميما و نطمع عطف على نؤمن او خبر محذوف و الواو

للحال اى ونحن نطمع والعامل فيها عامل الاولى مقيدا بها
او نؤمن فاثابهم الله بما قالوا اى عن اعتقاد من قولك هذا
قول فلان اى معتقده جنات تجرى من تحتها الانهار ه
خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين الذين احسنوا النظر
والعمل او الذين اعتادوا الاحسان فى الامور والآيات الاربع
روى انها نزلت فى النجاشى واصحابه بعث اليه رسول الله
صلى الله عليه وسلم بكتابه فقراه ثم دعا جعفر بن ابى طالب
والمهاجرين معه واحضر الرهبان والقسيسين فامر جعفر
ان يقراء عليهم القران فقراء سورة مريم فبكوا وآمنوا با
لقران وقيل نزلت فى ثلاثين او سبعين رجلا من قومه وفدوا
على رسول الله ﷺ فقراء عليهم سورة يس فبكوا وآمنوا ه
والذين كفروا وكذبوا بايا تنا اولئك اصحاب الجحيم عطف
التكذيب بايات الله على الكفر وهو ضرب منه لان القصد
الى بيان حال المكذبين وذكرهم فى معرض المصدقين بها جمعا
بين الترغيب والترهيب يا ايها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات
ما احل الله لكم اى ماطاب وكذا منه كانه لما تضمن ماقبله
مدح النصارى على ترهبهم والحث على كسر النفس ورفض
الشهوات عقبه النهى عن الافراط فى ذلك والاعتداء عما ه
حد الله بجعل الحلال حراما فقال ولا تعتدوا ان الله لا يحب
المعتدين ويجوز ان يراد به ولا تعتدوا حدود ما احل الله
لكم الى ما حرم عليكم فتكون الآية ناهية عن تحريم ما احل وتحليل
ما حرم داعية الى القصد بينهما روى ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم وصف القيمة لاصحابه يوما وبالغ فى انذارهم ه
فرقوا له واجتمعوا فى بيت عثمان بن مظعون واتفقوا على
ان لا ينام احد منهم صائمين قائمين وان لا يناموا على الفرش والا با

كلوا

كلوا اللحم والودك ولا يقربوا النساء والطيب ويرفضوا
الدنيا ويلبسوا المسوح ويسيحوا فى الارض ويجبوا مذاكيرهم فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال لهم انى لم اومر ه
بذلك ان لانفسكم عليكم حقا فصوموا وافطروا وقوموا
وناموا فانى اقوم وانام واصوم وافطر واكل اللحم و
الدسم واتى النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى فنزلت
وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا اى وكلوا ما حل لكم وطاب مما رزقكم الله فيكون حلالا مفعول كلوا ومما حال
منه تقدمت عليه لانه نكرة ويجوز ان تكون من ابتدائية ه
متعلقة بكلوا ويجوز ان يكون مفعولا وحلالا حالا من المو
صول او العائد المحذوف او صفة لمصدر محذوف وعلى الو
جوه لو لم يقع الرزق على الحرام لم تكن لذكر الحلال فائدة
زائدة واتقوا الله الذى انتم به مؤمنون لا يؤاخذكم الله
باللغو فى ايمانكم هو ما يبدو من المرء بلا قصد كقول الرجل ه
لا والله وبلى والله واليه ذهب الشافعى وقيل الحلف على
ما يظن انه كذلك ولم يكن واليه ذهب ابو حنيفة وفى ايما
صلة يؤاخذكم او اللغو لانه مصدر او حال منه ولكن يؤا
خذكم بما عقدتم الايمان بما وثقتم الايمان عليه بالقصد والنية و
المعنى ولكن يؤاخذكم بما عقدتم اذا حنثتم او بنكث ما ه
عقدتم فحذف للعلم به وقراء حمزة والكسائى وابن عياش
عن عاصم عقدتم بالتخفيف وابن عامر عاقدتم وهو من
فاعل بمعنى فعل فكفارته فكفارة نكثه اى الفعلة التى ه
تذهب اثمه وتسترة واستدل بظاهره على جواز التكفير
بالمال قبل الحنث وهو عندنا خلافا للحنفية لقوله صلى الله
عليه وسلم من حلف عن يمين ورأى غيرها خيرا منها ه

نكم
خذكم

فليكفر عن يمينه وليأت بالذى خير اطعام عشرة مساكين هـ
من اوسط ما تطعمون اهليكم من اقصده فى النوع او القدر
وهو مد لكل مسكين عندنا ونصف صاع عند الحنفية ومحله
النصب لانه صفة مفعول محذوف تقديره ان تطعموا عشرة
مساكين طعاما من اوسط ما تطعمون او الرفع على البدل من
اطعام واهلون كارضون وقرئ اهاليكم بسكون الياء على
لغة من يسكنها فى الاحوال الثلاثة كالالف وهو جمع اهل كما
للتيالى فى جمع ليل والاراضى فى جمع ارض وقيل جمع اهلاة اوهـ
كسوتهم عطف على اطعام او على محل من اوسط ان جعل بدلا
وهى ثوب يغطى العورة وقيل ثوب جامع قميص او رداء
او ازار وقرئ بضم الكاف وهو لغة كقدرة فى قدوة او
كاسوتهم بمعنى او كمثل ما تطعمون اهليكم اسرافا او تقتيرا
تواسعون بينهم وبينهم ان لم تطعموهم الاوسط والكاف فى
محل الرفع وتقديره او اطعامهم كاسوتهم او تحرير رقبة
او اعتاق انسان وشرط الشافعى فيه الايمان قياسا على هـ
كفارة القتل ومعنى او ايجاب احدى الخصال الثلاث مطلقا هـ
وتخيير المكلف فى التعيين فمن لم يجد اى واحد منها فصيام
ثلاثة ايام فكفارته صيام ثلاثة ايام وشرط ابو حنيفة هـ
التتابع لانه قرئ ثلاثة ايام متتابعات والشواذ ليس هـ
بحجة عندنا اذ لم يثبت كتابا ولم يرو سنة ذلك اى المذكور
كفارة ايمانكم اذا حلفتم اذا حلفتم وحنثتم واحفظوا
ايمانكم بان تضنوا بها ولا تبذلوها لكل امر او بان تبروا هـ
فيها ما استطعتم ولم يفت بها خير او بان تكفروها اذا هـ
حنثتم كذلك اى مثل ذلك البيان يبين الله لكم آياته اعلام
شرائعه لعلكم تشكرون نعمة التعليم او نعمة الواجب هـ

شكرها فان مثل هذا التبيين يسهل لكم المخرج منه يا ايها الذين
آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب اى الاصنام التى نصبت هـ
للعبادة والا ان لام سبق تفسيره فى اوائل السورة رجس
قذر تعاف عنه العقول وافراده لانه خبر الخمر وخبر هـ
المعطوفات محذوف كانه قال انما تعاطى الخمر والميسر من عمل
الشيطان لانه مسبب من تسويله وتزيينه فاجتنبوه هـ
الضمير للرجس او لما ذكر او للتعاطى لعلكم تفلحون هـ
لكى تفلحوا بالاجتناب عنه واعلم انه لما اكد تحريم الخمر و
الميسر فى هذه الآية بان صدر الجملة بانما وقرنهما بالاصنا
والا ن لام وسماهما رجسا وجعلهما من عمل الشيطان هـ
تنبيها على ان الاشتغال بهما اشر بحث او غالب وامر با
لاجتناب عن عينهما وجعله سببا يرجى منه الفلاح ثم
فسر ذلك بان بين ما فيهما من المفاسد الدنيوية والد
المقتضية للتحريم فقال انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم
العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله
وعن الصلوة وانما خصهما باعادة الذكر وشرح ما فيهما
من الوبال تنبيها على انهما المقصود بالبيان وذكر الا
نصاب والا ن لام للدلالة على انهما مثلهما فى الحرمة وهـ
الشهادة لقوله صلى الله عليه وسلم شارب الخمر كعابد هـ
الوثن وخص الصلوة من الذكر بالافراد للتعظيم و
الاشعار بان الصاد عنها كالصاد عن الايمان من حيث
انه عماده والفارق بينه وبين الكفر ثم اعاد الحث هـ
على الانتهاء بصيغة الاستفهام مرتبا على ما تقدم من هـ
انواع الصوارف فقال فهل انتم منتهون ايذانا بان الا
مر فى المنع والتحذير بلغ الغاية وان الاعذار قد انقطعت

ينبه

واطيعوا الله واطيعوا الرسول فيما امر به واحذروا مانهيا
عنه او بخالفتهما فان تولّيتم فاعلموا انّما على رسولنا ه
البلاغ المبين اى فاعلموا انكم لن تضرّوا الرسول بتولّيتم
فانما عليه البلاغ وقد ادّى وانما ضرر تمر به انفسكم ليس
على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اذا ما ه
يحرّم عليهم كقوله اذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ه
اى اتقوا المحرّم واثبتوا على الايمان والاعمال الصالحة ثم ه
اتقوا ما حرّم عليهم بعد الخمر وآمنوا بتحريمه ثم اتقوا ثم
استمرّوا واثبتوا على اتقاء المعاصى واحسنوا وتحرّوا للاعمال
الجميلة واشتغلوا بها روى انه لما نزل تحريم الخمر قالت ه
الصحابة يا رسول الله باخواننا الذين ماتوا وهم يشربون
الخمر ويأكلون الميسر فنزلت ويحتمل ان يكون هذا التكرير
باعتبار الاوقات الثلاثة او باعتبار الحالات الثلاث للعمال
الانسان التقوى والايمان بينه وبين نفسه وبينه وبين ه
الناس وبينه وبين الله ولذلك بدل الايمان فى الكرّة الثا
لثة اشارة الى ما قال عليه الصلوة والسلام فى تفسيره او با
عتبار المراتب الثلاثة المبدء والوسط والمنتهى او باعتبار
ما يتقى فانه ينبغى ان يترك المحرّمات توقيا من العقاب وه
الشبهات تحفظا للنفس عن الوقوع فى الحرام وبعض
المباحات صونا لها عن الخسّة وتهذيبا لها عن دنس ه
الطبيعة والله يحبّ المحسنين فلا يؤاخذهم بشئ وفيه ان
من فعل ذلك صار محسنا ومن صار محسنا صار لله محبوبا
يا ايها الذين آمنوا ليبلونّكم الله بشئ من الصيد تناله ه
ايديكم ورماحكم نزلت عام الحديبية ابتلاهم الله بالصيد و
كانت الوحوش تغشاهم فى رحالهم بحيث يتمكنون من

من صيدها اخذا بايديهم وطعنا برماحهم وهم محرمون وه
التقليل والتحقير فى شئ للتنبيه على انه ليس من العظائم
التى تدحض الاقدام كالابتلاء ببذل الانفس والاموال ه
فمن لم يثبت عنده كيف يثبت عندما هو اشدّ منه ليعلم
الله من يخافه بالغيب ليتميّز الخائف من عقابه وهو غا ب
ئب منتظر لقوّة ايمانه ممّن لا يخافه لضعف قلبه وقلّة ايمانه
فذكر العلم واراد وقوع المعلوم فمن اعتدى بعد ذلك
بعد ذلك الابتلاء بالصيد فله عذاب اليم فالوعيد لاحق
به فانّ من لا يملك جاشه فى مثل ذلك ولا يراعى حكم الله
فيه فكيف فيما يكون النفس اميل اليه واحرص عليه يا ايها
الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وانتم حرم اى محرمون ه
جمع حرام كرداح وردح ولعله ذكر القتل دون الذبح و
الذكوة للتعميم واراد بالصيد ما يؤكل لحمه لانه الغالب فيه
عرفا ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم خمس يقتلن فى الحل
والحرم الحدأة والغراب والعقرب والفارة والكلب العقور
وفى رواية اخرى الحيّة بدل العقرب مع ما فيه من التنبيه على
جواز قتل كل مؤذ واختلف فى ان هذا النهى هل يلغى حكم ه
المذبوح فيلحق مذبوح المحرم بالميتة ومذبوح الوثنى
او لا فيكون كالشاة المغصوبة اذا ذبحها الغاصب ومن ه
قتله منكم متعمدا ذاكرا لاحرامه عالما بانه حرام عليه قبل ما
يقتله والاكثر على ان ذكره ليس لتقييد وجوب الجزاء فان
اتلاف العامد والمخطى واحد فى ايجاب الضمان بل لقوله
وما عاد فينتقم الله منه ولان الآية نزلت فيمن تعمد اذه
روى انه عن لهم فى عمرة الحديبية حمار وحش فطعنه ابو
اليسر بحربته فقتله فنزلت فى اخذ مثل ما قتل من النعم برفع

الجزاء والمثل قراءة الكوفيين ويعقوب بمعنى فعليه او فواجبه جزاء بما ثل ما قتل من النعم وعليه لا يتعلق ه الجار بجزاء للفصل بينهما بالصفة فان متعلق المصدر ه كالصلة له فلا يوصف مالم يتم بها وانما تكون صفته و قراءة الباقون على اضافة المصدر الى المفعول والمحام مثل كما في قولهم مثلي لا يقول كذا والمعنى فعليه ان يجزي ه مثل ما قتل وقرئ فجزاء مثل ما قتل بنصبهما على فليجز ه جزاءً او فعليه ان يجزي جزاء بما ثل ما قتل وجزاؤه ه مثل ما قتل وهذه المماثلة باعتبار القيمة والهيئة عند مالك والقيمة والقيمة عند ابي حنيفة وقال يقوم الصيد ه حين صيد فان بلغت ثمن هدي يخير بين ان يهدي ما قيمته قيمته وبين ان يشتري بها طعاما فيعطي كل ه مسكين نصف صاع من بر او صاعا من غيره وبين ان ه يصوم عن طعام كل مسكين يوما وان لم يبلغ تخير بين الاطعام والصوم واللفظ للاول وفق يحكم به ذوا عدل منكم صفة جزاء ويحتمل ان يكون حالا من الضمير في خبره او منه اذا اضفته او وصفته ورفعته بخبر مقدر لمن وكما ان التقديم يحتاج الى نظر واجتهاد يحتاج المماثلة في ه الخلقة والهيئة اليهما فان الانعام تتشابه بمكثين او قرئ ذو عدل على ارادة الجنس او الامام هديا حال من الهاء في به او من جزاء وان نون لتخصيصه بالصفة او بدل عن مثل باعتبار محله او لفظه فمن نصبه بالغ الكعبة وصف به هديا لان اضافته لفظية ومعنى بلوغه الكعبة ذبحه بالحرم والتصدق به ثم ه وقال ابو حنيفة يذبح بالحرم ويتصدق به حيث شاء او ه كفارة عطف على جزاء ان رفعته وان نصبته فخبر محذوف

طعام مساكين عطف بيان او بدل منه او خبر محذوف اي هي طعام وقراءة نافع وابن عامر كفارة طعام بالاضافة للتبيين كقولك خاتم فضة والمعنى عند الشافعي او ان ه يكفر باطعام مساكين ما يساوي قيمة الهدي من غالب قوت البلد فيعطي كل مسكين مدا او عدل ذلك صياما او با ساواه من الصوم فيصوم عن طعام كل مسكين يوما وهو في الاصل مصدر اطلق للمفعول وقرئ بكسر العين وهو ما عدل با لشيء في المقدار كعدل الحمل وذلك اشارة الى الطعام وصياما ه تمييز للعدل ليذوق وبال امره متعلق بالمحذوف اي فعليه الجزاء او الطعام او الصوم ليذوق ثقل فعله وسوء عاقبة ه هتكه لحرمة الاحرام او الثقل الشديد على مخالفة امر الله واصل الوبل الثقل ومنه الطعام الوبيل عفا الله عما سلف من قتل الصيد ما في الجاهلية او قبل التحريم او في هذه المرة ه ومن عاد الى مثل هذا فينتقم الله منه فهو ينتقم الله منه وليس فيه ما يمنع الكفارة على العائد كما حكي عن ابن عباس وشريح والله عزيز ذو انتقام ممن اصر على عصيانه ه احل لكم صيد البحر ما صيد منه مما لا يعيش الا في الماء و هو حلال كله لقوله صلى الله عليه وسلم في البحر هو الطهور ماؤه والحل ميتته وقال ابو حنيفة لا يحل منه الا السمك و قيل يحل السمك وما يؤكل نظيره في البر وطعامه ما فذ او نضب عنه وقيل الضمير للصيد وطعامه اكله متاعا لكم تمتيعا لكم نصب على الغرض وللسيارة اي ولسياراتكم ه يتزودونه قديدا وحرم عليكم صيد البر اي ما صيد فيها او الصيد فيها فعلى الاول المحرم ايضا ما صاده الحلال و ه الا لم يكن فيه مدخل والجمهور على حله لقوله دم الصيد

فه

حلال لكم مالم تصطادوه او يصد لكم مادمتم حرما اى ذا حرمين وقرئ بكسر الزاى مادام يدام واتقوا الله الذى اليه تحشرون جعل الله الكعبة صيرها وانما سمى البيت الكعبة لتكعبه قياما للناس انتعاشا لهم اى سبب انتعاشهم فى امر معاشهم ومعادهم يلوذ به الخائف ويأمن فيه الضعيف ويربح فيه التجار ويتوجه اليه الحجاج والعمار او مايقوم به امر دينهم ودنياهم وقراء ابن عامر قياما على انه مصدر على فعل كالشبع اعل عينه كما اعل فى فعله ونصبه على المصدر او الحال والشهر الحرام والهدى والقلائد سبق تفسيرها والمراد بالشهر الشهر الذى يؤدى فيه الحج وهو ذو الحجة لانه المناسب لقرنائه وقيل الجنس ذلك اشارة الى الجعل او الى ماذكر من الامر لحفظ حرمة الاحرام وغيره لتعلموا ان الله يعلم ما فى السموات وما فى الارض فان شرع الاحكام لدفع المضار قبل وقوعها وجلب المنافع المرتبة عليها دليل جلية الشارع وكمال علمه وان الله بكل شئ عليم تعميم بعد تخصيص ومبالغة بعد اطلاق اعلموا ان الله شديد العقاب وان الله غفور رحيم وعيد ووعد لمن هتك محارمه ولمن حافظ عليها او اصر عليه ولمن انقلع عنه ما على الرسول الا البلاغ تشديد فى ايجاب القيام بما امر اى الرسول ان بما امر به من التبليغ ولم يبق لكم عذرا فى التفريط والله يعلم ما تبدون وما تكتمون من تصديق وتكذيب وفعل وعزيمة قل لا يستوى الخبيث والطيب حكم عام فى نفى المساواة عند الله بين الردى من الاشخاص والاعمال والاموال وجيدها يرغب بنى ه صالح العمل وحلال المال ولو اعجبك كثرة الخبيث فان العبرة بالجودة والرداءة دون القلة والكثرة فان المحمود القليل

خير من المذموم الكثير والخطاب لكل معتبر ولذلك قال فاتقوا الله يا اولى الالباب اى فاتقوه فى تحرى الخبيث وان كثر وآثروا الطيب وان قل لعلكم تفلحون راجين ان تبلغوا الفلاح روى انها نزلت فى حجاج اليمامة لما هم المسلمون ان يوقعوا بهم فنهوا عنه وان كانوا هم مشركين يا ايها الذين آمنوا لا تسئلوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم وان تسئلوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم الشرطية وما عطف عليها صفتان لاشياء والمعنى لا تسئلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اشياء ان تظهر لكم وهما مقدمتين تنتجان ما يمنع السؤال وهو انه مما يغمهم والعاقل لا يفعل ما يغمه واشياء اسم جمع كطرفاء غير انه قلبت لامه فجعلت لفعاء هم وقيل افعلاء حذفت لامه جمع لشئ على ان اصله هم شيئاء كهين او شيء كصديق فخفف وقيل افعال هم جمع له من غير تغيير كبيت وابيات ويرده منع صرفه عفا الله عنها صفة اخرى اى عن اشياء عفا الله عنها ولم يكلف بها اذ روى انه لما نزل ولله على الناس حج البيت قال سراقة ابن مالك اكل عام فاعرض عنه رسول الله هم حتى اعاد ثلاثا فقال لا ولو قلت نعم لوجب ولو وجب لما استطعتم فاتركوني ما تركتكم فنزلت او استئناف اى عفا الله عما سلف من مسئلتكم فلا تعودوا الى مثلها والله غفور حليم لا يعاجلكم بعقوبة ما يفرط منكم ويعفو عن كثير وعن ابن عباس رضى الله عنه انه عليه الصلوة والسلام كان يخطب ذات يوم هم غضبان من كثرة ما يسئلون عنه مما لا يعنيهم فقال لا اسئل عن شئ الا اجبت فقال رجل اين ابى فقال فى النار وقال آخر من

ابى فقاحذاقة وكان يدّعى لغيره فنزلت قد سئلها قوم
الضمير للمسئلة التى دلّ عليها سئلوا ولذلك لم يعدّ لعن او
لاشياء بحذف الجار من قبلكم متعلق بسئلها وليس صفة
لقوم فانّ ظرف الزمان لايكون صفة للجثة ولا حالا
منها ولا خبرا عنها ثم اصبحوا بها كافرين اى بسببها حيث
لم تمروا بما سئلوا جحودا ملجعل الله من بحيرة ولا سائبة
ولا وصيلة ولا حام ردّ وانكار لما ابتدعه اهل الجاهلية
وهو انهم اذا نتجت الناقة خمسى ابطن اخرها ذكر بحروا
اذنها اى شقوها فلا تركب ولا تحلب وكان يقول الرجل
منهم ان شفيت فناقتى سائبة وبجعلها كالبحيرة فى تحريم
الانتفاع بها واذا ولدت الشاة انثى فهى لهم وان ولدت
ذكرا فلالهتهم وان ولدتهما وصلت الانثى اخاها فلا
يذبح لها الذكر واذا نتجت من صلب الفحل عشرة ابطن
حرموا ظهره ولم يمنعوا من ماء ولا مرعى وقالوا قد حمى
ظهره ومعنى ماجعل ماشرع ووضع ولذلك يعدّى الى مفعول
واحد وهو البحيرة ومن مزيدة ولكن الذين كفروا يفترون
على الله الكذب بتحريم ذلك ونسبته اليه واكثرهم لايعقلون
اى الحلال من الحرام والصحيح من المحرم او الامر ولكنهم يقلدون
كبارهم وفيه ان منهم من يعرف بطلان ذلك ولكن منعهم
حبّ الرياسة وتقليد الاباء ان يعترفوا به واذا قيل لهم
تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه
آباءنا بيان لقصور عقلهم وانهماكهم فى التقليد وان لا
سند لهم سواه اولو كان آباؤهم لايعلمون شيئا ولا يهتدون
الواو للحال والهمزة دخلت عليها لانكار الفعل على هذه الحال
اى احسبهم ما وجدوا عليه اباءهم ولو كانوا جهلة ضالين

والمعنى ان الاقتداء انما يصح بمن علم انه عالم مهتد وذلك
لايعرف الا بالحجة فلا يكفى التقليد يا ايها الذين آمنوا عليكم
انفسكم اى احفظوها والزموا صلاحها والجار مع المجرور
جعلا اسما واحدا الزموا ولذلك نصب انفسكم وقرئ
بالرفع على الابتدا لايضركم من ضل اذا اهتديتم لايضركم
الضلال اذا كنتم مهتدين ومن الاهتداء ان ينكر المنكر
حسب طاقته كما قال ع من رأى منكرا واستطاع ان يغيره
بيده فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه وان لم يستطع
فبقلبه والآية نزلت لما كان المؤمنون يستحسرون على
الكفرة ويتمنون ايمانهم وقيل كان الرجل اذا اسلم قالوا له
سفهت اباك فنزلت ولايضركم يحتمل الرفع على انه مستأ
ويؤيده ان قرئ لايضيركم والجزم على الجواب او النهى
لكنه ضمت الراء اتباعا لضمة الضاد المنقولة اليها من الراء
المدغمة وينصره قراءة من قرأ لايضركم بالفتح ولايضركم
بالكسر الضاد وضمها من ضاره يضيره ويضوره الى الله
مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون وعد ووعيد للفريقين
وتنبيه على ان احدا لايؤاخذ بذنب غيره يا ايها الذين
آمنوا شهادة بينكم اى فيما امرتم شهادة بينكم والمراد بها
الشهادة الاشهاد فى الوصية واضافتها الى الظرف على الاتساع
وقرئ شهادة بالنصب والتنوين على ليقم اذا حضر
احدكم الموت اذا شارفه وظهرت اماراته وهو ظرف
للشهادة حين الوصية بدل منه وفى ابداله تنبيه على ان الوصية
مما ينبغى ان لايتهاون فيها اوظرف فحضر اثنان فاعل شهادة
ويجوز ان يكون خبرها على حذف المضاف ذوا عدل منكم اى
من اقاربكم او من المسلمين وهما صفتان لاثنان او آخران

نف

ن

من غيركم عطف على اثنان ومن فسر الغير باهل الذمة جعله
منسوخا فان شهادتهم على المسلم لا تسمع اجماعا ان انتم ضربتم
في الارض اى سافرتم فيها فاصابتكم مصيبة الموت اى قاربتم
الاجل تحبسونهما تقفونهما وتصبرونهما صفة لاخران وهو
الشرط بجوابه المحذوف المدلول عليه بقوله او اخران من
غيركم اعتراض فائدة الدلالة على انه ينبغي ان يشهد اثنان
منكم فان تعذر كما في السفر فمن غيركم او استيفاء كانه قيل
كيف نعمل ان ارتبنا في الشاهدين فقال تحبسونهما من بعد
الصلوة صلوة العصر لانه وقت اجتماع الناس وتصادم
الملائكة الليل وملائكة النهار وقيل اى صلوة فيقسمان بالله
ان ارتبتم ان ارتاب الوارث منكم لا نشتري به ثمنا مقسم
عليه وان ارتبتم اعتراض يفيد اختصاص القسم بحال الارتياب
والمعنى لا نستبدل بالقسم او بالله عرضا من الدنيا اى لا نحلف
بالله كاذبين لطمع ولو كان ذا قربى ولو كان المقسم له قريبا
منا وجوابه ايضا محذوف اى لا نشتري ولا نكتم شهادة
الله اى الشهادة التي امرنا باقامتها وعن الشعبي انه وقف
على شهادة ثم ابتداء الله بالمد على حذف حرف القسم وتعويض
حرف الاستفهام منه وروى عنه بغير كقولهم الله لافعلن
انا اذا لمن الآثمين اى ان كتمنا وقرئ لملآثمين بحذف الهمزة
والقاء حركتها على اللام وادغام النون فيها فان عثر
فان اطلع على انهما استحقا اثما اى فعلا ما اوجب اثما
لتخريف فآخران فشاهدان آخران يقومان مقامهما
من الذين استحق عليهم من الذين جنى عليهم وهم
الورثة وقرأ حفص على البناء للفاعل وهو الاوليان
الاوليان الاحقان بالشهادة لقرابتهما ومعرفتهما و

هو خبر بحذوف اى هما الاوليان او خبر آخران او مبتدأ خبره
آخران او بدل عنهما او من الضمير في يقومان وقرأ حمزة
ويعقوب وابو بكر عن عاصم الاولين على انه صفة للذين او
بدل منه اى من الذين استحق عليهم وقرئ الاولين على
التثنية وانتصابه على المدح والاولان واعرابه اعراب الا
وليان فيقسمان بالله لشهادتنا احق من شهادتهما اصدق
منهما وما اولى بان تقبل وما اعتدينا وما تجاوزنا فيها الحق
انا اذا لمن الظالمين الواضعين الحق موضع الباطل او الظالمين
انفسهم ان اعتدينا ومعنى الآيتين ان المحتضر اذا اراد الوصية
ينبغي ان يشهد عدلين من ذوي نسبه او دينه على وصيته ويوصي
اليهما احتياطا فان لم يجدهما بان كان في سفر فاخران من غيرهم
ثم ان وقع نزاع وارتياب اقسما على صدق ما يقولان با
تغليظ في الوقت فان اطلع على انهما كذبا بامارة ومظنة هو
حلف آخران من اولياء الميت والحكم منسوخ ان كان الاثنان
شاهدان فانه لا يحلف الشاهد ولا يعارض يمينه بيمين الوار
ث
وثابت ان كانا وصيين ورد اليمين الى الورثة اما لظهور
خيانة الوصيين فان تصديق الوصي باليمين لامانته او هو
لتغليب الدعوى اذ روى ان تميما الداري وعدي ابن بزيد
خرجا الى الشام وكانا حينئذ نصرانيين ومعهما بديل مولى هو
عمرو ابن عاص وكان مسلما فلما قدموا الشام مرض بديل فدون
ما معه في صحيفة وطرحها في متاعه ولم يخبرهما به واوصى
اليهما بان يدفعا متاعه الى اهله ومات ففتشاه واخذا منه هو
اناء فيه ثلاثمائة مثقال منقوشا بالذهب ففيباه فاصاب
اهله الصحيفة فطالبوهما بالاناء فجحدا فترافعوا الى رسول
الله صلعم فنزلت يا ايها الذين امنوا الاية فحلفهما رسول الله صلعم

بعد صلوة العصر عند المنبر وخلى سبيلهما فتم وجد الاناء فى
ايديهما فاتاهم بنو سهم فى ذلك فقالا قد اشترينا منه ولكن
لم يكن لنا عليه بينة فكرهنا ان نقتنى به فرفعوهما الى رسول
الله ﷺ فنزلت فان عثر فقام عمرو بن عاص والمطلب بن
ابى وداعة السهميان وحلفا ولعل تخصيص العدد لخصوص
الواقعة ذلك اى الحكم الذى نفذ او تحليف الشاهد اذنى ان
يأتوا بالشهادة على وجهها على نحو ما تحملوها من غير تحريف
وخيانة فيها او يخافوا ان ترد ايمان بعد ايمانهم اى ترد
اليمين على المدعين بعد ايمانهم فيفتضحوا بظهور الخيانة
الكاذبة وانما جمع الضمير لان الحكم يعم الشهود كلهم واتقوا
الله واسمعوا ما توصون به سمع اجابة والله لا يهدى القوم
الفاسقين اى ان لم تتقوا او لم تسمعوا كنتم قوما فاسقين
والله لا يهدى القوم الفاسقين اى لا يهديهم الى الحجة او الى
طريق الجنة فقوله يوم يجمع الله الرسل ظرف له وقيل بدل
من مفعول فاتقوا بدل الاشتمال او مفعول واسمعوا على حذف
المضاف اى واسمعوا خبر يوم جمعه او منصوب باضمار اذكر ماذا
اجبتم اى اجابة اجبتم على ان ماذا فى موضع المصدر او باى شئ
اجبتم فحذف الجار وهذا السؤال لتوبيخ قومهم كما ان سؤال
الموؤدة لتوبيخ الوائد ولذلك قالوا لا علم لنا اى لا علم لنا بما
انت تعلمه انك انت علام الغيوب فتعلم ما نعلم مما اجابونا
واظهر والنا وما لهم نعلم مما اضمروا فى قلوبهم وفيه الشكلى
عنهم ورد الامر الى عالمه بما كابدوا منهم وقيل المعنى لا علم
لنا الى جنب علمك او لا علم لنا بما احدثوا بعدنا وانما الحكم
للخاتمة وقرئ وعلام بالنصب على ان الكلام قد تم بقوله
انك انت اى انك الموصوف بصفاتك المعروفة وعلام منصوب

على الاختصاص او الندب وقرأ ابو بكر وحمزة بكسر الغين حيث
وقع اذ قال الله يا عيسى بن مريم اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك
بدل من يوم يجمع وهو على طريقة نادى اصحاب الجنة والمعنى
انه يوبخ الكفرة يوم ينبئ بسؤال الرسل عن اجابتهم و
تعديد ما اظهر عليهم من الآيات فكذبتهم طائفة وسمعوهم
سحرة وغلا آخرون فاتخذوهم آلهة او نصب باضمار
اذكر اذ ايدتك اى قويتك وهو ظرف لنعمتى او حال منه
وقرئ ايدتك بروح القدس جبرائيل عليه السلام او با
لكلام الذى يحيى به الدين او النفس حيوة ابدية ويطهر
من الاثام وبؤيده قوله تكلم الناس فى المهد وكهلا اى
كائنا فى المهد وكهلا والمعنى تكلمهم فى الطفولية بحال الكهولة
فى كمال العقل والتكلم وبه استدل على انه سينزل فانه رفع قبل
ان الكهل واذ علمتك الكتاب والحكمة والتورية والانجيل
واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذنى فتنفخ فيها فتكون
طيرا باذنى وتبرئ الاكمه والابرص باذنى واذ تخرج
الموتى باذنى سبق تفسيره فى ال عمران وقرأ نافع طائرا
ويحتمل الافراد والجمع كالباقر واذ كففت بنى اسرائيل عنك
يعنى اليهود حين هموا بقتله اذ جئتهم بالبينات ظرف لكففت
فقال الذين كفروا منهم ان هذا الا سحر مبين اى ما هذا
الذى جئت به الا سحر وقراء حمزة الا ساحر فالاشارة
الى المجيء بهم واذ اوحيت الى الحواريين اى امرتهم على
السنة رسلى ان آمنوا بى وبرسولى يجوز ان تكون
مصدرية ومفسرة قالوا آمنا واشهد بانا مسلمون مخلصون
اذ قال الحواريون يا عيسى بن مريم منصوب باذكر ظرف
لقالوا فيكون تنبيها على ان ادعاءهم الاخلاص مع قولهم

تك

هم

هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء لم يكن بعد
عن تحقيق واستحكام معرفة وقيل هذه الاستطاعة على
ماتقتضيه الحكمة والارادة لاعلى ماتقتضيه القدرة وقيل
المعنى هل يستطيع ربك اى هل يجيبك واستطاع بمعنى اطاع
كاستجاب واجاب وقرأ الكسائى تستطيع ربك اى سؤال ربك
والمعنى هل تسئله ذلك من غير صارف والمائدة الخوان اذا
كان عليه الطعام من مادّ الماء يميد اذا تحرك او من ماذه
اذا اعطاه كانها تميد من قدم اليه ونظيرها قولهم شجرة
مطعمة قال اتقوا الله من امثال هذا السؤال ان كنتم مؤمنين
بكمال قدرته وصحة نبوتى اوصدقتم فى ادّعاء الايمان
قالوا نريد ان نأكل منها تمهيد عذر وبيان لما دعاهم الى هذا
السؤال وهو ان يتمتعوا بالاكل منها وتطمئن قلوبنا بانضمام
علم المشاهدة الى علم الاستدلال بكمال قدرته ونعلم ان قد
صدقتنا فى ادّعاء النبوة وان الله يجيب دعوتنا ونكون عليها
من الشاهدين اذا استشهدتنا او من الشاهدين للعين دون
للخبر قال عيسى بن مريم لما رأى ان لهم غرضا صحيحا فى
ذلك وانهم لا يقلعون عنه وارادالزامهم الحجة بكمالها
اللهم ربنا انزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا
اى يكون يوم نزولها عيدا نعظمه وقيل المعيد السرور
العائد ولذلك سمى يوم العيد عيدا وقرئ تكن على جواب
الامر لاوّلنا وآخرنا تأبد من لنا باعادة العامل اى عيدا
لمتقدمينا ومتأخرينا روى انها نزلت يوم الاحد ولذلك
اتخذه النصارى عيدا قيل يأكل منها اولنا وآخرنا وقرئ
لاولانا واخرانا بمعنى الامة والطائفة وآية عطف على عيدا
منك صفة لها اى آية كائنة منك على كمال قدرتك وصحة نبوتى

وارزقنا المائدة او الشكر عليها وانت خير الرازقين خير
من يرزق لانه خالق الرزق ومعطيه بلا غرض قال الله انى
منزلها عليكم اجابة الى سؤالكم فمن يكفر بعد منكم فانى
اعذبه عذابا اى تعذيبا ويجوز ان يجعل مفعولا به على السعة
لا اعذبه الضمير للمصدر او للعذاب ان اريد به مايعذب به
على حذف حرف الجر احدا من العالمين اى من عالمى زمانهم
او العالمين مطلقا فانهم مسخوا قردة وخنازير ولم يعذب
بمثل ذلك غيرهم روى انها نزلت سفرة حمراء بين عمامتين و
هم ينظرون اليها حتى سقطت بين ايديهم فبكى عيسى وقال
اللهم اجعلنى من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها
مثلة وعقوبة ثم قام فتوضأ وصلى وبكى ثم كشف المنديل
وقال بسم الله خير الرازقين فاذا سمكة مشوية بلا فلوس
ولا شوك يسيل دسمها وعند رأسها ملح وعند ذنبها خل و
حولها من الوان البقول ملخلا الكراث واذا خمسة ارغف
على واحد منها زيتون وعلى الثانى عسل وعلى الثالث سمن
وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون يا روح
الله امن طعام الدنيا ام من طعام الآخرة قال ليس منهما ولكنه
اختراعه الله بقدرته كلوا ما سألتم واشكروا يمددكم الله و
يزدكم من فضله فقالوا يا روح الله لو اريتنا من هذه الآية
آية اخرى فقال يا سمكة احيى باذن الله فاضطربت ثم
قال لها عودى كما كنت فعادت مشوية ثم طارت المائدة
ثم عصوا بعدها فمسخوا وقيل كانت تأتيهم اربعين يوما غبا
ويجتمع عليها الفقراء والاغنياء والصغار والكبار ويأكلون
حتى اذا فاء الفيء طارت وهم ينظرون فى ظلها ولم يأكل منها
فقير الا غنى مدة عمره ولا مريض الا برئ ولم يمرض ابدا

ثم اوحى الله عز الى عيسى ع ان اجعل مائدتى فى الفقراء و
المرضى دون الاغنياء والاصحاء فاضطرب الناس لذلك
فمسخ منهم ثلاثة وثمانون رجلا وقيل لما وعد الله انزالها
بهذه الشريطة استعفوا وقالوا لانريد فلم تنزل وعن مجاهد
ان هذا مثل ضربه الله لمقتى حى المعجزات وعن بعض الصوفية
المائدة هيهنا عبارة عن حقائق المعارف فانها غذاء الروح
كما ان الاطعمة غذاء البدن وعلى هذا فلعل الحال انهم رغبوا
فى حقائق لم يستعدوا للوقوف عليها وقال لهم عيسى ان
حصلتم الايمان فاستعملوا التقوى حتى تمكنوا من الاطلاع
عليها فلم يفلحوا عن السئوال والحوا فيه فسئال لاجل اقتراحهم
فبتى الله عز انزاله سهل ولكن فيه خطر وخوف
عاقبة فان السالك اذا انكشف له ماهو اعلى من مقامه لعله
لايحتمله ولايستقر له فيضل به ضلالا بعيدا واذ قال الله
ياعيسى بن مريم اانت قلت للناس اتخذونى وامى الهين
من دون الله يريد به توبيخ الكفرة وتبكيتهم ومن دون الله
صفة لالهين او صلة اتخذونى ومعنى دون امّا المغايرة
فيكون فيه تنبيه على ان عبادة الله مع عبادة غيره كلا عبادة
فمن عبده مع عبادتهما كانه عبدهما ولم يعبده او القصور
فانهم لم يعتقدوا انهما مستقلان باستحقاق العبادة وانما
زعموا ان عبادتهما توصل الى الله عز وكانه قيل اتخذونى
وامى الهين متوصلين بنا الى الله عز قال سبحانك اى انزهك
تنزيها من ان يكون لك شريك مايكون لى ان اقول مالیس
لى بحق مايبغى ان اقول قولا لايحق لى ان اقوله ان كنت
قلته فقد علمته تعلم ماتى نفسى ولا اعلم ماتى نفسك تعلم
ما اخفيه فى نفسى كما تعلم ما اعلنه ولا اعلم ما تخفيه من

معلوماتك

معلوماتك وقوله فى نفسك للمشاكلة وقيل المراد بالنفس
الذات انك انت علام الغيوب تقرير للجملتين باعيان
منطوقه ومفهومه ماقلت لهم الا امرتنى به تصريح
بنفى المستفهم عنه بعد تقديم مايدل عليه ان اعبدوا الله
ربى وربكم عطف بيان للضمير فى به او بدل منه وليس
من شرط البدل جواز طرح المبدل منه مطلقا ليلزم منه بقاء الموصول
بلا راجع او خبر مضمر او مفعول مثل هو او اعنى ولا يجوز ابدال
مما امرتنى به فان المصدر لايكون مفعول القول ولا ان يكون
ان مفسرة لان الامر مسند الى الله وهو لايقول اعبدوا الله ربى
وربكم والقول لايفسر بل الجملة تحكى بعده الا ان يؤول القول
بالامر فكان مثل ما امرتهم الا امرتنى به ان اعبدوا الله ربى
وربكم وكنت عليهم شهيدا مادمت فيهم اى رقيبا عليهم
امنعهم ان يقولوا ذلك ويعتقدوه او مشاهدا لاحوالهم
من كفر وايمان فلما توفيتنى بالرفع الى السماء بقوله انى
متوفيك ورافعك والتوفى اخذ الشئ وافيا والموت نوع
منه قال الله يتوفى الانفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها
كنت انت الرقيب عليهم المراقب لاحوالهم فتمنع من اردت
عصمته من القول به بالارشاد الى الدلائل والتنبيه عليها بانزال
الرسل وانزال الآيات وانت على كل شئ شهيد مطلع عليه
مراقب له ان تعذبهم فانهم عبادك اى ان تعذبهم فانك
تعذب عبادك ولا اعتراض على المالك المطلق فيما يفعل
بملكه وفيه تنبيه على انهم استحقوا ذلك لانهم عبادك وقد
عبدوا غيرك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم
فلا عجز ولا استقباح فانك القادر القوى على الثواب و
العقاب الذى لايثيب ولا يعاقب الا عن حكمة وصواب

سال

فان المغفرة مستحسنة لكل مجرم فان عذبت فعدل وان
غفرت ففضل وعدم غفران الشرك مقتضى الوعيد و
الامتناع فيه لذاته ليمنع التوريد والتعليق بان قال الله
هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم وقراء نافع بالنصب ه
على انه ظرف لقال وخبر هذا محذوف اوظرف مستقر وقع
خبرا والمعنى هذا الكلام الذى من كلام عيسى واقع يوم ه
ينفع وقيل انه خبر ولكن بنى على الفتح لاضافته الى الفعل
وليس بصحيح لان المضاف اليه معرب والمراد بالصدق ه
الصدق فى الدنيا فان النافع ماكان حال التكليف لهم جنات
تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا رضى الله عنهم ه
ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم بيان للنفع لله ملك السموات
والارض وما فيهن وهو على كل شئ قدير تنبيه على كذب ه
النصارى وفساد دعواهم فى المسيح وامه وانما لم يقل ومن
فيهن تغليبا للعقلاء وقال ما فيهن انباعا لهم غبى اولى العقل
اعلاما بانهم فى غاية القصور عن معنى الربوبية والنزول
عن رتبة المعبودية واهانة بهم وتنبيها على المجانسة المنا
فية للالوهية ولان ما يطلق متناول للاجناس كلها فهو
اولى بارادة العموم عن النبى صلى الله عليه وسلم من قراء سورة
المائدة اعطى من الاجر عشر حسنات ومحى عنه عشر سيئات
ورفع له عشر درجات بعدد كل يهودى تنفس فى الدنيا ه

سورة الانعام مكية وهى مائة وخمس وستون آية ه

بسم الله الرحمن الرحيم ه

الحمد لله الذى خلق السموات والارض اخبر بانه حقيق
بالحمد ونبه على انه المستحق له على هذه النعم الجسام حمدا
لم يحمد ليكون حجة على الذين هم بربهم يعدلون وجمع ه

السموات دون الارض وهى مثلثة لان طبقاتها مختلفة
بالذات متفاوتة الاثار والحركات وقدمها لشرفها وعلق
مكانها وتقدم وجودها وجعل الظلمات والنور انشاء
لهما والفرق بين خلق وجعل الذى له مفعول واحد ان
الخلق فيه معنى التقدير والجعل فيه معنى التضمين ولذلك
عبر عن احداث النور والظلمة بالجعل تنبيها على انهما
لا يقومان بانفسهما كما زعمت الثنوية وجمع الظلمات ه
لكثرة اسبابها والاجرام الحاملة لها اولان المراد بالظلمة
الضلال وبالنور الهدى والهدى واحد والضلال متعدد
وقدمها لتقدم الاعدام على الملكات ومن زعم ان الظلمة ه
عرض يضاد النور احتج بهذه الآية ولم يعلم ان عدم ه
الملكة كالعمى ليس صرف العدم حتى لا يتعلق به الجعل ثم
الذين كفروا بربهم يعدلون عطف على قوله الحمد لله على
معنى ان الله حقيق بالحمد على ما خلقه نعمة على العباد ثم
الذين كفروا بربهم يعدلون فيكفرون نعمته ويكون بربهم
تنبيها على انه خلق هذه الاشياء اسبابا لتكونهم وتعيشهم
فمن حقه ان يحمد عليها ولا يكفر او على قوله خلق على ه
معنى انه خلق ما لا يقدر عليه احد سواه ثم هم بربهم يعدلون
به ما لا يقدر على شئ منه ومعنى ثم استبعاد عدولهم ه
بعد هذا البيان والباء على الاول متعلقة بكفروا وصلة يعدلون
بحذف اى يعدلون عنه ليقع الانكار على نفس الفعل وعلى
الثانى متعلقة بيعدلون والمعنى ان الكفار يعدلون بربهم
الاوثان اى يسوونها به هو الذى خلقكم من طين اى
ابتدأ خلقكم منه فانه المادة الاولى وان آدم الذى هو
اصل البشر خلق منه اوخلق آباكم فحذف المضاف ثم قضى

اجلا لاجل الموت واجل مسمى عنده اجل القيمة وقيل الاول ما
بين الخلق والموت والثانى ما بين الموت والبعث فان
الاجل كما يطلق لآخر المدة يطلق لجملتها وقيل الاول للنوم
والثانى الموت وقيل الاول لمن مضى والثانى لمن بقى ولمن
بقى واجل نكرة خصصت بالصفة ولذلك استغنى عن تقديم
الخبر والاستئناف به لتعظيمه ولذلك نكر ووصف بانه مسمى
اى مثبت معين لا يقبل التغيير ولخبر عنه بانه عند الله لانه
لا مدخل لغيره فيه بعلم ولا قدرة ولانه المقصود بيانه ثم
انتم تمترون استبعاد لامترائهم بعد ان ما ثبت انه خالقهم
وخالق اصولهم ومحييهم الى اجالهم فان من قدر على خلق
المواد وجمعها وايداع الحيوة فيها وابقائها ما يشاء كان اقدر
على جمع تلك المواد واحيائها ثانيا فالآية الاولى دليل التوحيد والثانية دليل البعث والامتراء الشك واصله المرى وهو استخراج اللبن من الضرع وهو الله الضمير لله والله خبره فى السموات وفى الارض متعلق باسم الله والمعنى هو المستحق للعبادة فيهما لا غير كقوله وهو الذى فى السماء اله وفى الارض اله او بقوله يعلم سركم وجهركم والجملة خبر ثان او هى الخبر والله بدل ويكفى لصحة الظرفية كون المعلوم فيهما كقولك رميت الصيد فى الحرم اذا كنت خارجه والصيد فيه او ظرف مستقر وقع خبرا بمعنى انه كائن لكمال علمه بما فيهما كائنة فيهما ويعلم سركم وجهركم بيان وتقرير له وليس هو متعلقا بالمصدر لان صلته لا تتقدم ويعلم ما تكسبون من خير او شر فيثيب عليه ويعاقب ولعله اريد بالسر والجهر ما يخفى وما يظهر من احوال الانفس وبالمكتسب اعمال الجوارح وما تاتيهم من آية من آيات ربهم من الاولى مزيدة لاستغراق

والثانية للتبعيض اى ما يظهر لهم دليل قط من الادلة او هو معجزة من المعجزات او اية من آيات القران الا كانوا عنها معرضين تاركين للنظر فيه غير ملتفتين اليه فقد كذبوا هو بالحق لما جاءهم يعنى القران وهو كالملازم مما قبله كانه قيل انهم لما كانوا معرضين عن الآيات كلها كذبوا به لما جاءهم او كالدليل عليه على معنى انهم لما اعرضوا عن القران وكذبوا به وهو اعظم الآيات فكيف لا يعرضون عن غيره ولذلك رتب عليه بالفاء فسوف يأتيهم انباء ما كانوا به يستهزءون اى سيظهر لهم ما كانوا به يستهزءون عند نزول العذاب بهم فى الدنيا والآخرة او عند ظهور الاسلام وارتفاع همة المهرة وكم اهلكنا من قبلهم من قرن اى من اهل زمان والقران مدة اغلب اعمار الناس وهى سبعون سنة وقيل ثمانون وقيل القران اهل عصر فيه نبى او فائق فى العلم قلت المدة او كثرت واشتقاقه من قرنت مكناهم فى الارض هى جعلنا لهم فيها مكانا وقررناهم فيها او اعطيناهم من القوى والآلات ما تمكنوا بها من انواع التصرف فيها ما لم نمكن لكم ما لم نجعل لكم من التمكنة وطول المقام يا اهل مكة او ما لم نعطكم من القوة والسعة فى المال والاستظهار بالعدد والاسباب وارسلنا السماء عليهم اى المطر او السحاب او المظلة فان مبدأ المطر منها مدرارا مغزارا وجعلنا الانهار تجرى من تحتهم فعاشوا فى الخصب والريف بين الانهار والثمار فاهلكناهم بذنوبهم اى لم يغن ذلك عنهم شيئا وانشانا واحدثنا من بعدهم قرنا آخرين بدلا منهم والمعنى انه كما قدر ان يهلك من قبلكم كعاد وثمود وبنشئ مكانهم آخرين يعمر بهم بلادهم قدر ان يفعل ذلك

بكم ولو نزلنا عليك كتابا فى قرطاس مكتوبا فى ورق فلمسوه
بايديهم فسوه وتخصيص اللمس لان التزوير لايقع فيه
فلا يمكنهم ان يقولوا انما سكرت ابصارنا ولانه ينفذ مدد
الابصار حيث لا مانع وتقييده بالايدى لدفع التجوز فانه
قد يتجوز به للفحص كقوله وانا لمسنا السماء لقال الذين كفروا
ان هذا الا سحر مبين تعنتا وعنادا وقالوا لولا انزل عليه
ملك هلا انزل معه ملك يكلمنا بانه نبى كقوله لولا انزل
اليه ملك فيكون معه نذيرا ولو انزلنا ملكا لقضى الامر
جواب لقولهم وبيان لما هو المانع مما اقترحوه والحال فيه
والمعنى ان الملك لو انزل بحيث عاينوه كما اقترحوا لحق
اهلاكهم فان سنة الله جرت بذلك فيمن قبلهم ثم لا ينظرون
بعد نزوله طرفة عين ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا
للبسنا عليهم ما يلبسون جواب ثان ان جعل الهاء للملك
وان جعل للرسول فهو جواب اقتراح ثان فانهم تارة
يقولون لولا انزل عليه ملك وتارة يقولون لو شاء ربنا
لانزل ملائكة والمعنى ولو جعلناه قرينا لذلك ملكا يعاينوه او
الرسول ملكا لمثلناه رجلا كما مثل جبرائيل فى صورة دحية
فان القوة البشرية لا تقوى على رؤية الملك فى صورته وانما
رآهم كذلك الافراد من الانبياء بقوى قدسية ولبسنا
جواب محذوف اى ولو جعلناه رجلا للبسنا اى لخلطنا عليهم
ما يخلطون على انفسهم فيقولون ما هذا الا بشر مثلكم و
قرئ ولبسنا بلام واحدة وللبسنا بالتشديد للمبالغة ولقد
استهزئ برسل من قبلك تسلية للرسول ص على ما يرى
من قومه فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن
فاحاط بهم الذى كانوا به يستهزؤن حيث اهلكوا لاجله

او

اوفنزل بهم وبال استهزائهم قل سيروا فى الارض ثم
انظروا كيف كان عاقبة المكذبين كيف اهلكهم الله
بعذاب الاستيصال كى تعتبروا والفرق بينه وبين
قوله قل سيروا فى الارض فانظروا ان السير غنية لاجل النظر
ولا كذلك ههنا ولذلك قيل معناه اباحة السير للتجارة
وغيرها وايجاب النظر فى آثارها كالذى قل لمن فى السموات ت
والارض خلقا وملكا وهو سؤال تبكيت قل لله تقريرا لهم
وتنبيه على انه المتعين للجواب بالاتفاق بحيث لا يمكنهم
ان يذكروا غيره كتب على نفسه الرحمة التزمها تفضلا وهو
احسانا والمراد بالرحمة ما يعم الدارين ومن ذلك الهداية
للمعرفة والعلم بتوحيده بنصب الادلة وانزال الكتب
والامهال على الكفرة ليجمعنكم الى يوم القيمة استيناف وقسم
للوعيد على اشراكهم واغفالهم النظر اى ليجمعنكم فى القبور
مبعوثين الى يوم القيمة فيجازيكم على شرككم او فى يوم القيمة
والى بمعنى فى وقيل بدل من الرحمة بدل البعض فان من رحمته
بعثه اياكم وانعامه عليكم لا ريب فيه فى اليوم او الجمع الذين
خسروا انفسهم بتضييع رأس مالهم وهو الفطرة الاصلية
والعقل السليم وموضع الذين نصب على الذم او رفع على
الخبر اى وانتم الذين او على الابتدا والخبر فهم لا يؤمنون
والفاء للدلالة على ان عدم ايمانهم مسبب عن خسرانهم
فان ابطال العقل باتباع الحواس والوهم والانهماك فى
التقليد واغفال النظر اذى بهم الى الاصرار على الكفر
والامتناع عن الايمان وله عطف على لله ما سكن فى الليل
والنهار من التسكنى وتعديته بنفى كما فى قوله وسكنتم فى
مساكن الذين والمعنى ما اشتملا عليه او من التسكون اى ما

سكن فيهما او تحرك فاكتفى باحد الضدين عن الآخر وهو
السميع العليم لكل مسموع ومعلوم فلا يخفى عليه شئ ويجوز
ان يكون وعيدا للمشركين على اقوالهم وافعالهم قل اغير
الله اتخذ وليا انكار لاتخاذ غير الله وليا لاستحالة اتخاذ المولى
فلذلك قدم واو لى الهمزة والمراد بالولى المعبود لانه رد
لمن دعاه الى الشرك فاطر السموات والارض مبدعهما و
عن ابن عباس رضى الله عنهما ما عرفت معنى الفاطر حتى
اتانى اعرابيان يختصمان فى بئر فقال احدهما انا فطرتها
اى ابتدأتها وحفرته على الصفة لله فانه بمعنى الماضى ولذلك
قرئ فطر وقرئ بالرفع والنصب على المدح وهو يطعم
ولا يطعم يرزق ولا يرزق وتخصيص الطعام لشدة
الحاجة اليه وقرئ ولا يطعم بفتح الياء وبعكس الاول على
ان الضمير لغير الله والمعنى كيف اشرك بمن هو فاطر السموات
والارض ماهو نازل عن رتبة الحيوانية وبنائهما للفاعل
على ان الثانى من اطعم بمعنى استطعم او على معنى انه يطعم تارة
ولا يطعم اخرى كقوله يقبض ويبسط قل انى امرت ان
اكون اول من اسلم لان النبى عليه السلام سابق امته فى الدين ولا
تكونن من المشركين وقيل لى ولا تكونن من المشركين ويجوز
عطفه على قل قل انى اخاف ان عصيت ربى عذاب يوم
عظيم مبالغة اخرى فى قطع اطماعهم وتعريض لهم بانهم
عصاة مستوجبون العذاب والشرط معترض بين الفعل
والمفعول به وجوابه محذوف دل عليه الجملة من يصرف
عنه يومئذ اى يصرف العذاب عنه وقرأ حمزة والكسائى
ويعقوب وابو بكر عن عاصم يصرف على ان الضمير فيه
لله وقد قرئ باظهاره والمفعول به محذوف او يومئذ

بحذف المضاف فقد رحمه نجاه وانعم عليه وذلك الفوز
المبين اى الصرف او الرحمة وان يمسسك الله بضر ببلية
كمرض وفقر فلا كاشف له فلا قادر على كشفه الا هو وان
يمسسك بخير بنعمة كصحة وغنى فهو على كل شئ قدير
فكان قادرا على حفظه وادامته فلا يقدر غيره على دفعه
كقوله فلا راد لفضله وهو القادر فوق عباده بتصوير
لقهره وعلوه بالغلبة والقدرة وهو الحكيم الخبير بالعباد
وخفايا احوالهم قل اى شئ اكبر شهادة نزل حين قال
قريش يا محمد لقد سألنا عنك اليهود والنصارى فزعموا
ان ليس لك عندهم ذكر ولا صفة فأرنا من يشهد لك انك
رسول الله والشئ يقع على كل موجود وقد سبق القول فيه
فى سورة البقرة قل الله اى الله اكبر شهادة ثم ابتداء شهيد
بينى وبينكم اى هو شهيد ويجوز ان يكون الله شهيد هو
الجواب لانه اذا كان الشهيد كان اكبر شئ شهادة واوحى
الى هذا القرآن لانذركم به اى بالقرآن واكتفى بذكر الانذار عن
ذكر البشارة ومن بلغ عطف على ضمير المخاطبين اى لانذركم به
يا اهل مكة وسائر من بلغه من الاسود والاحمر او من الثقلين
او لانذاركم به ايها الموجودون ومن بلغه الى يوم القيمة وهو
دليل على ان احكام القرآن تعم الموجودين وقت نزوله ومن
بعدهم وانه لا يؤاخذ بها من لم تبلغه انكم لتشهدون ان
مع الله آلهة اخرى تقريع لهم مع انكار واستبعاد قل لا
اشهد بما تشهدون قل انما هو اله واحد اى بل اشهد ان
لا اله الا هو وانني برئ مما تشركون يعنى الاصنام الذين
اتيناهم الكتاب يعرفونه يعرفون رسول الله عليه السلام بحليته
المذكورة فى التوراة والانجيل كما يعرفون ابناءهم بجلالهم

الذين خسروا انفسهم من اهل الكتاب والمشركين فهم لا يؤمنون
لتضييعهم ما به يكتسب الايمان ومن اظلم ممن افترى
على الله كذبا كقولهم للملائكة بنات الله وهؤلاء شفعاؤنا
عند الله او كذب بآياته كان كذبوا القران والمعجزات وسموها
سحرا وانما ذكر او وهم قد جمعوا بين الامرين تنبيها على ان
كلا منهما وحده بالغ غاية الافراط في الظلم على النفس انه ه
الضمير للشان لا يفلح الظالمون فضلا ممن لا احد اظلم منه و
يوم نحشرهم جميعا منصوب بمضمر تهويلا للامر ثم نقول ه
للذين اشركوا اين شركاؤكم اى آلهتكم التي جعلتموها شركاء
لله وقراء يعقوب يحشر ويقول بالياء الذين كنتم تزعمون
اى تزعمونهم شركاء فحذف المفعول الاول والمراد من الامر
ستفهام التوبيخ ولعله يحال بينهم وبين الهتهم ليفقدوها
في الساعة التي علقوا بها الرجاء فيها ويحتمل ان يشاهدوهم
ولكن لما لم ينفعوهم فكانهم غيبت عنهم ثم لم تكن فتنتهم
الا ان قالوا اى كفرهم والمراد عاقبته وقيل معذرتهم التي ه
يتوقعون ان يتخلصوا بها من فتنت الذهب اذا خلصته وقيل
جوابهم وانما سماه فتنة لانه كذب او لانهم قصدوا به الخلاص
وقراء ابن كثير وابن عامر وحفص عن عاصم لم تكن بالتاء
وفتنتهم بالرفع على انها الاسم ونافع وابو عمرو وابو بكر عنه
بالتاء والنصب على ان الاسم ان قالوا والتانيث الخبر كقولهم
من كانت امك والباقون بالياء والنصب والله ربنا ما كنا ه
مشركين يكذبون ويحلفون عليه مع علمهم بانه لا ينفع من
فرط الحيرة والدهشة كما يقولون ربنا اخرجنا وقد ايقنوا
بالخلود وقيل بعناه ما كنا مشركين عند انفسنا وهو لا يوافق
قوله انظر كيف كذبوا على انفسهم اى بنفي الشرك عنها ه

حمله

وحمله على كذبهم في الدنيا تعسف بخل ونظير ذلك قوله يوم
يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم وقراء حمزة
والكسائي ربنا بالنصب على النداء او المدح وضل عنهم ما
كانوا يفترون من الشركاء ومنهم من يستمع اليك حين
تتلو القران والمراد ابو سفيان والوليد والنضر وعتبة
وشيبة وابو جهل واضرابهم اجتمعوا فسمعوا رسول الله ص
يقراء فقالوا للنضر ما يقول فقال والذي جعلها بيته ما ادري
ما يقول الا انه يحرك لسانه ويقول اساطير الاولين مثل ما
حدثتكم وجعلنا على قلوبهم اكنة اغطية جمع كنان وهو ما
يستر الشيء ان يفقهوه كراهة ان يفقهوه وفي اذانهم وقرا
يمنع من استماعه وقد مر تحقيق ذلك في اول سورة البقرة ه
وان يروا كل اية لا يؤمنوا بها لفرط عنادهم واستحكام التقليد
فيهم حتى اذا جاؤك يجادلونك اى بلغ تكذيبهم الآيات الى
انهم جاؤك يجادلونك وحتى هي التي يقع بعدها الجملة لا عمل لها
والجملة اذا وجوابه وهو يقول الذين كفروا ان هذا الا اساطير
الاولين فان جعل اصدق الحديث خرافات الاولين غاية
التكذيب ويجادلونك حال لمجيئهم ويجوز ان تكون الجارة
واذا جاؤك في موضع الجر ويجادلونك جوابه ويقول تفسير له
والاساطير الاباطيل جمع اسطورة او اسطارة او اسطار جمع
سطر واصله الستطر بمعنى الخط وهم ينهون عنه اى ينهون
الناس عن القران او الرسول او الايمان به وينئون عنه بان
فسهم او ينهون عن التعرض لرسول الله ص وينئون عنه ولا
يؤمنون به كابي طالب وان يهلكون وما يهلكون بذلك الا
انفسهم وما يشعرون ان ضرره لا يتعداهم الى غيره ولو ترى ه
اذ وقفوا على النار جوابه محذوف اى تريهم حين يوقفون على

النار حتى يعاينوها او يطلعون عليها او يدخلونها فيعرفون
مقدار عذابها لرأيت امرا شنيعا وحذف جواب لو وفظعوا على البناء للفاعل
من وقف عليه وقوفا فقالوا يا ليتنا نرد تمنيا للرجوع الى
الدنيا ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين استيناف
كلام منهم على وجه الانشاء كقولهم دعني ولا اعود اى
انا لا اعود تركتني او لم تتركني او عطف على نرد او حال من
الضمير فيه فيكون في حكم المتمنى وقوله انهم لكاذبون راجع
الى ما تضمنه التمني من الوعد ونصبها حمزة ويعقوب وحفص
على الجواب باضمار ان بعد الواو اجراء لها مجرى الفاء وقراءة
ابن عامر برفع الاول على العطف ونصب الثاني على الجواب بل
بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل الاضراب عن ارادة الايمان
المفهوم من التمني والمعنى انه ظهر لهم ما كانوا يخفون من
نفاقهم او قبايح اعمالهم فتمنوا ذلك ضجرا لا جزما على انهم لو
ردوا لامنوا ولو ردوا اى الى الدنيا بعد الوقوف والظهور لعادوا
لما نهوا عنه من الكفر والمعاصي وانهم لكاذبون فيما وعدوا
من انفسهم وقالوا عطف على لعادوا او على انهم لكاذبون او
على نهوا او استيناف بذكر ما قالوا في الدنيا ان هي الا حيوتنا
الدنيا الضمير للحيوة وما نحن بمبعوثين ولو ترى اذ وقفوا على
ربهم مجاز عن الحبس للسؤال او التوبيخ وقيل معناه وقفوا على
قضاء ربهم او جزائه او عرفوه حق التعريف قال اليس هذا
بالحق كائنة جواب قائل قال ما ذا قال ربهم حي والهمزة للتنبيه على
التكذيب والاشارة الى البعث وما يتبعه من الثواب والعقاب
قالوا بلى وربنا اقرار مؤكد باليمين لابطال الامر غاية البطلان قال
فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون بسبب كفركم او بدله فوضع
الذين كذبوا بلقاء الله اذ فاتهم النعيم واستوجبوا العذاب

المقيم ولقاء الله البعث وما يتبعه حتى اذا جاءتهم الساعة غاية
لكذبوا او للخسران اى خسروا حتى اذا جاءتهم الساعة لا غاية له بغتة فجاءة ونصبها
على الحال او المصدر فانها نوع من المجيء قالوا يا حسرتنا اى تعالى
فهذا اوانك على ما فرطنا قصرنا فيها في الحيوة الدنيا اضرت و
ان لم يجب ذكرها للعلم بها او في الساعة يعني في شانها او الايمان
بها وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم تمثيل لاستقرارها
اصار الاثام الاساءة ما يزرون بئس شيئا يزرونه وزرهم
وما الحيوة الدنيا الا لعب ولهو اى وما اعمالها الا لعب ولهو
يلهى الناس ويشغلهم عما يعقب منفعة دائمة ولذة حقيقية
وهو جواب لقولهم ان هي الا حيوتنا الدنيا وللدار الآخرة
خير للذين يتقون لدوامها وخلوص منافعها ولذاتها وقوله للذين
يتقون تنبيه على ان ما ليس من اعمال المتقين لعب ولهو وقراءة ابن عامر
ولدار الآخرة افلا تعقلون اى الامرين خير وقراءة نافع وابن عامر
ويعقوب بالتاء على خطاب المخاطبين به او تغليب الحاضرين على
الغائبين قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون معنى قد زيادة الفعل
وكثرته كما في قوله ولكنه قد يهلك المال نائله والهاء في انه للشان
وقرئ ليحزنك من احزن فانهم لا يكذبونك في الحقيقة وقراءة نافع
والكسائي لا يكذبونك من اكذبه اذا وجده باطلا ونسبه الى الكذب
ولكن الظالمين بايات الله يجحدون ولكنهم يجحدون بايات الله
ويكذبونها فوضع الظالمين موضع المضمر الضمير للدلالة على انهم
ظلموا بجحودهم او جحدوا لتمرنهم على الظلم والباء لتضمين الجحود معنى
التكذيب روي ان اباجهل كان يقول ما نكذبك وانك عندنا لصادق
وانما نكذب ما جئتنا به فنزلت ولقد كذبت رسل من قبلك تسلية
للرسول صلى الله عليه وسلم وفيه دليل على ان قوله لا يكذبونك ليس

بنفي تكذيبه مطلقا فصبروا على ما كذبوا واوذوا على تكذيبهم وايذائهم
فتاس واصبروا بهم حتى اتاهم نصرنا فيه ايماء بوعد النصر للصابرين
ولا مبدل لكلمات الله لمواعيده من قوله ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا
المرسلين ولقد جاءك من نباء المرسلين اى من قصصهم وما كابدوا
من قومهم وان كان كبر عليك عظم وشق اعراضهم عنك وعن الايمان
بما جئت به فان استطعت ان تبتغي نفقا في الارض او سلما في السما
فتاتيهم بآية متنفذا تنفذ فيه الى جوف الارض فتطلع لهم اية او
مصعدا تصعد به الى السماء فتنزل منها اية وفي الارض صفة
لنفقا وفي السماء صفة لسلما ويجوز ان يكونا متعلقين بتبتغي او
حالين من المستكن وجواب الشرط الثاني محذوف تقديره فافعل
والجملة جواب للاول والمقصود بيان حرصه البالغ على اسلام قومه
وانه لو قدر ان ياتيهم باية من تحت الارض او من فوق السماء لاتى
بها رجاء ايمانهم ولو شاء الله لجمعهم على الهدى اى ولو شاء الله جمعهم
على الهدى لوفقهم للايمان حتى يومنوا ولكن لم يتعلق به مشيئة
فلا تتهالك عليه والمعتزلة اولوه بانه لو شاء لجمعهم على الهدى
بان ياتيهم باية ملجئة ولكن لم يفعل لخروجه عن الحكمة فلا
تكونن من الجاهلين بالحرص على ما لا يكون والجزع في مواطن
الصبر فان ذلك دأب الجهلة انما يستجيب الذين يسمعون انما
يجيب الذين يسمعون بفهم وتامل كقوله او القى السمع وهو شهيد
وهؤلاء كالموتى الذين لا يسمعون والموتى يبعثهم الله فحينئذ يسمعون
حين لا ينفعهم الايمان ثم اليه يرجعون للجزاء وقالوا لولا نزل عليه
اية من ربه الى اية مما اقترحوه او اية اخرى سوى ما انزل من الآيات
المتكاثرة لعدم اعتقادهم بها عنادا قل ان الله قادر على ان ينزل اية

مما اقترحوه او اية تضطرهم الى الايمان كنتق الجبل او اية
ان جحدوها هلكوا ولكن اكثرهم لا يعلمون ان الله قادر
على انزالها وان انزالها يستجلب عليهم البلاء وانهم
لهم فيما انزل مندوحة عن غيره وقرا ابن كثير بالتخفيف
والمعنى واحد وما من دابة في الارض تدب على وجهها ولا
طائر وقرئ بالرفع على المحل يطير بجناحيه في الهوى وصفه
به قطعا لمجاز السرعة ونحوها الا امم امثالكم محفوظة هم
احوالها مقدرة ارزاقها واجالها والمقصود من ذلك الدلالة
على كمال قدرته وشمول علمه وسعة تدبيره ليكون كالدليل على
انه قادر على ان ينزل اية وجمع الامم للحمل على المعنى ما فرطنا
في الكتاب من شيء يعني اللوح المحفوظ فانه مشتمل على ما يجري
في العالم من الجليل والدقيق لم يهمل فيه امر حيوان ولا جماد او
القرآن فانه قد دون فيه ما يحتاج اليه من امر الدين مفصلا او
مجملا ومن مزيدة وشيء في موضع المصدر لا المفعول به فان
فرط لا يتعدى بنفسه وقد عدي بفي الى الكتاب وقرئ ما فرطنا
بالتخفيف ثم الى ربهم يحشرون يعني الامم كلها فينصف بعضها
من بعض كما روي انه ياخذ للجماء من القرناء وعن ابن عباس
رضي الله عنهما حشرها موتها والذين كذبوا بآياتنا صم لا
يسمعون مثل هذه الآيات الدالة على ربوبيته وكمال علمه و
عظيم قدرته سماعا تنتفع به نفوسهم وبكم لا ينطقون بالحق
في الظلمات خبر ثالث اي خابطون في ظلمات الكفر وفي ظلمة
الجهل وظلمة العناد وظلمة التقليد ويجوز ان يكون حالا من
المستكن في الخبر من يشاء الله يضلله من يشاء الله اضلاله
يضله وهو دليل واضح لنا على المعتزلة ومن يشاء يجعله
على صراط مستقيم بان يرشده الى الهدى ويحمله عليه قل ارايتكم

استفهام تعجيب والكاف حرف خطاب اكد به الضمير للتاكيد لا
محل له من الاعراب لانك تقول ارايتك زيدا ما شانه فلو جعلت
الكاف مفعولا كما قاله الكوفيون لعديت الفعل الى ثلاثة مفا
عيل وللزم في الآية ان يقال ارايتموكم بل الفعل معلق او هو
المفعول المحذوف تقديره ارائيتكم آلهتكم تنفعكم اذ تدعونها
ان اتيكم عذاب الله كما اتى من قبلكم او اتتكم الساعة وهو
لها ويدل عليه اغير الله تدعون وهو تبكيت لهم ان كنتم
صادقين ان الاصنام آلهة وجوابه محذوف اى فادعوه
بل اياه تدعون بل تخصونه بالدعاء كما حكى عنهم في مواضع
وتقديم المفعول لافادة التخصيص فيكشف ما تدعون اليه
اى ما تدعونه الى كشفه ان شاء ان يتفضل عليهم ولا يشاء في
الآخرة وتنسون ما تشركون وتتركون الهتكم في ذلك الوقت
لما ركز في العقول على انه القادر على كشف الضر دون غيره او وتنسونه
من شدة الامر وهوله ولقد ارسلنا الى امم من قبلك اى قبلك و
من زائدة فاخذناهم اى فكفروا وكذبوا المرسلين فاخذناهم
بالبأساء بالشدة والفقر والضراء الضر والآفات وهما صيغتا
تانيث لا مذكر لهما لعلهم يتضرعون يتذللون لنا ويتوبون
عن ذنوبهم فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا معناه نفى تضر
عهم في ذلك الوقت مع قيام ما يدعوهم ولكن قست قلوبهم
وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون استدراك على المعنى وبيان
الصارف لهم عن التضرع وانه لا مانع لهم الا قساوة قلوبهم
واعجابهم باعمالهم التي زينها الشيطان لهم فلما نسوا ما ذكروا
به من البأساء والضراء ولم يتعظوا به فتحنا عليهم ابواب
كل شيء من انواع النعم مراوحة بين نوبتي الضراء
السراء وامتحانا لهم بالشدة والرخاء الزاما للحجة

للعلة او مكرا بهم لما روى انه عم قال مكر بالقوم ورب
الكعبة وقراء ابن عامر فتحنا بالتشديد في جميع القران ووافقه
يعقوب فيما عدا هذا والذي في الاعراف حتى اذا فرحوا اى
اعجبوا بما اوتوا من النعم ولم يزيدوا على البطر والاشتغال
بالتمتع عن المنعم والقيام بحقه اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون
متحسرون ايسون فقطع دابر القوم الذين ظلموا اى اخرهم
بحيث لم يبق منهم احد من دبره دبرا ودبورا اذا تبعه والحمد
لله رب العالمين على اهلاكهم فان هلاك الكفار والعصاة
من حيث انه تخليص لاهل الارض من شوم عقائدهم واعمال
هم نعمة جليلة يحق ان يحمد عليها قل ارايتم ان اخذ الله سمعكم
وابصاركم اصمكم واعماكم وختم على قلوبكم بان يفطى عليها
ما يزول به عقلكم وفهمكم من آله غير الله فاتيكم به اى بذلك
او بما اخذ وختم عليه او باخذ هذه المذكورات انظر كيف
نصرف الآيات نكررها تارة من جهة المقدمات العقلية وهو
تارة من جهة الترغيب والترهيب وتارة بالتشبيه والتذكير
باحوال المتقدمين ثم هم يصدفون يعرضون عنها وثم لاستبعاد
الاعراض بعد تصريف الآيات وظهورها قل ارايتكم ان اتيكم
عذاب الله بغتة من غير مقدمة او جهرة يتقدمها امارة تؤذن
بحلوله وقيل ليلا ونهارا وقرئ بغتة اجهرة هل يهلك اى ما
يهلك هلاك سخط وتعذيب الا القوم الظالمون ولذلك صح
الاستثناء المفرغ وقرئ يهلك بفتح الياء ونرسل المرسلين الا
مبشرين المؤمنين بالجنة ومنذرين الكافرين بالنار ولم نرسل
هم ليقترح عليهم ويتحكم بهم فمن آمن واصلح ما يجب اصلاحه
على ما شرع لهم فلا خوف عليهم من عذاب ولا هم يحزنون
بفوت الثواب والذين كذبوا باياتنا يمسهم العذاب جعل هم

العذاب ماسالوهم كانه الطالب للوصول اليهم واستغنى بتعريفه
عن التوصيف بما كانوا يفسقون بسبب خروجهم عن التصديق
والطاعة قل لا اقول لكم عندي خزائن الله مقدوراته
او خزائن رزقه ولا اعلم الغيب مالم يوح الي وليس نصب
عليه دليل وهو من جملة المقول ولا اقول لكم اني ملك اني
من جنس الملائكة او اقدر على ما يقدرون عليه ان اتبع الا
ما يوحى الي تبرئ عن دعوى الالوهية والملكية وادعى النبوة
التي هي من كمالات البشر ردا لاستبعادهم دعواه وجنونهم
وعلى فساد مدعاه قل هل يستوي الاعمى والبصير مثل الضال
والمهتدي او الجاهل والعالم او مدعي المستحيل كالالوهية و
الملكية ومدعي ادعاء الحق والباطل او فيعلموا ان اتباع الوحي
مما لا محيص عنه وانذر به الضمير لما يوحى الى الذين يخافون
ان يحشروا الى ربهم هم المؤمنون المفرطون في العمل والمجوزون
للحشر مؤمنا كان او كافرا مقرا به او متردادا فيه فان الانذار
ينجع فيهم دون الفارغين الجازمين باستحالته ليس لهم من
دونه ولي ولا شفيع في موضع الحال من يحشروا فان المخوف هو
الحشر على هذه الحالة لعلهم يتقون لكي يتقوا ولا تطرد الذين
يدعون ربهم بالغدوة والعشي بعد ما امره بانذار غير المتقين
ليتقوا امره باكرام المتقين وتقريبهم وان لا يطردهم تعويضه
لقريش روي انهم قالوا لو طردت هؤلاء الاعبد يعنون فقراء
المسلمين كعمار وصهيب وخباب وسلمان جالسنا اليك وحادثناك
فقال ما انا بطارد المؤمنين قالوا فقهم عنا اذا جئناك قال
نعم وروي ان عمر رضي الله عنه قال لو فعلت حتى تنظر الى ماذا
يصيرون فدعا بالصحيفة ويعلي رضي الله عنه ليكتب فنزلت
والمراد بذكر الغدوة والعشي الدوام وقيل صلوة الصبح و

والعصر وقرأ ابن عامر بالغداة يريدون وجهه حال من
يدعون اي يدعون ربهم مخلصين فيه قيد الدعاء بالاخلاص
تنبيها على انه ملاك الامر ورتب النهي عليه اشعارا بانه يقتضي
اكرامهم وينافي ابعادهم ما عليك من حسابهم من شيء وما
من حسابك عليهم من شيء اي ليس عليك حساب ايمانهم فلعل
ايمانهم عند الله اعظم من ايمان من تطردهم بسوء الهم طمعا
في ايمانهم لو آمنوا وليس عليك اعتبار بواطنهم واخلاصهم انما هو
السمو بسيرة المتقين وان كان لهم باطن غير مرضي كما ذكره المشركون
وطعنا في دينهم فحسابهم عليهم لا يتعداهم اليك كما ان حسابك
عليك لا يتعداك اليهم وقيل ما عليك من حساب رزقهم اي من
فقرهم وقيل الضمير للمشركين والمعنى لا تؤاخذنا بحسابهم و
لا هم يؤاخذون بحسابك حتى يهمك ايمانهم بحيث تطرد المؤ
منين طمعا فيه فتطردهم فتبعدهم وهو جواب النفي فتكون
من الظالمين جواب النهي وجوز عطفه على فتطردهم على و
جه التسبب وفيه نظر وكذلك فتنا بعضهم ببعض ومثل ذلك
الفتن وهو اختلاف احوال الناس في امور الدنيا فتنا اي هم
ابتلينا بعضهم ببعض في امر الدين فقدمنا هؤلاء الضعفاء على
اشراف قريش بالسبق الى الايمان ليقولوا اهؤلاء من الله
عليهم من بيننا اي اهؤلاء من انعم الله عليهم بالهداية والتوفيق
لما سعدهم دوننا ونحن الاكابر والرؤساء وهم المساكين
والضعفاء وهو انكار لان يخص هؤلاء من بينهم باصابة الحق
والسبق الى الخير كقولهم لو كان خيرا ما سبقونا اليه واللام هي
للعاقبة او للتعليل على ان فتنا متضمن معنى خذلنا اليس الله
باعلم بالشاكرين بمن يقع منه الايمان والشكر فيوفقه وبمن
لا يقع منه فيخذله واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل

كون

سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة الذين يؤمنون هم
الذين يدعون ربهم وصفهم بالايمان بالقران واتباع الحجج بعد
ما وصفهم بالمواظبة على العبادة وامره بان يبدأ بالتسليم
او يبلغ سلام الله اليهم ويبشرهم بسعة رحمة الله وفضله
بعد النهى عن طردهم ايذانا بانهم الجامعون لفضيلتى العلم
والعمل ومن كان كذلك ينبغى ان يقرب ولا يطرد ويعز ولا يذل
ويبشر من الله بالسلامة فى الدنيا والرحمة فى الآخرة وقيل ان
قوما جاؤا الى النبى ﷺ فقالوا انا اصبنا ذنوبا عظاما فلم يرد
عليهم شيئا فنزلت انه من عمل منكم سوءا استيناف بتفسير الرحمة
وقرأ نافع وابن عامر وعاصم ويعقوب بالفتح على البدل منها
بجهالة فى موضع الحال اى من عمل ذنبا جاهلا بحقيقة ما يتبعه
من المضار والمفاسد كمن فيما اشار اليه او ملتبسا بفعل الجهلة
فان ارتكاب ما يؤدى الى الضرر من افعال اهل السفه والجهل
ثم تاب من بعده بعد العمل او السوء واصلح بالتدارك وهو
العزم على ان لا يعود اليه فانه غفور رحيم فتحه من فتح الاول
غير نافع على اضمار مبتدأ او خبر اى فامره او فله غفرانه وهو
كذلك ومثل ذلك التفصيل الواضح نفصل الآيات اى آيات
القران فى صفة المطيعين والمجرمين المضرين منهم والاوابين
ولتستبين سبيل المجرمين قرأ نافع بالتاء ونصب السبيل على
معنى ولتستوضح يا محمد سبيلهم فتعامل كلا منهم بما يحق له
فصلنا هذا التفصيل وابن كثير وابو عمرو وابن عامر ويعقوب
وحفص عن عاصم برفعه على معنى ولتبين سبيلهم والباقون
بالياء والرفع على تذكير السبيل فانه يذكر ويؤنث ويجوز ان
يعطف على علة مقدرة اى نفصل الآيات ليظهر الحق ولتستبين
قل انى نهيت صرفت وزجرت بما نصب لى من الادلة الناطقة

وانزل على من الآيات اى فى امر التوحيد ان اعبد الذين
تدعون من دون الله عن عبادة ما تعبدون من دون الله
او ما تدعونها آلهة اى تسمونها قل لا اتبع اهواءكم تأكيد
لقطع اطماعهم واشارة الى الموجب للنهى وعلة الامتناع
عن متابعتهم واستجهال لهم وبيان لمبدأ ضلالهم وان
ما هم عليه هوى وليس بهدى وتنبيه لمن تحرى الحق على
ان يتبع الحجة ولا يقلد قد ضللت اذا اى ان اتبعت اهواءكم
فقد ضللت وما انا من المهتدين اى فى شىء من الهدى حتى
اكون من عدادهم وفيه تعريض بانهم كذلك قل انى على
بينة على ما يجب اتباعه بعد ما لا يجوز اتباعه والبينة هى
الدلالة الواضحة التى تفصل الحق من الباطل وقيل المراد
بها القران والوحى او الحجج العقلية او ما يعمها من رزقى من
معرفته وانه لا معبود بحقه سواه ويجوز ان يكون صفة
لبينة وكذبتم به الضمير لربى اى كذبتم به حيث اشركتم به غيره
او للبينة باعتبار المعنى ما عندى ما تستعجلون به يعنى العذاب
الذى استعجلوه بقولهم فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا
بعذاب اليم ان الحكم الا لله فى تعجيل العذاب وتأخيره يقضى
الحق اى القضاء الحق او يضع الحق ويدبره من قولهم قضى هو
الذرع اذا صنعها فيما يقضى من تعجيل وتأخير واصل القضاء
الفصل بتمام الامر واصل الحكم المنع فكانه يمنع الباطل وقرأ
ابن كثير ونافع يقص من قص الاثر او قص الخبر وهو خير
الفاصلين القاضيين قل لو ان عندى اى فى قدرتى ومكنتى
ما تستعجلون به من العذاب لقضى الامر بينى وبينكم لاهلكتكم
عاجلا غضبا لربى وانقطع ما بينى وبينكم والله اعلم بالظالمين
فى معنى الاستدراك كانه قال ولكن الامر الى الله وهو اعلم

ذكره

بمن ينبغي ان يؤخذ وبمن ينبغي ان يعمل منهم وعنده مفاتح ه
الغيب خزائنه جمع مفتح بفتح الميم وهو المخزن او ما يتوصل
به الى المغيبات مستعار من المفاتح هو جمع مفتح بكسر الميم و
هو المفتاح ويؤيده قراءة مفاتيح والمعنى انه المتوصل الى
المغيبات المحيط علمه بها لا يعلمها الا هو فيعلم اوقاتها وما
في تعجيلها وتأخيرها من الحكم فيظهرها على ما اقتضته حكمته
وتعلقت به مشيته وفيه دليل على انه كما يعلم الاشياء قبل وقوعها
ويعلم ما في البر والبحر عطف الاخبار عن تعلق علمه بالمشا
هدات على الاخبار عن اختصاص العلم بالمغيبات به وما ه
تسقط من ورقة الا يعلمها مبالغة في احاطة علمه بالجزئيات
والاحتبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس معطوفات
على ورقة وقوله الا في كتاب مبين بدل من الاستثناء الاول
بدل الكل على ان الكتاب المبين علم الله او بدل الاشتمال ان
اريد به اللوح وقرئت بالرفع للعطف على محل من ورقة او
للابتداء او الخبر الا في كتاب مبين وهو الذي يتوفاكم بالليل
بنومكم فيه ويراقبكم استعير التوفي من الموت للنوم لما بينهما
من المشاركة في زوال الاحساس والتمييز فان اصله قبض
الشيء بتمامه ويعلم ما جرحتم بالنهار كسبتم فيه خص الليل با
لنوم والنهار بالكسب جريا على المعتاد ثم يبعثكم يوقظكم
اطلق البعث ترشيحا للتوفي فيه في النهار ليقضى اجل
مسمى ليبلغ المنتظم اخر اجله المسمى له في الدنيا ثم اليه ه
مرجعكم بالموت ثم ينبئكم بما كنتم تعملون بالمجازات عليه و
قيل الآية خطاب للكفرة والمعنى انكم ملقون كالجيف بالليل
وكاسبون الاثام بالنهار وانه كما مطلع على اعمالكم يبعثكم
من القبور في شان ذلك الذي قطعتم به اعماركم من النوم

بالليل وكسب الاثام بالنهار ليقضى الاجل الذي سماه وضربه
لبعث الموتى وجزاءهم على اعمالهم ثم اليه مرجعكم بالحساب
ثم ينبئكم بما كنتم تعملون بالجزاء وهو القاهر فوق عباده و
يرسل عليكم حفظة ملائكة تحفظ اعمالكم وهم الكرام الكاتبو ن
والحكمة فيه ان المكلف اذا علم ان اعماله تكتب عليه وتعرض
على رؤس الاشهاد كان ازجر عن المعاصي وان العبد اذا و
ثق بلطف سيده واعتمد على عفوه وستره لم يحتشم منه ه
احتشامه من خدمه المطلعين عليه حتى اذا جاء احدكم الموت
توفته رسلنا ملك الموت واعوانه وقراء حمزة توفاه بالف ه
مماله وهم لا يفرطون بالتواني والتاخير وقرئ بالتخفيف و
المعنى لا يجاوزون ما حد لهم بزيادة او نقصان ثم ردوا الى
الله الحكم وجزائه مولاهم الذي يتولى امرهم الحق العدل
الذي لا يحكم الا بالحق وقرئ بالنصب على المدح الا له الحكم ه
يومئذ للحكم لغيره فيه وهو اسرع الحاسبين يحاسب الخلائق
في مقدار حلب شاة لا يشغله حساب عن حساب قل من ينجيكم
من ظلمات البر والبحر من شدائدهما استعيرت الظلمة للشدة
لمشاركتهما في الهول وابطال الابصار فقيل لليوم الشديد ه
يوم مظلم ويوم ذو كواكب او من الخسف في البر والغرق في
البحر وقرأ يعقوب ينجيكم بالتخفيف والمعنى واحد تدعونه
تضرعا وخفية معلنين ومسترين او اعلانا واسرارا وقرئ
خفية بالكسر لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين ه
على ارادة القول اى يقولون لئن انجيتنا وقراء الكوفيون
لئن انجانا ليوافق قوله تدعونه وهذه اشارة الى الظلمة ه
قل الله ينجيكم منها شدده الكوفيون وخففه الباقون ومن
كل كرب غم سواها ثم انتم تشركون تعودون الى الشرك ولا

ن

تعوفون بالعهد وانما وضع يتشركون موضع لاتشكرون ان
تبنيها على ان من اشرك فى عبادة الله لم فكانه لم يعبده ره
قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم كما فعل ه
بقوم نوح ولوط واصحاب الفيل او من تحت ارجلكم كما
اغرق فرعون وخسف بقارون وقيل من فوقكم اكابركم
وحكامكم ومن تحت ارجلكم سفلتكم وعبيدكم او يلبسكم
يخلطكم شيعا فرقا متحزبين على اهواء شتى فينشب ه
القتال بينكم قال وكتبية لبتشها بكتيبة حتى اذا التبست ه
نفضت لها يدى ويذيق بعضكم باس بعض يقاتل بعضكم ه
بعضا انظر كيف نصرف الآيات بالوعد والوعيد لعلهم ه
يفقهون وكذب به قومك اى بالعذاب او بالقران وهو الحق
الواقع لامحالة او الصدق قل لست عليكم بوكيل بحفيظ وكل
الى امركم فامنعكم من التكذيب او اجازيكم انما انا منذر و
الله الحفيظ لكل نبأ خبر يريد اما العذاب او الايعاد به مستقر
وقت استقراره ووقوع وسوف تعلمون عند وقوعه فى الدنيا
او فى الاخرة واذا رايت الذين يخوضون فى آياتنا بالتكذيب
والاستهزاء بها والطعن فيها فاعرض عنهم فلا تجالسهم وقم
عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره اعاد الضمير على معنى ه
الآيات لانها القران واما ينسينك الشيطان بان يشغلك ه
بوسوسته حتى تنسى النهى وقراء ابن عامر ينسينك بالتشديد
فلا تقعد بعد الذكرى اى بعد ان تذكره مع القوم الظالمين اى
معهم فوضع الظاهر موضعه دلالة على انهم ظلموا بوضع التكذيب
والاستهزاء موضع التصديق والاستعظام وما على الذين يتقون
وما يلزم المتقين من قبايح اعمالهم واقوالهم الذين يجالسونهم
من حسابهم من شئ شيء مما يحاسبون عليه ولكن ذكرى ولكن

عليهم ان يذكروهم ذكرى وينعوهم عن الخوض وغيره من ه
القبايح ويظهروا كراهتها وهو يحتمل النصب على المصدر والرف
على ولكن عليهم ذكرى ولا يجوز عطفه على محل من شئ لان من
حسابهم يأباه ولا على شئ لذلك ولان من لاتزاد فى بعد الا
لعلهم يتقون يجتنبون ذلك حياء او كراهة لمساءتهم ويحتمل ه
ان يكون الضمير للذين يتقون والمعنى لعلهم يتنبهون على تقوا
ولا تستسلم بجالستهم روى ان المسلمين قالوا ان كنا نقوم كلما
استهزؤا بالقران لم نستطع ان نجلس فى المسجد ونطوف
فنزلت وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا اى بنوا امر دينهم
على التشهى وتدينوا بما لايعود عليهم بنفع عاجلا واجلا كعبادة
الصنم وتحريم البحائر والسوائب او اتخذوا دينهم الذى كلفوه
لعبا ولهوا حيث سخروا به او جعلوا عيدهم الذى جعل ميقات
عبادتهم زمان لهو ولعب والمعنى فاعرض عنهم ولا تبالى بما
فعالهم واقوالهم ويجوز ان يكون تهديدا لهم كقوله ه ذرنى
ومن خلقت وحيدا او من جعله منسوخا بآية السيف حمله على
الامر بالكف عنهم وترك التعرض لهم وغرتهم الحيوة الدنيا
حتى انكروا البعث وذكر به اى بالقران ان تبسل نفس بما كسبت
مخافة ان تسلم الى الهلاك وترهن بسوء عملها واصل الابسال و
البسل المنع ومنه اسد باسل لان فريسته لا تنفلت منه و
الباسل الشجاع لامتناعه من قرنه وهذا بسل عليك اى حرام
ليس لها من دون الله ولى ولا شفيع يدفع عنها العذاب و
ان تعدل كل عدل وان تفد كل فداء والعدل الفدية لانها ه
تعادل المفدى وههنا الفداء وكل نصب على المصدر لا يؤ
منها الفعل مسند الى منها لا الى ضميره بخلاف قوله ولا يؤخذ
منها عدل فانه المفدى به اولئك الذين ابسلوا بما كسبوا

فع
ثبات
هم
خذ

اى اسلموا الى العذاب بسبب اعمالهم القبيحة وعقائدهم
الزائغة لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون
تأكيد وتفصيل لذلك والمعنى هم بين ماء مغلى يتحيرون فى
بطونهم ونار تشتعل بابدانهم بسبب كفرهم قل اندعوا
انعبد من دون الله مالا ينفعنا ولا يضرنا مالا يقدر على
نفعنا وضرنا ونرد على اعقابنا ونرجع الى الشرك بعد اذ
هدينا الله فانقذنا منه ورزقنا الاسلام كالذى استهوته
الشياطين كالذى ذهبت به مردة الجن فى المهامه استفعال
من هوى يهوى هوِيا اذا ذهب وقراء حمزة استهواه بالف
ممالة ومحل الكاف النصب على الحال من فاعل نرد اى مشبهين
الذى استهوته او على المصدر اى رد امثل رد الذى استهوته
فى الارض حيران مختبرا ضالا عن الطريق له اصحاب لهذا
المستهوى رفقة يدعونه الى الهدى الى ان يهدوه الطريق
المستقيم او الى الصراط المستقيم وسماه هدى تسمية للمفعول با
لمصدر أُتينا يقولون له أتنا قل ان هدى الله الذى هو الاسلام
هو الهدى وحده وما عداه ضلال وأمرنا لنسلم لرب العالمين
من جملة المقول عطف على ان هدى الله واللام لتعليل الامر اى
امرنا بذلك لنسلم وقيل هى بمعنى الباء وقيل هى زائدة وان
أقيموا الصلوة واتقوه عطف على لنسلم اى للاسلام وللاقامة
الصلوة او على موقعه كانه قيل وامرنا ان نسلم وان اقيموا
روى ان عبد الرحمن ابن ابى بكر دعا اباه الى عبادة الاوثان
فنزلت وعلى هذا كان امر الرسول بهم بهذا القول اجابة
عن الصديق رضى الله عنه تعظيما لشانه واظهارا للاتحاد
الذى كان بينهما وهو الذى اليه تحشرون يوم القيمة وهو
الذى خلق السموات والارض بالحق قائما بالحق والحكمة

ويوم يقول كن فيكون قوله الحق جملة اسمية قدم فيها الخبر
اى قوله الحق يوم يقول كقولك القتال يوم الجمعة والمعنى
انه الخالق للسموات والارضين وقوله الحق نافذ فى الكائنات
وقيل يوم منصوب بالعطف على السموات او الهاء فى
واتقوه او بمحذوف دل عليه بالحق وقوله الحق مبتداء او
خبر او فاعل يكون على معنى وحين يقول لقوله الحق اى
لقضائه كن فيكون والمراد به حين يكون الاشياء ويحدثها
او حين تقوم القيمة فيكون التكوين حشر الاموات و
احيائها وله الملك يوم ينفخ فى الصور كقوله لمن الملك
اليوم لله الواحد القهار عالم الغيب والشهادة اى هو عالم
الغيب وهو الحكيم الخبير كالفذلكة للآية واذ قال ابراهيم
لابيه آزر هو عطف بيان لابيه وفى كتب التواريخ ان
اسمه تارح وقيل هما علمان له كاسرائيل ويعقوب وقيل العلم
تارح وآزر وصف معناه الشيخ او المعوج ولعل منع صرفه
لانه اعجمى حمل على موازنه او نعت مشتق من الازر او الوزر
والاقرب انه علم اعجمى على فاعل كعابر وشالخ وقيل اسم
صنم يعبده فلقب به للزوم عبادته او اطلق عليه بحذف
المضاف وقيل المراد به الصنم ونصبه بفعل مضمر يفسره ما بعده اى
اتعبد آزر ثم قال اتتخذ اصناما آلهة تفسير او تقرير او
دليل عليه ان قرئ أإزرا تتخذ اصناما بفتح همزة ازر و
كسرها وهو اسم صنم وقراء يعقوب بالضم على النداء وهو
يدل على انه علم انى اراك وقومك فى ضلال عن الحق مبين
ظاهر الضلالة وكذلك نرى ابراهيم ومثل هذا التبصير نبصره
وهو حكاية حال الماضية وقرئ نرى بالتاء ورفع الملكوت
ومعناه نبصره دلائل الربوبية ملكوت السموات والارض

ربوبيتها و ملكها وقيل عجائبها وبدائعها والملكوت اعظم
الملك والتاء فيه للمبالغة وليكون من الموقنين اى ليستدل
وليكون او فعلنا ذلك ليكون فلما جن عليه الليل رأى كوكبا
قال هذا ربى تفصيل وبيان لذلك وقيل عطف على قال ابراهيم
وكذلك نرى اعتراض فان اباه وقومه كانوا يعبدون الا
صنام والكواكب فاراد ان ينبههم على ضلالتهم ويرشد
هم الى الحق من طريق النظر والاستدلال وجن عليه الليل هـ
ستره بظلامه والكوكب كان الزهرة او المشترى وقوله هذا
ربى على سبيل الوضع فان المستدل على فساد قول يحكيه على ما
يقوله الخصم ثم يكر عليه بالافساد او على وجه النظر والا
ستدلال وانما قاله زمان مراهقته او اول اوان بلوغه
فلما افل اى غاب قال لا احب الآفلين فضلا عن عبادتهم
فان الانتقال والاحتجاب بالاستتار يقتضى الامكان والحدوث
وينافى الالوهية فلما رأى القمر بازغا مبتديا فى الطلوع قال
هذا ربى فلما افل قال لئن لم يهدنى ربى لاكونن من القوم
الضالين استعجز نفسه واستعان بربه فى درك الحق فانه لا
يهتدى اليه الا بتوفيقه ارشاد لقومه وتنبيه لهم على ان القمر
ايضا لتغير حاله [illegible] الوهية وان من اتخذه الها هـ
فهو ضال فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى ذكر اسمه
الاشارة لتذكير الخبر وصيانة للرب عن شبهة التانيث هذا
اكبر كبره استدلالا واظهارا لشبهة الخصم فلما افلت قال
يا قوم انى برىء مما تشركون من الاجرام المحدثة المحتاجة الى
المحدث يحدثها ويخصص بخصصها بما تختص به ثم لما تبرأ
عنها توجه الى موجدها ومبدعها الذى دلت هذه الممكنات هـ
عليه فقال انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض

حنيفا وما انا من المشركين وانما احتج بالافول دون البزوغ
مع انه ايضا انتقال لتعدد دلالته ولانه راى الكوكب الذى هو
يعبدونه فى وسط السماء حين حاول الاستدلال وحاجه
قومه وخاصموه فى التوحيد قال اتحاجونى فى الله فى وحدا
نيته وقرأ نافع وابن عامر بتخفيف النون وقد هدانى الى
توحيده ولا اخاف ما تشركون به اى لا اخاف معبوداتكم
فى وقت لانها لا تضر بنفسها ولا تنفع الا ان يشاء ربى شيأ
ان يصيبنى بمكروه من جهتها ولعله جواب لتخويفهم اياه
عن الهتهم وتهديدهم بعذاب الله وسع ربى كل شىء علما
كانه علة الاستثناء اى احاط به علما فلا يبعد ان يكون فى علمه
ان يحيق بى مكروه من جهتها افلا تتذكرون فتميزوا بين هو
الصحيح والفاسد والقادر والعاجز وكيف اخاف ما اشر
ولا يتعلق به ضر ولا تخافون انكم اشركتم بالله وهو حقيق
بان يخاف منه كل الخوف لانه اشراك للمصنوع بالصانع وتسوية
بين المقدور العاجز بالقادر الضار النافع ما لم ينزل به عليكم
سلطانا حجة ما لم ينزل باشراكه كتابا او لم ينصب عليه دليلا فاى هـ
الفريقين احق بالامن اى الموحدون او المشركون وانما لم يقل
اينا انا ام انتم احترازا من تزكية نفسه [illegible] كنتم تعلمون ما يحق
ان يخاف منه الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك
لهم الامن وهم مهتدون استيناف منه او من الله بالجواب
عما استفهم عنه والمراد بالظلم ههنا الشرك لما روى ان
الآية لما نزلت شق ذلك على الصحابة وقالوا اينا لم يظلم
نفسه فقال ليس ما تظنون انما هو ما قال لقمان لابنه
يابنى لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم ولبس الايمان
به ان يصدق بوجود الصانع الحكيم ويخلط بهذا التصديق هـ

كتم

الاشراك به وقيل المعصية وتلك اشارة الى ما احتج به ابراهيم
على قومه من قوله فلما جن عليه الليل الى قوله وهم مهتدون
او من قوله افتحاجوني اليه حجتنا اتيناها ابراهيم ارشدناه
اليها وعلمناه اياها على قومه متعلق بحجتنا ان جعل خبر تلك
وبجوز ان جعل بدلا اى اتيناها ابراهيم حجة على قومه
نرفع درجات من نشاء في العلم والحكمة وقرأ الكوفيون
ويعقوب بالتنوين ان ربك حكيم في رفعه وحفظه عليم
بحال من يرفعه واستعداده له ووهبنا له اسحق ويعقوب
كلا هدينا اى كلا منهما ونوحا هدينا من قبل من قبل ابراهيم
عد هداه نعمة على ابراهيم من حيث انه ابوه وشرف الوالد
يتعدى الى الولد ومن ذريته الضمير لابراهيم اذ الكلام فيه
وقيل لنوح لانه اقرب ولان يونس ولوطا ليسا من ذريته
ابراهيم فلو كان لابراهيم اختص البيان بالمعدودين في تلك
الآية والتي بعدها والمذكورون في الاية الثالثة عطف على
نوحا داود وسليمان وايوب وهو ابن اموص من اسباط
عيصا بن اسحق ويوسف وموسى وهارون وكذلك
نجزي المحسنين اى ونجزي المحسنين جزاء مثل ما جزينا
ابراهيم برفع درجاته وكثرة اولاده والنبوة فيهم وذكريا
ويحيى وعيسى هو ابن مريم وفي ذكره دليل على ان الذرية
تتناول اولاد البنت والياس قيل هو ادريس جد نوح
فيكون البيان مخصوصا بمن في الاية الاولى وقيل هو من اسباط
هارون اخي موسى كل من الصالحين الكاملين في الصلاح
وهو الاتيان بما ينبغي والتحرز عما لا ينبغي واسماعيل واليسع
هو اليسع ابن اخطوب وقرأ حمزة والكسائي واليسع وعلى
القراءتين علم اعجمي ادخل عليه اللام كما ادخل على اليزيد في قوله

رأيت الوليد بن يزيد مباركا شديدا باعباء الخلافة كاهله وهو
يونس هو ابن متى ولوطا هو ابن هاران بن اخي ابراهيم و
كلا فضلنا على العالمين بالنبوة وفيه دليل على فضلهم على من
عداهم من الخلق ومن اباءهم وذرياتهم واخوانهم عطف
على كلا او نوحا اى فضلنا كلا منهم او هدينا هؤلاء وبعض
اباءهم وذرياتهم واخوانهم فان منهم من لم يكن نبيا و
لا مهديا واجتبيناهم عطف على فضلنا او هدينا وهدينا
هم الى صراط مستقيم تكرير لبيان ما هدوا اليه ذلك هدى
الله اشارة الى ما دانوا به يهدي به من يشاء من عباده دليل
على انه متفضل بالهداية ولو اشركوا اى لو اشرك هؤلاء الانبياء
مع فضلهم وعلو شانهم لحبط عنهم ما كانوا يعملون لكان واهر
كغيرهم فكيف بحبوط اعمالهم بسقوط ثوابها اولئك الذين اتيناهم
الكتاب يريد به الجنس والحكم الحكمة او فصل الامر على ما يقتضيه
الحق والنبوة والرسالة فان يكفر بها اى بهذه الثلاثة هؤلاء
يعني قريشا فقد وكلنا بها اى بمراعاتها قوما ليسوا بها بكافرين
وهم الانبياء المذكورون ومتابعوهم وقيل هم الانصار واصحاب
النبي او كل من امن به او الفرس وقيل الملائكة اولئك الذين هدى
الله يريد الانبياء المتقدم ذكرهم فبهداهم اقتده فاختص
طريقتهم بالاقتداء والمراد بهداهم ما توافقوا عليه من التوحيد
واصول الدين دون الفروع المختلف فيها فانها ليست هدى مضافا
الى الكل ولا يمكن التأسي بهم جميعا فليس فيه دليل على انه عليه
الصلوة والسلام متعبد بشرع من قبله والهاء في اقتده للوقف
ومن اثبتها في الدرج ساكنة كابن كثير ونافع وابو عمرو و
عاصم بخلف يجري الوصل مجرى الوقف واشبعها ابن عامر على
انها كناية المصدر قل لا اسألكم عليه اى على التبليغ او القرآن

اجرا جعلا من جهتكم كما لم يسئل من قبلى من النبيين وهذا
من جملة ما امر بالاقتداء بهم فيه ان هو الا تذكير او عظة لهم وما قدروا
الله حق قدره اى وما عرفوه حق معرفته فى الرحمة والانعام
على العباد اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شئ حين انكروا
الوحى وبعث الرسل وذلك من عظائم رحمته وجلائل نعمته او
فى التخطئة على الكفار وشدة البطش بهم حين جسروا على
هذه المقالة والقائلون هم اليهود قالوا ذلك مبالغة فى انكار
انزال القران بدليل نقض كلامهم والزامهم بقوله قل من انزل
الكتاب الذى جاء به موسى نورا وهدى للناس وقراءة الجهور
تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا بالتاء وانما قراء
بالياء ابن كثير وابو عمرو حملا على قالوا وما قدروا الله وتضمين
ذلك توبيخهم على سوء جهلهم للتوراة وذمهم على بخلهم بها
بابداء بعض التى يخبؤه وكتبوه فى ورقات متفرقة واخفاء
بعض لا يشتهونه روى ان مالك بن الصيف قاله لما اغضبه
الرسول صلى الله عليه وسلم انشدك بالله الذى انزل التوراة
على موسى هل تجد فيها ان الله يبغض الحبر السمين فانت الحبر
السمين وقيل هم المشركون والزامهم بانزال التوراة لانه كان
من المشهورات الزائعة عندهم ولذلك كانوا يقولون لو انا
انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم وعلمتم على لسان محمد
ما لم تعلموا انتم ولا آباؤكم زيادة على ما فى التوراة وبيانا
لما التبس عليكم وعلى اباءكم الذين كانوا اعلم منكم ونظيره
قوله ان هذا القران يقص على بنى اسرائيل اكثر الذى هم فيه
يختلفون وقيل الخطاب لمن آمن من قريش قل الله اى انزله
الله او الله انزله امره بان يجيب اشعارا بان الجواب متعين

لا يمكن غيره وتبكيتا على انهم بهتوا بحيث لا يقدرون على الجواب
ثم ذرهم فى خوضهم فى اباطيلهم فلا عليك بعد التبليغ والزام
الحجة يلعبون حال من هم الاول او الظرف صلة ذرهم او هو
يلعبون او حال من المفعول او الفاعل يلعبون او من هم فى
الثانى والظرف متصل بالاول وهذا كتاب انزلناه مبارك
كثير الفائدة والنفع مصدق الذى بين يديه التورية او الكتب
التى قبله ولتنذر ام القرى عطف على ما دل عليه مبارك اى
للبركات ولتنذر او علة محذوف اى ولتنذر ام القرى
انزلناه وانما سميت مكة بذلك لانها قبلة اهل القرى ومجتمعهم
ومجتمعهم واعظم القرى شانا وقيل لان الارض دحيت من
تحتها او لانها امكان اول بيت وضع للناس وقراء ابو بكر عن عاصم
بالياء اى لينذر الكتاب ومن حولها اهل الشرق والغرب هم
والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم على صلوتهم يحافظون
فان من صدق بالآخرة خاف العاقبة ولان الخوف يحمله على
النظر والتدبر حتى يؤمن بالنبى او الكتاب والضمير يحتملهما او
يحافظ على الطاعة وتخصيص الصلوة لانها عماد الدين وعلم الايمان
ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا فزعم انه بعثه نبيا كمسيلمة
والاسود العنسى او اختلق عليه احكاما كعمرو بن لحى ومنا
بعيه او قال اوحى الى ولم يوح اليه شئ كعبد الله بن سعد بن
ابى سرح كان يكتب لرسول الله ﷺ فلما نزلت ولقد خلقنا
الانسان من سلالة من طين فلما بلغ قوله ثم انشاناه خلقا
اخر قال عبد الله تبارك الله احسن الخالقين تعجبا من تفصيل
خلق الانسان فقال صلى الله عليه وسلم اكتبها فكذلك نزلت
فشك عبد الله وقال لئن كان محمد صادقا لقد اوحى الى كما
اوحى اليه ولئن كان كاذبا لقد قلت كما قال ومن قال سانزل

مثل ما انزل الله كالذين قالوا انشاء لقلنا مثل هذا ولو ترى
اذ الظالمون حذف مفعوله لدلالة الظرف عليه اى ولو
ترى الظالمون فى غمرات الموت شدائده من غمره الماء
اذا غشيه والملائكة باسطوا ايديهم بقبض ارواحهم
كالمتقاضى الملظ او بالعذاب اخرجوا انفسكم اى يقولون
لهم اخرجوها الينا من اجسادكم تغليظا وتعنيفا عليهم ه
او اخرجوها من العذاب وخلصوها من ايدينا اليوم يريد
به وقت الاماتة او الوقت الممتد من الاماتة الى ما لا نهاية
له تجزون عذاب الهون اى الهوان يريد العذاب المقترن
لشدة واهانة واضافته الى الهوان لعراقته وتمكنه فيه بما كنتم
تقولون على الله غير الحق كادعاء الولد والشريك له و ه
دعوى النبوة والوحى كاذبا وكنتم عن آياته تستكبرون ه
فلا تتأملون فيها ولا تؤمنون ولقد جئتمونا للحساب
والجزاء فرادى منفردين عن الاموال والاولاد وسائر ما آثرتموه
من الدنيا او عن الاعوان والاوثان التى زعمتم انها شفعاء
وكم وهو جمع فرد والالف للتانيث كمسالى وقرئ فراداه
كرخال وفراد كثلاث وفرادا كمسرى كما خلقناكم اول مرة
بدل منه اى على الهيئة التى ولدتم عليها فى الانفراد او حال ثانية
ان جوز التعدد فيها او حال من الضمير فى فرادى اى مشبهين
ابتداء خلقكم حفاة غرلا بهما او صفة مصدر جئتمونا اى
مجيئا كخلقناكم وتركتم ملحوظ لنا كم ما تفضلنا به عليكم فى ه
الدنيا فشغلتم به عن الآخرة وراء ظهوركم ما قدمتموه منه
شيئا ولم تحتملوا نقيرا وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم
انهم فيكم شركاء اى شركاء الله فى ربوبيتكم واستحقاق عبادتكم
لقد تقطع بينكم اى تقطع وصلكم وتشتت جمعكم والبين

من الاضداد يستعمل للوصل والفصل وقيل هو الظرف اسند اليه
الفعل على الاتساع والمعنى وقع التقطع بينكم ويشهد له قراءة ه
نافع والكسائى وحفص عن عاصم بالنصب على اضمار الفاعل
لدلالة ما قبله عليه او اقيم مقام موصوفه واصله لقد تقطع
ما بينكم وقد قرئ به وضل عنكم ضاع وبطل ما كنتم تزعمون ه
انها شفعاءكم او ان لا بعث ولا جزاء ان الله فالق الحب والنوى
بالنبات والشجر وقيل المراد به الشقاق الذى فى الحنطة والنواة
يخرج الحى يريد به ما ينمو من الحيوانات والنبات ليطابق ما
قبله من الميت مما لا ينمو كالنطف والحب ومخرج الميت من الحى وه
يخرج ذلك من الحيوانات والنبات ذكره بلفظ الاسم حملا على فالق
الحب فان قوله يخرج الحى واقع موقع البيان له ذلكم الله اى ذلكم
المحيى المميت هو الله الذى تحق له العبادة فانى تؤفكون ه
تصرفون عنه الى غيره فالق الاصباح شاق عمود الصبح عن
ظلمة الليل او عن بياض النهار او شاق ظلمة الاصباح وهو ه
الغبش الذى يليه والاصباح فى الاصل مصدر اصبح اذا دخل فى
الصبح سمى به الصبح وقرئ بفتح الهمزة على الجمع وقرئ ه
فالق بالنصب على المدح وجاعل الليل سكنا يسكن اليه التعب
بالنهار لاستراحته فيه من سكن اليه اذا اطمأن اليه استئنا
به او يسكن الخلق فيه من قوله لتسكنوا فيه ونصبه بفعل دل
عليه جاعل لانه فانه فى معنى الماضى ويدل عليه قراءة الكو
وجعل الليل حملا على معنى المعطوف عليه فان فالق بمعنى فلق
ولذلك قرئ به او به على ان المراد منه جعل مستمر فى الازمنة
المختلفة وعلى هذا يجوز ان يكون والشمس والقمر عطفا
على محل الليل ويشهد له قراءتهما بالجر والاحسن نصبهما ه
بجعل مقدر او قرأ تابالرفع على الابتداء والخبر محذوف اى

سا

فيتون

يجعلوا ان حسبانا اى على ادوار مختلفة يحسب بها الاوقات
ويكون علمى الحسبان وهو مصدر حسب بالفتح كما ان الحسبان
بالكسر مصدر حسب وقيل جمع حسبان كشهاب وشهبان ذلك
اشارة الى جعلهما حسبانا اى ذلك التسيير بالحساب المعلوم
تقدير العزيز الذى قهرهما وسيرهما على الوجه المخصوص
العليم بتدبيرهما والانفع من التداوير الممكنة لهما وهو الذى
جعل لكم النجوم خلقها لكم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر
فى ظلمات الليل فى البر والبحر واضافتها اليهما للملابسة او
فى مشتبهات الطرق وسماها ظلمات على الاستعارة وهو
افراد لبعض منافعها بالذكر بعد ما اجملها بقوله لكم قد فصلنا
الآيات بيناها فصلا فصلا لقوم يعلمون فانهم المنتفعون
بها وهو الذى انشاكم من نفس واحدة هو آدم فمستقر وهو
مستودع فلكم استقر فى الاصلاب او فوق الارض واستيداع
فى الارحام او تحت الارض او موضع استقرار واستيداع
وقراء ابن كثير والبصريان بكسر القاف على انه اسم الفاعل و
المستودع مفعول اى منكم قار ومستودع لان الاستقرار منا
دون الاستيداع قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون ذكر مع
ذكر النجوم يعلمون لان امرها ظاهر ومع ذكر تخليق بنى آدم
يفقهون لان انشاءهم من نفس واحدة وتصريفهم باين
احوال مختلفة دقيق غامض محتاج الى استعمال فطنة وتدقيق
نظر وهو الذى انزل من السماء ماء من السحاب اى من جانب
السماء فاخرجنا على تلوين الخطاب به بالماء نبات كل شئ نبت
كل صنف من النبات والمعنى اظهار القدرة فى انبات الانواع
المفتنة بماء واحد كما فى قوله يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على
بعض فى الاكل فاخرجنا منه من النبات او الماء خضرا شيئا اخضر

يقال اخضر كاعور وعوراء وهو الخارج من الحبة المتشعب
نخرج منه من الخضر حبا متراكبا وهو السنبل ومن النخل من
طلعها قنوان اى واخرجنا من النخل نخلا من طلعها قنوان
او من النخل شئ من طلعها قنوان ويجوز ان يكون من النخل
خبر قنوان ومن طلعها بدل منه والمعنى وحاصله من هو
طلع النخل قنوان وهو الاغراق جمع قنو كصنوان جمع صنو
وقرئ بضم القاف كذئب وذؤبان وبفتحها على انه اسم
جمع اذ ليس فعلان من ابنية الجمع دانية قريبة من المتناول
او ملتفة قريب بعضها من بعض وانما اقتصر على ذكرها
عن مقابلها لدلالتها عليه وزيادة النعمة فيها وجنات من
اعناب عطف على نبات كل شئ وقرئ بالرفع على الابتداء
اى ولكم اى او ثم او ومن الكرم جنات ولا يجوز عطفه هو
قنوان اذ العنب لا يخرج من النخل والزيتون والرمان
ايضا عطف على نبات او نصب على الاختصاص لغرة هذين
الصنفين عندهم مشتبها وغير متشابه حال من الرمان او
من الجمع اى بعض ذلك متشابه وبعضه غير متشابه فى
الهيئة والقدر واللون والطعم انظروا الى ثمره الى ثمر كل وا
حد من ذلك وقرأ حمزة والكسائى بضم الثاء كخشب وهو جمع
ثمره كخشبة او ثمار كالكتاب وكتب اذا اثمر اذا اخرج ثمره
ثمره كيف يثمر ضعيفا لا يكاد ينتفع به ويتبعه الى حال نضجه او
الى نضجه كيف يعود صحيحا ذا نفع ولذة وهو فى الاصل مصدر
ينعت الثمرة اذا ادركت وقيل جمع يانع كتاجر وتجر وقرئ
بالضم وهو لغة فيه ويانعه ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون
اى الآيات دالة على وجود القادر الحكيم وتوحيده فان ه
حدوث الاجناس المختلفة والانواع المفتنة من اصل واحد

ونقلها من حال الى حال لايكون الا باحداث قادر يعلم هـ
تفصيلها ويرجح ما يقتضيه حكمته مما يمكن من احوالها ولا
يعوقه عن فعله ند يعارضه او ضد يعانده ولذلك عقبه هـ
بتوبيخ من اشرك به والرد عليه فقال وجعلوا لله شركاء
الجن اى الملائكة بان عبدوهم وقالوا الملائكة بنات الله
وسماهم جنا لاجتنانهم تحقيرا لشانهم او الشياطين لانهم
اطاعوهم كما يطاع الله او عبدوا الاوثان بتسويلهم و
تحريضهم او قالوا الله خالق الخير وكل نافع والشيطان
خالق الشر وكل ضار كما هو راى الثنوية ومفعولا جعل
لله شركاء والجن بدل منه او شركاء الجن ولله متعلق بشركاء
او حال منه وقرئ الجن بالرفع كانه قيل من هم فقيل الجن
وبالجر على الاضافة للتبيين وخلقهم حال بتقدير قد او للعطف
وقد علموا ان الله خالقهم دون الجن فليس من يخلق كمن
لا يخلق وقرئ وخلقهم عطفا على الجن اى وما يخلقون
من الاصنام او على شركاء اى وجعلوا له اختلاقهم الافك
حيث نسبوه اليه وخرقوا له افتعلوا واختلقوا له وقرأ هـ
نافع بتشديد الراء للتكثير وقرئ وحرفوا اى وزوروا له
بنين وبنات فقالت اليهود عزير بن الله وقالت النصارى
المسيح بن الله وقالت العرب الملائكة بنات الله بغير علم من
غير ان يعلموا حقيقة ما قالوا ويروا عليه دليلا وهو في موضع
الحال من الواو والمصدر اى خرقا بغير علم سبحانه وتعالى عما
يصفون وهو ان له ولدا او شريكا بديع السموات والارض
من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها او الى الظرف كقولهم هـ
ثبت العذر بمعنى انه قديم النظير فيهما وقيل معناه المبدع
وقد سبق الكلام فيه ورفعه على الخبر والمبتدا محذوف او

على الابتداء والخبر انى يكون له ولد اى من اين او كيف هـ
يكون له ولد ولم تكن له صاحبة يكون منها الولد وقرئ
بالياء للفصل او لان الاسم ضمير الله او ضمير الشان وهـ
خلق كل شيء وهو بكل شيء عليم لا يخفى عليه خافية وانما
لم يقل به لتطرق التخصيص الى الاول وفي الآية استدلا ل
على نفي الولد من وجوه الاول ان من مبتدعاته السموات
والارض وهي مع انها من جنس ما يوصف بالولادة مبرءة
عنها لاستمرارها وطول مدتها فهو اولى بان يتعالى عنها
والثاني ان المعقول من الولد ما يتولد من ذكر وانثى هـ
متجانسين والله منزه عن المجانسة والثالث الولد هـ
كفء الوالد ولا كفء له لوجهين الاول ان كل ما عداه مخلوقه
فلا يكافيه والثاني انه لذاته عالم بكل المعلومات ولا كذلك
غيره بالاجماع ذلكم اشارة الى الموصوف بما سبق من الصفات
وهو مبتدا الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء اخبار متتا
دفة ويجوز ان يكون البعض بدلا او صفة والبعض خبرا
فاعبدوه حكم مسبب عن مضمونها فان من استجمع هذه
الصفات استحق العبادة وهو على كل شيء وكيل اى هو مع
تلك الصفات متولي امركم فكلوها اليه وتوسلوا بعبا دته
الى النجاح مآربكم ورقيب على اعمالكم فيجازيكم عليها هـ
لا تدركه اى لا تحيط به الابصار جمع بصر وهو حاسة هـ
النظر وقد يقال للعين من حيث انها محلها واستدل به المعتز لة
على امتناع الرؤية وهو ضعيف اذ ليس الادراك مطلقا هـ
الرؤية ولا النفي عاما في الاوقات فلعله مخصوص ببعض
الحالات ولا في الاشخاص فانه في قوة قولنا لا كل بصر يدركه
مع ان النفي لا يوجب الامتناع وهو يدرك الابصار يحيط

علمه بها وهو اللطيف الخبير فيدرك ما لا تدركه الابصار
كالابصار ويجوز ان يكون من باب اللف اى لا تدركه
الابصار لانه اللطيف وهو يدرك الابصار لانه الخبير
فيكون اللطيف مستعارا من مقابل الكثيف لما لا تدركه الحاسة
ولا ينصبغ فيها قد جاءكم بصائر من ربكم البصائر جمع
بصيرة وهى للنفس كالبصر للبدن سميت الدلالة بها لانها
تجلى لها الحق وتبصرها فمن ابصر اى ابصر الحق وآمن به
فلنفسه ابصر لان نفعه لها ومن عمى عن الحق وضل فعليها
وباله وما انا عليكم بحفيظ وانما انا منذر والله هو الحفيظ
عليكم يحفظ اعمالكم ويجازيكم عليها وهذا كلام ورد على
لسان الرسول عليه السلام وكذلك نصرف الآيات ومثل ذلك التصريف
نصرف وهو اجراء المعنى الواحد فى المعانى المتعاقبة من الصرف
وهو انقل الشىء من حال الى حال وليقولوا درست اى وهو
ليقولوا درست صرفنا واللام لام العاقبة والدرس القراءة
والتعلم وقرأ ابن كثير وابو عمرو دارست اهل الكتاب وذاكرتهم
وابن عامر ويعقوب درست من الدرس اى قدمت هذه
الآيات وعفت كقولهم اساطير الاولين وقيل دَرُست بفتح
الراء مبالغة فى درست ودرست على البناء للمفعول بمعنى
قرئت او عفيت ودارَست بمعنى دارستَ او دارستِ
اليهود محمدا وجاز اضمارهم بلا ذكر لشهرتهم بالدراسة و
درسن اى عفون ودرس اى درس محمد ودارسات اى
قديمات او ذات درس كقوله عيشة راضية ولنبينه اللام
على اصله لان التبيين مقصود التصريف والضمير للآيات
باعتبار المعنى او للقرآن وان لم يذكر لكونه معلوما او للمصدر
لقوم يعلمون فانهم المنتفعون به اتبع ما اوحى اليك من ربك

بالتدين به لا اله الا هو اعتراض اكد به ايجاب الاتباع او
حال مؤكدة من ربك بمعنى منفردا فى الالوهية واعرض عن
المشركين ولا تحتفل باقوالهم ولا تلتفت الى ارائهم ومن
جعله منسوخا بآية السيف حمل الاعراض على ما يعم كف هم
الاعراض عنهم ولو شاء الله توحيدهم وعدم اشراكهم هم
ما اشركوا وهو دليل على انه تعالى لا يريد ايمان الكافر وان مراده
واجب الوقوع وما جعلناك عليهم حفيظا رقيبا وما انت
عليهم بوكيل تقوم بامورهم ولا تسبوا الذين يدعون من
دون الله اى ولا تذكروا آلهتهم التى يعبدونها بما فيها من
القبايح فيسبوا الله عدوا تجاوزا عن الحق الى الباطل بغير علم
على جهالة بالله وبما يجب ان يذكر به وقرأ يعقوب عدوا بالضم
فلان عدا وعدو وعداء وعدوانا روى انهم كانوا يطعنون
فى الهتهم فقالوا لتنتهين عن سب الهتنا او لنهجون الهك
فنزلت وقيل كان المسلمون يسبونها فنهوا لئلا يكون سبهم
سببا لسب الله تعالى وفيه دليل على ان الطاعة اذا ادت الى معصية
راجحة وجب تركها فان ما يؤدى الى الشر شر كذلك زينا
لكل امة عملهم من الخير والشر بالحدثان ما يمكنهم منه ويحملهم
عليه توفيقا وتخذيلا ويجوز تخصيص العمل بالشر وكل امة
بالكفرة لان الكلام فيهم والمشبه به تزيين سب الله لهم ثم هم
الى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون بالمحاسبة والمجازاة
عليه واقسموا بالله جهد ايمانهم مصدر فى موقع الحال والداعى
الى هذا القسم والتاكيد فيه التحكم على الرسول فى طلب الآيات
واستحقار ما رأوا منها لئن جاءتهم آية من مقترحاتهم ليؤمنن
بها قل انما الآيات عند الله هو القادر عليها يظهر منها ما
يشاء وليس شىء منها بقدرتى وارادتى وما يشعركم وما

يدريكم استفهام انكار انها اى الآية المقترحة اذا جاءت لا يؤمنون اى لا تدرون انتم لا يؤمنون انكر السبب مبالغة فى نفى المسبب وفيه تنبيه على انه انما لم يتن لهما العلم بانها اذا جاءت لا يؤمنون بها وقيل لامن يدة وقيل ان بمعنى لعل اذ قرئ لعلها وقراء ابن عامر وابن كثير وابو عمرو وابو بكر عن عاصم ويعقوب انها بالكسر كانه قال وما يشعركم ما يكون منهم ثم اخبر عنهم بما علم منهم والخطاب للمؤمنين اى فانهم يتمنون مجئ الآية طمعا فى ايمانهم فنزلت وقيل للمشركين اذ قراء ابن عامر وحمزة لا تؤمنون بالتاء وقرئ وما يشعرهم انها اذا جاءت تم فيكون انكارا لهم على حلفهم اى وما يشعرهم ان قلوبهم حين لم تكن مطبوعة كما كانت عند نزول القران وغيره من الايات فيؤمنون بها ونقلب افئدتهم وابصارهم عطف على لا يؤمنون اى وما يشعركم اناحن نقلب افئدتهم عن الحق فلا يفقهونه وابصارهم فلا يبصرونه فلا يؤمنون بها كما لم يؤمنوا به اى بما انزل من الايات اول مرة ونذرهم فى طغيانهم يعمهون ونذعوهم متحيرين لا نهديهم هداية المؤمنين وقرئ ويقلب ويذر على الغيبة وتقلب على البناء للمفعول والاسناد الى الافئدة ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شئ قبلا كما اقترحوا فقالوا لولا انزل علينا الملائكة فاتوا بابائنا او ائت بالله والملائكة قبيلا وقبل جمع قبيل بمعنى كفيل اى كفلا بما بشروا به وانذروا او جميع قبيل الذى هو جمع قبيلة بمعنى جماعات او مصدر بمعنى مقابلة كقبلا وهو قراءة نافع وابن عامر وهو على الوجوه حال من كل وانما جاز ذلك لعمومه ما كانوا ليؤمنوا لما سبق عليهم القضاء بالكفر الا ان يشاء الله استثناء من اعم الاحوال

اى لا يؤمنون فى حال الاحوال مشيئة الله تعالى ايمانهم وقيل هو منقطع وهو حجة واضحة على المعتزلة ولكن اكثرهم يجهلون انهم لو اتوا بكل آية لم يؤمنوا فيقسمون بالله جهد ايمانهم على ما لا يشعرون ولذلك اسند الجهل الى اكثرهم مع ان مطلق الجهل يعمهم او ولكن اكثر المسلمين يجهلون انهم لا يؤمنون فيتمنون نزول الآية طمعا فى ايمانهم وهم كذلك جعلنا لكل نبى عدوا اى كما جعلنا لكل نبى سبقك عدوا وهو دليل على ان عداوة الكفار للانبياء بفعل الله وخلقه شياطين الانس والجن بدل من عدوا او اول مفعولى جعلنا وعدوا مفعوله الثانى ولكل متعلق به او حال منه يوحى بعضهم الى بعض يوسوس شياطين الجن الى شياطين الانس او بعض الجن الى بعض وبعض الانس الى بعض زخرف القول الاباطيل المموهة من زخرفت اذا زينته غرورا مفعول له او مصدر فى موقع الحال ولو شاء ربك ايمانهم ما فعلوه اى ما فعلوا ذلك يعنى معاداة الانبياء وايحاء الزخارف ويجوز ان يكون الضمير للايحاء او الزخرف او الغرور وهو ايضا دليل على المعتزلة فذرهم وما يفترون وكفرهم ولتصغى اليه افئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة عطف على غرورا ان جعل علة او متعلق بمحذوف اى وليكون ذلك جعلنا لكل نبى عدوا والمعتزلة لما اضطروا فيه قالوا اللام لام العاقبة او لام القسم كسرت لما لم يؤكد الفعل بالنون او لام الامر وضعفه اظهر والصغو الميل والضمير لما له فى فعلوه وليرضوه لانفسهم وليقترفوا وليكتسبوا ما هم مقترفون من الاثام افغير الله ابتغى حكما على ارادة القول اى قل لهم يا محمد افغير الله اطلب من يحكم بينى وبينكم ويفصل المحق منا من المبطل وغير مفعول

ابتغى وحكما حال منه ويحتمل عكسه وحكما ابلغ من حاكم وهو
لذلك لم يوصف به غير العادل وهو الذى انزل اليكم الكتاب
القران المعجز مفصلا مبينا فيه الحق والباطل بحيث ينتفى التخليط
والالتباس وفيه تنبيه على ان القران باعجازه وتقريره مغن
عن سائر الآيات والذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل
من ربك بالحق تاييد لدلالة الاعجاز على ان القران حق منزل
من عند الله بعلم اهل الكتاب به لتصديقه ماعندهم مع انه
عليه الصلوة والسلام لم يمارس كتبهم ولم يخالط علماءهم وانما وصف جميعهم بالعلم لان اكثرهم يعلمون ومن
لم يعلم فهو متمكن منه بادنى تامل وقيل المراد منه مؤمنوا
اهل الكتاب وقراء ابن عامر وحفص عن عاصم منزل هو
بالتشديد فلا تكونن من الممترين فى انهم يعلمون ذلك
او فى انه منزل بجحود اكثرهم وكفرهم به فيكون من باب
التهييج كقوله ولا تكونن من المشركين او خطاب الرسول
لخطاب الامة وقيل الخطاب لكل واحد على معنى ان الادلة
لما تعاضدت على صحته فلا ينبغى لاحد ان يمترى فيه وتمت
كلمة ربك بلغت الغاية اخباره واحكامه ومواعده صدقا فى
الاخبار والمواعد وعدلا فى الاقضية والاحكام ونصبهما يحتمل
التمييز والحال والمفعول له لا مبدل لكلماته لا احد يبدل شيئا
منها بما هو اصدق او اعدل او لا احد يقدر ان يحرفها شانها
ذانها كما فعل بالتوراة على ان المراد بها القران فيكون ضمانا
لها من الله كما بالحفظ كقوله وانا له لحافظون او لا نبى ولا
كتاب بعدها ينسخها ويبدل احكامها وقراء الكوفيون و
يعقوب كلمة ربك اى ما تكلم به او القران وهو السميع لما
يقولون العليم بما يضمرونه فلا يمهلهم وان تطع اكثر من

فى الارض اى اكثر الناس يريد الكفار او الجهال او اتباعه
الهوى وقيل الارض ارض مكة يضلوك عن سبيل الله
عن الطريق الموصل اليه فان الضال فى غالب الامر لا يا
الا بما فيه ضلال ان يتبعون الا الظن وهو ظنهم ان ه
اباءهم كانوا على الحق او حبهم لاتباعهم واراؤهم الفاسدة
فان الظن يطلق على ما يقابل العلم وان هم الا يخرصون
يكذبون على الله فيما ينسبون اليه كاتخاذ الولد وجعله
عبادة الاوثان وصلة اليه وتحليل الميتة وتحريم البحائر
او يقدرون انهم على شىء وحقيقته ما يقال عن ظن وه
تخمين ان ربك هو اعلم من يضل عن سبيله وهو اعلم
بالمهتدين اى اعلم بالفريقين ومن موصولة او موصوفة
فى محل النصب بفعل دل عليه اعلم لا به فان افعل لا ينصب
الظاهر فى مثل ذلك او استفهامية مرفوعة بالابتداء و
الخبر يضل والجملة معلق عنها الفعل المقدر وقرئ من ه
يضل اى يضله الله فيكون من منصوبة بالفعل المقدر او
مجرورة باضافة اعلم اليه اى اعلم المضلين من قوله من
يضلل الله او من اضللته اذا وجدته ضالا والتفضيل فى العلم
بكثرته واحاطته بالوجوه التى يمكن تعلق العلم بها ولزو
وكونه بالذات لا بالغير فكلوا مما ذكر اسم الله عليه مسبب
عن انكار اتباع المضلين الذين يحرمون الحلال ويحلون الحرام
والمعنى كلوا مما ذكر اسم الله على ذبحه لا مما ذكر عليه اسم ه
غيره او مات حتف انفه ان كنتم بآياته مؤمنين فان الايمان
بها يقتضى استباحة ما احله الله واجتناب ما حرمه وما
لكم الا تاكلوا ذكر اسم الله عليه واى غرض لكم فى ان تتخرجوا
عن اكله وما يمنعكم عنه وقد فصل لكم ما حرم عليكم مما لم يحرم

بقوله حرمت عليكم الميتة وقراء ابن كثير وابو عمرو وابن عامر
فصل على البناء للمفعول ونافع ويعقوب وحفص حرم على
البناء للفاعل الا ما اضطررتم اليه مما حرم عليكم فانه ايضا حلال
حال الضرورة وان كثيرا ليضلون بتحليل الحرام وتحريم
الحلال قراء الكوفيون بضم الياء والباقون بفتحها باهوائهم
بغير علم يتشهونه من غير تعلق بدليل يفيد العلم ان ربك هو
اعلم بالمعتدين المتجاوزين الحق الى الباطل والحلال الى الحرام
وذروا ظاهر الاثم وباطنه ما يعلن وما يسر او ما بالجوارح
وما بالقلب وقيل الزنا في الجوانب واتخاذ الاخدان ان
الذين يكسبون الاثم سيجزون بما كانوا يقترفون يكسبون
ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه ظاهر في تحريم متروك
التسمية عمدا ونسيانا واليه ذهب داود وعن احمد مثله و
قال مالك والشافعي بخلافه لقوله عليه الصلوة والسلام ذبيحة
المسلم حلال وان لم يذكر اسم الله عليه وفرق ابو حنيفة بين
العمد والنسيان واوله بالميتة او بما ذكر غير اسم الله عليه وانه
لفسق فان الفسق ما اهل لغير الله به والضمير لما ويجوز ان يكون
للاكل الذي دل عليه لا تاكلوا وان الشياطين ليوحون ليوسوسون
الى اوليائهم من الكفار ليجادلوكم بقولهم تاكلون ما قتلتم
انتم وجوارحكم وتدعون ما قتله الله وهو يؤيد التاويل
بالميتة وان اطعتموهم في استحلال ما حرم انكم لمشركون فان
من ترك طاعة الله الى طاعة غيره واتبعه في دينه فقد اشرك به
وانما حسن حذف الفاء فيه لان الشرط بلفظ الماضي او من كان
ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس مثله من
هداه الله وانقذه من النار وجعل له نور الحجج والايات يتامل
بها في الاشياء فيميز بين الحق والباطل والمحق والمبطل وقراء

نافع

نافع مبتدا على الاصل كمن مثله صفته وهو مبتدا خبره في الظلمات
وقوله ليس بخارج منها حال من المستكن في الظرف لا من الهاء
ومثله للفصل وهو مثل لمن بقي في الضلالة لا يفارقها بحال كذلك
كما زين للمؤمنين ايمانهم زين للكافرين ما كانوا يعملون والآية
نزلت في حمزة وابو جهل وقيل في عمار وابو جهل وكذلك
جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها اي كما جعلنا في
مكة اكابر مجرميها ليمكروا فيها جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها
ليمكروا فيها وجعلنا بمعنى صيرنا ومفعولاه اكابر مجرميها على
تقديم المفعول الثاني او في كل قرية اكابر ومجرميها بدل ويجوز
ان يكون مضافا اليه ان فسر الجعل بالتمكين وافعل التفضيل
اذا اضيف جاز فيه الافراد والمطابقة ولذلك قرئ اكبر مجرميها
وتخصيص الاكابر لانهم اقوى على استتباع الناس والمكر بهم
وما يمكرون الا بانفسهم لان وبال يحيق بهم وما يشعرون ذلك
واذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل
الله يعني كفار قريش لما روي ان ابا جهل قال تنازعنا بنو عبد
مناف حتى اذا صرنا كفرسي رهان قالوا منا نبي يوحى اليه
والله لا نرضى به الا ان ياتينا وحي كما ياتيه فنزلت الله اعلم
حيث يجعل رسالاته استيناف للرد عليهم بان النبوة
ليست بالنسب والمال وانما هي بفضائل نفسانية يخص الله
بها من يشاء من عباده يجتبي لرسالته من علم انه يصلح لها
وهو اعلم بالمكان الذي فيه يضعها وقراء ابن كثير وحفص
عن عاصم رسالته سيصيب الذين اجرموا صغار ذل وحقا
بعد كبرهم عند الله يوم القيمة وقيل تقديره من عند الله وعذاب
شديد بما كانوا يمكرون بسبب مكرهم او جزاء على مكرهم
فمن يرد الله ان يهديه يعرفه طريق الحق ويوفقه للايمان

يشرح صدره للاسلام فيتسع وينفسح فيه مجاله وهو كناية
عن جعل النفس قابلة للحق مهيأة لحلوله فيها مصفاة عما
يمنعه وينافيه واليه اشار عليه الصلوة والسلام حين سئل
عنه فقال نور يقذفه الله في قلب المؤمن فينشرح له ويسر
ينفسح فقالوا هل لذلك امارة يعرف بها قال نعم الانابة الى
دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل
نزوله ومن يرد الله ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا
بحيث ينبو عن قبول الحق فلا يدخله الايمان وقراء ابن كثير ضيقا
بالتخفيف ونافع وابو بكر عن عاصم حرجا بالكسر اى شديد
الضيق والباقون بالفتح وضيقا بالمصدر كأنما يصعد في السماء
تشبيه مبالغة في ضيق صدره بمن يزاول بما لا يقدر عليه فان
صعود السماء مثل فيما يبعد عن الاستطاعة ونبه به على ان الايمان
يمتنع منه كما يمتنع عليه الصعود وقيل معناه يتصاعد الى السماء تبرما
عن الحق وتباعدا في الهرب منه واصل يصعد يتصعد وقد قرئ به
وقراء ابن كثير يصعد وابو بكر عن عاصم يصاعد بمعنى يتصاعد
كذلك اى كما يضيق صدره ويبعد قلبه عن الحق يجعل الله
الرجس على الذين لا يؤمنون يجعل الله العذاب او الخذلان
عليهم فوضع الظاهر موضع المضمر للتعليل وهذا اشارة الى البيان
الذي جاء به القران او الى الاسلام او الى ما تسبق من التوفيق
والخذلان صراط ربك الطريق الذي ارتضاه وعادته وهم
طريقه الذي اقتضته الحكمة مستقيما لا عوج فيه او عادل لا مظلم
او هو حال مؤكدة كقوله وهو الحق مصدقا او مفيدة والعامل
فيها معنى الاشارة قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون فيعملون
ان القادر هو الله وان كل ما يحدث من خير او شر فهو
بقضائه وخلقه فانه عالم باحوال العباد حكيم عادل فيما يفعل

بهم لهم دار السلام دار الله اضاف الجنة الى نفسه تعظيما لها
او دار السلامة من المكاره او دار تحيتهم فيها سلام عند
ربهم في ضمانه او ذخيرة لهم عنده لا يعلم كنهها غيره
وهو وليهم مواليهم او ناصرهم بما كانوا يعملون بسبب
اعمالهم او متولي امورهم بجزائها فيتولى ايصاله اليهم ويوم
نحشرهم جميعا نصب باضمار اذكر او نقول والضمير لمن
يحشر من الثقلين وقراء حفص عن عاصم وروح عن
يعقوب بالياء يا معشر الجن يعني الشياطين قد استكثرتم
من الانس اى من اغوائهم واضلالهم او منهم بان جعلتموهم
اتباعكم فحشرا معكم كقولهم استكثر الامير من الجنود وقال
اولياؤهم من الانس الذين اطاعوهم ربنا استمتع بعضنا
ببعض اى انتفع الانس بالجن بان دلوهم على الشهوات وما
يتوصل به اليها والجن بالانس بان اطاعوهم وحصلوا
مرادهم وقيل استمتاع الانس بهم انهم كانوا يعوذون
بهم في المفاوز وعند المخاوف واستمتاعهم بالانس
اعترافهم بانهم يقدرون على اجارتهم وبلغنا اجلنا
الذي اجلت لنا اى يوم البعث وهو اعتراف بما فعلوا
من طاعة الشيطان واتباع الهوى وتكذيب البعث وتحسر
على حالهم قال النار مثواكم مقركم او ذات مثواكم خالدين
فيها حال والعامل فيها مثواكم ان جعل مصدرا ومعنى الاضافة
ان جعل مكانا الا ما شاء الله الا الاوقات التي تنقلون فيها
من النار الى الزمهرير وقيل الا ما شاء قبل الدخول كانه
قيل النار مثواكم ابدا الا ما امهلكم ان ربك حكيم في افعاله
عليم باعمال الثقلين واحوالهم وكذلك نولي بعض الظالمين
بعضا نكل بعضهم الى بعض او نجعل بعضهم يتولى بعضا

فيغويهم او اولياء بعضهم وقراء هم في العذاب كما كانوا في الدنيا
بما كانوا يكسبون من الكفر والمعاصي يا معشر الجن والانس ه
الم يأتكم رسل منكم الرسل من الانس خاصة لكن لما جمعوا
في الخطاب مع الجن صح ذلك ونظيره يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان
وهما يخرجان من الملح دون العذب وتعلق بظاهره قوم وقالوا
بعث الى كل من الثقلين رسل من جنسهم وقيل الرسل من الجن
رسل الرسل اليهم لقوله ولوا الى قومهم منذرين يقصون ه
عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا يعني يوم القيمة قالوا
جوابا شهدنا على انفسنا بالجرم والعصيان وهو اعتراف منهم
بالكفر واستيجاب العذاب وغرتهم الحيوة الدنيا وشهدوا
على انفسهم كانوا كافرين ذم لهم على سوء نظرهم وخطاء رايهم
فانهم اغتروا بالحيوة الدنيا واللذات المنخدجة واعرضوا عن
الآخرة بالكلية حتى كان عاقبة امرهم ان اضطروا الى الشهادة
على انفسهم بالكفر والاستسلام للعذاب المخلد تحذير للسامعين
من مثل حالهم ذلك اشارة الى ارسال الرسل وهو خبر مبتدا ه
محذوف اى الامر ذلك ان لم يكن ربك مهلك القرى بظلم ه
واهلها غافلون تعليل للحكم وان مصدرية او مخففة من ه
الثقيلة اى الامر ذلك لانتفاء كون ربك او لان الشان لم يكن
ربك مهلك القرى بسبب ظلم فعلوه او ملتبسين بظلم او ظالما
وهم غافلون لم ينبهوا برسول او بدل من ذلك ولكل من المكلفين
درجات مراتب مما عملوا من اعمالهم او من جزائها
او من اجلها وما ربك بغافل عما يعملون فيخفى عليه عمل او قدر
ما يستحق به من ثواب او عقاب وقراء ابن عامر بالتاء على
تغليب الخطاب على الغيبة وربك الغني عن العبادة والعباد
ذو الرحمة يترحم عليهم بالتكليف تكميلا لهم ويمهلهم على المساءى

وفيه تنبيه على ان ما سبق ذكره من الارسال ليس لنفعه بل
لتحمه على العباد وتاسيس لما بعده وهو قوله ان يشأ يذهبكم
اى ما به اليكم حاجة ان يشأ يذهبكم ايتها العصاة ويستخلف
من بعدكم ما يشاء من الخلق كما انشأكم من ذرية قوم ه
آخرين اى قرنا بعد قرن لكنه ابقاكم ترحما عليكم انما توعدون
من البعث ولحوقه لآت لكائن لا محالة وما انتم بمعجزين
طالبكم به قل يا قوم اعملوا على مكانتكم على غاية تمكنكم واستطاعتكم يقال مكن مكانة اذا تمكن ابلغ التمكن او على ه
ناحيتكم وجهتكم التي انتم عليها من قولهم مكان ومكانة كمقام
ومقامه وقراء ابو بكر مكاناتكم بالجمع في كل القران وهو امر
تهديد والمعنى اثبتوا على كفركم وعداوتكم اني عامل ما انت
عليه من المصابرة والثبات على الاسلام والتهديد بصيغة الا
مر مبالغة في الوعيد كان المهدد يريد تعذيبه مجمعا عليه فيحمله
بالامر على ما يقضي به اليه وتسجيل بان المهدد لآيل منه ه
الا الشر كالمامور به الذي لا يقدر ان ينقضي عنه فسوف تعلمون
من تكون له عاقبة الدار ان جعل من استفهامية بمعنى اينا يكون
له العاقبة الحسنى التي خلق الله لها هذه الدار فحلها الرفع و
فعل العلم معلق عنه وان جعلت خبرية فالنصب بتعلمون
اى سوف تعرفون الذي تكون له العاقبة وفيه مع الانذار
انصاف في المقال وحسن الادب وتنبيه على وثوق المنذر بانه
محق وقراء حمزة والكسائي يكون بالياء لان تانيث العاقبة ه
غير حقيقي انه لا يفلح الظالمون وضع الظالمين موضع الكافرين
لانه اعم واكثر فائدة وجعلوا اى شركوا العرب لله مما ذرأ
خلق من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا
لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله ه

هنكم

عدون

فهو يصل الى شركائهم روى انهم كانوا يعينون شيئا من حرثهم
ونتاج نعمهم ويصرفونه الى الضيفان والمساكين وشيئا منها
لالهتهم وينفقونه على سدنتها ويذبحون عندها فقالوا ان
شاء واما عينوا لله ازكى بذلوه بما لالهتهم وان شاء او اما
لالهتهم ازكى تركوه لها حبا لالهتهم وفى قوله مما ذرأ
تنبيه على فرط جهالتهم فانهم اشركوا الخالق فى خلقه جمادا
لا يقدر على شئ ثم رجعوه عليه بان جعلوا الزاكى له وفى
قوله بزعمهم تنبيه على ان ذلك مما اختلقوه لم يأمرهم
الله به وقرأ الكسائى بالضم فى الموضعين وهو لغة فيه
وقد جاء الكسر فيه كالعدو والعدو والوسائ ما يحكمون حكمهم
هذا وكذلك ومثل ذلك التزيين فى قسمة القربات زين لكثير
من المشركين قتل اولادهم بالوأد ونحوه لالهتهم شركاؤهم
من الجن والسدنة وهو فاعل زين وقرأ ابن عامر زين على
البناء للمفعول الذى هو القتل ونصب الاولاد وجر الشركاء
باضافة القتل اليه مفصولا بينهما بمفعوله وهو ضعيف فى
العربية معدود من ضرورات الشعر كقوله فزججتها بمزجة
زج القلوص ابى مزاده وقرئ بالبناء للمفعول وجر اولادهم
ورفع شركائهم باضمار فعل دل عليه زين ليردوهم ليهلكوهم
بالاغواء وليلبسوا عليهم دينهم وليخلطوا عليهم ما كانوا عليه
من دين اسماعيل او ما وجب عليهم ان يتدينوا به واللام للتعليل
ان كان التزيين من الشياطين وللعاقبة ان كان من السدنة
ولو شاء الله ما فعلوه ما فعل المشركون ما زين لهم او الشركاء
التزيين والفريقان جميعا ذلك فذرهم وما يفترون افتراءهم
او ما يفترونه من الافك وقالوا هذه اشارة الى ما جعل للآلهة
انعام وحرث حجر وحرام فعل بمعنى مفعول كالذبح يستوى فيه

الواحد والكثير والذكر والانثى وقرئ حجر بالضم وحجر هو
اى مضيق لا يطعمها الا من نشاء يعنون خدم الاوثان والرجال
دون النساء بزعمهم من غير حجة وانعام حرمت ظهورها
يعنى البحائر والسوائب والحوامى وانعام لا يذكرون اسم الله
عليها فى الذبح وانما يذكرون اسماء الاصنام عليها وقيل لا يحجون
على ظهورها افتراء عليه نصب على المصدر لان ما قالوه تقول
على الله كذا والجار متعلق بقالوا او بمحذوف هو صفة له او على
الحال او المفعول له والجار متعلق به او بالمحذوف سيجزيهم
بما كانوا يفترون بسببه او بدله وقالوا ما فى بطون هذه الانعام
يعنون اجنة البحائر والسوائب خالصة لذكورنا ومحرم هو
على ازواجنا حلال للذكور خالصة دون الاناث ان ولدت حيا
لقوله وان يكن ميتة فهم فيه شركاء فالذكور والاناث فيه
سواء وتأنيث الخالصة للمعنى فان ما فى معنى الاجنة ولذلك
وافق عاصم فى رواية ابى بكر بن عامر فى تكن بالتاء وخالفه هو
وابن كثير فى ميتة فنصب كغيرهم والتاء فيه للمبالغة كما فى هو
رواية الشعر او هو مصدر كالعافية وقع موقع الخالص وقرئ
بالنصب على انه مصدر مؤكد للخبر لذكورنا او حال من الضمير
الذى فى الظرف لا من الذى فى ذكورنا ولا من الذكور لانتهاء
لانتقدم على العامل المعنوى وعلى صاحبه المجرور وقرئ
خالص بالرفع والنصب وخالصه بالرفع والاضافة الى هو
الضمير على انه بدل من ما او مبتدأ ثان والمراد به ما كان حيا
والتذكير فيه لان المراد بالميتة ما يعم الذكر والانثى فغلب
الذكر سيجزيهم وصفهم اى جزاء وصفهم الكذب على الله
فى التحريم والتحليل من قوله وتصف السنتهم الكذب انه هو
حكيم عليم قد خسر الذين قتلوا اولادهم يريد بهم العرب

الذين كانوا يقتلون بناتهم خافة السبي والفقر وقراء ابن كثير و
ابن عامر قتلوا بالتشديد لمعنى التكثير سفها بغير علم لخفة عقلهم
وجهلهم بان الله هو رزاقهم او لادهم لاهم ويجوز نصبه على الحال
او المصدر وحرموا ما رزقهم الله من البحائر ونحوها افتراء
على الله يحتمل الوجوه المذكورة في مثله قد ضلوا وما كانوا
مهتدين الى الحق والصواب وهو الذي انشاء جنات من
الكروم معروشات مرفوعات على ما يحملها وغير معروشات
ملقيات على وجه الارض وقيل المعروشات ما غرسه الناس
فعرشوه وغير معروشات ما نبت في البراري والجبال والنخل
والزرع مختلفا اكله ثمره الذي يوكل في الهيئة الكيفية والقدر
للزرع والباقي مقيس عليه او للنخل والزرع داخل في حكمه
لكونه معطوفا عليه او للجميع على تقدير اكل ذلك او كل واحد منها
ومختلفا حال مقدرة لانه لم يكن كذلك عند الانشاء والزيتون
والرمان متشابها وغير متشابه يتشابه بعض افرادهما في
اللون والطعم ولا يتشابه بعضها كلوا من ثمره من ثمر كل وا
حد من ذلك اذا اثمر وان لم يدرك ولم يبلغ بعد وقيل فائدته
رخصة المالك في الاكل منه قبل اداء حق الله كه منه وآتوا حقه
يوم حصاده يريد به ما كان يتصدق به يوم الحصاد لا الزكوة
المقدرة فانها فرضت في المدينة والآية مكية وقيل الزكوة و
الآية مدنية والامر باتيانها يوم الحصاد ليهتم به حينئذ حتى
لا يؤخر عن وقت الاداء وليعلم ان الوجوب بالادراك لا
التنقية وقراء ابن كثير ونافع والكسائي وحمزة حصاده بكسر
الحاء وهو لغة فيه ولا تسرفوا في التصدق كقوله ولا تبسطها
كل البسط انه لا يحب المسرفين لا يرتضي فعلهم ومن الانعام
حمولة وفرشا عطف على جنات اي وانشاء من الانعام ما يحمل

الاثقال وما يفرش للذبح او ما يفرش من المنسوج من هـ
شعره وصوفه ووبره وقيل الكبار الصالحة للحمل والصغا
ر الدانية من الارض مثل الفرش المفروش عليها كلوا مما
رزقكم الله كلوا ما حل لكم منه ولا تتبعوا خطوات هـ
الشيطان في التحليل والتحريم من عند انفسكم انه لكم عدو
مبين ظاهر العداوة ثمانية ازواج بدل من حمولة وفرشا
او مفعول كلوا ولا تتبعوا معترضا بينهما او فعل دل عليه هـ
او حال من ما بمعنى مختلفة او متعددة والزوج ما معه اخر
من جنسه يزاوجه وقد يقال لمجموعهما والمراد الاقل من
الضأن اثنين زوجين اثنين الكبش والنعجة وهو بدل
من ثمانية وقرئ اثنان على الابتداء والضأن اسم جنس كا
لابل وجمعه ضئين او جمع ضائن كتاجر وتجر وقرئ بفتح
الهمزة وهو لغة فيه ومن المعز اثنين التيس والعنز وقراء
ابن كثير وابو عمرو وابن عامر ويعقوب بالفتح وهو جمع
ماعز كصاحب وصحب وحارس وحرس وقرئ المعزى
قل الذكرين ذكر الضأن وذكر المعز حرم ام الانثيين ام
انثييهما ونصب الذكرين والانثيين بحرم امما اشتملت عليه
ارحام الانثيين او ما حملت اناث الجنسين ذكرا كان او انثى
نبئوني بعلم بامر معلوم يدل على ان الله حرم شيئا من ذلك
ان كنتم صادقين في دعوى التحريم عليه ومن الابل اثنين و
من البقر اثنين قل آلذكرين حرم ام الانثيين امما اشتملت
عليه ارحام الانثيين كما سبق والمعنى انكار ان الله حرم
من الاجناس الاربعة ذكرا او انثى او ما يحمل اناثها ذا
عليهم فانهم كانوا يحرمون ذكور الانعام تارة واناثها
تارة واولادها كيف كانت تارة زاعمين ان الله حرمها

أم كنتم شهداء بل أنتم حاضرين شاهدين إذ وصاكم الله
بهذا حين وصاكم بهذا التحريم إذ أنتم لا تؤمنون بنبي
فلا طريق لكم إلى معرفة امثال ذلك إلا المشاهدة والسماع
فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا فنسب إليه تحريم ما لم
يحرم والمراد كبراؤهم المقررون لذلك او عمرو ابن لحي
المبتدئ له ليضل الناس بغير علم إن الله لا يهدي القوم
الظالمين قل لا أجد فيما أوحي إلي أي في القرآن او فيما او
حى إلي مطلقا وفيه تنبيه على أن التحريم انما يعلم بالوحي لا
بالهوى محرما ما طعاما من محرما على طاعم يطعمه إلا أن يكون
ميتة إلا أن يكون الطعام ميتة وقراءة ابن كثير وحمزة بالتاء
لتأنيث الخبر وقراءة ابن عامر بالتاء ورفع الميتة على أن كان هي
التامة وقوله او دما مسفوحا عطف على أن مع ما في حيزه اي
إلا وجود ميتة او دما مسفوحا اي مصبوبا كالدم في العروق
لا كالكبد والطحال او لحم خنزير فإنه رجس فإن الخنزير
او لحمه قذر لتعوده اكل النجاسة او خبيث مخبث او فسقا
عطف على لحم خنزير وما بينهما اعتراض للتعليل أهل لغير
الله إن يكون فسقا مفعولا له من أهل وهو عطف على أن هو
يكون والمستكن فيه راجع الى ما رجع اليه المستكن في ان يكون
فمن اضطر فمن دعته الضرورة الى تناول شيء من ذلك غير
باغ على مضطر مثله ولا عاد قدر الضرورة فإن ربك غفور
رحيم لا يؤاخذه والاية محكمة لانها تدل على انه لم يجد فيما
اوحي الى تلك الغاية محرما غير هذه وذلك لا ينافي ورود
التحريم في شيء آخر فلا يصح الاستدلال بها على نسخ الكتاب
بخبر الواحد ولا على حل الاشياء غيرها الا مع الاستصحاب
وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر كل ما له اصبع كالجمل و

٨ به صفة له موضحة سمي ما ذبح على اسم الصنم فسقا لتوغله في الفسق ويجوز صح

السباع والطيور وقيل كل ذي مخلب وحافر وسمي الحافر ظفرا
مجازا ولعل المستند عن العلم بتعميم التحريم ومن البقر والغنم
حرمنا عليهم شحومهما الثروب وشحوم الكلى والاضافة لم
لزيادة الربط الا ما حملت ظهورهما الا ما علقت بظهورهما
أو الحوايا او ما اشتملت على الامعاء جمع حاوية او حاوياء كقا
صعاء وقواصع او حوية كسفينة وسفائن وقيل هو عطف على
شحومهما او بمعنى الواو وما اختلط بعظم هو شحم الالية
لاتصالها بالعصعص ذلك التحريم او الجزاء جزيناهم هم
ببغيهم في الاخبار او الوعد والوعيد فإن كذبوك فقل ربكم
ذو رحمة واسعة يمهلكم على التكذيب فلا تغتروا بامهاله فانه
لا يهمله ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين حين ينزل او
ذو رحمة واسعة للمطيعين وذو بأس شديد للمجرمين فاقام
مقامه ولا يرد بأسه لتضمنه التنبيه على انزال البأس اليهم مع
الرحمة على انه لا ذنب بهم لا يمكن رده عنهم سيقول الذين هم
اشركوا اخبار عن مستقبل ووقوع مخبره يدل على اعجازه لو شاء
الله ما اشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء اي لو شاء الله هم
خلاف ذلك مشيئة ارتضاء لقوله ولو شاء لهداكم اجمعين لما هم
فعلنا نحن ولا اباؤنا اراد وا بذلك انهم على الحق المشروع هم
المرضي عند الله لا الاعتذار من ارتكاب هذه القبايح باراد
ة الله اياها منهم حتى ينهض ذمهم به دليلا للمعتزلة ويؤيد
ذلك قوله كذلك كذب الذين من قبلهم اي مثل هذا التكذيب
لك في ان الله منع من الشرك ولم يحرم ما حرموه كذب من
قبلهم الرسل وعطف اباؤنا على الضمير في اشركنا من غير
تأكيد للفصل بلا حتى ذاقوا بأسنا الذي انزلنا عليهم بتكذيبهم
قل هل عندكم من علم من امر معلوم يصح الاحتجاج به على ما

زعمتم فخرجوه لنا فنظهر وه ان تتبعون الا الظن ما تتبعون فی
ذلك الا الظن وان انتم الا تخرصون تكذبون على الله وفيه دليل
على المنع من اتباع الظن سيما فی الاصول ولعل ذلك حيث يعارضه
قاطع اذ الآية فيه قل فلله الحجة البالغة البينة الواضحة التی بلغت
غاية المتانة والقوة على الاثبات او بلغ بها صاحبها صحة دعواه
وهی من الحجی بمعنی القصد كانها تقصد اثبات الحكم وتطلبه فلو
شاء لهداكم اجمعين بالتوفيق لها والحمل عليها ولكن شاء هدایة
قوم وضلال اخرين قل هلم شهداءكم احضروهم وهو اسم فعل
لا يتصرف عند اهل الحجاز وفعل يؤنث ويجمع عند بنی تميم و
اصله عند البصريين هالم من لم اذا قصد حذفت الالف لتقدير
السكون فی اللام فانه الاصل وعند الكوفيون هل ام فحذفت
الهمزة بالقاء حركتها على اللام وهو بعيد لان هل لا يدخل الامر
ويكون متعديا كما فی الاية ولازما كقولك هلم الينا فان شهدوا
فلا تشهد معهم فلا تصدقهم فيه وبين لهم فساده فان تسليمه
موافقة لهم فی الشهادة الباطلة ولا تتبع اهواء الذين كذبوا بآياتنا
وضع المظهر موضع المضمر للدلالة على ان مكذب الايات هو
متبع الهوى لا غير وان متبع الحجة لا يكون الا مصدقا بها وهم
الذين لا يؤمنون بالآخرة كعبدة الاوثان وهم بربهم يعدلون
يجعلون له عديلا قل تعالوا امر من التعالی واصله ان يقول من
كان فی علو كما كان فی سفل فاتسع فيه للتعميم اتل اقرأ ملخصا
ربكم منصوب باتل وما تحتمل الخبرية والمصدرية ويجوز
ان يكون اسمها ميتة منصوبة بحرم والجملة مفعول اتل لانه
بمعنى اتل اى شیء حرم ربكم عليكم متعلقة بحرم او اتل ان لا
تشركوا به شيئا اى لا تشركوا به ليصح عطف الامر عليه والا يمنع
تعليق الفعل المفسر بما حرم فان التحريم باعتبار الاوامر

برجع الى اضدادها ومن جعل ان ناصبة فمحلها النصب بعليكم
على انه للاغراء او بالبدل من ما او من عائدة المحذوف على ان لا
زائدة او الجر بتقدير اللام او الرفع على تقدير المتلو ان لا تشركوا
او المحرم ان تشركوا شيئا يحتمل المصدر والمفعول وبالوالد
احسانا اى واحسنوا بهما احسانا وضعه موضع النهی عن
الاساءة اليهما للمبالغة والدلالة على ان ترك الاساءة فی شان
هما غير كاف بخلاف غيرهما ولا تقتلوا اولادكم من املاق من
اجل فقر ومن خشية لقوله خشية املاق نحن نرزقكم وايا
منع لموجبية ما كانوا يفعلون لاجله واحتجاج عليه ولا تقربوا
الفواحش كبائر الذنوب او الزنا ما ظهر منها وما بطن
بدل منه وهو مثل قوله ظاهر الاثم وباطنه ولا تقتلوا النفس
التی حرم الله الا بالحق كالقود وقتل المرتد ورجم المحصن ذلكم
اشارة الى ما ذكر مفصلا ووصيكم به اى بحفظه لعلكم تعقلون
ترشدون فان كمال العقل هو الرشد ولا تقربوا مال اليتيم الا
بالتی هی احسن الا بالفعلة التی هی احسن ما يفعل بماله كحفظه وه
تميره حتى يبلغ اشده حتى يصير بالغا وهو جمع شدة كنعمة و
انعم او شد كصير واصر وقيل مفرد كانك واوفوا الكيل والميزان
بالقسط بالعدل والسوية لا نكلف نفسا الا وسعها الا ما يسعها
ولا يعسر عليها وذكره عقيب الامر معناه ان ايفاء الحق عسر فعليكم
بما فی وسعكم وما وراءه معفو عنه واذا قلتم فی حكومة ونحوها
فاعدلوا فيه ولو كان ذا قربى ولو كان المقول له او عليه من ذوی
قرابتكم وبعهد الله اوفوا يعنی ما عهد اليكم من ملازمة العدل و
تأدية احكام الشرع ذلكم ووصيكم به لعلكم تذكرون تتعظون به وه
وان هذا صراطی مستقيما الاشارة فيه الى ما ذكر فی السورة فانها
باسرها فی اثبات التوحيد والنبوة وبيان الشريعة وقرأ حمزة و

ين

هم

الكسائي ان بالكسر على الاستيناف وابن عامر ويعقوب با
لفتح والتخفيف والباقون به مشددة بتقدير اللام على انه
علة لفعله فاتبعوه وقرأ ابن عامر صراطي بفتح الياء وقرئ
وهذا صراطي وهذا صراط ربكم وهذا صراط ربك ولا تتبعوا
السبل الاديان المختلفة او الطرق التابعة للهوى فان
مقتضى الحجة واحد ومقتضى الهوى متعدد لاختلاف الطبايع
والعادات فتفرق بكم فتقطعكم وتزيلكم عن سبيله الذي
هو اتباع الوحي واقتفاء البرهان ذلكم الاتباع وصيكم به
لعلكم تتقون الضلال والتفرق عن الحق ثم آتينا موسى الكتاب
عطف على وصيكم وثم للتراخي في الاخبار او للتفاوت في الرتبة
كانه قيل ذلكم وصيكم به قديما وحديثا ثم اعظم من ذلك انا
اتينا موسى الكتاب تماما للكرامة والنعمة على الذي احسن على
من احسن القيام به ومؤيده ان قرئ على الذين احسنوا او على
الذي احسن تبليغه وهو موسى او تماما على ما احسنه اي اجاده من
العلم والشرايع اي زيادة على عمله اتماما له وقرئ بالرفع على
انه خبر محذوف اي على الذي هو احسن اي على الوجه الذي هو
احسن ما يكون عليه الكتب وتفصيلا لكل شيء وتبيانا مفصلا
لكل ما يحتاج اليه في الدين وهو عطف على تماما ونصبها يحتمل
العلة والحال والمصدر وهدى ورحمة لعلهم لعل بني اسرائيل
بلقاء ربهم يؤمنون اي بلقائه للجزاء وهذا كتاب يعني القرآن
انزلناه مبارك كثير النفع فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون
بواسطة اتباعه وهو العمل بما فيه ان تقولوا كراهة ان تقولوا
علة لانزلنا انما انزل الكتاب على طائفتين من قبلنا اليهود
والنصارى ولعل الاختصاص في انما لان الباقي المشهود
من الكتب السماوية لم يكن غير كتبهم وان كنا ان هي المخففة

ولذلك دخل اللام الفارقة خبر كان اي وانه كنا عن دراستهم
قراءتهم لغافلين لا ندري ما هي او لا نعرف مثلها او تقولوا عطف
على الاول لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم لحدة اذ
هاننا وثقابة افهامنا ولذلك تلقفنا فنونا من العلم كالقصص
والاشعار والخطب على اناء اميتون فقد جاءكم بينة من ربكم
حجة واضحة تعرفونها وهدى ورحمة لمن تأمل فيه وعمل به
فمن اظلم ممن كذب بايات الله بعد ان عرف صحتها او تمكن
من معرفتها وصدف اعرض او صد عنها فضل واضل سنجزي
الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب شدته بما كانوا
يصدفون باعراضهم او صدهم هل ينظرون اي ما ينظرون
يعني اهل مكة وهم ما كانوا منتظرون لذلك ولكن لما كان يلحقهم
لحوق المنتظر شبهوا بالمنتظرين الا ان تأتيهم الملائكة ملائكة
الموت او العذاب وقرأ حمزة والكسائي بالياء او يأتي ربك
اي امره بالعذاب او كل آياته يعني آيات القيمة والهلاك الكلي
لقوله او يأتي بعض آيات ربك يعني اشراط الساعة وعن
حذيفة والبراء بن عازب كنا نتذاكر الساعة اذ اشرف علينا
رسول الله ﷺ فقال ما تذاكرون قلنا نتذاكر الساعة قال انها لا تقوم
حتى تروا قبلها عشر آيات الدخان ودابة الارض وخسفا با
لمشرق وخسفا بالمغرب وخسفا بجزيرة العرب والدجال
ويأجوج ومأجوج وطلوع الشمس من مغربها ونزول
عيسى ونار تخرج من عدن يوم يأتي بعض آيات ربك لا
ينفع نفسا ايمانها كالمحتضر اذ صار الامر عيانا والايمان بر
هانيا وقرئ بالتاء لاضافة الايمان الى ضمير المؤنث لم تكن
آمنت من قبل صفة نفسا او كسبت في ايمانها خيرا عطف
على آمنت والمعنى انه لا ينفع الايمان ح نفسا غير مقدمة ايمانها

او ايمانها غير كاسبة في ايمانها خيرا وهو دليل لمن لم يعتبر
الايمان المجرد عن العمل والمعتبر تخصيص هذا الحكم بذلك
اليوم وحمل الترديد على اشتراط النفع باحد الامرين على
معنى لا ينفع نفسا خلت عنهما ايمانها والعطف على لم تكن
بمعنى لا ينفع نفسا ايمانها الذي احدثته ح وان كسبت فيه
قُلِ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ وعيد لهم اى انتظروا ايان احد
الثلاثة فانا منتظرون له وح لنا الفوز وعليكم الويل إِنَّ
الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ بردوه فامنوا ببعض وكفروا ببعض ه
او افترقوا فيه قالك م افترقت اليهود على احد وسبعين
فرقة كلها في الهاوية الا واحدة وافترقت النصارى على
اثنين وسبعين فرقة كلها في الهاوية الا واحدة وتفترق
امتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في الهاوية الا واحدة ه
وقراء حمزة فارقوا اى باينوا وكانوا شِيَعًا فرقا يشيع كل فرقة
اماما لست مِنْهُمْ في شيء اى من السؤال عنهم وعن تفرقهم
او من عقابهم او انت بريء منهم وقيل هو منسوخ بآية السيف إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ يتولى جزاءهم ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ ه بما كانوا يفعلون بالعقاب من جاءَ بِالْحَسَنَةِ ه
فله عشر أَمْثَالِهَا فضلا من الله لك وقراء يعقوب عشر بالتنوين
وامثالها بالرفع على الوصف وهذا اقل ما وعد من الاضعاف
وقد جاء الوعد بسبعين وسبعمائة وبغير حساب ولذلك ه
قيل المراد بالعشر الكثرة دون العدد ومن جاءَ بِالسَّيِّئَةِ فلا يجزى الا
مثلها قضية للعدل وهم لا يُظْلَمُونَ بنقص الثواب وزيادة العذاب
قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مستقيم بالوحي والارشاد الى ما
نصب من الحجج دينا بدل من محل الى صراط اذ المعنى هداني صراطا
كقوله ويهديكم صراطا مستقيما او مفعول فعل مضمر دل عليه ه

الملفوظ

الملفوظ قيما فيعل من قام كسيد من ساد وهو ابلغ من المستقيم
باعتبار الزنة والمستقيم باعتبار الصيغة وقراء ابن عامر قيما على
انه مصدر نعت به وكان قياسه قواما كعوض فاعل لاعلال فعله ه
كالقيام مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ عطف بيان لدينا وما كان من المشركين عطف
عليه قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي عبادتي كلها او قرباني او حجي ومحياي
ومماتي وما انا عليه في حيوتي واموت عليه من الايمان والطاعة
او طاعات الحيوة والخيرات المضافة الى الممات كالوصية والتدبير
او الحيوة والممات انفسهما وقراء نافع محياي باسكان الياء اجراء
للوصل مجرى الوقف لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لا شريك له خالصة لا اشرك
فيها غيره وبذلك القول او الاخلاص أُمِرْتُ وانا اول المسلمين
لان اسلام كل نبي مقدم على اسلام امته قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا
فاشركه في عبادتي وهو جواب عن دعائهم له الى عبادة ه
آلهتهم وهو رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ حال في موقع العلة للانكار والدليل
له اى وكل ما سواه مربوب مثلي لا يصلح للربوبية ولا تكسب
كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا فلا ينفعني في ابتغاء رب غيره ما انتم عليه
من ذلك وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى جواب عن قولهم ه
اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ
بما كنتم فيه تختلفون بين الرشد من الغي وبميز المحق من
المبطل وهو الذي جعلكم خَلَائِفَ الْأَرْضِ يخلف بعضكم بعضا
او سلفاء الله في الارض يتصرفون فيها على ان الخطاب عام او
خلفاء الامم السالفة على ان الخطاب للمؤمنين وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ
فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ في الشرف والغنى لِيَبْلُوَكُمْ فيما آتيكم من
الجاه والمال إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ لان ما هو آت قريب او
لانه يسرع اذا اراده وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ وصف العقاب ولم
يضفه الى نفسه ووصف ذاته بالمغفرة وضم اليه الوصف بالرحمة

والى ببناء المبالغة والاذان المؤكدة تنبيها على انه تعالى غفور
بالذات معاقب بالعرض كثير الرحمة مبالغ فيها قليل العقوبة
مسامح فيها عن رسول الله ﷺ انزلت على سورة الانعام
جملة واحدة يشيعها سبعون الفا لهم رجل بالتسبيح والتحميد
ومن قرء الانعام وصلى علي استغفرت له تلك الملائكة كلهم
سورة الاعراف مكية وهي مائتان وخمس اية والاثنان اية ه

بسم الله الرحمن الرحيم

المص سبق الكلام في مثله كتاب خبر محذوف اى هو كتاب ه
او خبر المص والمراد به السورة او القران انزل اليك صفته
فلا يكن في صدرك حرج منه شك فان الشك حرج الصدر
او ضيق القلب من تبليغه مخافة ان تكذب فيه او تقصر في القيام
بحقه وتوجيه النهي اليه للمبالغة كقوله لا اريتك ها هنا والفاء
يحتمل العطف والجواب وكانه قيل اذا انزل اليك لتنذر فلا
يحرج صدرك منه لتنذر به متعلق بانزل او بلا يكن لانه اذا
تيقن انه من عند الله جسر على الانذار وكذا اذا الهم يخفهم او
علم انه موفق للقيام بتبليغه وذكرى للمؤمنين يحتمل النصب
باضمار فعلها اى لتنذر ولتذكر ذكرى فانها بمعنى التذكير ه
والجر عطفا على محل لانذر والرفع عطفا على كتاب او خبر ه
المحذوف اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم يعم القران والسنة ه
لقوله وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى ولا تتبعوا
من دونه اولياء يضلونكم من الجن والانس وقيل الضمير
في من دونه لما انزل اى ولا تتبعوا من دون دين الله دين ه
اولياء وقرئ ولا تتبعوا قليلا ما تتذكرون اى تذكرا قليلا ه
او زمانا قليلا تتذكرون حيث تتركون دين الله وتتبعون غيره
وما مزيدة لتاكيد القلة وان جعلت مصدرية لم ينتصب ه

قليلا يتذكرون وقرء حمزة والكسائي وحفص عن عاصم ه
تذكرون بحذف التاء وابن عامر يتذكرون على ان الخطاب
بعد مع النبي ﷺ وكم من قرية وكثير من القرى اهلكناها
اردنا اهلاك اهلها او اهلكناها بالخذلان فجاءها فجاء
اهلها بأسنا عذابنا بيانا بائتين كقوم لوط مصدر وقع مو
قع الحال او هم قائلون عطف عليه اى قائلين نصف النهار كقوم
شعيب وانما حذفت واو الحال استثقالا لاجتماع حرفي عطف
فانها واو عطف استعيرت للوصل لا كتفاء بالضمير فانه غير
فصيح وفي التعبيرين مبالغة في غفلتهم وامنهم عن العذاب ولذلك
خص الوقتين ولانهما وقت دعة واستراحة فيكون مجيء العذاب
فيهما افضع فما كان دعواهم واستغاثتهم او ما كانوا يدعونه من
دينهم اذ جاءهم بأسنا الا ان قالوا انا كنا ظالمين الا اعترافهم
بظلمهم فيما كانوا عليه وبطلانه تحسرا عليه فلنسئلن الذين ه
ارسل اليهم عن قبول الرسالة واجابتهم الرسل ولنسئلن
المرسلين عما اجيبوا به والمراد من هذا السؤال توبيخ الكفرة
وتقريعهم والمنفي في قوله ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون ه
سؤال الاستعلام او الاول في موقف الحساب وهذا عند
حصولهم على العقوبة ولنقصن عليهم على الرسل حين ه
يقولون لا علم لنا انك انت علام الغيوب او على الرسل والمرسل
اليهم ما كانوا عليه بعلم عالمين بظواهرهم وبواطنهم او ه
بعلم منا منهم وما كنا غائبين عنهم فيخفى علينا شيء من
احوالهم والوزن اى القضاء او وزن الاعمال وهو ه
مقابلتها بالجزاء والجمهور على ان صحائف الاعمال توزن
بميزان له كفتان ولسان ينظر اليه الخلائق اظهارا للعدل
وقطعا للمعذرة كما يسئلهم عن اعمالهم فتعترف بها ه

قع

السنتهم وتشهد بها جوارحهم ويؤيده ما روى ان الرجل
يؤتى به الى الميزان فينشر عليه تسعة وتسعون سجلا كل
سجل مد البصر فيخرج له بطاقة فيها كلمتا الشهادة فتوضع
السجلات فى كفة والبطاقة فى كفة فطاشت السجلات
وثقلت البطاقة وقيل توزن الاشخاص لما روى عنه ﷺ
انه ليأتى العظيم السمين يوم القيمة لا يزن عند الله جناح
بعوضة يومئذ خبر المبتدا الذى هو الوزن الحق صفته
او خبر محذوف ومعناه العدل السوى فمن ثقلت موازينه
حسناته او ما يوزن به حسناته وجمعه باعتبار اختلاف
الموزونات وتعدد الوزن فهو جمع موزون او ميزان
فاولئك هم المفلحون الفائزون بالنجاة والثواب ومن
خفت موازينه فاولئك الذين خسروا انفسهم بتضييع
الفطرة السليمة التى فطرت عليها واقترافهم ما عرضها
للعذاب بما كانوا بآياتنا يظلمون فيكذبون بدل التصديق
ولقد مكناكم فى الارض اى مكنا كم من سكناها وزرعها
والتصرف فيها وجعلنا لكم فيها معايش اسبابا تعيشون
بها جمع معيشة وعن نافع انه همزه شبيها بما الياء فيه من بدل
كصحائف قليلا ما تشكرون فيما صنعت اليكم ولقد خلقناكم
ثم صورناكم اى خلقنا آباءكم ادم طينا غير مصور ثم
صورناه نزل خلقه وتصويره منزلة خلق الكل وتصويرهم
او ابتدأنا خلقكم ثم تصويركم بان خلقنا آدم ثم
صورناه ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم وقيل ثم
قلنا لتأخير الاخبار فسجدوا الا ابليس لم يكن من الساجدين
ممن سجد لآدم قال ما منعك ان لا تسجد اى ان تسجد
ولا اصله مثلها فى لئلا يعلم مؤكدة معنى الفعل الذى دخل

عليه ومنبهة على ان الموبخ عليه ترك السجود وقيل الممنوع
عن الشئ مضطر الى خلافه كانه قيل ما اضطرك الى ان
لا تسجد اذ امرتك دليل على ان مطلق الامر للوجوب
والفور قال انا خير منه جواب من حيث المعنى استأنف
به استبعادا لان يكون مثله مأمورا بالسجود لمثله كانه
قال المانع انى خير منه ولا يحسن للفاضل ان يسجد للمفضول
فكيف يحسن ان يؤمر به فهو الذى سن التكبر وقال باء
حسن والقبح العقليين او لا خلقتنى من نار وخلقته
من طين تعليل لفضله عليه وقد غلط فى ذلك بان راى الفضل
كله باعتبار العنصر وغفل عما يكون باعتبار الفاعل كما
اشار اليه بقوله ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدى اى بغير
واسطة وباعتبار الصورة كما نبه عليه بقوله ونفخت فيه
من روحى فقعوا له ساجدين وباعتبار الغاية وهو ملاكه
ولذلك امر الملائكة بسجوده لما بين لهم انه اعلم منهم و
ان له خواص ليس لغيره والاية دليل الكون والفساد وان
الشياطين اجسام كائنة ولعل اضافة خلق الانسان الى الطين
والشيطان الى النار باعتبار الجزء الغالب قال فاهبط منها من
السماء او الجنة فما يكون لك مما يصح ان تتكبر فيها وتعصى
فاذ امكان الخاشع المطيع وفيه تنبيه على ان التكبر لا يليق باهل
الجنة وانه لعا اتما طرده واهبطه لتكبره المجرد عصيانه
قال عليه السلام من تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه
فاخرج انك من الصاغرين ممن اهانه الله لكبره قال انظرنى
الى يوم يبعثون امهلنى الى يوم القيمة فلا تمتنى او لا تعجل عقوبتى
قال انك من المنظرين يقتضى الاجابة الى ما سالته ظاهرا لكنه
محمول على ما جاء مقيدا بقوله الى يوم الوقت المعلوم وهو

بنى

النفخة الاولى او وقت يعلم الله انتهاء اجله فيه وفى اسناده
اليه ابتلاء العباد وتعريضهم للثواب بمخالفته قال فبما اغويتنى
اى بعد ان امهلتنى لاجتهدن فى اغوائهم باى طريق يمكننى
بسبب اغوائك اياى بواسطتهم تسمية او حملا على الغى او
تكليفا بما غويت لاجله والباء متعلقة بفعل القسم المحذوف
لا بما قعدتنى لهم فان اللام تصدّ عنه وقيل الباء للقسم لاقعدن
لهم ترصدا لهم كما يقعد القطاع للسابلة صراطك المستقيم
طريق الاسلام ونصبه على الظرف كقوله كما عسل الطريق
الثعلب وقيل تقديره على صراطك كقولهم ضرب زيد الظهر و
البطن اى عليه ثم لآتينّهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن
ايمانهم وعن شمائلهم اى عن جميع الجهات الاربع مثل
قصده اياهم بالتسويل والاضلال من اى وجه يمكنه باتيان
العدو من الجهات الاربع ولذلك لم يقل من فوقهم ومن تحت
ارجلهم وقيل لم يقل من فوقهم لان الرحمة تنزل منه ولم يقل
من تحتهم لان الاتيان منه يوحش وعن ابن عباس من بين
ايديهم من قبل الاخرة ومن خلفهم من قبل الدنيا وعن ايمانهم
وعن شمائلهم من جهة حسناتهم وسيئاتهم ويحتمل ان يقال
من بين ايديهم من حيث يعلمون ويقدرون التحرز عنه و
من خلفهم من حيث لا يعلمون ولا يقدرون وعن ايمانهم و
عن شمائلهم من حيث يتيسر لهم ان يعلموا ويتحرزوا و
لكن لم يفعلوا لعدم تيقظهم واحتياطهم وانما عدّى الفعل
الى الاولين بحرف الابتداء لانه منهما يتوجه اليهم والى الاخيرين
بحرف المجاوزة لان الاتى منهما كالمنحرف عنهم المائل على
عرضهم ونظيره قولهم جلست عن يمينه ولا تجد اكثرهم
شاكرين مطيعين وانما قاله ظنا لقوله ولقد صدق عليهم

ابليس ظنه لما رأى فيهم مبداء الشر متعددا ومبداء الخير واحدا
وقيل سمعه من الملائكة قال اخرج منها مذؤما من ذأمه اذا ذمه
وقرئ مذوما كمسول فى مسؤل او كمعول فى مكيل من ذامه
يذيمه ذائما مدحورا مطرودا لمن تبعك منهم اللام فيه لتوطئة
القسم وجوابه لاملأن جهنم منكم اجمعين وهو ساد مسد
جواب الشرط وقرئ لمن بكسر اللام على انه خبر لاملأن على
معنى لمن تبعك هذا الوعيد او علة لاخرج ولاملأن جواب قسم
محذوف ومعنى منكم منك ومنهم فغلب المخاطب ويا ادم و
قلنا يا ادم اسكن انت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما
ولا تقربا هذه الشجرة وقرئ هذى وهو الاصل لتصغيره على
ذيا والهاء بدل من الياء فتكونا من الظالمين فتصيرا من الذين
ظلموا انفسهم وتكونا يحتمل الجزم على العطف والنصب على
الجواب فوسوس لهما الشيطان اى فعل الوسوسة لاجلهما وهى
فى الاصل الصوت الخفى كالهينمة والخشخشة ومنه وسوس الحلى
وقد سبق فى البقرة كيفية وسوسته ليبدى لهما ليظهر لهما واللام
للعاقبة او للغرض على انه اراد ايضا بوسوسته ان يسوءهما
بانكشاف عوراتهما ولذلك عبّر عنها بالسوءة وفيه دليل على ان
كشف العورة فى الخلوة وعند الزوج من غير حاجة قبيح
مستهجن فى الطباع ما ووُرِىَ عنهما من سوأتهما ما غطى
عنهما من عوراتهما وكانا لا يريان انهما من انفسهما ولا احدهما
من الآخر وانما لم تقلب الواو المضمومة همزة فى المشهور كما
قلبت فى اويصل تصغير واصل لان الثانية مدة وقرئ سوّا
بحذف الهمزة والقاء حركتها على الواو وبقلبها واوا وادغاما
الواو الثانية فيها وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة
الا ان تكونا الآكراهة ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين

تهما
م

الذين لا يموتون او يخلدون في الجنة واستدل به على فضل هم
الملائكة على الانبياء وجوابه انه كان من المعلوم ان الحقائق هم
لا ينقلب وانما كانت رغبتهما في ان يحصل لهما ايضا ما للملائكة
من الكمالات الفطرية والاستغناء عن الاطعمة والاشربة وهم
ذلك لا يدل على فضلهم مطلقا وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين
اي اقسم لهما على ذلك واخرجه على زنة المفاعلة للمبالغة وقيل
اقسم لهما بالنصيحة اقسم له بالقبول وقيل اقسما عليه بالله هم
انه لمن الناصحين فاقسم لهما فجعل ذلك مقاسمة فدلاهما فاذلهما
الى اكل الشجرة نبه به على انه اهبطهما بذلك من درجة عالية الى
رتبة سافلة فان التدلية والادلاء ارسال الشيء من اعلى الى اسفل
بغرور بما غرهما به من القسم فانهما ظنا ان احدا لا يحلف بالله
كاذبا او ملتبسين بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما
فلما وجدا طعمها آخذين في الاكل منها اخذتهما العقوبة وشؤم هم
المعصية فتهافت عنهما لباسهما وظهرت لهما عوراتهما واختلف
في ان الشجرة كانت السنبلة او الكرم او غيرهما وان اللباس كان
حلة او نورا او ظفرا وطفقا يخصفان اخذا يرفعان ويلزقان
ورقة فوق ورقة عليهما من ورق الجنة قيل كان ورق التين
وقرئ يخصفان من اخصف اي انفسهما ويخصفان من خصف
ويخصفان واصله يختصفان وناداهما ربهما الم انهكما عن
تلكما الشجرة واقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين عتاب
على مخالفة النهي وتوبيخ على الاغترار بقول العدو وفيه دليل
على ان مطلق النهي للتحريم قالا ربنا ظلمنا انفسنا اضررناها
بالمعصية والتعريض للاخراج عن الجنة وان لم تغفر لنا وترحمنا
لنكونن من الخاسرين دليل على ان الصغائر معاقب عليها ان
لم تغفر وقالت المعتزلة لا يجوز المعاقبة عليها مع اجتناب ه

الكبائر ولذلك قالوا انما قالا ذلك على عادة المقربين في استعظام
الصغير من السيئات واستحقار العظيم من الحسنات قال اهبطوا
الخطاب لآدم وحوا وذريتهما او لهما ولابليس كرر الامر له
تبعا لعلمه انهم قرناء ابدا او خبر عما قال لهم مفرقا بعضكم لبعض
عدو في موضع الحال اي متعادين ولكم في الارض مستقر استقرار
او موضع استقرار ومتاع تمتع الى حين الى انقضاء اجالكم قال فيها
تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون للجزاء يا بني آدم قد
انزلنا عليكم لباسا اي خلقناه لكم بتدبيرات سماوية واسباب
نازلة ونظيره قوله وانزل لكم من الانعام وقوله وانزلنا
الحديد يواري سوآتكم التي قصد الشيطان الى ابدائها ويغنيكم
عن خصف الورق روي ان العرب كانوا يطوفون بالبيت
عراة ويقولون لا نطوف في ثياب عصينا الله فيها فنزلت و
لعله ذكر قصة آدم تقدمة لذلك حتى يعلم ان انكشاف العورة
اول سوء اصاب الانسان من الشيطان وانه اغواهم في ذلك
كما اغوى ابويهم وريشا ولباسا يتجملون به والريش الجمال و
قيل ما لا ومنه تريش الرجل اذا تمول وقرئ رياشا وهو جمع
ريش كشعب وشعاب ولباس التقوى خشية الله وقيل هو
الايمان وقيل السمت الحسن وقيل لباس الحرب ورفعه بالابتدا و
خبره ذلك خير او خير وذلك صفته كأنه قيل ولباس التقوى
المشار اليه خير وقرأ نافع وابن عامر والكسائي بالنصب عطفا
على لباسا ذلك اي انزال اللباس من آيات الله الدالة على فضله و
رحمته لعلهم يذكرون فيعرفون نعمته او فيتعطفون فيتوقون
من القبايح يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان لا يحملنكم بان
يمنعكم دخول الجنة باغوائه كما اخرج ابويكم من الجنة كما
نزع ابويكم بان اخرجهما منها والنهي في اللفظ للشيطان

عون

ن

والمعنى نهيهم عن اتباعه والافتتان به ينزع عنهما
لباسهما ليريهما سوآتهما حال من ابويكم او من فاعل
اخرج واسناد النزع اليه للتسبب انه يراكم هو وقبيله
من حيث لا ترونهم تعليل للنهى وتاكيد للتحذير من
فتنتهم وقبيله جنوده ورؤسهم ايانا من حيث لا نراهم
فى الجملة لا يقتضى امتناع رؤيتهم وتمثيلهم لنا انا جعلنا
الشياطين اولياء للذين لا يؤمنون بما اوجدنا بينهم من
التناسب او بارسالهم عليهم وتمكينهم من خذلانهم
وحملهم على ما سوء لوالهم والاية مقصود القصة وذلكة
لحكاية واذا فعلوا فاحشة فعلة متناهية فى القبح كعبادة
الوثن وكشف العورة فى الطواف قالوا وجدنا عليها آباءنا
والله امرنا بها احتجوا واعتذروا بامرين تقليد الاباء و
الافتراء على الله فاعرض عن الاول لظهور فساده ورد
الثانى بقوله قل ان الله لا يامر بالفحشاء لان عادته تعالى
جرت على الامر بمحاسن الاعمال والحث على مكارم الخصال و
الدلالة فيه على ان قبح الفعل بمعنى ترتب الذم عليه اجلاه
عقلى فان المراد بالفاحشة ما ينفر عنه الطبع السليم وسه
يستنقصه العقل المستقيم وقيل هما جوابا سؤالين مترتبين
كانه قيل لهم ما فعلوها لم فعلتم فقالوا وجدنا عليها اباءنا
فقيل ومن اين اخذ آباؤكم فقالوا الله امرنا بها وعلى الوجهين
يمنع التقليد اذا قام الدليل على خلافه لا مطلقا انقولون
على الله ما لا تعلمون انكار يتضمن النهى عن الافتراء على الله
قل امر ربى بالقسط بالعدل وهو الوسط من كل امر المنبا فى
عن طرفى الافراط والتفريط واقيموا وجوهكم وتوجهوا
الى عبادته مستقيمين غير عادلين الى غيرها او اقيموها فى القبلة

عند كل مسجد فى كل وقت سجود او مكانه وهو الصلوة او فى
اى مسجد حضرتكم الصلوة ولا تؤخروها حتى تعودوا الى
مساجدكم وادعوه واعبدوه مخلصين له الدين اى الطاعة
فان اليه مصيركم كما بدأكم كما انشأكم ابتداء تعودون
باعادته فيجازيكم على اعمالكم وانما شبه الاعادة بالابداء
تقريرا لامكانها والقدرة عليها وقيل كما بداكم من التراب
تعودون اليه وقيل كما بداكم حفاة عراة غرلا تعودون
وقيل كما بداكم مؤمنا وكافرا يعيدكم فريقا هدى بانهم
وفقهم للايمان وفريقا حق عليهم الضلالة بمقتضى القضاء
السابق وانتصابه بفعل يفسره ما بعده اى وخذل فريقا
انهم اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله تعليل لخذلانهم
او تحقيق لضلالتهم ويحسبون انهم مهتدون يدل على ان
الكافر المخطئ والمعاند سواء فى استحقاق الذم والمفارقة
الا يحمله على المقص فى النظر يا بنى آدم خذوا زينتكم ثيابكم
لمواراة عوراتكم عند كل مسجد لطواف او صلوة ومن السنة
ان يأخذ الرجل احسن هيئة للصلوة وفيه دليل على وجوب ستر
العورة فى الصلوة وكلوا واشربوا ما طاب لكم روى ان بنى عامر
فى ايام حجهم كانوا لا يأكلون الطعام الا قوتا ولا يأكلون دسما
يعظمون بذلك حجهم فهم المسلمون فنزلت ولا تسرفوا بتحريم
الحلال او بالتعدى الى الحرام او بافراط الطعام وشره عليه
وعن ابن عباس كل ما شئت والبس ما شئت ما اخطأتك
خصلتان سرف ومخيلة وقال على ابن الحسين بن واقد جمع
الله الطب فى نصف اية فقال كلوا واشربوا ولا تسرفوا انه
لا يحب المسرفين اى لا يرتضى فعلهم قل من حرم زينة الله
من الثياب وسائر ما يتجمل به التى اخرج لعباده من النبات

كالقطن والكتان والحيوان كالحرير والصوف والمعادن
كالذروع والطيبات من الرزق المستلذات من المآكل و
المشارب وفيه دليل على ان الاصل في المطاعم والملابس و
انواع التجملات الاباحة لان الاستفهام في من للانكار قل هي
للذين آمنوا في الحياة الدنيا بالاصالة والكفرة وان شاركوهم
فيها تبع خالصة يوم القيمة لايشاركهم فيها غيرهم وانتصا
بها على الحال وقراء نافع بالرفع على انها خبر بعد خبر كذلك
نفصل الآيات لقوم يعلمون اى كتفصيلنا لهذا الحكم نفصل
سائر الاحكام لهم قل انما حرم ربي الفواحش ما تزايد
قبحه وقيل ما يتعلق بالفروج ما ظهر منها وما بطن جهرها
وسرها والاثم وما يوجب الاثم تعميم بعد تخصيص وقيل شرب
الخمر والبغي الظلم او الكبر افرده بالذكر للمبالغة بغير الحق متعلق
بالبغي مؤكد له معنى وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا
تهكم بالمشركين وتنبيه على تحريم اتباع ما لم يدل عليه برهان
وان تقولوا على الله ما لا تعلمون بالحاد في صفاته والافتراء
عليه كقولهم الله امرنا بها ولكل امة اجل مدة او وقت
لنزول العذاب بهم وهو وعيد لاهل مكة فاذا جاء اجلهم
انقضت مدتهم اوحان وقتهم لايستاخرون ساعة ولايستقدمون
اى لايتاخرون ولا يتقدمون اقصر وقت او لايطلبون التاخر والتقدم لشدة الهول يا بني آدم اما يأتينكم رسل منكم
تقصون عليكم آياتي شرط ذكر بحرف الشك للتنبيه على ان
اتيان الرسل امر جائز لا واجب كما ظنه اهل التعليم ووضع ما
اليها التاكيد معنى الشرط ولذلك اكد فعلها بالنون وجوابه من
اتقى واصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كذبوا
بآياتنا واستكبروا عنها اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون

والمعنى فمن اتقى التكذيب واصلح عمله منكم والذين كذبوا بآياتنا
منكم وادخال الفاء في الخبر الاول دون الثاني للمبالغة في الوعد
والمسامحة في الوعيد فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او
كذب بآياته ممن تقول على الله ما لم يقله او كذب ما قاله اولئك
ينالهم نصيبهم من الكتاب مما كتب لهم من الارزاق والاجال
وقيل الكتاب اللوح اى مما اثبت لهم فيه حتى اذا جاءتهم
رسلنا يتوفونهم اى يتوفون ارواحهم وهو حال من هم
الرسل وحتى غاية لنيلهم وهي التي يبتدأ بعدها الكلام قالوا
جواب اذا اينما كنتم تدعون من دون الله اين الالهة التي كنتم
تعبدونها وما وصلت باين في خط المصحف وحقها الفصل
لانها موصولة قالوا ضلوا عنا غابوا وشهدوا على انفسهم انهم
كانوا كافرين اعترفوا بانهم كانوا ضالين فيما كانوا عليه قال
ادخلوا اى قال لهم الله يوم القيمة او احد من الملائكة في امم
قد خلت من قبلكم اى كائنين في جملة امم مصاحبين لهم يوم
القيمة من الجن والانس يعني كفار الامم الماضية من النوعين
في النار متعلق بادخلوا كلما دخلت امة اى في النار لعنت
اختها التي ضلت بالاقتداء بها حتى اذا ادارأوا فيها جميعا اى
تداركوا وتلاحقوا في النار قالت اخراهم دخولا او منزلة وهم
الاتباع لاولاهم اى لاجل اولاهم اذ الخطاب مع الله لا معهم
ربنا هؤلاء اضلونا استوالنا الضلال فاقتدينا بهم فاتهم
عذابا ضعفا من النار مضاعفا لانهم ضلوا واضلوا قال
لكل ضعف اما القادة فبكفرهم وتضليلهم واتباع فبكفرهم
وتقليدهم ولكن لا تعلمون ما لكم وما لكل فريق وقراء عاصم
بالياء على الانفصال وقالت اولاهم لاخراهم فما كان لكم علينا من
فضل عطفوا كلامهم على جواب الله لاخراهم وتنبيه عليه اى فقد

ثبت ان لافضل عليكم وانا واياكم متساويان في الضلال وه
استحقاق العذاب فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون من قول
القادة اومن قول الفريقين ان الذين كذبوا بايتنا واستكبروا
عنها اى عن الايمان بها لا تفتح لهم ابواب السماء لادعيتهم
واعمالهم او لارواحهم كما تفتح لاعمال المؤمنين وارواحهم
لتتصل بالملائكة والتاء في تفتح لتانيث الابواب والتشديد ه
لكثرتها وقراء ابو عمرو بالتخفيف وحمزة والكسائي به وبالياء
لان التانيث غير حقيقي والفعل مقدم وقرئ على البناء للفاعل
ونصب الابواب بالتاء على ان الفعل للايات وبالياء على ان
الفعل لله ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط حتى
يدخل ما هو مثل في عظم الجسم وهو البعير فيما هو مثل في ضيق
المسلك وهو ثقبة الابرة وذلك مما لا يكون فكذا ما يتوقف
عليه وقرئ الجمل كالقمل والجمل كالنغر والجمل كالقفل والجمل كا
لنصب والجمل كالجبل وهو الحبل الغليظ من القنب وقيل حبل
السفينة وسم بالضم والكسر وفي سم المخيط وهو الخياط ما
يخاط به كالمخراز والمحزم وكذلك ومثل ذلك الجزاء الفظيع ه
نجزي المجرمين لهم من جهنم مهاد فراش ومن فوقهم غواش
اغطية والتنوين فيه للبدل عن الاغلال عند سيبويه وللصرف عند
غيره وقرئ غواشي على الفاء المحذوفة وكذلك نجزي الظا
الظالمين عبر عنهم بالمجرمين تارة وبالظالمين اخرى اشعارا
بانهم بتكذيبهم الآيات اتصفوا بهذه الاوصاف الذميمة ه
وذكر الجرم مع الحرمان من الجنة والظلم مع التكذيب بالنار
تنبيها على انه اعظم الاجرام والذين آمنوا وعملوا الصلحات
لا نكلف نفسا الا وسعها اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون
على عادته تع في ان يشفع الوعيد بالوعد ولا نكلف نفسا الا

وسعها اعتراض بين المبتدا والخبر للترغيب في اكتساب
المقيم بما يسعه طاقتهم ويسهل عليهم وقرئ لا تكلف نفس
ونزعنا ما في صدورهم من غل اى نخرج من قلوبهم ه
اسباب الغل او نطهرها منه حتى لا يكون بينهم الا التوادد
وعن علي رضي الله عنه اني لارجو ان اكون انا وعثمان و
طلحة والزبير منهم تجري من تحتهم الانهار وزيادة في
لذتهم وسرورهم وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا الجزاء ٥
هذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله لولا هداية الله و
توفيقه واللام لتوكيد النفي وجواب لولا محذوف دل عليه ما
قبله وقراء ابن عامر ما كنا بلاواو على انها مبتدئة للاولى لقد
جاءت رسل ربنا بالحق فاهتدينا بارشادهم يقولون ذلك
اغتباطا وتبجحا بان ما عملوه يقينا في الدنيا صار لهم عين
اليقين في الاخرة ونودوا ان تلكم الجنة اذا رأوها من بعيد
او بعد دخولها والمنادي له بالذات او رثتموها بما كنتم ه
تعملون اى اعطيتموها بسبب اعمالكم وهو حال من الجنة و
العامل فيها معنى الاشارة او خبر والجنة صفة تلكم وان ه
في المواقع الخمسة هي المخففة او المفسرة لان المناداة والتنادين
من القول ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار ان قد وجدنا
ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا انما قالوه
تبجحا بحالهم وشماتة باصحاب النار وتحسيرا لهم وانما
لم يقل ما وعدكم كما قال ما وعدنا لان ما ساءهم من الموعود
لم يكن باسره مخصوصا وعده بهم كالبعث والحساب ونعيم ه
اهل الجنة قالوا نعم وقراء الكسائي بكسر العين وهما لغتان فاذن
مؤذن قيل هو صاحب الصور بينهم بين الفريقين ان لعنة
الله على الظالمين وقراء ابن كثير وحمزة وابن عامر والكسائي

ان بالتشديد والنصب وقرئ بالكسر على ارادة القول واجراء
اذن موضع قال الذين يصدون عن سبيل الله صفة الظالمين ه
مقدرة اوذم مرفوع او منصوب ويبغونها حال وجاز تقديمها
عما هو عليه والعوج بالكسر في المعاني والاعيان مالم تكن ه
منتصبة وبالفتح في المنتصبة كالحائط والرمح وهم بالآخرة
كافرون وبينهما حجاب اى بين الفريقين لقوله فضرب بينهم
بسور او بين الجنة والنار ليمنع وصول احدهما الى الآخر
وعلى الاعراف وعلى اعراف الحجاب اى اعاليه وهو السور ه
المضروب بينهما جمع عرف مستعار من عرف الفرس وقيل العرف
ما ارتفع من الشيء فانه يكون بظهوره اعرف من غيره رجال ه
طائفة من الموحدين قصروا في العمل فيحبسون بين الجنة والنار
حتى يقضي الله فيهم ما شاء وقيل قوم علت درجاتهم كالانبياء
والشهداء اوخيار المؤمنين وعلماءهم او ملائكة يرون في
صورة الرجال يعرفون كلا من اهل الجنة والنار بسيماهم بعلامتهم
التي اعلمهم الله بها كبياض الوجه وسواده فعلاء من سام ابله
اذا ارسلها في المرعى معلمة اومن وسم على القلب كالجاء من
الوجه انما يعرفون ذلك بالالهام او تعليم الملائكة ونادوا ه
اصحاب الجنة ان سلام عليكم اى اذا نظروا اليهم سلموا عليهم
لم يدخلوها وهم يطمعون حال من الواو على الوجه الاول و
من الاصحاب على الوجوه واذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب
النار قالوا تعوذوا بالله ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين اى
في النار ونادى اصحاب الاعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم
من رؤساء الكفرة قالوا ما اغنى عنكم جمعكم كثرتكم اوجمعكم المال ه
وما كنتم تستكبرون عن الحق اوعلى الخلق وقرئ تستكثرون من
الكثرة اهؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة من تتمة ه

قولهم للرجال والاشارة الى ضعفاء اهل الجنة الذين كانت الكفرة ه
يحقرونهم في الدنيا ويحلفون ان الله لا يدخلهم الجنة ادخلوا
الجنة لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون اى فالتفتوا الى اصحاب
الجنة وقالوا لهم ادخلوها وهو اوفق للوجوه الاخيرة او
نقيل لاصحاب الاعراف ادخلوا الجنة بفضل الله بعد ان حبسوا حتى
ابصروا الفريقين وعرفوهم وقالوا لهم ما قالوا وقيل لما عيروا
اصحاب النار اقسموا ان اصحاب الاعراف لا يدخلون الجنة فقال
الله لهم او بعض الملائكة اهؤلاء الذين اقسمتم وقرئ ادخلوا
ودخلوا على الاستئناف وتقديره دخلوا الجنة مقولا لهم لا خوف
عليهم ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا علينا من
الماء اى صبوه وهو دليل على ان الجنة فوق النار اومما رزقكم
الله من سائر الاشربة ليلائم الافاضة اومن الطعام كقوله ه
علفتها تبنا وماء باردا قالوا ان الله حرمهما على الكافرين منعهما
عنهم منع المحرم عن المكلف الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا ه
كتحريم البحيرة والتصدية حول البلهة والله هو صرف الهمم
بما لا يحسن ان يصرف به واللعب طلب الفرح بما لا يحسن ان ه
يطلب به وغرتهم الحيوة الدنيا فاليوم ننساهم نفعل بهم ه
فعل الناسين فنتركهم في النار كما نسوا لقاء يومهم هذا فلم
يخطروه ببالهم ولم يستعدوا له وما كانوا بآياتنا يجحدون
وكما كانوا منكرين انها من عند الله ولقد جئناهم بكتاب
فصلناه بينا معانيه من العقائد والاحكام والمواعظ ه
مفصلة على علم عالمين بوجه تفصيله حتى جاء حكيما وفيه
دليل على انه لا عالم بعلم او مشتملا على علم فيكون فيكون ه
حالا من المفعول وقرئ فضلناه الحلى سائر الكتب عالمين ه
بانه حقيق بذلك هدى ورحمة لقوم يؤمنون حال من الهاء

هل ينظرون هل ينتظرون الا تأويله الا الى ما يؤل اليه امره
من تبين صدقه بظهور ما نطق به من الوعد والوعيد يوم
يأتي تأويله يفعل الذين نسوه من قبل تركوه ترك الناسي
قد جاءت رسل ربنا بالحق اى قد تبين انهم جاؤا بالحق ه
فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا اليوم او نرد او هل نرد
الى الدنيا وقرئ بالنصب عطفا على يشفعوا او لان او بمعنى
الى ان فعلى الاول المسؤل احد الامرين وعلى الثاني ان يكون
لهم شفعاء اما الاحد الامرين او لامر واحد وهو الرد فنعمل
غير الذي كنا نعمل جواب الاستفهام الثاني وقرئ بالرفع اى
فنحن نعمل قد خسروا انفسهم بصرف اعمارهم في الكفر وضل
عنهم ما كانوا يفترون بطل عنهم فلن تنفعهم ان ربكم الله
الذي خلق السموات والارض في ستة ايام اى في ستة اوقات
كقوله ومن يولهم يومئذ دبره او في مقدار ستة ايام فان ه
اليوم المتعارف زمان طلوع الشمس الى غروبها ولم يكن ح و
في خلق الاشياء مدرج مع القدرة على ايجادها دفعة دليل ه
الاختيار واعتبار للنظار وحث على التأني في الامور ثم
استوى على العرش استوى امره او استولى وعن اصحابنا ه
ان الاستوى على العرش صفة الله بلا كيف والمعنى ان له
على العرش على الوجه الذي عناه منزها عن الاستقرار والتمكن
والعرش الجسم المحيط بسائر الاجسام سمي به لارتفاعه او
للتشبيه بسرير الملك فان الامور والتدابير ينزل منه وقيل
الملك يغشى الليل النهار يغطيه به ولم يذكر عكسه للعلم به او
لان اللفظ يحتملهما ولذلك قرئ يغشى الليل النهار بنصب الليل
ورفع النهار وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب وابو بكر عن
عاصم بالتشديد فيه وفي الرعد للدلالة على التكرير لكثرة

حثيثا يعقبه سريعا كالطالب له ولا يفصل بينهما شيء والحثيث
فعيل من الحث وهو صفة مصدر محذوف او حال من الفاعل
بمعنى حاثا او المفعول بمعنى محثوثا والشمس والقمر والنجوم
مسخرات بامره بقضائه وتصريفه ونصبها بالعطف على السموات
ونصب مسخرات على الحال وقرأ ابن عامر كلها بالرفع على
الابتداء والخبر الا له الخلق والامر فانه الموجد والمتصرف ه
تبارك الله رب العالمين تعالى بالوحدانية في الالوهية وتعظم
بالتفرد في الربوبية وتحقيق الآية والله اعلم ان الكفرة كانوا
متخذين اربابا لهم فبين ان المستحق للربوبية واحد وهو
الله لانه الذي له الخلق والامر فانه خلق العالم على ترتيب
قويم وتدبير حكيم فابدع الافلاك ثم زينها بالكواكب كما اشار
اليه بقوله فقضيهن سبع سموات في يومين وعمد الى ايجاد الا
جرام السفلية فخلق جسما قابلا للصور المتبدلة والهيئات
المختلفة ثم قسمها بصور نفيسة متضادة الآثار والافعال
واليه اشار بقوله خلق الارض في يومين اى ما في جهة التسفل
في يومين ثم انشأ انواع المعاليد الثلاثة بتركيب مواده اولا
وتصويرها ثانيا كما قال بعد قوله وخلق الارض في يومين و
جعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها في اربعة
ايام اى مع اليومين اولين لقوله في سورة السجدة الله
الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم لما تم له عالم
الملك عمد الى تدبيره كالملك الجالس على عرشه لتدبير المملكة
فدبر الامر من السماء الى الارض بتحريك الافلاك وتسيير
الكواكب وتكوير الليالي والايام ثم صرح بما هو فذلكة ه
التدبير ونتيجته فقال الا له الامر والخلق تبارك الله ه
رب العالمين ثم آمرهم بان يدعوه متذللين مخلصين له

فقال ادعوا ربكم تضرعا وخفية اى ذوى تضرع وخفية
فان الاخفاء دليل الاخلاص انه لايحب المعتدين المجاوزين ما
امروا به فى الدعاء وغيره نبه به على الداعى ينبغى ان لايطلب
مالا يليق به كرتبة الانبياء والصعود الى السماء وقيل هو الضجيج
فى الدعاء والاسهاب فيه وعن النبى ﷺ سيكون قوم يعتدون
فى الدعاء وحسب المرء ان يقول اللهم انى اسئلك الجنة وما
قرب اليها من قول وعمل واعوذ بك من النار وما قرب اليها
من قول وعمل ثم قرء انه لايحب المعتدين ولا تفسدوا
فى الارض بالكفر والمعاصى بعد اصلاحها ببعث الانبياء وشرع
الاحكام وادعوه خوفا وطمعا ذوى خوف من الرد لقصور
اعمالكم وعدم استحقاقكم وطمع فى اجابته تفضلا واحسانا
لفرط رحمته ان رحمة الله قريب من المحسنين ترجيح للطمع
وتنبيه على ما يتوسل به الى الاجابة وتذكير قريب لان الرحمة
بمعنى الرحم او لانه صفة محذوف اى امر قريب او على تشبيهه
بفعيل الذى بمعنى مفعول او الذى هو مصدر كالنقيض
او للفرق بين القريب من النسب والقريب من غيره وهو
الذى يوسل الرياح وقراء ابن كثير الريح على الوحدة نشرا
جمع نشور بمعنى ناشر وقراء ابن عامر نشرا بالتخفيف حيث
وقع والكسائى نشرا بفتح النون حيث وقع على انه مصدر
فى موقع الحال بمعنى ناشرات او مفعول مطلق فان الارسال
والنشر متقاربان وعاصم بشرا وهو تخفيف بشر جمع بشير
وقد قرء به وبشرا بفتح الباء مصدر بشره بمعنى نشره او
البشارة وبشرى بين يدى رحمته قدام رحمته يعنى المطر فان
الصبا تثير السحاب والشمال تجمعه والجنوب تدره والدبور
تفرقه حتى اذا اقلت سحابا اى حملته واشتقاقه من القلة

فان المقل اى الحامل للشئ يستقله ثقالا بالماء جمعه لان السحاب
بمعنى السحائب سقناه اى السحاب وافراد الضمير باعتبار
اللفظ لبلد ميت لاجله او لاحيائه او لسقيه وقرء ميت
فان لنا به الماء بالبلد او بالسحاب او بالسوق او بالريح
وكذلك فاخرجنا به ويحتمل فيه عود الضمير الى الماء واذا كان
للبلد فالباء للالصاق فى الاول وللظرفية فى الثانى واذا كان
لغيره فللسببية من كل الثمرات من كل انواعها كذلك نخرج الموتى
الاشارة فيه الى اخراج الثمرات او الى احياء البلد الميت
اى كما نحييه باحداث القوة النامية فيه ونظريتها بانواع النبات
والثمرات نخرج الموتى من الاجداث ونحييها بردّ النفوس
الى مواد ابدانها بعد جمعها وتطريتها بالقوى والحواس
لعلكم تذكرون فتعلمون ان من قدر على ذلك قدر على هذا
والبلد الطيب اى الارض الكريمة التربة يخرج نباته باذن
ربه بمشيته وتيسيره عبر به عن كثرة النبات وحسنه و
غزارة نفعه لانه اوقعه فى مقابلة والذى خبث كالحزة وهو
السبخة لايخرج الا نكدا قليلا عديم النفع ونصبه على الحال وهو
تقدير الكلام والبلد الذى خبث لايخرج نباته الا نكدا فحذف
المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فصار مرفوعا مستترا وقرء
يخرج نباته اى يخرجه البلد فيكون الا نكدا مفعولا او نكدا على
المصدر اى ذا نكد ويكدا بالاسكان للتخفيف كذلك نصرف
الآيات نردها ونكررها لقوم يشكرون نعمة الله فيتفكرون
فيها ويعتبرون بها والآية مثل لمن تدبر الآيات وانتفع بها
ولمن لم يرفع اليه راسا ولم يتأثر فيها لقد ارسلنا نوحا
الى قومه جواب قسم محذوف ولا تكاد تطلق هذه اللام الا
مع قد لانها مظنة التوقع فان المخاطب اذا سمعها توقع ه

وقوع ماصدر بها ونوح ابن لمك بن متوشلخ بن ادريس
اول نبى بعده بعث وهو ابن خمسين سنة او اربعين فقال
يا قوم اعبدوا الله اى اعبدوه وحده لقوله ما لكم من اله
غيره وقرأ الكسائى غيره بالكسر على اللفظ وقرئ بالنصب
على الاستثناء انى اخاف عليكم عذاب يوم عظيم ان لم تؤمنوا
وهو وعيد وبيان للداعى الى عبادته واليوم يوم القيمة او
يوم نزول الطوفان قال الملأ من قومه اى الاشراف فانهم
يملئون العيون وهاء انا لنراك فى ضلال زوال عن الحق
مبين بين قال يا قوم ليس بى ضلالة اى شىء من الضلال
بالغ فى النفى كما بالغوا فى الاثبات وعرض لهم به ولكنى رسول
من رب العالمين استدراك باعتبار ما يلزمه وهو كونه على
هدى كأنه قال ولكنى على هدى فى الغاية لانى رسول من
الله ابلغكم رسالات ربى وانصح لكم واعلم من الله ما لا
تعلمون صفات لرسول او استيناف ومساقها على الوجهين
لبيان كونه رسولا وقرأ ابو عمرو وابلغكم بالتخفيف وجمع الرسالات
لاختلاف اوقاتها او لتنوع معانيها كالعقائد والمواعظ والاحكام او لان المراد بها ما اوحى اليه والى الانبياء
قبله كصحف شيث وادريس وزيادة اللام فى لكم للدلالة
على محاض النصح لهم وفى اعلم من الله تقريب لهم لما اوعدهم
به فان معناه اعلم من قدرته وشدة بطشه او من جهته با
لوحى اشياء لا علم لكم بها او عجبتم الهمزة للانكار والواو
للعطف على محذوف اى اكذبتم وعجبتم ان جاءكم
ذكر من ربكم رسالة او موعظة على رجل على لسان رجل
منكم من جملتكم او من جنسكم فانهم كانوا يتعجبون من
ارسال البشر ويقولون لو شاء الله لانزل ملائكة ما سمعنا

بهذا فى ابائنا الاولين لينذركم عاقبة الكفر والمعاصى وهو
لتتقوا عنهما بسبب الانذار ولعلكم ترحمون بالتقوى وفائدة
حرف الترجى التنبيه على ان التقوى غير موجب والترحم من
الله تفضيل وان المتقى ينبغى ان لا يعتمد على تقواه ولا يأمن
من عذاب الله فكذبوه فانجيناه والذين معه وهم من
آمن به وكانوا اربعين امرأة وقيل تسعة بنوه سام وحام
ويافث وستة ممن آمن منهم به فى الفلك متعلق بمعه او با
نجينا او حال من الموصول او الضمير فى معه واغرقنا الذين
كذبوا بآياتنا بالطوفان انهم كانوا قوما عمين عمى القلوب
غير مستبصرين واصله عميين فخفف وقرئ عامين والاول
ابلغ لدلالته على الثبات والى عاد اخاهم عطف على نوحا هودا
عطف بيان لاخاهم والمراد به الواحد منهم كقولهم يا اخا العرب
فانه هود بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عاد بن عوص
بن ارم بن سام بن نوح وقيل هود بن شالخ بن ارفخشذ
بن سام بن عم ابى عاد وانما جعل منهم لانهم افهم لقوله
واعرف بحاله وارغب فى اقتفائه قال يا قوم اعبدوا الله
مالكم من اله غيره واستأنف به ولم يعطف كأنه جواب
سائل قال فما قال لهم حين ارسل وكذلك جوابهم افلا تتقون
عذاب الله وكان قومه كانوا من قوم نوح ولذلك قال قال الملأ
الذين كفروا من قومه اذ كان من اشرافهم من آمن به كمرثد بن
سعد انا لنراك فى سفاهة متمكنا فى خفة عقل واسخافيها
حيث فارقت دين قومك وانا لنظنك من الكاذبين قال
يا قوم ليس بى سفاهة ولكنى رسول من رب العالمين
ابلغكم رسالات ربى وانا لكم ناصح امين اوعجبتم ان
جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم سبق تفسيره

الى قومه صح

وفي جوابة الانبياء الكفرة عن كلماتهم الحمقاء بما اجابوا وهم
الاعراض عن مقالتهم كمال النصح والشفقة وهضم النفس
وحسن المجادلة وهكذا ينبغي لكل ناصح وفي قوله وانا لكم
ناصح امين تنبيه على انهم عرفوه بالامرين واذكروا اذ
جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح اى في مساكنهم وفي الارض
بان جعلكم ملوكا فان شداد بن عاد ملك معمورة
الارض من رمل عالج الى بحر عمان خوفهم من عذاب الله ثم
ذكرهم بانعامه وزادكم في الخلق بسطة قامة وقوة
فاذكروا الاء الله نعمه بعد تخصيص لعلكم تفلحون لكي يفضي بكم
ذكر النعم الى شكرها المؤدي الى الفلاح قالوا اجئتنا لنعبد الله
وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا استبعدوا اختصاص الله
بالعبادة والاعراض عما اشرك به اباؤهم انهما كانا في التقليد
وحبا لما الفوه ومعنى المجيء في اجئتنا اما المجيء من مكان اعتزل
به عن قومه او من السماء على آلهتكم او القصد على المجاز كقولهم
ذهب يستبني فأتنا بما تعدنا من عذاب المدلول عليه بقوله
افلا تتقون ان كنت من الصادقين فيه قال قد وقع عليكم
قد وجب او حق عليكم او نزل عليكم على ان المتوقع كالواقع من
ربكم رجس عذاب من الارتجاس وهو الاضطراب وغضب
ارادة النقام اتجادلونني في اسماء سميتموها انتم وآباؤكم
ما نزل الله بها من سلطان اى في اشياء سميتموها الهة
وليس فيها معنى الالهة لان المستحق للعبادة بالذات هو
الموجد للكل وانها لو استحقت كان استحقاقها بجعله
اما بانزال اية او نصب حجة بين ان منتهى حجتهم وسندهم
ان الاصنام تسمى الهة من غير دليل يدل على تحقق
المسمى واسناد الاطلاق الى من لا يوبه بقوله اظهار لغاية

جهالتهم وفرط غباوتهم واستدل به على ان الاسم هو المسمى
وان اللغات توقيفية اذ لو لم يكن كذلك لم يتوجه الذم وهو
الابطال بانها اسماء مخترعة لم ينزل الله بها من سلطان و
ضعفهما ظاهر فانتظروا لما وضح الحق وانتم مصرون على
العناد نزول العذاب اني معكم من المنتظرين فانجيناه و
الذين معه في الدين برحمة منا عليهم وقطعنا دابر الذين
كذبوا بآياتنا اى استأصلناهم وما كانوا مؤمنين تعريض
بمن آمن منهم وتنبيه على ان الفارق بين من نجا ومن هلك
هو الايمان روى انهم كانوا يعبدون الاصنام فبعث اليهم
هودا فكذبوه وازدادوا عتوا فامسك الله القطر عنهم ثلاث
سنين حتى جهدهم وكان الناس حينئذ مسلمهم ومشركهم اذا
نزل بهم بلاء توجهوا الى البيت الحرام وطلبوا من الله الفرج
فجهز اليه قيل بن عنز ومرثد بن سعد في سبعين من
اعيانهم وكان اذ ذاك بمكة العمالقة اولاد عمليق بن لاوذ
بن سام وسيدهم معاوية بن بكر فلما قدموا عليه وهو
بظاهر مكة انزلهم واكرمهم وكانوا اخواله واصهاره
فلبثوا عنده شهرا يشربون الخمر وتغنيهم الجاريتان قينتان
له فلما رأى ذهولهم بالتهوا عما بعثوا له اهمه ذلك واستحى
ان يكلمهم فيه مخافة ان يطلقوا به ثقل مقامهم فعلم القينتين
الا با قيل ويحك قومي فهيني لعل الله يسقينا غماما فيسقي ارض عاد
ان عادا قد امسوا مايبتون الكلاما حتى غنتا به فاخبرهم
ذلك فقال مرثد والله لا تسقون بدعائكم ولكن ان اطعتم
نبيكم وتبتم الى الله سقيتم فقالوا لمعاوية احبسه عنا لا يقدم
علينا مكة فانه قد اتبع دين هود وترك ديننا ثم دخلوا مكة
فقالوا اللهم اسق عادا ما كنت تسقيهم فانشأ الله
سحابات ثلاث بيضا وحمرا وسودا ثم ناداه منادٍ من

السماء يا فيل اختر لنفسك ولقومك فقال اخترت السوداء
فانها اكثرهن ماء فخرجت على عاد من وادى المغيث فاستبشروا
بها وقالوا هذا عارض ممطرنا فجاءتهم منها ريح عقيم فاهلكتهم
ونجا هود والمؤمنون معه فاتوا مكة وعبدوا الله فيها حتى
ماتوا والى ثمود قبيلة اخرى من العرب سموا باسم ابيهم هو
الاكبر ثمود بن عابر بن ارم بن سام وقيل سموا به لقلة ماء
هم من الثمو وهو الماء القليل وقراء مصر وفابتاويل الحى او هو
باعتبار الاصل وكانت مساكنهم الحجر بين الحجاز والشام الى وادى
القرى اخاهم صالحا بن عبيد بن آسف بن ماسخ بن عبيد بن
ثمود قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاءتكم بينة
من ربكم معجزة ظاهرة الدالة على صحة نبوتى وقوله هذه هو
ناقة الله لكم آية استيناف لبيانها وآية نصب على الحال والعامل
فيها معنى الاشارة ولكم بيان لمن هى له آية ويجوز ان يكون هو
ناقة الله بدلا او عطف بيان ولكم خبرا عاملا فى آية واضافة
ناقة الى الله لتعظيمها ولانها جاءت من عنده بلا وسائط وهو
اسباب معهودة ولذلك كانت آية فذروها تأكل فى ارض الله
العشب ولا تمسوها بسوء نهى عن المس الذى هو مقدمة الا
صابة بالسوء الجامع لانواع الاذى مبالغة فى الامر واذاحة
للعذر فيأخذكم عذاب أليم جواب للنهى واذكروا اذ جعلكم
خلفاء من بعد عاد وبوأكم فى الارض ارض الحجر تتخذون هو
من سهولها قصورا اى تبنون فى سهولها او من سهلة
الارض بما تعملون منها كاللبن والاجر وتنحتون الجبال هو
بيوتا وقرئ وتنحتون بالفتح وتنحاتون بالاشباع وان
تصاب بيوتا على الحال المقدرة او المفعول على ان التقدير هو
بيوتا من الجبال او تنحتون بمعنى تتخذون فاذكروا آلاء الله
ولا تعثوا فى الارض مفسدين قال الملأ الذين استكبروا عن

الايمان من قومه للذين استضعفوا اى للذين استضعفوهم
واستذلوهم لمن آمن منهم بدل من استضعفوا بدل الكل ان
كان الضمير لقومه وبدل البعض ان كان للذين اتعلمون
ان صالحا مرسل من ربه قالوه على الاستهزاء قالوا انا بما ارسل
به مؤمنون عدلوا به عن الجواب السنوى الذى هو نعم تنبيها
على ان ارساله اظهر من ان يشك فيه عاقل ويخفى على ذى هو
رأى وانما الكلام فيمن آمن به ومن كفر قال الذين استكبروا
انا بالذى آمنتم به كافرون على المقابلة ووضعوا آمنتم به هو
موضع ارسل به ردا لما جعلوه معلوما مسلما فعقروا الناقة
فنحروها اسند الى جميعهم فعل بعضهم للملابسة او لانه كان
برضاهم وعتوا عن امر ربهم واستكبروا عن امتثاله وهو
ما بلغهم صالح بقوله فذروها وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا
ان كنت من المرسلين فاخذتهم الرجفة فاصبحوا فى دارهم
جاثمين متبين روى انهم بعد عاد عمروا بلادهم وخلفوهم
وكثروا وعمروا اعمارا طوالا الا نفى الابنية فنحتوا البيوت من
الجبال وكانوا فى خصب وسعة فعتوا وافسدوا فى الارض و
عبدوا الاصنام فبعث الله اليهم صالحا من اشرافهم فانذرهم
فسألوه آية فقال اية آية تريدون فقالوا تخرج معنا الى عيدنا
فتدعو الهك وندعو آلهتنا فمن استجيب له اتبع فخرج معهم
فدعوا اصنامهم فلم يجبهم ثم اشار سيدهم جندع بن عمرو
الى صخرة منفردة يقال لها الكاثبة وقال له اخرج من هذه الصخرة
ناقة مخترجة جوفاء وبراء فان فعلت صدقناك فاخذ عليهم
صالح عليه السلام مواثيقهم لئن فعلت ذلك لتؤمنن فقالوا
نعم فصلى ودعا ربه فتمخضت الصخرة تمخض النتوج
بولدها فانصدعت عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما وصفوا

سل

هم

وهم ينظرون ثم نتجت ولدا مثلها فى العظم فآمن به جندع
فى جماعة ومنع الباقين عن الايمان ذوات بن عمرو والجباب هـ
صاحب اوثانهم ورباب بن كانهم فمكثت الناقة مع ولدها
ترعى الشجر وترد الماء غبا فاذا ترفع رأسها من البئر حتى هـ
تشرب كل ماء فيه ثم تفج فيحلبون ماشاء الله حتى تملئ هـ
اوانيهم فيشربون ويدخرون وكانت تصيف بظهر الوادى هـ
فتهرب منها انعامهم الى بطنه وتشتى ببطنه فتهرب مواشيهم
الى ظهره فشق ذلك عليهم وزينت عقرها لهم عنيزة ام غنم
وصدقة بنت المختار فعقروها واقتسموا لحمها فرثى سقبها
جبلا اسمه قارة فرغا ثلاثا فقال لهم صالح ادركوا الفصيل هـ
عسى ان يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا عليه اذ انفجت الصخرة
بعد رغاته فدخلها فقال لهم تصبحوا وجوهكم غدا مصفرة
وبعد غد محمرة واليوم الثالث مسودة ثم يصبحكم العذاب
فلما رأوا العلامات طلبوا ان يقتلوه فانجاه الله الى ارض فلسطين
ولما كان ضحوة اليوم الرابع تحنطوا بالصبر وتكفنوا بالانطاع هـ
فاتتهم صيحة من السماء فتقطعت قلوبهم فهلكوا فتولى عنهم وقال
ياقوم لقد ابلغتكم رسالة ربى ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين ظاهره ان توليه عنهم كان بعد ان ابصرهم جاثمين وهو
لعله خاطبهم به بعد هلاكهم كما خاطب رسول الله يوم اهل قليب
بدر وقال انا وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد
ربكم حقا او ذكر ذلك على سبيل التحسر عليهم ولوطا اى و
ارسلنا لوطا اذ قال لقومه وقت قوله لهم او اذكر لوطا واذ
بدل منه اتأتون الفاحشة توبيخ وتقريع على تلك الفعلة المتناهية فى القبح ما سبقكم بها من احد من العالمين ما فعلها احد من
قبلكم قط والباء للتعدية ومن الاولى لتأكيد النفى والاستغراق

والثانية

والثانية للتبعيض والجملة استئناف ومقررة للانكار كأنه وبخهم
اولا باتيان الفاحشة ثم بالخلو عنها فانه اسوء انكم لتأتون
الرجال شهوة من دون النساء بيان لقوله اتأتون الفاحشة
وهو ابلغ فى الانكار والتوبيخ وقرأ نافع وحفص انكم على الاخبار المستأنف وشهوة مفعول له او مصدر فى موقع الحال و
فى التقييد بها وصفهم بالبهيمية الصرفة وتنبيه على ان العاقل
ينبغى ان يكون الداعى له الى المباشرة طلب الولد وبقاء النوع هـ
لا قضاء الوطر بل انتم قوم مسرفون اضراب عن الانكار الى الاخبار
عن حالهم التى ادت بهم الى ارتكاب امثالها وهى اعتياد الاسراف
فى كل شئ او عن الانكار عليها الى الذم على جميع معايبهم او عن محذو
مثل لا عذر لكم فيه بل انتم قوم عادتكم الاسراف فما كان جواب
قومه الا ان قالوا اخرجوهم من قريتكم اى ما جاءوا بما يكون هـ
جوابا عن كلامه ولكنهم قابلوا نصيحته بالامر باخراجه فيمن معه
من المؤمنين من قريتهم والاستهزاء بهم فقالوا انهم اناس
يتطهرون اى من الفواحش فانجيناه واهله من آمن به
الا امراته واهلة فانها كانت تسر الكفر كانت من الغابرين
من الذين بقوا فى ديارهم فهلكوا والتذكير لتغليب الذكور
وامطرنا عليهم مطرا اى نوعا من المطر عجيبا وهو مبين هـ
بقوله وامطرنا عليهم حجارة من سجيل فانظر كيف كان
عاقبة المجرمين روى ان لوطا بن هارون بن تارخ لما هاجر
مع عمه ابراهيم الى الشام نزل بالاردن فارسله الله الى هـ
اهل سدوم ليدعوهم الى الله وينهاهم عما اختصوا من
الفاحشة فلم ينتهوا عنها فامطر الله عليهم الحجارة فهلكوا
وقيل خسف بالمقيمين منهم وامطرت الحجارة على مسافر
هم والى مدين اخاهم شعيبا اى فارسلنا اليهم وهم اولا

ف

ين

د

مدين بن ابراهيم بن شعيب بن ميكيل بن يشخر بن مدين و
كان يقال له خطيب الانبياء لحسن مراجعة قومه قال يا قوم ه
اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم يريد
المعجزة التى كانت له وليس فى القران انها ما هية وما روى من
محاربة عصا موسى التنين وولادة الغنم التى دفعها الذرع
خاصة وكانت الموعودة له من اولادها ووقوع عصا ادم ه
على يده فى المرات متأخرة عن هذه المقاولة ويحتمل ان تكون
كرامة لموسى او ارهاصا لنبوته فاوفوا الكيل اى آلة الكيل
على الاضمار او اطلاق الكيل على المكيال كالعيش على المعاش ه
لقوله والميزان كما قال فى سورة هود او اوفوا الكيل ووزن
الميزان ويجوز ان يكون مصدرا كالميعاد ولا تبخسوا ه
الناس اشياءهم ولا تنقصوهم حقوقهم وانما قال اشياءهم
للتعميم تنبيها على انهم كانوا يبخسون الجليل والحقير والقليل
والكثير وقيل كانوا مكاسين لا يدعون شيأ الا مكسوه ولا
تفسدوا فى الارض بالكفر والحيف بعد اصلاحها بعد ما اصلح
امرها او اهلها الانبياء وابتاعهم بالشرايع او اصلحوا فيها
والاضافة اليها كالاضافة فى بل مكر الليل والنهار ذلكم خير ه
لكم ان كنتم مؤمنين اشارة الى العمل بما امرهم به ونهاهم عنه و
معنى الخيرية اما الزيادة مطلقا او فى الانسانية وحسن الاه
حدوثة وجمع المال ولا تقعدوا بكل صراط توعدون بكل طريق
من طرق الدين كالشيطان وصراط الحق وان كان واحدا لكنه
يشعب لامعارف وحدود واحكام وكانوا اذا راوا احدا ممن
يسعى فى شئ منها منعوه وقيل كانوا يجلسون على المراصد فيقولون
لمن يريد شعيبا انه كذاب لا يفتننك عن دينك ويوعدون ه
لمن آمن به وقيل كانوا يقطعون الطريق وتصدون عن سبيل

الله يعنى الذين قعدوا عليه فوضع الظاهر موضع المضمر بيانا
لكل صراط ودلالة على عظم ما يصدون عنه وتقبيحا لما كانوا عليه
او الايمان بالله من آمن به اى بالله او بكل صراط على الاول ومن
مفعول تصدون على اعمال الاقرب ولو كان مفعول توعدون
لقال وتصدونهم وتوعدون بما عطف عليه فى موقع الحال من ه
الضمير فى تقعدوا وتبغونها عوجا وتطلبون لسبيل الله عوجا
بالقاء الشبه او وصفها للناس بانها معوجة واذكروا اذ كنتم
قليلا عددكم او عددكم فكثركم بالبركة فى النسل او المال وانظروا ه
كيف كان عاقبة المفسدين من الامم قبلكم واعتبروا بهم وان
كان طائفة منكم آمنوا بالذى ارسلت به وطائفة لم يؤمنوا ه
فاصبروا وترتبصوا حتى يحكم الله بيننا اى بين الفريقين بنصر
المحقين على المبطلين وهو وعد للمؤمنين ووعيد للكافرين
وهو خير الحاكمين اذ لا معقب لحكمه ولا حيف فيه قال الملأ
الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين ه
آمنوا معك من قريتنا او لتعودن فى ملتنا اى ليكونن احد
الامرين اما اخراجكم عن القرية او عودكم فى الكفر وشعيب
لم يكن فى ملتهم قط لان الانبياء لا يجوز عليهم الكفر مطلقا
لكن غلبوا الجماعة على الواحد فخوطب هو وقومه بخطابهم
وعلى الذين اجرى الجواب فى قوله قال اولو كنا كارهين
اى كيف نعود فيها ونحن كارهون لها او اتعيدوننا فى
حال كراهتنا قد افترينا على الله كذبا قد اختلقنا عليه ان
عدنا فى ملتكم بعد اذ نجانا الله منها شرط جوابه محذوف
دليله قد افترينا وهو بمعنى المستقبل لانه لم يقع لكنه جعل
كالواقع للمبالغة وادخل عليه قد لتقريبه من الحال اى قد هو
افترينا الآن ان هممنا بالعود بعد الخلاص منها حيث ه

نزعم ان لله ندا وانه قد بين لنا ان ما كنا عليه باطل و
ما انتم عليه حق وقيل انه جواب قسم وتقديره والله لقد
افترينا وما يكون لنا وما يصح لنا ان نعود فيها الا ان
يشاء الله ربنا خذلاننا وارتدادنا وفيه دليل على ان الكفر
بمشيته وقيل اراد به حسم طمعهم في العود بالتعليق على ما
لا يكون وسع ربنا كل شيء علما اى احاط علمه بكل شيء ما
كان وما يكون منا ومنكم على الله توكلنا في ان يثبتنا على الا
يمان ويخلصنا من الاشرار ربنا افتح بيننا وبين قومنا
بالحق احكم بيننا والفتاح القاضي والفتاحة الحكومة او
اظهر امرنا حتى ينكشف ما بيننا وبينهم وبين الحق عن
المبطل من فتح المشكل اذا بينه وانت خير الفاتحين على
المعنيين وقال الملأ الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيبا
وتركتم دينكم انكم اذا لخاسرون لاستبدالكم ضلالته بهداكم
او لفوات ما يحصل لكم بالبخس والتطفيف وهو سادّ مسدّ
جواب الشرط والقسم الموطأ باللام فاخذتهم الرجفة الزلزلة
وفي سورة الحجر فاخذتهم الصيحة ولعلها كانت من مبادي بهما
فاصبحوا في دارهم جاثمين اى في مدينتهم الذين كذبوا شعيبا
مبتدا خبره كأن لم يغنوا فيها اى استوصلوا كأن لم يقيموا بها
والمعنى المنزل الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين دينا ودنيا
لا الذين صدقوه واتبعوه كما عمموا فانهم الرابحون في الدارين
وللتنبيه على هذا والمبالغة فيه كرر الموصول واستانف الجملتين
واتى بهما اسميتين فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم
رسالات ربي ونصحت لكم قاله تأسفا بهم لشدة حنينه
عليهم ثم انكر على نفسه فقال فكيف آسى على قوم كافرين ليسوا
اهلا لحزني لاستحقاقهم ما نزل عليهم بكفرهم او قال ذلك اعتذارا

عن عدم شدة حزنه عليهم والمعنى لقد بالغت في الابلاغ والانذار وبذلت وسعي في النصح والاشفاق فلم تصدقوا قولي
فكيف اسى عليكم وقرئ باسى من الاسين وما ارسلنا في قرية من نبي
الا اخذنا اهلها بالباساء والضراء بالبؤس والضر لعلهم
يضرعون كي يتضرعوا ويتذللوا ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة
اى اعطيناهم بدل ما كانوا فيه من البلاء والشدة السلامة و
السعة ابتلاء لهم بالامرين حتى عفوا كثروا عددا وعدادا هو
يقال عفى النبات اذا كثر ومنه اعفاء اللحى وقالوا قد مس
آباءنا الضراء والسراء كفرانا لنعمة الله ونسيانا لذكره و
اعتقادا بانه من عادة الدهر يعاقب في الناس بين الضراء
والسراء وقد مس اباءنا منه شيء مثل ما مسنا فاخذناهم
بغتة فجاءة وهم لا يشعرون بنزول العذاب ولو ان اهل القرى
يعني المدلول عليها بقوله وما ارسلنا في قرية من نبي وقيل هم
مكة وما حولها آمنوا واتقوا مكان كفرهم وعصيانهم لفتحنا
عليهم بركات من السماء والارض لوسعنا عليهم الخير وهو
بتسرناه لهم من كل جانب وقيل المراد المطر والنبات وقراء
ابن عامر لفتحنا بالتشديد ولكن كذبوا الرسل فاخذناهم
بما كانوا يكسبون من الكفر والمعاصي افامن اهل القرى عطف
على قوله فاخذناهم بغتة وما بينهما اعتراض والمعنى ابعد
ذلك امن اهل القرى ان ياتيهم بأسنا بيانا تابتا او وقت
بيات او مبيتا او مبيتين وهو في الاصل مصدر بمعنى البيتوتة
ونجئ بمعنى التبييت كالسلام بمعنى التسليم وهم نائمون حال
من ضميرهم البارز او المستتر في بياتا او امن اهل القرى وهو
قراءة ابن كثير ونافع وابن عامر او بالتسكين على التخفيف
ان ياتيهم بأسنا ضحى ضحوة النهار وهو في الاصل ضوء

الشمس اذا ارتفعت وهم يلعبون يلهون من فرط الغفلة
او يشتغلون بما لاينفعهم افامنوا مكر الله تقدير لقوله افامن
اهل القرى ومكر الله استعارة لاستدراج العبد واخذه من
حيث لايحتسب فلا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون الذين
خسروا بالكفر وترك النظر والاعتبار اولم يهد للذين يرثون
الارض من بعد اهلها اى يخلفون من خلا قبلهم ويرثون هم
ديارهم وانما عدى يهدى باللام لانه بمعنى يبين ان لو نشاء
اصبناهم بذنوبهم اى الشان لو نشاء اصبناهم بجزاء ذنوبهم
كما اصبنا من قبلهم وهو فاعل يهدى ومن قرأ بالنون جعله
مفعولا ونطبع على قلوبهم عطف على ما دل عليه اولم يهد اى
يغفلون عن الهداية او منقطع عنه بمعنى ونحن نطبع ولا يجوز
عطفه على اصبناهم على انه بمعنى وطبعنا لانه فى سياق جواب هـ
لو لافضائه الى نفى الطبع عنهم فهم لايسمعون سماع تفهم و
اعتبار تلك القرى يعنى قرى الامم الماضى ذكرهم نقص عليك من
انبائها حال ان جعل القرى خبرا ويكون افادته بالتقييد بها و
خبرا ان جعلت صفة ويجوز ان يكونا خبرين ومن للتبعيض
اى نقص بعض انبائها ولها انباء غيرها لانقصها ولقد جاءتهم
رسلهم بالبينات بالمعجزات فما كانوا ليؤمنوا عند مجيئهم بها
بما كذبوا من قبل بما كذبوه من قبل الرسل بل كانوا مستمرين على
التكذيب او فما كانوا ليؤمنوا مدة عمرهم بما كذبوا به اول حين
جاءتهم الرسل ولم يؤثر فيهم قط دعوتهم المتطاولة وهم
الايات المتتابعة واللام لتاكيد النفى والدلالة على انهم ماصلحوا
للايمان لمنافاة حالهم فى التصميم على الكفر والطبع على قلوبهم
كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين فلا تلين شكيمتهم هـ
بالايات والنذر وما وجدنا لاكثرهم لاكثر الناس والا نا

اعتراض او لاكثر الامم المذكورة من عهد وفاء عهد فان هـ
اكثرهم نقضوا ما عهد الله اليهم فى الايمان والتقوى بانزال
الآيات ونصب الحجج او ما عهدوا اليه حين كانوا فى ضر ومخافة
لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين وان وجدنا
اكثرهم اى علمنا هم لفاسقين من وجدت زيدا ذا الحفاظ
لاصل ان المخففة واللام الفارقة وذلك لايسوغ الا فى المبتدا
والخبر والافعال الداخلة عليهما وعند الكوفيين ان للنفى واللام
بمعنى الا ثم بعثنا من بعدهم موسى الضمير للرسل فى قوله هـ
ولقد جاءتهم رسلهم او للامم بايتنا يعنى المعجزات الى فرعون
وملائه فظلموا بها بان كفروا بها مكان الايمان الذى هو من
حقها لوضوحها ولهذا المعنى وضع ظلموا موضع كفروا وفرعون
لقب لمن ملك مصر كقيصر لملك فارس وكان اسمه قابوس
وقيل الوليد بن مصعب الريان فانظر كيف كان عاقبة المفسدين
وقال موسى يا فرعون انى رسول من رب العالمين اليك وقوله
حقيق على ان لا اقول على الله الا الحق لعله جواب لتكذيبه هـ
اياه فى دعوى الرسالة وانما لم يذكره لدلالة قوله فظلموا
بها عليه وكان اصله حقيق على ان لا اقول كما قراه نافع
فقلب لامن الالباس كقوله وتشقى الرماح بالضياطرة الحمر
او لان ما لزمك فقد لزمته او للاغراق فى الوصف بالصدق
والمعنى انه حقيق واجب على القول الحق ان اكون انا قائله
لايرضى الا بمثلى ناطقا به او ضمن حقيق معنى حريص او هـ
وضع على مكان الباء لافادة التمكن كقولهم رميت على القوس
وجئت على حال حسنة ويؤيده قراءة ابى بالباء وقرئ هـ
حقيق ان لا اقول قد جئتكم ببينة من ربكم فارسل معى
بنى اسرائيل فخلهم حتى يرجعوا معى الى الارض المقدسة هـ

ف

التى هى وطن ابائهم وكان قد استعبدهم واستخدمهم فى
الاعمال قال ان كنت جئت بآية من عند من ارسلك فأت بها
فاحضرها عندى لينبت بها صدقك ان كنت من الصادقين
فى الدعوى فألقى عصاه فاذا هى ثعبان مبين ظاهر امره لا شك
فى انه ثعبان وهو الحية العظيمة روى انه لما القاها صار ثعبانا
اشعر فاغر فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الاسفل على
الارض والاعلى على سور القصر ثم توجه نحو فرعون فهرب
منه واحدث وانهزم الناس من دحمين فمات منهم خمسة
وعشرون الفا وصاح فرعون يا موسى انشدك بالذى ارسلك
خذه وانا اؤمن بك وارسل معك بنى اسرائيل فاخذه فعاد
عصا ونزع يده من جيبه او من تحت ابطه فاذا هى بيضاء
للناظرين اى بيضاء بياضا خارجا عن العادة يجتمع عليها
النظارة او بيضاء للنظار لانها كانت بيضاء فى جبلتها روى
انه كان عليه السلام ادرم شديد الادمة فادخل يده فى جيبه
او تحت ابطه ثم نزعها فاذا هى بيضاء نورانية غلب شعاعها
شعاع الشمس قال الملأ من قوم فرعون ان هذا لساحر
عليم قيل قاله هو واشراف قومه على سبيل التشاور فى امره
فحكى عنه فى سورة الشعراء وعنهم ههنا يريد ان يخرجكم
من ارضكم فماذا تأمرون تشيرون فى ان نفعل قالوا ارجه و
اخاه وارسل فى المدائن حاشرين يأتوك بكل ساحر عليم
كانه اتفقت عليه اراؤهم فاشاروا به الى فرعون والارجاء
التأخير اى احبسه واصله ارجئه كما قراء ابو عمرو ويقفون
وابو بكر بن ارجاءت وكذلك ارجئهو على قراءة ابن كثير وهشام
عن ابن عامر على الاصل فى الضمير او ارجهى من ارجيت كما قراء
نافع فى رواية ورش واسماعيل والكسائى واما قراءته فى رواية

قالون ارجه بحذف الياء تلالكتفاء بالكسرة عنها وقراءة حمزة
وحفص ارجه بسكون الهاء فلتشبيه المنفصل بالمتصل وجعل
جه كابل فى اسكان وسطه واما قراءة ابن عامر ارجئه بالهمزة و
كسر الهاء فلا بر تضيه التحاة فان الهاء لا تكسر الا اذا كان قبلها
كسر او ياء ساكنة ووجهه ان الهمزة لما كانت تقلب ياء هر
اجريت مجراها وقراءة حمزة والكسائى بكل ساحر فيه وفى يونس
ويؤيده اتفاقهم عليه فى الشعراء وجاء السحرة فرعون بعد
ما ارسل الشرطى فى طلبهم قالوا ائن لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين
استأنف به كانه جواب سائل قال ما قالوا اذ جاءوا وقراءة ابن هر
كثير ان لنا على الاخبار وايجاب الاجر كانهم قالوا لا بد لنا من
اجر والتنكير للتعظيم قال نعم ان لكم اجرا وانكم لمن المقربين
عطف على ما سد مسده نعم وزيادة على الجواب لتحريضهم قالوا هر
يا موسى اما ان تلقى واما ان نكون نحن الملقين خير وا موسى
مراعاة للادب او اظهارا للجلادة ولكن كانت رغبتهم فى ان
يلقوا قبله فنبهوا عليها بتغيير النظم الى ما هو ابلغ وتعريفهر
الخبر وتوسيط الفصل او تأكيد ضميرهم المتصل بالمنفصل فلذلك
قال بل القوا فكرما وتسامحا وازدراء بهم ووثوقا على شانه
فلما القوا سحروا اعين الناس بان خيلوا اليها ما الحقيقة
بخلافه واسترهبوهم وارهبوهم اراها شديدا كانهم
طلبوا رهبتهم وجاؤا بسحر عظيم فى فنه روى انهم القوا
حبالا غلاظا وخشبا طوالا كانها حيات ملأت الوادى هر
ولكن بعضها بعضا واوحينا الى موسى ان القى عصاك فالقاها
فصارت حية فاذا هى تلقف ما يأفكون اى ما يزورونه
من الافك وهو الصرف وقلب الشئ عن وجهه ويجوز
ان يكون ما مصدرية وهى مع الفعل بمعنى المفعول روى

ها

انها لما تلقفت حبالهم وعصاهم وابتلعتها باسرها
اقبلت على الحاضرين فهربوا وازدحموا حتى هلك جمع عظيم
ثم اخذها موسى فصارت عصا كما كانت فقالت السحرة
لو كان هذا سحرا لبقيت حبالنا وعصانا فوقع الحق
لظهوره امره وبطل ما كانوا يعملون من السحر والمعارضة
فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين صاروا اذلاء منهزمين
او رجعوا الى المدينة اذلاء مقهورين والضمير لفرعون وقومه
والقي السحرة ساجدين جعلهم ملقين على وجوههم تنبيها على
ان الحق ابهرهم واضطرهم الى السجود بحيث لم يبق لهم
تمالك او ان الله تعالى الهمهم ذلك وحملهم عليه حتى ينكسر فرعون
بالذين اراد بهم كسر موسى وينقلب الامر عليه او مبالغة
في سرعة خرورهم وشدته قالوا آمنا برب العالمين رب موسى
وهارون ابدلوا الثاني من الاول لئلا يتوهم انهم ارادوا به
فرعون قال فرعون آمنتم به اي بالله او بموسى والاستفهام
فيه للانكار وقرأ حمزة والكسائي وابو بكر عن عاصم وروح
عن يعقوب بتحقيق الهمزتين على الاصل وقرأ
حفص آمنتم به على الاخبار قبل ان آذن لكم ان هذا لمكر
مكرتموه اي ان هذا الصنيع لحيلة احتلتموها انتم وموسى
في المدينة في مصر قبل ان تخرجوا للميعاد لتخرجوا منها
اهلها يعني القبط وتتخلص لكم ولبني اسرائيل فسوف
تعلمون عاقبة ما فعلتم وهو تهديد مجمل يفصله لاقطعن
ايديكم وارجلكم من خلاف من كل شق طرفا ثم لاصلبنكم
اجمعين تفضيحا لكم وتنكيلا لامثالكم قيل انه اول من سن
ذلك فشرعه الله تعالى للقطاع تعظيما لجرمهم ولذلك سماه محاربة
الله ورسوله ولكن على التعاقب لفرط رحمته قالوا انا الى

ربنا منقلبون بالموت لا محالة فلا نبالي بوعيدك او انا المنقلبون
الى ربنا وثوابه ان فعلت بنا ذلك كانهم استطابوه شوقا الى
لقاء الله تعالى او مصيرنا ومصيرك الى ربنا فيحكم بيننا وما تنقم
منا وما تنكر منا الا ان آمنا بايات ربنا لما جاءتنا وهو خير
الاعمال واصل المناقب ليس مما يتأتى لنا العدول عنه طلبا
لمرضاتك ثم دعوا الى الله تعالى فقالوا ربنا افرغ علينا صبرا
افض علينا صبرا يغمرنا كما يفرغ الماء او صب علينا ماء يطهرنا
من الاثام وهو الصبر على وعيد فرعون وتوفنا مسلمين
ثابتين على الاسلام قيل انه فعل بهم ما اوعدهم به وقيل لم
يقدر عليهم لقوله تعالى انتما ومن اتبعكما الغالبون وقال
الملأ من قوم فرعون اتذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض
بتغيير الناس عليك ودعوتهم الى مخالفتك ويذرك عطف
على ليفسدوا او جواب للاستفهام بالواو كقول الخطيئة الم اك
جاركم ولكون بيني وبينكم المودة والاخاء على معنى ايكون هو
منك ترك موسى ويكون تركه اياك وقرئ بالرفع على انه عطف
على الذر او استيناف او حال وقرئ بالسكون كانه قيل ليفسدوا
ويذرك كقوله فاصدق واكن وآلهتك معبوداتك قيل كان
يعبد الكواكب وقيل صنع لقومه اصناما وامرهم ان يعبدوها
تقربا اليه ولذلك قال انا ربكم الاعلى وقرئ الا الهتك اي هو
عبادتك قال فرعون سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم
كما كنا نفعل من قبل ليعلم انا على ما كنا عليه من القهر وهو
الغلبة ولا يتوهم انه المولود الذي حكم المنجمون والكهنة هو
بذهاب ملكنا على يده وقرأ ابن كثير بالتخفيف وانا فوقهم
قاهرون غالبون وهم مقهورون تحت ايدينا قال موسى
لقومه استعينوا بالله واصبروا لما سمعوا قول فرعون هو

تضجروا منه تسكينا لهم ان الارض لله يورثها من يشاء
من عباده تسلية لهم وتقريرا للامر بالاستعانة بالله وهو
التثبت فى الامر والعاقبة للمتقين وعدلهم بالنصرة وتذكير
لما وعدهم من اهلاك القبط وتوريثهم ديارهم وتخفيف
له وقرئ العاقبة بالنصب عطفا على اسم ان واللام فى الارض
يحتمل العهد والجنس قالوا اى بنى اسرائيل اوذينا من قبل ان
تاتينا بالرسالة بقتل الانبياء ومن بعد ما جئتنا باعادته
قال عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم فى الارض
تصريحا بما كنى عنه او الماد اى انهم لم يتسلوا بذلك فى
لعله الى بفعل الطمع لعدم جزمه بانهم المستخلفون
باعيانهم او اولادهم وقد روى ان مصر اثم افتح لهم زمن داود
عليه السلام فينظر كيف تعملون فيرى ما تعملون من شكر وكفر
وطاعة وعصيان ليجازيكم على حسب ما يوجد منكم ولقد اخذنا
آل فرعون بالسنين بالجدوب لقلة الامطار والمياه والسنة
غلبت على عام القحط لكثرة ما يذكر عنه ويعبر بها ثم اشتق منها
فقيل اسنت القوم اذا اقحطوا ونقص من الثمرات بكثرة العاهات
لعلهم يذكرون لكى ينتبهوا على ان ذلك بشومكفرهم ومعاصيهم
فيتعظوا اوترق قلوبهم بالشدائد فيفزعوا الى الله ويرغبوا فيما عنده فاذا جاءتهم الحسنة كمن الخصب والسعة
قالوا لنا هذه لاجلنا ونحن مستحقوها وان تصبهم سيئة
جدب وبلاء يطيروا بموسى ومن معه يتشاءموا بهم وهو
يقولون ما اصابتنا الا بشومهم وهذا اغراق فى وصفهم
بالغباوة والقساوة فان الشدائد ترقق القلوب وتذلل
العرائك وتزيل التماسك سيما بعد مشاهدة الآيات وهى
لم تؤثر فيهم بل زادوا عندها عتوا وانهماكا فى الغى وانما

عرف الحسنة وذكرها مع اداة التحقيق لكثرة وقوعها وتعلق
الارادة باحداثها بالذات ونكر السيئة واتى بها مع حرف الشك
لندورها وعدم القصد لها الا بالتبع الا انما طائرهم عند
الله اى سبب خيرهم وشرهم عنده وهو حكمه ومشيته او
سبب شومهم عند الله وهو اعمالهم المكتوبة عنده فانها
التى ساقت اليهم ما يسوءهم وقرئ انما طيرهم وهو اسم
الجمع وقيل هو جمع ولكن اكثرهم لا يعلمون ان ما يصيبهم من
الله او من شوم اعمالهم وقالوا مهما اصلها ما الشرطية ضمت
اليها ما المزيدة للتاكيد ثم قلبت الفها هاء استثقالا للتكرير
وقيل مركبة من مه الذى يصوت به الكاف وما الجزائية وهو
محلها الرفع على الابتدا او النصب بفعل يفسره تاتنا به اى
اى شىء تحضرنا تاتنا به من آية بيان لمهما وانما سموها
اية على زعم موسى للاعتقاد هم ولذلك قالوا لتسحرنا بها فما
نحن لك بمؤمنين اى لتسحر بها اعيننا وتشبه علينا والضمير
فى بها وبه لما ذكره قبل التبيين باعتبار اللفظ وانثه بعده باعتبار
المعنى فارسلنا عليهم الطوفان ماء طاف بهم وغشى اماكنهم
وحروثهم من مطر اوسيل وقيل الجدرى وقيل الموتان وقيل
الطاعون والجراد والقمل قيل هو كبار القردان وقيل اولاد
الجراد قبل نبات اجنحتها والضفادع والدم روى انهم مطروا
ثمانية ايام فى ظلمة شديدة لا يقدر احدان يخرج من بيته ودخل
الماء بيوتهم حتى قاموا فيه الى تراقيهم وكانت بيوت بنى
اسرائيل مشتبكة ببيوتهم ولم يدخل فيها قطرة وركد على
اراضيهم فمنعهم من الحرث والتصرف فيها ودام ذلك شهرا
عليهم اسبوعا فقالوا لموسى ادع لنا ربك يكشف عنا ونحن
نؤمن بك فدعا فكشف عنهم ونبت لهم من الكلاء والزرع

مالم يعهد مثله ولم يؤمنوا فبعث الله عليهم الجراد فاكلت
زروعهم وثمارهم ثم اخذت تأكل الابواب والسقوف
والثياب ففزعوا اليه ثانيا فدعا وخرج الى الصحراء واشار
بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجعت الى النواحي التي جاءت منها
فلم يؤمنوا فسلط الله عليهم القمل فاكل ما ابقاه الجراد وكان
يقع في اطعمتهم ويدخل بين اثوابهم وجلودهم فيمصها ففزعوا
اليه فرفع عنهم فقالوا قد تحققنا الآن انك ساحر ثم ارسل
الله عليهم الضفادع بحيث لا يكشف ثوب ولا اطعام الا وهو
جدت فيه وكانت تمتلئ منها مضاجعهم وتثب الى قدورهم
وهي تغلي وافواههم عند التكلم ففزعوا اليه ونضرعوا فاخذ
عليهم العهود ودعا فكشف الله عنهم ثم نقضوا العهد ثم ارسل
الله عليهم الدم فصارت مياههم دما حتى كان يجتمع القبطي
مع الاسرائيلي على اناء فيكون ما يليه دما وما يلي الاسرائيلي
ماء ويمص الماء من فم الاسرائيلي فيصير دما في فيه وقيل سلط الله
عليهم الرعاف آياتٍ نصب على الحال مُفَصَّلاتٍ مبينات لا يشكل
على عاقل انها ايات الله ونقمة عليهم او مفصلات للامتحان احوالهم
اذ كان بين كل آيتين منها شهر وكان امتداد كل واحدة اسبوعا
وقيل ان موسى لبث فيهم بعد ما غلب السحرة عشرين سنة
يريهم هذه الآيات على مهل فاستكبروا من الايمان وكانوا قوما
مُجْرِمِينَ ولما وقع عليهم الرِّجْزُ يعني العذاب المفصل او الطاعون
الذي ارسل الله عليهم بعد ذلك قالوا يا موسى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا
عَهِدَ عِنْدَكَ بعهده عندك وهو النبوة او بالذي عهده اليك
ان تدعوه بها فيجيبك كما اجابك في اياتك وهو صلة لادع او حال
من الضمير فيه بمعنى ادع الله متوسلا اليه بما عهد عندك او هو
متعلق بفعل محذوف دل عليه التماسهم مثل اسعفنا الى الطلب

منك بحق ما عهد عندك او قسم بجاب بقوله لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا
الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ ولَنُرْسِلَنَّ معك بني اسرائيل اي اقسمنا
بعهد الله عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن ولنرسلن
فلما كشفنا عنهم الرجز الى اجلٍ هم بالغوه للاجل من الزمان
هم بالغوه فيعذبون فيه او مهلكون وهو وقت الغرق او الموت
وقيل الى اجل عينوه لايمانهم اِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ جواب لما اي فلما
كشفنا عنهم فاجؤا النكث من غير توقف وتأمل فيه فَانْتَقَمْنَا
منهم فاردنا الانتقام منهم فاغرقناهم فِي الْيَمِّ اي البحر الذي هو
لا يدرك قعره وقيل لجته بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وكانوا عنها هم
غافلين اي كان اغراقهم بسبب تكذيبهم بالآيات وعدم هم
فكرهم فيها حتى صاروا كالغافلين عنها وقيل الضمير للنقمة هم
المدلول عليها بقوله فانتقمنا او رَدَدْنَا القوم الذين كانوا هم
يُسْتَضْعَفُونَ بالاستعباد وذبح الابناء من مستضعفيهم هم
مَشَارِقَ الْأَرْضِ ومغاربها يعني ارض الشام ملكها بنو اسرائيل
بعد الفراغة والعالقة وتمكنوا من نواحيها التي باركنا فيها بالهم
الخصب والسعة في العيش وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الحسنى على بني اسرائيل
ومضت عليهم واتصلت بالانجاز عدته اياهم بالنصرة والتمكين
وهو قوله ونريد ان نمن الى قوله ما كانوا يحذرون وقرئ هم
كلمات ربك لتعدد المواعيد بما صبروا بسبب صبرهم على
الشدائد ودمرنا وخربنا ما كان يَصْنَعُ فرعون وقومه من
القصور والعمارات وما كانوا يَعْرِشُونَ من الجنات او ما كانوا
يرفعون من البنيان كصرح هامان وقراءة ابن عامر وابو بكر
يعرشون بالضم وهذا اخر قصة فرعون وقومه وقوله وجاوزنا
ببني اسرائيل البحر ما بعده ذكر ما احدثه بنو اسرائيل من هم
الامور الشنيعة بعد ان من الله عليهم بالنعم الجسام واراهم من

الآيات العظام تسلية لرسول الله ﷺ مما رأى منهم وايقاظا
للمؤمنين حتى لا يغفلوا عن محاسبة انفسهم ومراقبة احوالهم
روى ان موسى ﷺ عبّى بهم يوم عاشوراء بعد ملك فرعون
وقومه فصاموه شكرا فأتوا على قوم قمر واعليهم يعكفون
على اصنام لهم يقيمون على عبادتها قيل كانت تماثيل بقره
وذلك اول شأن العجل والقوم كانوا من العمالقة الذين امر
موسى بقتالهم وقيل من لخم وقرأ حمزة والكسائي يعكفون
بالكسر قالوا يا موسى اجعل لنا الها مثالا نعبده كما لهم آلهة
يعبدونها وما كافة للكاف قال انكم قوم تجهلون وصفهم بأ
لجهل المطلق واكده لبعد ما صدر عنهم بعد ما رأوا من الآيات ه
الكبرى عن العقل ان هؤلاء اشارة الى القوم متبر ما هم
ما هم فيه يعني ان الله يهدم دينهم الذي هم عليه ويحطم اصنامهم
ويجعلها رضاضا وباطل ما كانوا يعملون من عبادتها
وان قصدوا بها التقرب الى الله ه وانما بالغ في هذا الكلام بايقاع
هؤلاء اسم ان والاخبار عنهم فيه بالتبار وعما فعلوا بالبطلا
وتقدم الخبرين في الجملتين الواقعتين خبرا لان للتنبيه على ان ه
الدمار لاحق لما هم فيه لا محالة وان الاحباط الكلي لاذ بما
مضى عنهم تنفير او تحذير عما طلبوا قال اغير الله ابغيكم الها
اطلب لكم معبودا وهو فضلكم على العالمين والحال انه فضلكم ه
بنعم لم يعطها غيركم وفيه تنبيه على سوء مقابلتهم حيث قابلوا
تخصيص الله اياهم من امثالهم بما لم يستحقوه تفضلا بان قصدوا
ان يشركوا به اخس شيء من مخلوقاته واذ نجيناكم من آل فرعون
واذكروا اصنيعه معكم في هذا الوقت وقرأ ابن عامر انجاكم يسومونكم
سوء العذاب استيناف لبيان ما انجاهم او حال من المخاطبين
او من آل فرعون او منهما يقتلون ابناءكم ويستحيون نساءكم

بدل منه مبين وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم وفي الانجاء او
العذاب نعمة او محنة عظيمة وواعدنا موسى ثلاثين ليلة اذا
القعدة وقرأ ابو عمرو ويعقوب ووعدنا واتممناها بعشر من
ذي الحجة فتم ميقات ربه اربعين ليلة بالفا اربعين روي انه
عليه السلام وعد بني اسرائيل بمصر ان يأتيهم بعد مهلك فرعون
بكتاب من الله فيه بيان ما يأتون ويذرون فلما هلك سأل ربه
فامره بصوم ثلاثين فلما اتمها انكر خلوف فيه فتسوك فقالت
الملائكة كنا نشم منك رائحة المسك وافسدته بالسواك فامره
الله ان يزيد عليها عشرا وقيل امره ان يتخلى ثلاثين بالصوم
والعبادة ثم انزل عليه التوراة في العشر وكلمه فيها وقال ه
موسى لاخيه هرون اخلفني في قومي كن خليفتي فيهم واصلح
ما يجب ان يصلح من امورهم او كن مصلحا ولا تتبع سبيل ه
المفسدين ولا تتبع من سلك الافساد ولا تطع من دعاك اليه
ولما جاء موسى لميقاتنا الوقتنا الذي وقتنا واللام للاختصاص
اي اختص مجيئه بميقاتنا وكلمه ربه من غير وسط كما يكلمه ه
الملائكة وفيما روي ان موسى ﷺ كان يسمع ذلك الكلام من كل
جهة تنبيه على ان سماع كلامه القديم ليس من جنس سماع
كلام المحدثين قال رب ارني انظر اليك ارني نفسك بان
تمكنني من رؤيتك او تتجلى لي انظر اليك وادلك وهو دليل ه
على ان الرؤية كما هي جائزة في الجملة لان طلب المستحيل من الانبياء
محال مخصوصا ما يقتضي الجهل بالله ولذلك رده بقوله لن ه
تراني دون لن ارى ولن اريك ولن تنظر الى تنبيها على انه ه
قاصر عن رؤيته لتوقفها على معد في الرائي لم يوجد فيه بعد وه
جعل السؤال لتبكيت قومه الذين قالوا ارنا الله جهرة خطاء ه
اذ لو كانت الرؤية ممتنعة لوجب ان يجهلهم ويزيح شبههم

كما فعل بهم حين قالوا اجعلنا الها ولا تتبع سبيلهم كما قال له
لاخيه ولا تتبع سبيل المفسدين والاستدلال بالجواب على استحا
لتها اشد خطاء اذ لا يدل الاخبار عن عدم رؤيته اياه على
ان لا يراه ابدا وان لا يراه غيره اصلا فضلا من ان يدل على استحا
لته ودعوة الضرورة فيه مكابرة او جهالة بحقيقة الرؤية له
قال لن تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف
تراني استدراك يريد به ان يبين به انه لا يطيقه وفي تعليق
الرؤية بالاستقرار ايضا دليل الجواز ضرورة ان المعلق على
الممكن ممكن والجبل قيل جبل زبير فلما تجلى ربه للجبل ظهر له
عظمته وتصدى له اقتداره وامره وقيل اعطى له حيوة ورؤية
حتى راه جعله دكا مدكوكا مفتتا والدك والدق اخوان كالشل
والشق وقرأ حمزة والكسائي دكاء اي ارضا مستوية ومنه له
ناقة دكاء للتي لا اصنام لها وقرئ دكا ودكاكا جمع دكاء وخر
موسى صعقا مغشيا عليه من هول ما رأى فلما افاق قال تعظيما
لما رأى سبحانك تبت اليك من الجراءة والاقدام على السؤال له
بغير اذن وانا اول المؤمنين من قومي او من تفسيره وقيل معناه انا اول
من امن بانك لا ترى في الدنيا قال يا موسى اني اصطفيتك
اخترتك على الناس اي الموجودين في زمانك وهارون و
ان كان نبيا كان مأمورا باتباعه ولم يكن كليما ولا صاحب
شرع برسالاتي يعني اسفار التوراة وقرأ ابن كثير برسالتي
وبكلامي وبتكليمي فما اتيتك اعطيتك من الرسالة وكن
من الشاكرين على النعمة قد روي ان سؤال الرؤية كان يوم عرفة
واعطاء التوراة يوم النحر وكتبنا له في الالواح من كل شيء ما
يحتاجون اليه من امر الدين موعظة وتفصيلا لكل شيء بدل
من الجار والمجرور اي كتبنا كل شيء من المواعظ وتفصيل الاحـ

حكام واختلف في ان الالواح كانت عشرة او سبعة وكانت من
زبرجد او زبرجد او ياقوت احمر او صخرة صماء لينها الله لموسى
فقطعها بيده او شققها باصابعه وكان فيها التوراة او غيرها
فخذها على اضمار القول عطفا على كتبنا او بدل من قوله فخذ ما
اتيتك والهاء للالواح او لكل شيء فانه بمعنى الاشياء او للرسالات
بقوة بجد وعزيمة وامر قومك يأخذوا بأحسنها اي بالحسن ما
فيها كالصبر والعفو بالاضافة الى الاقتصاص والاقتصاص على
طريقة الندب والحث على الافضل كقوله واتبعوا احسن ما انزل
اليكم او بواجباتها فان الواجب احسن من غيره ويجوز ان
يراد بالاحسن البالغ في الحسن مطلقا لا بالاضافة وهو المأمور
به كقولهم الصيف احر من الشتاء سأريكم دار الفاسقين
دار فرعون وقومه بمصير خاوية على عروشها او منازل عاد
وثمود واضرابهم لتعتبروا فلا تفسقوا او داهم في الاخرة
وهي جهنم وقرئ سأوريكم بمعنى سأبين لكم من اريت الزند
وساورثكم ويؤيده قوله واورثنا القوم سأصرف عن له
آياتي المنصوبة في الافاق والانفس الذين يتكبرون في الارض
بالطبع على قلوبهم فلا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها وقيل
سأصرفهم عن ابطالها وان اجتهدوا كما فعل فرعون فعاد
عليه باعلائها او باهلاكهم بغير الحق صلة يتكبرون بما له
ليس بحق وهو دينهم الباطل او حال من فاعله وان يروا كل
آية منزلة او معجزة لا يؤمنوا بها لعنادهم او لاختلال عقلهم
بسبب انهماكهم في الهوى والتقليد وهو يؤيد الوجه له
الاول وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا لاستيلاء
الشيطان عليهم وقرأ حمزة الرشد بفتحتين وقرئ الرشاد
وثلاثتها لغات كالسقم والسقم والسقام وان يروا سبيل

الغي يتخذوه سبيلا ذلك بانهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين
بسبب تكذيبهم وعدم تدبرهم الآيات ويجوز ان ينصب ذلك
على المصدر اى سأصرف ذلك الصرف بسببهما والذين كذبوا
بآياتنا ولقاء الآخرة اى لقاء هم الدار الآخرة او ما وعد الله
في الآخرة حبطت اعمالهم لا ينتفعون بها هل يجزون الا ما كانوا
يعملون الاجزاء اعمالهم واتخذ قوم موسى من بعده من بعد
ذهابه للميقات من حليتهم التي استعاروا من القبط حين
هموا بالخروج من مصر واضافتها اليهم لانها كانت في ايديهم
او ملكوها بعد هلاكهم وهو جمع حلى كثدى وثدى وقراهما
والكسائي بالكسر بالاتباع كدلي ويعقوب بالافراد عجلا جسدا
بدنا ذا لحم ودم او جسدا من الذهب خاليا عن الروح ونصبه
على البدل له خوار صوت البقر روى ان السامري لما صاغه
العجل القى في فيه من تراب اثر فرس جبرائيل فصار حيا وقيل
صلغه بنوع من الحيل فتدخل الريح جوفه ويصوت وانما نسب
الاتخاذ اليهم وهو فعله اما لانهم رضوا به او لان المراد اتخاذ
هم اياه آلها وقرئ جؤار اى صياح الم يروا انه لا يكلمهم ولا
يهديهم سبيلا تقريع على ضلالهم واخلالهم بالنظر والمعنى
الم يروا حين اتخذوه الها انه لا يقدر على كلام ولا على ارشاد سبيل
كاحاد البشر حتى حسبوا انه خالق الاجسام والقوى والقدر
اتخذوه تكرير للذم اى اتخذوه الها وكانوا ظالمين واضعين
الاشياء في غير موضعها فلم يكن اتخاذ العجل بدعا منهم ولما سقط
في ايديهم كناية من ان اشتد ندمهم فان النادم المتحسر يعض
يده غما فيصير يده ساقطا فيها وقرئ على بناء الفاعل بمعنى
وقع العض فيها وقيل معناه سقط الندم في انفسهم ورأوا
علموا انهم قد ضلوا باتخاذ العجل قالوا لئن لم يرحمنا ربنا بانزال

التوبة ويغفر لنا بالتجاوز عن الخطيئة لنكونن من الخاسرين
وقراء حمزة والكسائي بالتاء ورفعا على النداء ولما رجع موسى
الى قومه غضبان اسفا شديد الغضب وقيل حزينا قال بئسما
خلفتموني من بعدي فعلتم بعدي حيث عبدتم العجل والخطاب
للعبدة او قمتم مقامي فلم تكفوا العبدة والخطاب لهرون والمؤ
منين معه وما نكرة موصوفة يفسر المستكن في بئس والمخصوص بالذم
محذوف تقديره بئس خلافة خلفتموني فيها من بعدي خلافتكم
ومعنى من بعدي من بعد انطلاقي او من بعد ما رأيتم مني من
التوحيد والتنزيه والحمل عليه والكف عما يناقضه اعجلتم امر
ربكم اتركتموه غير تام كأنه ضمن عجل معنى سبق فعدي تعد
او اعجلتم وعد ربكم الذي وعدنيه من الاربعين وقد تم موقت
وغيرتم بعدي كما غيرت الامم بعد انبيائهم والقى الالواح
طرحها من شدة الغضب وفرط الضجرة حمية للدين روى
ان التوراة كانت سبعة اسباع في سبعة الواح فلما القاها
انكسرت فرفع ستة اسباعها وكان فيها تفصيل كل شيء وبقي
سبع كان فيه المواعظ والاحكام واخذ برأس اخيه بشعر
رأسه يجره اليه توهما بانه قصر في كفهم وهرون كان اكبر
منه بثلاث سنين وكان سهل الينا ولذلك كان احب الى بني
اسرائيل قال ابن ام ذكر الام ليرقه عليه وكانا من اب وام
وقراء ابن عامر وحمزة والكسائي وابو بكر عن عاصم يا بن ام
بالكسر واصله يا بن امي فحذف الياء اكتفاء بالكسر تخفيفا
كالمنادى المضاف الى ياء المتكلم والباقون بالفتح زيادة في
التخفيف لطوله او تشبيها بخمسة عشر ان القوم استضعفوني
وكادوا يقتلونني اذ احة لتوهم التقصير في حقه والمعنى
بذلت وسعي في كفهم حتى قهروني واستضعفوني وقاربوا

منين

يته

قتلى فلا تشمت بي الاعداء ولا تفعل ما يشمتون بي لاجله ه
ولا تجعلني مع القوم الظالمين معدودا في عدادهم بالمؤاخذة
او نسبة التقصير قال رب اغفر لي ما صنعت باخي ولاخي
ان فرط في كفهم ضم اليه الاستغفار ترضية له ودفعا للشماتة
عنه وادخلنا في رحمتك بمزيد الانعام علينا وانت ارحم
الراحمين فانت ارحم بنا منا على انفسنا ان الذين اتخذوا ه
العجل سينالهم غضب من ربهم وهو ما امرهم به من قتل انفسهم
وذلة في الحياة الدنيا وهو خروجهم من ديارهم وقيل الجزية
وكذلك نجزي المفترين على الله كل من افترى اعظم من فريتهم
هذا الههكم واله موسى ولعله لم يفتر مثلها احد قبلهم ولا
بعدهم والذين عملوا السيئات من الكفر والمعاصي ثم تابوا
من بعدها من بعد السيئات وآمنوا واشتغلوا بالايمان وما
هو مقتضاه من الاعمال الصالحة ان ربك من بعدها من بعده
التوبة لغفور رحيم وان عظم الذنب كعبادة العجل
وكثرتي كايمة بني اسرائيل ولما سكت سكن وقد قرئ به عن
موسى الغضب باعتذار هرون او بتوبتهم وفي هذا الكلام
مبالغة وبلاغة من حيث انه جعل الغضب الحامل له على ما ه
فعل كالامر به والمغري عليه حتى عبر عن سكونه بالسكوت
وقرئ سكت واسكت على ان المسكت هو الله او اخوه
او الذين تابوا اخذ الالواح التي القاها وفي نسختها
وفي فيما نسخ فيها اي كتب فعلى بمعنى مفعول كالخطبة
وقيل فيما نسخ منها اي من الالواح المنكسرة هدى بيان الحق ه
ورحمة ارشاد الى الصلاح والخير للذين هم لربهم يرهبون دخلت
اللام على المفعول لضعف الفعل بالتاخير او حذف المفعول و
اللام للتعليل والتقدير يرهبون معاصي الله لربهم واختار موسى

قومه اي من قومه فحذف الجار واوصل الفعل اليه سبعين رجلا ه
لميقاتنا فلما اخذتهم الرجفة روي انه تعالى امره ان ياتيه في سبعين
من بني اسرائيل فاختار من كل سبط ستة فزاد اثنان فقال ه
لبعضهم ليتخلف منكم رجلان فتشاحوا فقال ان لمن قعد اجر من خرج
فقعد كالب ويوشع وذهب مع الباقين فلما دنوا من الجبل ه
غشيه غمام فدخل موسى بهم الغمام وخروا سجدا فسمعوه
يكلم موسى ويامره وينهاه ثم انكشف الغمام فاقبلوا اليه و
قالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتهم الرجفة ه
اي الصاعقة او رجفة الجبل وصعقوا منها قال رب لو شئت ه
اهلكتهم من قبل واياي تمني هلاكهم وهلاكه قبل ان يرى ه
ما راى او بسبب اخر اوحى به انك قدرت على اهلاكهم قبل ذلك
بحمل فرعون على اهلاكهم وباغراقهم في البحر وغيرهما فرحمت
عليهم بالانقاذ منها فان رحمت عليهم مرة اخرى لم يبعد من ه
عميم احسانك اتهلكنا بما فعل السفهاء منا من العباد والتجاسر
على طلب الرؤية وكان ذلك قاله بعضهم وقيل المراد بما فعل السفهاء
عبادة العجل والسبعون اختارهم موسى لميقات التوبة عنها فغشيهم
هيبة فلقوا منها وارجفوا حتى كادت تبين مفاصلهم واشرفوا
على الهلاك فخاف عليهم موسى فبكا ودعا فكشف الله عنهم ان
هي الا فتنتك ابتلاءك حين اسمعتهم كلامك حتى طمعوا في الرؤية
او اوجدت في العجل خوارا فراغوا به تضل بها من تشاء ضلاله
بالتجاوز عن حده او باتباع المخايل وتهدي من تشاء هداه ه
فتقوى بها ايمانه انت ولينا القائم بامرنا فاغفر لنا بمغفرة ما
قارفناه وارحمنا وانت خير الغافرين تغفر السيئة وتبدلها بالحسنة
واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة حسن معيشة وتوفيق طاعة ه
وفي الاخرة الجنة انا هدنا اليك تبنا اليك من هاد يهود اذا رجع

وقرئ بالكسر من هاده يهديه اذا اماله ويحتمل ان يكون مبنيا
للفاعل وللمفعول بمعنى امّلنا انفسنا او امّلنا اليك ويجوز ان يكون
المضموم ايضا مبنيا للمفعول منه على لغة من يقول عود المريض
قال عذابي اصيب به من اشاء تعذيبه ورحمتي وسعت كل شيء
في الدنيا المؤمن والكافر بل منكم يا بني اسرائيل للذين يتقون هم
الكفر والمعاصي ويؤتون الزكوة حقها خصها بالذكر لانها
ولانها كانت اشق عليهم والذين هم بآياتنا يؤمنون فلا يكفرون
بشيء منها الذين يتبعون الرسول النبي مبتدا خبره يأمرهم
او خبر مبتدا تقديره هم الذين او بدل من الذين يتبعون بدل
البعض او الكل والمراد من آمن منهم بمحمد وانما سماه رسولا
بالاضافة الى الله تعالى ونبيا بالاضافة الى العباد الامي الذي هو
لا يكتب ولا يقرأ وصفه به تنبيها على ان كمال علمه مع حاله هو
احدى معجزاته الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة و
الانجيل اسما وصفة يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر و
يحل لهم الطيبات مما حرم عليهم كالشحوم ويحرم عليهم
الخبائث كالدم ولحم الخنزير او كالربوا والرشوة ويضع
عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم ويخفف عنهم ما كلفوا
به من التكاليف الشاقة كتعيين القصاص في العمد والخطاء وقطع
الاعضاء الخاطئة وقرض موضع النجاسة واصل الاصر الثقل الذي
يأصر صاحبه اي يحبسه من الحراك لثقله فالذين آمنوا به و
عزروه وعظموه بالتقوية وقرئ بالتخفيف واصله المنع
منه التعزير ونصروه على اعدائه واتبعوا النور الذي انزل معه اي
مع نبوته يعني القران وانما سماه نورا لانه باعجازه ظاهر بنفسه
مظهر غيره او لانه كاشف الحقائق مظهر لها ويجوز ان يكون
معه متعلقا باتبعوا اي اتبعوا النور المنزل مع اتباع النبي هو

نيكون اشارة الى اتباع الكتاب والسنة اولئك هم المفلحون هو
الفائزون بالرحمة الابدية ومضمون الآية جواب دعاء موسى
قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم الخطاب عام وكان رسول
الله عليه السلام مبعوثا الى كافة الثقلين وسائر الرسل الى
اقوامهم جميعا حال من اليكم الذي له ملك السموات والارض
صفة لله وان حيل بينهما بما هو متعلق المضاف اليه لانه كالهو
التقدم عليه او مدح منصوب او مرفوع او مبتدا خبره هو
لا اله الا هو وهو على الوجوه الاول بيان لما قبله فان من ملك
العالم كان هو الاله لا غير وفي يحيي ويميت مزيد تقرير هو
لاختصاصه بالالوهية فآمنوا بالله ورسوله النبي الامي هو
الذي يؤمن بالله وكلماته ما انزل عليه وعلى سائر الرسل من
كتبه ووحيه وقرئ وكلمته على ارادة الجنس او القران او
عيسى تعريضا لليهود وتنبيها على ان من لم يؤمن به لم يعتبر
ايمانه وانما عدل عن التكلم الى الغيبة للاجراء هذه الصفات
الداعية الى الايمان به والاتباع له واتبعوه لعلكم تهتدون هو
جعل رجاء الاهتداء اثرا للامرين تنبيها على ان من صدقه ولم
يتابعه بالتزام شرعه فهو بعد في خطط الضلالة ومن قوم
موسى يعني بني اسرائيل امة يهدون بالحق يهدون الناس
محقين او بكلمة الحق وبه يعدلون بينهم في الحكم والمراد
بها الذين ثبتوا على الايمان القائمون بالحق من اهل زمانه اتبع
ذكرهم ذكر اضدادهم على ما هو عادة القران تنبيها على ان تعا
الخير والشر وتزاحم اهل الحق والباطل امر مستمر وقيل هو
مؤمنوا اهل الكتاب وقيل قوم وراء الصين راهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج فآمنوا به وقطعنا هم وصيرنا
قطعا متميزا بعضها عن بعض اثنتي عشرة مفعول ثان لقطع

رض

فيكون

فانه متضمن معنى صير او حال وتأنيثه للحمل على الامة او القطعة
اسباطا بدل منه ولذلك جمع او تمييز له على ان كل واحدة من هـ
اثنتى عشرة قبيلة وقرئ بكسر الشين واسكانها امما على هـ
الاول بدل بعد بدل او نعت اسباطا وعلى الثانى بدل من هـ
اسباطا واوحينا الى موسى اذ استسقاه قومه فى التيه ان اضرب
بعصاك الحجر فانبجست اى فضرب فانبجست وحذفه للايماء
على ان موسى لم يتوقف فى الامتثال وان ضربه لم يكن مؤثرا
يتوقف عليه الفعل فى ذاته منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل هـ
اناس كل سبط مشربهم وظللنا عليهم الغمام ليقيهم حر
الشمس وانزلنا عليهم المن والسلوى كلوا اى وقلنا لهم
كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم
يظلمون سبق تفسيره واذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية يا ضا
اذكروا القرية بيت المقدس وكلوا منها حيث شئتم وادخلوا هـ
الباب سجدا مثلما فى البقرة بمعنى غير ان قوله فكلوا منها با
لفاء افاد تسبب سكناهم للاكل منها ولم يتعرض له ههنا هـ
اكتفاء بذكره ثم او بدلالة الحال عليه واما تقديم قولوا على وادخلوا
فلا اثر له فى المعنى لانه لا يوجب الترتيب وكذا الواو العاطفة
بينهما نغفر لكم خطيئاتكم سنزيد المحسنين وعد بالغفران
والزيادة عليه بالاثابة وانما اخرج الثانى مخرج الاستيناف
للدلالة على انه تفضل محض ليس فى مقابلة ما امروا به وقراء
نافع ويعقوب وابن عامر تغفر بالتاء والبناء للمفعول و
خطيئاتكم بالجمع والرفع غير ابن عامر فانه وحد وقراء ابو عمرو
خطاياكم فبدل الذين ظلموا قولا غير الذى قيل لهم فارسلنا
عليهم رجزا من السماء بما كانوا يظلمون مضى تفسيره وبيانه هـ
واسئلهم للتقريع والتقريع بقديم كفرهم وعصيانهم والاعلام

بما هو من علومهم التى لا تتعلم الا بتعليم او وحى ليكون ذلك هـ
معجزة عليهم عن القرية عن خبرها وما وقع باهلها التى كانت
حاضرة البحر قريبة منه وهى ايلة قرية بين مدين والطور هـ
على شاطئ البحر وقيل مدين وقيل طبرية اذ يعدون فى
السبت يتجاوزون حدود الله بالصيد يوم السبت واذ
ظرف لكانت او حاضرة او للمضاف المحذوف او بدل منه
بدل الاشتمال اذ تأتيهم حيتانهم ظرف ليعدون او بدل هـ
بعد بدل وقرئ يعدون واصله يعتدون من الاعداد اى هـ
يعدون آلات الصيد يوم السبت وقد نهوا ان يشتغلوا فيه
بغير العبادة يوم سبتهم شرعا يوم تعظيمهم امر السبت هـ
مصدر سبتت اليهود اذا عظمت سبتها بالتجرد الى العبادة
وقيل اسم اليوم والاضافة لاختصاصهم باحكام فيه ويؤيد
الاول ان قرئ يوم اسباتهم وقوله ويوم لا يسبتون لا تأتيهم
من الاسبات ولا يسبتون على البناء للمفعول بمعنى لا يدخلون
فى السبت وشرعا حال من الحيتان ومعناه ظاهرة على وجه هـ
الماء من شرع علينا اذا دنى واشرف كذلك نبلوهم بما كانوا هـ
يفسقون مثل ذلك البلاء الشديد نبلوهم بسبب فسقهم
وقيل كذلك متصل بما قبله اى لا تأتيهم مثل اتيانهم يوم السبت
والباء متعلق بيعدون واذ قالت عطف على اذ يعدون امة
منهم جماعة من اهل القرية يعنى صلحاءهم الذين اجتهدوا فى
موعظتهم حتى آيسوا من اتعاظهم لم تعظون قوما الله هـ
مهلكهم مخترمهم او معذبهم عذابا شديدا فى الاخرة لتماد
فى العصيان قالوه مبالغة فى ان الوعظ لا ينفع فيهم او سؤالا
عن علة الوعظ ونفعه وكانه تقاول بينهم او قول من ارعوى
عن الوعظ لمن لم يرعو منهم وقيل المراد طائفة من الفرقة هـ

الهالكة اجابوا وعاظهم ردا عليهم وتهكما بهم قالوا معذرة
الى ربكم جواب السؤال اى موعظتنا انهاء عذر الى الله كما
حتى لاننسب الى تفريط فى النهى عن المنكر وقراء حفص
معذرة بالنصب على المصدر او على العلة اى اعتذرنا به
معذرة او وعظناهم معذرة ولعلهم يتقون اذ اليائس
لايحصل الا بالهلاك فلما نسوا تركوا ترك الناسى ما ذكروا
به ما ذكرهم به صلحاؤهم انجينا الذين ينهون عن السوء و
اخذنا الذين ظلموا بالاعتداء ومخالفة امر الله بعذاب ه
بئيس شديد فعيل من بؤس يبؤس بائسا اذا اشتد وقراء
ابو بكر بيئس على فعيل كضيغم وابن عامر بكسر الباء وه
سكون الهمزة على انه بئس كحذر فخفف عينه بنقل حركتها ه
الى الفاء ككبد فى كبد ونافع بيس على قلب الهمزة ياء كما قلبت
فى ذيب او على انه فعل الذم وصف به فجعل اسما وقرئ بيئس
كريئس على قلب الهمزة ياء ثم ادغامها وبيس على التخفيف ه
كهين وبايس على فاعل بما كانوا يفسقون بسبب فسقهم
فلما عتوا عما نهوا عنه تكبروا عن ترك ما نهوا عنه كقوله و
عتوا عن امر ربهم قلنا لهم كونوا قردة خاسئين كقوله انما
قولنا لشىء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون والظاهر يقتضى
ان الله عذبهم اولا بعذاب شديد فعتوا بعد ذلك فمسخهم
ويجوز ان تكون الاية الثانية تقريرا وتفصيلا للاولى وروى
ان الناهين لما ايسوا عن اتعاظ المعتدين كرهوا مساكنتهم
فقسموا القرية بجدار فيه باب مطروق فاصبحوا يوما ولم ه
يخرج اليهم احد من المعتدين فقالوا ان لهم شانا فدخلوا
عليهم فاذا هم قردة فلم يعرفوا آباءهم ولكن القردة تعرف
هم فجعلت تأتى آباءهم وتشم ثيابهم وتدور باكية ه

حولهم ثم ماتوا بعد ثلاث وعن مجاهد مسخت قلوبهم ه
لا ابدانهم واذ تأذن ربك اى اعلم تفعل من الايذان بمعناه
كالتوعد والايعاد او عزم لان العازم على الشىء يؤذن نفسه
بفعله واجرى مجرى فعل القسم كعلم الله وشهد الله ولذلك
اجيب بجوابه وهو ليبعثن عليهم الى يوم القيمة والمعنى اذا
وجب ربك على نفسه ليسلطن على اليهود من يسومهم
سوء العذاب كالاذلال وضرب الجزية بعث الله عليهم بعد
سليمان عليه السلام بخت نصر فخرب ديارهم وقتل ه
مقاتليهم وسبى نساءهم وذراريهم وضرب الجزية على
من بقى منهم وكانوا يؤدونها الى المجوس حتى بعث الله محمدا
صلى الله عليه وسلم ففعل ما فعل ثم ضرب عليهم الجزية فلا
تزال مضروبة الى اخر الدهر ان ربك لسريع العقاب عاقبهم
فى الدنيا وانه لغفور رحيم لمن تاب وآمن وقطعناهم فى
الارض امما وفرقناهم فى الارض بحيث لايكاد يخلو قطر
منهم تمنة لادبارهم حتى لايكون لهم شوكة قطعا وامما
مفعول ثان اوحال منهم الصالحون صفة او بدل منه و
هم الذين آمنوا بالمدينة وفطاؤهم ومنهم دون ذلك ه
تقديره ومنهم ناس دون ذلك اى منحطون عن الصلاح
وهم كفرتهم وفسقتهم وبلوناهم بالحسنات والسيئات
بالنعم والنقم لعلهم يرجعون ينتبهون فيرجعون عما
كانوا عليه فخلف من بعدهم من بعد المذكورين خلف ه
بدل سوء مصدر نعت به ولذلك يقع على الواحد والجمع ه
وفى جمع وهو شايع فى الشر والخلف بالفتح فى الخير والمراد
بالذين كانوا فى عصر رسول الله صلعم ورثوا الكتاب اى
التوراة من اسلافهم يقرؤنها ويقفون على ما فيها كما ه

يأخذون عرض هذا الادنى حطام هذا الشيء الادنى يعني الدنيا
وهو من الدنو او الدناءة وهو ما كانوا يأخذونه من الرشى في
الحكومة وعلى تحريف الكلام والجملة حال من الواو ويقولون
سيغفر لنا لا يؤاخذنا الله بذلك ويتجاوز عنه وهو يحتمل
العطف والحال والفعل مسند الى الجار والمجرور او مصدر
يأخذون وان يأتهم عرض مثله يأخذوه حال من الضمير
في لنا اى يرجون المغفرة مصرين على الذنب عائدين الى مثله
غير تائبين عنه الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب اى في الكتاب
ان لا يقولوا على الله الا الحق عطف بيان للميثاق او متعلق به
اى بان لا يقولوا والمراد توبيخهم على البت بالمغفرة مع عدم
التوبة والدلالة على انه افتراء على الله وخروج عن ميثاقه
الكتاب ودرسوا ما فيه عطف على لم يؤخذ من حيث المعنى
فانه تقرير او على وارثوا وهو اعتراض والدار الآخرة خيرة
للذين يتقون مما يأخذه هؤلاء افلا تعقلون فتعلموا ذلك ولا
تستبدلوا الادنى الدنى المؤدى الى العقاب بالنعيم المخلد وقرأ
نافع وابن عامر وحفص ويعقوب بالتاء على التلوين والذين
يمسكون بالكتاب واقاموا الصلوة عطف على للذين يتقون
وقوله افلا تعقلون اعتراض او مبتدا خبره انا لا نضيع اجر
المصلحين على تقدير منهم او وضع الظاهر موضع المضمر تنبيها
على ان الاصلاح كالمانع من التضييع وقرأ ابو بكر يمسكون با
للتخفيف وافراد الاقامة لانافتها على سائر انواع التمسكات
واذ نتقنا الجبل فوقهم اى قلعناه ورفعناه فوقهم واصله
النتق الجذب كانه ظلة سقيفة وهو كل ما اظلك وظنوا
تيقنوا انه واقع بهم ساقط عليهم لان الجبل لا يثبت في الجو وهم
لانهم كانوا يوعدون به وانما اطلق الظن لانه لم يقع متعلقه

وذلك انهم ابوا ان يقبلوا احكام التوراة لثقلها فرفع الله الطور
فوقهم وقيل لهم ان قبلتم ما فيها والا ليقعن عليكم خذوا على
اضمار القول اى وقلنا خذوا او قائلين خذوا ما اتيناكم من
الكتاب بقوة بجد وعزم على تحمل مشاقه وهو حال من الواو و
واذكروا ما فيه بالعمل به ولا تتركوه كالمنسي لعلكم تتقون
فضايح الاعمال ورذائل الاخلاق واذ اخذ ربك من بني آدم
من ظهورهم ذريتهم اى اخرج من اصلابهم نسلهم على
ما يتوالدون قرنا بعد قرن ومن ظهورهم بدل من بني آدم
بدل البعض وقرأ نافع وابو عمرو وابن عامر ويعقوب هـ
ذريتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم اى ونصب
لهم دلائل الربوبية وركب في عقولهم ما يدعوهم الى الاقرار ل
بها حتى صاروا بمنزلة من قيل لهم الست بربكم قالوا بلى
فنزل تمكينهم من العلم بها وتمكينهم منه منزلة الاشهاد
والاعتراف على طريقة التمثيل ويدل عليه قوله قالوا بلى هـ
شهدنا ان تقولوا يوم القيمة اى كراهة ان تقولوا انا كنا
عن هذا غافلين لم ننبه عليه بدليل او تقولوا عطف على ان
تقولوا وقرأ ابو عمرو وكليهما بالياء لان اول الكلام على
الغيبة انما اشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم
فاقتدينا بهم لان التقليد عند قيام الدليل والتمكن من العلم
لا يصلح عذرا افتهلكنا بما فعل المبطلون يعني آباؤهم هـ
المبطلين بتأسيس الشرك وقيل لما خلق الله آدم اخرج من
ظهره ذريته كالذر واحياهم وجعل لهم العقل والنطق وهـ
الهمهم ذلك لحديث رواه عمر رضي الله عنه وقد حققت الكلام
فيه في شرحي لكتاب المصابيح والمقصود من ايراد هـ
هذا الكلام ههنا الزام اليهود بمقتضى الميثاق العام بعد ما

الزمهم بالميثاق المخصوص بهم والاحتجاج عليهم بالحجج
السمعية والعقلية ومنعهم عن التقليد وحملهم على النظر
والاستدلال كما قال وكذلك نفصل الآيات ولعلهم يرجعون
اى عن التقليد واتباع الباطل واتل عليهم اى على اليهود
نبأ الذى آتيناه آياتنا هو احد علماء بنى اسرائيل او امية بن
ابى الصلت فانه كان قد قرأ الكتب وعلم ان الله مرسل
رسولا فى ذلك الزمان ورجا ان يكون هو فلما بعث محمد صلى
الله عليه وسلم حسده وكفر به او بلعم بن باعور من الكنعانيين
او لى علم بعض كتب الله فانسلخ منها من الآيات بان
كفر بها فاعرض عنها فاتبعه الشيطان حتى لحقه وقيل استتبعه
فكان من الغاوين فصار من الضالين روى ان قومه سألوه
ان يدعو على موسى ومن معه فقال كيف ادعو على من معه
الملائكة فالحوا عليه حتى دعا عليهم فبقوا فى التيه ولو شئنا
لرفعناه الى منازل الابرار من العلماء بها بسبب تلك الآيات
وملازمتها ولكنه اخلد الى الارض مال الى الدنيا او الى السفالة
واتبع هواه فى اشتهاء الدنيا واسترضاء قومه واعرض عن مقتضى
الآيات وانما علق رفعه بمشيئة الله كما تقدم استدراك عنه
بفعل العبد تنبيها على ان المشيئة سبب الفعل الموجب لوقوعه
وان عدمه دليل عدمها دلالة انتفاء المتسبب على انتفاء السبب
وان السبب الحقيقى هو المشيئة وان ما تشاهده من الاسباب
وسائط معتبرة فى حصول المسبب من حيث ان المشيئة
تعلقت به كذلك وكان من حقه ان يقول ولكنه اعرض عنها
فاوقع موقعه اخلد الى الارض واتبع هواه مبالغة وتنبيها
على ما حمله عليه فان حب الدنيا راس كل خطيئة فمثله وصفته
التى هى مثل فى الخسة كمثل الكلب كصفته فى اخس احواله وهو

ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث اى يلهث دائما سواء حمل
عليه بالزجر والطرد او ترك ولم يتعرض له بخلاف سائر
الحيوانات لضعف فؤاده واللهث ادلاع اللسان من التنفس
الشديد والشرطية فى موضع الحال والمعنى لاهثا فى الحالتين
والتمثيل واقع موقع لازم التركيب الذى هو نفى الرفع ووضع
المنزلة للمبالغة والبيان وقيل لما دعا على موسى خرج لسانه
فوقع على صدره وجعل يلهث كالكلب ذلك مثل القوم الذين
كذبوا بآياتنا فاقصص القصص المذكورة على اليهود فانها
تقص عليهم لعلهم يتفكرون تفكرا يؤدى بهم الى الاتعاظ
ساء مثلا القوم اى مثل القوم وقرئ ساء مثل القوم على حذ
المخصوص بالذم الذين كذبوا بآياتنا بعد قيام الحجة عليها وهم
علمهم بها وانفسهم كانوا يظلمون اما ان يكون داخلا فى
الصلة معطوفا على كذبوا بمعنى الذين جمعوا بين تكذيب الآيات
وظلم انفسهم او منقطعا عنها بمعنى وما ظلموا بالتكذيب الا انفسهم
وان وبال لا يتخطاها ولذلك قدم المفعول من يهد الله فهو المهتدى
ومن يضلل فاولئك هم الخاسرون تصريح بان الهدى والضلال
من الله وان هداية الله تختص ببعض دون بعض فانها
مسانمة للاهتداء والافراد فى الاول والجمع فى الثانى لاعتبار
اللفظ والمعنى تنبيه على ان المهتدين كواحد لاتحاد طريقهم
بخلاف الضالين والاقتصاص فى الاخبار عمن هداه بالمهتدى
لتعظيم لشان الاهتداء وتنبيه على انه فى نفسه كمال جسيم و
نفع عظيم لو لم يحصل له غيره لكفاه وانه المستلزم للفوز با
لنعم الآجلة والمعنون لها ولقد ذرانا لجهنم كثيرا
من الجن والانس يعنى المصرين على الكفر فى علمه كما لهم قلوب
لا يفقهون بها اذ لا يلقون بها الى معرفة الحق والنظر فى دلا

ف

قله

ولهم اعين لا يبصرون بها اى لا ينظرون الى ملخلق الله نظر
اعتبار ولهم اذان لا يسمعون بها الآيات والمواعظ سماع
تأمل وتذكر اولئك كالانعام فى عدم الفقه والابصار
والاعتبار والاسماع للتدبر او فى ان مشاعرهم وقواهم
متوجهة الى اسباب التعيش مقصورة عليها بل هم ضل فانها
تدرك ما يمكن لها ان تدرك من المنافع والمضار وتجتهد
فى جذبها ودفعها غاية جهدها وهم ليسوا كذلك بل اكثرهم يعلم
انه معاند فيقدم على النار اولئك هم الغافلون الكاملون فى
الغفلة ولله الاسماء الحسنى لانها دالة على معان هى احسن
المعانى والمراد بها الالفاظ وقيل الصفات فادعوه بها
فسموه بتلك الاسماء وذروا الذين يلحدون فى اسمائه
اتركوا تسمية الزائغين فيها الذين يسمونه بما لا توقيف فيه
وبما يوهم معنى فاسدا كقولهم يا ابا المكارم يا ابيض الوجه
او لا تتابعوا بانكارهم ما سمى به نفسه كقولهم ما نعرف الا
رحمن اليمامة او ذروهم والحادهم فيها باطلاقها على الاصنام
واشتقاق اسمائها منها كاللات من الله والعزى من
العزيز ولا توافقوهم عليه او اعرضوا عنهم فان الله
مجازيهم كما قال سيجزون ما كانوا يعملون وقرأ حمزة
يلحدون بالفتح يقال لحد والحد اذا مال عن القصد ومن
خلقنا امة يهدون بالحق وبه يعدلون ذكر ذلك بعد ما
بين انه خلق للنار طائفة ضالين ملحدين عن الحق للدلالة
على انه خلق ايضا للجنة امة هادين بالحق عادلين فى الامر
واستدل به على صحة الاجماع لان المراد منه ان فى كل قرن
طائفة بهذه الصفة لقوله صلى الله عليه وسلم لا يزال من
امتى طائفة على الحق الى ان يأتى امر الله اذ لو اختص بعهد

رسول الله صلعم او غيره لم يكن لذكره فائدة فانه معلوم و
الذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم سنستدنيهم الى الهلاك
قليلا قليلا واصل الاستدراك الاستصعاد او الاستنزال درجة
بعد درجة من حيث لا يعلمون ما نريد بهم وذلك ان يتوالى
عليهم النعم فيظنوا انها لطف من الله بهم فيزدادوا
بطرا وانهماكا فى الغى حتى يحق عليهم كلمة العذاب واملى
لهم وامهلهم عطف على سنستدرجهم ان كيدى متين
ان اخذى شديد وانما سماه كيدا لان ظاهره احسان
وباطنه خذلان اولم يتفكروا ما بصاحبهم يعنى محمدا صلعم
من جنة جنون روى انه صلعم علا الصفا فدعاهم فخذا فخذا
يحذرهم بأس الله فقال قائلهم ان صاحبكم لمجنون بات
يصوت الى الصباح فنزلت ان هو الا نذير مبين موضح
الذاره بحيث لا يخفى على ناظر اولم ينظروا نظر استدلال
فى ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شئ مما
يقع عليه اسم الشئ من الاجناس التى لا يمكن حصولها لبشر
على كمال قدرة صانعها ووحدة مبدعها وعظم شان مالكها وهو
متولى امرها ليظهر لهم صحة ما يدعوهم اليه وان عسى ان يكون
قد اقترب اجلهم عطف على ملكوت وان مصدرية او خفيفة
من الثقيلة واسمها ضمير الشان وكذا اسم يكون والمعنى اولم
ينظروا فى اقتراب اجالهم وتوقع حلولها فيسارعوا الى
طلب الحق والتوجه الى ما ينجيهم قبل مفاجاة الموت ونزول
العذاب فبأى حديث بعده بعد القرآن يؤمنون اذا لم يؤمنوا
به وهو النهاية فى البيان كانه اخبار عنهم بالطبع والتصميم
على الكفر بعد الزام الحجة والارشاد الى النظر وقيل هو
متعلق بقوله عسى ان يكون كانه قيل لعل اجلهم قد اقترب

فما بالهم لا يبادرون الى الايمان بالقرآن وماذا ينتظرون
بعد وضوحه فان لم يؤمنوا به فبأي حديث احق منه يريد ان
ان يؤمنوا به وقوله من يضلل الله فلا هادي له كالتقرير
والتقليل له ويذرهم في طغيانهم بالرفع على الاستيناف
وقرأ ابو عمرو وعاصم ويعقوب بالياء لقوله ومن يضلل
الله وحمزة والكسائي بالجزم به عطفا على محل فلا هادي له
كانه قيل لا يهده احد غيره ويذرهم يعمهون حال من هم
يسئلونك عن الساعة اي عن القيمة وهي من الاسماء
الغالبة واطلاقها عليها اما لوقوعها بغتة او لسرعة حسابها
او لانها على طولها عند الله كساعة أيان مرساها متى ارساؤها
اي اثباتها وارساء الشيء اثباته واستقراره ومنه ارسى الجبل و
ارسى السفينة واشتقاق ايان من اي لان معناه اي وقت
وهو من اويت لان البعض اوى الى الكل قل انما علمها عند
ربي استأثر به لم يطلع عليه ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا لا
يجليها لوقتها الا يظهر امرها في وقتها الا هو والمعنى ان الخفاء
بها مستمر على غيره الى وقت وقوعها واللام للتأقيت كاللام
في قوله اقم الصلوة لدلوك ثقلت في السموات والارض عظمت
على اهلها من الملائكة والثقلين لهولها وكانها اشارة الى الحكمة في
اخفائها لا تأتيكم الا بغتة مجازاة على غفلة كما قال صلى الله عليه وسلم
ان الساعة تهيج بالناس والرجل يصلح حوضه والرجل يسقي ما
شيته والرجل يقوم سلعته في السوق والرجل يخفض ميزانه
ويرفعه يسئلونك كانك حفي عنها عالم بها فعيل من حفي عن
الشيء اذا سئل عنه فان من بالغ في السؤال عن الشيء والبحث
عنه استحكم علمه فيه ولذلك عدي بعن وقيل هي صلة يسئلونك
وقيل هو من الحفاوة بمعنى الشفقة فان قريشا قالوا له ان

بيننا وبينك قرابة فقل لنا متى الساعة والمعنى يسئلونك عنها
كانك حفي من حفي بالشيء اذا فرح بالسؤال عنها تحبه اي تكره
لانه من الغيب الذي استأثره الله بعلمه قل انما علمها عند
الله كرره لتكرير يسئلونك لما نيط به من هذه الزيادة
وللمبالغة ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان علمها عند الله
لم يؤته احدا من خلقه قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا جلب
نفع ولا دفع ضر وهو اظهار للعبودية والتبري عن ادعاء
العلم بالغيوب الا ما شاء الله من ذلك فيلهمني اياه ويوفقني
له ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني
السوء ولو كنت اعلم ما خالفت حالي ما هي عليه من استكثار
المنافع واجتناب المضار حتى لا يمسني سوء ان انا الا نذير
وبشير وما انا عبد مرسل للانذار والابشار لقوم يؤمنون
فانهم المنتفعون بهما ويجوز ان يكون متعلقا بالبشير و
متعلق النذير محذوف وهو الذي خلقكم من نفس واحدة
هو آدم وجعل منها من جسدها من ضلع من اضلاعها او من
جنسها كقوله جعل لكم من انفسكم ازواجا وجعل حواء
ليسكن اليها ليأنس بها ويطمئن اليها اطمئنان الشيء الى
جزئه او جنسه وانما ذكر الضمير ذهابا الى المعنى ليناسب
فلما تغشاها اي جامعها حملت حملا خفيفا خفق عليها ولم
تلق منه ما تلقى منه الحوامل غالبا من الاذى او بحمل الخفيفا
هو النطفة فمرت به فاستمرت به وقامت وقعدت وقرئ
بالتخفيف وفاستمرت وتمارت من المرية وهو المجيء والذهاب او من المرية اي فظنت الحمل وارتابت به فلما اثقلت
صارت ذا ثقل بكبر الولد في بطنها وقرئ على البناء للمفعول
اي اثقلها حملها دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا ولدا

عاء

منون

سويا قد صلح بدنه لنكونن من الشاكرين لك على هذه النعمة
المجددة فلما اتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما اتاهما اى
جعل اولادهما له شركاء فيما اتى اولادهما فسموه عبد العزى
وعبد مناف على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه
ويدل عليه قوله فتعالى الله عما يشركون ايشركون ما لا يخلق
شيئا وهم يخلقون يعنى الاصنام وقيل لما حملت حواء اتاها
ابليس فى صورة رجل فقال لها ما يدريك ما فى بطنك لعله
بهيمة او كلب وما يدريك من اين يخرج فخافت من ذلك
وذكرت لآدم فهما منه ثم عاد اليهما وقال انى من الله
بمنزلة فان دعوت الله ان يجعله خلقا مثلك ويسهل عليك
خروجه فسميه عبد الحارث وكان اسم الحارث فى الملكية
فتقبلت فلما ولدت سمياه عبد الحارث وامثال ذلك لا يليق
بالانبياء ويحتمل ان يكون الخطاب لآل قصى من قريش فانهم
خلقوا من قصى وكان لها زوج من جنسها عربية قرشية و
طلبا من الله الولد واعطاهما اربعة بنين فسميا هم عبد
مناف وعبد شمس وعبد قصى وعبد الدار ويكون الضمير
فى يشركون لهما ولاعقابهم المقتدين بهما وقرأ نافع و
ابو بكر شركا اى شركة بان اشركا فيه غيره او ذوى شرك
وهم الشركاء وهم ضمير الاصنام جمع به على تسميتهم اياها
آلهة ولا يستطيعون لهم نصرا اى لعبدتهم ولا انفسهم
ينصرون فيدفعون عنها ما يعتريها وان تدعوهم الى الهدى
اى المشركين الى الاسلام لا يتبعوكم وقرئ بالتخفيف وقيل
الخطاب للمشركين وهم ضمير الاصنام اى ان تدعوهم الى
ان يهدوكم لا يتبعوكم الى مرادكم ولا يجيبوكم الله تعالى
عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون وانما لم يقل صمتم للمبالغة

فى عدم افادة الدعاء من حيث انه مستوى بالثبات على الصمات
او لانهم كانوا يدعونها لحوائجهم وكانه قيل سواء عليكم احدا
دعاؤهم واستمراركم على الصمات عن دعائهم ان الذين تدعون
من دون الله اى تعبدونهم وتسمونهم آلهة عبادٌ امثالكم
من حيث انها مملوكة مسخرة فادعوهم فليستجيبوا لكم ان
كنتم صادقين انهم آلهة ويحتمل انهم لما نحتوها بصور الا
قال لهم ان قصارى امرهم ان يكونوا احياء عقلاء امثالكم فلا
يستحقون عبادتكم كما لا يستحق بعضكم عبادة بعض ثم عاد عليه
بالنقض فقال ألهم ارجل يمشون بها ام لهم ايد يبطشون بها
ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم اذان يسمعون بها وقرئ
ان الذين بتخفيف ان ونصب عبادا على انها نافية عملت عمل ما
الحجازية ولم يثبت مثله ويبطشون بالضم هنا وفى القصص
والدخان قل ادعوا شركاءكم فاستعينوا بهم فى عداوتى ثم
كيدون فبالغوا فيما تقدرون عليه من مكروه انتم وشركاؤكم
فلا تنظرون فلا تمهلونى فانى لا ابالى بكم لوثوقى على ولاية الله
وحفظه ان وليى الله الذى نزل الكتاب القرآن وهو يتولى
الصالحين اى ومن عادته ان يتولى الصالحين من عباده فضلا
عن انبيائه والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم و
لا انفسهم ينصرون من تمام التعليل لعدم مبالاته بهم وان
تدعوهم الى الهدى لا يسمعوا وتراهم ينظرون اليك وهم
لا يبصرون يشبهون الناظرين اليك لانهم صوروا بصورة
من ينظر الى من يواجهه خذ العفو اى خذ ما عفا لك من افعال
الناس وتسهل ولا تطلب ما يشق عليهم من العفو الذى هو
ضد الجهد او اخذ العفو عن المذنبين او الفضل وما يسهل
من صدقاتهم وذلك قبل وجوب الزكوة وأمر بالعرف

تكم

ناسى

المعروف المستحسن من الافعال واعرض عن الجاهلين فلا
تمارهم ولا تكافهم بمثل افعالهم وهذه الآية جامعة لمكارم
الاخلاق امر الرسول صلى الله عليه وسلم باستجماعها و
امّا ينزغنّك من الشيطان نزغ ينخسنك منه نخس اى
وسوسة تحملك على خلاف ما امرت به كاعتراء غضب و
فكرة والنزغ والنسغ والنخس الغرز شبّه وسوسته
للناس اغراءه لهم على المعاصى وارغاجا بغرز السايق ما يسوقه
فاستعذ بالله انّه سميع يسمع استعاذتك عليم يعلم ما فيه صلاح
امرك فيحملك عليه او سميع بما قال من اذاك عليم بافعاله فيجازيه
عليها مغنيا اياك عن الانتقام ومتابعة الشيطان انّ الذين اتقوا
اذا مسّهم طائف من الشيطان لمّة منه وهو اسم فاعل من طاف
يطوف كانها طافت بهم ودارت حولهم فلم تقدر ان تؤثر
فيهم او من طاف به الخيال يطيف طيفا وقرء به ابن كثير وابو
عمرو والكسائى ويعقوب على انّه مصدر او تخفيف طيف كليّن
وهوّن والمراد بالشيطان الجنس ولذلك جمع ضميره تذكّروا
ما امر الله به ونهى عنه فاذا هم مبصرون بسبب التذكر مواقع
الخطاء ومكايد الشيطان فيحترزون عنها ولا يتبعونه فيها
والاية تأكيد وتقرير لما قبلها وكذا قوله واخوانهم يمدّونهم
اى واخوان الشياطين الذين لم يتقوا يمدّهم الشيطان فى الغىّ
بالتزيين والحمل عليه وقرئ يمدّونهم من امدّ ويمادونهم
كانّهم يعينونهم بالتسهيل والاغراء وهو لا يعينونهم
بالاتباع والامتثال ثمّ لا يقصرون لا يمسكون عن اغوائهم حتى
يردّونهم ويجوز ان يكون الضمير للاخوان اى لا يكفّون عن
الغىّ ولا يقصرون كالمتقين ويجوز ان يراد بالاخوان الشيطانين
ويرجع الضمير الى الجاهلين فيكون الخبر جاريا على ما هو له

واذا لم تأتهم بآية من القرآن او مما اقترحوه قالوا لولا اجتبيتها
هلا جمعتها تقوّلا من نفسك كسائر ما تقرأه او هلا طلبتها من
الله قل انّما اتّبع ما يوحى الىّ من ربّى لست بمخترع الآيات
او لست بمقترح لها هذا بصائر من ربّكم هذا القرآن بصائر
للقلوب بها تبصر الحقّ وتدرك الصواب وهدًى ورحمة لقوم
يؤمنون سبق تفسيره واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا
لعلّكم ترحمون نزلت فى الصلوة كانوا يتكلّمون فيها فامروا باستماع
قراءة الامام والانصات له وظاهر اللفظ يقتضى وجوبهما حيث
يقرأ القرآن مطلقا وعامّة العلماء على استحبابهما خارج الصلوة
واحتجّ به من لا يرى القراءة على المأموم وهو ضعيف واذكر ربّك
فى نفسك عامّ فى الاذكار من القراءة والدعاء وغيرهما او امر للمأموم
بالقراءة سرّا بعد فراغ الامام عن قراءته كما هو مذهب الشافعىّ
رضى الله عنه تضرّعا وخفية متضرّعا وخائفا ودون الجهر من القول
متكلّما كلاما فوق السرّ دون الجهر فانّه ادخل فى الخشوع والاخلاص
بالغدوّ والآصال باوقات الغدو والعشيات وقرئ والايصال
هو مصدر اصل اذا دخل فى الاصيل مطابق للغدو ولا تكن من الغافلين
عن ذكر الله انّ الذين عند ربّك يعنى ملائكة الملاء الاعلى لا يستكبرون
عن عبادته ويسبّحونه وينزّهونه وله يسجدون ويخضعون له
بالعبادة والتذلّل ولا يشركون به غيره وهو تعريض بمن عداهم
من المكلّفين ولذلك شرع السجود لقراءته وعن النبىّ صلى الله عليه
وسلم اذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكى يقول
يا ويله امر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة وامرت بالسجود فعصيت فلى النار وعنه عليه الصلوة والسلام من قرأ سورة
الاعراف جعل الله يوم القيمة بينه وبين ابليس سترا وكان آدم
شفيعا له يوم القيمة سورة الانفال مدنية ست وسبعون آية

فلين
ن

بسم الله الرحمن الرحيم
يسئلونك عن الانفال اى الغنائم يعنى حكمها سميت الغنيمة نفلا لانها عطية من الله وفضل كما سمى به ما يشرطه الامام لمقتحم خطر عطية له وزيادة على سهمه قل الانفال لله والرسول اى امرها مختص بهما يقسمها الرسول صلى الله عليه وسلم على ما يأمره الله به وسبب نزوله اختلاف المسلمين فى غنائم بدر انها كيف تقسم ومن يقسم المهاجرون منهم او الانصار وقيل شرط رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن كان له غنا ان ينفله فسارع شبانهم حتى قتلوا سبعين واسروا سبعين ثم طلبوا نفلهم وكان المال قليلا فقال الشيوخ والوجوه الذين كانوا عند الرايات كنا ردءا لكم وفئة تتحازون الينا فنزلت فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم على السواء ولهذا قيل لا يلزم الامام ان يفى بما وعد وهو قول الشافعى وعن سعد بن ابى وقاص قال لما كان يوم بدر قتل اخى عمير وقتلت به سعيد بن العاص واخذت سيفه فاتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم واستوهبته منه فقال ليس لى هذا ولا لك اطرحه فى القبض فطرحته وما لا يعلم الا الله من قتل اخى واخذ سلبى فما جاوزت الا قليلا حتى نزلت سورة الانفال فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم سألتنى السيف وليس لى وانه قد صار لى فاذهب فخذه وقرئ يسئلونك على الانفال بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وادغام نون عن فيها ويسئلونك الانفال اى يسئلك الشبان ما شرطت لهم فاتقوا الله فى الاختلاف والمشاجرة واصلحوا ذات بينكم بالمواساة والمساعدة فيما رزقكم الله وتسليم امره الى الله والرسول واطيعوا الله ورسوله فيه ان كنتم مؤمنين فان الايمان يقتضى ذلك او ان كنتم كاملى الايمان فان كمال الايمان

بهذه الثلاثة طاعة الاوامر والانتهاء عن المعاصى واصلاح ذات البين بالعدل والاحسان انما المؤمنون اى الكاملون فى الايمان الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم فزعت لذكره استعظاما له وتهيبا من جلاله وقيل هو الرجل يهم بمعصية فيقال له اتق الله فينزع عنه خوفا من عقابه وقرئ وجلت بالفتح وهى لغة وفرقت اى خافت واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا لان زيادة المؤمن به اوالاطمينان النفس ورسوخ اليقين بتظاهر الادلة او بالعمل بموجبها وهو قول من قال الايمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية بناء على ان العمل داخل فيه وعلى ربهم يتوكلون يفوضون هم امورهم ولا يخشون ولا يرجون الا اياه الذين يقيمون هم الصلوة ومما رزقناهم ينفقون اولئك هم المؤمنون حقا لانهم حققوا ايمانهم بان ضموا اليه مكارم الاخلاق من اعمال القلوب من الخشية والاخلاص والتوكل ومحاسن افعال الجوارح التى هى العيار عليها الصلوة والصدقة وحقا صفة مصدر محذوف او مصدر مؤكد هو كقوله هو عبد الله حقا لهم درجات عند ربهم كرامة وعلو منزلة وقيل درجات الجنة يرتقون بها باعمالهم ومغفرة لما فرط منهم ورزق كريم اعد لهم فى الجنة لا ينقطع عدده ولا ينتهى امده كما اخرجك ربك من بيتك بالحق خبر مبتدا محذوف فى تقديره هذه الحال فى كراهتهم اياها كالحال الخراجك للحرب فى كراهتهم له او صفة مصدر الفعل المقدر فى قوله كما لله والرسول اى الانفال تثبت لله والرسول مع كراهتهم ثباتا مثل اخراجك ربك من بيتك يعنى المدينة هى لانها مهاجره ومسكنه او بيته فيها مع كراهتهم وذلك ان عير قريش اقبلت من الشام وفيها تجارة عظيمة ومعها اربعون

جلك

راكبا منهم ابو سفيان وعمرو بن العاص ومخرمة بن نوفل
وعمرو بن هشام فاخبر جبريل رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاخبر المسلمين فاعجبهم تلقيها لكثرة المال وقلة
الرجال فلما خرجوا بلغ الخبر اهل مكة فنادى ابو جهل فوق
الكعبة يا اهل مكة النجا النجا على كل صعب وذلول غير كم
اموالكم ان اصابها محمد لم تفلحوا ابدا وقد راءت قبل ذلك
بثلاث عاتكة اخت العباس بنت عبد المطلب ان ملكا نزل
من السماء فاخذ صخرة من الجبل ثم حلق بها فلم يبق بيت
في مكة الا اصابه شيء منها فحدثت بها العباس وبلغ ذلك ابا
جهل فقال ما يرضى رجالهم ان يتنبأ حتى تتنبأ نساؤهم
فخرج ابو جهل بجميع اهل مكة ومضى بهم الى بدر وهو ماكانت
العرب تجتمع عليه لسوقهم يوما في السنة وكان رسول الله
بوادي ذفران فنزل عليه جبريل بالوعد باحدى الطائفتين
اما العير واما القريش فاستشار فيه اصحابه فقال
بعضهم هلا ذكرت لنا القتال حتى نتأهب له انما خرجنا للعير
فرد عليهم وقال ان العير مضت على ساحل البحر وهذا ابو جهل قد اقبل
قالوا يا رسول الله عليك بالعير ودع العدو فغضب رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقام ابو بكر وعمر فاحسنا ثم قام سعد بن عبادة فقال
انظر امرك فامض فوالله لو سرت الى عدن ابين ما تخلف عنك
رجل من الانصار ثم قال مقداد بن عمرو امض الى ما امرك الله
فانا معك حيثما احببت لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى
اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن اذهب انت
وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون فتبسم رسول الله ثم قال
اشيروا علي ايها الناس وهو يريد الانصار لانهم كانوا هم
عدوهم وقد شرطوا حين بايعوه بالعقبة انهم برآء من ذمامه

حتى يصل الى ديارهم فتخوف ان لا يروا نصرته الا على عدوهم
بالمدينة فقام سعد بن معاذ وقال كانك تريدنا يا رسول الله
قال اجل قال قد امنا بك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت به
هو الحق واعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع
والطاعة فامض يا رسول الله لما اردت فوالذي بعثك
بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضنا معك ما تخلف
منا رجل واحد وما نكره ان تلقى بنا عدونا وانا لصبر
عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله ان يريك منا ما
تقر به عينك فسر بنا على بركة الله فنشطه قوله ثم قال
سيروا على بركة الله وابشروا فان الله قد وعدني احدى الطائفتين
والله لكاني انظر الى مصارع القوم وقيل انه عليه الصلوة و
السلام لما فرغ من بدر قيل له عليك بالعير فناداه العباس وهو
في وثاقه لا يصلح فقال له لم فقال لان الله وعدك احدى الطائفتين
وقد اعطاك ما وعدك فكره بعضهم قوله يجادلونك
في الحق في ايثار الجهاد باظهار الحق لايثارهم تلقي العير عليه
بعد ما تبين انهم ينصرون اينما توجهوا باعلام الرسول الله
صلى الله عليه وسلم كانما يساقون الى الموت وهم ينظرون
اي يكرهون القتال كراهة من يساق الى الموت وهو يشاهد
اسبابه وكان ذلك لقلة عددهم وعدم تأهبهم اذ روي انهم
كانوا رجالة وما كان فيهم الا فارسان وفيه ايماء الى ان مجادلتهم
لتهم كانت لفرط فزعهم ورعبهم واذ يعدكم الله احدى
الطائفتين على اضمار اذكر واحدى ثاني مفعول يعدكم و
قد ابدل عنها انها لكم بدل الاشتمال وتودون ان غير
ذات الشوكة تكون لكم يعني العير فانه لم يكن فيها الا اربعون
فارسا ولذلك يتمنونها ويكرهون ملاقات النفير لكثرة

عددهم وعُددهم والشوكة والحدة مستعارة من واحدة الشوك ويُريدُ اللهُ انْ يُحِقَّ الحَقَّ ان يثبته ويعليه بكلماته الموحى بها في هذه الحالة او باوامره للملائكة للامداد وقرئ بكلمته ويُقطَعَ دابرَ الكافرين ويستأصلهم والمعنى انكم تريدون ان تصيبوا مالا ولا تلقوا مكروها والله يريد اعلاء الدين واظهار الحق وما يحصل لكم من فوز الدارين ليُحِقَّ الحَقَّ ويُبطِلَ الباطِلَ اى فعل ما فعل وليس بتكرير لان الاول لبيان المراد وما بينه وبين مرادهم من التفاوت والثاني لبيان الداعي الى حمل الرسول صلى الله عليه وسلم على اختيار ذات الشوكة ونصره عليها ولو كرِهَ المجرمون ذلك اذ تستغيثون ربكم بدل من اذ يعدكم او متعلق بقوله ليحق الحق او على اضمار اذكر واستغاثتهم انهم لما علموا ان لا محيص من القتال اخذوا يقولون اى رب انصرنا على عدوك واغثنا يا غياث المستغيثين وعن عمر رضى الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم نظر الى المشركين وهم الف والى اصحابه وهم ثلاثمائة فاستقبل القبلة ومد يديه يدعو اللهم انجز لي ما وعدتني اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد في الارض فما زال كذلك حتى سقط رداؤه فقال ابو بكر يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك فاستجاب لكم ربكم انى ممدكم بانى ممدكم فحذف الجار وسلط عليه الفعل وقرأ ابو عمرو بالكسر على ارادة القول او اجرى استجاب موضع قال لان الاستجابة من القول بألف من الملائكة مُرْدِفِينَ متبعين المؤمنين او بعضهم بعضا من ارداف فتهم اذا جئت بعده او متبعين بعضهم بعضا المؤمنين او انفسهم المؤمنين من ارداف ته اياه وقرأ

نافع مُرْدَفِينَ بفتح الدال اى متبعين بمعنى انهم كانوا مقدم الجيش او ساقتهم وقرئ مِرْدِفِينَ بكسر الراء وضمها وصله مرتدفين بمعنى مترادفين فادغمت التاء في الدال فالتقى ساكنان فحرك الراء بالكسر على الاصل او بالضم على الاتباع وقرئ بآلاف ليوافق ما في سورة آل عمران ووجه التوفيق بينه وبين المشهور ان المراد بالالف الذين كانوا على المقدمة او الساقة او وجوههم واعيانهم او من قاتل منهم واختلف في مقاتلتهم وقد روى اخبار تدل عليها وما جَعَلَهُ اللهُ اى الامداد إِلَّا بُشْرَىٰ الا بشارة لكم بالنصر وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ بان يزول ما بها من الوجل لقلتكم وذلتكم وما النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللهِ ان الله عَزِيزٌ غالب لا يمانع حَكِيمٌ وامداد الملائكة وكثرة العدد والتأهب ونحوها وسائط لا تأثير لها ولا تحسبوا النصر منها ولا تيأسوا منه بفقدها إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ بدل ثان من اذ يعدكم للاظهار نعمة ثالثة او متعلق بالنصر او بما في عند الله من معنى الفعل او بجعل او باضمار اذكر وقرأ نافع بالتخفيف من اغشيته الشيء اذا غشيته اياه والفاعل على القراءتين هو الله وقرأ ابن كثير وابو عمرو يغشاكم النعاس بالرفع أَمَنَةً مِنْهُ امنا من الله وهو مفعول له باعتبار المعنى فان قوله يغشاكم متضمن معنى تنعسون ويغشاكم بمعناه والامنة فعل الفاعله ويجوز ان يراد بها الايمان فيكون فعل المغشى وان تجعل على القراءة الاخيرة فعل النعاس على المجاز لانها لاصحابه او لانه كان من حقه ان لا يغشاهم لشدة الخوف فلما غشيهم فكأنه حصل له امنة من الله لولاها لم يغشهم كقوله يهاب النوم ان يغشا عيونا تهابك فهو نفار شرود وقرئ امنة كرحمة وهو لغة وَيُنَزِّلُ عليكم مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُم

مته

بكم

كم

به من الحدث والجنابة ويذهب عنكم رجز الشيطان يعني
الجنابة لانه من تخييله او وسوسته وتخويفه اياهم من
العطش روى انهم نزلوا في كثيب اعفر تسوخ فيه الاقدام
على غير ماء وناموا فاحتلم اكثرهم وقد غلب المشركون على
الماء فوسوس اليهم الشيطان وقال كيف تنصرون وقد غلبتم
على الماء وانتم تصلون محدثين مجنبين وتزعمون انكم او
لياء الله وفيكم رسوله فاشفقوا فانزل الله المطر فحطوا ليلا
حتى جرى الوادي واتخذوا الحياض على عدوته وسقوا
الركاب واغتسلوا وتوضوءا وتلبد الرمل الذي بينهم و
بين العدو حتى ثبت عليه الاقدام وزالت الوسوسة و
ليربط على قلوبكم بالوثوق على لطف الله بهم ويثبت به
الاقدام اي بالمطر حتى لا تسوخ في الرمل او بالربط على
القلوب حتى تثبت في المعركة اذ يوحي ربك بدل ثالث او
متعلق بيثبت الى الملائكة اني معكم في اعانتهم وتثبيتهم و
مفعول يوحي وقرئ بالكسر على ارادة القول او اجري
الوحي مجراه فثبتوا الذين آمنوا بالبشارة او بتكثير سوادهم
او بمحاربة اعدائهم فيكون قوله سألقي في قلوب الذين
كفروا الرعب كالتفسير لقوله اني معكم فثبتوا وفيه دليل
على انهم قاتلوا ومن منع ذلك جعل الخطاب فيه مع المؤمنين
اما على تغيير الخطاب او على ان قوله سألقي الى قوله كل بنان
فتلقين الملائكة ما يثبتون المؤمنين به كانه قال قولوا لهم
قولي هذا فاضربوا فوق الاعناق اعاليها التي هي المذابح
او الرؤس واضربوا منهم كل بنان اصابع اي حزوا رقابهم
واقطعوا اطرافهم ذلك اشارة الى الضرب او الامر به
والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل احد من

المخاطبين قيل بانهم شاقوا الله ورسوله بسبب مشاقتهم
لهما واشتقاقه من الشق لان كلا من المتعاندين في شق خلاف
شق الاخر كالمعاداة من العدوة والمخاصمة من الخصم وهو الجانب
ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب تقرير للتعليل
او وعيد بما اعد لهم في الاخرة بعد ما حاق بهم في الدنيا ذلكم الخطاب
فيه مع الكفرة على طريقة الالتفات ومحله الرفع اي الامر ذلكم او
ذلكم واقع او نصب بفعل دل عليه فذوقوه او غيره مثل باشروا او
عليكم لتكون الفاء عاطفة وان للكافرين عذاب النار عطف على
ذلكم او نصب على المفعول معه والمعنى ذوقوا ما عجل لكم مع ما اجل
لكم في الاخرة ووضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على ان الكفر
بسبب العذاب الآجل او الجمع بينهما وقرئ ان على الكسر للاستيناف
يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا كثيرا بحيث يرى
لكثرتهم كانهم يزحفون وهو مصدر زحف الصبي اذا دب
على مقعده قليلا قليلا سمي به وجمع على زحوف وانتصابه على الحال
فلا تولوهم الادبار بالانهزام فضلا ان يكونوا منثلكم او اقل منكم
والاظهر انها محكمة لكنه مخصوصة بقوله وحرض المؤمنين الآية
ويجوز ان ينتصب زحفا حالا من الفاعل والمفعول اي اذا لقيتموهم
متراجعين يدبرون اليكم ويدبرون اليهم فلا تنهزموا او من الفا
عل وحده ويكون اشعارا بما سيكون منهم يوم حنين حين تولوا
وهم اثنا عشر الفا ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال يريد
الكر بعد الفر وتفويز العدو فانه من كائد الحرب او متحيزا الى
فئة او منحازا الى فئة اخرى من المسلمين على القرب ليستعين
بهم ومنهم من لم يعتبر القرب لما روى ابن عمر انه كان في سرية
بعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ففروا الى المدينة فقلت
يا رسول الله نحن الفارون فقال بل انتم العكارون وانا

فيئتكم وانتصاب متحرفا ومتحيزا على الحال والا لغو لا عمل له
او الاستثنا من المولين اى الا رجلا متحرفا او متحيزا ووزن
متحيز منفيعل لا متفعل والا لكان متحوزا لانه من حاز
بجوز فقد باء بغضب من الله ومأويه جهنم وبئس
المصير هذا اذا لم يزد العدو على الضعف لقوله الآن
خفف الله عنكم الاية وقيل الاية مخصوصة باهل بدر وهم
الحاضرين معه فى الحرب فلم تقتلوهم بقوتكم ولكن الله
قتلهم بنصركم وتسليطكم عليهم والقاء الرعب فى قلوبهم
روى انه لما طلعت قريش من العقنقل قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم هذه قريش جاءت بخيلائها وفخرها
يكذبون رسولك اللهم انى اسئلك ما وعدتنى فاتاه
جبريل وقال له خذ قبضة من تراب فارمهم بها فلما التقى
الجمعان تناول صلى الله عليه وسلم كفا من الحصى فرمى بها
فى وجوههم وقال شاهت الوجوه فلم يبق مشرك الا شغل بعينه
فانهزموا وردفهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرون ثم لما ان
صرفوا اقبلوا على التفاخر فيقول الرجل قتلت واسرت فنزل
والفاء جواب شرط محذوف فى تقديره ان افتخرتم بقتلهم فلم
تقتلوهم ولكن قتلهم وما رميت يا محمد رميا توصلها الى
اعينهم ولم تقدر عليه اذ رميت اى اتيت بصورة الرمى
ولكن الله رمى اى بما هو غاية الرمى فاوصلها الى اعينهم
جميعا حتى انهزموا وتمكنتم من قطع دابرهم وقد عرفت ان
اللفظ يطلق على المسمى وعلى ما هو كماله والمقصود منه وقيل
معناه ما رميت بالرعب اذ رميت بالحصا ولكن الله رمى بالرعب
فى قلوبهم وقيل انه نزل فى طعنة طعن بها ابى بن خلف يوم
احد ولم يخرج منه دم فجعل يخور حتى مات او رميه سهم

رماه يوم حنين نحو الحصن فاصاب لبابة بن الحقيق على فراشه
والجمهور على الاول وقراء ابن عامر بالتخفيف ورفع ما بعده
فى الموضعين وليبلى المؤمنين منه بلاء حسنا وليتعم عليهم
نعمة عظيمة بالنصر والغنيمة ومشاهدة الآيات ان الله سميع
لاستغاثتهم ودعائهم عليم ببنياتهم واحوالهم ذلكم اشارة
الى البلاء الحسن او القتل والرمى ومحله الرفع اى المقصود او
الامر ذلكم وقوله وان الله موهن كيد الكافرين معطوف
عليه اى المقصود ابلاء المؤمنين وتوهين كيد الكافرين و
ابطال حيلتهم وقراء ابن كثير موهن بالتشديد وحفص موهن
كيد بالاضافة والتخفيف ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح خطاب
لاهل مكة على سبيل التهكم وذلك انهم حين ارادوا الخروج
تعلقوا باستار الكعبة وقالوا اللهم انصر اعلى الجندين واهدى
الفئتين واكرم الحزبين وان تنتهوا عن الكفر ومعاداة
الرسول صلى الله عليه وسلم فهو خيرا لكم لتضمنه سلامة
الدارين وخير المنزلين وان تعودوا للمحاربة نعد للنصرة
ولن تغنى ولن تدفع عنكم فيئتكم جماعتكم شيئا من الاغناء و
المضار ولو كثرت فيئتكم وان الله مع المؤمنين بالنصر وهو
المعونة وقراء ابن عامر وحفص ونافع وان بالفتح على و
لان الله مع المؤمنين كان ذلك وقيل الاية خطاب المؤمنين
والمعنى ان تستنصروا فقد جاءكم النصر وان تنتهوا عن
التكاسل فى القتال والرغبة عما يستأثره الرسول فهو خير لكم
وان تعودوا اليه نعد بالانكار او تهييج العدو ولن تغنى عنكم
حينئذ كثرتكم اذا لم يكن الله معكم بالنصر فانه مع الكاملين فى
ايمانهم ويؤيد ذلك يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله ورسوله
ولا تولوا عنه ولا تقولوا عن الرسول صلى الله عليه وسلم

فان المراد من الاية الامر بطاعته والنهى عن الاعراض عنه و
ذكر طاعة الله للتوطئة والتنبيه على ان طاعة الله فى طاعته
الرسول صلى الله عليه وسلم لقوله ومن يطع الرسول فقد
اطاع الله وقيل الضمير للجهاد او للامر الذى دل عليه الطاعة
وانتم تسمعون القران والمواعظ سماع فهم وتصديق
ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا كالكفرة او المنافقين الذين
ادعوا السماع وهم لا يسمعون سماعا ينتفعون به فكانهم
لا يسمعون انا ان شر الدواب عند الله شر ما يدب على
الارض او شر البهائم الصم عن الحق البكم الذين لا يعقلون
اياه انما عدهم من البهائم ثم جعلهم شرها لابطالهم ما
میزوا به وفضلوا لاجله ولو علم الله فيهم خيرا اسعادة
كتبت لهم او انتفاعا بالايات لاسمعهم سماع تفهم ولو
اسمعهم وقد علم ان لا خير فيهم لتولوا ولم ينتفعوا به
او ارتدوا بعد التصديق والقبول وهم معرضون لعنادهم و
قيل كانوا يقولون للنبى صلى الله عليه وسلم احى لنا قصى فانه
كان شيخا مباركا حتى نشهد لك ونؤمن بك والمعنى لاسمعهم
كلام قصى يا ايها الذين امنوا استجيبوا لله والرسول بالطاعة
اذا دعاكم وحد الضمير فيه لما سبق ولان دعوة الله تسمع
من الرسول وروى انه صلى الله عليه وسلم مر على ابى سعيد
الخدرى وهو يصلى فدعاه فعجل فى صلوته ثم جاء فقال
ما منعك عن اجابتى قال كنت اصلى قال الم تخبر فيما
اوحى الى استجيبوا لله والرسول واختلف فيه فقيل
هذا لان اجابته لا تقطع الصلوة فان الصلوة ايضا اجابة
وقيل ان دعاءه كان لامر لا يحتمل التاخير وللمصلى ان يقطع الفلوة
لمثله فظاهر الحديث يناسب الاول لما يحييكم من العلوم الدينية

فانها حياة القلب والجهل موته قال لا تعجبن الجهول حيلته
فذلك ميت وثوبه كفنه او مما يورثكم للجنة الابدية فى النعيم
الدائم من العقائد والاعمال او من الجهاد فانه سبب بقائكم
اذ لو تركوه لغلبهم العدو وقتلهم او الشهادة لقوله بل احياء
عند ربهم يرزقون واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه تمثيل
لغاية قربه من العبد كقوله ونحن اقرب اليه من حبل الوريد
وتنبيه على انه مطلع على مكنونات القلوب ما عسى يغفل عنه
صاحبها او حث على المبادرة الى اخلاص القلوب وتصفيتها
قبل ان يحول الله بينه وبين قلبه بالموت او غيره او تصوير و
تخييل لتملكه على العبد قلبه فيفسخ عزائمه ويغير مقاصده
ويحول بينه وبين الكفر ان اراد سعادته وبينه وبين الايمان
ان قضى بشقاوته وقرئ بين المر بالتشديد وعلى حذف الهمزة
والقاء حركتها على الراء واجراء الوصل مجرى الوقف على لغة من
يشدد فيه وانه اليه تحشرون فيجازيكم باعمالكم واتقوا فتنة
لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة اتقوا ذنبا يعمكم اثره كاقرار
المنكر بين اظهرهم والمداهنة فى الامر بالمعروف والاخلال به
الكلمة وظهور البدع والتكاسل فى الجهاد على ان قوله لا تصيبن
اما جواب الامر على معنى ان اصابتكم لا تصيب الظالمين منكم
خاصة وفيه ان جواب الشرط مثبت فلا يليق به النون المؤكدة
لكنه لما تضمن معنى النهى ساغ فيه كقوله يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم
لا يحطمنكم واما صفة لفتنة ولا للنفى وفيه شذوذ لان النون
لا يدخل المنفى فى غير القسم او للنهى على ارادة القول كقوله حتى
اذا طن الظلام واختلط جاء اهذق هل رايت الذئب قط او
اما جواب قسم محذوف كقراءة من قرأ لتصيبن وان اختلفا
فى المعنى ويحتمل ان يكون نهيا بعد الامر باتقاء الذنب عن

التعرض للظلم فان وباله يصيب الظالم خاصة ويعود عليه
عليه ومن في منكم على الوجوه الاول للتبعيض وعلى الثاني
خبرين للتبيين وفائدة التنبيه على ان الظلم منكم
اقبح من غيركم واعلموا ان الله شديد العقاب واذكروا
اذ انتم قليل مستضعفون في الارض ارض مكة يستضعفكم
قريش والخطاب للمهاجرين وقيل للعرب كافة فانهم
كانوا اذلاء في ايدي فارس والروم تخافون ان يتخطفكم
الناس كفار قريش او من عذابهم فانهم كانوا جميعا معادين
مضادين لهم فاواكم الى المدينة او جعل لكم مأوى تتحصنون
به عن اعاديكم وايدكم بنصره على الكفار او بمظاهرة الانصار
او بامداد الملائكة يوم بدر ورزقكم من الطيبات من الغنائم
لعلكم تشكرون هذه النعم يا ايها الذين آمنوا لا تخونوا الله
والرسول بتعطيل الفرائض والسنن او بان تضمروا خلاف ما
تظهرون او بالغلول في الغنائم روى انه صلى الله عليه وسلم
حاصر بني قريظة احدا وعشرين ليلة فسألوا الصلح كما صالح
اخوانهم بني النضير على ان يسيروا الى اخوانهم باذرعات و
اريحاء من الشام فابى الا ان ينزلوا على حكم سعد بن معاذ
فابوا وقالوا ارسل الينا ابا لبابة وكان مناصحا لهم لان عياله
وماله في ايديهم فبعثه اليهم فقالوا ما ترى هل ننزل على حكم
سعد فاشار الى حلقه انه الذبح قال ابو لبابة فما زالت قدماي
حتى علمت اني قد خنت الله ورسوله فنزلت فشد نفسه
على سارية في المسجد وقال والله لا اذوق طعاما ولا اشرابا
حتى اموت او يتوب الله علي فمكث سبعة ايام حتى خرت مغشيا
عليه ثم تاب الله عليه فقيل له قد تيب عليك فحل نفسك
فقال لا والله لا احلها حتى يكون رسول الله هو الذي يحلني

فجاءه وحلها بيده فقال ان من تمام توبتي ان اهجر دار قومي
التي اصبت فيها الذنب وان انخلع من مالي فقال عليه الصلاة
والسلام يجزيك الثلث ان تتصدق به واصل الخون النقص
كما ان اصل الوفاء التمام واستعماله في ضد الامانة لتضمنه
اياه وتخونوا امانتكم فيما بينكم وهو مجزوم بالعطف
على الاول او منصوب على الجواب بالواو وانتم تعلمون
انكم تخونون او وانتم علماء تميزون الحسن من القبيح وهو
اعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة لانهم سبب الوقوع
في الاثم والعقاب او محنة من الله كي ليبلوكم فيهم يحملكم
حبهم على الخيانة كابي لبابة وان الله عنده اجر عظيم لمن
آثر رضاء الله عليهم وراعى حدوده فيهم فانيطوا هممكم بما
يؤديكم اليه يا ايها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا
هداية في قلوبكم تفرقون بها بين الحق والباطل او نصرا يفرق
بين المحق والمبطل باعزاز المؤمنين واذلال الكافرين
او مخرجا من الشبهات او نجاة مما تحذرون في الدارين او
ظهورا يشهر امركم ويبث صيتكم من قولهم بت افعل كذا
حتى سطع الفرقان اي الصبح ويكفر عنكم سيئاتكم ويسترها
ويغفر لكم بالتجاوز والعفو عنها وقيل السيئات الصغائر
والذنوب الكبائر وقيل المراد ما تقدم وما تأخر لانها في
اهل بدر وقد غفرهما الله لهم والله ذو الفضل العظيم
تنبيه على ان ما وعده لهم على التقوى تفضل منه واحسان
وانه ليس مما يوجب تقواهم عليه كالسيد اذا وعد عبده
انعاما على عمل واذ يمكر بك الذين كفروا تذكار لما مكر قريش
به حتى حين كان بمكة ليشكر نعمة الله في خلاصه من مكرهم
واستيلائه عليهم والمعنى واذكر اذ يمكرون بك ليثبتوك

قانا

بالوثاق او الحبس او الاثخان بالجراح من قولهم ضربه حتى اثبته لاحراك به ولا براح وقرئ بالتشديد وليثبتوك من البيات وليقيدوك او يقتلوك بسيوفهم او يخرجوك من مكة وذلك انهم لما سمعوا باسلام الانصار ومتابعتهم فرقوا فاجتمعوا في دار الندوة منشاورين في امره صلى الله عليه وسلم فدخل عليهم ابليس في صورة شيخ وقال انا من نجد سمعت اجتماعكم فاردت احضركم ولن تعدموا مني رايا ونصحا فقال ابو البختري رأى ان تحبسوه في بيت وتسدوا منافذه غير كوة تلقون اليه طعامه وشرابه منها حتى يمون فقال الشيخ بئس الرأى رأيكم يأتيكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه من ايديكم فقال هشام بن عمرو رأى ان تحملوه على جمل فتدحوه من ارضكم فلا يضركم ما صنع فقال بئس الرأى يفسد قوما غيركم ويقاتلكم بهم فقال ابو جهل انا ارى ان تأخذوا من كل بطن غلاما وتعطوه سيفا فيضربوه ضربة واحدة فيتفرق دمه في القبائل فلا يقوى بنو هاشم على حرب قريش كلهم فاذا طلبوا العقل عقلناه فقال صدق هذا الفتى فتفرقوا على رأيه فاتى جبريل عليه السلام واخبره بالخبر وامره بالهجرة فبيت عليا كرم الله وجهه على مضجعه وخرج مع ابي بكر رضي الله عنه الى الغار ويمكرون ويمكر الله برد مكرهم عليهم او بجازاتهم عليه او بمعاملة الماكرين معهم بان اخرجهم الى بدر وقلل المسلمين في اعينهم حتى حملوا عليهم فقتلوا والله خير الماكرين اذ لا يؤبه بمكرهم دون مكره واسناد امثال هذا مما يحسن للمزاوجة ولا يجوز اطلاقها ابتداء لما فيه من ابهام الذم واذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا هو قول النضر بن الحارث واسناده الى الجميع

اسناد ما فعله رئيس القوم اليهم فانه كان قاضيهم وقيل هو قول الذين ائتمروا في امره صلى الله عليه وسلم وهذا غاية مكابرتهم وفرط عنادهم اذ لو استطاعوا ذلك فما منعهم ان يشاؤا او قد تحداهم وقرعهم بالعجز عشر سنين ثم قارعهم بالسيف فلم يعارضوا بسورة مع انفتهم وفرط استنكافهم ان يغلبوا خصوصا في باب البيان ان هذا الا اساطير الاولين باسطر الاولون من القصص واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم هذا ايضا من كلام ذلك القائل ابلغ في الجحود روي انه لما قال النضر ان هذا الا اساطير الاولين قال له الرسول صلى الله عليه وسلم ويلك انه كلام الله فقال ذلك والمعنى ان كان القرآن حقا منزلا فامطر الحجارة علينا عقوبة على انكاره او ائتنا بعذاب اليم سواه والمراد منه التهكم واظهار اليقين والجزم التام على كونه باطلا وقرئ الحق بالرفع على ان هو مبتدأ غير فصل وفائدة التعريف الدلالة على ان المعلق به كونه حقا بالوجه الذي يدعيه النبي صلى الله عليه وسلم وهو تنزيله للحق مطلقا التجويز هم ان يكون مطابقا للواقع غير منزل كاساطير الاولين وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون بيان لما كان الموجب امهالهم والتوقف في اجابة دعائهم واللام لتاكيد النفي والدلالة على ان عذابهم عذاب استيصال والنبي صلى الله عليه وسلم بين اظهرهم خارج عن عادته غير مستقيم في قضائه والمراد باستغفارهم اما استغفار من بقي من المؤمنين او قولهم اللهم غفرانك او هم فرضه على معنى لو استغفروا لم يعذبوا كقوله وما كان ربك

ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون وما لهم ان لا يعذبهم
الله وما لهم بما يمنع تعذيبهم متى زال ذلك وكيف لا يعذبهم
وهم يصدون عن المسجد الحرام وحالهم ذلك ومن صدهم
عنه الجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين الى الهجرة
واحصارهم عام الحديبية وما كانوا اولياءه مستحقين له
ولاية امره مع شركهم وهو رد لما كانوا يقولون نحن ولاة
البيت والحرم فنصد من نشاء وندخل من نشاء ان اولياؤه
الا المتقون من الشرك الذين لا يعبدون فيه غيره وقيل
الضمير لله ولكن اكثرهم لا يعلمون ان لا ولاية لهم عليه
كائنة بأكثر ان منهم من يعلم ويعاند وارد به الكل كما يراد
بالقلة العدم وما كان صلوتهم عند البيت اى دعاؤهم او ما
يسمونه صلوة او ما يضعون موضعها الا مكاء صفير افعال من
مكاء يمكو اذا صفر وقرئ بالقصر كالبكاء وتصدية تصفيقا
من الصداء او من الصد على ابدال احد حرفى التضعيف بالياء
وقرئ صلوتهم بالنصب على انه الخبر المقدم ومساق الكلام لتقرير
استحقاقهم للعذاب او عدم ولايتهم للمسجد فانها لا تليق
بمن هذه صلوته روى انهم كانوا يطوفون البيت عراة الرجال
والنساء مشبكين بين اصابعهم يصفرون فيها ويصفقون وقيل
كانوا يفعلون ذلك اذا اراد النبى صلى الله عليه وسلم ان يصلى
يخلطون عليه ويريدون انهم يصلون ايضا فذوقوا العذاب يعنى
القتل والاسر يوم بدر وقيل عذاب الآخرة والآم يحتمل ان يكون
للعهد والمعهود اثنا بعذاب اليم بما كنتم تكفرون اعتقادا وعملا
ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله نزلت
فى المطعمين يوم بدر وكانوا اثنا عشر رجلا من قريش يطعم كل
واحد منهم عشر جزور او فى ابى سفيان استأجر يوم احد

الفين من العرب سوى من استجاش من العرب وانفق عليهم
اربعين اوقية او فى اصحاب العير فانه لما اصيب قريش ببدر
قيل لهم اعينوا بهذا المال على حرب محمد صلى الله عليه وسلم
لعلنا ندرك منه ثارنا ففعلوا والمراد بسبيل الله دينه وهو
اتباع رسوله فسينفقونها بتمامها ولعل الاول اخبار عن
انفاقهم فى تلك الحالة وهو انفاق بدر والثانى اخبار عن
انفاقهم فيما يستقبل وهو انفاق احد ويحتمل ان يراد بهما
واحد على ان مساق الاول لبيان غرض الانفاق ومساق
الثانى لبيان عاقبته وانه لم يقع بعد ثم تكون عليهم حسرة
ندما وغما لفواتها من غير مقصود جعل ذاتها نظير حسرة وهى
عاقبة انفاقها مبالغة ثم يغلبون اخر الامر وان كان الحرب
بينهم سجالا قبل ذلك والذين كفروا اى والذين ثبتوا على الكفر
منهم اذا سلم بعضهم الى جهنم يحشرون يساقون ليميز الله من
الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا فيجمعه ويضم بعضه على بعض
حتى يرى اكبوا الفرط ازدحامهم او يضم الى الكافر ما انفقه ليزيد به
عذابه كمال الكافرين فيجعله فى جهنم كله اولئك اشارة الى الخبيث
ان قدر بالفريق الخبيث او الى المنفقين هم الخاسرون الكاملون
فى الخسران لانهم خسروا انفسهم واموالهم قل للذين كفروا يعنى
ابا سفيان واصحابه والمعنى قل لاجلهم ان ينتهوا عن معاداة
الرسول صلى الله عليه وسلم بالدخول فى الاسلام يغفر لهم
ما قد سلف من ذنوبهم وقرئ بالتاء والكاف على التخاطب
وعلى البناء للفاعل وهو الله تعالى وان يعودوا الى قتاله فقد مضت
سنة الاولين الذين بغوا على الانبياء بالتدمير كما جرى على
اهل بدر فليتوقعوا مثل ذلك وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة كلام
فيهم شرك ويكون الدين كله لله ويضمحل عنهم الاديان الباطلة

الطيب الكافر من المؤمن او الفساد من الصلاح واللام متعلقة بيحشرون
او يغلبون او ما انفقه المشركون فى عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم
مما انفقه المسلمون فى نصره واللام متعلقة بقوله ثم تكون عليهم حسرة
وقرأ حمزة والكسائى ليميز من الثلاثى التميين وهو ابلغ من الميز ويجعل كل

جد
طلة

فإن انتهوا عن الكفر فإن الله بما يعملون بصير فيجازيهم على
انتهائهم عنه واسلامهم وعن يعقوب تعملون بالتاء على معنا
فان الله بما تعملون من الجهاد والدعوة الى الاسلام والاخراج
عن ظلمة الكفر الى نور الايمان بصير يجازيكم ويكون تعليله
بانتهائهم دلالة على انه كما يستدعى اثابتهم للمباشرة يستدعى
اثابة مقابليهم للسبب وان تولوا ولم ينتهوا فاعلموا ان
الله مولاكم ناصركم فثقوا به ولا تبالوا بعداوتهم نعم المولى
لا يضيع من تولاه ونعم النصير لا يغلب من نصره واعلموا
ان ما غنمتم اى الذى اخذتموه من الكفار قهرا من شئ ما
يقع عليه اسم الشئ حتى الخيط فان لله خمسه مبتدا خبره
محذوف اى ثابت ان لله خمسه وقرئ فان بالكسر والجهور
على ان ذكر الله للتعظيم كما فى قوله تعالى والله ورسوله احق
ان يرضوه وان المراد قسم الخمس على الخمسة المعطوفين و
للرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل
فكانه قال فان لله خمسه يصرف الى هؤلاء الاخصين به وحكم
بعد باق غير ان سهم الرسول صلى الله عليه وسلم يصرف الى
ما كان يصرفه اليه من مصالح المسلمين كما فعله الشيخان وقيل
الى الامام وقيل الى الاصناف الاربعة وقال ابو حنيفة يسقط
سهمه وسهم ذوى القربى بوفاته صلى الله عليه وسلم وصار
الكل مصروفا الى الثلاثة الباقية وعن مالك الامر فيه مفوض
الى راى الامام يصرفه الى ما يراه اهم وذهب ابو العالية الى
ظاهر الآية وقال يقسم ستة اقسام ويصرف سهم الله الى الكعبة
ثم يقسم ما بقى على خمسة وقيل سهم الله لبيت المال وقيل مضموم
الى سهم الرسول الله صلى الله عليه وسلم وذوى القربى بنو
هاشم وبنو المطلب لما روى انه صلى الله عليه وسلم قسم سهم

ذوى القربى عليهما فقال له عثمان وجبير بن مطعم هؤلاء
اخوتك بنو هاشم لا ينكر فضلهم لمكانك الذى جعلك الله
منهم ارايت اخواننا من بنى المطلب اعطيتهم وحرمتنا وانما نحن
وهم بمنزلة فقال صلى الله عليه وسلم انهم لم يفارقونا فى الجاهلية
ولا فى الاسلام وشبك بين اصابعه وقيل بنو هاشم وحدهم
وقيل جميع قريش والغنى والفقير فيه سواء وقيل هو مخصوص
بفقرائهم كسهم ابن السبيل وقيل الخمس كله لهم وقيل المراد
باليتامى والمساكين وابن السبيل من كان منهم والعطف
للتخصيص والاية نزلت ببدر وقيل كان الخمس فى غزوة
بنى قينقاع بعد بدر بشهر وثلثة ايام للنصف من شوال على
راس عشرين شهرا من الهجرة ان كنتم آمنتم بالله متعلق بمحذوف
دل عليه واعلموا اى ان كنتم آمنتم بالله فاعلموا انه جعل الخمس
لهؤلاء فسلموه اليهم واقنعوا بالاخماس الاربعة الباقية
فان العلم العملى اذا امر به لم يرد منه العلم المجرد لانه مقصود
بالعرض والمقصود بالذات هو العمل وما انزلنا على عبدنا
محمد صلى الله عليه وسلم من الايات والملائكة والنصر وقرئ
عبدنا بضمتين اى الرسول والمؤمنون يوم الفرقان يوم
بدر فانه فرق فيه بين الحق والباطل يوم التقى الجمعان المسلمون
والكفار والله على كل شئ قدير فيقدر على نصر القليل على
الكثير وامداد بالملائكة اذ انتم بالعدوة الدنيا بدل من
يوم الفرقان والعدوة بالحركات الثلاث شط الوادى وقد
قرئ بها والمشهور الضم والكسر وهو قراءة ابن كثير وابى عمرو ويعقوب وهم بالعدوة القصوى البعدى من المدينة
تانيث الاقصى وكان قياسه قلب الواو ياء كالدنيا والعليا
لفرقة بين الاسم والصفة فجاء على الاصل كالقود وهو اكثر

ف

استعمالا من القصيا والتركب اى العير او قوادها اسفل منكم
منكم فى مكان اسفل من مكانكم يعنى الساحل وهو منصوب على
الظرف واقع موقع الخبر والجملة حال من الظرف قبله وفائدتها
الدلالة على قوة العدوة واستظهارهم بالتركب وحرصهم على
المقاتلة عنها وتوطين نفوسهم على ان لا يخلوا امر اكنهم و
يبذلوا منتهى جهدهم وضعف شان المسلمين والتيان امرهم
واستبعاد غلبتهم عادة وكذا ذكر مركز الفريقين وان
العدوة الدنيا كانت رخوة تسوخ فيها الارجل ولا يمشى
فيها الا بتعب ولم يكن بها ماء بخلاف العدوة القصوى وكذا
قوله ولو تواعدتم لاختلفتم فى الميعاد اى ولو تواعدتم انتم
وهم القتال ثم علمتم حالكم وحالهم لاختلفتم انتم فى الميعاد
هيبة منهم ويأسا من الظفر عليهم ليقضى الله ما اتفق
لهم من الفتح ليس الا صنعا من الله تعالى خارقا للعادة فيزدا
دوا ايمانا ولكن جمع بينكم بهذه الحالة من غير ميعاد ليقضى الله
امرا كان مفعولا تحقيقا بان يفعل وهو نصر اوليائه وقهر
اعدائه وقوله ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حى عن
بينة بدل منه او متعلق بقوله مفعولا والمعنى ليموت من
يموت عن بينة عاينها ويعيش من يعيش عن حجة شاهدها
لئلا يكون له حجة ومعذرة فان وقعة بدر من الايات الوضحة
او ليصدر كفر من كفر وايمان من آمن عن وضوح بينة على
استعارة الهلاك والحيوة للكفر والاسلام والمراد بمن هلك
وبمن حى المشارف للهلاك والحيوة او من هذا حاله فى علم
الله وقضائه وقرئ ليهلك بالفتح وقراء ابن كثير ونافع
من حيى بفك الادغام للحمل على المستقبل وان الله لسميع
عليم بكفر من كفر وعقابه وايمان من آمن وثوابه ولعل الجمع

بين الوصفين لاشتمال الامرين على القول والاعتقاد اذ يريكهم
الله فى منامك قليلا متعلق باذكر او بدل ثان من يوم الفرقان
او متعلق بعليم اى يعلم المصالح اذ يقللهم فى عينك فى رؤياك
وهو ان تخبر به اصحابك فيكون تثبيتا لهم وتشجيعا على
عدوهم ولو اراكهم كثيرا لفشلتم لجبنتم ولتنازعتم فى الامر
امر القتال وتفرقت اراؤكم بين الثبات والفرار ولكن
الله سلم انعم بالسلامة من الفشل والتنازع انه عليم بذات
الصدور يعلم ما له سيكون فيها وما يغير احوالها واذ يريكموهم
اذ التقيتم فى اعينكم قليلا الضمير ان مفعول يرى و
قليلا حال من الثانى وانما قللهم فى اعين المسلمين حتى قال ابن
مسعود رضى الله عنه لمن الى جنبه اتراهم سبعين فقال اراهم
مائة تثبيتا لهم وتصديقا لرؤيا الرسول صلى الله عليه وسلم ويقللكم
فى اعينهم حتى قال ابو جهل ان محمدا واصحابه اكلة جزر فللهم
فى اعينهم قبل التحام القتال ليجترءوا عليهم ولا يستعدوا لهم
ثم كثرهم حتى يروهم مثليهم لتفاجيهم الكثرة فتبهتهم وهو
نكس قلوبهم وهذا من عظائم ايات تلك الوقعة فان البصر و
ان كان قد يرى الكثير قليلا والقليل كثيرا لكن لا على هذا الوجه
ولا الى هذا الحد وانما يتصور ذلك بصد الله الابصار عن ابصار
بعض دون بعض مع التساوى فى الشروط ليقضى الله امرا
كان مفعولا لاجله لاختلاف الفعل المعلل به اولان المراد به
الامر بتم الالتقاء على الوجه المحكى وههنا اعتراض الاسلام وهو
اهله واذلال الشرك ومن به والى الله ترجع الامور بانتهاء
الذين آمنوا اذا لقيتم فئة حاذبتم جماعة ولم يصفها لان المؤ
منين
ما كانوا يلقون الا الكفار والتقاء مما غلب فى القتال فاثبتوا
للقائهم واذكروا الله كثيرا فى مواطن الحرب داعين له مستظهرين

بذكره متعقبين لنصره لعلكم تفلحون تظفرون بمرادكم من
النصر والمثوبة وفيه تنبيه على ان العبد ينبغي ان لا يشغله
شيء عن ذكر الله ﷻ وان يلجئ اليه عند الشدائد ويقبل عليه
بشراشره فارغ البال واثقا بان لطفه لا ينفك عنه في شيء
من الاحوال واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا باختلاف
الاراء كما فعلتم ببدر واحد فتفشلوا جواب النهي وقيل عطف
عليه ولذلك فرق وتذهب ريحكم بالجزم والريح مستعارة
للدولة من حيث انها في تمشي امرها ونفاذه مشبهة بها في
هبوبها ونفوذها وقيل المراد بها الحقيقة فان النصرة لا تكون
الا بريح يبعثها الله وفي الحديث نصرت بالصبا واهلكت
عاد بالدبور واصبروا ان الله مع الصابرين بالكلاءة والنصر
ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم يعني اهل مكة حين
خرجوا منها لحماية العير بطرا واشرا ورياء الناس ليثنوا
عليهم بالشجاعة والسماحة وذلك انهم لما بلغوا جحفة
وافاهم رسول ابي سفيان ان ارجعوا فقد سلمت عيركم
فقال ابو جهل لا والله حتى نقدم بدرا ونشرب بها الخمور
وتعزف علينا القينات وتطعم بها من حضرنا من العرب
فوافوها وكن سقوا كاس المنايا وناحت عليهم النوائح
فنهى المؤمنين ان يكونوا امثالهم بطرين مرائين وامرهم
بان يكونوا اهل تقوى واخلاص من حيث ان النهي عن
الشيء امر بضده ويصدون عن سبيل الله معطوف على
بطرا ان جعل مصدرا في موضع الحال وكذا ان جعل مفعولا
له لكن على تاويل المصدر والله بما يعملون محيط فيجازيهم
عليه واذ زين لهم الشيطان مقدر باذكر اعمالهم في معاداة
الرسول صلى الله عليه وسلم وغيرها بان وسوس اليهم

وقال لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم مقالة نفسانية
والعنانة التي في روعهم وخيل اليهم انهم لا يغلبون ولا يطاقون
لكثرة عددهم وعددهم واوهمهم ان اتباعهم اياه فيما يطلبون
انها قربات يجير لهم حتى قالوا اللهم انصر اهدى الفئتين وهو
افضل الدينين ولكم خبر لا غالب او صفته وليس صلته والا لان
نصب كقولك لا ضارب اليوم زيدا عندنا فلما تراءت الفئتان اي تلاقى
الفريقان نكص على عقبيه رجع القهقرى اي بطل كيده وعاد
ما خيل اليهم انه يجيرهم سبب هلاكهم وقال اني بريء منكم اني
ارى ما لا ترون اني اخاف الله اي تبرأ منهم وخاف عليهم
وآيس من حالهم لما رأى امداد الله ﷻ للمسلمين بالملائكة وقيل
لما اجتمعت قريش على المسير ذكرت ما بينهم وبين كنانة من
الاحنة وكاد ذلك يثنيهم فتمثل لهم ابليس بصورة سراقة
بن مالك الكناني وقال لا غالب لكم اليوم واني مجيركم من بني
كنانة فلما راى الملائكة تنزل نكص وكان يده في يد الحارث
بن هشام فقال له الى اين اتخذل بنا في هذه الحالة فقال اني ارى
ما لا ترون ودفع في صدر الحارث وانطلق وانهزموا فلما بلغوا
مكة قالوا هزم الناس سراقة فبلغه ذلك فقال فوالله ما
شعرت بمسيركم حتى بلغني هزيمتكم فلما اسلموا علموا انه
الشيطان وعلى هذا يحتمل ان يكون معنى قوله اني اخاف الله
اني اخافه ان يصيبني بمكروه من الملائكة او يهلكني ويكون
الوقت هو الوقت الموعود له اذ رائي فيه ما لم ير قبل والاول
ما قاله حسن واختاره ابن بحر والله شديد العقاب يجوز ان
يكون من كلامه وان يكون مستانفا اذ يقول المنافقون والذين
في قلوبهم مرض والذين لم يطمئنوا الى الايمان بعد وبقي في قلوبهم
شبهة وقيل هم المشركون وقيل المنافقون والعطف لتغاير

الوصفين عن هؤلاء يعتون المؤمنين دينهم حتى تعرضوا
لما لا يدى لهم به فخرجوا وهم ثلثمائة وبضعة عشر الى ذها الن
ومن يتوكل على الله جواب لهم فان الله عزيز غالب لا يذل من
استجار به وان قل حكيم يفعل بحكمته البالغة ما يستبعده العقل
ويعجز عن ادراكه ولو ترى ولو رايت فان لو يجعل المضارع
ماضيا عكس ان اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة ببدر واذ ظرف
ترى والمفعول محذوف اى ولو ترى الكفرة او حالهم حين
والملائكة فاعل يتوفى ويدل عليه قراءة ابن عامر بالتاء ويجوز
يجوز ان يكون الفاعل ضمير الله وهو مبتدا خبره يضربون
وجوههم والجملة حال من الذين كفروا واستغنى فيه بالضمير
عن الواو وهو على الاول حال منهم او من الملائكة او منهما
لاشتماله على الضميرين وادبارهم ظهورهم واستامهم ولعل
المراد تعميم الضرب اى يضربون ما اقبل منهم وما ادبر وذوقوا
عذاب الحريق عطف على يضربون باضمار القول اى ويقولون
لهم ذوقوا بشارة لهم بعذاب الاخرة وقيل كانت معهم
مقامع من حديد كلما ضربوا التهب النار منها وجواب لو
محذوف لتفظيع الامر وتهويله ذلك الضرب او العذاب
بما قدمت ايديكم بسبب ما كسبتم من الكفر والمعاصى وهو
خبر لذلك وان الله ليس بظلام للعبيد عطف عليه الدلالة
على ان سببيته مقيدة بانضمامه اليه اذ لولاه لامكن ان يعذبهم
بغير ذنوبهم لا ان لا يعذبهم بذنوبهم فان ترك التعذيب من
مستحقه ليس بظلم شرعا ولا عقلا حتى ينتهض نفى الظلم سببا
للتعذيب وظلام للتكثير لاجل العبيد كداب ال فرعون اى داب
هؤلاء مثل داب ال فرعون وهو عملهم وطريقهم الذى دابوا
فيه اى داوموا عليه والذين من قبلهم من قبل ال فرعون

كفروا بايات الله تفسير لدابهم فاخذهم الله بذنوبهم كما
اخذ هؤلاء ان الله قوى شديد العقاب لا يغلبه فى دفعه
شئ ذلك اشارة الى ما حل بهم بان الله بسبب ان الله لم
يك مغيرا نعمة انعمها على قوم مبدلا ايا ها بالنقمة حتى يغيروا
ما بانفسهم يبدلوا ما بهم من الحال التى اسوأ كتغييرهم
قريش حالهم فى صلة الرحم والكف عن تعرض الايات والتر
بمعادات الرسول صلى الله عليه وسلم ومن تبعه منهم وهم
السعى فى اراقة دمائهم والتكذيب بالايات والاستهزاء
بها الى غير ذلك مما احدثوه بعث المبعث وليس السبب
عدم تغيير الله ما انعم عليهم حتى يغيروا حالهم لل تهم
المفهوم له وهو جرى عادته تعالى على تغييره متى تغيرت حا
واصل يك يكون فحذف الحركة للجزم ثم الواو لالتقاء
الساكنين ثم النون لشبهة بالحروف اللينة تخفيفا وان الله
سميع لما يقولون عليم بما يفعلون كداب ال فرعون وهو
الذين من قبلهم كذبوا بايات ربهم فاهلكناهم بذنوبهم
واغرقنا ال فرعون تكرير للتاكيد ولما انيط به من الدلا
على كفران النعم بقوله بايات ربهم وبيان ما اخذ به ال فر
وقيل الاول لتشبيه الكف والاخذ به والثانى لتشبيه
التغيير بسبب تغييرهم ما بانفسهم وكل من الفرق المكذبة
اومن غرق القبط وقتلى قريش كانوا ظالمين انفسهم بالكفر
والمعاصى ان شر الدواب عند الله الذين كفروا اصروا على
الكفر ورسخوا فيه فهم لا يؤمنون فلا يتوقع منهم ايمان
ولعله اخبار عن قوم مطبوعين على الكفر بانهم لا يؤمنون
والفاء للعطف والتنبيه على ان تحقق المعطوف عليه يستدعى
تحقق المعطوف وقوله الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم

يك

سل

لهم

لة

عون

فى كل مرة بدل من الذين كفروا بدل البعض للبيان والتخصيص
وهم يهود قريظة عاهدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان لا يمالئوا عليه فاعانوا المشركين بالسلاح وقالوا نسينا ثم
عاهدهم فنكثوا وما لئوهم عليه يوم الخندق وركب كعب بن
الاشرف الى مكة فحالفهم ومن لتضمين المعاهدة معنى الاخذ
والمراد بالمرة مرة المعاهدة او المحاربة وهم لا يتقون
سبة الغدر ومغبته او لا يتقون الله فيه او نصره للمؤمنين
وتسليطه عليهم فاما تثقفنهم فاما تصادفنهم وتظفرن
بهم فى الحرب فشرد بهم فرق عن مناصبتك ونكل
عنها بقتلهم والنكاية فيهم من خلفهم من ورائهم من
الكفرة والتشريد تفريق على اضطراب وقرئ فشذ
بالذال المعجمة وكانه مقلوب شذر ومن خلفهم والمعنى
واحد فانه اذا شرد من ورائهم فقد فعل التشريد فى الوراء
لعلهم يذكرون لعل المشردين يتعظون واما تخافن
من قوم معاهدين خيانة نقض عهد بامارات تلوح
فانبذ اليهم فاطرح اليهم عهدهم على سواء على عدل وطريق
قصد فى العداوة ولا تناجزهم الحرب فانه خيانة منك
او على سواء فى الخوف او العلم بنقض العهد وهو فى موضع
الحال من النابذ على الوجه الاول اى ثابتا على طريق سوى
او منه او من المنبوذ اليهم او منهما على غيره وقوله ان الله
لا يحب الخائنين تعليل للامر بالنبذ والنهى عن مناجزة
القتال المدلول عليه بالحال على طريقة الاستئناف والتعميم
خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم وقوله الذين كفروا سبقوا
مفعولاه وقراء ابن عامر وحمزة وحفص بالياء على ان الفاعل
ضمير احد او من خلفهم او الذين كفروا والمفعول الاول

انفسهم فحذف للتكرار وعلى تقدير ان سبقوا وهو ضعيف
لان المصدرية كالموصول فلا تحذف او على ايقاع الفعل على
انهم لا يعجزون بالفتح على قراءة ابن عامر وان لاصلة هو
وسبقوا حال بمعنى سابقين اى مغلبين والاظهر انه تعليل هو
للنهى اى لا تحسبنهم سبقوا فافلتوا لانهم لا يفوتون الله هو
ولا يجدون طالبهم عاجزين عن ادراكهم وكذا ان كسرت
ان لانه تعليل على سبيل الاستيناف ولعل الاية اذاحة لما هو
يحذر به من نبذ العهد وايقاظ العدو وقيل نزلت هو
فيمن افلت من فل المشركين واعدوا ايها المؤمنون لهم
لناقضى العهد اى الكفار ما استطعتم من قوة من كل ما يتقوى
به فى الحرب وعن عقبة بن عامر سمعته عليه الصلوة هو
السلام يقول على المنبر الا ان القوة الرمى قالها ثلاثا ولعله
صلى الله عليه وسلم خصه بالذكر لانه اقواه ومن رباط هو
الخيل اسم للخيل التى ترتبط فى سبيل الله فعال بمعنى مفعول
او مصدر سمى به يقال ربط ربطا ورباطا وارتبط ومرا بطة
اوجع ربيط كفصيل وفصال وقرئ ربط الخيل بضم الباء هو
وسكونها جمع رباط وعصفها على القوة كعطف جبريل و
ميكائيل على الملائكة ترهبون به تخوفون به وعن يعقوب
ترهبون بالتشديد والضمير لما استطعتم او الاعداد عدو
وعدوكم يعنى كفار مكة وآخرين من دونهم من غيرهم
من الكفر قيل هم اليهود وقيل المنافقون وقيل الفرس لا هو
تعلمونهم لا تعرفونهم باعيانهم الله يعلمهم يعرفهم وما هو
تنفقوا من شئ فى سبيل الله يوف اليكم جزاؤه وانتم لا تظلمون
بتضييع العمل او نقص الثواب وان جنحوا مالوا ومنه الجناح
وقد يعدى باللام او الى للسلم للصلح والاستسلام وقرئ

بطة

الله

بالكسب فاجنح لها وعاهد معهم وتأنيث الضمير لحمل السلم
على نقيضها فيه قال السلم تأخذ منها ما رضيت به والحرب يكفيك
من انفاسها جرع وقرئ فاجنح بالضم وتوكل على الله ولا
تخف من ابطانهم خداعا فيه فان الله يعصمك من مكرهم
ويحيقه بهم انه هو السميع لاقوالهم العليم بنياتهم والاية
مخصوصة باهل الكتاب لاتصالها بقصتهم وقيل عامة نسخها
الاية السيف وان يريدوا ان يخدعوك فان حسبك الله هو
فان محسبك الله وكافيك قال جرير انى وجدت من المكارم
حسبكم ان تلبسوا حر الثياب وتشبعوا هو الذى ايدك
بنصره وبالمؤمنين جميعا والف بين قلوبهم مع ما فيهم من
العصبية والضغينة فى ادنى شئ والتهالك على الانتقام
لايكاد يتألف فيهم قلبان حتى صاروا كنفس واحدة فهذا بحيث
من معجزاته صلى الله عليه وسلم وبيانه لو انفقت ما فى الارض
جميعا ما الفت بين قلوبهم اى تناهى عداوتهم الى حد لو انفق
منفق فى اصلاح ذات بينهم ما فى الارض من الاموال لم يقدر
على الالفة والاصلاح ولكن الله الف بينهم بقدرته البالغة هو
فانه مالك القلوب يقلبها كيف يشاء انه عزيز تام القدرة وهو
الغلبة لايعصى عليه ما يريده حكيم يعلم انه كيف ينبغى ان يفعل
ما يريده وقيل الاية فى الاوس والخزرج كان بينهم احن
لاامد لها ووقائع هلكت فيها ساداتهم فانسابهم الله ذلك
والف بينهم بالاسلام حتى تصافوا وصاروا انصارا يا ايها النبى
حسبك الله كافيك ومن اتبعك من المؤمنين اما فى محل
النصب على المفعول معه كقولك اذا كانت الهيجاء وانسجر القنا
فحسبك والضحاك سيف مهند او الجر عطفا على الكنى عندهم
الكوفيون او الرفع عطفا على اسم الله اى كفاك الله والمؤمنين

والآية نزلت بالبيداء فى غزوة بدر وقيل اسلم مع النبى صلى
الله عليه وسلم ثلاثة وثلاثون رجلا وستة نسوة ثم اسلم
عمر رضى الله عنه فنزلت ولذلك قال ابن عباس نزلت فى اسلام
يا ايها النبى حرض المؤمنين على القتال بالغ فى حثهم عليه و
اصله الحرض وهو ان ينهكه المرض حتى يشفى على الموت وقرئ
حرض بالضاد ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين
وان يكن منكم مائة يغلبوا الفا من الذين كفروا شرط فى معنى هو
الامر بمصابرة الواحد للعشرة والوعد بانهم ان صبروا غلبوا
بعون الله ويأيده وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر تكن
بالتاء فى الآيتين ووافقهم البصريون فى وان تكن منكم مائة
بانهم قوم لايفقهون بسبب انهم جهلة بالله واليوم الاخر
لايثبتون ثبات المؤمنين رجاء الثواب وعوالى الدرجات
قتلوا وقتلوا ولايستحقون من الله ما استحقوه من الهوان والخذلان
الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة
صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن
الله لما اوجب الله على الواحد مقاومة العشرة والثبات هو
لهم وثقل ذلك عليهم خفف عنهم بمقاومة الواحد الاثنين
وقيل كان فيهم قلة فامروا بذلك ثم لما كثروا خفف عنهم و
تكرير المعنى الواحد بذكر الاعداد المناسبة للدلالة على ان هو
حكم القليل والكثير واحد والضعف ضعف البدن وقيل هو
ضعف البصيرة وكانوا متفاوتين فيها وفيه لغتان الفتح و
هو قراءة عاصم وحمزة والضم وهو قراءة الباقين والله مع
الصابرين بالنصر والمعونة فكيف لايغلبون ما كان لنبى
وقرئ للنبى على العهد ان يكون له اسرى وقراءة البصريون
بالتاء حتى يثخن فى الارض يكثر القتل ويبالغ فيه حتى يذل

الكف ويقل حزبه ويعز الاسلام ويستولى اهله من الثخن
المرض اذا اثقله واصله الثخانة وقرئ يثخن بالتشديد
للمبالغة تريدون عرض الدنيا حطامها باخذكم الفداء والله
يريد الآخرة يريد لكم ثواب الآخرة او سبب نيل الآخرة من
اعزاز دينه وقمع اعدائه وقرئ بجر الآخرة على اضمار المضاف
كقوله اكل امرئ تحسبين امرأة ونار توقد بالليل نارا
والله عزيز يغلب اولياءه على اعدائه حكيم يعلم ما يليق
بكل حال ويخصه بها كما امرنا بالاثخان ومنع عن الافتداء
حين كانت الشوكة للمشركين وخيّر بينه وبين المنّ لما
تحولت الحال وصارت الغلبة للمؤمنين روى انه عليه الصلوة
والسلام اتى يوم بدر بسبعين اسيرا فيهم العباس وعقيل بن
ابى طالب فاستشار فيهم فقال ابو بكر قومك واهلك استبقهم
لعل الله يتوب عليهم وخذ منهم فدية تقوى بها اصحابك
وقال عمر اضرب اعناقهم فانهم ائمة الكفر وان الله ليلين
عن الفدية مكنى من فلان لنسيب له ومكنى عليا وحمزة من اخيه
هما فلنضرب اعناقهم فلم يهو ذلك رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقال ان الله ليلين قلوب رجال حتى تكون الين من
اللبن وان الله ليشدد قلوب رجال حتى تكون اشد من
الحجارة وان مثلك يا ابا بكر مثل ابراهيم قال فمن تبعني فانه
مني ومن عصاني فانك غفور رحيم ومثلك يا عمر مثل نوح
قال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا فخير اصحابه
فاخذوا الفداء فنزلت فدخل عمر على رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاذا هو ابو بكر يبكيان فقال يا رسول اخبرني
فان اجد بكاء بكيت والا تباكيت فقال ابكي على اصحابك في
اخذهم الفداء ولقد عرض علي عذابهم ادنى من هذه الشجرة

لشجرة قريبة والآية دليل على ان الانبياء يجتهدون وانه قد يكون
خطاء ولكن لا يقرون عليه لو لا كتاب من الله سبق لولاحكم
الله سبق اثباته في اللوح المحفوظ وهو ان لا يعاقب المخطئ
في اجتهاده وان لا يعذب اهل بدر او قوما بما لم يصرح لهم به
النهي عنه او ان الفدية التي اخذوها استحل لهم لمسكم لنالكم
فيما اخذتم من الفداء عذاب عظيم روى انه صلى الله عليه وسلم
قال لو نزل العذاب لما نجا منه احد غير عمر وسعد بن معاذ
وذلك لانه ايضا اشار الى الاثخان فكلوا مما غنمتم من الفدية
فانها من جملة الغنائم وقيل امسكوا عن الغنائم فنزلت
والفاء للسبب محذوف تقديره ابحت لكم الغنائم فكلوا
وبنحوه تشبث من زعم ان الامر الوارد بعد الحظر للاباحة
حلالا حال من المغنوم او صفة للمصدر اى اكلا حلالا وفائدته
ازاحة ما وقع في نفوسهم منه بسبب تلك المعاتبة او حرمها
على الاولين ولذلك وصفه بقوله طيبا واتقوا الله في مخالفته
ان الله غفور رحيم غفر لكم ذنوبكم اباح لكم ما اخذتم يا ايها
النبي قل لمن في ايديكم من الاسرى وقرأ ابو عمرو من الا
سارى ان يعلم الله في قلوبكم خيرا ايمانا واخلاصا يؤتكم
خيرا مما اخذ منكم من الفداء روى انها نزلت في العباس
كلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يفدي نفسه وابني
اخويه عقيل بن ابي طالب ونوفل بن الحارث فقال يا محمد
تركتني اتكفف قريشا ما بقيت فقال فاين الذهب الذي
دفعته الى ام الفضل وقلت لها ان لا ادري
ما يصيبني في وجهي هذا فان حدث بي حادث فهو لك ولعبد
الله وعبيد الله والفضل وقثم فقال ما يدريك قال اخبرني
به ربي قال اشهد انك صادق وان لا اله الا الله وانك رسوله

والله لم يطلع عليه الا الله ولقد دفعته اليها في سواد الليل
قال العباس فابدلني الله خيرا من ذلك لي الان عشرون عبدا
ادناهم ليضرب في عشرين الفا واعطاني زمزم ما احب
ان لي بها جميع اموال اهل مكة وانا انتظر المغفرة من ربي
يعني الموعود بقوله ويغفر لكم والله غفور رحيم وان
يريدوا يعني الاسرى خيانتك نقض ما عاهدوك فقد
خانوا الله بالكفر ونقض الميثاق المأخوذ بالعقل من قبل
فامكن منهم اي فامكنك منهم كما فعل يوم بدر فان اعادوا
الخيانة فسيمكنك منهم والله عليم حكيم ان الذين آمنوا و
هاجروا اوطانهم وهم المهاجرون هاجروا اوطانهم
حبا لله ورسوله وجاهدوا باموالهم فصرفوها في الكراع و
والسلاح وانفقوها على المحاويج وانفسهم في سبيل الله و
بمباشرة القتال والذين آووا ونصروا هم الانصار اووا المها
جرين الى ديارهم ونصروهم على اعدائهم اولئك بعضهم اولياء
بعض في الميراث وكان المهاجرون والانصار يتوارثون
بالهجرة والنصرة دون الاقارب حتى نسخ بقوله واولوا الا
رحام بعضهم اولى ببعض او بالنصرة والمضاهرة والذين آمنوا
ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا اي من
تولينهم في الميراث وقرأ حمزة ولايتهم بالكسر تشبيها لها
بالعمل والصناعة والكتابة والامارة كانه بتولية صاحبه و
يزاول عملا وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر فواجب و
عليكم ان تنصروهم على المشركين الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق
عهد فانه لا ينقض عهدهم لنصرهم عليهم والله بما تعملون بصير و
والذين كفروا بعضهم اولياء بعض في الميراث او الموازرة وهو
بمفهومه يدل على منع التوارث والموازرة بينهم وبين المسلمين

الا تفعلوه الا تفعلوا ما امرتم به من التواصل بينكم وتعطف بعضكم
لبعض حتى في التوارث وقطع العلائق بينكم وبين الكفار تكن
فتنة في الارض تحصل فتنة فيها عظيمة وهي ضعف الايمان و
ظهور الكفر وفساد كبير في الدين وقرئ كثير والذين
آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا
اولئك هم المؤمنون حقا لما قسم المؤمنين الى اقسام بين ان
الكاملين في الايمان منهم هم الذين حققوا ايمانهم بتحصيل
مقتضاه من الهجرة والجهاد وبذل المال ونصرة الحق ووعد
لهم الموعد الكريم فقال لهم مغفرة ورزق كريم لا تبعة له
ولا منغصة فيه ثم الحق بهم في الامرين من سيلحق بهم ويشسم
بسمتهم فقال والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا
معكم فاولئك منكم اي من جملتكم ايها المهاجرون والانصار
واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في التوارث من الاجانب
في كتاب الله في حكمه او في اللوح او في القرآن واستدل به على
توريث ذوي الارحام ان الله بكل شيء عليم من المواريث و
الحكمة في اناطتها بنسبة الاسلام والمظاهرة اولا باعتبار
القرابة ثانيا عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة
الانفال وبراءة فانا شفيع له يوم القيمة ويشاهد انه برأه
من النفاق واعطى عشر حسنات بعدد كل منافق ومنافقة
وكان العرش وحملته يستغفرون له اتم حيوته سورة براءة
مدنية وقيل الا ايتين من قوله لقد جاءكم رسول وهي آخر ما
نزلت ولها اسماء آخر التوبة والمقشقشة والبحوث و
المبعثرة والمنقرة والمثيرة والحافرة والمخزية والفاضحة و
المنكلة والمشردة والمدمدمة وسورة العذاب لما فيها من
التوبيخ للمؤمنين والمقشقشة من النفاق وهي التبرئ منه

والبحث عن حال المنافقين واثارتها والكشف عنها وما هم
بخونهم ويفضحهم وينكلهم ويشرد بهم ويدمدم
عليهم وآيتها مائة وثلاثون وقيل تسع وعشرون وانما
تركت التسمية فيها لانها نزلت لرفع الامان وبسم
الله امان وقيل كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا نزلت
عليه سورة او اية بين موضعها وتوفى ولم يبين موضعها
وكانت قصتها تشبه قصة الانفال وتناسبها لان في الا
نفال ذكر العهود وفي براءة نبذها فضمت اليها وقيل لما
اختلفت الصحابة في انهما سورة واحدة هي سابعة سبع
الطوال او سورتان تركت بينهما فرجة ولم يكتب بسم
الله براءة من الله ورسوله الى هذه براءة ومن ابتدائية
متعلقة بمحذوف تقديره واصلة من الله ورسوله ويجوز
ان تكون براءة مبتدا التخصصها بصفتها والخبر الى الذين
عاهدتم من المشركين وقرئ بنصبها على تقدير اسمعوا براءة
والمعنى ان الله ورسوله بريء يا من العهد الذي عاهدتم
به المشركين وانما علقت البراءة بالله وبرسوله والمعا
هدة بالمسلمين للدلالة على انه يجب عليهم نبذ عهود هم
المشركين اليهم وان كانت صادرة باذن الله ورسوله واتفاق
الرسول صلى الله عليه وسلم فانهما بريئان منها وذلك انهم
عاهدوا مشركي العرب فنكثوا الا اناسا منهم بني ضمرة وبني
كنانة فامرهم بنبذ العهد الى الناكثين وامهل المشركين اربعة
اشهر ليسيروا اين ماشاؤا فقال فسيحوا في الارض اربعة
اشهر شوال وذي القعدة وذي الحجة والمحرم لانها نزلت
في شوال وقيل لعشرين من ذي الحجة والمحرم والصفر
وربيع الاول وعشر من ربيع الآخر لان التبليغ كان يوم

النحر لما روي انها لما نزلت ارسل رسول الله صلى الله عليه
وسلم عليا راكب العضباء ليقرأها على اهل الموسم وكان قد
بعث ابا بكر اميرا على الموسم فقيل له لو بعثت بها الى ابي بكر فقال
لا يؤدي عني الا رجل مني فلما دنا علي سمع ابو بكر الرغاء
فوقف وقال هذا رغاء ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلما لحقه قال امير او مأمور فلما كان قبل التروية خطب ابو
بكر وحدثهم عن مناسكهم وقام علي يوم النحر عند جمرة العقبة
فقال يا ايها الناس اني رسول رسول الله اليكم فقالوا بماذا
فقرأ عليهم اربعين اية ثم قال امرت باربع ان لا يقرب
البيت بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا
يدخل الجنة الا كل نفس مؤمنة وان يتم الى كل ذي عهد عهده
ولعل قوله لا يؤدي عني الا رجل مني ليس على العموم فانه
عليه الصلوة والسلام بعث لان يؤدي عنه كتبه لم يكونوا من
عشيرته بل هو مخصوص بالعهود فان عادة العرب ان لا
يتولى العهد ونقضه على القبيلة الا رجل منها ويدل عليه انه في بعض
الروايات لا ينبغي لاحد ان يبلغ هذا الا رجل من اهلي واعلموا
انكم غير معجزي الله لا تفوتونه وان امهلكم وان الله مخزي
الكافرين بالقتل والاسر في الدنيا والعذاب في الآخرة واذان
من الله ورسوله الى الناس اي اعلام فعال بمعنى الاعلام
كالامان والعطاء ورفعه كرفع براءة على الوجهين يوم
الحج الاكبر يوم العيد لان فيه تمام الحج ومعظم افعاله ولان
الكلام كان فيه ولما روي انه عليه الصلوة والسلام وقف
يوم النحر عند الجمرات في حجة الوداع فقال هذا يوم الحج
الاكبر وقيل يوم عرفة لقوله صلى الله عليه وسلم الحج عرفة وهو
وصف الحج بالاكبر لان العمرة تسمى الحج الاصغر او لان المراد

يوم محج

بالحج ما يقع فى ذلك اليوم من اعماله فانه اكبر من باقى الاعمال ه
ولان ذلك الحج اجتمع فيه المسلمين والمشركين ووافق عيده
اعياد اهل الكتاب او لانه ظهر فيه عن المسلمين وذل المشركين
ان الله اى بان برئ من المشركين اى من عهودهم ورسوله
عطف على المستكن فى برئ او على محل ان واسمها فى قراءة
من كسرها لجراء الاذان مجرى القول وقرئ بالنصب ه
عطفا على اسم ان او لان الواو بمعنى مع ولا تكرير فيه فان
قوله براءة من الله اخبار بثبوت البراءة وهذا اخبار بوجوب
الاعلام بذلك ولذلك علقه بالناس ولم يخصص بالمعاهدين
فان تبتم من الكفر والغدر فهو فالتوبة خير لكم وه
ان توليتم عن التوبة او تبتم على التولى عن الاسلام والوفاء
فاعلموا انكم غير معجزى الله لا تفوتونه طلبا ولا تعجزونه ه
هـ باخذى الدنيا وبشر الذين كفروا بعذاب اليم فى الاخرة
الا الذين عاهدتم من المشركين استثناء من المشركين او استدراك
وكانه قيل لهم بعد ان امروا بنبذ العهد الى الناكثين ولكن ه
الذين عاهدوا منهم ثم لم ينقصوكم شيئا من شروط العهد و
لم ينكثوه ولم يقتلوا منكم ولم يضروكم قصدا ولم يظاهروا
عليكم احدا من اعدائكم فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم الى
تمام مدتهم ولا تجروهم مجرى الناكثين ان الله يحب ه
المتقين تعليل وتنبيه على ان اتمام عهدهم من باب التقوى
فاذا انسلخ انقضى واصل الانسلاخ خروج الشئ مما الا
يبسه من سلخ الشاة الاشهر الحرم التى ابيح للناكثين
ان يسيحوا فيها وقيل رجب وذو القعدة وذو الحجة وه
المحرم وهذا اخل بالتعظيم يخالف الاجماع فانه يقتضى ه
بقاء حرمة الاشهر الحرم اذ ليس فيما نزل بعد ما ينسخها ه

فاقتلوا المشركين الشاكنين حيث وجدتموهم من حل وحرم ه
وخذوهم واسروهم والاخيذ الاسير واحصروهم واحبسوهم
او حيلوا بينهم وبين المسجد الحرام واقعدوا لهم كل مرصد
كل ممر لئلا ينبسطوا فى البلاد وانتصابه على الظرف فان تابوا
عن الشرك بالايمان واقاموا الصلوة واتوا الزكوة تصديقا
لتوبتهم وايمانهم فخلوا سبيلهم فدعوهم ولا تتعرضوا لهم
بشئ من ذلك وفيه دليل على ان تارك الصلوة ومانع الزكوة
لا يخلى سبيله ان الله غفور رحيم تعليل للامر اى فخلوهم ه
لانه غفور رحيم غفر لهم ما سلف ووعد لهم الثواب بالتوبة
وان احد من المشركين المامور بالتعرض لهم استجارك
استامنك وطلب منك جوارك فاجره منه حتى يسمع كلام
الله ويتدبره ويطلع على حقيقة الامر ثم ابلغه مامنه موضع
امنه ان لم يسلم واحد رفع بفعل يفسره ما بعده لا بالابتداء
لان ان من عوامل الفعل ذلك الامن او الامر بانهم قوم ه
لا يعلمون ما الايمان وملخصه ما تدعوهم اليه ولا بد من ه
امانهم ريثما يسمعون ويتدبرون كيف يكون للمشركين عهد
عند الله وعند رسوله استفهام بمعنى الانكار والاستبعاد ه
لان يكون لهم ولا ينكثوه مع وغرة صدورهم او لان يفى
الله ورسوله بالعهد وهم نكثوه وخابوا يكون كيف وقدم
للاستفهام او للمشركين او عند الله وهو على الاولين صفة
للعهد او ظرف له او ليكون وكيف على الاخيرين حال من ه
العهد وللمشركين ان لم يكن خبرا فتبيين الا الذين عا هدتم
عند المسجد الحرام هم المستثنون قبل وبدل النصب على
الاستثناء او الجر على البدل او الرفع على ان الاستثناء به
منقطع اى لكن الذين عاهدتم منهم عند المسجد الحرام فما

استقاموا لكم فاستقيموا لهم اى فتى تصنعوا امرهم فان استقاموا
على العهد فاستقيموا على الوفاء وهو كقوله فاتموا اليهم عهدهم غير انه مطلق وهذا مقيد وما يحتمل الشرطية والمصدرية
ان الله يحب المتقين سبق بيانه كيف تكرار لاستبعاد ثباتهم
على العهد او بقاء حكمه مع التنبيه على العلة وحذف الفعل
للعلم به كما فى قوله خبر تمالى انما الموت بالقرى فكيف
وها نقضبة وقليب اى فكيف مات وان يظهروا عليكم
اى وحالهم انهم ان يظهروا بكم لا يرقبوا فيكم لا يراعوا
فيكم الا حلفا وقيل قرابة قال حسان رضى الله عنه لعمرك
ان الك من قريش كآل السقب من رآل النعام وقيل ربوبية
ولعله اشتق للحلف من الآل وهو الجوار لانهم كانوا اذا
تحالفوا رفعوا به اصواتهم وشهروه ثم استعير للقرابة
لانها تعقد بين الاقارب ما لا يعقده الحلف ثم للربوبية
بنية وقيل اشتقاقه من آلك الشئ اذا احدده او من آل البرق
اذا لمع وقيل انه عبرى بمعنى الاله لانه قرئ ايلك بدل ال وجبريل
وذمة عهدا او حقا يذمم على اغفاله يرضونكم بافواههم
استيناف لبيان حالهم المنافية لثباتهم على العهد المؤدية
الى عدم مراقبتهم عند الظفر ولا يجوز جعله حالا من فاعل
لا يرقبوا فانهم بعد ظهورهم لا يرضون ولان المراد اتيان
ارضائهم المؤمنين بوعد الايمان والطاعة والوفاء بالعهد
فى الحال واستبطان الكفر والمعاداة بحيث ان ظفروا لم يبقوا
عليهم والحالية تنافيه وتابى قلوبهم ما تنطقه به افواههم
واكثرهم فاسقون متمردون لا عقيدة تزعهم ولا مروءة
تردعهم وتخصيص الاكثر لما فى بعض الكفرة من التحاشى
عن الغدر والتعفف عما يجر احدوثة السوء اشترواه

بآيات الله استبدلوا بالقرآن ثمنا قليلا عرضا يسيرا وهو
اتباع الاهواء والشهوات فصدوا عن سبيله دينه الموصل
اليه او سبيل بيته بحصر الحجاج والعمار والفاء للدلالة على
ان اشتراءهم اداهم الى الصد انهم ساء ما كانوا يعملون
عملهم هذا وما دل عليه قوله لا يرقبون فى مؤمن الا ولا ذمة
فهو تفسير للانكر وقيل الاول عام فى المنافقين وهذا
خاص بالذين اشتروا وهم اليهود او الاعراب الذين
جمعهم ابو سفيان واطعمهم واولئك هم المعتدون فى الشر
فان تابوا عن الكفر واقاموا الصلوة واتوا الزكوة فاخوانكم
فهم اخوانكم فى الذين لهم ما لكم وعليهم ما عليكم ونفصل
الآيات لقوم يعلمون اعتراض للحث على تامل ما فصل
من احكام المعاهدين او خصال التائبين وان نكثوا ايمانهم
من بعد عهدهم وان نكثوا ما بايعوا عليه من الايمان او الوفاء
بالعهود وطعنوا فى دينكم بصريح التكذيب وتقبيح الاحكام
فقاتلوا ائمة الكفر اى فقاتلوهم فوضع ائمة الكفر موضع الضمير
للدلالة على انهم صاروا بذلك ذوى الرياسة والتقدم فى الكفر
احقاء بالقتل وقيل المراد بالائمة رؤساء المشركين فالتخصيص
اما لان قتلهم اهم وهم احق به او للمنع من مراقبتهم وقراء
عاصم وابن عامر وحمزة والكسائى وروح عن يعقوب
ائمة بتخفيف الهمزتين على الاصل واظهار الياء لحن انهم
لا ايمان لهم اى الايمان لهم على الحقيقة والا لما طعنوا ولم
ينكثوا وفيه دليل على ان الذمى اذا طعن فى الاسلام فقد
نكث عهده واستشهد به الحنفية على ان يمين الكافر ليست
يمينا وهو ضعيف لان المراد نفى الوثوق عليها لا انها ليست
بايمان لقوله ص وان نكثوا ايمانهم وقراء ابن عامر لا ايمان

بمعنا الامان او لا اسلام وتشبث به من لم يقبل توبة المرتد
وهو ضعيف لجواز ان يكون بمعنى لا يؤمنون على الاخبار
عن قوم مغيبين اوليس لهم ايمان فيرتقبوا لاجله لعلهم
ينتهون متعلق بقاتلوا اى ليكن غرضكم فى المقاتلة ان هم
ينتهوا عما هم عليه لا ايصال الاذية بهم كما هو طريقة المؤذين الا
تقاتلون قوما حريض على القتال لان الهمزة دخلت على النفى
للانكار فافادت المبالغة فى الفعل نكثوا ايمانهم التى حلفوها
مع الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين على ان لا يعاونوا
عليهم فعاونوا بنى بكر على خزاعة وهموا باخراج الرسول
حين تشاوروا فى امره بدار الندوة على ما ذكره فى قوله واذ يمكر
بك الذين كفروا وقيل هم اليهود نكثوا عهد الرسول الله صلى
الله عليه وسلم وهموا باخراجه من المدينة وهم بدؤكم اول
مرة بالمعاداة والمقاتلة لانه صلى الله عليه وسلم بدأهم بما
لزعوة والزام الحجة بالكتاب والتحدى به فعدلوا عن مقا
رضته الى المعاداة والمقاتلة فما يمنعكم ان تعارضوهم وتصا
دموهم اتخشونهم اتتركون قتالهم خشية ان ينالكم مكروه
منهم فالله احق ان تخشوه فقاتلوا اعداءه ولا تتركوا
امره ان كنتم مؤمنين فان قضية الايمان ان لا يخشى الا منه
قاتلوهم امر بالقتال بعد بيان موجبه والتوبيخ على تركه
والتوعيد عليه يعذبهم الله بايديكم ويخزهم وينصركم
عليهم وعد لهم ان قاتلوهم بالنصر عليهم والتمكن من قتلهم
واذلالهم ويشف صدور قوم مؤمنين يعنى بنى خزاعة و
قيل بطونا من اليمن وسباء قدموا مكة فاسلموا فقدموا من
اهلها اذى شديدا فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال ابشروا فان الفرج قريب ويذهب غيظ قلوبهم لما لقوا

منهم وقد اوفى الله بما وعدهم والآية من المعجزات ويتوب الله
على من يشاء ابتداء اخبار بان بعضهم يتوب عن كفره وقد
كان ذلك ايضا وقرئ ويتوب بالنصب على اضمار ان على انه
من جملة ما اجيب به الامر فان القتال كما تسبب لتعذيب
قوم تسبب لتوبة قوم اخرين والله عليم بما كان وسيكون
حكيم لا يفعل ولا يحكم الا على وفق الحكمة ام حسبتم خطاب ه
للمؤمنين حين كره بعضهم القتال وقيل للمنافقين وام ه
منقطعة ومعنى الهمزة فيها التوبيخ على الحسبان ان تتركوا
ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم تتبين الخلص منكم وهم
الذين جاهدوا من غيرهم نفى العلم واراد نفى المعلوم للمبالغة
فانه كالبرهان عليه من حيث ان تعلق العلم به مستلزم لوقوعه
ولم يتخذوا عطف على جاهدوا داخل فى الصلة من دون الله
ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة بطانة يوالونهم ويفشون
اليهم اسراركم وما فى لما من معنى التوقع منبه على ان تبين ذلك
متوقع والله خبير بما تعملون يعلم عرضكم منه وهو كالمزيح لما هو
يتوقعهم من لطائف قوله وما يعلم الله ما كان للمشركين ما صح لهم
ان يعمروا مساجد الله شيئا من المساجد فضلا عن المسجد الحرام
وقيل هو المراد وانما جمع لانه قبلة المساجد وامامها فعامره ه
كعامر الجميع ويدل عليه قراءة ابن كثير وابى عمرو بالتوحيد
شاهدين على انفسهم بالكفر باظهار الشرك وتكذيب الرسول
صلى الله عليه وسلم وهو حال من الواو والمعنى ما استقام ه
لهم ان يجمعوا بين امرين متنافيين عمارة بيت الله تعالى وعبا
دة
غيره روى انه لما اسر العباس عيره المسلمون بالشرك و
قطيعة الرحم واغلظ له على رضى الله عنه فى القول فقال ه
تذكرون مساوينا وتكتمون محاسننا انا لنعمر المسجد الحرام

ونجب الكعبة ونسقي الحجيج ونفسك العالي فنزلت اولئك
حبطت اعمالهم التي يفتخرون بها بما قارنها من الشرك و
في النار هم خالدون لاجله انما يعمر مساجد الله من امن
بالله واليوم الآخر واقام الصلوة وآتى الزكوة اى انما
يستقيم عمارتها لهؤلاء الجامعين للكمالات العلمية والعملية
ومن عمارتها تزيينها بالفرش وتنويرها بالسرج وادامة
العبادة والذكر ودرس العلم وصيانتها مما لم تبن له كحديث
الدنيا وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال الله في بيوتي في ارضي
المساجد وان زواري فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر
في بيته ثم زارني في بيتي فحق على المزور ان يكرم زائره
وانما لم يذكر الايمان بالرسول صلى الله عليه وسلم لما علم ان
الايمان بالله قرينه وتمامه الايمان به ولدلالة قوله واقام
الصلوة وآتى الزكوة عليه ولم يخش الا الله اى في ابواب
الدين فان الخشية عن المحاذير جبلية لا يكاد الرجل يتمالك
عنها فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين ذكره بصيغة التوقع
قطعا لاطمع المشركين في الاهتداء والانتفاع باعمالهم وتوبيخا
لهم بالقطع بانهم مهتدون فان الاهتداء لهؤلاء مع كمالهم
اذا كان دائرا بين عسى ولعل فما ظنك باضدادهم ومنعاهم
للمؤمنين ان يفتروا باحوالهم ويتكلموا عليها اجعلتم سقاية
الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الاخر وجاهد
في سبيل الله السقاية والعمارة مصدر اسقى وعمر فلا يشبهان
بالجثث بل لابد من اضمار تقديره اجعلتم اهل سقاية الحاج
كمن آمن او اجعلتم سقاية الحاج كايمان من آمن ويؤيده
الاول قراءة من قرأ سقاة الحاج وعمرة المسجد الحرام والمعنى
انكار ان يشبه المشركون واعمالهم المحبطة بالمؤمنين و

اعمالهم المثبتة ثم قرر ذلك بقوله لا يستوون عند الله
وبين عدم تساويهم بقوله والله لا يهدي القوم الظالمين
اى الكفرة ظلمة بالشرك ومعاداة الرسول صلى الله عليه
وسلم منهمكون في الضلالة فكيف يساوون الذين هداهم
الله ووفقهم للحق والصواب وقيل المراد بالظالمين
الذين يستوون بينهم وبين المؤمنين الذين آمنوا وهاجروا
وجاهدوا في سبيل الله باموالهم وانفسهم اعظم درجة
عند الله اعلى رتبة واكثر كرامة ممن لم يستجمع هذه الصفات
او من اهل السقاية والعمارة عندكم واولئك هم الفائزون
بالثواب ونيل الحسنى عند الله دونكم يبشرهم ربهم برحمة منه
ورضوان وجنات لهم فيها في الجنات نعيم مقيم دائم وقراءة
حمزة يبشرهم بالتخفيف وتنكير المبشر به اشعار بانه وراء
التعيين والتعريف خالدين فيها ابدا اكد الخلود بالتابيد
لانه قد يستعمل للمكث الطويل ان الله عنده اجر عظيم
يستحقر دونه ما استوجبوه لاجله او نعيم الدنيا يا ايها الذين
آمنوا لا تتخذوا آباءكم واخوانكم اولياء نزلت في المهاجرين
فانهم لما امروا بالهجرة قالوا ان هاجرنا قطعنا اباءنا و
ابناءنا وعشائرنا وذهبت تجاراتنا وبقينا ضائعين وقيل
نزلت نهيا عن موالات التسعة الذين ارتدوا والحقوا بمكة
والمعنى لا تتخذوهم اولياء يمنعونكم عن الايمان ويصدونكم
عن الطاعة لقوله ان استحبوا الكفر على الايمان ان اختاروا
واحرصوا عليه ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون بوضعهم
الموالاة في غير محلها قل ان كان آباؤكم وابناؤكم واخوانكم و
ازواجكم وعشيرتكم اقترفتموها اكتسبتموها من العشرة وقيل من العشارة
فان العشيرة جماعة ترجع الى عقد كعقد العشرة وقرأ ابو بكر عشيرتكم

وقريٰ عشائركم واموال اقترفتموها اكتسبتموها وتجارة تخشون كسادها فوات وقت نفاقها وساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله الحب الاختياري دون الطبيعي فانه لا يدخل تحت التكليف والتحفظ عنه هو فتربصوا حتى يأتي الله بامره جواب ووعيد والامر عقوبة عاجلة او آجلة وقيل فتح مكة والله لا يهدي القوم الفاسقين لا يرشدهم وفي الاية تشديد عظيم وقل من يتخلص عنه هو لقد نصركم الله في مواطن كثيرة يعني مواطن الحرب وهي مواقعها ويوم حنين وموطن يعم حنين ويجوز ان يقدر في ايام مواطن او يفسر الموطن بالوقت كمقتل الحسين ولا يمنع ابدال قوله اذ اعجبتكم كثرتكم من ان يعطف على موضع في مواطن فانه لا يقتضي تشاركهما فيما اضيف اليه المعطوف حتى يقتضي كثرتهم واعجابها اياهم في جميع المواطن وحنين واد من بين مكة والطائف حارب فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون وكانوا اثني عشر الفا العشر الذين حضروا فتح مكة والفان انضموا اليهم من الطلقاء هوازن وثقيف وكانوا اربعة آلاف فلما التقوا قال النبي صلى الله عليه وسلم وابو بكر او غيره من المسلمين لن تغلب اليوم من قلة اعجابا بكثرتهم واقتتلوا قتالا شديدا فادرك المسلمين هم اعجابهم واعتمادهم على كثرتهم فانهزموا حتى بلغ فلهم مكة وبقي رسول الله صلى الله عليه وسلم في نحو مائة ليس معه الا عمه العباس اخذ بلجام فرسه وابن عمه ابو سفيان بن الحارث ونادى بهذا بشهادة على تناهي شجاعته فقال للعباس وكان صيتا اصح بالناس فنادى يا عباد الله يا اصحاب الشجرة يا اصحاب سورة البقرة فكروا عنقا واحدا يقولون لبيك

لبيك ونزلت الملائكة فالتقوا مع المشركين فقال عليه الصلوة والسلام حين حمي الوطيس ثم اخذ كفا من التراب فرماهم ثم قال انهزموا ورب الكعبة فلم تغن عنكم اي الكثرة شيئا من الغناء او من امر العدو وضاقت عليكم الارض بما رحبت بوجبها اي سعتها لا تجدون فيها مقرا تطمئن اليه نفوسكم من شدة الرعب او لا تثبتون فيها كمن لا يسعه مكانه ثم وليتم الكفار ظهوركم مدبرين منهزمين والادبار الذهاب لما خلف خلاف الاقبال ثم انزل الله سكينته رحمته التي سكنوا بها على رسوله وعلى المؤمنين الذين انهزموا واعادة الجار للتنبيه على اختلاف حاليها وقيل هم الذين ثبتوا مع الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يفروا وانزل جنودا لم تروها بأعينكم يعني الملائكة هو وكانوا خمسة آلاف او ثمانية او ستة عشر على الاختلاف وعذب الذين كفروا بالقتل والاسر والسبي وذلك جزاء الكافرين هو اي ما فعل بهم جزاء كفرهم في الدنيا ثم يتوب الله من بعد هو ذلك على ما يشاء منهم بالتوفيق للاسلام والله غفور رحيم يتجاوز عنهم ويتفضل عليهم روي ان ناسا منهم جاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واسلموا وقالوا يا رسول الله انت خير الناس وابر بهم وقد سبي اهلونا واولادنا واخذت اموالنا وقد سبي يومئذ ستة آلاف نفس واخذ من الابل والغنم ما لا يحصى فقال اختاروا اما سباياكم واما اموالكم فقالوا ما كنا نعدل بالاحساب شيئا فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان هؤلاء جاؤا مسلمين وانا خيرنا هم بين الذراري والاموال فلم يعدلوا بالاحساب شيئا فمن كان بيده سبي وطابت نفسه ان يرده فشأنه ومن لا فليعطنا ولكن قرضا علينا حتى نصيب شيئا فنعطيه مكانه

فقالوا رضينا وسلمنا فقال انى لا ادرى لعل فيكم من لا يرضى فرجعوا عن فاركم فليرضوا الينا يا ايها الذين آمنوا انما المشركون نجس لخبث باطنهم او لانه يجب ان يجتنب عنهم كما يجتنب عن الانجاس او لانهم لا يتطهرون ولا يجتنبون عن النجاسات فهم ملابسون لها غالبا وفيه دليل على الماء الغالب نجاسته بنجس وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان اعيانهم نجسة كالكلاب وقرئ بنجس بالسكون وكسر النون وهو كنجد وكتف ملجاء تابعا لنجس فلا يقربوا المسجد الحرام لنجاستهم وانما نهى عن الاقتراب للمبالغة او للمنع عن دخول الحرم وقيل المراد به النهى عن الحج والعمرة لا عن الدخول مطلقا واليه ذهب ابو حنيفة وقاس بن مالك سائر المساجد على المسجد الحرام فى المنع وفيه دليل على ان الكفار مخاطبون بالفروع بعد عامهم هذا يعنى سنة براءة وهى التاسعة وقيل سنة حجة الوداع وان خفتم عيلة فقرا بسبب منعهم من الحرم وانقطاع ما كان لكم من قدومهم من المكاسب والارتفاق فسوف يغنيكم الله من فضله من عطائه افقرهم بفضله بوجه آخر وقد انجز وعده بان ارسل السماء عليهم مدرارا ووفق اهل تبالة وجرش فاسلموا وامتار والهم ثم فتح عليهم البلاد والغنائم وتوجه اليهم الناس من اقطار الارض وقرئ عايلة على انها مصدر كالعاقبة او حال ان شاء قيده بالمشيئة لتنقطع الآمال الى الله ولينبه على انه متفضل فى ذلك وان الغنى الموعود يكون لبعض دون بعض وفى عام دون عام ان الله عليم بامالكم حكيم فيما يعطى ويمنع قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر اى لا يؤمنون بهما على ما ينبغى كما بيناه فى اول البقرة فان ايمانهم كلا ايمان ولا يحرمون

ما حرم الله ورسوله ما ثبت تحريمه بالكتاب والسنة وقيل رسوله هو الذى يزعمون اتباعه والمعنى انهم يخالفون اصل دينهم المنسوخ اعتقادا وعملا ولا يدينون دين الحق الثابت الذى هو ناسخ سائر الاديان ومبطلها من الذين اوتوا الكتاب بيان للذين لا يؤمنون حتى يعطوا الجزية ما تقدر عليهم ان يعطوه مشتق من جزى دينه اذا قضى عن يد حال من الضمير اى عن يد موانية بمعنى منقادين او عن يدهم بمعنى مسلمين بايديهم غير باعثين بايدى غيرهم ولذلك منع من التوكيل فيه او عن غنى ولذلك قيل لا تؤخذ من الفقير او عن يد قاهرة عليهم بمعنى عاجزين اذلاء او من الجزية بمعنى نقدا مسلمة عن يد الى يد او عن هم انعام عليهم فان ابقاءهم بالجزية نعمة عظيمة وهم صاغرون اذلاء وعن ابن عباس رضى الله عنهما تؤخذ الجزية من الذمى ويوجاء عنقه ومفهوم الآية يقتضى تخصيص الجزية باهل الكتاب ويؤيده ان عمر رضى الله عنه لم يكن ياخذ الجزية من المجوس حتى شهد عبد الرحمن بن عوف ان الله عليه الصلوة والسلام اخذها من مجوس هجر وان الله قال صلى الله عليه وسلم سنوا بهم سنة اهل الكتاب وذلك لان لهم شبهة كتاب فالحقوا بالكتابيين وامائر الكفرة فلا تؤخذ منهم الجزية عندنا وعند ابى حنيفة تؤخذ منهم الا من مشركى العرب لما روى الزهرى ان الله صلى الله عليه وسلم صالح عبدة الاوثان الا من كان من العرب وعند مالك تؤخذ من كل كافر الا المرتد واقلها فى كل سنة دينار سواء فيه الفقير والغنى وقال ابو حنيفة على الغنى ثمانية واربعين درهما وعلى المتوسط نصفها وعلى الفقير الكسوب ربعها ولا شئ على فقير غير كسوب

خذ

وقالت اليهود عزير بن الله انما قاله بعضهم من متقدميهم
او ممن كانوا بالمدينة وانما قالوا ذلك لانه لم يبق فيهم بعد
وقعة بخت نصر من يحفظ التورية وهو لما احياه الله
بعد مائة عام املى عليهم التورية حفظا فتعجبوا من ذلك
وقالوا ما هذا الا لانه ابن الله والدليل على ان هذا القول كان
فيهم ان الآية قرئت عليهم فلم يكذبوا مع توفر دواعيهم على التكذيب
وقراء عاصم والكسائي ويعقوب عزير بن الله بالتنوين
على انه عربي مخبر عنه بابن غير موصوف به وحذفه في القراءة
الاخرى اما لمنع صرفه للعجمة والتعريف او لالتقاء الساكنين
تشبيها للنون بحروف اللين او لان الابن وصف والخبر
محذوف مثل معبودنا او صاحبنا وهو من تيف لانه يؤدي الى
تسليم النسب وانكار الخبر المقدر وقالت النصارى المسيح
بن الله هو ايضا قول بعضهم وانما قالوه استحالة لان يكون
ولد بلا اب او لان يفعل ما فعله من ابراء الاكمه والابرص و
احياء الموتى من لم يكن الها ذلك قولهم بافواههم اما تاكيد
لنسبة هذا القول اليهم ونفي للتجوز عنها او اشعار بانه
قول مجرد عن برهان وتحقيق مماثل للمهمل الذي يوجد في
الافواه ولا يوجد مفهوما في الاعيان يضاهئون قول الذين
كفروا اي يضاهي قولهم قول الذين كفروا فحذف المضاف
واقيم المضاف اليه مقامه من قبل اي من قبلهم والمراد قدماؤهم
على معنى ان الكفر قديم فيهم او المشركين الذين قالوا
الملائكة بنات الله او اليهود على ان الضمير للنصارى
والمضاهات المشابهة والهمزة لغة فيه وقد قرئ به عاصم
ومنه قولهم امراة ضهياء على فعيل للتي شابهت الرجال
في انها لا تحيض قاتلهم الله دعاء عليهم بالاهلاك فان

من قاتله الله كفاه الله او تعجب من شناعة امرهم كيف يصرفون عن الحق الى الباطل اتخذوا احبارهم
ورهبانهم اربابا من دون الله بان اطاعوهم في تحريم
ما احل الله وتحليل ما حرم الله او بالسجود لهم والمسيح
بن مريم بان جعلوه ابنا لله وما امروا اي وما امر المتخذو
اربابا فيكون كالدليل على بطلان الاتخاذ الا ليعبدوا
ليطيعوا الها واحدا وهو الله لا اله الا هو
من امر الله بطاعته فهو في الحقيقة طاعة الله لا اله الا هو
صفة ثانية او استيناف مقرر للتوحيد سبحانه عما
يشركون تنزيه له عن ان يكون له شريك يريدون ان
يطفئوا بحذوا بنور الله حجته الدالة على وحدانيته و
تقدس عن الولد او القران او نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
بافواههم بشركهم او تكذيبهم ويابى الله الا ان
يتم نوره باعداء التوحيد واعزاز الاسلام وقيل انه
تمثيل لحالهم في طلبهم ابطال نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
بالتكذيب بحال من يطلب اطفاء نور عظيم منبث في الافاق
يريد الله ان يزيده بنفخه وانما صح الاستثناء المفرغ والفعل
موجب لانه في معنى النفي ولو كره الكافرون فحذف الجواب
لدلالة ما قبله عليه هو الذي ارسل رسوله بالهدى و
دين الحق ليظهره على الدين كله كالبيان لقوله ويابى الله
الا ان يتم نوره ولذلك كرر ولو كره المشركون غير انه
وضع المشركون موضع الكافرون للدلالة على انهم ضموا الكفر
بالرسول صلى الله عليه وسلم الى الشرك بالله والضمير في
ليظهره للدين الحق او للرسول صلى الله عليه وسلم واللام
في الدين للجنس اي على سائر الاديان فينسخها او على

اهلها فيخذ لهم يا ايها الذين آمنوا ان كثيرا من الاحبار
والرهبان ليأكلون اموال الناس بالباطل يأخذونها
بالرشى فى الاحكام سمى اخذ المال اكلا لانه الغرض الاعظم
منه ويصدون عن سبيل الله دينه والذين يكنزون
الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله يجوز ان
يراد به الكثير من الاحبار والرهبان فيكون مبالغة فى
وصفهم بالحرص على المال والضن بها وان يراد المسلمون
الذين يجمعون المال ويقتنونه ولا يؤدون حقه ويكون
اقتران بالمرتشين من اهل الكتاب للتغليظ ويدل عليه انه
لما نزل كبر على المسلمين فذكره عمر لرسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال ان الله لم يفرض الزكوة الا ليطيب بها ما بقى من
اموالكم وقوله صلى الله عليه وسلم ما ادى زكوته فليس
بكنز اى بكنز اوعد فان الوعيد على الكنز مع الانفاق فى
ما امر الله ان ينفق فيه وانما قوله صلى الله عليه وسلم من
ترك صفراء او بيضاء كوى بها ونحوه فالمراد منها ما لم
يؤد حقها لقوله عليه الصلوة والسلام فيما اورده الشيخان
مرويا عن ابى هريرة رضى الله عنه ما من صاحب ذهب و
لا فضة لا يؤدى منها حقها الا اذا كان يوم القيمة صفحت له
صفايح من نار فتكوى بها جنبه وجبينه وظهره فبشرهم
بعذاب اليم هى الكى بهما يوم يحمى عليها فى نار جهنم اى
يوم يوقد النار ذات حمى شديد عليها واصله يوم يحمى
بالنار فجعل الاسماء للنار مبالغة ثم حذفت النار واسند
الفعل الى الجار والمجرور تنبيها على المقصود فانتقل من
صيغة التأنيث الى صيغة التذكير وانما قال عليها والمذكور
شيآن لان المراد بهما دنانير ودراهم كثيرة كما قال على

كرم الله وجهه اربعة آلاف وما دونها نفقة وما فوقها ه
كنز وكذا قوله ولا ينفقونها وقيل الضمير فيهما للكنوز
او الاموال فان الحكم عام وتخصيصهما بالذكر لانهما قانون
التمول او للفضة وتخصيصها لقربها ودلالة حكمها على
ان الذهب اولى بهذا الحكم فتكوى بها جباههم وجنوبهم
وظهورهم لان جمعهم وامساكهم كان لطلب الوجاهة
بالغنى والتنعم بالمطاعم الشهية والملابس البهية او لانهم
اذا ورّوا عن السائل واعرضوا عنه وولوه ظهورهم او
لانها اشرف الاعضاء الظاهرة فانها المشتملة على الاعضاء
الرئيسة التى هى الدماغ والقلب والكبد او لانها افعل ه
الجهات الاربعة التى هى مقادم البدن ومآخيره وجنباته
هذا ما كنزتم على ارادة القول لانفسكم لمنفعتها وكان ه
عين مضرتها وسبب تعذيبها فذوقوا ما كنتم تكنزون اى
وبال كنزكم او ما تكنزونه وقرئ تكنزون بضم النون اى
عدة الشهور اى مبلغ عددها عند الله معمول عدة لانها
مصدر اثنا عشر شهرا فى كتاب الله فى اللوح المحفوظ او
فى حكمه وهو صفة لاثنا عشر وقوله يوم خلق السموات ه
والارض متعلق بما فيه من معنى الثبوت او بالكتاب ان
جعل مصدرا والمعنى ان هذا امر ثابت فى نفس الامر منذ
خلق الله الاجرام والازمنة منها اربعة حرم وواحد فرد ه
وهو رجب وثلاثة سرد ذو القعدة وذو الحجة ومحرم ه
ذلك الدين القيم اى تحريم الاشهر الاربعة هو الدين القويم
دين ابراهيم واسماعيل والعرب ورثوه منهما فلا تظلموا
فيهن انفسكم بهتك حرمتها وان تكاب حرامها والجمهور
على ان حرمة القتال فيها منسوخ واول الظلم بارتكاب

المعاصى فيهن فانه اعظم وزرا كازتكابها فى الحرم وحال
الاحرام وعن عطاء انه لا يحل للناس ان يغزوا فى الحرم
والاشهر الحرم الآن يقاتلوا ويؤيد الاول ما روى انه
صلى الله عليه وسلم حاصر الطائف وغزى هوازن بحنين
فى شوال وذى القعدة وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم
كافة جميعا وهى مصدر كفّ عن الشئ فان الجميع مكفوف
عن الزيادة وقع موقع الحال واعلموا ان الله مع المتقين له
بشارة وضمان لهم بالنصرة بسبب تقواهم انما النسئ
اى تأخير حرمة الشهر الى شهر اخر كانوا اذا جاء شهر
حرام وهم محاربون احلوه وحرموا مكانه شهرا اخر حتى
رفضوا خصوص الاشهر واعتبروا مجرد العدد وعن
نافع برواية ورش انما النسئ بقلب الهمزة ياء وادغام
الياء فيها وقرئ النسى بحذفها والنسئ والنساء وثلاثتها
مصادر نساءه اذا اخره زيادة فى الكفر لانه تحريم ما احله
الله وتحليل ما حرمه فهو كفر اخر ضمه الى كفرهم يضل به
الذين كفروا ضلالا ان اريد قراءة حمزة والكسائى وحفص
يُضَل على البناء للمفعول وعن يعقوب يَضِل على ان الفعل
لله يحلونه عاما يحلون المنسئ من الاشهر الحرم سنة
ويحرمون مكانه شهرا اخر ويحرمونه عاما فيتركون ما
على حرمته قيل اول من احدث ذلك جنادة بن عوف الكنانى
كان يقوم على جمل فى الموسم فينادى باعلى صوته ان آلهتكم
قد احلت لكم المحرم فاحلوه ثم يقوم فى القابل فيقول ان الهتكم
قد حرمت عليكم المحرم فحرموه والجملتان تفسير للضلال او حال
ليواطئوا عدة ما حرم الله اى ليوافقوا عدة الاربعة المحرمة
واللام متعلقة بيحرمونه او بما دل عليه مجموع الفعلين فيحلوا ما

حرم الله بمواطاة العدة وحدها من غير مراعاة الوقت
زين لهم سوء اعمالهم وقرئ على البناء للفاعل وهو الله تعالى
والمعنى خذلهم واضلهم حتى حسبوا قبيح اعمالهم حسنا
والله لا يهدى القوم الكافرين هداية موصلة الى الاهتداء
قلتم يا ايها الذين آمنوا مالكم اذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم
تباطاتم وقرئ تثاقلتم على الاصل وانما قلتم على الاستفهام
للتوبيخ الى الارض متعلق به كانه ضمن معنى الاخلاد والميل
فيعدى بالى وكان ذلك فى غزوة تبوك امروا بها بعد ما
رجوعهم من الطائف فى وقت عسرة وقيظ مع بعد الشقة
وكثرة العدو فشق عليهم ارضيتم بالحياة الدنيا وعروضها
من الآخرة بدل الآخرة ونعيمها فما متاع الحياة الدنيا فما هو
التمتع بها فى الآخرة فى جنب الآخرة الا قليل مستحقر الا
تنفروا ان لا تنفروا الى ما استنفرتم اليه يعذبكم عذابا اليما
بالاهلاك بسبب فظيع كقحط وظهور عدو ويستبدل
قوما غيركم ويستبدل بكم آخرين مطيعين كاهل اليمن
والبناء فارس ولا تضروه شيئا اذ لا يقدح تثاقلكم فى نصرة
دينه شيئا فانه الغنى عن كل شئ وعن كل امر وقيل الضمير
للرسول صلى الله عليه وسلم ولا تضروه فان الله وعده بالعصمة
والنصرة ووعده حق والله على كل شئ قدير فيقدر على التبديل
وتغيير الاسباب والنصرة بلا مدد كما قال الا تنصروه فقد نصره
الله اى ان لم تنصروه فسينصره الله اذ اخرجه الذين كفروا ثانى
اثنين ولم يكن معه الا رجل واحد فحذف الجزاء واقيم ما هو
كالدليل عليه مقامه او ان لم تنصروه فقد اوجب الله له النصرة
حتى نصره فى مثل ذلك الوقت فلن يخذله فى غيره واسناد الاخراج
الى الكفرة لان همهم باخراجه او قتله تسبب لاذن الله

له بالخروج وقرئ ثانى اثنين بالتسكين على لغة من يجرى
المنقوص مجرى المقصور فى الاعراب ونصبه على الحال
اذ هما فى الغار بدل من اذ اخرجه بدل البعض اذ المراد
به زمان متسع والغار نقب فى اعلى ثور جبل
فى يمين مكة على مسيرة ساعة مكثا فيه ثلاثا اذ يقول بدل
بدل ثان اوظرف لثانى لصاحبه وهو ابوبكر لا تحزن
ان الله معنا بالعصمة والمعونة روى ان المشركين طلعوا
فوق الغار فاشفق ابوبكر رضى الله عنه على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال عليه الصلوة والسلام ما ظنك
باثنين الله ثالثهما فاعماهم الله عن الغار فجعلوا يترددون
حوله فلم يروه وقيل لما دخل الغار بعث الله حمامتين
فباضتا فى اسفله والعنكبوت فنسجت عليه فانزل
الله سكينته امنته التى تسكن عندها القلوب عليه على
النبى صلى الله عليه وسلم او على صاحبه وهو الاظهر لانه كان
منه عجز وايده بجنود لم تروها يعنى الملائكة انزل لهم
ليحرسوه فى الغار او ليعينوه على العدو يوم بدر والاحزاب
وحنين فيكون الجملة معطوفة على قوله نصره الله وجعل
كلمة الذين كفروا السفلى يعنى الشرك او دعوة الكفر
وكلمة الله هى العليا يعنى التوحيد او دعوة الاسلام
والمعنى وجعل ذلك بتخليص الرسول صلى الله عليه وسلم
عن ايدى الكفار الى المدينة فانه المبدأ له او بتأييده اياه
بالملائكة فى هذه المواطن او بحفظه ونصره له حيث خصه
وقرئ يعقوب كلمة الله بالنصب عطفا على كلمة الذين
والرفع ابلغ لما فيه من الاشعار بان كلمة الله عالية
فى نفسها وان فاق غيرها فلا ثبات لتفوقه ولا اعتبا

ولذلك وسط الفصل والله عزيز حكيم فى امره وتدبيره ه
انفروا خفافا لنشاطكم له وثقالا عنه لمشقته عليكم او
لقلة عيالكم ولكثرتها او ركبانا ومشاة اوخفافا وثقالا
من السلاح اوصحاحا ومراضا ولذلك قال ابن ام مكتوم
لرسول الله صلى الله عليه وسلم اعلى ان انفر قال نعم حتى
نزل ليس على الاعمى حرج وجاهدوا باموالكم وانفسكم
فى سبيل الله بما امكن لكم منهما كليهما او احدهما ذلكم
خير لكم من تركه ان كنتم تعلمون الذى علمتم انه خير او
ان كنتم تعلمون انه خير اذ اخبار الله تعالى به صدق ه
فبادروا اليه لوكان عرضا قريبا اى لوكان ما دعوا اليه
نفعا دنيويا قريبا سهل المأخذ وسفرا قاصدا متوسطا
لاتبعوك لوافقوك ولكن بعدت عليهم الشقة المسافة
التى تقطع بمشقة وقرئ بكسر العين والشين وسيحلفون
بالله اى المتخلفون اذا رجعت من تبوك معتذرين
لو استطعنا يقولون لوكان لنا استطاعة العدة او البدن
وقرئ لو استطعنا بضم الواو وتشبيهها له بواو الضمير فى
قوله اشتروا الضلالة لخرجنا معكم ساد مسد جواب
القسم والشرط وهذا بدل من سيحلفون لان الحلف
الكاذب ايقاع النفس فى الهلاك اوحال من فاعله ه
والله يعلم انهم لكاذبون فى ذلك لانهم كانوا مستطيعين
الخروج عفا الله عنك كناية عن خطائه فى الاذن فان
العفو من روادفه لم اذنت لهم بيان لما كنى عنه
بالعفو ومعاتبة عليه والمعنى لاى شئ اذنت لهم ه
فى القعود حين استأذنوك واعتلوا باكاذيب وهلا
توقفت حتى يتبين لك الذين صدقوا فى الاعتذار

فة

ويعلم الكاذبين فيه قيل انما فعل رسول الله صلى الله
عليه وسلم شيئين لم يؤمر بهما اخذه الفداء واذنه
المنافقين فعاتبه الله عليهما لاستاذنك الذين
يؤمنون بالله واليوم الآخر ان يجاهدوا باموالهم
وانفسهم اى ليس من عادة المؤمنين ان يستاذنوك
فى ان يجاهدوا فان المخلص منهم يبادرون اليه ولا
يوقفونه على الاذن فيه فضلا ان يستاذنوا فى التخلف
عنه او ان يستاذنوك فى التخلف كراهة ان يجاهدوا
والله عليم بالمتقين شهادة لهم بالتقوى وعدة لهم
بثوابه انما يستاذنك فى التخلف الذين لا يؤمنون بالله
واليوم الآخر تخصيص الايمان بالله واليوم الآخر فى
الموضعين للاشعار بان الباعث على الجهاد والوازع
عنه الايمان وعدم الايمان وارتابت قلوبهم فهم فى
ريبهم يترددون يتحيرون ولو ارادوا الخروج لاعدوا
له للخروج عدة اهبة وقرئ عدبحذف التاء عند الاضافة
كقوله واخلفوك عد الامر الذى وعدوا وعدة بكسر
العين باضافة وغيرها ولكن كره الله انبعاثهم استدراك
عن مفهوم قوله ولو ارادوا الخروج كانه قال ما خرجوا
ولكن ثبطوا لانه كره انبعاثهم اى نهوضهم للخروج
فثبطهم فخبسهم بالجبن والكسل وقيل اقعدوا مع القاعدين
تمثيل لالقاء الله كراهة الخروج فى قلوبهم او وسوسة
الشيطان بالامر بالقعود او حكاية قول بعضهم لبعض
او اذن الرسول صلى الله عليه وسلم لهم والقاعدين لا
يحتمل المغورين وغيرهم وعلى الوجهين لا يخلو عن
ذم لو خرجوا فيكم ما زادوكم بخروجهم شيئا الا خبالا

فسادا وشرا ولا يستلزم ذلك ان يكون لهم خبالا حتى
لو خرجوا زادوه اذ الزيادة باعتبار اعم العام الذى
وقع منه الاستثناء لاوجل هذا التوهم جعل الاستثناء
منقطعا وليس كذلك لانه لا يكون مفرغا ولا وضعوا
خلالكم ولاسرعوا ركائبهم بينكم بالنميمة والتضريب
او الهزيمة والتخذيل من وضع البعير وضعا اذا اسرع
يبغونكم الفتنة يريدون ان يفتنوكم بايقاع الخلاف
فيما بينكم او الرعب فى قلوبكم والجملة حال من الضمير فى
اوضعوا وفيكم سماعون لهم ضعفة يسمعون قولهم او
يطيعونهم او نمامون يسمعون حديثكم لينقل اليهم
والله عليم بالظالمين فيعلم ضمائرهم وما ينتاتى منهم
لقد ابتغوا الفتنة تشتيت امرك وتفريق اصحابك
من قبل يعنى يوم احد فان ابن ابى واصحابه كما تخلفوا
عن تبوك بعد ما خرجوا مع الرسول صلى الله عليه وسلم
الى ذى جدة اسفل من ثنية الوداع انصرفوا يوم احد
وقلبوا لك الامور ودبروا لك المكائد والحيل ودوروا
الآراء فى ابطال امرك حتى جاء الحق النصر والتائيد
الالهى وظهر امر الله على دينه وهم كارهون على رغم
منهم والايذان لتسلية الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤ
منين على تخلفهم وبيان ما ثبطهم الله لاجله وكره انبعا
ثهم لهوتك استارهم وكشف اسرارهم وازاحة اعذارهم
تذكارا لما فوت الرسول صلى الله عليه وسلم بالمبادرة
الى الاذن ولذلك عوتب عليه ومنهم من يقول ائذن
لى فى القعود ولا تفتنى ولا توقعنى فى الفتنة اى العصيان
والمخالفة بان لا تاذن لى وفيه اشعار بانه لا محالة ه

متخلف اذن له اولم يأذن اوفى الفتنة بسبب ضياع
المال والعيال اذ لا كافل لهم بعدى اوفى الفتنة بنساء
الروم لما روى ان جد ابن قيس قال قد علمت الانصار
انى مولع بالنساء فلا تفتنى ببنات الاصفر ولكنى اعينك
بمالى فاذنى الا فى الفتنة سقطوا اى ان الفتنة هى
التى سقطوا فيها وهى فتنة التخلف اوظهور النفاق
لاما احترزوا عنه وان جهنم لمحيطة بالكافرين جامعة
لهم يوم القيمة او الآن لان احاطة اسبابها بهم كوجودها
ان تصبك فى بعض غزواتك حسنة ظفر وغنيمة تسؤهم
لفرط حسدهم وان تصبك مصيبة فى بعضها كسر وشدة
كما اصاب يوم احد يقولوا قد اخذنا امرنا من قبل نجى
بانصرافهم واستحمدوا رأيهم فى التخلف ويتولوا عن
محدثهم بذلك وبجمعهم له اوعن الرسول صلى الله عليه وسلم
وهم فرحون مسرورون قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا
الا ما اختصنا باثباته وايجابه من النصرة والشهادة اوما
كتب لاجلنا فى اللوح لا يتغير بموافقتكم ولا بمخالفتكم وقرئ
هل يصيبنا وهل يصيبنا وهو من فيعل لا من فعل لان من
بنات الواو لقولهم صاب السهم يصوب واشتقاقه من
الصواب لان وقوع الشئ فيما قصد به وقيل من الصوب
هو مولينا ناصرنا ومتولى امورنا وعلى الله فليتوكل كل
المؤمنون لان حقهم ان لا يتوكلوا على غيره قل هل تربصون
بنا تنتظرون الا احدى الحسنيين الا احدى العاقبتين اللتين
كل منهما حسنى العواقب النصرة والشهادة ونحن نتربص
بكم ايضا احدى السوئين ان يصيبكم الله بعذاب من عنده
بقارعة من السماء او بايدينا او بعذاب بايدينا وهو له

القتل على الكفر تربصا ما هو عاقبتنا انا معكم متربصون
ما هو عاقبتكم قل انفقوا طوعا او كرها لن يتقبل منكم
امر فى معنى النهى اى لن يتقبل منكم نفقاتكم انفقتم طوعا
او كرها وفائدة المبالغة فى تساوى الانفاقين فى عدم
القبول كانهم امروا ان يمتحنوا وينظروا هل يتقبل هم
منهم وهو جواب قول جد بن قيس واعينك بمالى و
نفى التقبل يحتمل الامرين ان لا يؤخذ منهم وان لا يثابوا
عليه وقوله انكم كنتم قوما فاسقين تعليل له على سبيل
الاستيناف وما بعده بيان وتقرير له وما منعهم ان
تقبل منهم نفقاتهم الا انهم كفروا بالله وبرسوله اى
وما منعهم من قبول نفقاتهم الا كفرهم وقرأ حمزة والكسائى
ان يقبل بالياء لان تانيث النفقات غير حقيقى وقرئ يقبل
على ان الفعل لله ولا يأتون الصلوة الا وهم كسالى متثاقلين
ولا ينفقون الا وهم كارهون لانهم لا يرجون بها ثوابا و
لا يخافون على تركها عقابا فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم
فان ذلك استدراج وويال لهم كما قال انما يريد الله ان
يعذبهم بها فى الحيوة الدنيا بسبب ما يكابدون فى جمعها
وحفظها من المتاعب وما يرون فيها من الشدائد والمصائب
وتزهق انفسهم وهم كافرون فيموتوا كافرون مشتغلين
بالتمتع عن النظر فى العاقبة فيكون ذلك استدراجا لهم و
اصل الزهوق الخروج بصعوبة ويحلفون بالله انهم
لمنكم لمن جملة المسلمين وما هم منكم لكفر قلوبكم ولكنهم
قوم يفرقون يخافون منكم ان تفعلوا بهم ما تفعلون
بالمشركين فيظهرون الاسلام تقية لو يجدون ملجأ
حصنا يلجئون اليه او مغارات غيرانا او مدخلا نفقا

هم

يجرون فيه مفتعل من الدخول وقرئ يعقوب مدخلا من
دخل وقرئ مدخلا اى مكانا يدخلون فيه انفسهم وهو
مدخلا ومندخلا من تدخل وادخل لو لووا اليه لاقبلوا
نحوه وهم يجمحون يسرعون اسراعا لايردهم شئ
كالفرس الجموح وقرئ يجمزون ومنه الجمازة ومنهم من
يلمزك يعيبك وقرئ يعقوب يلمزك بالضم وابن كثير يلامزك
فى الصدقات فى قسمها فان اعطوا منها رضوا وان لم يعطوا
منها اذا هم يسخطون قيل انها نزلت فى ابى الجواظ المنافق
قال الاترون الى صاحبكم انما يقسم صدقاتكم فى رعاة الغنم
ويزعم انه يعدل وقيل فى ابن ذى الخويصرة رأس الخوارج
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم غنائم حنين
فاستعطف قلوب اهل مكة بتوفير الغنائم عليهم
فقال اعدل يا رسول الله فقال ويلك ان لم اعدل فمن
يعدل واذا للمفاجاة نائب مناب فاء الجزائية ولو
انهم رضوا ما اتاهم الله ورسوله ما اعطاهم الرسول
صلى الله عليه وسلم من الغنيمة او الصدقة وذكر الله
للتعظيم والتنبيه على ان ما فعله الرسول صلى الله عليه
وسلم كان بامره وقالوا حسبنا الله كفانا فضله سيؤتينا
الله من فضله صدقة اوغنيمة اخرى ورسوله وقيل تمنوا
كثيرا مما اتانا اراغبون فى ان يغنينا من فضله
والآية باسرها فى حيز الشرط والجواب محذوف وتقديره
لكان خيرا لهم ثم بين مصارف الصدقات تصعيبا و
تحقيقا لما فعله الرسول صلى الله عليه وسلم انما
الصدقات للفقراء والمساكين اى الزكوة لهؤلاء
المعدودين دون غيرهم وهو دليل على ان المراد هم

باللمز لهم فى قسم الزكوات دون الغنائم والفقير من
لامال له ولاكسب يقع موقعا من حاجته من الفقار
كانه اصيب فقاره والمسكين من له مال اوكسب لا
يكفيه من السكون كان العجز اسكنه ويدل عليه قوله
امّا السفينة فكانت لمساكين وانه عليه الصلوة و
السلام يسئل المسكنة ويتعوذ من الفقر وقيل بالعكس
لقوله او مسكينا ذا متربة والعاملين عليها الساعين فى تحصيلها
وجمعها والمؤلفة قلوبهم قوم اسلموا ونيتهم ضعيفة فيه
فيستألف قلوبهم او اشراف يترقب اعطاءهم ومراعاتهم
لاسلام نظرائهم وقد اعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم
عيينة بن حصين والاقرع بن حابس والعباس بن مرداس لذلك
وقيل اشراف يستألفون على ان يسلموا فانه عليه الصلوة والسلام
كان يعطيهم والاصح انه كان يعطيهم من خمس الخمس الذى كان
خاص ماله وقد عد منهم من يؤلف قلبه بشئ منها على قتال
الكفار ومانع الزكوة وقيل كان سهم المؤلفة لتكثير سواد
الاسلام فلما اعزه الله وكثر اهله سقط وفى الرقاب و
للصرف فى فك الرقاب بان يعاون المكاتب بشئ منها على
اداء النجوم او بان يتباع الرقاب فيعتق وبه قال مالك و
احمد او بان يفدى الاسارى من اللام الى فى للدلالة على
ان الاستحقاق للجهة لا للرقاب وقيل للايذان بانهم احق
بها والغارمين والمديونين لانفسهم فى غير معصية اذا
لم يكن لهم وفاء او لاصلاح ذات بين وان كانوا اغنياء
لقوله عليه الصلوة والسلام لاتحل الصدقة لغنى الا لخمسة
لغاز فى سبيل الله او لغارم او رجل اشتراها بماله او
رجل له جار مسكين فتصدق على المسكين فاهدى المسكين

من خمس الخمس ص

والعدول ص

للغنى او العامل عليها و فى سبيل الله و للصرف فى الجهاد
بالانفاق على المتطوعة و ابتياع الكراع و السلاح وقيل
فى بناء القناطر و المصانع و ابن السبيل المسافر المنقطع
عن ماله فريضة من الله مصدر لما دل عليه الآية اى فرض
لهم الصدقات فريضة او حال من الضمير المستكن فى الفقراء
وقرئ بالرفع على تلك فريضة والله عليم حكيم يضع الاشياء
فى مواضعها وظاهر الآية يقتضى تخصيص استحقاق الزكوة
بالاصناف الثمانية ووجوب الصرف الى كل صنف وجد
منهم ومراعاة التسوية بينهم قضية للاشتراك واليه
ذهب الشافعى وعن عمر وحذيفة وابن عباس وغيرهم
من الصحابة والتابعين جواز صرفها الى صنف واحد وبه
قال الائمة الثلاثة واختاره بعض اصحابنا وبه كان يفتى
شيخى والدى على ان الآية بيان ان الصدقة لا تخرج منهم
لا ايجاب قسمتها عليهم ومنهم الذين يؤذون النبى ويقولون
هو اذن يسمع كل ما يقال له ويصدقه سمى بالجارحة للمبالغة
كانه من فرط استماعه صار جملته آلة السماع كما سمى الجاسوس
عينا لذلك او اشتق له فعل من اذن اذنا اذا استمع كانف
وشلل روى انهم قالوا يا محمد اذن سامعة نقول ما شئنا
ثم نأتيه فيصدقنا بما نقول قل اذن خير لكم تصديق لهم
بانه اذن ولكن لا على الوجه الذى ذموا به بل من حيث انه
يسمع الخير ويقبله ثم فسر ذلك بقوله يؤمن بالله يصدق
به لما قام عنده من الادلة ويؤمن للمؤمنين ويصدقهم لما
علم من خلوصهم واللام مزيدة للتفرقة بين ايمان التصديق
فانه بمعنى التسليم وايمان الامان ورحمة اى هو رحمة
للذين آمنوا منكم لمن اظهر الايمان حيث يقبله ولا يكشف سره

وفيه تنبيه على انه ليس يقبل قولكم جهلا بحالكم بل رفقا بكم
ورحمة عليكم وقرأ حمزة رحمة بالجر عطفا على خير وقرئ
بالنصب على انه علة لفعل دل عليه اذن خير اى يأذن
لكم رحمة وقرأ نافع اذن بالتخفيف فيهما وقرئ اذن
خير على ان خير صفة له او خبر ثان والذين يؤذون
رسول الله لهم عذاب اليم بايذائه يحلفون بالله لكم
على معاذيرهم فيما قالوا او يحلفون لكم ليرضوكم ليرضوا
عنهم والخطاب للمؤمنين والله ورسوله احق ان
يرضوه احق بالارضاء بالطاعة والوفاق وتوحيد
الضمير لتلازم الرضائين او لان الكلام فى ايذاء الرسول
وارضائه او لان التقدير والله احق ان يرضوه والرسول
كذلك ان كانوا مؤمنين صدقا الم يعلموا انه ان الشان
وقرئ بالتاء من يحادد الله ورسوله يشاقق مفا
من الحد فان له نار جهنم خالدا فيها على حذف الخبر اى
فحق ان له نار جهنم او على تكرير ان للتاكيد ويحتمل ان يكون
معطوفا على انه ويكون الجواب محذوفا تقديره من يحا
دد الله ورسوله يهلك وقرئ فان بالكسر ذلك الخزى
العظيم يعنى الاهلاك الدائم يحذر المنافقون ان تنزل
عليهم على المؤمنين سورة تنبئهم بما فى قلوبهم وتهتك
عليهم استارهم ويجوز ان يكون الضمائر للمنافقين فان النا
فيهم كالنازل عليهم من حيث انه مقروء ويحتج به عليهم
وذلك يدل على تردادهم ايضا فى كفرهم وانهم لم يكونوا
على بت فى امر الرسول صلى الله عليه وسلم بشئ وقيل انه خبر
فى معنى الامر وقيل كانوا يقولونه فيما بينهم استهزاء لقوله
قل استهزءوا ان الله مخرج مظهر ما تحذرون اى ما تحذرو

من انزال السورة فيكم او ما تحذرون اظهاره من مساويكم
ولئن سالتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب روى
ان ركب المنافقين مروا على رسول الله صلى الله عليه وسلم
في غزوة تبوك فقالوا انظروا الى هذا الرجل يريد ان يفتح
قصور الشام وحصونه هيهات هيهات فاخبر الله به
نبيه صلى الله عليه وسلم فدعاهم فقال قلتم كذا وكذا
فقالوا لا والله ما كنا في شيء من امرك ولا امر اصحابك ولكن
كنا في شيء مما يخوض فيه الركب ليقصر بعضنا على بعض
السفر قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون ه
توبيخا على استهزائهم بمن لا يصح الاستهزاء به والزاما
للحجة عليهم ولا يعباء باعتذارهم الكاذب لا تعتذروا ه
لا تشتغلوا باعتذاراتكم فانها معلومة الكذب قد كفرتم
قد اظهرتم الكفر بايذاء الرسول صلى الله عليه وسلم والطعن
فيه بعد ايمانكم بعد اظهاركم الايمان ان نعف عن طائفة
منكم لتوبتهم واخلاصهم او لتجنبهم عن الايذاء والاستهزاء
نعذب طائفة بانهم كانوا مجرمين مصرين على النفاق او
مقدمين على الايذاء والاستهزاء وقرأ عاصم بالنون فيهما
وقرئ بالياء وبناء الفاعل فيهما وهو الله وان نعف با
التاء والبناء للمفعول ذهابا الى المعنى كانه قال ان ترحم طائفة
المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض متشابهة في النفاق
والبعد في الايمان كابعاض الشيء الواحد وقيل انه تكذيب لهم
في حلفهم بالله انهم لمنكم وتقرير لقوله وما هم منكم وما بعده
كالدليل عليه فانه يدل على مضادة حالهم لحال المؤمنين و
هو قوله يأمرون بالمنكر بالكفر والمعاصي وينهون ه
عن المعروف عن الايمان والطاعة ويقبضون ايديهم

عن المبادرة وقبض اليد كناية عن الشح نسوا الله اغفلوا
ذكر الله وتركوا طاعته فنسيهم فتركهم من لطفه وه
فضاله ان المنافقين هم الفاسقون الكاملون في التمرد
والفسوق عن دائرة الخير وعد الله المنافقين وه
المنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها مقدرين
الخلود هي حسبهم عقابا وجزاء وفيه دليل على عظمه
عذابها ولعنهم الله ابعدهم من رحمته واهانهم ولهم
عذاب مقيم لا ينقطع والمراد به ما وعدوه او ما يقا
من تعب النفاق كالذين من قبلكم اي انتم مثل الذين
من قبلكم او فعلتم مثل فعل الذين من قبلكم كانوا اشد
قوة واكثر اموالا واولادا بيان لتشبيههم بهم وتمثيل
حالهم بحالهم فاستمتعوا بخلاقهم نصيبهم من ملاذ الدنيا وه
انتفاقه من الخلق بمعنى التقدير فانه ما قدر لصاحبه فاستمتعتم
بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم ذم الاولين ه
باستمتاعهم بخطوظهم المخدجة من الشهوات الفانية والتهاء
بها عن النظر في العاقبة والسعي في تحصيل اللذائذ الحقيقية تمهيدا
لذم المخاطبين بمشابهتهم وافتفاء اثرهم وخضتم دخلتم
في الباطل كالذي خاضوا كالذين خاضوا او كالفوج الذي
خاضوا او كالخوض الذي خاضوه اولئك حبطت اعمالهم
في الدنيا والآخرة لم يستحقوا عليها ثوابا في الدارين واو
هم الخاسرون الذين خسروا الدنيا والآخرة الم يأتهم ه
نبؤا الذين من قبلهم قوم نوح اغرقوا بالطوفان وعاد
اهلكوا بالريح وثمود اهلكوا بالرجفة وقوم ابراهيم ه
اهلك نمرود ببعوض واهلك اصحابه واصحاب مدين
وهم قوم شعيب اهلكوا بالنار يوم الظلة والمؤتفكات

سوء منكم

لهم

لئك

قريات قوم لوط ائتفكت بهم انقلبت فصارت عاليها
سافلها وامطر واحجارة من سجيل وقيل قريات المكذبين
المتمردين وائتفاكهن انقلاب احوالهن من الخير الى الشر
اتتهم رسلهم يعنى الكل بالبينات فما كان الله ليظلمهم اى
لم يكن من عادته ما يشابه ظلم الناس كالعقوبة بلا جرم
ولكن كانوا انفسهم يظلمون حيث عرضوها للعقاب ه
بالكفر والتكذيب وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات
تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة ه
تستطيبها النفس او يطيب فيها العيش وفى الحديث انها
قصور من اللؤلؤ والزبرجد والياقوت الاحمر فى جنات
عدن اقامة وخلود وعنه صلى الله عليه وسلم عدن دار
الله التى لم ترها عين ولم يخطر على قلب بشر لا يسكنها
غير ثلاثة النبيون والصديقون والشهداء يقول الله ه
طوبى لمن دخلك ومرجع العطف فيها يحتمل ان يكون الى
تعدد الموعود لكل واحد او للجميع على سبيل التوزيع او
الى تفاوت وصفه وكانه وصفه اولا بانه من جنس ما هو
ابهى الاماكن التى يعرفونها لتميل اليه طباعهم اول ما يقرع
اسماعهم ثم وصفه بانه محفوف بطيب العيش معرى
عن شوائب الكدورات التى لا يخلوا عن شئ منها ه
اماكن الدنيا وفيها ما تشتهى الانفس وتلذ الاعين ثم
وصفه بانه دار اقامة وثبات فى جوار العليين لا يعتريهم
فيها فناء ولا تغير ثم وعدهم بما هو اكبر من ذلك فقال
ورضوان من الله اكبر لانه المبداء لكل سعادة وكرامة و
المؤدى الى نيل الوصول والفوز باللقاء وعنه صلى الله
عليه وسلم ان الله تعالى يقول لاهل الجنة هل رضيتم فيقولون

والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض
فى مقابلة قوله والمنافقون والمنافقات بعضهم
من بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر
ويقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة ويطيعون
الله ورسوله فى سائر الامور اولئك سيرحمهم
الله لا محالة فان السين مؤكدة للوقوع ان
الله عزيز غالب على كل شئ لا يمتنع عليه ما يريده
حكيم يضع الاشياء مواضعها صح

وما لنا لا نرضى وقد اعطيتنا ما لم تعط احدا من خلقك ه
فيقول انا اعطيكم افضل من ذلك قالوا واى شئ افضل
من ذلك قال احل عليكم رضوانى فلا اسخط عليكم ابدا
ذلك اى الرضوان او جميع ما تقدم هو الفوز العظيم ه
الذى يستحقر دونه الدنيا وما فيها يا ايها النبى جاهد
الكفار بالسيف والمنافقين بالزام الحجة واقامة الحدود
واغلظ عليهم فى ذلك ولا تحابهم ومأواهم جهنم
وبئس المصير مصيرهم يحلفون بالله ما قالوا روى
انه صلى الله عليه وسلم اقام فى غزوة تبوك شهرين ينزل
عليه القرآن ويعيب المتخلفين فقال الجلاس بن سويد
لئن كان ما يقول محمد لاخواننا حقا لنحن شر من الحمير
فبلغ الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستحضره ه
فحلف بالله ما قاله فنزلت فتاب الجلاس فحسنت ه
توبته ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم
واظهروا الكفر بعد اظهار اسلامهم وهموا بما لم
ينالوا من قتل الرسول صلى الله عليه وسلم وهو ان
خمسة عشر منهم توافقوا عند مرجعه من تبوك ان يدفعوه عن راحلته
الى الوادى اذا سلم العقبة بالليل فاخذ عمار بن ياسر بخطام
راحلته يقودها وحذيفة خلفها يسوقها فبينما هما كذلك
اذ سمع حذيفة بوقع اخفاف الابل وقعقعة السلاح فقال
اليكم اليكم يا اعداء الله فهربوا او اخراجه واخراج المؤمنين
من المدينة او بان يتوجوا عبد الله بن ابى وان لم يرضه ه
رسول الله صلى الله عليه وسلم وما نقموا وما انكروا او ما
وجدوا اى ليس لهم ذلك نقيمتهم الا ان اغناهم الله ورسوله
من فضله وان اكثر اهل المدينة كانوا محاويج فى ظنك

من العيش فلما قدمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
اثروا بالغنائم وقتل الجلاس مولى فارس رسول
الله صلى الله عليه وسلم بدينه اثنى عشر الف درهم
فاستغنى والاستثناء مفرغ من اعم المفاعيل او المعلل
فان يتوبوا يك خيرا لهم هو الذى حمل الجلاس على
التوبة والضمير فى يك للتوب وان يتولوا بالاصرار
على النفاق يعذبهم الله عذابا اليما فى الدنيا والآخرة
بالقتل والنار وما لهم فى الارض من ولى ولا نصير
فينجيهم من العذاب ومنهم من عاهد الله لئن اتانا
من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين نزلت
فى ثعلبة بن حاطب اتى النبى صلى الله عليه وسلم وقال
ادع الله ان يرزقنى مالا فقال صلى الله عليه وسلم
يا ثعلبة قليل تؤدى شكره خير من كثير لا تطيقه
فراجعه وقال والذى بعثك بالحق لئن رزقنى الله مالا
لاعطين كل ذى حق حقه فدعا له فاتخذ غنما فنمت
كما تنمى الدود حتى ضاقت بها المدينة فنزل واديا
وانقطع عن الجماعة والجمعة فسئل عنه رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقيل كثر ماله حتى لا يسعه واد فقال
يا ويح ثعلبة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم
مصدقين لاخذ الصدقات فاستقبلهما الناس بصدقاتهم
وامر بثعلبة فسألاه الصدقة واقراه الكتاب الذى فيه
الفرائض فقال ما هذه الا اخت الجزية
فارجعا حتى ارى رأيى فنزلت فجاء ثعلبة بالصدقة فقال
صلى الله عليه وسلم ان الله منعنى ان اقبل منك فجعل يحثو

ن

التراب على رأسه فقال هذا عملك قد امرتك فلم تطعنى
فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء بها الى بكر
فلم يقبلها ثم جاء بها الى عمر فلم يقبلها وهلك فى زمان
عثمان رضى الله عنهم فلما اتاهم من فضله بخلوا به
منعوا حق الله منه وتولوا عن طاعة الله وهم معرضون
وهم قوم عادتهم الاعراض عنها فاعقبهم نفاقا فى
قلوبهم اى فجعل الله عاقبة فعلهم ذلك نفاقا وهو
سوء اعتقاد فى قلوبهم ويجوز ان يكون الضمير
للبخل والمعنى فاورثهم البخل نفاقا متمكنا فى قلوبهم
الى يوم يلقونه يلقون الله بالموت او يلقون هو
عمله اى جزاءه وهو يوم القيمة بما اخلفوا الله ما
وعدوه بسبب اخلافهم ما وعدوه من الصدقة
الصلاح وبما كانوا يكذبون وبكونهم كاذبين فيه
فان خلف الوعد متضمن الكذب مستقبح من الوجهين او المقال مطلقا وقرئ يكذبون بالتشديد
الم يعلموا اى المنافقون او من عاهد الله وقرئ
بالتاء على الالتفات ان الله يعلم سرهم ما اسروه
فى انفسهم او العزم على الاخلاف ونجواهم وما بينا
به فيما بينهم من المطاعن او تسمية الزكوة جزية
وان الله علام الغيوب فلا يخفى عليه ذلك الذين
يلمزون ذم مرفوع او منصوب او بدل من الضمير
فى سرهم وقرئ يلمزون بالضم المطوع على المنطوعين
من المؤمنين فى الصدقات روى انه صلى الله عليه وسلم
حث على الصدقة فجاء عبد الرحمن بن عوف باربعة
آلاف درهم وقال كان لى ثمانية آلاف درهم فاقرضت

جون

وزنى اربعة وامسكت لعيالى اربعة فقال صلى الله عليه وسلم
بارك الله لك فيما اعطيت وفيما امسكت فبارك الله له
حتى صولحت احدى امرأتيه عن نصف الثمن على ثمانين
الف درهم وتصدق عاصم بن عدى بمائة وسق تمر
وجاء ابو عقيل الانصارى بصاع تمر فقال بت ليلتى
اجر بالجرير على صاعين فتركت صاعا لعيالى وجئت
بصاع فامره ان ينثره على الصدقات فلمزهم المنافقون
وقالوا ما اعطى عبد الرحمن وعاصم الا رياء ولقد
كان الله ورسوله لغنيين عن صاع ابى عقيل ولكنه
احب ان يذكر بنفسه ليعطى من الصدقات فنزلت
والذين لا يجدون الا جهدهم الا طاقتهم وقرئ بالفتح
وهو مصدر جهد فى الامر اذا بالغ فيه فيسخرون
منهم يستهزئون بهم سخر الله منهم جازاهم على سخريتهم
كقوله الله يستهزئ بهم ولهم عذاب اليم على كفرهم
استغفر لهم او لا تستغفر لهم يريد به التساوى بين الامرين
فى عدم الافادة لهم كما نص عليه بقوله ان تستغفر لهم
سبعين مرة فلن يغفر الله لهم روى ان عبد الله بن
عبد الله بن ابى وكان من المخلصين سأل رسول الله
صلى الله عليه وسلم فى مرض ابيه ان يستغفر له ففعل
فنزلت فقال عليه السلام لازيدن على السبعين فنزلت
سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله
لهم وذلك لانه عليه الصلوة والسلام فهم من السبعين
العدد المخصوص لانه الاصل فجوز ان يكون ذلك حدا
يخالفه حكم ما وراءه فبين له ان المراد به التكثير دون
التحديد وقد شاع استعمال السبعة والسبعين والسبعمائة

ونحوها فى التكثير لاشتمال السبعة على جملة اقسام العدد
فكانه العدد بأسره ذلك بانهم كفروا بالله ورسوله ه
اشارة الى ان اليأس من المغفرة وعدم قبول الاستغفا ر ك
ليس بكل منا ولا قصور فيك بل لعدم قابليتهم بسبب
الكفر الصارف عنها والله لا يهدى القوم الفاسقين
المتمردين فى كفرهم وهو كالدليل على الحكم السابق فان
مغفرة الكافر بالاقلاع عن الكفر والارشاد الى الحق
والمنهمك فى كفره المطبوع عليه لا ينقلع ولا يهتدى
والتنبيه على عذر الرسول صلى الله عليه وسلم فى استغفا ر ه
وهو عدم يأسه عن ايمانهم ما لم يعلم انهم مطبوعون
على الضلال والممنوع هو الاستغفار بعد العلم لقوله ه
ما كان للنبى والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كا ن لو
اولى قربى من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم فرح
المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله بقعودهم عن
الغزو وخلفه يقال اقام خلاف الحى اى بعدهم ويجوز ه
ان يكون بمعنى المخالفة فيكون انتصابه على العلة او الحال
وكرهوا ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم فى سبيل الله ايثا ر ا
للدعة والخفض على طاعة الله ه وفيه تعريض بالمؤمنين
الذين آثروا عليها تحصيل رضاه ببذل الاموال والمهج ه
وقالوا لا تنفروا فى الحر اى قال بعضهم لبعض او قالوه ه
للمؤمنين تثبيطا قل نار جهنم اشد حرا وقد اثروها
بهذه المخالفة لو كانوا يفقهون ان مآبهم اليها او انها
كيف هى بما اختاروها بايثار الدعة على الطاعة فليضحكوا
قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون اخبار عما يؤل
اليه حالهم فى الدنيا والاخرة اخرجه على صيغة الامر للدلالة

على انه حتم واجب ويجوز ان يكون الضحك والبكاء كنا
ينهين عن السرور والغم والمراد من القلة العدم فان
رجعك الله الى طائفة منهم فان ردك الى المدينة وفيها
طائفة من المتخلفين يعني منافقهم فان كلهم لم يكونوا
منافقين او من بقي منهم وكان المتخلفون اثني عشر رجلا
فاستاذنوك للخروج الى غزوة اخرى بعد تبوك ه
فقل لن تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا معي عدوا ه
اخبار في معنى النهي للمبالغة انكم رضيتم بالقعود
اول مرة تعليل له وكان اسقاطهم عن ديوان الغزاة
عقوبة لهم على تخلفهم واول مرة هي الحجة الى غزوة ه
تبوك فاقعدوا مع الخالفين اي المتخلفين لعدم لياقتهم
للجهاد كالنساء والصبيان وقرئ مع المخلفين على قصر
الخالفين ولا تصل على احد منهم مات ابدا روي ان ابيا
دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه فلما ه
دخل عليه سأله ان يستغفر له ويكفنه في شعاره الذي
يلي جسده ويصلي عليه فلما مات ارسل قميصه ليكفن
فيه وذهب ليصلي عليه فنزلت وقيل صلى عليه ثم ه
وانما لم ينه عن التكفين في قميصه ونهى عن الصلوة عليه
لان الضنة بالقميص كان تخلقا بالكرم وكانه كان مكافاة
لالباسه العباس قميصه حين اسر ببدر والمراد من ه
الصلوة الدعاء للميت والاستغفار له وهو ممنوع في
حق الكافر ولذلك رتب النهي على قوله مات ابدا يعني
الموت على الكفر فان احياء الكافر للتعذيب دون النفع
فكانه لم يحي ولا تقم على قبره ولا تقف على قبره للدفن
او الزيارة انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم ه

فاسقون تعليل للنهي او لتأبيد الموت ولا تعجبك اموالهم
واولادهم انما يريد الله ان يعذبهم بها في الدنيا وتزهق
انفسهم وهم كافرون تكرير للتأكيد والامر حقيق به فان
الابصار طامحة الى الاموال والاولاد والنفوس مغتبطة
عليها ويجوز ان تكون هذه في فريق غير الاول واذا
انزلت سورة من القران ويجوز ان يراد بها بعضها ه
ان آمنوا بالله اي بان آمنوا ويجوز ان تكون ان المفسرة
وجاهدوا مع رسوله استاذنك اولوا الطول منهم ذوا
الفضل والسعة وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين الذين ه
قعدوا العذر رضوا بان يكونوا مع الخوالف مع النساء جمع ه
خالفة وقد يقال الخالفة للذي لا خير فيه وطبع على قلوبهم
فهم لا يفقهون ما في الجهاد وموافقة الرسول صلى الله ه
عليه وسلم من السعادة وما في التخلف عنه من الشقا
لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا باموالهم و
انفسهم اي ان تخلف هؤلاء ولم يجاهد وا فقد جاهد
من هو خير منهم واولئك لهم الخيرات منافع الدارين
النصر والغنيمة في الدنيا والجنة والكرامة في الآخرة وقيل ه
الحور لقوله فيهن خيرات حسان وهي جمع خيرة ه
تخفيف خيرة اولئك هم المفلحون الفائزون بالمطالب
اعد الله لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين
فيها ذلك الفوز العظيم بيان لما لهم من الخيرات الاخرو
وجاء المعذرون من الاعراب ليؤذن لهم يعني اسد
او غطفان استاذنوا في التخلف معتذرين بالجهد و
كثرة العيال وقيل هم رهط عامر ابن الطفيل قالوا
ان غزونا معك اغارت طي على اهالينا واموالنا

والمعذّر امّا من عذّر فى الامر اذا قصر فيه موهما ان
له عذرا ولا عذر له او من اعتذر اذا مهد العذر ه
بادغام التاء فى الذال ونقل حركتها الى العين ويجوز ه
كسر العين لالتقاء الساكنين وضمها للاتباع لكن لم يقرأ
بهما وقرأ يعقوب معذرون من اعذر اذا اجتهد ه
فى العذر وقرئ المعذّرون بتشديد العين والذال ه
على انه من تعذر بمعنى اعتذر وهو طن اذ التاء لا تدغم
فى العين وقد اختلف فى انهم كانوا معتذرين بالتصنع
او بالصحة فيكون قوله وقعد الذين كذبوا الله ورسوله
فى غيرهم وهم منافقوا الاعراب كذبوا الله ورسوله
فى ادّعاء الايمان وان كانوا هم الاولين فكذبهم بالاه
عتذار سيصيب الذين كفروا منهم من الاعراب او من ه
المعذرين فانّ منهم من اعتذر لكسله لا لكفره عذاب
اليم بالقتل والنار ليس على الضعفاء ولا على المرضى كالهر
والزمن ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون لفقرهم ه
كجهينة ومزينة وبنى عذرة حرج اثم فى التأخر اذا نصحوا
لله ورسوله بالايمان بهما والطاعة فى السر والعلانية
كما يفعل الموالى الناصح او بما قدروا عليه فعلا او قولا
يعود على الاسلام والمسلمين بالصلاح ما على المحسنين
من سبيل اى ليس عليهم جناح ولا الى معاتبتهم سبيل و
انّما وضع المحسنين موضع الضمير للدلالة على انهم منحرطون
فى سلك المحسنين غير معاتبين لذلك والله غفور رحيم
لهم او للمسيء فكيف للمحسن ولا على الذين اذا ما اتوك ه
لتحملهم عطف على الضعفاء او على المحسنين وهم البكاؤن ه
سبعة من الانصار معقل ابن يسار وصخر بن خنساء وعبد الله

بن كعب وسالم بن عمير وثعلبة بن غنمة وعبد الله بن مغفل
وعلبة بن زيد اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا له
نذرنا الخروج فاحملنا على الخفاف المرقوعة والنعال المخصوفة
نغزك فقال صلى الله عليه وسلم لا اجد فتولوا وهم يبكون ه
وقيل هم بنو مقرن معقل وسويد والنعمان وقيل ابو موسى
واصحابه قلت لا اجد ما احملكم عليه حال من الكاف فى ه
اتوك باضمار قد تقولوا جواب اذا واعينهم تفيض تسيل
من الدمع اى دمعها فان من للبيان وهو مع المجرور فى محل
النصب على التمييز وهو ابلغ من تفيض دمعها لانه يدل
على ان العين صارت دمعا فياضا حزنا نصب على العلة
او الحال او المصدر لفعل دل عليه ما قبله الا يجدوا اى ه
اى لئلا يجدوا متعلق بحزنا او بتفيض ما ينفقون فى
مقرّاهم انما السبيل بالمعاتبة على الذين يستأذنونك وهم
اغنياء واجدون الاهبة رضوا بان يكونوا مع الخوالف ه
استيناف ببيان ما هو الذنب لاستبداد انهم من غير عذر و
هو رضاهم بالدناءة والانتظام فى جملة الخوالف ايثارا
للدعة وطبع الله على قلوبهم حتى غفلوا عن وخامة العا قبة
فهم لا يعلمون مغبته يعتذرون اليكم فى التخلف اذا
رجعتم اليهم من هذه السفرة قل لا تعتذروا بالمعاذير
الكاذبة لانا لن نؤمن لكم لن نصدقكم لانه قد نبأنا الله
من اخباركم اعلمنا بالوحى الى نبيه بعض اخباركم وهو
ما فى ضمائركم من الشر والفساد وسيرى الله عملكم
ورسوله انتتوبون عن الكفر فتلبثون عليه وكانه
التنبيه وامهال للتوبة ثم ترددون الى عالم الغيب والشها دة
اى اليه فوضع الوصف موضع الضمير للدلالة على انه مطلع على

سترهم وعلانهم لا يفوت عن علمه شئ من ضمائرهم و
اعمالهم فيبنئكم بما كنتم تعملون بالتوبيخ والعقاب عليه
سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم
ولا تعاتبوهم فاعرضوا عنهم ولا توبخوهم انهم رجس
لا ينفع فيهم التانيب فان المقصود منه التطهير بالحمل
على الانابة وهؤلاء ارجاس لا تقبل التطهير فهو علة
للاعراض وترك المعاتبة ومأواهم جهنم من تمام التعليل
وكانه قال انهم ارجاس من اهل النار لا ينفع فيهم التوبيخ
في الدنيا والاخرة او تعليل ثان والمعنى ان النار كفتهم
عتابا فلا تتكلفوا عتابهم جزاء بما كانوا يكسبون يجوز
ان يكون مصدرا او ان يكون علة يحلفون لكم لترضوا
عنهم بحلفهم فتستديموا عليهم ما كنتم تفعلون بهم فان
ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين فان
رضاكم لا يستلزم رضاء الله له ورضاكم وحده لا
ينفعهم اذا كانوا في سخط الله وبصدد عقابه او ان
امكنهم ان يلبسوا عليكم لا يمكنهم ان يلبسوا على الله له
فلا يهتك سترهم ولا ينزل الهوان بهم والمقصود من هذه
الآية النهي عن الرضى عنهم والاغترار بعاذيرهم بعد
الامر بالاعراض وعدم الالتفات نحوهم الاعراب اهل
البدو اشد كفرا ونفاقا من اهل الحضر لتوحشهم وفساد
وتهم وعدم مخالطتهم لاهل العلم وقلة استماعهم للكتاب
والسنة واجدر ان لا يعلموا واحق بان يعلموا حدود
ما انزل الله على رسوله من الشرايع فرائضها وسننها
والله عليم يعلم حال كل احد من اهل الوبر والمدر حكيم
فيما يصيب به مسيئهم ومحسنهم عقابا وثوابا ومن الاعراب

من يتخذ يعد ما ينفق يصرفه في سبيل الله ويتصدق مغرما
غرامة وخسرانا اذ لا يحسبه عند الله ولا يرجو عليه ثوابه
وانما ينفق رياء وتقية ويتربص بكم الدوائر دوائر
الزمان ونوبه لينقلب الامر عليكم فيتخلص من النفاق
عليهم دائرة السوء اعتراض بالدعاء عليهم بنحو ما
يتربصونه عليهم والدائرة في الاصل مصدر او اسم
فاعل من دار يدور ستي بها عقبه الزمان والسوء هو
بالفتح مصدر اضيف اليه للمبالغة كقولك رجل صدق
وقرأ ابن كثير وابو عمرو السوء هنا وفي الفتح بضم
السين والله سميع لما يقولون عند الانفاق عليم بما
يضمرونه ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الاخر
ويتخذ ما ينفق قربات عند الله بسبب قربات وهي
ثاني مفعولي يتخذ وعند الله صفتها او ظرف ليتخذ
وصلوات الرسول وسبب صلواته لانه صلى الله عليه و
سلم كان يدعو للمتصدقين ويستغفر لهم ولذلك سن
للمصدق ان يدعو للمتصدق عند اخذ الصدقة لكن
ليس له ان يصلي عليه كما قال عليه الصلوة والسلام اللهم
صل على آل ابي اوفى لانه منصب فلا ان يتفضل به على غيره
الا انها قربة لهم شهادة من الله له بصحة معتقدهم
وتصديق لرجائهم على الاستيناف مع حرف التنبيه وان
المحققة للنسبة والضمير لنفقتهم وقرأ ورش قربة
بضم الراء سيدخلهم الله في رحمته وعد لهم بالحاطة به
الرحمة عليهم والتبين لتحقيقه وقوله ان الله غفور
رحيم كالتقرير له وقيل الاول في اسد وغطفان وبني
تميم والثانية في عبد الله ذي البجادين وقومه والتا

بقول

الاولون من المهاجرين هم الذين صلوا الى القبلتين او الذين
شهدوا بدرا او الذين اسلموا قبل الهجرة والانصار اهل
بيعة العقبة الاولى وكانوا سبعة واهل العقبة الثانية وكانوا
سبعين حين قدم عليهم ابو زراره مصعب بن عمير وقرئ
بالرفع عطفا على السابقون والذين اتبعوهم باحسان
اللاحقون بالسابقين من القبلتين او من اتبعوهم بالايمان
والطاعة الى يوم القيمة رضي الله عنهم بقبول
طاعتهم وارتضاء اعمالهم ورضوا عنه بما نالوا من
النعمة الدينية والدنيوية واعد لهم جنات
تجري من تحتها الانهار وقرأ ابن كثير من تحتها
كما هو في سائر المواضع خالدين فيها ابدا ذلك
الفوز العظيم وممن حولكم اي ممن حول بلدتكم
يعني المدينة من الاعراب منافقون وهم جهينة
ومزينة واسلم واشجع وغفار كانوا نازلين
حولها ومن اهل المدينة عطف على ممن حولكم او خبر
محذوف صفته مردوا على النفاق ونظيره في حذف الموصوف وهو
اقامة الصفة مقامه قوله انا ابن جلا وطلاع الثنايا او على الاول
صفة للمنافقين فصل بينها وبينه بالمعطوف على الخبر او كلام
مبتدا للبيان ثم ترتهم وتمهروهم في النفاق لا تعلمهم لا تعرفهم
باعيانهم وهو تقرير لمهارتهم فيه وتنوقهم في تحاشي
مواقع التهم الى حد اخفى عليك حالهم مع كمال فطنتك وهو
صدق فراستك نحن نعلمهم ونطلع على اسرارهم ان قدروا
ان يلتبسوا عليك لم يقدروا ان يلتبسوا علينا سنعذبهم
مرتين بالفضيحة والقتل او بالحدهما وعذاب القبر او
اخذ الزكوة ونهك الابدان ثم يردون الى عذاب

عظيم الى عذاب النار وآخرون اعترفوا بذنوبهم ولم
يعتذروا من تخلفهم بالمعاذير الكاذبة وهم طائفة من
المتخلفين اوثقوا انفسهم على سواري المسجد لما بلغهم
ما نزل في المتخلفين فقدم رسول الله صلى الله عليه و
سلم فدخل المسجد على عادته فصلى ركعتين فرآهم
فسئل عنهم فذكروا له انهم اقسموا ان لا يحلوا انفسهم
حتى تحليهم فقال صلى الله عليه وسلم وانا اقسم ان لا احلهم
حتى اومر فنزل فاطلقهم خلطوا عملا صالحا
وآخر سيئا خلطوا العمل الصالح الذي هو اظهار الندم و
الاعتراف بالذنب بآخر شيء هو التخلف وموافقة اهل
النفاق والواو بمعنى الباء كما في قولهم بعت الشاء شاة
ودرهما او للدلالة على ان كل واحد منهما مخلوط بالآخر
عسى الله ان يتوب عليهم ان يقبل توبتهم وهي مدلول عليها
بقوله اعترفوا بذنوبهم ان الله غفور رحيم يتجاوز
عن التائب ويتفضل عليه خذ من اموالهم صدقة روي
انهم لما اطلقوا قالوا يا رسول الله هذه اموالنا التي خلفتنا
فتصدق بها وطهرنا فقال صلى الله عليه وسلم ما امرت ان
اخذ من اموالكم شيئا فنزلت تطهرهم عن الذنوب او حب
المال المؤدي بهم الى مثله وقرئ تطهرهم من اطهره بمعنى
طهره وتطهر بالجزم جوابا للامر وتزكيهم بها وتنمي بها
حسناتهم وترفعهم الى منازل المخلصين وصل عليهم وهو
اعطف عليهم بالدعاء والاستغفار لهم ان صلوتك سكن
لهم تسكن اليها نفوسهم وتطمئن بها قلوبهم وجمعها هو
لتعدد المدعو لهم وقرأ حمزة والكسائي وحفص بالتوحيد
والله سميع باعترافهم عليم بندامتهم الم يعلموا الضمير

للمتوب عليهم والمراد ان تمكن في قلوبهم قبول توبتهم
والاعتداد بصدقاتهم او لغيرهم والمراد به التخصيص
ان الله هو يقبل التوبة عن عباده اذا صحت وتعديته
بعن لتضمنه معنى التجاوز ويأخذ الصدقات يقبلها
قبول من يأخذ شيئا ليؤدي بدله وان الله هو التواب الرحيم
وان من شانه قبول توبة التائبين والتفضل عليهم وقل
اعملوا ما شئتم فسيرى الله عملكم فانه لا يخفى عليه خيرا
كان او شرا ورسوله والمؤمنون فانهم لا يخفى عنهم كما
رايتم وتبين لكم وتبين لكم وستردون الى عالم الغيب والـ
الشهادة بالموت فينبئكم بما كنتم تعملون بالمجازات عليه
وآخرون من المخلفين مرجون مؤخرون اى موقوف
امرهم من ارجاته اذا اخرته وقراء نافع وحمزة والكسائي
وحفص مرجون بالواو وهما لغتان لامر الله في شانهم
اما يعذبهم ان اصروا على النفاق واما يتوب عليهم ان تابوا
والترديد للعباد وفيه دليل على ان كلا الامرين بارادة الله
والله عليم باحوالهم حكيم فيما يفعل بهم وقرئ والله غفور
رحيم والمراد بهؤلاء كعب بن مالك وهلال بن امية ومرارة
بن الربيع امر رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه ان
لا يسلموا عليهم ولا يكلموهم فلما راوا ذلك اعتزلوا
نساءهم وفوضوا امرهم الى الله فرحمهم الله والذين اتخذوا
مسجدا ضرار اعطف على واخرون او مبتدا خبره محذوف
اى وفيمن وصفنا الذين اتخذوا او منصوب على الاختصاص
وقراء ابن عامر ونافع بغير واو وضرارا مضارة للمؤمنين
روى ان بني عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قباء امروا
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ياتيهم فاتاهم فصلى فيه

فحسدهم اخوانهم بنو عامر بن عوف فبنوا مسجدا على
قصد ان يؤمهم فيه ابو عامر الراهب اذا قدم من الشام
فلما اتموه اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا
قد بنينا مسجد الذي الحاجة والعلة والليلة والمطيرة
والشاتية فصل فيه ركعتين حتى نتخذه مصلى فاخذ
ثوبه ليقوم معهم فنزلت فدعا صلى الله عليه وسلم
بمالك بن الدخشم ومعن بن عدي وعامر بن السكن
ووحشي فقال لهم انطلقوا الى هذا المسجد الظالم اهله
فاهدموه واحرقوه ففعل فاتخذ مكانه كناسة وكفرا
وتقوية للكفر الذي يضمرونه وتفريقا بين المؤمنين
يريد الذين كانوا يجمعون للصلوة في مسجد قبا وارصادا
ترقبا لمن حارب الله ورسوله من قبل يعني الراهب
فانه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد
لا اجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك معهم فلم ينزل
يقاتله الى يوم حنين وانهزم مع هوازن وهرب الى
الشام ليأتي من قيصر بجنود ليحارب بهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم ومات بقنسرين وحيدا وقيل كان
يجمع الجيوش يوم الاحزاب فلما انهزموا خرج الى الشام
ومن قبل متعلق بحارب او بايتخذوا اى اتخذوا مسجدا
من قبل ان ينافق هؤلاء بالتخلف لما روي انه بني قبيل
غزوة تبوك فسالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
ياتيهم فقال انا على جناح سفر فاذا قدمنا ان شاء الله
صلينا فيه فلما قفل كرر عليه فنزلت وليحلفن ان اردنا
الا الحسنى ما اردنا الا الخصلة الحسنى وهي الصلوة والذكر
والتوسعة على المصلين والله يشهد انهم لكاذبون في

نا

حلفهم لا تقم فيه ابدا للصلوة لمسجد اسس على ه
التقوى يعني مسجد قبا اسسه رسول الله صلى الله
عليه وسلم وصلى فيه ايام مقامه بقبا من الاثنين ه
الى الجمعة لانه اوفق للقصة او مسجد رسول الله صلى
عليه وسلم لقول ابي سعيد رضى الله عنه سألت رسول
الله صلى الله عليه وسلم عنه فقال هو مسجدكم هذا مسجد
المدينة من اول يوم من ايام وجوده ومن يعم الزمان
والمكان كقوله لمن الديار بقنة الحجر اقوين من حجج ومن ه
دهر احق ان تقوم فيه اولى بان تصلى فيه فيه رجال
يحبون ان يتطهروا من المعاصي والخصال المذمومة ه
طلبا لمرضاة الله ه وقيل من الجنابة فلا يناموا عليها
والله يحب المطهرين يرضى عنهم ويدنيهم من جنابه
ادناء المحب حبيبه قيل لما نزلت مشى رسول الله صلى
الله عليه وسلم ومعه المهاجرون حتى وقف على باب
مسجد قبا فاذا الانصار جلوس فقال امؤمنون انتم
فسكتوا فاعادها فقال عمر انهم مؤمنون وانا معهم
فقال عليه الصلوة والسلام ارضون بالقضاء قالوا
نعم قال اتصبرون على البلاء قالوا نعم قال اتشكرون
في الرخاء قالوا نعم قال عليه الصلوة والسلام مؤمنون ه
ورب الكعبة فجلس ثم قال يا معشر الانصار ان الله عز
وجل قد اثنى عليكم فما الذي تصنعون عند الوضوء وعند
الغائط فقالوا يا رسول الله نتبع الغائط الاحجار الثلاثة
ثم نتبع الاحجار الماء فتلى رجال يحبون ان يتطهروا ه
افمن اسس بنيانه بنيان دينه على تقوى من الله و ه
رضوان خير على قاعدة محكمة هي التقوى من الله و ه

طلب مرضاته بالطاعة امن اسس بنيانه على شفا جرف
هار على قاعدة هي اضعف القواعد وارخاها فانهار
به في نار جهنم فاذى به لخوره وقلة استمساكه الى ه
السقوط في النار وانما وضع شفا الجرف وهو ما جرفه
العادي الهائل في مقابلة التقوى تمثيلا لما بنوا ه
عليه امر دينهم في البطلان وسرعة الانطماس ثم
رشحه بانهياره به في النار ووضعه في مقابلة الرضوان
تنبيها على ان تاسيس ذلك على امر يحفظه عن النار و
يوصله الى رضوان الله ومقتضياته التي الجنة ادناها و
تاسيس هذا على ما هم بسببه على صدد الوقوع في النار
ساعة فساعة ثم ان مصيرهم الى النار لا محالة وقرأ
نافع وابن عامر اسس على البناء للمفعول وقرئ اسلس
بنيانه على الاضافة واسسى واساس بالكسر وثلاثتها
جمع اس وتقوى بالتنوين على ان الالف للالحاق لا ه
للتانيث كتترى وقراء ابن عامر وحمزة وابو بكر جرف
بالتخفيف والله لا يهدي القوم الظالمين الى ما فيه صلا
ونجاتهم لا يزال بنيانهم الذي بنوا بناؤهم الذي بنوه
مصدر اريد به المفعول وليس بجمع ولذلك لم يدخل
التاء ووصف بالمفرد واخبر بقوله ريبة في قلوبهم ه
اي شكا ونفاقا والمعنى ان بناءهم هذا لا يزال سبب ه
شكهم وتزايد نفاقهم فانه حملهم على ذلك ثم لما هدمه
الرسول صلى الله عليه وسلم رسخ ذلك في قلوبهم وازداد
بحيث لا يزول وسمي عن قلوبهم الا ان تقطع قلوبهم
قطعا بحيث لا يبقى لها قابلية الادراك والاضمار وهي في
غاية المبالغة والاستثناء من اعم الازمنة وقيل المراد بالتقطع

في

حهم

داد

ما هو كائن بالقتل او في القبر او في النار وقيل التقطع
بالتوبة نزما واسفا وقراء يعقوب الى الجرف الانتهاء
وتقطع بمعنى تتقطع وهو قراءة بن عامر وحمزة وحفص
وقرئ يقطع بالياء وتقطع بالتخفيف وتقطع قلوبهم
على خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم او كل مخاطب و
لو قطعت قلوبهم على البناء للفاعل والمفعول والله
عليم ببنياتهم حكيم فيما امر بهدم بنائهم ان الله اشترى
من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة تمثيل لا
ثابة الله اياهم الجنة على بذل انفسهم واموالهم في سبيله
يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون استيناف
ببيان ما لاجله الشرى وقيل يقاتلون في معنى الامر وقراء
حمزة بتقديم المبنى المفعول وقد عرفت ان الواو لا يوجب
الترتيب وان فعل البعض قد يسند الى الكل وعدا عليه حقا
مصدر مؤكد لما دل عليه اشترى فانه في معنى الوعد في التو
راة والانجيل والقرآن مذكورا فيهما كما اثبت في القرآن
ومن اوفى بعهده من الله مبالغة في الايجاب وتقرير لكونه
حقا فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به فافرحوا به غاية
الفرح فانه اوجب لكم عظائم المطالب كما قال وذلك هو
الفوز العظيم التائبون رفع على المدح اى هم التائبون
والمراد بهم المؤمنون المذكورون ويجوز ان يكون مبتدا
وخبره محذوف تقديره التائبون من اهل الجنة وان لم
يجاهدوا لقوله وكلا وعد الله الحسنى وخبر ما بعده اى هم
التائبون عن الكفر على الحقيقة هم الجامعون لهذه الخصال
وقرئ بالياء نصبا على المدح او خبرا صفة للمؤمنين العابدون
الذين عبدوا الله تعالى مخلصين له الدين الحامدون لنعمائه

او لما نابهم من السراء والضراء السائحون الصائمون
لقوله صلى الله عليه وسلم سياحة امتي الصوم شبه بها
من حيث انها تعوق عن الشهوات او لانه رياضة هـ
نفسانية يتوصل بها الى الاطلاع على خفايا الملك والملكو
او السائحون للجهاد او لطلب العلم الراكعون الساجـ
جدون في الصلوة الآمرون بالمعروف بالايمان والطاعة
والناهون عن المنكر عن الشرك والمعاصي والعاطف
فيه للدلالة على انه بما عطف عليه في حكم خصلة واحدة
كانه قال الجامعون بين الوصفين وفي قوله والحافظون
لحدود الله اى فيما بينه وعينه من الحقائق والشرائع
للتنبيه على ان ما قبله مفصل الفضائل وهذا مجملها و
قيل انه للايذان بان التعداد قد تم بالسابع من حيث هـ
ان السبعة هو العدد التام والثامن من ابتداء تعداد لخف
معطوف عليه ولذلك يسمى واو الثمانية وبشر المؤمنين
يعني بهم هؤلاء الموصوفين بتلك الفضائل ووضع المؤ
منين موضع ضميرهم للتنبيه على ان ايمانهم دعاهم الى ذلك
وان المؤمن الكامل من كان كذلك وحذف المبشر به للتعظيم
كانه قيل وبشرهم بما يجل عن احاطة الافهام وتعيينه
الكلام ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين
روى انه صلى الله عليه وسلم قال لابي طالب لاحضره
الوفاة قل كلمة احاج لك بها عند الله فابى فقال لاستغ
فرن لك ما لم انه عنه فنزلت وقيل لما افتتح مكة خرج
الى الابواء فزار قبر امه ثم قام مستعبرا فقال استاذنت
ربي في زيارة قبر امي فاذن لي واستاذنته في الاستغفار
لها فلم يأذن لي وانزل على الآيتين ولو كانوا اولي

ت

منين

قرئ من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم بان ماتوا
على الكفر وفيه دليل على جواز الاستغفار لاحيائهم
فانه طلب توفيقهم للايمان وبه دفع النقض باستغفار
ابراهيم لابيه الكافر فقال وما كان استغفار ابراهيم
لابيه الا عن موعدة وعدها اياه وعدها ابراهيم اياه
بقوله لاستغفرن لك اى لاطلبن مغفرتك بالتوفيق
للايمان فانه يحب ما قبله ويدل عليه قراءة من قرأ اباه
او وعدها ابراهيم ابوه وهى الوعد بالايمان فلما
تبين له انه عدو لله بان مات على الكفر او اوحى فيه
بانه لم يؤمن تبرأ منه قطع استغفاره ان ابراهيم
لاواه يكثر التأوه وهو كناية عن فرط الرحمة ورقة
القلب حليم صبور على الاذى والجملة لبيان ما حمله
على الاستغفار له مع شكاسته عليه وما كان الله ليضل
قوما بعد اذ هديهم للاسلام حتى يبين لهم ما يتقون حتى يبين لهم
خطر ما يجب اتقاؤه وكانه بيان عذر الرسول صلى الله عليه
وسلم فى قوله لعمه او لمن استغفر لاسلافه المشركين قبل المنع و
قيل انه فى قوم مضوا على الامر الاول فى القبلة والخمر ونحو ذلك
وفى الجملة دليل على ان الغافل غير مكلف ان الله بكل شئ
عليم فيعلم امرهم فى الحالين ان الله له ملك السموات و
الارض يحيى ويميت وما لكم من دون الله من ولى ولا نصير
لما منعهم عن الاستغفار للمشركين وان كانوا اولى قربى وهم
تضمن ذلك وجوب التبرى عنهم رأسا بين لهم ان الله مالك
كل موجود ومتولى امره والغالب عليه لا يتأتى لهم ولاية
ولا نصرة الا منه ليتوجهوا بشراشرهم اليه ويتبرؤا عما

عداه حتى لا يبقى لهم مقصد فيما يأتون ويذرون هم
سواه لقد تاب الله على النبى والمهاجرين والانصار
من اذن المنافقين فى التخلف او براءهم عن علقة هم
الذنوب كقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما
تأخر وقيل هو بعث على التوبة والمعنى ما من احد
الا وهو محتاج الى التوبة حتى النبى والمهاجرين والا
لقوله توبوا الى الله جميعا اذ ما من احد الا وله هم
مقام يستنقص دونه ما هو فيه والتجئ اليه توبة من
تلك النقيصة واظهار لفضلها بانها مقام الانبياء وهم
الصلحاء من عباده الذين اتبعوه فى ساعة العسرة
فى وقتها وهى حالهم فى غزوة تبوك كانوا فى عسرة الظهر
تعقب العشرة على بعير واحد والزاد حتى قيل ان
الرجلين كانا يقتسمان تمرة والماء حتى شربوا الغطاء هم
من بعد ما كاد تزيغ قلوب فريق منهم عن الثبات على
الايمان او اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم وفى كاد هم
ضمير الشان او ضمير القوم والعائد عليه الضمير فى منهم
وقرأ حمزة وحفص يزيغ بالياء لان تأنيث القلوب غير
حقيقى وقرئ من بعد ما زاغت قلوب فريق منهم يعنى
المتخلفين ثم تاب عليهم تكرير للتأكيد وتنبيه على انه
يتاب عليهم من اجل ما كابدوا من العسرة او المراد انه هم
تاب عليهم لكيد ودتهم انه بهم رؤف رحيم وعلى الثلاثة
وتاب على الثلاثة كعب بن مالك وهلال بن امية ومرارة
بن الربيع الذين خلفوا تخلفوا عن الغزو او خلف امر هم
فانهم المرجون حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت
اى برحبها لاعراض الناس عنهم بالكلية وهو مثل لشدة

نصار

الحيرة وضاقت عليهم انفسهم قلوبهم من فرط الوحشة
والغم بحيث لا يسعها انس ولا سرور وظنوا وعلموا
ان لا ملجأ من الله من سخطه الا اليه الا الى استغفاره
ثم تاب عليهم بالتوفيق للتوبة ليتوبوا او بان لقبول
توبتهم ليعدوا في جملة التوابين او رجع عليهم بالقبول
والرحمة مرة اخرى ليستقيموا على توبتهم ان الله هو التواب
لمن تاب ولو عاد في اليوم مائة مرة الرحيم المتفضل
عليه بالتوبة يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله فيما لا يرضاه و
كونوا مع الصادقين في ايمانهم وعهودهم او في دينه
الله نية وقولا وعملا وقرئ من الصادقين اى في توبتهم
واتابتهم فيكون المراد به هؤلاء الثلاثة واضرابهم ما كان
لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن
رسول الله نهى عبر عنه بصيغة النفي للمبالغة ولا يرغبوا
بانفسهم عن نفسه لا يصونوا انفسهم عما لم يصن
نفسه عنه ويكابدوا معه ما يكابده من الاهوال روي
ان ابا خيثمة بلغ بستانه وكانت له امراة حسناء فرشت
له في الظل وبسطت له الحصير وقربت اليه الرطب والماء
البارد فنظر فقال ظل ظليل ورطب يانع وماء بارد و
امراة حسناء ورسول الله صلى الله عليه وسلم في الضح
والريح ما هذا بخير فقام ورحل ناقته واخذ سيفه
ورمحه ومر كالريح فمر رسول الله صلى الله عليه وسلم
طرفه الى الطريق فاذا براكب يزهاه السراب فقال
كن ابا خيثمة فكان ففرح به رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاستغفر له وفي لا يرغبوا يجوز الجزم والنصب
ذلك اشارة الى ما دل عليه قوله ما كان من النهي عن

التخلف او وجوب الشايعة بانهم بسبب انهم لا يصيبهم
ظمأ شيء من العطش ولا نصب تعب وللمخمصة مجاعة
في سبيل الله ولا يطئون لا يدوسون موطئا مكانا ما
يغيظ الكفار يغيظهم وطؤه ولا ينالون من عدو
نيلا كالقتل والاسر والنهب الا كتب لهم به عمل صالح
الا استوجبوا به الثواب وذلك مما يوجب الشايعة ان
الله لا يضيع اجر المحسنين على احسانهم وهو تعليل للكتب
وتنبيه على ان الجهاد احسان اما في حق الكفار فلانه
سعي في تكميلهم باقصى ما يمكن كضرب المداوي المجنون
واما في حق المؤمنين فلانه صيانة لهم عن سطوة الكفار
واستيلائهم ولا ينفقون نفقة صغيرة ولو علاقة
ولا كبيرة مثل ما انفق عثمان رضي الله عنه في جيش العسرة
ولا يقطعون وادیا في مسيرهم وهو كل منفرج ينفذ
فيه السيل اسم فاعل من ودى اذا سال فشاع بمعنى الاد
الا كتب لهم اثبت لهم ذلك ليجزيهم الله بذلك احسن
ما كانوا يعملون جزاء احسن اعمالهم او احسن جزاء
اعمالهم وما كان المؤمنون لينفروا كافة وما استقام
لهم ان ينفروا جميعا لنحو غزو وطلب علم كما لا يستقيم
لهم ان يتنبطوا جميعا فانه يخل بامر المعاش فلو لا نفر
من كل فرقة منهم طائفة فهلا نفر من كل جماعة كثيرة كقبيلة
واهل بلدة جماعة قليلة ليتفقهوا في الدين ليتكلفوا
الفقاهة فيه ويتجشموا مشاق تحصيلها ولينذروا قومهم
اذا جعوا اليهم وليجعلوا غاية سعيهم ومعظم غرضهم من
الفقاهة ارشاد القوم وانذارهم وتخصيصه بالذكر لانه
اهم وفيه دليل على ان التفقة والتذكير من فروض الكفاية

ض

وانه ينبغي ان يكون غرض المتكلم فيه ان يستقيم ويقيم لا التزفع
على الناس والتبسط في البلاد لعلهم يحذرون ارادة ان
يحذروا عما ينذرون منه واستدل به على ان اخبار الاحاد
حجة لان عموم كل فرقة يقتضي ان ينفر من كل ثلاثة نفر دوا
بقرية طائفة الى التفقه لينذروا فرقتها كي يتذكروا وهم
يحذروا فلو لم يعتبر الاخبار ما لم يتواتر لم يفد ذلك
وقد اثبت القول فيه تقريرا واعتراضا في كتاب المرصاد
وقيل للاية معنى اخر وهو انه لما نزل في المتخلفين ما نزل
سبق المؤمنون الى التنفير وانقطعوا عن التفقه فامروا
ان ينفر من كل فرقة طائفة للجهاد وتبقى اعقابهم يتفقهون
حتى لا ينقطع التفقه الذي هو الجهاد الاكبر لان الجدال بالحجة
هو الاصل والمقصود من البعثة فيكون الضمير في ليتفقهوا
ولينذروا البواقي الفرق بعد الطوائف النافرة للغزو وفي
رجعوا للطوائف اي وليتذروا البواقي قومهم النافرين
اذا رجعوا اليهم بما حصلوا في ايام غيبتهم من العلوم يا ايها
الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار امروا بقتال
الاقرب منهم فالاقرب كما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم
اولا بانذار عشيرته فان الاقرب احق بالشفقة والاهم
باصلاح وقيل يهود حول المدينة كقريظة والنضير
خيبر وقيل الروم فانهم كانوا يسكنون الشام وهو قريب
من المدينة وليجدوا فيكم غلظة شدة وصبرا على القتال
قرئ بفتح الغين وضمها وهما لغتان فيها واعلموا ان الله
مع المتقين بالحراسة والاعانة واذا انزلت سورة منهم
من المنافقين من يقول انكارا واستهزاء ايكم زادته هذه
السورة ايمانا وقرئ ايكم بالنصب على اضمار فعل يفسره زادته

فاما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا بزيادة العلم الحاصل من
تدبر السورة وانضمام الايمان بها وبما فيها الى ايمانهم
وهم يستبشرون بنزولها لانه سبب لزيادة كمالهم
وارتفاع درجاتهم واما الذين في قلوبهم مرض كفر
فزادتهم رجسا الى رجسهم كفرا بها مضموما الى الكفر
بغيرها وماتوا وهم كافرون واستحكم ذلك فيهم
حتى ماتوا على الكفر ولا يرون انهم يعني المنافقين و
قرئ بالتاء يفتنون يبتلون باصناف البليات كالمرض
والقحط او بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيعاينون ما يظهر عليه من الآيات في كل عام مرة او
مرتين ثم لا يتوبون لا ينتهون ولا يتوبون من نفاقهم
ولا هم يذكرون ولا يعتبرون واذا ما انزلت سورة
نظر بعضهم الى بعض تغامزوا بالعيون انكارا لها وسخرية
او غيظا لما فيها من عيوبهم هل يراكم من احد اي هم
يقولون هل يراكم من احد ان قمتم من حضرة الرسول
فان لم يرهم احد قاموا وان يرهم احد قاموا ثم هم
انصرفوا من حضرته صلى الله عليه وسلم مخافة الفضيحة هم
صرف الله قلوبهم عن الايمان وهو يحتمل الاخبار و
الدعاء بانهم بسبب انهم قوم لا يفقهون لسوء فهمهم هم
او عدم تدبرهم لقد جاءكم رسول من انفسكم من جنسكم
عربي مثلكم وقرئ من انفسكم اي اشرفكم عزيز عليه
شديد شاق ما عنتم عنتكم ولقاكم المكروه حريص عليكم
اي على ايمانكم وصلاح شانكم بالمؤمنين منكم ومن غيركم
رؤف رحيم قدم الابلغ منهما وهو الرؤف لان الرأفة هم
شدة الرحمة محافظة على الفواصل فان تولوا عن الايمان

قهم

بك فقل حسبى الله فانه يكفيك معرتهم ويعينك عليهم
لا اله الا هو كالدليل عليه عليه توكلت فلا ارجو ولا
اخاف الا منه وهو رب العرش العظيم الملك العظيم او
الجسم الاعظم المحيط الذى تنزل منه الاحكام والمقادير
وقرئ بالرفع وعن ابى ان اخر ما نزل هاتان الايتان
وعن النبى صلى الله عليه وسلم ما نزل القران على الا آية
آية وحرفا حرفا ما خلا سورة براءة وقل هو الله احد
فانهما انزلتا علىّ ومعهما سبعون الفى ملك سورة
يونس عليه الصلوة والسلام مكية وهى مائة وتسع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

الر فخمها ابن كثير ونافع وحفص وقراء ورش بين اللفظين
واما لها الباقون اجراء لالف الراء مجرى المنقلبة
من الياء تلك آيات الكتاب الحكيم اشارة الى ما تضمنته السورة
او القران من الآى والمراد من الكتاب احدهما ووصفه
بالحكيم لاشتماله على الحكم او لانه كلام حكيم او محكم اياته
لم ينسخ شئ منها اكان للناس عجبا استفهام انكار
للتعجب وعجبا خبر كان واسمه ان اوحينا وقرئ بالرفع
على ان الامر بالعكس او على ان كان تامة وان اوحينا
بدل من عجبا والام للدلالة على انهم جعلوه اعجوبة لهم
فيوجهون نحوه انكارهم واستهزاءهم الى رجل
منهم من افناء رجالهم دون عظيم من عظمائهم قيل
كانوا يقولون العجب ان الله لم يجد رسولا يرسله الى
الناس الا يتيم ابى طالب وهو من قرأ حماقتهم وقصور
نظرهم على الامور العاجلة وجهلهم بحقيقة الوحى و
النبوة هذا وانه صلى الله عليه وسلم لم يكن يقصر من

عظمائهم فيما يعتبر به فيه الا فى المال وخفة الحال هم
اعون شئ فى هذا الباب ولذلك كان اكثر الانبياء هم
عليهم الصلوة والسلام قبله كذلك وقيل تعجبوا من انه
بعث بشرا رسولا كما سبق ذكره فى سورة الانعام ان
انذر الناس ان هى المفسرة او المخففة من الثقيلة فيكون
فى موقع مفعول اوحينا وبشر الذين آمنوا عم الانذار
اذ قل ما من احد ليس فيه ما ينبغى ان ينذر منه وخصص
البشارة اذ ليس للكفار ما يصح ان يبشروا به ان لهم
قدم صدق عند ربهم سابقة ومنزلة رفيعة سميت هم
قدما لان السبق بها كما سميت النعمة يدا لانها تعطى
باليد واضافتها الى الصدق لتحققها والتنبيه على انهم
انما نالوها بصدق القول والنية قال الكافرون ان
هذا يعنون الكتاب وما جاء الرسول به لسحر مبين و
قرأ ابن كثير والكوفيون لساحر على الاشارة للرسول
صلى الله عليه وسلم وفيه اعتراف بانهم صادقون من الرسول
صلى الله عليه وسلم امور اخارقة للعادة معجزة اياهم
عن المعارضة وقرئ ما هذا الا ساحر مبين ان ربكم الله
الذى خلق السموات والارض التى هى اصول الممكنات
فى ستة ايام ثم استوى على العرش يدبر الامر يقدر
امر الكائنات على ما اقتضته حكمته وسبقت كلمته وهو
يهيئ يحركه اسبابها ويبنى لها منه والتدبير النظر فى
ادبار الامور لتجئ محمودة العاقبة ما من شفيع الا من هم
بعد اذنه تقرير لعظمته وعن جلاله ورد على من زعم
ان آلهتهم تشفع لهم عند الله كه وفيه اثبات الشفاعة
لمن ان له ذلكم الله اى الموصوف بتلك الصفات المقتضية

للالوهية والربوبية ربكم لاغيره اذ لاشاركه احد فى
شئ من ذلك فاعبدوه وحدوه بالعبادة افلا تذكرون
تتفكرون ادنى تفكر فينبهكم على انه المستحق للربوبية
والعبادة لاما تعبدون اليه مرجعكم جميعا بالموت والـ
النشور لا الى غيره فاستعدوا للقائه وعد الله مصدر
مؤكد لنفسه لان قوله اليه مرجعكم وعد من الله حقا مصدر
آخر مؤكد لغيره وهو مادل عليه وعد الله انه يبدؤ الخلق
ثم يعيده بعد جدته واهلاكه ليجزى الذين آمنوا وعملوا
الصالحات بالقسط اى بعدله او بعدلتهم وقيامهم على
العدل القويم كما ان الشرك ظلم عظيم وهو الاوجه لمقابلته
قوله والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما
كانوا يكفرون فان معناه ليجزى الذين كفروا بشراب من
حميم وعذاب اليم بسبب كفرهم لكنه غير النظم للمبالغة فى
استحقاقهم للعقاب والتنبيه على ان المقصود بالذات هو
من الابداء والاعادة هو الاثابة والعقاب واقع بالعرض
وانه تعالى يتولى اثابة المؤمنين بما يليق بلطفه وكرمه وهو
لذلك لم يعينه واما عقاب الكفرة فكانه داء ساقه اليهم
سوء اعتقادهم وشوم افعالهم والآية كالتعليل لقوله
اليه مرجعكم فانه لما كان المقصود من الابداء والاعادة بحا
ة الله المكلفين على اعمالهم كان مرجع الجميع اليه لامحالة وبؤنه
قراءة من قرأ انه يبدء بالفتح اى لانه ويجوز ان يكون مف
منصوبا او مرفوعا بما نصب وعد الله او بما نصب حقا هو
هو الذى جعل الشمس ضياء اى ذات ضياء وهو مصدر
كقيام او جمع ضوء كسياط وسوط والياء فيه منقلبة عن
الواو وعن ابن كثير ضئاء بهمزتين فى كل القرآن على القلب

بتقديم اللام على العين والقمر نورا اى ذات نور وسمى
نورا للمبالغة وهو اعم من الضوء كما عرفت وقيل ما بالذات
ضوء وما بالعرض نور وقد نبه الله تعالى بذلك على انه
خلق الشمس نيرة فى ذاتها والقمر نيرا بفرض مقابلة الشمس
والاكتساء منها وقدره منازل الضمير لكل واحد اى قدر
سير كل واحد منهما منازل او قدره ذا منازل او للقمر
وتخصيصه بالذكر لسرعة سيره ومعاينة منازله واناطة
احكام الشرع به ولذلك علله بقوله لتعلموا عدد السنين و
الحساب وحساب الاوقات من الاشهر والايام فى معا
ملاتكم وتصرفاتكم ما خلق الله ذلك الا بالحق الا ملتبسا
بالحق مراعيا فيه مقتضى الحكمة البالغة نفصل الآيات لقوم
يعلمون فانهم المنتفعون بالتامل فيها وقرأ ابن كثير و
البصريان وحفص يفصل بالياء ان فى اختلاف الليل و
النهار وما خلق الله فى السموات والارض من انواع
الكائنات لآيات على وجود الصانع ووحدته وكمال علمه
وقدرته لقوم يتقون العواقب فانه يحملهم على التفكر و
التذكر ان الذين لا يرجون لقاءنا لا يتوقعونه لانكارهم
للبعث وذهولهم بالمحسوسات عما وراءها ورضوا بالحيوة
الدنيا من الآخرة لغفلتهم عنها واطمانوا بها وسكنوا اليها
مقصرين همهم على لذائذها وزخارفها او سكنوا فيها سكون
من لا يبغى عنها والذين هم عن آياتنا غافلون لا يتفكرون
فيها لانهماكهم فيما يضادها والعطف اما لتغاير الوصفين
والتنبيه على ان الوعيد على الجمع بين الذهول عن الآيات
وارتكاب المناهى فى الشهوات بحيث لا يخطر الآخرة ببالهم
اصلا واما لتغاير الفريقين والمراد بالاولين من انكر البعث

ولم يرالا الحيوة الدنيا وبالاخرين من الهاه حب العاجل
عن التامل فى الآجل والاعداد له اولئك مأواهم النار بما
كانوا يكسبون بما واظبوا عليه وتمرنوا به من المعاصى ان
الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم ه
بسبب ايمانهم الى سلوك سبيل يؤدى الى الجنة او الادراك
الحقائق كما قال صلى الله عليه وسلم من عمل بما علم ورثه الله
علم ما لم يعلم او لما يريدونه فى الجنة ومفهوم الشرتيب
وان دل على ان سبب الهداية هو الايمان والعمل الصالح
لكن دل منطوق قوله بايمانهم على استقلال الايمان بالا
لتسببية وان العمل الصالح كالتتمة والردف له تجرى من
تحتهم الانهار استيناف او خبر ثان او حال من الضمير
المنصوب على المعنى الاخير وقوله فى جنات النعيم خبر او
حال آخر منه او من الانهار او متعلق بتجرى او يهدى
دعواهم فيها اى دعاؤهم سبحانك اللهم اللهم انا نسبحك
تسبيحا وتحيتهم ما يحيى به بعضهم بعضا او تحية الملائكة اياهم
فيها سلام وآخر دعواهم اى دعائهم ان الحمد لله رب العالمين
اى ان يقولوا ذلك ولعل المعنى انهم اذا دخلوا الجنة وعاينوا
عظمة الله وكبريائه مجدوه ونعتوه بنعوت الجلال ثم
حياهم الملائكة بالسلامة عن الآفات والفوز باصناف
الكرامات او الله تعالى بحمدوه واثنوا عليه بصفات الاكرام
وان هى المخففة من الثقيلة وقد قرئ بها ونصب الجلالة
ولو يعجل الله للناس الشر ولو يسرعه اليهم استعجالهم
بالخير وضع موضع تعجيله لهم بالخير اشعارا بسرعة ه
اجابته لهم فى الخير حتى كان استعجالهم به تعجيل لهم بان ه
المراد بالشر استعجلوه كقولهم فامطر علينا حجارة من السماء

وتقدير الكلام ولو يعجل الله للناس الشر تعجيله للخير حين
استعجلوه استعجالا كاستعجالهم بالخير فحذف منه ما حذف
لدلالة الباقى عليه لقضى اليهم اجلهم لاميتوا واهلكوا و
قرأ ابن عامر ويعقوب لقضى على البناء للفاعل وهو الله
تع وقرئ لقضينا فنذر الذين لا يرجون لقاءنا فى طغيانهم
يعمهون عطف على فعل محذوف دلت عليه الشرطية كانه ه
قيل ولكن لا يقضى ولا يعجل فنذرهم امهالا لهم واستدراجا
واذا مس الانسان الضر دعانا لازالته مخلصا فيه لجنبه
ملقا لجنبه او مضطجعا او قاعدا او قائما وفائدة التردد
تعميم الدعاء لجميع الاحوال او لاصناف المضار فلما كشفنا
عنه ضره مر مضى على طريقه واستمر على كفره او مر عن
موقف الدعاء لا يرجع اليه كان لم يدعنا كانه لم يدع
فحذف وحذف ضمير الشان كما قال وتخر مشرق اللون ه
كان ثدياه حقان الى ضر مسه الى كشف ضر كذلك مثل ذلك
التزيين زين للمسرفين ما كانوا يعملون من الانهماك ه
فى الشهوات والاعراض عن العبادات ولقد اهلكنا القرون
من قبلكم يا اهل مكة لما ظلموا حين ظلموا بالتكذيب والتعمل
القوى والجوارح لا على ما ينبغى وجاءتهم رسلهم بالبينات
بالحجج الدالة على صدقهم وهو حال من الواو باضمار قد ه
او تخلف على ظلموا وما كانوا ليؤمنوا وما استقام لهم ان
يؤمنوا لفساد استعدادهم وخذلان الله لهم وعلمه بانهم
يموتون على كفرهم واللام لتاكيد النفى كذلك مثل ذلك ه
الجزاء وهو اهلاكهم بسبب تكذيبهم للرسل واصرارهم
عليه بحيث تحقق انه لا فائدة فى امهالهم نجزى القوم المجرمين
نجزاء كل مجرم او نجزيكم فوضع المظهر موضع الضمير للدلالة

نهم

ن

مين

على كمال جرمهم وانهم اعلام فيه ثم جعلناكم خلائف فى
الارض من بعدهم استخلفناكم فيها بعد القرون التى
اهلكناها استخلاف من يختبر لننظر كيف تعملون اتعملون
خيرا او شرا فنعاملكم على مقتضا اعمالكم وكيف معمول له
يعملون فان معنى الاستفهام عجيب ان يعمل فيه ما قبله وفا
ئدته الدلالة على ان المعتبر فى الجزاء جهات الافعال وكيفيا
تها الاهى من حيث ذاتها ولذلك يحسن الفعل تارة ويقبح
اخرى واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون
لقاءنا يعنى المشركين ائت بقرآن غير هذا بكتاب اخر
نقرءه ليس فيه ما نستبعده من البعث والثواب والعقاب
بعد الموت او ما نكرهه من معائب آلهتنا او بدله بان
تجعل مكان الاية المشتملة على ذلك آية اخرى ولعلهم
سئلوا ذلك كى يسعفهم اليه فيلزموه قل ما يكون لى ما
يصح لى ان ابدله من تلقاء نفسى من قبل نفسى وهو
مصدر استعمل ظرفا وانما اكتفى بالجواب عن التبديل لا
ستلزام امتناعه امتناع الاتيان بقران اخر ان اتبع الا
ما يوحى الى تعليل لما يكون فان المتبع لغيره فى امر لم
يستبد بالتصرف فيه بوجه وجواب للتقض بنسخ بعض
الايات ببعض ورد لما عرضوا له بهذا السؤال من ان القران
كلامه واختراعه ولذلك قيد التبديل فى الجواب ومسماه
عصيانا فقال انى اخاف ان عصيت ربى اى بالتبديل
عذاب يوم عظيم وفيه ايماء بانهم استوجبوا العذاب بهذا
الاقتراح قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا
ادراكم به ولا اعلمكم به على لسانى وعن ابن كثير ولادراكم
وليكم به بلام التاكيد اى لو شاء الله ما تلوته عليكم ولاعلمكم

به على لسان غيرى والمعنى انه الحق الذى لا محيص عنه لو
لم ارسل به لا رسل به غيرى وقرئ ولا ادراكم ولا ادرى
واراكم به بالهمزة فيهما على لغة من يقلب الالف المبدلة
من الياء همزة او على انه من الدرء بمعنى الدفع اى ولا
جعلكم بتلاوته خصماء تدرءونى بالجدال والمعنى ان
الامر بمشيئة الله لا بمشيئتى حتى اجعله على نحو ما تشتهونه
ثم قرر ذلك بقوله فقد لبثت فيكم عمرا مقدار عمر اربعين
سنة من قبله من قبل القران لا اتلوه ولا اعلمه فانه اشارة
الى ان القران معجز خارق للعادة فان من عاش بين
اظهرهم اربعين سنة لم يمارس فيها علما ولم يشاهد عالما
ولم ينشئ قريضا ولا خطبة ثم قرأ عليهم كتابا بلغ
فصاحته فصاحة كل منطيق وعلى كل منثور ومنظوم
واحتوى على قواعد على الاصول والفروع واعرب عن
اقاصيص الاولين واحاديث الاخرين على ما هى عليه
علم انه معلم به من الله افلا تعقلون تستعملون عقولكم
بالتدبر والتفكر لتعلموا انه ليس الا من الله فمن اظلم
ممن افترى على الله كذبا تفادما اضافوه اليه كناية او
تظليم للمشركين بافترائهم على الله بقولهم انه له
شريك وذو ولد او كذب بآياته فكف بها انه لا يفلح
المجرمون ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا
ينفعهم لانه جماد لا يقدر على نفع ولا ضر والمعبود
ينبغى ان يكون مثيبا ومعاقبا حتى تعود عبادته بجلب
نفع او دفع ضر ويقولون هؤلاء الاوثان شفعاؤنا
عند الله تشفع لنا فيما يهمنا من امور الدنيا او فى الاخرة
ان يكن بعث وكانهم كانوا شاكين فيه وهذا من فرط

جهالتهم حيث تركوا عبادة الموجد الضار النافع الى عبادة
ما يعلم قطعا انه لا يضر ولا ينفع على توهم انه ربما يشفع
لهم عنده قل اتنبئون الله استفهام توبيخ ونبه بما لا يعلم وهو
ان له شريكا وفيه تقريع وتهكم بهم او هو والاه شفعاء
عنده وما لا يعلمه العالم بجميع المعلومات لا يكون له
تحقق ما في السموات ولا في الارض حال من العائد
المحذوف مؤكدة للنفي منبهة على ان ما يعبدون من
دونه اما سماوي او ارضي ولا شيء فيهما من الموجودات
الا وهو حادث مقهور منلهم لا يليق ان يشرك به
سبحانه وتعالى عما يشركون عن اشراكهم او عن الشركاء
الذين هم يشركون هم به وقراء حمزة والكسائي هنا وفي
الموضعين في اول النحل والروم بالتاء وما كان الناس
الا امة واحدة موجودتين على الفطرة او متفقين على
الحق وذلك في عهد آدم عليه السلام الى قتل قابيل هابيل
او بعد الطوفان او على الضلال في فترة من الرسل فاختلفوا
باتباع الهوى والاباطيل او ببعثة الرسل فتبعتهم طائفة و
اصرت اخرى ولولا كلمة سبقت من ربك بتأخير الحكم بينهم
او العذاب الفاصل بينهم الى يوم القيمة فانه يوم الفصل والجزاء
لقضي بينهم عاجلا فيما فيه يختلفون باهلاك المبطل و
ابقاء المحق ويقولون لولا انزل عليه آية من ربه اي من
الايات التي اقترحوها فقل انما الغيب لله هو المختص بعلمه
فلعله يعلم في انزال الايات المقترحة من مفاسد تصرف
عن انزالها فانتظروا لنزول ما اقترحتموه اني معكم من
المنتظرين لما يفعل الله بكم بجحودكم ما نزل علي من الايات
العظام واقتراحكم غيره واذا اذقنا الناس رحمة صحة

وسعة من بعد ضراء مستهم كقحط ومرض اذا لهم مكر في
آياتنا بالطعن فيها والاحتيال في دفعها قيل قحط مكة
سبع سنين حتى كادوا يهلكون ثم رحمهم بالحيا فطفقوا
يقدحون في ايات الله ويكيدون رسوله صلى الله عليه و
سلم قل الله اسرع مكرا منكم قد بتر عقابكم قبل ان تدبروا
كيدكم وانما دل على سرعتهم المفضل عليها كلمة المفاجاة
الواقعة جوابا لاذا الشرطية والمكر اخفاء الكيد وهو من
الله تعالى اما الاستدراج او الجزاء على المكر ان رسلنا يكتبون
ما تمكرون تحقيق للانتقام وتنبيه على ان ما دبروا في اخفائه
لم يخل على الحفظة فضلا ان يخفى على الله وعن يعقوب
بالياء ليوافق ما قبله هو الذي يسيركم يحملكم على السير
ويمكنكم منه في البر والبحر حتى اذا كنتم في الفلك في السفن
وجرين بهم بمن فيها عدل عن الخطاب الى الغيبة للمبالغة كانه
تذكرة لغيرهم ليتعجب من حالهم ويذكر عليهم بريح طيبة
لينة الهبوب وفرحوا بها بتلك الريح جاءتها جواب اذا
والضمير للفلك او للريح الطيبة بمعنى تلقتها ريح عاصف
ذات عصف شديدة الهبوب وجاءهم الموج من كل مكان
يجيء منه وظنوا انهم احيط بهم اهلكوا او سدت عليهم
مسالك الخلاص كمن احاط به العدو ودعوا الله مخلصين له
الدين من غير اشراك لترجع الفطرة وزوال المعارض من
شدة الخوف وهو يدل من ظنوا بدل الاشتمال لان دعاءهم
هم من لوازم ظنهم لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكر
على ارادة القول او مفعول دعوا لانه من جملة القول فلما
انجاهم اجابة لدعائهم اذا هم يبغون في الارض فاجؤا
الفساد فيها وسارعوا الى ما كانوا عليه بغير الحق مبطلين فيه

ين

وهو اعتراف عن تخريب المسلمين ديار الكفرة واحراق
زروعهم وقلع اشجارهم فانها افساد بحق يا ايها الناس
انما بغيكم على انفسكم فان وباله عليكم او انه على امثالكم وابناء
جنسكم متاع الحيوة الدنيا منفعة الحيوة الدنيا لا تبقى ويبقى
عقابها ورفعه على انه خبر بغيكم وعلى انفسكم صلته او خبر
محذوف تقديره ذلك متاع الحيوة الدنيا وعلى انفسكم خبره
بغيكم ونصبه حفص على انه مصدر مؤكد اى تتمتعون
متاع الحيوة الدنيا او مفعول البغى لانه بمعنى الطلب فيكون
الجار من صلته والخبر محذوف اى بغيكم متاع الحيوة
الدنيا محذور او ضلال او مفعول افعل دل عليه البغى و
على انفسكم خبر ثم الينا مرجعكم فى القيمة فننبئكم بما كنتم
تعملون بالجزاء عليه انما مثل الحيوة الدنيا حالها العجيبة
فى سرعة تقضيها وذهاب نعيمها بعد اقبالها واغتراره
الناس بها كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض
فاشتبه بسببه حتى خالط بعضه بعضا مما يأكل الناس و
الانعام من الزروع والبقول والحشيش حتى اذا اخذت
الارض زخرفها وازينت تزينت باصناف النبات واللون
شكالها والوانها المختلفة كعروس اخذت من الوان الثياب
والزين فتزينت بها وازينت اصلها تزينت فادغم و
قد قرئ على الاصل وازينت على افعلت من غير اعلال
كاعيلت والمعنى صارت ذات زينة وازيانت كابياضت
وظن اهلها انهم قادرون عليها مستمكنون من حصدها
ورفع غلتها اتيها امرنا ضرب زرعها ما يحتاجه ليلا او نهارا
فجعلناها حصيدا شبيها بما حصد من اصله كان لم
تغن كان لم تغن زرعها اى لم تنبت والمضاف محذوف

فجعلناها

فى الموضعين للمبالغة وقرئ بالياء على الاصل بالامس فيما قبيل
وهو مثل فى الوقت القريب والممثل به مضمون الحكاية وهو
زوال حضرة النبات فجائة وذهابه حطاما بعد ما كان
غضا والتف وزين الارض حتى طمع فيه اهله فظنوا انه قد
سلم من الجوائح لا الماء وان وليه حرف التشبيه لانه من التشبيه
المركب كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون فانهم المنتفعون
به والله يدعوا الى دار السلام دار السلامة من التقضى والآ
فة
او دار الله ع وتخصيص هذا الاسم ايضا للتنبيه على ذلك او
دار يسلم الله والملائكة فيها على من يدخلها والمراد الجنة
ويهدى من يشاء بالتوفيق الى صراط مستقيم هو طريقها و
ذلك الاسلام والتدرع بلباس التقوى وفى تعميم الدعوة
وتخصيص الهداية بالمشيئة دليل على ان الامر غير الارادة
وان المصر على الضلالة لم يرد الله رشده للذين احسنوا
الحسنى المثوبة الحسنى وزيادة وما يزيد على المثوبة تفضلا
دة
لقوله ويزيدهم من فضله وقيل الحسنى مثل حسناتهم والزيا
عشر امثالها الى سبعمائة ضعف واكثر وقيل الزيادة مغفرة
من الله ورضوان وقيل الحسنى الجنة والزيادة اللقاء ولا يرهق
وجوههم اى لا يغشاها قتر وغبرة فيها سواد اولئك اصحاب
الجنة هم فيها خالدون دائمون لا زوال فيها ولا انقراض
لنعيمها بخلاف الدنيا وزخارفها والذين كسبوا السيئات جزاء
ان
سيئة بمثلها عطف على قوله للذين احسنوا على مذهب من يجوز
فى الدار زيد والحجرة عمرو او الذين مبتدا والخبر جزاء سيئة
على تقدير وجزاء الذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها اى
ان يجازى سيئة بسيئة مثلها لا يزاد عليها وفيه تنبيه على
ان الزيادة هى الفضل او التضعيف او كانما اغشيت اولئك

اصحاب النار وما بينهما اعتراض فجزاء سيئة مبتدا خبره محذوف
اى فجزاء سيئة بمثلها واقع او بمثلها على زيادة الباء او
تقديره مقدر بمثلها وترهقهم ذلة وقد قرئ بالياء
مالهم من الله من عاصم من احد يعصمهم من سخط الله
او من جهة الله ومن عنده كما يكون للمؤمنين كأنما اغشيت
وجوههم قطعا من الليل مظلما لفرط سوادها وظلمتها او
مظلما حال من الليل والعامل فيه اغشيت لانه العامل في
قطعا وهو موصوف بالجار والمجرور والعامل في الموصوف
عامل في الصفة او معنى الفعل في من الليل وقراء ابن كثير
والكسائي ويعقوب قطعا بالسكون وعلى هذا يصح ان يكون
مظلما صفة له او حالا منه اولئك اصحاب النار هم فيها
خالدون مما يحتج به الوعيدية والجواب ان الآية في الكفار
لاشتمال السيئات على الكفر والشرك ولان الذين احسنوا
يتناول اصحاب الكبيرة من اهل القبلة فلا يتناولهم قطعا
ويوم نحشرهم جميعا يعني الفريقين جميعا ثم نقول للذين
اشركوا مكانكم الزموا مكانكم حتى تنظروا ما يفعل بكم انتم
تاكيد للضمير المنتقل اليه من عامله وشركاؤكم عطف عليه وفصل
بالنصب على المفعول معه فزيلنا بينهم ففرقنا وقطعنا الوصل
التي كانت بينهم وقال شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون مجاز
عن براءة ما عبدوه من عبادتهم فانهم انما عبدوا في الحقيقة
اهواءهم لانها الآمرة بالاشراك لا ما اشركوا به وقيل ينطقها
الله الاصنام فتشافههم بذلك مكان الشفاعة التي يتوقعون
منها وقيل المراد بالشركاء الملائكة والمسيح وقيل الشياطين فكفى
بالله شهيدا بيننا وبينكم فانه العالم بكنه الحال ان كنا عن عبادتكم
لغافلين ان هي المخففة الثقيلة واللام هي الفارقة

في ذلك المقام تبلو كل نفس ما اسلفت تختبر ما قدمت
من عمل فتعاين نفعه وضره وقراء حمزة والكسائي تتلو
من التلاوة اى تقرأ ذكر ما قدمت او من التلو اى تتبع
عمله فيقوده الى الجنة او الى النار وقرئ نبلو بالنون و
نصب كل وابدال ما منه والمعنى نختبرها اى نفعل بها فعل
المختبر حالها المتعرف بسعادتها وشقاوتها بتعرف
ما اسلفت من اعمالها ويجوز ان يراد نصيب بالبلاء
اى العذاب كل نفس عاصية بسبب ما اسلفت من الشر
فتكون ما منصوبة بنزع الخافض ورددوا الى الله الحق اياهم
بما اسلفوا مولاهم الحق ربهم ومتولى امورهم
على الحقيقة لا ما اتخذوه مولى وقرئ الحق بالنصب على
المدح او المصدر المؤكد وضل عنهم وضاع عنهم ما كانوا
يفترون من ان آلهتهم تشفع لهم او ما كانوا يدعون
انها آلهتهم قل من يرزقكم من السماء والارض منهما جميعا
فان الارزاق تحصل باسباب سماوية ومواد ارضية او من
كل واحد منهما توسعة عليكم وقيل من لبيان من على حذف المضاف
اى من اهل السماء والارض ام من يملك السمع والابصار ام من
يستطيع خلقهما وتسويتهما او من يحفظها من الافات مع
كثرتها وسرعة انفعالها من ادنى شيء ومن يخرج الحي من
الميت ويخرج الميت من الحي ومن يحيي ويميت او من ينشئ
الحيوان من النطفة والنطفة منه ومن يدبر الامر ومن يلي
تدبير امر العالم وهو تعميم بعد تخصيص فسيقولون الله اذ لا
يقدرون من المكابرة والعناد في ذلك لفرط وضوحه فقل
افلا تتقون انفسكم عقابه باشراككم اياه ما لا يشاركه في شيء
من ذلك فذلكم الله ربكم الحق اى المتولى لهذه الامور

ف

المستحق للعبادة هو ربكم الثابت ربوبيته لانه الذى انشأكم
واحياكم ورزقكم ودبر امركم فماذا بعد الحق الا الضلال
استفهام انكار اى ليس بعد الحق الا الضلال فمن تخطى الحق
الذى هو عبادة الله وقع فى الضلال فانا تصرفون من
الحق الى الضلال كذلك حقت كلمة ربك اى كما حقت الربوبية
لله او ان الحق بعده الضلال او انهم مصروفون على الحق
حقت كلمة الله وحكمه وقرأ نافع وابن عامر كلمات هنا وفى اخر
سورة غافر على الذين فسقوا تمردوا فى كفرهم وخرجوا عن
حد الاستصلاح انهم لا يؤمنون بدل من الكلمة او تعليل لحقيتها
والمراد بها العدة بالعذاب قل هل من شركائكم من يبدؤا الخلق
ثم يعيده جعل الاعادة كالابداء فى الالزام بها لظهور برهانها
وان لم يساعدوا عليها ولذلك امر الرسول صلى الله عليه
وسلم بان ينوب عنهم فى الجواب فقال قل الله يبدؤا الخلق ثم
يعيده لان لجاجهم لا يدعهم ان يعترفوا بها فانى تؤفكون
تصرفون عن قصد السبيل قل هل من شركائكم من يهدى الى
الحق بنصب الحجج وارسال الرسل والتوفيق للنظر والتدبر و
هدى كما يهدى بالى لتضمنه معنى الانتهاء يعدى باللام للدلالة
على ان المنتهى غاية الهداية وانها لم تتوجه نحوه على سبيل الا
تفاق ولذلك عدى بها ما اسند الى الله قل الله يهدى للحق
افمن يهدى الى الحق احق ان يتبع امن لا يهدى الا ان يهدى
ام الذى لا يهتدى الا ان يهدى من قولهم هدى بنفسه اذا اهتدى
او لا يهدى غيره الا ان يهديه الله وهذا حال اشراف
شركائهم كالملائكة والمسيح وعزير وقرأ ابن كثير وورش
عن نافع وابن عامر يهدى بفتح الهاء وتشديد الدال ويعقوب
وحفص بالكسر والتشديد والاصل يهتدى فادغم وفتح الهاء

لحركة التاء او كسرت لالتقاء الساكنين وروى ابو بكر يهدى
باتباع الياء الهاء وقرأ ابو عمرو بالادغام المجرد ولم يبال
بالتقاء الساكنين لان المدغم فى حكم المتحرك وعن نافع
منله وقرئ الا ان يهدى على المبالغة فما لكم كيف تحكمون
بما يقتضى صريح العقل بطلانه وما يتبع اكثرهم فيما يعتقدون
الا ظنا مستندا الى خيالات فارغة واقيسة فاسدة كقياس
الغائب على الشاهد والخالق على المخلوق وبادنى مشاركة
موهومة والمراد بالاكثر الجميع او من ينتهى منهم الى تمييز و
نظر ولا يرضى بالتقليد الصرف ان الظن لا يغنى من الحق
من العلم والاعتقاد الحق شيئا من الاغناء ويجوز ان يكون
مفعولا به ومن الحق حالا منه وفيه دليل على ان تحصيل العلم
فى الاصول واجب والاكتفاء بالتقليد والظن غير جائز
ان الله عليم بما يفعلون وعيد على اتباعهم واعراضهم عن
البرهان وما كان هذا القرآن ان يفترى من دون الله
افتراء من الحق ولكن تصديق الذى بين يديه مطابق لما
تقدمه من الكتب الالهية المشهود على صدقها ولا يكون
كذبا كيف وهو لكونه معجزا دونها عيار عليها شاهد على صحتها
ونصبه بانه خبر لكان مقدرا او علة لفعل محذوف تقديره
لكن انزله الله تصديق الذى وقرئ بالرفع على تقدير ولكن
هو تصديق وتفصيل الكتاب وتفصيل ما خلق واثبت من
العقائد والشرايع لا ريب فيه متنفيا عنه الريب وهو خبر
ثالث داخل فى حكم الاستدراك ويجوز ان يكون حالا من
الكتاب فانه مفعول فى المعنى وان يكون استئنافا من رب
العالمين خبر اخر تقديره كائنا من رب العالمين او متعلق
بتصديق او تفصيل ولا ريب فيه اعتراض او بالفعل المعلل

بهما ويجوز ان يكون حالا من الكتاب او الضمير في فيه و
مساق الاية بعد المنع عن اتباع الظن لبيان ما يجب اتباعه
والبرهان عليه ام يقولون بل ايقولون افتراه محمد وهم
معنى الهمزة فيه للانكار قل فاتوا بسورة مثلي في البلاغة و
حسن النظم وقوة المعنى على وجه الافتراء فانكم مثلي في هم
العربية والفصاحة واشد تمرنا في النظم والعبارة وادعوا
من استطعتم ومع ذلك فاستعينوا ممن امكنكم ان تستعينوا به
من دون الله كسوى الله ان فانه وحده قادر على ذلك ان كنتم
صادقين انه اختلقه بل كذبوا بل سارعوا الى التكذيب بما لم
يحيطوا بعلمه بالقرآن اول ما سمعوه قبل ان يتدبروا اياته
ويحيطوا بالعلم بشانه او بما جهلوه ولم يحيطوا به علما من
ذكر البعث والجزاء وسائر ما يخالف دينهم ولما يأتهم هم
تأويله ولم يقفوا بعد على تأويله ولم تبلغ اذهانهم معانيه
اولم يأتهم بعد تأويل ما فيه من الاخبار بالغيوب حتى هم
تتبين لهم انه صدق ام كذب والمعنى ان القرآن معجز من جهة
اللفظ والمعنى ثم انهم فاجئوا تكذيبه قبل ان يتدبروا نظمه
ويتفحصوا معناه ومعنا التوقع في لما انه ظهر لهم بالآخرة
اعجازه لما كرر عليهم التحدي فرازوا قواهم في معارضته
فتضاءلت دونها او لما شاهدوا وقوع ما اخبر به طبقا
الاخباره مرارا فلم يقلعوا عن التكذيب تمردا وعنادا كذلك
كذب الذين من قبلهم انبياءهم فانظر كيف كان عاقبة
الظالمين فيه وعيد لهم بمثل ما عوقب به من قبلهم ومنهم
ومن المكذبين من يؤمن به من يصدق به في نفسه ويعلم
انه حق ولكن يعاند او من سيؤمن به ويتوب عن كفره
ومنهم من لا يؤمن به في نفسه لفرط عناده وقلة تدبره او

فيما يستقبل بل يموت على الكفر وربك اعلم بالمفسدين
بالمعاندين او بالمصرين وان كذبوك وان اصروا على
تكذيبك بعد الزام الحجة فقل لي عملي ولكم عملكم فتبرؤا هم
منهم فقد اعذرت والمعنى لا جزاء عملكم حقا او باطلا انتم
بريؤن مما اعمل وانا بريء مما تعملون لا نؤاخذ بعملي
ولا اواخذ بعملكم ولما فيه من ايهام الاعراض عنهم وتخلية
سبيلهم قيل انه منسوخ بآية السيف ومنهم من يستمعون اليك
اذا قرأت القرآن وعلمت الشرايع ولكن لا يقبلون كما
الاصم الذي لا يسمع اصلا فانت تسمع الصم تقدر على اسما عهم
ولو كانوا لا يعقلون ولو انضم الى صممهم عدم تعقلهم و
فيه تنبيه على ان حقيقة استماع الكلام فهم المعنى المقصود
منه ولذلك لا يوصف به البهائم وهو لا يتأتى الا باستعمال
العقل السليم في تدبره وعقولهم لما كانت مؤفة بمعارضة
الوهم ومشايعة الالف والتقليد تعذر افهامهم الحكم وهم
المعاني الدقيقة فلم ينتفعوا بورد الالفاظ عليهم غير ما
ينتفع به البهائم من كلام الناعق ومنهم من ينظر اليك هم
ويعاينون دلائل نبوتك ولكن لا يصدقون افانت تهدي
العمي تقدر على هدايتهم ولو كانوا لا يبصرون وان انضم
الى عدم البصر عدم البصيرة فان المقصود من الابصار
هو الاعتبار والاستبصار والعمدة في ذلك البصيرة وهم
لذلك يحدس الاعمى المستبصر ويتفطن لما لا يدركه البصير
الاحمق والآية كالتعليل للامر بالتبري والاعراض عنهم هم
ان الله لا يظلم الناس شيئا بسلب حواسهم وعقولهم هم
ولكن الناس انفسهم يظلمون بافسادها وتعويدها منا
فسها عليها وفيه دليل على ان للعبد كسبا وانه ليس مسلوب

الاختيار بالكلية كما زعمت الجبرية ويجوز ان يكون وعيدا
لهم بمعنى ان ما يحيق بهم يوم القيمة من العذاب عدل من
الله لا يظلمهم به ولكنهم ظلموا انفسهم باقتراف اسبابه
ويوم نحشرهم كأن لم يلبثوا الا ساعة من النهار يستقصرون
مدة لبثهم في الدنيا او في القبور لهول ما يرون والجملة
التشبيهية في موقع الحال اى نحشرهم مشبهين بمن لم يلبث
الا ساعة او صفة ليوم والعائد محذوف وتقديره كأن لم
يلبثوا قبله او المصدر محذوف اى حشرا كان لم يلبثوا قبله
يتعارفون بينهم يعرف بعضهم بعضا كانهم لم يتعارفوا الا
قليلا وهذا اول ما ينشرون ثم يقطع التعارف لشدة الامر عليهم
وهو حال اخرى مقدرة او بيان لقوله كان لم يلبثوا او متعلق
الظرف والتقدير يتعارفون يوم نحشرهم قد خسر الذين
كذبوا بلقاء الله للشهادة على خسرانهم والتعجب منه ويجوز
ان يكون حالا من الضمير في يتعارفون على ارادة القول وما
كانوا مهتدين لطرق استعمال ما منحوا من المعاون في تحصيل
المعارف فاستكبروا بها لجهالات ادت بهم الى الرد والعذاب
الدائم وامانرينك نبصرنك بعض الذي نعدهم من العذاب
في حياتك كما اراه يوم بدر او نتوفينك قبل ان نريك هم
فالينا مرجعهم فنريكه في الآخرة وهو جواب نتوفينك وجواب
نرينك محذوف مثل فذاك ثم الله شهيد على ما يفعلون هم
مجاز عليه ذكر الشهادة واراد نتيجتها ومقتضاها ولذلك
رتبها على الرجوع بثم او مؤد شهادته على افعالهم يوم القيمة
ولكل امة من الامم الماضية رسول يبعث اليهم ليدعوهم

الى الحق فاذا جاء رسولهم بالبينات فكذبوه قضى بينهم بين
الرسول صلى الله عليه وسلم ومكذبيه بالقسط بالعدل فانجى
الرسول صلى الله عليه وسلم واهلك المكذبون وهم لا يظلمون
وقيل معناه لكل امة يوم القيمة رسول تنسب اليه فاذا جاء هم
رسولهم الموقف ليشهد عليهم بالكفر والايمان قضى بينهم
فانجاء المؤمنين وعقاب الكافرين لقوله وجئ بالنبيين و
الشهداء وقضى بينهم ويقولون متى هذا الوعد استبعادا له
واستهزاء به ان كنتم صادقين خطاب منهم للنبي صلى الله عليه
وسلم والمؤمنين قل لا املك لنفسي ضرا ولا نفعا فكيف املك
لكم فاستعجل في جلب العذاب اليكم الا ما شاء الله ان املكه
او ولكن ما شاء الله من ذلك كائن لكل امة اجل مضروب
لهلاكهم اذا جاء اجلهم فلا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون
لا يتاخرون ولا يتقدمون فلا تستعجلوه فسيجيئكم وقتكم و
ينجز وعدكم قل ارايتم ان اتيكم عذابه الذي تستعجلون منه
بياتا وقت بيات واشتغال بالنوم او نهارا حين كنتم هم
مشتغلين بطلب معاشكم ماذا يستعجل منه المجرمون اى شئ
من العذاب يستعجلونه وكلمة مكروه لا يلائم الاستعجال وهو
متعلق بارايتم لانه بمعنى اخبروني والمجرمون وضع موضع
الضمير للدلالة على انهم لجرمهم ينبغي ان يفزعوا من مجيء هم
الوعيد لا ان يستعجلوه وجواب الشرط محذوف وهو تندموا
على الاستعجال او تعرفوا خطاءه ويجوز ان يكون الجواب
ماذا كقولك ان اتيتك ماذا تعطيني وتكون الجملة متعلقة
بارايتم او بقوله اثم اذا ما وقع آمنتم به بمعنى ان اتيكم
عذابه آمنتم به بعد وقوعه حين لا ينفعكم الايمان وماذا
يستعجل اعتراض ودخول حرف الاستفهام على ثم للانكار

التاخير الآن على ارادة القول اى قيل لهم اذا آمنتم بعد
وقوع العذاب الآن آمنتم به وعن نافع الان بحذف الهمزة
والقاء حركتها على اللام وقد كنتم به تستعجلون تكذيبا وه
استهزاء ثم قيل للذين ظلموا عطف على المقدر ذوقوا
عذاب الخلد الموالم على الدوام هل تجزون الا ما كنتم
تكسبون من الكفر والمعاصى ويستنبئونك ويستخبرونك
احق هو احق ما تقول من الوعد وادعاء النبوة تقوله
بجدام باطل تهزل به قاله حيى ابن اخطب لما قدم مكة
والاظهر ان الاستفهام فيه على اصله لقوله ويستنبئونك وقيل
انه للانكار ويؤيده انه قرئ الحق هو فان فيه تعريضا بانه
باطل واحق مبتدا والضمير مرتفع به ساد مسد الخبر
او خبر مقدم والجملة فى موقع النصب بيستنبئونك قل
اى وربى انه لحق ان العذاب لكائن او ما ادعيته لثابت
وقيل كلا الضميرين للقرآن واى بمعنى نعم وهو من لوازم
القسم ولذلك يوصل بواوه فى التصديق يقال اى والله و
لا يقال اى وحده وما انتم بمعجزين فائتين العذاب ولو
ان لكل نفس ظلمت بالشرك او التعدى على الغير ما فى
الارض من خزائنها واموالها لافتدت به لجعلته
فدية لها من العذاب من قولهم افتداه بمعنى فداه وه
اسروا الندامة لما راوا العذاب لانهم بهتوا بما عاينوا
مما لم يحتسبوه من فظاعة الامر وهوله فلم يقدروا ان
ينطقوا وقيل اسروا الندامة اخلصوها لان اخفاءها
اخلاصها او لانه يقال سر الشئ خالصته من حيث انها
تخفى ويضمن بها وقيل اظهروها من قولهم سر الشئ ه
واسره اذا اظهره وقضى بينهم بالقسط وهم لا يظلمون

ليس تكريرا لان الاول قضاء بين الانبياء ومكذبيهم والثانى
بجازاة المشركين على الشرك او الحكومة بين الظالمين والمظلو
والضمير انما يتناولهم لدلالة الظلم عليهم الا ان لله ما
فى السموات والارض تقرير لقدرته على الاثابة و
العقاب الا ان وعد الله حق ما وعده من الثواب والعقاب
كائن لا خلف فيه ولكن اكثرهم لا يعلمون لانهم لا يعلمون
لقصور عقلهم الا ظاهرا من الحيوة الدنيا هو يحيى ويميت
فى الدنيا فهو يقدر عليها فى العقبى لان القادر لذاته لا
تزول قدرته والمادة القابلة للحيوة والموت قابلة لهما ابدا
واليه ترجعون بالموت والنشور يا ايها الناس قد جاءتكم
موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة ه
للمؤمنين اى جاءتكم كتاب جامع للحكمة العلمية الكاشفة عن
محاسن الاعمال ومقابحها والمرغبة فى المحاسن والزاجرة عن ه
القبائح والحكمة النظرية التى هى شفاء لما فى الصدور من الشكوك
وسوء الاعتقاد وهدى الى الحق واليقين ورحمة للمؤمنين حيث
انزل عليهم فنجوا بها من ظلمات الضلال الى نور الايمان وتبد
مقاعدهم من طبقات النيران بمصاعد من درجات الجنان و
التنكير فيها للتعظيم قل بفضل الله وبرحمته بانزال القرآن والباء
متعلقة بفعل يفسره قوله فبذلك فليفرحوا فان اسم الاشارة
بمنزلة الضمير تقديره بفضل الله وبرحمته فليعتنوا او فليفرحوا
فبذلك فليفرحوا وفائدة ذلك التكرير التاكيد والبيان بعد الا
جمال وايجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح او بالفعل دل
عليه قد جاءتكم وذلك اشارة الى مصدره اى فبمجيئها فليفرحوا
او الفاء بمعنى الشرط كانه قيل ان فرحوا بشئ فبهما ليفرحوا او
للربط بما قبلها والدلالة على ان مجئ الكتاب الجامع بين هذه

مين

لت

الصفات موجب للفرح وتكريرها للتاكيد كقوله واذا هلكت ه
فعند ذلك فاجئ عنى وعن يعقوب فلتفرحوا بالتاء على الامر
صل المرفوض وقد روى مرفوعا ويؤيده انه قرئ فافرحوا
هو خير مما يجمعون من حطام الدنيا فانها الى الزوال وهو
ضمير ذلك وقراء ابن عامر تجمعون على معنى فبذلك فليفرح ه
المؤمنون فهو خير مما تجمعونه انها المخاطبون قل ارايتم
ما انزل الله لكم من رزق جعل الرزق منزلا لانه مقدر في
السماء محصل باسباب منها وما في موقع النصب بانزل او ارايتم
فانه بمعنى اخبروني ولكم دل على ان المراد منه ملحل ولذلك و
بخ على التبعيض فقال فجعلتم منه حراما وحلالا مثل هذه انعام وحرث
حجر ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ويحرم على ازواجنا
قل الله اذن لكم في التحريم والتحليل فتقولون ذلك بحكمه ام على
الله تفترون في نسبة ذلك اليه ويجوز ان تكون المنفصلة ه
متصلة بارايتم وقل مكرر للتاكيد وان يكون الاستفهام ه
للانكار وام منقطعة ومعنى الهمزة فيها تقرير لافترائهم على
الله كه وما ظن الذين يفترون على الله الكذب اى شيء ظنهم
يوم القيمة ايحسبون ان لا يجازوا عليه وهو منصوب بالظن
ويدل عليه انه قرئ بلفظ الماضي لانه كائن وفي ايهام الوعيد
تهديد عظيم ان الله لذو فضل على الناس حيث انعم عليهم باه
لعقل وهداهم بارسال الرسل وانزال الكتب ولكن اكثرهم
لا يشكرون هذه النعمة وما تكون في شان ولا تكون في امر واصله
الهمزة من شأنت شأنه اذا قصدت قصده والضمير في وما تتلوا
منه لله لان تلاوة القرآن العظيم مع عظم شان الرسول صلى الله
عليه وسلم او لان القراءة تكون كشان فيكون التقدير من اجله و
مفعول تتلوا من قرآن على ان من تبعيضية او مزيدة لتاكيد النفي

او للقرآن واضماره قبل الذكر ثم بيانه تفخيم له او لله ه
ولا تعملون من عمل تعميم للخطاب بعد تخصيصه بمن هو
راس سهم ولذلك ذكر حيث خص ما فيه فخامة وذكر حيث
عم ما يتنا ول الجليل والحقير الا كنا عليكم شهودا رقباء
مطلعين عليه اذ تفيضون فيه تخوضون فيه وتندفعون
وما يعزب عن ربك ولا يبعد عنه ولا يغيب عن علمه و
قراء الكسائي بكسر الزاء من مثقال ذرة تزاد من ثقل صغيرة
او هباء في الارض ولا في السماء اى في الوجود والامكان ه
فان العامة لا تعرف ممكنا غيرهما ليس فيهما ولا متعلقا بهما
وتقديم الارض لان الكلام في حال اهلها والمقصود منه ه
البرهان على احاطة علمه بهما ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا
في كتاب مبين كلام برأسه مقرر لما قبله ولا نافية واصغر
اسمها وفي كتاب خبرها وقراء حمزة بالرفع على الابتداء وه
الخبر ومن عطف على لفظة مثقال ذرة وجعل الفتح بدل ه
الكسر لامتناع الصرف او على محله مع الجر ان جعل الاستثناء منقطعا
والمراد بالكتاب اللوح المحفوظ الا اولياء الله الذين يتولونه ه
بالطاعة ويتولاهم بالكرامة لا خوف عليهم من لحوق مكروه
ولا هم يحزنون بفوات محبوب والآية كالمجمل فسره قوله الذين
آمنوا وكانوا يتقون وقيل الذين آمنوا وكانوا يتقون بيان
لتولهم ربهم لهم البشرى في الحياة الدنيا وهو ما بشر به المتقين
في كتابه وعلى لسان نبيه صلى الله عليه وسلم وما يريهم في ه
الرؤيا الصالحة وما يسخ لهم من المكاشفات وبشرى الملائكة
عند النزع وفي الآخرة يتلقى الملائكة اياهم مسلمين مبشرين
بالفوز والكرامة بيان لتولية لهم ومحل الذين آمنوا النصب
او الرفع على المدح او على وصف الاولياء او على الابتداء وه

٧ ان صح

خبره لهم البشرى لاتبديل لكلمات الله لاتغيير لاقواله ولا
اخلاف لمواعيده ذلك اشارة الى كونهم مبشرين فى الدارين
هو الفوز العظيم هذه الجملة والتى قبلها اعتراض لتحقيق
المبشر به وتعظيم شانه وليس من شرطه ان يقع بعده كلام
متصل بما قبله ولايحزنك قولهم اشراكهم وتكذيبهم وتهديدهم
وقراءة نافع يحزنك من احزن وكلاهما بمعنى واحد ان العزة
لله جميعا استيناف بمعنى التعليل ويدل عليه القراءة بالفتح كانه قيل
لاتحزن بقولهم ولاتبال بهم لان الغلبة لله جميعا لايملك غيره
شيئا منها فهو يقهرهم وينصرك عليهم هو السميع لاقوالهم العليم
بعزائمهم فيكافيهم عليها الا ان لله من فى السموات ومن فى
الارض من الملائكة والثقلين واذا كان هؤلاء الذين هم اشرف
الممكنات عبيدا لايصلح احد منهم للربوبية فما لايعقل منها احق
ان لايكون لله ندا وشريكا فهو كالدليل على قوله وما يتبع الذين
يدعون من دون الله شركاء اى شركاء على الحقيقة وان كانوا
يسمونها شركاء ويجوز ان يكون شركاء مفعوله يدعون و
مفعول يتبع محذوف دل عليه ان يتبعون الا الظن اى ما هم
يتبعون يقينا وانما يتبعون ظنهم انها شركاء ويجوز ان تكون
ما استفهامية منصوبة بيتبع او موصولة معطوفة على وقرئ
تدعون بالتاء والمعنى واى شئ يتبع الذين تدعونهم شركاء من
الملائكة والنبيين اى انهم لايتبعون الا الله ولايعبدون غيره فما
لكم لايتبعونهم فيه كقوله اولئك الذين يدعون يبتغون الى
ربهم الوسيلة فيكون الزاما بعد برهان وما بعده مصروف
عن خطابهم لبيان سندهم ومنشاء رايهم وان هم الا يخرصون
يكذبون فيما ينسبون الى الله تعالى او يحزرون ويقدرون
انها شركاء تقديرا باطلا هو الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه

والنهار مبصرا تنبيه على كمال قدرته وتعظيم نعمته المتوحد
هو بهما ليدل لهم على تفرده باستحقاق العبودية وانما قال
مبصرا ولم يقل لتبصروا فيه تفرقة بين الظرف المجرد والظر ف
الذى هو سبب ان فى ذلك لآيات لقوم يسمعون سماع تدبر
واعتبار قالوا اتخذ الله ولدا اى تبناه سبحانه تنزيها له عن
التبنى فانه لايصح الا ممن يتصور له الولد وتعجيب من كلتهم
الحمقاء هو الغنى علة لتنزهه فان اتخاذ الولد مسبب عن
الحاجة له ما فى السموات وما فى الارض تقرير لغناه ان هـ
عندكم من سلطان بهذا نفى لمعارض ما اقامه من البرهان مبا
لغة فى تجهيلهم وتحقيقا لبطلان قولهم وبهذا متعلق بسلطا
او نعت له او بعندكم كانه قيل ان عندكم فى هذا سلطان اتقولو
على الله ما لاتعلمون توبيخ وتقريع على اختلافهم وجهلهم و
فيه دليل على ان كل قول لادليل عليه فهو جهالة وان العقائد
لابد لها من قاطع وان التقليد فيها غير سائغ قل ان الذين هـ
يفترون على الله الكذب باتخاذ الولد واضافة الشريك اليه
لايفلحون لاينجون من النار ولايفوزون بالجنة متاع فى الدنيا
خبر مبتدإ محذوف دل عليه ان افتراءهم متاع فى الدنيا يقيمون به دنيا
فى الكفر او حياتهم او تقلبهم متاع او مبتدا خبره محذوف اى لهم
تمتع فى الدنيا ثم الينا مرجعهم بالموت فيلقون الشقاء المؤبد
ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون بسبب كفرهم واتل
عليهم نبأ نوح خبره مع قومه اذ قال لقومه يا قوم ان كان كبر هـ
عليكم عظم وشق عليكم مقامى نفسى كقولك فعلت كذا لمكان فلان
او كون واقامتى بينكم مدة مديدة او قيامى على الدعوة وتذكيرى
اياكم بآيات الله فعلى الله توكلت وثقت به فاجمعوا امركم هـ
فاعزموا عليه وشركاءكم اى مع شركائكم ويؤيده القراءة بالرفع

ف

ن

ن

ستهم

عطفا على الضمير المتصل وجاز من غير ان يؤكد للفصل وقيل انه
معطوف على امركم بحذف المضاف اى وامر شركائكم وقيل انه
منصوب بفعل محذوف فى تقديره وادعوا شركاءكم وقد قرئ به
وعن نافع فاجمعوا من الجمع والمعنى امرهم بالعزم او الاجتماع
على قصده والسعى فى اهلاكه على اى وجه امكنهم ثقة بالله تعالى
وقلة مبالاة بهم ثم لا يكن امركم فى قصدى عليكم غمة مستورا
واجعلوه ظاهرا مكشوفا من غمه اذا ستره او ثم لا يكن حالكم
عليكم غما اذا اهلكتمونى وتخلصتم عن ثقل مقامى وتذكيرى
ثم اقضوا ادوا الى ذلك الامر الذى تريدون بى وقرئ ثم
افضوا بالفاء اى انتهوا الى بشركم او ابرزوا الى من افضى
اذا خرج الى الفضاء ولا تنظرون ولا تمهلونى فان توليتم
اعرضتم عن تذكيرى فما سئلتكم من اجر يوجب توليتكم
لثقله عليكم وانتفاءكم اياى لاجله او يفوتنى لتوليكم ان اجرى
ما ثوابى على التذكير والدعوة الا على الله لا تعلق له بكم
يثنينى به آمنتم او توليتم وامرت ان اكون من المسلمين المنقادين
دين لحكمه لا اخالف امره ولا ارجو غيره فكذبوه فاصروا
على تكذيبه بعد ما الزمهم الحجة وبين ان توليتم ليس الا لعناد
هم وتمردهم لا لاجرم حقت عليهم كلمة العذاب فنجيناه من
الغرق ومن معه فى الفلك وكانوا ثمانين وجعلناهم خلائف
من الهالكين به واغرقنا الذين كذبوا بآياتنا بالطوفان فانظر
كيف كان عاقبة المنذرين تعظيم لما جرى عليهم وتحذير لمن كذب
الرسول صلى الله عليه وسلم وتسلية له ثم بعثنا ارسلنا من بعده
من بعد نوح رسلا الى قومهم كهود وصالح وغيرهم بما
لبينات بالمعجزات الواضحة المثبتة لدعواهم فما كانوا ليؤمنوا
فما استقام لهم ان يؤمنوا لشدة شكيمتهم فى الكفر وخذلان

الله اياهم بما كذبوا به من قبل اى بسبب تعودهم تكذيب
الحق وتمرنهم عليه قبل بعثة الرسل كذلك نطبع على قلوب
المعتدين بخذلانهم لانهم اكهم فى الضلال واتباع الهوى
وفى امثال ذلك دليل على ان الافعال واقعة بقدرة الله تعالى و
كسب العبد وقد مر تحقيق ذلك ثم بعثنا من بعدهم من بعد
هؤلاء الرسل موسى وهارون الى فرعون وملائه بآياتنا
بالآيات التسع فاستكبروا عن اتباعهما وكانوا قوما مجرمين معتادين
الاجرام فلذلك تهاونوا برسالة ربهم واجترؤا على ردها
فلما جاءهم الحق من عندنا وعرفوه بتظاهر المعجزات القاهرة
المزيحة للشك قالوا من فرط تمردهم ان هذا لسحر مبين
ظاهر انه سحر او فائق فى فنه واضح فيما بين اخوانه قال موسى
اتقولون للحق لما جاءكم انه لسحر فحذف المحكى للقول لدلالة
ما قبله عليه ولا يجوز ان يكون اسحر هذا لانهم بنوا القول بل
هو استئناف بانكار ما حالوه اللهم الا ان يكون الاستفهام فيه
للتقرير والمحكى مفهوم قولهم ويجوز ان يكون معنى اتقولون
للحق اتعيبونه من قولهم فلان يخاف القالة كقوله سمعنا فتى
يذكرهم فيستغنى عن المفعول ولا يفلح الساحرون من تمام
كلام موسى للدلالة على انه ليس بسحر فانه لو كان سحرا لا
ضمحل ولم يبطل سحر السحرة ولان العالم بانه لا يفلح الساحر لا
يسحر ومن تمام قولهم ان جعل اسحر هذا محكيا كانهم قالوا
اجئتنا بالسحر تطلب به الفلاح ولا يفلح الساحرون قالوا اجئتنا
لتلفتنا لتصرفنا واللفت والفتل اخوان عما وجدنا عليه آباءنا
من عبادة الاصنام وتكون لكما الكبرياء فى الارض الملك فيها
سمى بها لاتصاف الملوك بالكبرياء والتكبر على الناس بكلتبا
وما نحن لكما بمؤمنين بمصدقين فيما جئتما به وقال فرعون

دين

ن

عهم

ائتونى بكل ساحرٍ وقرأ حمزة والكسائى بكل سحار عليم حاذق
فيه فلما جاء السحرة قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون فلما
القوا قال موسى ما جئتم به السحر اى الذى جئتم به هو السحر
لا ما سماه فرعون وقومه سحرا وقرأ ابو عمرو السحر وعلى ان
استفهامية مرفوعة بالابتداء وجئتم به خبرها والسحر بدل منه
او خبر مبتدا محذوف تقديره اهو السحر او مبتدا خبره محذوف
اى السحر هو ويجوز ان ينصب بفعل يفسره ما بعده تقديره
اى شئ اتيتم ان الله سيبطله سيمحقه او سيظهر بطلانه ان
الله لا يصلح عمل المفسدين لا ينبته ولا يقويه وفيه دليل على ان
السحر افساد وتمويه لا حقيقة له ويحق الله الحق ويثبته بكلماته
باوامره وقضائه وقرئ بكلمته ولو كره المجرمون ذلك فما
آمن لموسى فى مبداء امره الا ذرية من قومه الا اولاد من
اولاد قومه بنى اسرائيل دعاهم فلم يجيبوه خوفا من فرعون
الا طائفة من شبانهم وقيل الضمير لفرعون والذرية طائفة
من شبانهم آمنوا به او مؤمن من آل فرعون وامراته آسية
وخازنه ومشاطته على خوف من فرعون وملائهم اى هم
مع خوف منهم والضمير لفرعون وجمعه على ما هو المعتاد فى
ضمير العظماء او على ان المراد بفرعون اله كما قال ربيعة و
مضر او للذرية او للقوم ان يفتنهم ان يعذبهم فرعون و
هو بدل منه او مفعول خوف وافراده بالضمير للدلالة
على ان الخوف من الملاء كان بسببه وان فرعون لعال فى الارض
الغالب فيها وانه لمن المسرفين فى الكبر والعتو حتى ادعى
الربوبية واسترق اسباط الانبياء وقال موسى لما راى
تخوف المؤمنين به يا قوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا
ثقوا به واعتمدوا عليه ان كنتم مسلمين مستسلمين لقضاء

الله مخلصين له وليس هذا من تعليق الحكم بشرطين فان المعلق
بالايمان وجوب التوكل فانه المقتضى له والمشروط بالاسلام
حصوله فانه لا يوجد مع التخليط ونظيره ان دعاك زيد
فاجبه ان قدرت فقالوا على الله توكلنا لانهم كانوا مؤمنين
مخلصين ولذلك اجيبت دعوتهم ربنا لا تجعلنا فتنة لقوم
فتنة للقوم الظالمين اى لا تسلطهم علينا فيفتنونا ونجنا
برحمتك من القوم الكافرين من كيدهم وشوم مشاهدتهم
وفى تقديم التوكل على الدعاء تنبيه على ان الداعى ينبغى ان
يتوكل اولا يجاب دعوته واوحينا الى موسى واخيه ان تبوءا
اتخذا مباءة لقومكما بمصر بيوتا تسكنون فيها او ترجعون
اليها للعبادة واجعلوا انتما وقومكما بيوتكم تلك البيوت قبلة
مصلى وقيل مساجد متوجهة نحو القبلة يعنى الكعبة وكان
موسى صلى الله على نبينا وعليه وسلم يصلى اليها واقيموا الصلوة
فيها امروا بذلك اول امرهم لئلا يظهر عليهم الكفرة فيؤذوهم
ويفتنوهم عن دينهم وبشر المؤمنين بالنصرة فى الدنيا والجنة
فى العقبى وانما ثنى الضمير اولا لان التبوء للقوم واتخاذ
المعابد مما يتعاطاه رؤس القوم بمشاورتهم ثم جمع لان جعل
البيوت مساجد والصلوة مما ينبغى ان يفعله كل احد ثم وحد
لان البشارة فى الاصل وظيفة صاحب الشريعة وقال موسى
ربنا انك اتيت فرعون وملاءه زينة ما يتزين به من اللباس
والمراكب ونحوهما واموالا فى الحيوة الدنيا وانواعا من
المال ربنا ليضلوا عن سبيلك دعاء عليهم بلفظ الامر بما
علم من ممارسة احوالهم انه لا يكون غيره كقولك لعن
الله ابليس وقيل اللام للعاقبة وهى متعلقة باتيت ويحتمل
ان يكون للعلة لان ايتاء النعم على الكفر استدراج وتثبيت على

ضع

الضلال وانتهما جعلوها سببا في الضلال فكانهم انوها ليضلوا
فيكون ربنا تكريرا للاول للتاكيد او تنبيها على ان المقصود
عرض ضلالهم وكفرانهم تقدمة لقوله ربنا اطمس على اموالهم
هم اهلكها والطمس المحق وقرئ بالضم واشدد على قلوبهم
اى وافسها واطبع عليها حتى لا تنشرح للايمان فلا يؤمنوا
حتى يروا العذاب الاليم جواب للدعاء او دعاء بلفظ النهى
او عطف على ليضلوا وما بينهما دعاء معترض قال قد اجيبت
دعوتكما يعنى موسى وهارون لانه كان يؤمن فاستقيما فانتبتا
على ما انتما عليه من الدعوة والزام الحجة ولا تستعجلا فان ما
طلبتما كائن ولكن فى وقته روى انه مكث فيهم بعد الدعاء
اربعين سنة ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون طريق الجهلة
فى الاستعجال او عدم الوثوق والاطمينان بوعد الله وعن
ابن عامر ولا تتبعان بالنون الخفيفة وكسرها لالتقاء الساكنين
والاتتبعان من تبع ولا تتبعان ايضا وجاوزنا ببنى اسرائيل البحر
اى جوزناهم فى البحر حتى بلغوا الشط حافظين لهم وقرئ
جوزنا وهو من فعل المزاوج لفاعل كضعف وضاعف فاتبعهم
فادركهم يقال تبعته واتبعته فرعون وجنوده بغيا وعدوا
باغين وعادين او للبغى والعدو وقرئ وعدوا حتى اذا
ادركه الغرق لحقه قال آمنت انه اى بانه لا اله الا الذى
آمنت به بنو اسرائيل وانا من المسلمين وقراء حمزة والكسائى
بالكسر على اضمار القول او الاستئناف بدلا وتفسيرا لآمنت
فنكب عن الايمان او ان القبول وبالغ فيه حين لا يقبل الآن
اتؤمن الان وقد ايست من نفسك ولم يبق لك اختيار وقد
عصيت قبل ذلك مدة عمرك وكنت من المفسدين الضالين
المضلين عن الايمان فاليوم ننجيك نبعدك مما وقع فيه

قومك من قعر البحر وتجعلك طافيا او نلقيك على نجوة من
الارض ليراك بنو اسرائيل وقرأ يعقوب ننجيك من انجى
وقرئ ننحيك بالحاء اى نلقيك بناحية الساحل ببدنك
فى موضع الحال اى ببدنك عاريا عن الروح او كاملا سويا
او عريانا من غير لباس او ببدرعك وكانت له درع من
ذهب يعرف بها وقرئ بابدانك اى باجزاء البدن كلها لا
كقولهم يهوى باجرامه او ببدروعك كانه كان مظاهرا لهم
بينها لتكون لمن خلفك آية لمن وراءك علامة وهم بنو اسرائيل
اذ كان فى نفوسهم من عظمته ما خيل اليهم من انه
لا يهلك حتى كذبوا موسى عليه السلام حين اخبرهم بغرقه
الى ان عاينوه مطرحا على ممر هم من الساحل او لمن يأتى
بعدك من القرون اذا سمعوا ما فى امرك ممن شاهدك او
عبرة ونكالا عن الطغيان او حجة تدلهم على ان الانسان
على ما كان عليه من عظم الشان وكبرياء الملك مملوك مقهور
بعيد عن مظان الربوبية وقرئ لمن خلقك اى لخالقك آية
كسائر الآيات فان افراده اياك بالقائك الى الساحل دليل على
انه تعمد منه لكشف تمويهك واماطة الشبهة فى امرك وذلك
دليل على كمال قدرته وعلمه وارادته فهذا الوجه ايضا يحتمل
على المشهور وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون لا
يتفكرون فيها ولا يعتبرون ولقد بوأنا انزلنا بنى اسرائيل
مبوأ صدق منزلا صالحا مرضيا وهو الشام ومصر ورزقناهم
من الطيبات من اللذائذ فما اختلفوا حتى جاءهم العلم
فما اختلفوا فى امر دينهم الا من بعد ما قرئ التوراة وعلموا
احكامها او فى امر محمد صلى الله عليه وسلم الا من بعد ما علموا
صدقه بنعوته وتظاهر معجزاته ان ربك يقضى بينهم يوم

القيمة فيما كانوا فيه يختلفون فيميز المحق من المبطل بالانجاء
والاهلاك فان كنت في شك مما انزلنا اليك من القصص على
سبيل الفرض والتقدير فاسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك
فانه محقق ثابت عندهم في كتبهم على نحو ما القينا اليك والمراد
تحقيق ذلك والاستشهاد بما في الكتب المقدمة وان القران
مصدق لما فيها او وصف اهل الكتاب بالرسوخ في العلم بصحة
ما انزل اليه او تهييج الرسول وزيادة تثبته لامكان وقوع
الشك له ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لا اشك ولا اسئل
وقيل الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به امته او لكل
من يسمع اى ان كنت ايها السامع في شك مما انزلنا على
لسان نبينا اليك وفيه تنبيه على ان من خالجته شبهة في الدين
ينبغي ان يسارع الى حلها بالرجوع الى اهل العلم لقد جاءك الحق
من ربك واضحا انه لا مدخل للمرية فيه بالايات القاطعة فلا
تكونن من الممترين بالتزلزل عما انت عليه من الجزم واليقين
ولا تكونن من الذين كذبوا بايات الله فتكون من
الخاسرين ايضا من باب التهييج والتثبيت وقطع الاطماع
عنه كقوله فلا تكونن ظهيرا للكافرين ان الذين حقت عليهم
كلمة ربك بانهم يموتون على الكفر او يخلدون
في العذاب لا يؤمنون اذ لا يكذب كلامه ولا ينتقض قضاؤه
ولو جاءتهم كل آية فان السبب الاصلي لايمانهم وهو تعلق
ارادة الله تعالى به مفقود حتى يروا العذاب الاليم وحينئذ لا ينفعهم
كما لم ينفع فرعون فلولا كانت قرية آمنت فهلا كانت قرية
من القرى التي اهلكناها آمنت قبل معاينة العذاب ولم
يؤخر اليها كما اخر فرعون فنفعها ايمانها بان يقبله الله منها
او يكشف العذاب عنها الا قوم يونس لكن قوم يونس لما

آمنوا اول ما رأوا امارة العذاب ولو يؤخروه الى حلوله لم
كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ويجوز ان
تكون الجملة في معنى النفي لتضمن حرف التخصيص معناه
فيكون الاستثناء متصلا لان المراد من القرى اهاليها كانه
قال ما من اهل قرية من القرى العاصية فنفعهم ايمانهم الا
قوم يونس ويؤيده قراءة الرفع على البدل ومنعناهم الى حين
الى احالهم روى ان يونس عليه السلام بعث الى نينوى من
الموصل فكذبوه واصروا عليه فوعدهم بالعذاب الى ثلث
وقيل الى اربعين فلما دنا الموعد اغامت السماء غيما اسود
ذا دخان شديد فهبط حتى غشي مدينتهم فهابوا فطلبوا
يونس فلم يجدوه فايقنوا بصدقه فلبسوا المسوح وبرزوا الى
الصعيد بانفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم وفرقوا بين
كل والدة وولدها في بعضها الى بعض وعلت الاصوات و
العجيج واخلصوا التوبة واظهروا الايمان وتضرعوا الى الله
فرحمهم وكشف عنهم وكان يوم عاشوراء يوم الجمعة ولو شاء
ربك لآمن من في الارض كلهم بحيث لا يشذ منهم احد جميعا
مجتمعين على الايمان لا يختلفون فيه وهو دليل على القدرية
في انه لم يشاء ايمانهم اجمعين وان من شاء ايمانه يؤمن
لا محالة والتقييد بمشيئة الالجاء خلاف الظاهر افانت تكره
الناس بما لم يشاء الله منهم حتى يكونوا مؤمنين وترتيب
الاكراه على المشيئة بالفاء وايلاؤها حرف الاستفهام للانكار
وتقديم الضمير على الفعل للدلالة على ان خلاف المشيئة مستحيل
فلا يمكنه تحصيله بالاكراه عليه فضلا عن الحث والتحريض عليه
اذ روى انه كان حريصا على ايمان قومه شديد الاهتمام به فنزلت
ولذلك قرر بقوله وما كان لنفس ان تؤمن بالله الا باذن الله

الآيات الدالة والطافة وتوفيقه فلا تجهد نفسك في هداهم
فانه الى الله ﷻ ويجعل الرجس العذاب والخذلان فانه سببه ﷺ
وقرئ بالزاي وقراء ابو بكر ويجعل بالنون على الذين لا يعقلون
لا يستعملون عقولهم بالنظر في الحجج والآيات او لا يعقلون دلائله
واحكامه لما في قلوبهم من الطبع وتكرير الاول قوله قل انظروا اي
تفكروا ماذا في السموات والارض من عجائب صنعه ليدلكم على وحدته
وكمال قدرته وماذا ان جعلت استفهامية علقت انظروا عن العمل
وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون في علم الله وحكمه وما
نافية او استفهامية في موضع النصب فهل ينظرون الا مثل ايام
الذين خلوا من قبلهم مثل وقائعهم ونزول بأس الله بهم اذ
لا يستحقون غيره من قولهم ايام العرب لوقائعها قل انتظروا انه
اني معكم من المنتظرين لذلك او فانتظروا هلاكي اني معكم من
المنتظرين هلاككم ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا عطف على محذوف
دل عليه المثل اي ايام الذين خلوا كانه قيل نهلك الامم ننجي رسلنا
ومن آمن بهم على حكاية الحال الماضية كذلك حقا علينا ننجي المؤمنين
كذلك الانجاء او انجاء كذلك ننجي محمدا صلى الله عليه وسلم وصحبه حين
نهلك المشركين وحقا علينا اعتراض ونصبه بفعله المقدر وقيل
بدل من كذلك قل يا ايها الناس خطاب لاهل مكة ان كنتم في شك
من ديني وصحته فلا اعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن
اعبد الله الذي يتوفاكم فهذا اخلاصة ديني اعتقادا وعملا ﷺ
فاعرضوها على العقل الصرف وانظروا فيها بعين الانصاف لتعلموا
صحتها وهو اني لا اعبد ما تخلقونه وتعبدونه ولكن اعبد خالقكم
الذي هو يوجدكم ويتوفاكم وانما خص التوفي بالذكر للتهديد
وامرت ان اكون من المؤمنين بما دل عليه العقل ونطق به الوحي
وحذف الجار من ان يجوز ان يكون من المطرد مع ان وان يكون

من غيره كقوله امرتك الخير فافعل ما امرت به فقد تركتك ذا
مال وذا نشب وان اقم وجهك للدين عطف على ان اكون غير
ان صلة ان محكية بصيغة الامر ولا فرق بينهما في الغرض لان
المقصود وصلها بما يتضمن معنى المصدر ليدل معه عليه وهو
صيغ الافعال كلها كذلك سواء الخبر فيها والطلب والمعنى وهو
امرت بالاستقامة في الدين والاشتداد فيه باداء الفرائض و
الانتهاء عن القبايح او في الصلوة باستقبال القبلة حنيفا حال من
الدين او الوجه ولا تكونن من المشركين ولا تدع من دون الله
ما لا ينفعك ولا يضرك بنفسه ان دعوته او خذلته فان فعلت
فان دعوته فانك اذا من الظالمين جزاء للشرط وجواب لسؤال
مقدر عن تبعة الدعاء وان يمسسك الله بضر وان يصبك به
فلا كاشف له برفعه الا هو الا الله وان يردك بخير فلا راد
دافع لفضله الذي ارادك به ولعله ذكر الارادة مع الخير والمس
مع الضر مع تلازم الامرين للتنبيه على ان الخير مراد بالذات وان
الضر انما مسهم لا بالقصد الاول ووضع الفضل موضع الضمير
للدلالة على انه متفضل بما يريد بهم من الخير لا استحقاق لهم عليه
ولم يشأ لان مراد الله لا يمكن رده يصيب به بالخير من يشاء من
عباده وهو الغفور الرحيم فتعرضوا لرحمته بالطاعة ولا تيأسوا
من غفرانه بالمعصية قل يا ايها الناس قد جاءكم الحق من ربكم رسوله
او القرآن ولم يبق لكم عذر فمن اهتدى بالايمان والمتابعة فانما
يهتدي لنفسه لان نفعه لها ومن ضل بالكفر فانما يضل عليها
لان وبال الضلال عليها وما انا عليكم بوكيل بحفيظ موكول الي
امركم وانما انا بشير ونذير واتبع ما يوحى اليك بالامتثال وهو
التبليغ واصبر على دعواهم وتحمل اذاهم حتى يحكم الله بالنصرة
او بالامر بالقتال وهو خير الحاكمين اذ لا يمكن الخطاء في حكمه ﷺ

الاطلاع على السرائر اطلاعه على الظواهر عن النبي صلى الله عليه
وسلم من قرء سورة يونس اعطى من الاجر عشر حسنات بعدد
صدق بيونس وكذب به وبعدد من غرق مع فرعون سورة
هود مكية وهي مائة وثلاث وعشرون آية هـ هـ هـ هـ هـ هـ
بسم الله الرحمن الرحيم هـ
الر كتاب مبتدا وخبر او كتاب خبر مبتداء محذوف احكمت هـ
آياته نظمت نظما محكما لايعتريه اختلال من جهة اللفظ و
المعنى او منعت من الفساد والنسخ فان المراد آيات السورة
وليس فيها منسوخ او احكمت بالحجج والدلائل وجعلت حكيمة
منقولة من حكم بالضم اذا صار حكيما لانها مشتملة على امهات هـ
الحكم النظرية والعملية ثم فصلت بالفوائد من العقائد والا
حكام والمواعظ والاخبار او بجعلها سورا او بالانزال نجما نجما
او فصل فيها واخص ما يحتاج اليه وقرئ ثم فصلت اى فرقت
بين الحق والباطل واحكمت آياته ثم فصلت على البناء للتكلم و
ثم للتفاوت في الحكم او للترامي في الاخبار من لدن حكيم خبير
صفة اخرى لكتاب او خبر بعد خبر او صلة لاحكمت او فصلت
وهو تقرير لاحكامها وتفصيلها على اكمل ماينبغي باعتبار ماظهر هـ
وماخفي ان لاتعبدوا الا الله لان لاتعبدوا وقيل ان مفسرة لان في
تفصيل الآيات معنى القول ويجوز ان يكون كلاما مبتدا للاغراء
على التوحيد او الامر بالتبري عن عبادة الغير كانه قيل ترك عباد
غير الله بمعنى الزموه او اتركوها تركا انني لكم منه من الله نذير
وبشير بالعقاب على الشرك والثواب على التوحيد وان استغفروا
ربكم عطف على ان لاتعبدوا ثم توبوا اليه ثم توصلوا الى مطلوبكم
بالتوبة فان المعرض عن طريق الحق لابد له من رجوع وقيل هـ
استغفروا من الشرك ثم توبوا الى الله بالطاعة ويجوز ان يكون

ب
فضل
خمة

ثم لتفاوت مابين الامرين يمتعكم متاعا حسنا يعيشكم في امن
ودعة الى اجل مسمى هو اخر اعماركم المقدرة او لايهلككم بعذا
الاستيصال والارزاق والاجال وان كانت متعلقة بالاعمال
لكنها مستماة بالاضافة الى كل احد فلا تتغير ويؤت كل ذي هـ
فضله ويعطى كل ذي فضل في دينه جزاء فضله في الدنيا والآ
وهو وعد للموحد التائب بخير الدارين وان تولوا وان هـ
تتولوا فاني اخاف عليكم عذاب يوم كبير يوم القيمة وقيل هـ
يوم الشدائد قد ابتلوا بالقحط حتى اكلوا الجيف وقرئ وان
تولوا من وطى الى الله مرجعكم رجوعكم في ذلك اليوم وهو شاذ
عن القياس وهو على كل شيء قدير فيقدر على تعذيبهم اشد عذاب
وكانه تقدير لكبير اليوم الا انهم يثنون صدورهم يثنونها هـ
عن الحق وينحرفون عنه او يعطفونها على الكفر وعداوة النبي
صلى الله عليه وسلم او يولون ظهورهم وقرئ تثنوني بالياء
والتاء من الثنوني وهو بناء للمبالغة وتثنون واصله تثنونن
من الثن وهو الكلاء الضعيف اراد به ضعف قلوبهم او مطاوعة
صدورهم للثني وتثنين من اثنان كابيأض بالهمزة وتثنوى هـ
ليستخفوا منه من الله حتى بسترهم فلا يطلع رسوله والمؤمنين عليها
قيل انها نزلت في طائفة من المشركين قالوا اذا ادخينا ستورنا
واستغشينا ثيابنا وطوينا صدورنا على عداوة محمد كيف يعلم و
قيل نزلت في المنافقين وفيه نظر اذ الاية مكية والنفاق حدث
بالمدينة الا حين يستغشون ثيابهم الا حين يأوون الى فراشهم
ويتغطون بثيابهم يعلم مايسرون في قلوبهم ومايعلنون هـ
بافواههم يستوى في علمه سترهم وعلنهم فكيف يخفى عليه ماعسى
يظهرونه انه عليم بذات الصدور بالاسرار ذات الصدور
اى بالقلوب واحوالها وما من دابة في الارض الا على الله هـ

رزقها غذاؤها ومعاشها لتكفله اياه تفضلا ورحمة وانما
الى بلفظ الوجوب تحقيقا لوصوله وحملا على التوكل فيه ويعلم
مستقرها ومستودعها اماكنها في الحيوة والممات او الاصلاب
والارحام او مساكنها من الارض حين وجدت بالفعل ومودعها
من المواذر والمقار حين كانت بعد بالقوة كل كل ولعله
من الدواب واحوالها في كتاب مبين مذكور في اللوح المحفوظ
وكانه اريد بالاية بيان كونه عالما بالمعلومات كلها وبما بعدها
بيان كونه قادرا على الممكنات باسرها تقدير التوحيد والما سبق
من الوعد والوعيد وهو الذي خلق السموات والارض في ستة
ايام اى خلقهما وما فيهما كما مر بيانه في الاعراف او في جهتي
العلو والسفل وجمع السموات دون الارض لاختلاف العلويات
بالاصل والذات دون السفليات وكان عرشه على الماء قبل
خلقهما لم يكن بينهما حائل لانه كان موضوعا على متن الماء
واستدل به على امكان الخلا وان الماء اول حادث بعد العرش
من اجرام هذا العالم وقيل كان الماء على متن الريح والله اعلم بذلك
ليبلوكم ايكم احسن عملا متعلق بخلق اى خلق ذلك كله لكي من خلق
ليعاملكم معاملة المبتلى لاحوالكم كيف تعملون فان جملة ذلك اسباب
ومواد لوجودكم ومعاشكم وما تحتاج اليه اعمالكم ودلائل وامارات
تستدلون بها وتستنبطون منها وانما جاز تعليق فعل البلوى
لما فيه من معنى العلم من حيث انه طريق اليه كالنظر والاستماع و
انما ذكر صيغة التفضيل والاختبار الشامل لفرق المكلفين
باعتبار الحسن والقبح للتحريض على احاسن المحاسن والترقي
دائما في مراتب العلم والعمل فان المراد بالعمل ما يعم عمل القلب
والجوارح ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ايكم احسن عقلا
واورع عن محارم الله واسرع في طاعة الله والمعنى

ايكم اكمل علما وعملا ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت
ليقولن الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين اى ما البعث
او القول به او القران المتضمن لذكره الا كالسحر في الخديعة
او البطلان وقرأ حمزة والكسائي الا ساحر على ان الاشارة
الى القائل وقرئ انكم على الفتح على تضمين قلت معنى ذكرت
او ان تكون ان بمعنى على اى ولئن قلت على كم مبعوثون بمعنى
توقعوا بعثكم ولا تبشوا بالكاده لعدوه من قبيل ما الاحقيقة له
مبالغة في انكاره ولئن اخرنا عنهم العذاب الموعود الى امة
معدودة الى جماعة من الاوقات قليلة ليقولن استهزاء ما
يحبسه ما يمنعه من الوقوع الا يوم يأتيهم كيوم بدر ليس
مصروفا عنهم ليس العذاب مرفوعا عنهم ويوم منصوب بخبر ليس
مقدم عليه وهو دليل على جواز تقديم خبرها عليها وحاق بهم
احاط بهم وضع الماضي موضع المستقبل تحقيقا ومبالغة في التهديد
ما كانوا به يستهزؤن اى العذاب الذي كانوا به يستعجلون
فوضع يستهزؤن موضع يستعجلون لان استعجالهم كان استهزاء
ولئن اذقنا الانسان منا رحمة ولئن اعطيناه نعمة بحيث يجد لذتها
ثم نزعناها منه ثم سلبناه تلك النعمة منه انه ليؤوس لقطوع
رجاءه من فضل الله لقلة صبره وعدم تفكره به كفور مبالغ
في كفران ما سلف له من النعمة ولئن اذقناه نعماء بعد ضراء
مسته كصحة بعد سقم وغنى بعد عدم وفي اختلاف الفعلين نكتة
لتحقق ليقولن ذهب السيئات عني اى المصائب التي ساءتني انه
لفرح بطر بالنعم مفتخر بها فخور على الناس متعزل عن الشكر
والقيام بحقها وفي لفظ الاذاقة والمس تنبيه على ان ما يجده
الانسان في الدنيا من النعم والمحن كالانموذج لما يجده في الاخرة
فانه يقع في الكفران والبطر باد ني شيء لان الذوق ادراك الطعم

والمتن مبدء الوصول الا الذين صبروا على الضراء ايمانا بالله
تعالى واستسلاما لقضائه وعملوا الصالحات شكرا لآلائه سابقها
ولاحقها اولئك لهم مغفرة لذنوبهم واجر كبير اعلى الجنة
والاستثناء من الانسان لان المراد به الجنس فاذا كان محلى
باللام افاد الاستغراق ومن حمله على الكافر لسبق ذكرهم جعل
الاستثناء منقطعا فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك تترك
تبليغ بعض ما يوحى اليك وهو ما يخالف راى المشركين مخافة
ردهم واستهزائهم به ولا يلزم من توقع الشيء لوجود ما يدعوا
اليه وقوعه لجواز ان يكون ما يصرف عنه وهو عصمة الرسل
عليهم الصلوة والسلام عن الخيانة في الوحي والتقية في التبليغ
وضائق به صدرك وعارض لك احيانا ضيق صدر بان تتلوه
عليهم مخافة ان يقولوا لولا انزل عليه كنز ينفقه في الاستغناء
كالملوك او جاء معه ملك يصدقه وقيل الضمير في به لبعضهم يقترح
ان يقول ائتنا بقرآن غير هذا او بدله انما انت نذير ليس عليك الا الانذار بما يوحى عليك
وللاعليك ردوا او اقتراحوا فما بالك يضيق به صدرك والله على
كل شيء وكيل فتوكل عليه فانه عالم بحالهم وفاعل بهم جزاء اقوالهم
وافعالهم ام يقولون افتراه ام منقطعة والهاء لما يوحى قل فاتوا بعشر
سور مثله في البيان وحسن النظم تحداهم اولا بعشر سور ثم لما عجزوا
عنها سهل الامر عليهم وتحداهم بسورة وتوحيد المثل باعتبار كل
واحد مفتريات مختلفات من عند انفسكم ان صح انى اختلقته من
عند نفسي فانكم عرب فصحاء مثلي تقدرون على مثل ما اقدر عليه بل
انتم اقدر لتعلمكم القصص والاشعار وتعودكم القريض والنظم
وادعوا من استطعتم من دون الله الى المعاونة على المعارضة ان كنتم
صادقين انه مفترى فان لم يستجيبوا لكم بانيان ما دعوتم اليه
وجمع الضمير اما لتعظيم الرسول صلى الله عليه وسلم او لان المؤمنين

ايضا كانوا يتحدونهم وكان امر الرسول صلى الله عليه وسلم متناولا
لهم من حيث انه يجب اتباعه عليهم في كل امر الا ما خصه الدليل و
للتنبيه على ان التحدي مما يجب رسوخ ايمانهم وقوة يقينهم
فلا يغفلون عنه ولذلك رتب عليه قوله فاعلموا انما انزل
بعلم الله ملتبسا بما لا يعلمه الا الله ولا يقدر عليه سواه وان
لا اله الا هو واعلموا ان لا اله الا هو لانه العالم القادر بما لا يعلم
ولا يقدر عليه غيره ولظهور عجز آلهتهم ولتنصيص هذا
الكلام الثابت صدقه باعجازه عليه وفيه تهديد واقناط من
ان يجيبهم من يأس الله الهتهم فهل انتم مسلمون ثابتون
على الاسلام راسخون فيه مخلصون اذا تحقق عندكم اعجازه
مطلقا ويجوز ان يكون الكل خطابا للمشركين والضمير في لم
يستجيبوا لمن استطعتم اى فان لم يستجيبوا لكم الى المظاهرة لعجز
هم وقد عرفتم من انفسكم القصور عن المعارضة فاعلموا انه نظم
لا يعلمه الا الله وانه منزل من عنده وان ما دعاكم اليه من
التوحيد حق فهل انتم داخلون في الاسلام بعد قيام الحجة القاطعة
وفي مثل هذا الاستفهام ايجاب بليغ لما فيه من معنى الطلب والتنبيه
على قيام الموجب وزوال العذر من كان يريد الحيوة الدنيا
وزينتها باحسانه وبره نوف اليهم اعمالهم فيها نوصل اليهم
جزاء اعمالهم في الدنيا من الصحة والرياسة وسعة الرزق
وكثرة الاولاد وقرئ يوف بالياء اى يوفي الله ونوفى على
البناء للمفعول ونوفي بالتخفيف والرفع لان الشرط ماض
كقوله وان اتاه خليل يوم مسغبة يقول لا غائب مالي ولا حرم
وهم فيها لا يبخسون لا ينقصون شيئا من اجورهم والاية في
اهل الرياء وقيل في المنافقين وقيل في الكفرة وبرهم اولئك هم
الذين ليس لهم في الآخرة الا النار مطلقا في مقابلة ما عملوا

لانهم استوفوا ما تقتضيه صور اعمالهم الخبيثة وبقيت لهم
اوزار العزائم السيئة وحبط ما صنعوا فيها لانه لم يبق لهم
ثواب في الآخرة اولم يكن لانهم لم يريدوا به وجه الله كما
والعمدة في اقتضاء ثوابها هو الاخلاص ويجوز تعليق الظرف
بصنعوا على ان الضمير للدنيا وباطل في نفسه ما كانوا يعملون
لانه لم يعمل على ما ينبغي وكان كل واحدة من الجملتين علة لما قبلها
وقرئ باطلا على انه مفعول يعملون وما ابهامية او في معنى
المصدر كقوله ولا اخارجا من في زور كلام وبطل على الفعل
افمن كان على بينة من ربه برهان من الله يدله على الحق و
الصواب فيما يأتيه ويذره والهمزة لانكار ان يعقب من
هذا شانه لهؤلاء المقصرين همتهم وافكارهم على الدنيا وان
يقارب بينهم في المنزلة وهو الذي اغنى عن ذكر الخبر وهو
تقديره افمن كان على بينة كمن كان يريد الدنيا وهو حكم يعم
كل مؤمن مخلص وقيل المراد به النبي صلى الله عليه وسلم و
قيل مؤمنوا اهل الكتاب ويتلوه ويتبع ذلك البرهان الذي
هو دليل العقل شاهد منه شاهد من الله يشهد لصحته و
هو القرآن ومن قبله ومن قبل القرآن كتاب موسى يعني
التوراة فانها ايضا يتلوه في التصديق والبينة هو القرآن ويتلوه
من التلاوة والشاهد جبريل او لسان الرسول صلى الله عليه وسلم
على ان الضمير له او من التلو والشاهد ملك يحفظه والضمير في
يتلوه اما لمن او للبينة باعتبار المعنى ومن قبله كتاب موسى جملة
مبتدأة وقرئ كتاب بالنصب عطفا على الضمير في يتلوه اى يتلو
القرآن شاهد ممن كان على بينة دالة على انه حق كقوله وشهد
شاهد من بني اسرائيل ويقرئ من قبل القرآن التوراة اماما
كتابا مؤتما به في الدين ورحمة على المنزل عليهم لانه الوصلة

الى الفوز بخيري الدارين اولئك يؤمنون به اشارة الى من كان
على البينة ومن يكفر به بالقرآن من الاحزاب من اهل مكة ومن
تحزب معهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فالنار موعده
برد لها لا محالة فلا تك في مرية منه من الوعد او القرآن وقرئ
مرية بالضم وهما الشك انه الحق من ربك ولكن اكثر الناس
لا يؤمنون لقلة نظرهم واختلال فكرهم ومن اظلم ممن افترى
على الله كذبا كان اسند اليه ما لم ينزل له او نفى عنه ما انزل اولئك
يعرضون على ربهم في الموقف بان يحبسوا وتعرض اعمالهم ويقول
الاشهاد من الملائكة والنبيين او من جوارحهم وهو جمع شاهد
كاصحاب او شهيد كاشراف هؤلاء الذين كذبوا على ربهم الا
لعنة الله على الظالمين تهويل عظيم مما يحيق بهم حينئذ لظلمهم
بالكذب على الله تع الذين يصدون عن سبيل الله عن دينه ونهج
يبغون لها عوجا ويضيعونها بالانحراف عن الحق والصواب او
يبغون اهلها ان يعوجوا بالردة وهم بالآخرة هم كافرون و
الحال انهم كافرون بالآخرة وتكريرهم لتأكيد كفرهم واختصا
به اولئك لم يكونوا معجزين في الارض اى ما كانوا معجزين الله
في الدنيا ان يعاقبهم وما كان لهم من دون الله من اولياء
يمنعونهم من العقاب ولكنه اخر عقابهم الى يوم القيامة ليكون
اشد وادوم يضاعف لهم العذاب استيناف وقرأ ابن كثير و
ابن عامر ويعقوب يضعف بالتشديد ما كانوا يستطيعون
السمع لتصامهم عن الحق وبغضهم له وما كانوا يبصرون لتعا
عن ايات الله تع وكانه العلة لمضاعفة العذاب وقيل هو بيان
ما نفاه من ولاية الآلهة بقوله وما كان لهم من دون الله
من اولياء فان ما لا يسمع ولا يبصر لا يصلح للولاية وقوله
يضاعف لهم العذاب اعتراض اولئك الذين خسروا انفسهم

صهم

ميهم

باشتراء عبادة الآلهة بعبادة الله ﷻ وضل عنهم ما كانوا يفترون
من الآلهة وشفاعتها او خسروا بما بذلوا وضاع عنهم ما حصلوا
فلم يبق معهم سوى الحسرة والندامة لا جرم انهم في الاخرة هم
الاخسرون لا احدا بين واكثر خسرانا منهم ان الذين آمنوا و
عملوا الصالحات واخبتوا الى ربهم اطمأنوا اليه وخشعوا له من
الخبت وهو الارض المطمئنة اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون
دائمون مثل الفريقين المؤمن والكافر كالاعمى والاصم والبصير
والسميع يجوز ان يراد به تشبيه الكافر بالاعمى لتعاميه عن ه
آيات الله وبالاصم لتصامه عن استماع كلام الله ﷻ وتأتيه عن
تدبر معانيه وتشبيه المؤمن بالسميع البصير لان امره بالضد
فيكون كل منهما مشبها باثنين باعتبار وصفين او تشبيه الكافر
بالجامع بين العمى والصمم والمؤمن بالجامع بين ضديهما والعاطف
لعطف الصفة على الصفة كقوله الصابح فالغانم فالآيب وهذا
من باب اللف والطباق هل يستويان هل يستوي الفريقان مثلا ه
ممثلا او صفة او حالا افلا تذكرون بضرب الامثال والتدبر فيها ه
ولقد ارسلنا نوحا الى قومه اني لكم بالفتح وقراء حمزة وعاصم ه
بالكسر على ارادة القول نذير مبين ه ابين لكم موجبات العذاب
ووجه الخلاص ان لا تعبدوا الا الله بدل من اني لكم او مفعول مبين
ويجوز ان يكون ان مفسرة متعلقة بارسلنا او بنذير اني اخاف
عليكم عذاب يوم اليم موجع وهو في الحقيقة صفة للمعذب لكن
يوصف به العذاب وزمانه على طريقة جد جده ونهاره صائم ه
للمبالغة فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك الا بشرا مثلنا
لا مزية لك علينا تخصك بالنبوة ووجوب الطاعة وما نراك
اتبعك الا الذين هم اراذلنا اخساؤنا جمع ارذل فانه ه
لغلبة صار مثل الاسم كالاكبر والارذل جمع رذل بادي الرأي

ظاهر الرأي من غير تعمق من البدو او اول الرأي من البدء والياء
مبدلة من الهمزة لانكسار ما قبلها وقراء ابو عمرو بالهمزة و
انتصابه بالظرف على حذف المضاف اي وقت حدوث بادئ
الرأي والعامل فيه اتبعك وانما استرذلوهم لذلك او لفقر
هم فانهم لما لم يعلموا الا ظاهرا من الحياة الدنيا كان الاحظ ه
بها اشرف عندهم والمحروم منها ارذل وما نرى لكم لك و
لمن اتبعك علينا من فضل يرشحكم للنبوة واستحقاق المتا
بل نظنكم كاذبين انت في دعوى النبوة واياهم في دعوى ه
العلم بصدقك فغلب المخاطب على الغائبين قال يا قوم ه
ارأيتم اخبروني ان كنت على بينة من ربي حجة شاهدة ه
بصدق دعوى واتاني رحمة من عنده بايتاء البينة او ه
النبوة فعميت عليكم فخفيت عليكم فلم تهتدوا لها وتوحيد الضمير
لان البينة في نفسها هي الرحمة او لان اخفاءها يوجب خفاء
النبوة او على تقدير فعميت عليكم بعد البينة وحذفها للاه
ختصار او لانه لكل واحدة منهما وقراء حمزة والكسائي و
حفص فعميت اي اخفيت بالتشديد وقرئ فعماها على ان
الفعل لله انلزمكموها اكرهكم على الاهتداء بها وانتم لها كارهون
لاختياركم لها ولانتأملون فيها وحيث اجتمع ضميران وه
احدهما مرفوعا وقدم الاعرف منهما جاز في الثاني الفصل
والوصل ويا قوم لا اسئلكم عليه على التبليغ وهو وان لم يذكر
صريحا معلوم مما ذكر ما لا جعلا ان اجري الا على الله فانه المأمول
منه وما انا بطارد الذين آمنوا جواب لهم حين سألوا طردهم
انهم ملاقوا ربهم فيخاصمون طاردهم عنده او انهم يلاقونه
ويفوزون بقربه فكيف اطردهم ولكني اراكم قوما تجهلون
بلقاء ربكم او باقدارهم او في التماس طردهم او تسفهون

بعة

هون

عليهم بان تدعوهم اراذل وياقوم من ينصرني من الله بدفع
انتقامه ان طردتهم وهم بتلك الصفة والمثابة افلا تذكرون
لتعرفوا ان التمسك طردهم وتوقيف الايمان عليه ليس بصواب
ولا اقول لكم عندي خزائن الله حتى تجدتم فضلي ولا اعلم الغيب عطف على عندي خزائن الله
اى ولا اقول انا اعلم الغيب حتى تكذبوني استبعادا اوحتى
اعلم ان هؤلاء اتبعوني بادئ الرأى من غير بصيرة وعقد
قلب وعلى الثاني يجوز عطفه على اقول ولا اقول اني ملك حتى
تقولون ما انت الا بشر مثلنا ولا اقول للذين تزدري اعينكم
ولا اقول في شان من استرذلتموهم لفقرهم لن يؤتيهم الله
خيرا فان ما اعد الله لهم في الاخرة خير مما اتاكم في الدنيا الله اعلم
بما في انفسهم اني اذا لمن الظالمين ان قلت شيئا من ذلك والا
زدراء افتعال من زرى عليه اذا عابه قلبت تاؤه دالا لتجانس
الزاى في الجهر واسناده الى الاعين للمبالغة والتنبيه على انهم
استرذلوهم بادى الرؤية من غير روية وبما عاينوا من رثاثة
حالهم وقلة منالهم دون تأمل في معانيهم وكمالاتهم قالوا يا نوح
قد جادلتنا خاصمتنا فاكثرت جدالنا فاطلته اوتيت بانواعه
فأتنا بما تعدنا من العذاب ان كنت من الصادقين في الدعوى
والوعيد فان مناظرتك لا تؤثر فينا قال انما يأتيكم به الله ان
شاء عاجلا او آجلا وما انتم بمعجزين بدفع العذاب او الهرب
منه ولا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح لكم شرط دليل جواب
والجملة دليل جواب قوله ان كان الله يريد ان يغويكم وتقدير
الكلام ان كان الله يريد ان يغويكم فان اردت ان انصح لكم
لا ينفعكم نصحي ولذلك تقول لو قال الرجل انت طالق ان
دخلت الدار ان كلمت زيدا فدخلت ثم كلمت لم تطلق وهو

جواب لما اوهموا من ان جداله كلام بلا طائل وهو دليل على
ان ارادة الله تصح تعلقها بالاغواء وان خلاف مراده
محال وقيل ان يغويكم ان يهلككم من غوى الفصيل غوى
اذا بشم فهلك هو ربكم خالقكم والمتصرف فيكم وفق ارادته
واليه ترجعون فيجازيكم على اعمالكم ام يقولون افتراه قل
ان افتريته فعلي اجرامي وبالة وقرئ اجرامي على الجمع
وانا بريء مما تجرمون من اجرامكم في اسناد الافتراء الى
واوحي الى نوح انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن
فلا تبتئس بما كانوا يفعلون اقنطه الله من ايمانهم ونهاه
ان يغتم بما فعلوه من التكذيب والايذاء واصنع الفلك باعيننا
ملتبسا باعيننا عبر بكثرة آلة الحس الذي به يحفظ الشيء ويراعى
عن الاختلال والزيغ عن المبالغة في الحفظ والرعاية على طريق
التمثيل ووحينا اليك كيف تصنعها ولا تخاطبني في الذين ظلموا
فلا تراجعني فيهم ولا تدعني باستدفاع العذاب عنهم انهم
مغرقون محكوم عليهم بالاغراق فلا سبيل الى كفه ويصنع
الفلك حكاية حال ماضية وكل ما مر عليه ملأ من قومه سخروا
منه استهزؤا به لعلمه السفينة فانه كان يعملها في برية بعيدة
عن الماء او ان غربته وكانوا يضحكون منه ويقولون له صرت
نجارا بعد ما كنت نبيا قال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم
كما تسخرون اذا اخذكم الغرق في الدنيا والحرق في الاخرة
قيل المراد بالتسخرية الاستجهال فسوف تعلمون من يأتيه
عذاب يخزيه يعني به اياهم وبالعذاب الغرق ويحل عليه
ينزل او يتحل عليه حلول الدين الذي لا انفكاك عنه عذاب
مقيم دائم وهو عذاب النار حتى اذا جاء امرنا غاية لقوله
ويصنع الفلك وما بينهما حال من الضمير فيه او حتى هي التي

يبتداء بعدها الكلام وفار التنور تبع الماء فيه وارتفع كالقدر
يفور والتنور تنور الخبز ابتداء منه النبوع على خرق العادة
وكان في الكوفة في موضع مسجدها او في الهند او بعين وردة
من ارض الجزيرة وقيل التنور وجه الارض او اشرف موضع
فيها قلنا احمل فيها اى في السفينة من كل نوع من الحيوانات هـ
المنتفع فيها بها زوجين اثنين ذكر وانثى هذا على قراءة حفص
والباقون اضافوا على معنى احمل اثنين من كل زوجين اى من كل
صنف ذكر وصنف انثى واهلك عطف على زوجين او اثنين هـ
والمراد امراته وبنوه ونساؤهم الا من سبق عليه القول هـ
بانه من الفريقين يريد ابنه كنعان وامته واعلة فانهما كانا كافرين
ومن آمن والمؤمنون من غيرهم وما آمن الا قليل قيل كانوا تسعة
وسبعين زوجته المسلمة وبنوه الثلاثة سام وحام ويافث ونساؤ
هم واثنان وسبعون رجلا وامراة من غيرهم روى انهم
اتخذ السفينة في سنتين من الساج وكان طولها ثلاثمائة هـ
ذراع وعرضها خمسين ذراعا وسمكها ثلاثين ذراعا وجعل لها
ثلاثة بطون فحمل في اسفلها الدواب والوحش وفي اوسطها
الانس وفي اعلاها الطير وقال اركبوا فيها اى صيروا فيها وهـ
جعل ذلك ركوبا لانها في الماء كالمركوب في الارض بسم الله
مجراها ومرساها متصل باركبوا حالى من الواو اى اركبوا فيها
مسمين الله او قائلين بسم الله وقت اجرائها وارسائها
او مكانهما على ان المجرى والمرسى للوقت او المكان او للمصدر
والمضاف محذوف كقولهم اتيك خفوق النجم وانتصابهما بما
قدرناه حالا ويجوز رفعهما بسم الله على ان المراد المصدر
او جملة من مبتداء وخبر اى اجراؤها بسم الله على ان بسم
الله خبر او صلة والخبر محذوف وهي اما جملة مقتضية لاتعلق

لها بما قبلها او حال مقدرة من الواو او الهاء وروى انه كان
اذا اراد ان يجرى قال بسم الله فجرت واذا اراد ان يرسى
قال بسم الله فرست ويجوز ان يكون الاسم مفعما كقوله
ثم اسم السلام عليكما وقراء حمزة والكسائي وعاصم برواية
حفص مجراها ومرسيها بلفظ الفاعل صفتين لله هـ
ان ربي لغفور رحيم اى لولا مغفرته لفرطاتكم و
رحمته اياكم لما نجاكم وهي تجري بهم متصل بمحذوف
دل عليه اركبوا اى فركبوا مستمرين وهي تجري وهم
فيها في موج كالجبال في موج من الطوفان وهو ما يرتفع من
الماء عند اضطرابه كل موجة منها كجبل في تراكمها وارتفاعها هـ
وما قيل من ان الماء طبق ما بين السماء والارض وكانت السفينة
تجري في جوفه ليس بثابت والمشهور انه علا اشوامخ الجبال هـ
خمسة عشر ذراعا وان صح فلعل ذلك قبل التطبيق ونادى نوح هـ
ابنه وكنعان وقرئ ابنها وابنه بحذف الالف على ان الضمير
لامراته وكان ربيبه وقيل كان لغير رشدة لقوله فخانتاهما هـ
وهو خطاء اذ الانبياء عصمت من ذلك والمراد بالخيانة الخيانة
في الدين وقرئ ابناه على الندبة ولكونها حكاية صوت بحذف
الحرف وكان في معزل عزل فيه نفسه عن ابيه او عن دينه
مفعل للمكان من عزله عنه اذا ابعده يا بني اركب معنا في
السفينة والجمهور كسروا الياء ليدل على ياء الاضافة المحذوفة
في جميع القرآن غير ابن كثير فانه وقف عليها في لقمان في موضع
الاول باتفاق الرواة وفي الثالث في رواية قنبل وعاصم
فانه فتحها ههنا اقتصارا على الفتح من الالف المبدلة من ياء هـ
الاضافة واختلفت الرواية عنه في سائر المواضع وقد ادغم
الباء في الميم ابو عمرو والكسائي وحفص لتقارب بهما ولا تكن مع

سورة

الكافرين فى الدين والانعزال قال سآوى الى جبل يعصمنى
من الماء ان يغرقنى قال لا عاصم اليوم من امر الله الا من رحم
الا الراحم وهو الله او الا من مكان من حمهم الله وهم
المؤمنون ردّ بذلك ان يكون اليوم معتصم من جبل ونحوه
يعصم الا يذب به الا معتصم المؤمنين وهو السفينة وقيل لا
عاصم بمعنى لا ذا عصمة كقوله كه فى عيشة راضية وقيل الا
استثناء منقطع اى لكن من رحمه الله يعصمه وحال بينهما
الموج بين نوح وابنه او بين ابنه والجبل فكان من المغرقين
فصار من المهلكين بالماء وقيل يا ارض ابلعى ماءك ويا سماء
اقلعى نودیا بما ينادى به او العلم وامرا بما يؤمرون تمثيلا
لكمال قدرته وانقيادهما لما يشاء تكوينه فيهما بالامر المطاع
الذى يأمر المنقاد لحكمه المبادر الى امتثال امره مهابة من
عظمته وخشيته من اليم عقابه والبلع والنشف والاقلاع الا
مساك وغيض الماء ونقص وقضى الامر وانجز ما وعده
من اهلاك الكافرين وانجاء المؤمنين واستوت واستقرت
السفينة على الجودى جبل بالموصل وقيل بالشام وقيل بآمد
روى انه ركب السفينة عاشر رجب ونزل عنها عاشر المحرم
وصام ذلك اليوم وصار سنة وقيل بعدا للقوم الظالمين هلاكا
لهم يقال بعد بعدا وبعدا اذا بعد بعدا بعيدا بحيث لا يرجى
عوده ثم استعير للهلاك وخص بدعاء السوء والآية فى غاية
الفصاحة لفخامة لفظها وحسن نظمها والدلالة على كنه الحال
مع الايجاز الخالى عن الاخلال وايراد الاخبار على البناء للمفعول
دلالة على تعظيم الفاعل وانه متعين فى نفسه مستغنى عن ذكره
اذ لا يذهب الوهم الى غيره للعلم بان مثل هذه الافعال لا يقدر
عليه سوى الواحد القهار ونادى نوح ربه وارادنداءه

بدليل عطف قوله فقال رب ان ابنى من اهلى قانه النداء هو
وان وعدك الحق وان كل وعد تعده حق لا يتطرق اليه
الخلف وقد وعدت ان تنجى اهلى فما حاله او فما له لم ينج
ويجوز ان يكون هذا النداء قبل غرقه وانت احكم الحاكمين
لانك اعلمهم واعدلهم او لانك اكثر حكمة من ذوى الحكم
على ان الحاكم من الحكمة كالذراع من الذرع قال يا نوح انه
ليس من اهلك لقطع الولاية بين المؤمنين والكافرين و
اشار اليه بقوله انه عمل غير صالح فانه تعليل لنفى كونه من
اهله واصله انه ذو عمل فاسد فجعل ذاته ذات العمل للمبالغة
كقول الخنساء نصف نافة ترتع مارتعت حتى اذا ادكرت
فانماهى اقبال وادبار ثم بذل الفاسد بغير الصالح تصريحا
بالمناقضة بين وصفهما وانتفاء ما اوجب النجاة لمن نجا
من اهله عنه وقرأ الكسائى ويعقوب انه عمل اى عمل عملا غير
صالح فلا تسئلنى ما ليس لك به علم مما لم تعلم اصواب هو ام
ليس بصواب وانما سمى نداءه سؤالا لتضمن ذكر الوعد بنجاة
اهله استنجازه فى شان ولده او استفسار المانع للانجاز فى
حقه وانما سماه جهلا وزجره عنه بقوله انى اعظك ان تكون
من الجاهلين لان استثناء من سبق عليه القول من اهله قد
دله على الحال واغناه عن السؤال لكن اشفله حب الولد
حتى اشتبه الامر عليه وقرأ ابن كثير بفتح اللام والنون
الشديدة وكذا نافع وابن عامر غير انهما كسرا النون على
انه اصله تسئلننى فحذفت نون الوقاية لاجتماع النونات
وكسرت المشددة للياء ثم حذفت اكتفاء بالكسرة واثبتها
نافع برواية ورش فى الوصل قال رب انى اعوذ بك ان
اسئلك فيما يستقبل ما ليس لى به علم مما لا علم لى بصحته والا هو

تغفر لي وان لم تغفر لي ما فرط مني من السؤال وترحمني يا
لتوبة والتفضل علي اكن من الخاسرين اعما لاقيل يا نوح
اهبط بسلام منا النزل من السفينة مسلما من المكاره من
جهتنا او مسلما عليك وبركات عليك ومباركا عليك اوزيا
دات في نسلك حتى تصير امما ثانيا وقرئ اهبط بالضم
وبركة على التوحيد وهي الحين الثاني وعلى امم ممن معك
وعلى امم هم الذين معك سموا امما لتحيتهم او لتشعب الا
مم منهم او على امم ناشئة ممن معك والمراد بهم المؤمنون
لقوله وامم سنمتعهم اي وممن معك امم سنمتعهم في الدنيا
ثم يمسهم منا عذاب اليم في الاخرة والمراد بهم الكفار
من ذرية من معه وقيل هم قوم هود وصالح ولوط وشعيب
والعذاب ما نزل بهم تلك اشارة الى قصة نوح عليه السلام
ومحلها الرفع بالابتداء وخبرها من انباء الغيب الى بعضها
نوحيها اليك خبر ثان والضمير لها اي موحاة اليك او حال
من الانباء او هو الخبر ومن انباء متعلق به او حال من الهاء
ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل لهذا اخبر آخر اي بجهلة
عندك وعند قومك من قبل ايحائنا اليك او حال من الهاء في
نوحيها او الكاف في اليك اي جاهلا انت وقومك بها وفي
ذكرهم تنبيه على انه لم يتعلمه اذ لم يخالط غيرهم وانهم مع
كثرتهم لما لم يسمعوه فكيف بواحد منهم فاصبر على مشاق
الرسالة واذية القوم كما صبر نوح ان العاقبة في الدنيا بالم
للطف وفي الاخرة بالغفران للمتقين عن الشرك والمعاصي
والى عاد اخاهم هودا عطف على قوله نوحا الى قومه وهودا
عطف بيان قال يا قوم اعبدوا الله وحده ما لكم من الهة غيره
وصرح بالجر حملا على المجرور وحده ان انتم الا مفترون

على الله باتخاذ الاوثان شركاء وجعلها شفعاء يا قوم لا اسئلكم
عليه اجرا ان اجري الا على الذي فطرني خاطب كل رسول
به قومه ازاحة للتهمة وتحريضا للتصيحة فانها لا تنجع ما دا
مت
مشوبة بالمطامع افلا تعقلون افلا تستعملون عقولكم هـ
فتعرفوا المحق والمبطل والصواب من الخطاء ويا قوم هـ
ن
استغفروا ربكم ثم توبوا اليه اطلبوا مغفرة الله بالايما
ثم توسلوا اليها بالتوبة وايضا التبري عن الغير انما يكون
بعد الايمان بالله والرغبة فيما عنده يرسل السماء هـ
قوة صح
عليكم مدرارا كثير الدر ويزدكم الى قوتكم وانما رغبهم
بكثرة المطر وزيادة القوة لانهم كانوا اصحاب زروع و
عمارات وقيل حبس الله عنهم المطر واعقم ارحام نسائهم
ثلاث سنين فوعدهم هود عليه السلام على الايمان والتوبة
بكثرة الامطار وتضاعف القوة بالتناسل ولا تتولوا ولا هـ
تعرضوا عما ادعوكم اليه مجرمين مصرين على اجرامكم قالوا
يا هود ما جئتنا ببينة بحجة تدل على صحة دعواك وهو لفرط
عنادهم وعدم اعتدادهم بما جاء هم من المعجزات وما نحن
بتاركي آلهتنا بتاركي عبادتهم عن قولك صادرين عن قولك
حال من الضمير في تاركي وما نحن لك بمؤمنين اقناط له من
الاجابة والتصديق ان نقول الا اعتراك ما نقول الا اعترا
ك
اي اصابك من عراه يعروه اذا اصابه بعض آلهتنا بسوء
بجنون لسبك اياها وصدك عنها ومن ذلك تهذي وتتكلم
بالخرافات والجملة مقول القول والا لغو لان الاستثناء هـ
مفرغ قال اني اشهد الله واشهدوا اني بريء مما تشركون
من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون اجاب به عن مقالتهم
الحمقاء بان اشهد الله على براءته من آلهتهم وفراغه عن هـ

اضرارهم تأكيد الذلاء وتشبيتا له وامرهم بان يشهدوا عليه
استهانة بهم وان يجتمعوا على الكيد فى اهلاكه من غير انظار
حتى اذا اجتهدوا فيه ورأوا انهم عجزوا عن اخرهم وهم
الاقوياء الاشداء ان يضروه لم يبق لهم شبهة ان الهتهم التى
هى جماد لا تضر ولا تنفع لا تتمكن من اضراره انتقاما منه و
هذا من جملة معجزاته عليه السلام فان مواجهة الواحد الجم
الغفير من الجبابرة الفتاك العطاش الى اراقة دمه بهذا
الكلام ليس الا لثقته بالله وتنبطلهم عن اضراره ليس الا
بعصمته اياه ولذلك عقبه بقوله انى توكلت على الله ربى و
ربكم تقريرا له والمعنى انكم وان بذلتم غاية وسعكم لا تضرونى
فانى متوكل على الله واثق بكلائته وهو مالكى ومالككم ولا يجوز
لى مالم يرده ولا تقدرون على مالم يقدره ثم برهن عليه
بقوله ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها اى الا هو مالك لها قادر
عليها يصرفها على ما يريد بها والاخذ بالنواصى تمثيل لذلك
ان ربى على صراط مستقيم اى انه على الحق والعدل لا يضيع عنده
معتصم اى به ولا يفوته ظالم فان تولوا فان تتولوا فقد
ابلغتكم ما ارسلت به اليكم فقد ادبت ما على من الابلاغ و
الزام الحجة فلا تفريط منى ولا عذر لكم فقد ابلغتكم ما ارسلت
به اليكم ويستخلف ربى قوما غيركم استيناف بالوعيد لهم
بان الله يهلكهم ويستخلف قوما اخرين فى ديارهم واموالهم
او عطف على الجواب بالفاء ويؤيده القراءة بالجزم على الموضع
وكانه قيل فان تتولوا يعذرنى ويستخلف ولا تضرونه بتوليكم
شيئا من الضرر ومن جزم يستخلف اسقط النون منه ان
ربى على كل شىء حفيظ رقيب فلا تخفى عليه اعمالكم ولا يغفل
عن مجازاتكم او حافظ مستول عليه فلا يمكن ان يضره شىء

ولما جاء امرنا عذابنا او امرنا بالعذاب نجينا هودا والذين
آمنوا معه برحمة منا وكانوا اربعة آلاف ونجيناهم من عذاب
غليظ تكرير لبيان ما نجاهم عنه وهو الستموم وكانت تدخل
انوف الكفرة وتخرج من ادبارهم فتقطع اعضاءهم او المراد
به تنجيتهم من عذاب الآخرة ايضا والتعريض بان المهلكين
كما عذبوا فى الدنيا بالستموم فهم معذبون فى الآخرة بالعذاب
الغليظ وتلك عاد استئناف باعتبار القبيلة او لان
الاشارة الى قبورهم وآثارهم جحدوا بايات ربهم كفروا بها
وعصوا رسله لانهم عصوا رسولهم ومن عصى رسولا فكانما
عصى الكل لانهم امروا بطاعة كل رسول واتبعوا امر كل جبار
عنيد يعنى كبراءهم الطاغين وعنيد من عند عندا وعند اذا
عند اذا طغى والمعنى عصوا من دعاهم وما ينجيهم واطاعوا
من دعاهم الى الكفر وما يردیهم واتبعوا فى هذه الدنيا لعنة
يوم القيمة اى جعلت اللعنة تابعة لهم فى الدارين تكبهم فى العذاب
الا ان عاد اكفروا ربهم جحدوه او كفروا نعمه او كفروا به بحذف
الجار الا بعدا لعاد دعاء عليهم بالهلاك والمراد به الدلالة على
انهم كانوا مستوجبين لما نزل عليهم بسبب ما حكى عنهم وانما
كرر الا واعاد ذكرهم تفظيعا لامرهم وحثا على الاعتبار
بحالهم قوم هود عطف بيان لعاد وفائدته تمييزهم عن عاد
الثانية عاد ارم والايماء الى ان استحقاقهم للبعد بما جرى
بينهم وبين هود والى ثمود اخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله
ما لكم من اله غيره هو انشأكم من الارض هو كونكم منها لا غير
فانه خلق آدم ومواد النطف التى خلق نسله منها من التراب
واستعمركم فيها عمركم فيها واسبقاكم من العمر او اقدركم على عمارتها
وامركم بها وقيل هو من العمر بمعنى اعمركم فيها ديارهم ويرثها

منكم بعد انصرام اعمارکم او جعلکم معمرين في ديارکم تسكنونها
مدة عمركم ثم تتركونها لغيركم فاستغفروه ثم توبوا اليه
ان ربي قريب الرحمة مجيب لداعيه قالوا يا صالح قد
كنت فينا مرجوا قبل هذا اترى فيك من نخائل الرشد وه
السداد ان تكون لنا سيدا او مستشارا في الامور او ان ه
توافقنا في الدين فلما سمعنا منك هذا القول انقطع رجاؤنا عنك
انتهانا ان نعبد ما يعبد آباؤنا على حكاية الحال الماضية وانا
لفي شك مما تدعونا اليه من التوحيد والنبوي عن الاوثان
مريب موقع الريبة من ارابه او ذي ريبة على الاسناد ه
المجازي من ارابّ في الامر قال يا قوم ارايتم ان كنت على
بينة من ربي بيان وبصيرة وحرف الشك باعتبار المخاطبين
واتاني منه رحمة نبوة فمن ينصرني من الله فمن يمنعني من
عذاب الله ان عصيته في تبليغ رسالته والمنع عن الاشراك به
فما تزيدونني اذا بالتباعكم اياي غير تخسير غير ان تخسروني
بابطال ما منحني الله به والتعرض لعذابه او فما تزيدونني
بما تقولون لي غير ان نسبتكم الى الخسران ويا قوم هذه ناقة
الله لكم آية انتصب آية على الحال وعاملها معنى الاشارة ولكم
حال منها تقدمت عليها لتنكيرها فذروها تاكل في ارض الله
ترع نباتها وتشرب ماءها ولا تمسوها بسوء فيأخذكم
عذاب قريب عاجل لاثر اخبر عن مسكم لها بالسوء الايسر
وهو ثلاثة ايام فعقروها فقال تمتعوا في داركم عيشوا في
منازلكم او في داركم الدنيا ثلاثة ايام الاربعاء والخميس و
الجمعة ثم تهلكون ذلك وعد غير مكذوب غير مكذوب ه
فيه فاتسع فيه باجرائه مجرى المفعول به كقوله ويوم ه
شهدناه سليما وعامرا او غير مكذوب على المجاز وكان ه

ب
مذ

الواعد قال له اتى بك فان وفى به صدقه والا كذبه او وعد غير كاذب
كالمجلود والمعقول فلما جاء امرنا نجينا صالحا والذين آمنوا
معه برحمة منا ومن خزي يومئذ اى ونجيناهم من خزي يو
وهو هلاكهم بالصيحة او ذلهم وفضيحتهم يوم القيمة و
قراء نافع والكسائي هنا وفي المعارج في قوله من عذاب يومئذ
بالفتح على اكتساب المضاف البناء من المضاف اليه ان ربك
هو القوي العزيز القادر على كل شيء والغالب عليه واخذ
الذين ظلموا الصيحة فاصبحوا في ديارهم جاثمين قد سبق
تفسير ذلك في سورة الاعراف كان لم يغنوا فيها الا ان ثمودا
كفروا ربهم قراء حمزة وحفص ان ثمود هنا وفي الفرقان و
العنكبوت بفتح الدال من غير تنوين ونونه الكسائي بخفض
الدال في قوله الا بعدا لثمود ذهابا الى الحي او الاب الاكبر و
لقد جاءت رسلنا ابراهيم يعني الملائكة قيل كانوا تسعة و
قيل ثلاثة جبرائيل وميكائيل واسرافيل بالبشرى ببشارة ه
الولد وقيل بهلاك قوم لوط قالوا سلاما سلمنا عليك سلاما
ويجوز نصبه بقالوا على معنى ذكروا سلاما قال سلام اى امركم
او جوابي سلام او وعليكم سلام رفعه اجابة باحسن من ه
تحيتهم وقراء حمزة والكسائي سلم وكذلك في الذاريات و
هما لغتان كحرام وحرم وقيل المراد به الصلح فما لبث ان جاء
بعجل حنيذ فما ابطاء مجيئه به او فما ابطاء في المجيء به او فما
تاخر عنه مقدارا ومحذوف والحنيذ المشوي بالرصف وقيل
الذي يقطر ودكه من حنذت الفرس اذا عرقته بالجلال ه
لفعله بعجل سمين فلما رآى ايديهم لا تصل اليه لا يمدون
اليه ايديهم نكرهم واوجس منهم خيفة انكر ذلك منهم و
خاف ان يريدوا به مكروها ونكر وانكر واستنكر بمعنى وه

الايجاس الادراك وقيل الاضمار قالوا له لما احتسوا منه انه
الخوف لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط انا ملائكة مرسلة
اليهم بالعذاب وانما له نمد اليه ايدينا لانا لا نأكل وامرأته
قائمة وراء الستر تسمع محاورتهم او على رؤسهم للخدمة
فضحكت سرورا بزوال الخيفة او بهلاك اهل الفساد او
باصابة رأيها فانها كانت تقول لابراهيم عليه السلام اضتم
اليك لوطا فانى اعلم ان العذاب ينزل بهذا اليوم وقيل
فضحكت حاضت قال وعهدى بسلمى ضاحكا فى لبابة ولم
تعد حقائد يها ان تحلما ومنه ضحكت الشمرة اذا اسال صمغها
وقرئ بفتح الحاء فبشرناها باسحاق ومن وراء اسحاق
يعقوب نصبه ابن عامر وحمزة وحفص بفعل يفسره ما دل
عليه الكلام وتقديره ووهبنا لها من وراء اسحاق يعقوب
وقيل انه معطوف على موضع باسحاق او على لفظ اسحاق
وفتحته للجر فانه غير منصرف ورد للفصل بينه وبين ما هو
عطف عليه بالظرف وقراء الباقون بالرفع على انه مبتدا خبره الظرف
اى ويعقوب مولود من بعده وقيل الوراء ولد الولد ولعله سمى
به لانه بعد الولد وعلى هذا تكون اضافته الى اسحاق ليس من حيث
ان يعقوب وراءه بل من حيث انه وراء ابراهيم من جهته وفيه
نظر والاسمان يحتمل وقوعهما فى الحكاية بعد ان ولد اسمى به
وتوجيه البشارة اليها للدلالة على ان الولد المبشر به يكون منها
ولانها كانت عقيمة حريصة على الولد قالت يا ويلتى يا عجبا وهو
اصله فى الشر فاطلق فى كل امر فظيع وقرئ بالياء على الاصل الذ
وايا عجوز ابنة تسعين او تسع وتسعين وهذا بعلى زوجى هو
واصله القائم بالامر شيخا ابن مائة او مائة وعشرين ونصبه
على الحال والعامل فيها معنى الاشارة وقرئ بالرفع على انه خبره

ق

لجب

محذوف اى هو شيخ او خبر بعد خبر او هو الخبر وبعلى بدل هو
ان هذا لشئ عجيب يعنى الولد من هرمين وهو استعجاب من
حيث العادة دون القدرة ولذلك قالوا اتعجبين من امر الله
رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت منكرين عليها فان خوارق
العادات باعتبار اهل بيت النبوة ومهبط المعجزات وهو
تخصيصهم مزيد النعم والكرامات ليس ببدع ولا حقيق
بان يستغربه عاقل فضلا عن نشأت وشابت فى ملاحظة
الآيات واهل البيت نصب على المدح او النداء لقصد التخصيص
كقولهم اللهم اغفر لنا ايتها العصابة انه حميد فاعل ما يستو
به الحمد مجيد كثير الخير والاحسان فلما ذهب عن ابراهيم
الروع وما اوجس من الخيفة واطمان قلبه بعرفانهم وهو
جاءته البشرى بدل الروع يجادلنا فى قوم لوط يجادل هو
رسلنا فى شانهم ومجادلته اياهم قوله ان فيها لوطا وهو اما
جواب لما جئ به مضارعا على حكاية الحال او لانه فى سياق الجواب
بمعنى الماضى كجواب لو ودليل جوابه المحذوف مثل اجتزاء
على حظاءنا او شرع فى جدالنا او متعلق به اقيم مقامه مثل
احد او اقبل يجادلنا ان ابراهيم لحليم وغير مجفول على الالهة
تتعاظم من المسئ اليه اواه كثير التاوه من الذنوب والتأفف
على الناس منيب راجع الى الله تعالى والمقصود من ذلك بيان الحامل له
على المجادلة وهو رقة قلبه وفرط ترحمه يا ابراهيم على ارادة القول
اى قالت الملائكة يا ابراهيم اعرض عن هذا الجدال انه قد جاء
امر ربك قدره بمقتضى قضائه الازلى بعذابهم وهو اعلم بحالهم
وانهم آتيهم عذاب غير مردود ممرود فلا يجدال ولا دعاء ولا غير
ذلك ولما جاءت رسلنا لوطا سئ بهم ساءه مجيئهم لانهم جاؤا فى
صورة غلمان فظن انهم اناس فخاف عليهم ان يقصدهم قومه

فيعجز عن مدافعتهم وقرأ نافع وابن عامر والكسائي سيء و
سيئت باشمام السين الضم هنا وفي العنكبوت والملك والباقون
بالخلاص كسرة السين وضاق بهم ذرعا بمكانهم صدره وهو
كناية عن شدة الانقباض للعجز عن مدافعة المكروه والاهم
حتيال فيه وقال هذا يوم عصيب شديد من عصبه اذا شده
وجاءه قومه يهرعون اليه يسرعون اليه كانهم يدفعون
دفعا لطلب الفاحشة من اضيافه ومن قبل ومن قبل ذلك
الوقت كانوا يعملون السيئات الفواحش فيتمرنون بها ولم
يستحيوا منها حتى جاؤا يهرعون لها مجاهرين قال يا قوم
هؤلاء بناتي فدابهن اضيافه كرما وحمية والمعنى هؤلاء بناتي
فتزوجوهن وكانوا يطلبونهن قبل فلا يجيبهم لخبثهم وعدم كفاءتهم
لحرمة المسلمات على الكفار فانه شرع طار ومبالغة في تنائي
خبث ما يرومونه حتى ان ذلك اهون عليه منه او اظهار الشدة
امتعاضه من ذلك كرر قوله وقيل المراد بالبنات نساؤهم فان
كل نبي ابو امته من حيث الشفقة والتربية وفي حرف ابن مسعود
وازواجه امهاتهم وهو اب لهم هن اطهر لكم انظف فعلام
واقل فحشا كقولك الميتة اطيب من المغصوب واحل منه وقرئ
اطهر بالنصب على ان هن خبر بناتي كقولك هذا اخي هؤلاء هم
فاتقوا الله فاصل فانه لا يقع بين الحال وذيها فاتقوا الله بترك الفواحش
او بايثارهن عليهم ولا تخزون لا تفضحون من الخزي او من
الخزاية بمعنى الحياء في ضيفي في شانهم فان اخزاءهم
ضيف الرجل اخزاؤه اليس منكم رجل رشيد يهتدي الى الحق ويرعوي
عن القبيح قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق من حاجة وهو
انك لتعلم ما نريد وهو اتيان الذكران قال لو ان لي بكم قوة او
آوي الى ركن شديد لو قويت بنفسي على دفعكم اي قوى اتمنع به

عنكم شبهه بركن الجبل في شدته وعن النبي صلى الله عليه وسلم رحم
الله أخي لوطا كان يأوي الى ركن شديد وقرئ اواوي بالنصب
باضمار ان كانه قال لو ان لي بكم قوة او اويا وجواب لو محذوف
تقديره لدفعتكم روي انه عليه السلام اغلق بابه دون اضيافه
واخذ يجادلهم من وراء الباب فتسور الجدران فلما رأت
الملائكة ما على لوط من الكرب قالوا يا لوط انا رسل ربك لن
يصلوا اليك لن يصلوا الى اضرارك باضرارنا فهو ن عليك و
دعنا واياهم فخلاهم ان يدخلوا فضرب بجناحه وجوههم
وطمس اعينهم واعماهم فخرجوا يقولون النجا النجا فان
في بيت لوط سحرة فاسر باهلك بالقطع من الاسر او قرأ
ابن كثير ونافع بالوصل حيث كان في القرآن من السرى بقطع
من الليل بطائفة منه ولا يلتفت منكم احد ولا يتخلف او لا
ينظر الى ورائه والنهي في اللفظ لاحد وفي المعنى للوط الا امرأتك
استثناء من قوله فاسر باهلك ويدل عليه انه قرئ فاسر باهلك
بقطع من الليل الا امرأتك وهذا انما يصح على تأويل الالتفات
بالتخلف فانه ان فسر بالنظر الى الوراء في الذهاب ناقض ذلك
قراءة ابن كثير وابي عمرو بالرفع على البدل من احد ولا يجوز
حمل القراءتين على التواخي بين في انه خلفها مع قومها او اخرجها
فلما سمعت صوت العذاب التفتت وقالت يا قوماه فادركها
حجر فقتلها لان القواطع لا يصح حملها على المعاني المتناقضة و
الاولى جعل الاستثناء في القراءتين عن قوله ولا يلتفت هو
مثله في قوله ما فعلوه الا قليل ولا بعد ان يكون اكثر القراء هو
على غير الافصح ولا يلزم من ذلك امرها بالالتفات بل عدم
نهيها عنه استصلاحا ولذلك علله على طريق الاستئناف بقوله
انه مصيبها ما اصابهم ولا يحسن جعل الاستثناء منقطعا على

تلك

قراءة الرفع ان موعدهم الصبح كانه علة الامر بالاساء اليس الصبح بقريب جواب لاستعجال لوط واستبطائه العذاب فلما جاء امرنا عذابنا اوامرنا به ويؤيده الاصل وجعل التعذيب مستبعا عنه بقوله جعلنا عاليها سافلها فانه جواب لما وكان حقه جعلوا اى الملائكة المأمورون فاسنده الى نفسه من حيث انه المسبب تعظيما للامر فانه روى ان جبريل عليه السلام ادخل جناحه تحت مدائنهم ورفعها الى السماء حتى سمع اهل السماء نباح الكلاب وصياح الديكة ثم قلبها عليهم وامطرنا عليها على المدن او على شذاذها حجارة من سجيل من طين متحجر كقوله حجارة من طين واصله سنك كل معرب وقيل انه من اسجله اذا ارسله اوادن عطية والمعنى من مثل الشيء المرسل او من مثل العطية في الادرار او من النجم اى مما كتب الله ان يعذبهم به وقيل اصله من سجين اى من جهنم فابدلت لامه نونا منضود نضد معد العذابهم اونضد في الارسال يتتابع بعضه على بعض كقطار الامطار اونضد بعضه على بعض والصق به مسومة معلمة للعذاب وقيل معلمة ببياض وحمرة اوبسيماء تتميز به عن حجارة الارض او باسم من يرمى به عند ربك في خزائنه وما هي من الظالمين ببعيد فانهم بظلمهم حقيق بان يمطر عليهم وفيه وعيد لكل ظالم وعنه صلى الله عليه وسلم انه سئل جبريل فقال يعني ظالمي امتك ما من ظالم منهم الا وهو بغرض حجر يسقط عليه من ساعة الى ساعة وقيل الضمير للقرى اى هي قريبة من ظالمي مكة يمرون بها في اسفارهم الى الشام وتذكير البعيد على تاويل الحي او المكان والى مدين اخاهم شعيبا اراد اولاد مدين ابن ابراهيم عليه السلام او اهل مدين وهو بلد بناه فسمي باسمه قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان امرهم بالتوحيد اولا فانه ملاك الامر ثم نهاهم عما اعتادوه من البخس المنافي للعدل المخل بحكمة التعاوض اني اراكم بخير سعة تغنيكم عن البخس او بنعمة حقها ان تتفضلوا على الناس شكرا عليها الا ان تنقصوها حقوقهم او سعة فلا تزيلوها بما انتم عليه وهو في الجملة علة النهي واني اخاف عليكم عذاب يوم محيط لا يشذ منه احد منكم وقيل عذاب مهلك من قوله واحيط بثمره والمراد عذاب يوم القيمة اوعذاب الاستيصال وتوصيف اليوم بالاحاطة وهي صفة العذاب لاشتماله عليه ويا قوم اوفوا المكيال والميزان صرح بالامر بالايفاء بعد النهي عن ضده مبالغة وتنبيها على انه لا يكفيهم الكف عن تعمد التطفيف بل يلزمهم السعي في الايفاء ولو بزيادة لا يتأتى دونها بالقسط بالعدل والتسوية من غير زيادة ونقصان فان الازدياد ايفاء وهو مندوب غير مامور به وقد يكون محظورا ولا تبخسوا الناس اشياءهم تعميم بعد تخصيص فانه اعم من ان يكون في المقدار وفي غيره وكذا قوله ولا تعثوا في الارض مفسدين فان العثو يعم تنقيص الحقوق وغيره من انواع الفساد وقيل المراد بالبخس المكث كاخذ العشور من المعاملات والعثو السرقة وقطع الطريق والغارة وفائدة الحال اخراج ما يقصد به الاصلاح كما فعله الخضر عليه السلام وقيل معناه ولا تعثوا في الارض مفسدين امر دينكم ومصالح دنياكم بقية الله ما ابقاه لكم من الحلال بعد التنزه عما حرم عليكم خير لكم مما تجمعون بالتطفيف ان كنتم مؤمنين بشرطه ان تؤمنوا فان خير يتها باستتباع الثواب مع النجاة وذلك

مشروط بالايمان او ان كنتم مصدقين لى فى قولى لكم وقيل
البقية الطاعة لقوله تعالى والباقيات الصالحات وقرئ تقيته
الله بالتاء وهى تقواه التى تكف عن المعاصى وما انا عليكم
بحفيظ احفظكم عن القبايح او احفظ عليكم اعمالكم فاجازيكم
عليها وانما انا ناصح مبلغ وقد اعذرت حين
انذرت اولست بحافظ عليكم نعمة الله لو لم تتركوا سوء
صنيعكم قالوا يا شعيب اصلوتك تامرك ان نترك ما يعبد
آباؤنا من الاصنام اجابوا به بعد امرهم بالتوحيد على الاهم
ستهزاء والهيتكم بصلوته والاشعار بان مثله لا يدعو اليه
داع عقلى وانما دعاك اليه خطرات ووساوس من جنس
ما يواظب عليه وكان كثير الصلوة فلذلك جمعوا وخصوه
بالذكر وقرئ حمزة على الافراد والمعنى اصلوتك تامرك
بتكليف ان نترك فحذف المضاف لان الرجل لا يؤمر بفعل
غيره او نفعل فى اموالنا ما نشاء عطف على ما اى وان
نترك فعلنا ما نشاء فى اموالنا وقرئ بالتاء فيهما على ان
العطف على ان نترك وهو جواب النهى عن التطفيف والامر
بالايفاء وقيل كان ينهاهم عن تقطيع الدراهم والدنانير
فاراد وا به ذلك انك انت الحليم الرشيد تنهى عما به وقصدوا
وصفه بضد ذلك او علموا انكار ما سمعوا منه واستبعاده
بانه موسوم بالحلم والرشد المانعين عن المبادرة الى امثال
ذلك قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربى اشارة الى
اتاه الله من العلم والنبوة ورزقنى منه رزقا حسنا اشارة
الى ما اتاه الله من المال الحلال وجواب الشرط محذوف وفى تقديره
فهل يسع لى مع هذا الانعام الجامع للسعادات الروحانية و
الجسمانية ان اخون فى وحيه واخالفه فى امره ونهيه وهو

اعتذار عما انكروا عليه من غير المآلوف والنهى عن دين الاباء
والضمير فى منه لله اى من عنده وباعانته بلا كد منى لتحصيله
وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه اى وما اريد ان آتى
ما انهاكم عنه لاستبعاد به فلو كان صوابا لاتوته ولم اعرض
عنه فضلا عن ان انهى عنه يقال خالفت زيدا الى كذا اذا قصد
وهو مول عنه وخالفته عنه اذا كان الامر بالعكس ان اريد
الا الاصلاح ما استطعت اى ما اريد الا ان اصلحكم
بامرى بالمعروف ونهى عن المنكر مادمت استطيع الصلاح
فلو وجدت الصلاح فيما انتم عليه لما نهيتكم عنه ولهذه الاية
جوبة الثلاثة على هذا النسق شان وهو التنبيه على ان العا
قل يجب ان يراعى فى كل ما ياتيه ويذره احد حقوق ثلاثة اهمها
واعلاها حق الله تعالى وثانيها حق النفس وثالثها حق الناس
وكل ذلك يقتضى ان آمركم بما امركم به وانهاكم عما نهيتكم عنه
وما مصدرية واقعة موقع الظرف وقيل خبرية بدل من هو
الاصلاح اى المقدار الذى استطعته او اصلاح ما استطعته هو
فحذف المضاف وما توفيقى الا بالله وما توفيقى لاصابة الحق وهو
الصواب الا بهدايته ومعونته عليه توكلت فانه القادر
المتمكن من كل شىء وما عداه عاجز فى حد ذاته بل معدوم
ساقط عن درجة الاعتبار وفيه اشارة الى محض التوحيد
الذى هو اقصى مراتب العلم بالمبدء واليه انيب اشارة
الى معرفة المعاد وهو ايضا يفيد الحصر بتقديم الصلة على الفعل
وفى هذه الكلمات طلب التوفيق لاصابة الحق فيما ياتى و
يذر من الله تعالى والاستعانة به فى مجامع امره والاقبال عليه
بشراشره وحسم اطماع الكفار واظهار الفراغ عنهم
وعدم المبالاة بعداواتهم وتهديدهم بالرجوع الى الله تعالى

للجزاء و يا قوم لا يجرمنكم لا يكسبنكم شقاقي معاداتي ان يصيبكم
مثل ما اصاب قوم نوح من الغرق او قوم هود من الريح او قوم صالح من الرجفة و ان بصلتها تالي مفعول
جرم فانه يعدى الى واحد و الى اثنين ككسب و عن ابن كثير
يجرمنكم بالضم و هو منقول من المتعدي الى مفعول واحد
و الاول افصح فان اجرم اقل دورانا على السنة الفصحاء و
قرئ مثل بالفتح لاضافته الى المبني كقوله لم يمنع الشرب منها
غير ان نطقت حمامة في غصون ذات اوقال و ما قوم لوط
منكم ببعيد زمانا او مكانا فان لم تعتبروا بمن قبلهم فاعتبروا
بهم او انهم ليسوا ببعيد منكم في الكفر و المساوي فلا يبعد عليكم
ما اصابهم و افراد البعيد لان المراد و ما اهلاكهم او و ما هم
بشيء بعيد و لا يبعد ان يسوى في امثاله بين المذكر و المؤنث
لانه على زنة المصادر كالصهيل و الشهيق و استغفروا ربكم
ثم توبوا اليه عما انتم عليه ان ربي رحيم عظيم الرحمة للتائبين
ودود فاعل بهم من اللطف و الاحسان ما يفعل البليغ المودة
بمن يودّه و هو وعد على التوبة بعد الوعيد على الاصرار قالوا
يا شعيب ما نفقه ما نفهم كثيرا مما تقول لكجوب التوحيد و
حرمة التطفيف و ما ذكرت دليلا عليهما و ذلك لقصور عقلهم
و عدم تفكرهم و قيل قالوا ذلك استهانة بكلامه او لانهم يلقاه
اليه اذهانهم لشدة نفرتهم عنه و انا لنريك فينا ضعيفا لا قوة
لك فتمتنع منا ان اردنا بك سوء او مهينا لا عز لك و قيل اعمى بلغة
حمير و هو مع عدم منا سبته يرده التقييد بالطرف و منع
بعض المعتزلة استنباء الاعمى ضياسا على القضاء و الشهادة و الفتوى
بين و لو لا رهطك قومك و عشيرتك لكونهم على ملتنا
للخوف من شرتهم فان الرهط من الثلاثة الى العشرة و قيل الى

السبعة لرجمناك لقتلناك برمي الحجارة او باصعب وجه و ما
انت علينا بعزيز تمنعنا عن قتلك عن الرجم و هذا دين
التشفي المحجوج بقابل الايات و الحجج بالسب و التهديد و هو
في ايلاء ضميره حرف النفي تنبيه على ان الكلام لا في ثبوت العزة
و ان المانع لهم عن ايذائه عزة قومه و لذلك قال يا قوم ارهطي
اعز عليكم من الله و اتخذتموه وراءكم ظهريا و جعلتموه
كالمنسي المنبوذ وراء الظهر بالشرك به و الاهانة برسوله
عليه السلام فلا تبقون على الله و تبقون على رهطي و هو يحتمل
الانكار و التوبيخ و الوزد و التكذيب و ظهري منسوب الى
الظهر و الكسر من تغييرات النسب ان ربي بما تعملون
محيط فلا يخفى عليه شيء منها فيجازي عليها و يا قوم
اعملوا على مكانتكم اني عامل سوف تعلمون من يأتيه عذاب
يخزيه سبق مثله في سورة الانعام و الفاء في فسوف ثمة
للتصريح بان الاصرار و التمكن فيما هم عليه سبب لذلك و
حذفها ههنا لانه جواب لسائل قال فماذا يكون بعد ذلك
فهو ابلغ في التهويل و من هو كاذب عطف على من يأتيه
لا لانه قسيم له كقولك سيعلم الكاذب و الصادق بل لانهم لما
اوعدوه و كذبوه قال سوف تعلمون من المعذب و الكاذب
مني و منكم و قيل كان قياسه و من هو صادق لينصرف الاول
اليهم و الثاني اليه لكنهم لما كانوا يدعونه كاذبا قال و من هو
كاذب على زعمهم و ارتقبوا وانتظروا اما اقول لكم اني
معكم رقيب منتظر فعيل بمعنى الراقب كالصريم او الراقب
كالعشير او المرتقب كالرفيع و لما جاء امرنا نجينا شعيبا
و الذين آمنوا معه برحمة منا انما ذكر بالواو كما في قصة عاد
اذ لم يسبقه ذكر وعد يجري مجرى السبب له بخلاف قصة

صالح ولوطا فانه ذكر بعد الوعد وذلك قوله وعد غير مكذوب
وقوله ان موعدهم الصبح فلذلك جاء بفاء التسببية وأخذت
الذين ظلموا الصيحة قيل صاح جبريل عليه السلام فهلكوا هم
فاصبحوا في ديارهم جاثمين ميتين واصل الجثوم اللزوم
في المكان كأن لم يغنوا فيها كأن لم يقيموا فيها الا بعدا لمدين هم
كما بعدت ثمود شبههم بهم لان عذابهم ايضا كان بالصيحة
غير ان صيحتهم كانت من تحتهم وصيحة مدين كانت من
فوقهم وقرئ بعدت على الاصل فان الكسر تغيير لتخصيص
معنى البعد بما يكون بسبب الهلاك والبعد مصدر لهما و
البعد مصدر المكسور ولقد ارسلنا موسى بآياتنا بالتوراة هم
او المعجزات وسلطان مبين هو المعجزات القاهرة او العصا و
افرادها بالذكر لانها ابهرها ويجوز ان يراد بهما واحد اى وهم
لقد ارسلنا بالجامع بين كونه اياتنا وسلطان له على نبوته وضحا
في نفسه او موضحا اياها فان ابان جاء لازما ومتعديا والفرق
بينهما ان الآية تعم الامارة والدليل القاطع والسلطان يخص
القاطع والمبين يخص بما فيه جلاء الى فرعون وملائه فاتبعوا
امر فرعون فاتبعوا امره بالكفر بموسى وما اتبعوا موسى
الهادي الى الحق المؤيد بالمعجزات القاهرة الباهرة واتبعوا
طريقة فرعون المنهمك في الضلال والطغيان الداعي الى ما هو
لا يخفى فساده على من له ادنى مسكة من العقل لفرط جهالتهم
وعدم استبصارهم وما امر فرعون برشيد مرشد او ذي هم
رشد وانما هو غي محض وضلال صريح يقدم قومه يوم هم
القيمة الى النار كما كان يقدمهم في الدنيا الى الضلال يقال قدم
بمعنى تقدم فاوردهم النار ذكر بلفظ الماضي مبالغة هم
في تحقيقه ونزل الناس لهم منزلة الماء فسمى اتيانها موردا هم

ثم قال وبئس الورد المورود اى بئس المورد الذي وردوه
فانه يراد لتبريد الاكباد وتسكين العطش والنار بالضد والآية
كالدليل على قوله وما امر فرعون برشيد فان من هذا عاقبته
لم يكن في امره رشد او تفسير له على ان المراد بالرشد ما يكون
مأمون العاقبة حميدها واتبعوا في هذه لعنة ويوم القيمة
اى يلعنون في الدنيا وفي الاخرة بئس الرفد المرفود بئس
العون اللعان او العطاء المعطى واصل الرفد ما يضاف الى غيره
ليعمده والمخصوص بالذم محذوف اى رفدهم وهو اللعنة هم
في الدارين ذلك اى ذلك النبأ من انباء القرى المهلكة نقصه
عليك مقصوص عليك منها قائم ومنها ما هو كالزرع
القائم وحصيد ومنها ما هو في الاثر كالزرع المحصود والجملة هم
مستأنفة وقيل حال من الهاء في نقصه وليس بصحيح اذ لا واو
ولا ضمير وما ظلمناهم باهلاكنا اياهم ولكن ظلموا انفسهم بان
عرضوها لما بار تكاب ما يوجبه فما اغنت عنهم فما نفعتهم و
لا قدرت ان تدفع عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من
شيء لما جاء امر ربك حين جاءهم عذابه ونقمته وما زادوهم
غير تتبيب اهلاك او تخسير وكذلك ومثل ذلك الاخذ اخذ
ربك وقرئ اخذ ربك بالفعل وعلى هذا يكون محل الكاف هم
النصب على المصدر اذا اخذ القرى اى اهلها وقرئ اذ لان
المعنى على المضي وهي ظالمة حال من القرى وهي في الحقيقة هم
لاهلها لكنها لما اقيمت مقامه اجريت عليها وفائدتها الاشعار
بانهم اخذوا لظلمهم وانذار كل ظالم ظلم نفسه او غيره من
وخامة العاقبة ان اخذه اليم شديد وجميع غير مرجو الخلاص
عنه وهو مبالغة في التهديد والتحذير ان في ذلك اى فيما هم
نزل بالامم الهالكة او فيما قصه الله من قصصهم لآية لعبرة

لمن خاف عذاب الآخرة يعتبر به عظمته لعلمه بان ما حاق بهم
انموذج مما اعد الله للمجرمين في الآخرة او ينزجر به عن موجبه
لعلمه بانه من اله مختار يعذب من يشاء ويرحم من يشاء فان
من انكر الآخرة واحال فناء هذا العالم لم يقل بالفاعل المختار
وجعل تلك الوقايع لاسباب فلكية اتفقت في تلك الايام لاهل
لذنوب المهلكين بها ذلك اشارة الى يوم القيمة وعذاب الآخرة
دل عليه يوم مجموع له الناس اى يجمع له الناس والتغيير للدلالة
على ثبات معنى الجمع لليوم وانه من شانه لا محالة وان الناس
لا ينفكون عنه فهو ابلغ من قوله يوم يجمعكم ليوم الجمع ومعنى
الجمع او المجموع له لما فيه من المحاسبة والمجازاة وذلك يوم مشهود
اى مشهود فيه اهل السموات واهل الارضين فاشسع فيه باجراء
الظرف مجرى المفعول به كقوله في محفل من نواصي الناس هم
مشهود اى كثير شاهدوه ولو جعل اليوم مشهودا في نفسه لبطل
الغرض من تعظيم اليوم وتمييزه فان سائر الايام كذلك وما
نؤخره اليوم الا لاجل معدود الا لانتهاء مدة معدودة هي
متناهية على حذف المضاف واراده مدة التاجيل كلتها بالاجل
لا منتهاها فانه غير معدود ويوم يات اى الجزاء او اليوم هو
كقوله ان تاتيهم الساعة على ان يوم بمعنى حين او الله تعالى
هل ينظرون الا ان ياتيهم الله وبحذوه وقراء ابن عامر وعاصم
وحمزة يات بحذف الياء اجتزاء عنها بالكسرة لا تتكلم نفس
لا تتكلم بما ينفع وينجي من جواب او شفاعة وهو الناصب
للظرف ويحتمل نصبه باضمار اذكر او بالانتهاء المحذوف
الا باذن الله كقوله لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وهذا
في موقف وقوله هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم
فيعتذرون في موقف آخر او المأذون فيه هو الجوابات الخفيفة

الا باذنه

والممنوع عنه هي الاعذار الباطلة فمنهم شقي وجبت له النار
بمقتضى الوعيد وسعيد وجبت له الجنة بموجب الوعد
والتخيير لاهل الموقف وان لم يذكر لانه معلوم مدلول
عليه بقوله لا تكلم نفس او للناس فاما الذين شقوا ففي
النار لهم فيها زفير وشهيق الزفير اخراج النفس
والشهيق رده واستعمالهما في اول النهيق واخره فاهم
لمراد بهما الدلالة على شدة كربهم وغمهم وتشبيه حالهم بمن
استولت الحرارة على قلبه وانحصر في روحه او تشبيههم
صراخهم باصوات الحمير وقرئ شقوا بالضم خالدين فيها
ما دامت السموات والارض ليس لارتباط دوامهم في
النار بدوامهما فان النصوص دالة تابيد دوامهم وهو
انقطاع دوامهما بل لتعيين عن التابيد والمبالغة بما هو
كانت العرب يعبرون به عنه على سبيل التمثيل ولو كان
لارتباط له يلزم ايضا من زوال السموات والارض زوال
عذابهم ولا من دوامه دوامهما الا من قبل المفهوم لان
دوامهما كالملزوم لدوامه وقد عرفت ان المفهوم لا
يقاوم المنطوق وقيل المراد سموات الآخرة وارضها
ويدل عليه قوله يوم تبدل الارض غير الارض والسموات
وان اهل الآخرة لا بد لهم من مظل ومقيل وفيه نظر
لان تشبيه بما لا يعرف الا كثر الخلق وجوده ودوامه ومن
عرفه فانما يعرفه بما يدل عليه من دوام الثواب والعقاب
فلا يجدى له التشبيه الا ما شاء ربك استثناء من الخلود
في النار لان بعضهم وهم فساق الموحدين يخرجون منها
وذلك كاف لصحة الاستثناء لان زوال الحكم عن الكل
يكفيه زواله عن البعض وهم المراد بالاستثناء الثاني

ل

ت

فانهم مفارقون عن الجنة ايام عذابهم فان التأبيد من
مبتداء معين ينقص باعتبار الابتدا كما ينقص باعتبار
الانتهاء وهؤلاء وان شقوا بعصيانهم فقد سعدوا بايمانهم
ولا يقال فعلى هذا لم يكن قوله فمنهم شقي وسعيد تقسيما
صحيحا لان من شرطه ان يكون صفة كل صنف منتفية عن
قسيمه لان ذلك الشرط حيث التقسيم لانفصال حقيقي او مانع
من الجمع وههنا المراد ان اهل الموقف لا يخرجون عن
القسمين وان حالهم لا يخلو عن السعادة والشقاوة و
ذلك لا يمنع اجتماع الامرين في شخص باعتبارين او لان
اهل النار ينقلون منها الى الزمهرير وغيره من العذاب
احيانا وكذلك اهل الجنة يتنعمون بما هو اعلى من الجنة كالم
لاتصال بجناب القدس والفوز برضوان الله ولقائه
او من اصل الحكم والمستثنى زمان توقفهم في الموقف للحساب
لان ظاهره يقتضي ان يكونوا في النار حين يأتي اليوم او
مدة لبثهم في الدنيا والبرزخ ان كان الحكم مطلقا غير مقيد
باليوم وعلى هذا التأويل يحتمل ان يكون الاستثناء من
الخلود على ما عرفت وقيل هو من قوله لهم فيها زفير وشهيق
وقيل الا ههنا بمعنى سوى كقولك علي الف الا الالفان
القديمان والمعنى سوى ما شاء ربك من الزيادة التي لا
آخر لها على مدة بقاء السموات والارض ان ربك فعال
لما يريد من غير اعتراض واما الذين سعدوا ففي الجنة
خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك
عطاء غير مجذوذ غير مقطوع وهو تصريح بان الثواب
لا ينقطع وتنبيه على ان المراد بالاستثناء في الثواب ليس
الانقطاع ولاجله فرق بين الثواب والعقاب في التأبيد

وقراء حمزة والكسائي وحفص سعدوا على البناء للمفعول من
سعده الله بمعنى اسعده وعطاء نصب على المصدر المؤكد
اى اعطوا عطاء او الحال من الجنة فلا تك في مرية في شك
مما انزل عليك من حال الناس مما يعبد هؤلاء من عبادة
هؤلاء المشركين في انها ضلال مؤد الى مثل ما حل بمن قبلهم
ممن قصصت عليك سوء عاقبة عبادتهم او حال من ما يعبد
في انه لا يضر ولا ينفع ما يعبدون الا كما يعبد اباؤهم من قبل
استئنافي معناه تعليل النهي عن المرية اى هم واباؤهم سواء
في الشرك ما يعبدون عبادة الا كعبادة آبائهم او ما يعبدون
شيئا الا مثل ما عبدوه من الاوثان وقد بلغك ما لحق اباؤهم
من ذلك فسيلحقهم مثله لان التماثل في الاسباب يقتضي التما
في المسببات ومعنى كما يعبد كما كان يعبد فحذف للدلالة قبله
عليه وانا لموفوهم نصيبهم حظهم من العذاب كآبائهم او من
الرزق فيكون عذرا لتأخر العذاب عنهم مع قيام ما يوجبه
غير منقوص حال من النصيب لتقييد التوفية فانك تقول
وفيته حقه وتريد به وفاء بعضه ولو مجازا ولقد آتينا موسى
الكتاب فاختلف فيه فآمن به قوم وكفر به قوم كما اختلف
هؤلاء في القرآن ولولا كلمة سبقت من ربك يعني كلمة الا
نظار الى يوم القيمة لقضي بينهم بانزال ما يستحقه المبطل
لينتهي به عن المحق وانهم وان كفار قومك لفي شك منه
من القرآن مريب موقع للريبة وان كلا وان كل المختلفين
المؤمنين منهم والكافرين والتنوين بدل المضاف اليه وقراء
ابن كثير ونافع وابو بكر بالتخفيف مع الاعمال اعتبارا للاصل
لما يوفينهم ربك اعمالهم اللام الاولى موطئة للقسم والثا
للتأكيد او بالعكس وما مزيدة بينهما للفصل وقراء ابن عامر

ونه

ثل

نية

وحمزة وعاصم لمّا بالتشديد على ان اصله لمن ما فقلبت النون
ميما للادغام فاجتمعت ثلاث ميمات فحذفت اولاهن والمعنى
لمن الذين يوفّيهم ربك جزاء اعمالهم وقرئ لما بالتنوين
اى جميعا كقوله اكلا لما وان كل لما على ان ان نافية ولما
بمعنى الا وقد قرئ به انه بما يعملون خبير فلا يفوت شئ
منه وان خفى فاستقم كما امرت لما بين امر المختلفين فى
التوحيد والنبوة واطنب فى شرح الوعد والوعيد امر رسوله
صلى الله عليه وسلم بالاستقامة مثل ما امر بها وهى شاملة
للاستقامة فى العقائد كالتوسيط بين التشبيه والتعطيل بحيث
يبقى العقل مصونا من الطرفين والاعمال من تبليغ الوحى
بيان الشرايع كما انزل والقيام بوظائف العبادات من غير
تفريط وافراط مفوت للحقوق ونحوها وهو فى غاية
العسر ولذلك قال صلى الله عليه وسلم شيبتنى سورة هود ومن
تاب معك اى تاب من الشرك والكفر وآمن معك وهو عطف
على المستكن فى استقم وان لم يؤكد بمنفصل لقيام الفاصل مقامه
ولا تطغوا ولا تخرجوا عما حدّ لكم انه بما تعملون بصير فهو
مجازيكم عليه وهو فى معنى التعليل للامر والنهى وفى الاية
دليل على وجوب اتباع المنصوص من غير تصرف وانحراف
بنحو قياس واستحسان ولا تركنوا الى الذين ظلموا ولا
تميلوا اليهم ادنى ميل فان الركون هو الميل اليسير كالتزيى
بزيهم وتعظيم ذكرهم فتمسكم النار بركونهم اليهم واذا كان
الركون الى من وجد منه ما يستمى ظلما كذلك فما ظنك بالركون
الى الظالمين اى الموسومين بالظلم ثم بالميل اليهم كل الميل ثم
بالظلم نفسه والانهماك فيه ولعل الاية ابلغ ما يتصور فى
النهى عن الظلم والتهديد عليه وخطاب الرسول صلى الله عليه

وسلم ومن معه من المؤمنين بها للتثبيت على الاستقامة التى هى
العدل فان الزوال عنها بالميل احد طرفى افراط وتفريط فانه
ظلم على نفسه او غيره بل ظلم فى نفسه وقرئ تركنوا فتمسكم النار
بكسر التاء على لغة تميم وتركنوا على البناء للمفعول من اركنه
وما لكم من دون الله من اولياء من انصار يمنعون العذاب
عنكم والواو للحال ثم لا تنصرون ثم لا ينصركم الله اذ سبق
فى حكمه ان يعذبكم ولا يبقى عليكم وثم لاستبعاد نصره اياهم
قد اوعدهم بالعذاب عليه واوجبه لهم ويجوز ان يكون
منزلا منزلة الفاء بمعنى الاستبعاد فانه لما بين ان الله يعذبهم
وان غيره لا يقدر على نصرهم انتج ذلك انهم لا ينصرون
اصلا واقم الصلاة طرفى النهار غدوة وعشية وانتصابه
على الظرف لانه مضاف اليه وزلفا من الليل وساعات منه قريبة
من النهار من ازلفه اذا قربه وهو جمع زلفة وصلوة الغداة
صلوة الصبح لانها اقرب الصلوات من اول النهار وصلوة
العشية صلوة العصر وقيل الظهر والعصر لان ما بعد الزوال
عشى وصلوة الزلف المغرب والعشاء وقرئ زلفا بضمتين
وضمة وبسكون كبسر وبسر وزلفى بمعنى زلفة كقربى وقربة
ان الحسنات يذهبن السيئات يكفرن لها وفى الحديث ان الصلوة
الى الصلوة كفارة ما بينهما ما اجتنبت الكبائر وفى سبب
النزول ان رجلا اتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال انى قد
اصبت من امراة غيرى انى لم آتها فنزلت ذلك اشارة
الى قوله فاستقم فما بعده وقيل الى القران ذكرى للذاكرين
عظة للمتعظين واصبر على الطاعات وعن المعاصى فان
الله لا يضيع اجر المحسنين عدل عن المضمر ليكون
كالبرهان على المقصود ودليلا على ان الصلوة والصبر

احسان وايماء بانه لا يعتد بهما دون الاخلاص فلولا كان فهلا كان من القرون من قبلكم اولوا بقية من الزالى والعقل اولوا فضل وانما سمى بقية لان الرجل يستبقى افضل ما يخرجه ومنه يقال فلان من بقية القوم اى من خيارهم ويجوز ان يكون مصدرا كالبقية اى ذوى ابقاء على انفسهم وصيانة لها من العذاب ويؤيده انه قرئ بقية وهى المدة من مصدر بقاه يبقيه اذا راقبه ينهون عن الفساد فى الارض الا قليلا ممن انجينا منهم لكن قليلا منهم انجيناهم لانهم كانوا كذلك ولا يصح اتصاله الا اذا جعل استثناء من النفى اللازم للتخصيص واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه ما انعموا فيه من الشهوات واهتموا بتحصيل اسبابها واعرضوا عما وراء ذلك وكانوا مجرمين كافرين كانه اراد ان يبين ما كان السبب لاستيصال الامم السالفة وهو فشو الظلم فيهم واتباعهم للهوى وترك النهى عن المنكرات مع الكف وقوله واتبع عطف على مضمر دل عليه الكلام اذ المعنى فلم ينهوا عن الفساد واتبع الذين ظلموا وكانوا مجرمين عطف على اتبع او اعتراض وقرئ واتبع اى اتبعوا جزاء ما اترفوا فيكون الواو للحال ويجوز ان يفسر به المشهورة ويقصده تقديم الانجاء وما كان ربك ليهلك القرى بظلم بشرك واهلها مصلحون فيما بينهم لا يضمون الى شركهم فسادا واتباعا ما وذلك لفرط رحمته ومسامحته فى حقوقه ومن ذلك قدم الفقهاء عند تزاحم الحقوق حقوق العباد وقيل الملك يبقى مع الكفر ولا يبقى مع الظلم ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة مسلمين كلهم وهو دليل ظاهر على ان الامر غير الارادة وانه لم يرد الايمان من كل احد وان ما اراده يجب وقوعه ولا يزالون مختلفين بعضهم على الحق وبعضهم على الباطل لانك لا تجد اثنين يتفقان مطلقا الا من رحم ربك الا ناسا هداهم الله من فضله فاتفقوا على ما هو اصول دين الحق والعمدة فيه ولذلك خلقهم ان كان الضمير للناس فالاشارة الى الاختلاف واللام للعاقبة او اليه والى الرحمة وان كان لمن قال الى الرحمة وتمت كلمة ربك وعيده او قوله لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين اى من عصاتهما اجمعين او منهما اجمعين لا من احدهما وكلا ونكل نباء نقص عليك من انباء الرسل نخبرك به ما نثبت به فؤادك بيان للكل او بدل منه وفائدته التنبيه على المقصود من الاقتصاص وهو زيادة يقينه وطمانينة قلبه وثبات نفسه على اداء الرسالة واحتمال اذى الكفار او مفعول وكلا منصوب على المصدر بمعنى كل نوع من انواع الاقتصاص نقص عليك ما نثبت به فؤادك من انباء الرسل وجاءك فى هذه السورة او الانباء المقتصة عليك الحق ما هو حق وموعظة وذكرى للمؤمنين اشارة الى سائر فوائده العامة وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم على حالكم انا عاملون على حالنا وانتظروا ابناء الدوائر انا منتظرون ان ينزل بكم ما نزل على امثالكم ولله غيب السموات والارض خاصة لا يخفى عليه خافية مما فيهما واليه يرجع الامر كله فيرجع للاحالة امرهم وامرك اليه وقرأ نافع وحفص يرجع على البناء للمفعول فاعبده وتوكل عليه فانه كافيك وفى تقديم الامر بالعبادة على التوكل تنبيه على انه انما ينفع العابد ومما ربك بغافل عما تعملون انت وهم فيجازى ما يستحقه وقرأ نافع وابن عامر وحفص بالتاء هنا وفى اخر النمل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

ص

من قرأ سورة هود اعطى من الاجر عشر حسنات بعدد من
صدق بنوح ومن كذبه وكان يوم القيمة من السعداء سورة
يوسف عليه السلام مكية وآيها مائة واحدى عشرة آية
بسم الله الرحمن الرحيم
الر تلك آيات الكتاب المبين تلك اشارة الى ايات السورة
وهى المرادة بالكتاب اى تلك الايات ايات السورة الظاهرة
امرها فى الاعجاز او الواضحة معانيها او المبينة لمن تدبرها
انها من عند الله او لليهود ما سئالوا اذ روى ان علماءهم قالوا
لكبراء المشركين سئلوا محمدا لم انتقل آل يعقوب من الشام الى
مصر وعن عصة يوسف فنزلت انا انزلناه الكتاب قرآنا
عربيا سمى البعض قرانا لانه فى الاصل اسم الجنس يقع على الكل
والبعض وصار علما للكل بالغلبة ونصبه على الحال وهو فى نفسه
اما توطئة للحال التى هى عربيا او حال لانه مصدر بمعنى مفعول
وعربيا صفة له او حال من الضمير فيه او حال بعد حال وفى كل
ذلك خلاف لعلكم تعقلون علة لانزاله بهذه الصفة اى انزلناه
مجموعا مقروءا بلغتكم كى تفهموه وتحيطوا بمعانيه او تستعملوا
فيه عقولكم فتعملوا ان اقتصاصه كذلك ممن لم يعلم القصص يمتنع
لا يتصور الا بالايحاء نحن نقص عليك احسن القصص احسن
الاقتصاص لانه اقتص على ابدع الاساليب او احسن ما يقص
لاشتماله على العجائب والحكم والايات والعبر فعل بمعنى مفعول
كالنقض والسلب واشتقاقه من قص اثره اذا اتبعه بما اوحينا
بايحائنا اليك هذا القرآن يعنى السورة ويجوز ان يجعل هذا مفعول
نقص على ان احسن نصب على المصدر وان كنت من قبله لمن
الغافلين عن هذه القصة لم تخطر ببالك ولم تقرع سمعك قط وهو
تعليل لكونه موحى وان هى المخففة من الثقيلة واللام هى الفارقة

اذ قال يوسف بدل من احسن القصص ان جعل مفعولا به والا
فبمضمار اذكر ويوسف عبرى ولو كان عربيا
لصرف وقرئ بفتح السين وكسرها على التقلب به لاعلى انه مضاف ع
بنى للمفعول او الفاعل من اسف لان القراءة المشهورة شهدت
بعجمة لابيه يعقوب ابن اسحق ابن ابراهيم وعنه صلى الله عليه
وسلم الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف ابن يعقوب
ابن اسحق ابن ابراهيم يا ابت اصله يا ابى فعوض عن الياء تاء
التانيث لتناسبهما فى الزيادة ولذلك قلبها هاء فى الوقف
ابن كثير وابو عمرو ويعقوب وكسرها لانها عوض حرف
يناسبها وفتحها ابن عامر فى كل القران لانها حركة اصلها او
لانه كان يا ابتا فحذف الالف وبقى الفتحة وانما جاز يا ابتا و
لم يجز يا ابنى لانه جمع بين العوض والمعوض وقرئ بالضم
اجراء لها مجرى الاسماء المؤنثة بالتاء من غير اعتبار التعويض
وانما لم تسكن كاصلها لانها حرف صحيح منزل منزلة الاسم
فيجب تحريكها كما فى الخطاب انى رايت احد عشر كوكبا و ك
الشمس والقمر من الرؤيا الا من الرؤية لقوله لا تقصص رؤيا
وقوله هذا تاويل رؤياى روى عن جابر رضى الله عنه
ان يهوديا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اخبرنى
يا محمد عن النجوم التى رآهن يوسف فسكت فنزل جبريل
عليه السلام فاخبره بذلك فقال ان اخبرتك هل تسلم فقال
نعم فقال جريان والطارق والذيال وقابس وعمودان
والفليق والمصبح والضروح والفرع ووثاب وذو الكتفين
رآها يوسف والشمس والقمر نزلن من السماء فسجدن
له فقال اليهودى اى والله وانها لاسماؤها هارا يتهم لم ساجدين
استبنا فى ببيان حالهم التى رآهم عليها فلا تكرير وانما اجريت

يجري العقلاء لوصفها بصفاتهم قال يا بني تصغير ابن صغره
للشفقة او لصغر السن لانه كان ابن ثنتي عشرة سنة وقراء
حفص هنا وفي الصافات بفتح الياء لا تقصص رؤياك على
اخوتك فيكيدوا لك كيدا فيحتالوا لاهلاكك حيلة فهم يعقوب
عليه السلام من رؤياه ان الله يصطفيه لرسالته ويفوقه
على اخوته فخاف عليه حسدهم وبغيهم والرؤيا كالرؤية
غير انها مختصة بما يكون في النوم فرق بينهما بحرفي التانيث
كالقربة والقربا وهي انطباع الصورة المتخيلة من افق المخيلة
الى الحس المشترك والصادقة منها انما تكون باتصال النفس
الملكوت لما بينهما من التناسب عند فراغه من تدبير البدن
ادنى فراغ فتتصور بما فيها مما يليق من المعاني الحاصلة بها
هناك ثم ان المتخيلة تحاكيه بصورة تناسبه فترسلها الى
الحس المشترك فيصير مشاهدة ثم ان كانت شديدة المناسبة
لذلك المعنى بحيث لا يكون التفاوت الا بالكلية والجزئية
استغنت الرؤيا عن التعبير والا احتاجت اليه وانما عدى
كاد باللام وهو متعد بنفسه لتضمنه معنى فعل يعدى به تاكيد
او لذلك اكد بالمصدر وعلله بقوله ان الشيطان للانسان
عدو مبين ظاهر العداوة لما فعل بآدم وحوى فلا يالوا
جهدا في تسويلهم واثارة الحسد فيهم حتى يحملهم على الكيد
وكذلك اى وكما اجتباك بمثل هذه الرؤيا الدالة على شرفك و
علو نفسك يجتبيك ربك للنبوة والملك او لامور
عظام والاجتباء من جبيت الشيء اذا حصلته لنفسك و
يعلمك كلام مبتدا خارج عن التشبيه كانه قال وهو يعلمك
من تاويل الاحاديث من تعبير الرؤيا لانها من احاديث
الملك ان كانت صادقة واحاديث النفس او الشيطان ان

كانت كاذبة او من تاويل غوامض كتب الله وسنن الانبياء وكلمات الحكماء وهو اسم جمع للحديث كاباطيل اسم جمع للباطل ويتم نعمته عليك بالنبوة او بان يصل نعمة الدنيا بنعمة الآخرة وعلى آل يعقوب يريد به سائر بنيه ولعله استدل على نبوتهم بضوء الكواكب او نسله كما اتمها على ابويك
بالرسالة وقيل على ابراهيم بالخلة والانجاء من النار وعلى
اسحق بانقاذه من الذبح فداؤه بذبح عظيم من قبل من قبلك
او من قبل هذا الوقت ابراهيم واسحق عطف بيان لابويك
ان ربك عليم بمن يستحق الاجتباء حكيم يفعل الاشياء على
ما ينبغي لقد كان في يوسف واخوته اى في قصتهم ايات دلائل
قدرة الله وحكمته او علامات لنبوتك وقراء ابن كثير آية
للسائلين لمن سئل عن قصتهم والمراد باخوته علاته العشرة
وهم يهوذا وروبيل وشمعون ولاوى وربالون وشيجر
ودينة من بنت خالته ليا تزوجها يعقوب اولا فلما توفيت
تزوج اختها راحيل فولدت له يوسف وبنيامين وقيل جمع
بينهما وله يكن الجمع محرما حينئذ واربعة اخرون دان ويفتالي
وجاد وآشر من سريتين زلفة وبلهة اذ قالوا ليوسف واخوه
بنيامين وتخصيصه بالاضافة لاختصاصه بالاخوة من الطرفين
احب الى ابينا منا وحده لان افعل من لا يفرق فيه بين الواحد و
ما فوقه والمذكر وما يقابله بخلاف اخويه فان الفرق واجب
في المحلى جائز في المضاف ونحن عصبة والحال انا جماعة اقوياء
احق بالمحبة من صغيرين لا كفاية فيهما والعصبة والعصابة
العشرة فصاعدا سموا بذلك لان الامور تعصب بهم ان
ابانا لفي ضلال مبين لتفضيله المفضول او لترك التعديل في المحبة
روى انه كان احب اليه لما يرى فيه من المخائل وكان اخوته

يحسدونه فلما زاد الى الرؤيا ضاعف له المحبة بحيث لم يصبر عنه
فتبالغ صدهم حتى حملهم على التعرض له اقتلوا يوسف من جملة
المحكى بعد قوله اذ قالوا كانهم اتفقوا على ذلك الا من قال لا
تقتلوا وقيل انما قاله شمعون اودان ورضى به الآخرون او هم
اطرحوه ارضا منكورة بعيدة من العمران وهو معنى تنكيرها
وابهامها ولذلك نصبت كالظروف المبهمة يخل لكم وجه ابيكم
جواب الامر والمعنى يصف لكم وجه ابيكم فيقبل بكليته عليكم
ولا يلتفت عنكم الى غيركم ولا ينازعكم في محبته احد وتكونوا
جزم بالعطف على يخل او نصب باضمار ان من بعده من بعد
يوسف والفراغ من امره او قتله او طرحه قوما صالحين تائبين
الى الله عما جنيتم او صالحين مع ابيكم يصلح ما بينه وبينكم
بعذر تمهدونه او صالحين في امر دنياكم فانه ينتظم لكم
بعده بخلق وجه ابيكم قال قائل منهم يعني يهوذا وكان هو
احسنهم فيه رايا وقيل روبيل لا تقتلوا يوسف فان القتل
عظيم والقوه في غيابة الجب في قعره سمي بها الغيبوبة عن
عين الناظر وقراء نافع في غيابات الجب في الموضعين على
الجمع كانه لتلك الجب غيابات وقرئ غيبة وغيابات بالهاء
التشديد يلتقطه يأخذه بعض السيارة بعض الذين يسيرون
في الارض ان كنتم فاعلين بمشورتي او ان كنتم على ان تفعلوا
ما يفرق بينه وبين ابيه قالوا يا ابانا مالك لا تأمنا على يوسف
لم تخافنا عليه وانا له لناصحون ونحن نشفق عليه ونريد
له الخير اراد وا به استنزاله عن رايه في حفظه منهم لما هم
تنسم من حسدهم والمشهور لا تأمنا بالادغام باشمام
وعن نافع ترك الاشمام ومن الشواذ ترك الادغام
لانهما من كلمتين وتيمنا بكسر التاء ارسله معنا غدا الى

الصحراء نرتع نتسع في اكل الفواكه ونحوها من الرتعة وهي
الخصب ونلعب بالاستباق والانتضال وقراء ابن كثير نرتع
بكسر العين على انه من ارتعى يرتعي ونافع بالكسر والياء هم
فيه وفي نلعب وقراء الكوفيون ويعقوب بالياء والسكون
على اسناد الفعل الى يوسف وقرئ يرتع من ارتع ماشيته و
يرتع بكسر العين ويلعب بالرفع على الابتداء وانا له لحافظون
ان يناله مكروه قال اني ليحزنني ان تذهبوا به لشدة هم
مفارقته علي وقلة صبري عنه واخاف ان يأكله الذئب
لان الارض كانت مذئبة وقيل راى في المنام ان الذئب هم
قد شد على يوسف وكان يحذره وقد همز ها ابن كثير هم
ونافع في رواية اليزيدي وابو عمرو وقفا وعاصم وابن
عامر وحمزة درجا واشتقاقه من تذائب الريح اذا هبت
من كل جهة وانتم عنه غافلون لاشتغالكم بالترتع واللعب
او قلة اهتمامكم بحفظه قالوا لئن اكله الذئب ونحن عصبة
اللام موطئة للقسم وجوابه انا اذا لخاسرون ضعفاء مغبونون
او مستحقون لان يدعى عليهم بالخسار والواو في ونحن للحال
فلما ذهبوا به واجمعوا ان يجعلوه في غيابة الجب وعزموا على
القائه فيها والبئر بئر بيت المقدس او بئر بارض الاردن
او بين مصر ومدين او على ثلاثة فراسخ من مقام يعقوب
وجواب لما محذوف مثل فعلوا به ما فعلوا من الاذى وقدم
روي انهم لما برزوا به الى الصحراء اخذوا يؤذونه ويضربونه
حتى كادوا يقتلونه فجعل يصيح ويستغيث فقال يهوذا اما
عاهدتموني ان لا تقتلوه فأتوا به الى البئر فدلوه فيها فتعلق
بشفيرها فربطوا يديه ونزعوا قميصه ليلطخوه بالدم وهم
بحثوا به على ابيهم وقال يا اخوتاه ردوا علي قميصي اتوارى

به فقالوا ادع الاحد عشر كوكبا والشمس والقمر يلبسوك و
يوتسوك فلما ابلغ نصفها القوه وكان فيها ماء فسقط
ثم اوى الى صخرة كانت فيها فقام عليها يبكي فجاء جبريل ع
بالوحي كما قال واوحينا اليه وكان ابن سبع عشرة سنة وقيل
كان مراهقا اوحي اليه في صغره كما اوحى الى يحيى وعيسى وفي ه
القصص ان ابراهيم عليه السلام حين القي في النار جرد عن ثيابه
فاتاه جبريل بقميص من حرير فالبسه اياه فدفعه ابراهيم الى اسحق
واسحاق الى يعقوب فجعله في تميمة علقها بيوسف فاخرجه ه
جبريل والبسه اياه لتنبئنهم بامرهم هذا لتخبرنهم بما فعلوا بك
وهم لا يشعرون انك يوسف لعلو شانك وبعده عن اوهامهم
وطول العهد المغير للحلى والهيئات وذلك اشارة الى ما قال لهم
بمصر حين دخلوا عليه ممتارين فعرفهم وهم له منكرون بشره
بما يؤل اليه امره اينا سالة وتطييبا لقلبه وقيل وهم لا يشعرون
متصل باوحينا اى انسناه بالوحي وهم لا يشعرون وجاؤا آباهم
عشاء اخر النهار وقرئ عشيا وهو تصغير عشي وعشارا ه
لضم والقصر جمع اعشى اى عشوا من البكاء يبكون متباكين روي
انه لما سمع بكاءهم فزع وقال مالكم يا بني وابن يوسف فقالوا يا
ابانا انا ذهبنا نستبق ننتابق في العدو والرمي وقد يشترك ه
الافتعال والتفاعل كالانتضال والتناضل وتركنا يوسف عند ه
متاعنا فاكله الذيب وما انت بمؤمن لنا بمصدق لنا ولو كنا
صادقين لسوء ظنك بنا وفرط محبتك ليوسف وجاؤا على قميصه
بدم كذب اى ذي كذب بمعنى مكذوب فيه ويجوز ان يكون ه
صفا بالمصدر للمبالغة وقرئ بالنصب على الحال من الواو اى
جاؤا كاذبين وكذب بالذال المعجمة اى كدر اوطري
وقيل اصله البياض الخارج على اظفار الاحداث فشبه به ه

الدم اللاصق على القميص وعلى قميصه في موضع النصب على ه
الظرف اى فوق قميصه او على الحال من الدم ان جعل تقديما
على المجرور روي انه لما سمع بخبر يوسف صاح وساول
قميصه واخذه والقاه على وجهه وبكى حتى خضب وجهه بدم
القميص وقال ما رايت كاليوم ذيبا احلم من هذا اكل ابني
ولم يخرق عليه قميصه ولذلك قال بل سولت لكم انفسكم
سهلت لكم وهونت في اعينكم امرا عظيما من السول وهو الاسترخاء
فصبر جميل اى فامري صبر جميل او صبر جميل اجمل وفي الحديث
الصبر الجميل الذي لا شكوى فيه اى الى الخلق والله المستعان
على ما تصفون على احتمال ما تصفونه من هلاك يوسف وهذه
الجريمة كانت قبل استنبائهم ان صح وجاءت سيارة رفقة ه
يسيرون من مدين الى مصر فنزلوا قريبا من الجب وكان ه
ذلك بعد ثلاث من القائه فيه فارسلوا واردهم اى الذي
يرد الماء ويستقي لهم وكان مالك ابن ذعر الخزاعي فادلى ه
دلوه فارسلها في الجب ليملاها فتدلى بها يوسف فلما راه
قال يا بشرى هذا غلام وقرئ يا بشراي بشارة لنفسه او
لقومه كانه قال تعالوا هذا اوانك وقيل هو اسم صاحب له ه
لاداه ليعينه على اخراجه وقرأ غير الكوفيين يا بشراي ه
بالاضافة وامال فتحة الراء حمزة والكسائي وقرأ ورش
بين اللفظين وقرئ يا بشري بالادغام وهو لغة وبشراي
بالسكون على قصد الوقف والسرية اى الوارد واصحابه
من سائر الرفقة وقيل اخفوا امره وقالوا لهم دفعه الينا
لنبيعه لهم بمصر وقيل الضمير لاخوة يوسف و
ذلك ان يهوذا كان ياتيه كل يوم بالطعام فاتاه يومئذ فلم ه
يجده فيها فاخبر اخوته فاتوا الرفقة وقالوا هذا غلام ابق

خاء

منا فاشتروه فسكت يوسف مخافة ان يقتلوه بضاعة نصب
على الحال اى اخفوه متاعا للتجارة واشتقاقه من البضع فانه
ما بضع من المال للتجارة والله عليم بما يعملون لم يخف عليه
اسرارهم اوضيع اخوة يوسف بابيهم واخيهم وشروه
وباعوه وفى ضمير الوجهان او اشتروه من اخوته بثمن
بخس مبخوس لنزيفه او نقصانه دراهم بدل من الثمن معدود
معدودة قليلة فانهم كانوا يزنون ما بلغ الاوقية ويعدون
ما دونها قيل كان عشرين درهما وقيل اثنين وعشرين وكانوا
فيه فى يوسف من الزاهدين الراغبين عنه والضمير فى وكانوا
ان كان للاخوة فظاهر وان كان للرفقة وكانوا بائعين هو
فزهدهم فيه لانهم التقطوه والملتقط للشئ منتهاون به هو
خائف من انتزاعه مستعجل فى بيعه وان كانوا مبتاعين فانهم
اعتقدوا انه ابق وفيه متعلق بالزاهدين ان جعل اللام هو
للتعريف وان جعل بمعنى الذى فهو متعلق بمحذوف يبينه هو
الزاهدين لان متعلق الصلة لا يتقدم على الموصول وقال الذى
اشتراه من مصر وهو العزيز الذى كان على خزائن مصر
واسمه قطفير او اطفير وكان الملك يومئذ ريان بن الوليد
العمليقى وقد امن بيوسف ومات فى حيوته وقيل كان فرعون
موسى عاش اربعمائة بدليل قوله ولقد جاءكم يوسف من
قبل بالبينات والمشهور انه من اولاد فرعون يوسف والاية من
قبيل خطاب الاولاد باحوال الآباء روى انه اشتراه العزيز
وهو ابن سبع عشرة سنة ولبث فى منزله ثلاث عشرة سنة وهو
استوزره الريان وكان ابن ثلاثين سنة واتاه الله العلم والحكمة
وهو ابن ثلاث وثلاثين وتوفى ابن مائة وعشرين سنة وهو
اختلف فيما اشتراه به من جعل شراه غير الاول فقيل عشرون

دينارا وزوجا نعل وثوبان ابيضان وقيل ملأه فضة وقيل هو
ذهبا لامرأته راعيل او زليخا اكرمى مثواه اجعلى مقامه عندنا
كريما اى حسنا والمعنى احسنى تعهده عسى ان ينفعنا فى ضياعنا
واموالنا ونستظهر به فى مصالحنا او نتخذه ولدا لتبناه وكان
عقيما لما تفرس فيه من الرشد ولذلك قيل افرس الناس ثلاثة
عزيز مصر وابنة شعيب التى قالت يا ابت استأجره وابو بكر
حين استخلف عمر وكذلك مكنا ليوسف فى الارض وكما مكنا
محبته فى قلب العزيز او كما مكناه فى منزله او كما انجيناه و
عطفنا عليه العزيز مكنا له فيها ولنعلمه من تأويل الاحاديث
عطف على مضمر تقديره ليتصرف فيها بالعدل ولنعلمه اى كان القصد
فى انجائه وتمكينه الى ان يقيم العدل ويدبر امور الناس ويعلم معانى
كتب الله واحكامه فينفذها او تعبير المنامات المنبهة عن الحوادث
الكائنة ليستعد لها ويشتغل بتدبيرها قبل ان يحل كما فعل لسنيه هو
والله غالب على امره لا يرده شئ ولا ينازعه فيما يشاء او على امر
يوسف اراد به اخوة يوسف شيأ واراد الله غيره ولم يكن الا
ما اراده ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان الامر كله بيده او هو
لطائف صنعه وخفايا لطفه ولما بلغ اشده منتهى اشد جسمه
وقوته وهو ستون او فوق ما بين الثلاثين والاربعين وقيل هو
سن الشباب ومبدؤه بلوغ الحلم آتيناه حكما حكمة وهو هو
العلم المؤيد بالعمل او حكما بين الناس وعلما يعنى علم تأويل
الاحاديث وكذلك نجزى المحسنين تنبيه على انه انما اتاه
ذلك جزاء على احسانه فى عمله واتقانه فى عنفوان امره
وراودته التى هو فى بيتها طلبت منه وتحملت ان يواقعها
من راد يرود اذا جاء وذهب لطلب الشئ ومنه الرائد
وغلقت الابواب قيل كانت سبعة والتشديد للتكثير او هو

للمبالغة فى الايشاق وقالت هيت لك اى اقبل وبادر وتهيأ
والكلمة على الوجهين اسم فعل بنى على الفتح كاين واللام
للتبيين كالتى فى سقيا لك وقراءة ابن كثير بضم التاء وفتح الهاء
تشبيها له بحيث وناقع وابن عامر برواية ابن ذكوان بفتح
التاء وكسر الهاء من غير همز كعيط وهى لغة فيه وقراءة هشام
كذلك الا انه يهمز وقد روى عنه ضم التاء وقرئ هيت بكسر
هيئت لك من هاء يهىء اذا تهيأ وقرئ هئت وعلى هذا
فاللام من صلته قال معاذ الله اعوذ بالله معاذا انه اى الشان
ربى احسن مثواى سيدى قطفير احسن تعهدى اذ قال لك
فى اكرمى مثواه فاجن اوه ان اخونه فى اهله وقيل الضمير لله
اى انه خالقى واحسن منزلتى بان عطف على قلبه فلا اعصيه
انه لا يفلح الظالمون المجاوزون الحسن بالسوء وقيل الزناه
فان الزنا ظلم على الزانى والمزنى باهله ولقد همت به وهم
بها فصدت مخالطته وقصد مخالطتها والهم بالشىء قصده
والعزم عليه ومنه الهمام وهو الذى اذا هم بشىء امضاه والمراد
بهمه ميل الطبع ومنازعة الشهوة لا القصد الاختيارى وهو
ذلك مما لا يدخل تحت التكليف بل الحقيق بالمدح والاجر الجزيل
من الله من يكف نفسه عن الفعل عند قيام هذا الهم او مشارفته
الهم كقولك قتلته لو لم اخفف الله لو لا ان رأى برهان ربه
فى قبح الزنا وسوء مغبته لخالطها لشبق الغلمة وكثرة المبالغة
ولا يجوز ان يجعل وهم بها جواب لو لانها فى حكم ادوات
الشرط فلا يتقدم عليها جوابها بل الجواب محذوف يدل عليه هم
بها وقيل رأى جبريل وقيل مثل له يعقوب عاضا على انامله
وقيل قطفير وقيل نودى يا يوسف انت مكتوب فى الانبياء
وتعمل عمل السفهاء كذلك مثل ذلك التثبيت ثبتناه او الامر مثل

ذلك لنصرف عنه السوء خيانة السيد والفحشاء والزنا انه من
عبادنا المخلصين الذين اخلصهم الله لطاعته وقراءة ابن كثير
وابن عامر بالكسر فى جميع القرآن اذا كان فى اوله الالف واللام اى
الذين اخلصوا دينهم لله واستبقا الباب اى تسابقا الى الباب
فحذف الجار اوضمن الفعل معنى الابتدار وذلك ان يوسف عليه
السلام فر منها ليخرج فاسرعت وراءه لتمنعه الخروج وقدت
قميصه من دبر اجتذبته من ورائه فانقد قميصه والقد والشق
طولا والقط الشق عرضا والفيا سيدها صادفا زوجها لدى
الباب قالت ما جزاء من اراد باهلك سوءا الا ان يسجن
او عذاب اليم ايها ما بانتها فرت منه تبرئة لساحتها عنده
زوجها وتغييرا على يوسف واغراؤه به انتقاما منه وما
نافية او استفهامية بمعنى اى شىء جزاؤه الا التسجين قال هى
راودتنى عن نفسى طالبتنى بالمواتاة وانما قال ذلك هو
دفعا لما عرضته له من السجن والعذاب ولو لم تكذب عليه
لما قاله وشهد شاهد من اهلها قيل ابن عمها وقيل ابن خال
لها صبيا فى المهد وعن النبى صلى الله عليه وسلم تكلم اربعة
صغار ابن ماشطة فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج
وعيسى وانما الجؤا الى الشهادة على لسان اهلها لتكون الزم عليها
ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين لانه يدل
على ان قميصه قد من قدام بالدفع عن نفسها او انه اسرع خلفها
فتعثر بذيله وانقد جيبه وان كان قميصه قد من دبر فكذبت
وهو من الصادقين لانه يدل على انها تبعته فاجتذبت ثوبه
وقدته والشرطية محكية على ارادة القول او على ان فعل الشهاد
من القول وتسميتها شهادة لانها ادت مؤداها والجمع بين
ان وكان على تاويل ان يعلم انه كان ونحوه ونظيم قوله

ان احسنتَ الی فقد احسنتُ الیك من قبل وان معناه ان ه
تمنّی علیّ باحسانك امنّ علیك باحسانی السابق و ه
قرئ من قبل و دبر بالضمّ لانهما قطعا عن الاضافة کقبل
وبعد و بالفتح کانهما جعلا علمین للجهتین فمنعا الصرف ه
بسکون العین فلمّا رأی قمیصه قدّ من دبر قال انه من کیدکنّ
انّ کیدکنّ عظیم ای ان قولك ماجزاء من اراد باهلك سوء
او انّ السوء او ان هذا الامر من حیلتکنّ والخطاب لها و ه
لامثالها اولسائر النساء فان کید النساء الطف و اعلق ه
بالقلب واشدّ تأثیرا فی النفس لانهنّ یواجهن به الرجال
والشیطان یوسوس به مسارقة یوسف حذف منحرفا
التذالقریب وتفطن للحدیث اعرض عن هذا اکتم ولاتذکره ه
واستغفری لذنبك یا راعیل انك کنت من الخاطئین من الفئة
المذنبین من خطاء اذا اذنب متعمدا والتذکیر للتغلیب ه
وقال نسوة هی اسم لجمع امراة وتأنیثه بهذا الاعتبار غیر
حقیقی ولذلك جرد فعله وضمّ النون لغة فیها فی المدینة ه
ظرف لقال ای اشعن الحکایة فی مصر اوصفة نسوة وکن ه
خمسا زوجة الحاجب والساقی والخباز والسجان وصاحب
الدوابّ امراة العزیز تراود فتاها عن نفسه تطلب مواقعة
غلامها ایاها والعزیز بلسان العرب الملك واصل فتی ه
فتیّ کقولهم فتیان والفتوة شاذة قد شغفها حبا شق ه
شغاف قلبها وهو جاب به حتی وصل الی فوادها حبا و نصبه ه
علی التمییز لصرف الفعل عنه وقرئ شعفها من شعف البعیر
اذا هنأه بالقطران فاحرقه انا لنراها فی ضلال مبین فی
ضلال عن الرشد وبعد عن الصواب فلما سمعت بمکرهن
باغتیابهن وانما سمّاه مکرا لانهنّ اخفینه کما یخفی الماکر

مکره اوقلن ذلك لتریهنّ یوسف اولانها استکتمتهنّ ه
سرها فافشینه علیها ارسلت الیهنّ تدعوهنّ قیل دعت
اربعین امراة فیهنّ الحسن واعتدت لهنّ متکاء ما یتکئ
علیه من الوسائد واتت کلّ واحدة منهنّ سکینا حتی یتکئن
والتکاکین بایدیهنّ فاذا خرج علیهنّ یبهتن ویشتغلن
عن نفوسهنّ فتقع ایدیهنّ علی ایدیهنّ فیقطعنّ بالحزّة ه
اویهاب یوسف مکرها اذا خرج وحده علی اربعین نسوة ه
فی ایدیهنّ الخناجر وقیل متکاء طعاما او مجلس طعام فانهم
کانوا یتکئون للطعام والشراب ترفا ولذلك نهی عنه قال
جبل فظللنا بنعمة واتکأنا وشربنا الحلال من قلله وقیل
المتکاء طعام یخرّ ضخما کان القاطع یتکئ علیه بالسکین وه
قرئ متکا بحذف الهمزة ومتکاء باشباع الفتحة کمنتزاح وه
متکاء وهو الاترج اوما یقطع من متك الشیء اذا بتکه ای ه
قطعه ومتکاء من تکئ یتکئ اذا اتکاء وقالت اخرج علیهنّ
فلمّا رأینه اکبرنه عظمنه وهبن حسنه الفائق وعن النبی
صلی الله علیه وسلم رأیت یوسف لیلة المعراج کالقمر لیلة البدر
وقیل کان یری قلاء لاذ وجهه علی الجدران وقیل اکبرن ه
بمعنی حضن من اکبرت المراة اذا حاضت لانها تدخل الکبر
بالحیض والهاء ضمیر المصدر اولیوسف علی حذف اللام ای
حضن له من شدة الشبق کما قال خفن الله واستر ذا الجمال یرفع
فان لحت حاضت فی الخدور العواتق وقطعن ایدیهنّ ه
جرحنها بالتکاکین من فرط الدهشة وقلن حاشَ لِلّهِ تنزیها
له من صفات العجز وتعجبا من قدرته علی خلق مثله واصله ه
حاشا کما قراءه ابو عمرو فی الدرج فحذفت الفه الاخیرة تخفیفا
وهو حرف یفید معنی التنزیه فی باب الاستثناء فوضع موضع

التنزيه واللام للبيان كما في قولك سقيا لك وقرئ حاشا لله بغير
اللام بمعنى براءة الله وحاشا لله بالتنوين على تنزيله منزلة
المصدر وقيل حاشا فاعل من الحشا الذي هو الناحية وفاعله
ضمير يوسف اى صار في ناحية لله مما يتوهم فيه ما هذا بشرا
لان هذا الجمال غير معهود للبشر وهو على لغة الحجاز في اعمال
ما عمل ليس لمشاركتها في نفي الحال وقرئ بشر بالرفع على لغة
تميم وبشرا اى بعيدا مشترى ليتم ان هذا الا ملك كريم فان
الجمع بين الجمال الرايق والكمال الفائق والعصمة البالغة من
خواص الملائكة او لان جماله فوق جمال البشر ولا يفوقه
فيه الا الملك قالت فذلكن الذي لمتنني فيه اى فهو ذلك هو
العبد الكنعاني الذي لمتنني فيه بالافتتان به قبل ان تتصوروا
حق تصوره ولو صورتنه بما عاينتن لعذرتنني او فهذا
هو الذي لمتنني فيه فوضع ذلك موضع هذا رفعا لمنزلة الشان
اليه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم فامتنع طلبا للعصمة
اقرت لهن حين عرفت انهن يعذرنها كي يعاونها على
الائنة عويكته ولئن لم يفعل ما آمره اى ما امره به فحذف
الجار او امرى اياه بمعنى موجب امرى فيكون الضمير
ليوسف ليسجنن وليكونا من الصاغرين الاذلاء وهو
من صغر بالكسر يصغر صغرا وصغارا والصغير من صغر
بالضم صغرا وقرئ ليكونن وهو مخالف خط المصحف لان
النون فيه كتبت بالالف كما نسفعا على حكم الوقف وذلك في
الخفيفة لشبهها بالتنوين قال رب السجن وقرئ يعقوب
بالفتح على المصدر احب الي مما يدعونني اليه اى اثر
عندي من مواتاتهن نا نظر الى العاقبة وان كان هذا
مما يشتهيه النفس وذلك مما تكرهه واسناد الدعوة اليهن

جميعا لانهن خوفنه عن مخالفتها وزين له مطاوعتها او
دعونه الى انفسهن وقيل انما ابتلى بالسجن لقوله هذا وانما
كان الاولى به ان يسئل الله العافية ولذلك رد رسول الله صلى
الله عليه وسلم على من كان يسئل الصبر والانصراف عني كيدهن
هن وان لم تصرف عني اياه في تجيب ذلك الى وتحسينه عندي
بالتثبيت على العصمة اصب اليهن امل الى اجابتهن او الى هن
انفسهن بطبعي ومقتضى شهوتي والصبوة الميل الى الهوى
ومنه الصبا لان النفوس تستطيبها وتميل اليها وقرئ هن
اصب من الصبابة وهو الشوق واكن من الجاهلين من هن
السفهاء بارتكاب ما يدعونني اليه فان الحكيم لا يفعل القبيح
او من الذين لا يعلمون بما يعلمون فانهم والجهال سواء هن
فاستجاب له ربه فاجاب الله دعاءه الذي تضمنه قوله
والا تصرف عني صرف عنه كيدهن فثبته بالعصمة حتى
طن قلبه على مشقة السجن واثرها على اللذة المتضمنة هن
للعصيان انه هو السميع لدعاء الملتجئين اليه العليم باحوالهم
وما يصلحهم ثم بدا لهم من بعد ما راوا الآيات ثم ظهر
للعزيز من بعد ما راى والشواهد الدالة على براءة يوسف هن
كشهادة الصبي وقد القميص وقطع النساء ايديهن والتعصا
عنهن وفاعل بدا مضمر يفسره ليسجننه حتى حين وذلك هن
لانها خدعت زوجها وحملته على سجنه زمانا حتى تبصر ما يكون
او يحسب الناس انه المجرم فلبث في السجن سبع سنين وقرئ
بالتاء على ان بعضهم خاطب به العزيز على التعظيم او العزيز
ومن يليه وعني بلغة هذيل ودخل معه السجن فتيان هن
اى ادخل يوسف السجن واتفق ان ادخل معه اخوان هن
من عبيد الملك شرابيه وخبازه للاتهام بانهما يريدان هن

مه

ان يستمانه قال احدهما يعنى الشرابى انى ارانى وهى حكاية
حال ماضية اعصر خمرا اى عنبا سماه بما يؤل اليه وقال
الاخر اى الخباز انى ارانى احمل فوق رأسى خبزا تاكل
الطير منه تنهشنى منه نبئنا بتاويله انا نراك من المحسنين
من الذين يحسنون تاويل الرؤيا او من العالمين وانما
قالا ذلك لانهما راياه فى السجن يذكر الناس ويعبر
رؤياهم او من المحسنين الى اهل السجن فاحسن الينا بتا
ويل ما راينا ان كنت تعرفه قال لا ياتيكما طعام ترزقانه الا
نبأتكما بتاويله اى بتاويل ما قصصتما على او بتاويل الطعام
يعنى بيان ماهيته وكيفيته فانه يشبه تفسير المشكل كانه اراد
ان يدعوهما الى التوحيد ويرشدهما الطريق القويم قبل ان
يسعف الى ما سلامنه كما هو طريقة الانبياء والنازلين منازلهم
من العلماء فى الهداية والارشاد فقدم ما يكون له معجزة من
الاخبار بالغيب ليدل لهما على صدقه فى الدعوة والتعبير
قبل ان ياتيكما ذلكما اى ذلك التاويل مما علمنى ربى باه
الالهام والوحى وليس من قبيل التهكن والتنجم انى تركت
ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالاخرة هم كافرون تعليل
لما قبله اى علمنى ذلك لانى تركت ملة اولئك واتبعت
ملة آبائى ابراهيم واسحق ويعقوب او كلام مبتدا تمهيد
الدعوة واظهار انه من بيت النبوة ليقوى رغبتهما فى
الاستماع اليه والوثوق عليه ولذلك جوز للحامل ان يصف
نفسه حتى يعرف فيقتبس منه وتكرير الضمير للدلالة على
اختصاصهم وتاكيد كفرهم بالاخرة ما كان لنا ما صح لنا
معاشر الانبياء ان نشرك بالله من شىء اى شىء كان ذلك
اى التوحيد من فضل الله علينا بالوحى وعلى الناس وعلى

سائر الناس ببعثنا الى ارشادهم وتنبيههم عليه ولكن اكثر
الناس اى المبعوث اليهم لا يشكرون هذا الفضل فيعرضون
عنه ولا ينتهبون او من فضل الله علينا وعليهم بنصب
الدلائل وانزال الآيات ولكن اكثر هم لا ينظرون اليها
ولا يستدلون بها فيلغونها كمن يكفر النعمة ولا يشكرها
يا صاحبى السجن يا ساكنيه او يا صاحبى فيه فاضافهما
اليه للاتساع كقوله يا سارق الليلة اهل الدار اى كل بابى
منفرقون شتى متعددة متساوية الاقدام خير ام الله
الواحد القهار المتوحد بالالوهية الغالب الذى لا يعادله
ولا يقاومه غيره ما تعبدون من دونه من دون الله خطاب
لهما ولمن كان على دينهما من اهل مصر الا اسماء سميتموها انتم
واباؤكم ما انزل الله بها من سلطان اى الا اشياء هى
باعتبار اسامى اطلقتم عليها من غير حجة تدل على تحقق
مسمياتها مالم يدل على استحقاقه الالهية عقل ولا نقل
آلهة ثم اخذتم تعبدونها باعتبار ما تطلقون عليها ان
الحكم فى امر العبادة الا لله لانه المستحق لها بالذات من
حيث انه الواجب لذاته الموجد للكل والمالك لامره امر هم
على لسان انبيائه ان لا تعبدوا الا اياه الذى دلت عليه
الحجج ذلك الدين القيم الحق وانتم لا تميزون المعوج عن
القويم وهذا من التدرج فى الدعوة والزام الحجة بين
لهم اولا رجحان التوحيد على اتخاذ الآلهة على طريقة
الخطابة ثم برهن على ان ما يسمونها آلهة ويعبدونها
لا تستحق الالهية فان استحقاق العبادة اما بالذات واما
بالغير وكلا القسمين منتف عنها ثم نص على ما هو الحق
القويم والدين المستقيم الذى لا يقتضى العقل غيره ولا

ن

يرتضى العلم دونه ولكن اكثر الناس لا يعلمون فيخبطون
في جهالاتهم يا صاحبي السجن اما احدكما فيسقي ربه خمرا
كما كان يسقيه قبل ويعود الى ما كان عليه واما الآخر يريد
الخبّاز فيصلب فتأكل الطير من رأسه فقالا كذبنا فقال
قضي الامر الذي فيه تستفتيان اي قطع الامر الذي تستفتيان
فيه وهو ما يؤول اليه امركما ولذلك وحده فانهما وان استفتيا
في امرين لكنهما اراد استبانة عاقبة ما نزل بهما وقال للذي
ظن انه ناج منهما الظان يوسف ان ذكر ذلك عن اجتهاد
وان ذكره عن وحي فهو الناجي الآن يؤول الظن باليقين
اذكرني عند ربك اذكر حالي عند الملك كي يخلصني فانساه
الشيطان ذكر ربه فانسى الشراب ان يذكر لربه فاضاف
اليه المصدر لملابسته له او على تقدير ذكر اخبار ربه او
انسى يوسف ذكر الله حتى استعاذ بغيره ويؤيده قوله
عليه الصلوة والسلام رحم الله اخي يوسف لو لم يقل اذكرني
عند ربك لما لبث في السجن سبعا بعد الخمس والاستعانة بالله
لعباده في كشف الشدائد وان كانت محمودة في الجملة لكنها
لا تليق بمنصب الانبياء فلبث في السجن بضع سنين البضع
ما بين الثلاث الى التسع من البضع وهو القطع وقال الملك
اني اراى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف لما دنى
فرجه راى الملك سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس
وسبع بقرات مهازيل فابتلعت المهازيل السمان وسبع
سنبلات خضر قد انعقد حبها واخر يابسات قد ادركت
فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبن عليها وانما استفتى
عن بيان حالها بما قص من حال البقرات واجرى السمان
على المميز دون المميز لان التمييز بها ووصف التبع الثاني

بالعجاف لتعذر التمييز بها مجردا عن الموصوف فانه لبيان
الجنس وقياسه عجف لانه جمع عجفاء لكنه حمل على سمان
لانه نقيضه يا ايها الملأ افتوني في رؤياي اي عبروها
ان كنتم للرؤيا تعبرون ان كنتم عالمين بعبارة الرؤيا وهي
الانتقال من الصور الخيالية الى المعاني النفسانية التي هي
مثالها من القبور وهو المحاوزة وعبرت الرؤيا عبارة انبئت
من عبرتها تعبيرا واللام للبيان او لتقوية العامل فان الفعل
لما اخر عن مفعوله ضعف فقوي باللام كاسم الفاعل او لتضمين
يعبرون معنى فعل يعدى باللام كانه قيل ان كنتم تندبون هي
لعبارة الرؤيا قالوا اضغاث احلام وهي تخاليطها جمع ضغث
واصله ما جمع من اخلاط النباتات وحزم فاستعير للرؤيا
الكاذبة وانما جمعوا للمبالغة في وصف الحلم بالبطلان كقولهم
فلان يركب الخيل او لتضمنه اشياء مختلفة وما نحن بتأويل
الاحلام بعالمين يريدون بالاحلام المنامات الباطلة خاصة
اي ليس لها تأويل عندنا وانما التأويل للمنامات الصادقة
كانه مقدمة ثابتة للعذر في جهلهم بتأويله وقال الذي نجا
منهما من صاحبي السجن وهو الثاني واذكر بعد امة
وتذكر يوسف بعد جماعة من زمان مجتمعة اي مدة طويلة
وقرئ امة بكسر الهمزة وهي النعمة اي بعد ما انعم عليه بالنجاة
وامة اي نسيان يقال اميه يأمه امها اذا نسي والجملة اعترض
ومفعول القول انا انبئكم بتأويله فارسلون الى من عنده
علمه او الى السجن يوسف ايها الصديق اي فارسل الى يوسف
فجاء وقال يا يوسف وانما وصفه بالصديق وهو المبالغ في هي
الصدق لانه جرب احواله وعرف صدقه في تأويل رؤياه
ورؤيا صاحبيه افتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع هي

ض

عجاف وسبع سنبلات خضر ولخر يابسات اى فى ذلك
ذلك لعلى ارجع الى الناس اعود الى الملك ومن عنده او الى اهل
البلد اذ قيل ان السجن لم يكن فيه لعلهم يعلمون تأويلها او
فضلك ومكانك وانما لم يبت اللام فيهما لانه لم يكن جازما من
الرجوع فربما اختم عليه دونه ولامن علمهم قال تزرعون
سبع سنين دأبا اى على عادتكم المستمرة وانتصابه على الحال
بمعنى دائبين او المصدر باضمار فعله اى تدأبون داءبا ويكون
الجملة حالا وقرئ حفص دأبا بفتح الهمزة وكلاهما مصدر دأب
فى العمل وقيل تزرعون امر اخرجه فى صورة الخبر مبالغة لقوله
فما حصدتم فذروه فى سنبله كيلا يأكله السوس وهو على
الاول نصيحة خارجة عن العبارة الا قليلا مما تأكلون فى تلك
السنين ثم يأتى من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم
لهن اى يأكل اهلهن ما ادخرتم لاجلهن فاسند اليهن على
المجاز تطبيقا بين المعنى والمعنى به الا قليلا مما تحصنون
تحرزون لبذور الزراعة ثم يأتى من بعد ذلك عام فيه
يغاث الناس يمطرون من الغيث او يغاثون من القحط
من القوت وفيه يعصرون ما يعصر كالعنب والزيتون لكثرة
الثمار وقيل يحلبون الضروع وقرأ حمزة والكسائى بالتاء
على تغليب المستثنى وقرئ على بناء المفعول من عصره اذا
انجاه ويحتمل ان يكون المبنى للفاعل منه اى يغيثهم الله ويغيث
بعضهم بعضا او من اعصرت السحابة عليهم فعدى بنزع
الخافض او من بتضمينه معنى المطر وهذه بشارة بشرهم بها
بعد ان اول البقرات السمان والسنبلات الخضر بسنين مخصبة
والعجاف واليابسات بسنين مجدبة وابتلاع العجاف السمان
باكل ما جمع فى السنين المخصبة فى السنين المجدبة ولعله علم

ذلك بالوحى او بان انتهاء الجذب بالخصب او بان السنة الا
لهبة على ان يوسع على عباده بعد ما ضيق عليهم وقال الملك
ائتونى به بعد ما جاءه الرسول بالتعبير فلما جاءه الرسول
ليخرجه قال ارجع الى ربك فسأله ما بال النسوة اللاتى
قطعن ايديهن انما اتى فى الخروج وقدم سؤال النسوة
وفحص حاله ليظهر براءة ساحته ويعلم ان سجنه ظلما فلا
يقدر الحاسد ان يتوسل به الى تقبيح امره وفيه دليل على انه
ينبغى ان يجتهد فى نفى التهم ويتقى مواقعها وعن النبى صلى الله
عليه وسلم لو كنت مكانه ولبثت فى السجن ما لبث لاسرعت
الاجابة وانما قال فسأله ما بال النسوة ولم يقل فسأله ان
يفتش عن حالهن تهييجا له على البحث وتحقيق الحال وانما لم
يتعرض لسيدته مع ما صنعت به كرما ومراعاة للادب وقرئ
النسوة بالضم ان ربى بكيدهن عليم حين قلن لى اطع مولاتك
وفيه تعظيم كيدهن والاستشهاد بعلم الله كما عليه وعلى انه
برئ مما قذف به والوعيد لهن على كيدهن قال ما خطبكن
قال الملك لهن ما شأنكن والخطب امر يحق ان يخاطب فيه
صاحبه اذ راودتن يوسف عن نفسه قلن حاش لله تنزيها
له وتعجبا من قدرته على خلق عفيف مثله ما علمنا عليه من سوء
ذنب قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق ثبت واستقر
من حصحص البعير اذا القى مباركه لينا خ قال فحصحص فى صدره
الصفا ثفناته ونابسلمى نوءة ثم صما اى نارا وردنه عن نفسه
وانه لمن الصادقين فى قوله هى راودتنى ذلك ليعلم قاله يوسف
لما عاد له الرسول واخبره بكلامهن اى ذلك التثبيت
ليعلم العزيز انى لم اخنه بالغيب وهو حال من الفاعل او
المفعول اى لم اخنه وانا غائب عنه او هو غائب عنى او

ظرف اى بمكان الغيب وراء الاستار والابواب المغلقة وان
الله لا يهدى كيد الخائنين لا ينفذه ولا يسدده او لا يهدى
الخائنين بكيدهم فاوقع الفعل على الكيد مبالغة وفيه تعريض
براعيل فى خيانتها ذوجها وتوكيد لامانته ولذلك عقبه بقوله
وما ابرئ نفسى اى ولا انزهها تنبيها على انه لم يرد بذلك
تزكية نفسه والعجب بحاله بل اظهار ما انعم الله عليه من العصمة
والتوفيق وعن ابن عباس رضى الله عنه لما قال ليعلم انى لم اخنه
قال له جبريل ولا حين هممت فقال ذلك ان النفس لامارة
بالسوء الا ما رحم الا وقت رحمة ربى او الا ما رحم الله من
النفوس فعصمه عن ذلك وقيل الاستثناء منقطع اى ولكن
ربى هى التى تصرف الاساءة وقيل الاية حكاية قول راعيل و
المستثنى نفس يوسف واضرابه وعن ابن كثير ونافع بالسوء
بقلب الهمزة واو اشم الادغام ان ربى غفور رحيم يغفر
النفس ويرحم من يشاء بالعصمة او يغفر للمستغفر لذنبه المعترف
على نفسه ما استغفره ويرحم ما استرحمه مما ارتكبه وقال
الملك ائتونى به استخلصه لنفسى اجعله خالصا لنفسى فلما
كلمه فلما اتوا به وكلمه وشاهد منه الرشد والدهاء قال
انك اليوم لدينا مكين امين ذو مكانة ومنزلة مؤتمن على
كل شئ وروى انه لما خرج من السجن اغتسل وتنظف ولبس
ثيابا جددا فلما دخل على الملك قال اللهم انى اسئلك من
خيره واعوذ بعزتك وقدرتك من شره ثم سلم عليه وهو
دعاله بالعبرية فقال ما هذا اللسان قال لسان ابائى وكان
الملك يعرف سبعين لسانا فكلمه بها فاجابه بجميعها فتعجب منه
فقال احب ان اسمع رؤياى منك فحكاها ونعت له البقرات
والسنابل واماكنها على ما راءها فاجلسه على السرير وفوض

اليه امره وقيل توفى قطفير فى تلك الليالى فنصبه منصبه
وزوج منه راعيل فوجدها عذراء وولد له منها افرائيم
ومنشا وقال اجعلنى على خزائن الارض ولنى امرها و
الارض ارض مصر انى حفيظ لها ممن لا يستحقها هو
عليم بوجوه التصرف فيها ولعله عليه السلام لما راى
انه يستعمله فى امره لا محالة اثر ما يعم فوائده وتحل
عوائده وفيه دليل على جواز طلب التولية واظهار
انه مستعد لها والتولى من يد الكافر اذا علم انه لا سبيل
الى اقامة الحق وسياسة الخلق الا بالاستظهار به وهو
عن مجاهد ان الملك اسلم على يده وكذلك مكنا ليوسف
فى الارض ارض مصر يتبوأ منها حيث يشاء ينزل من
بلادها حيث يهوى وقراءة ابن كثير نشاء بالنون نصيب
برحمتنا من نشاء فى الدنيا وفى الاخرة ولا نضيع اجور
المحسنين بل نوفى اجورهم عاجلا وجاء اخوة
يوسف روى انه لما استوزره الملك اقام العدل وهو
اجتهد فى تكثير الزراعات وضبط الغلات حتى دخلت
السنون المجدبة وعم القحط بمصر والشام ونواحيها وتوجه
الناس اليه فباعها اولا بالدراهم والدنانير حتى لم يبق معهم
شئ ثم بالحلى والجواهر ثم الدواب ثم بالضياع والعقار
ثم برقابهم حتى استرقهم جميعا ثم عرض الامر على الملك فقال
الرأى رأيك فاعتقهم وردّ عليهم اموالهم وكان قد اصاب
كنعان ما اصاب سائر البلاد فارسل يعقوب بنيه غير بنيامين
اليه للميرة فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون اى عرفهم
يوسف ولم يعرفوه لطول العهد ومفارقتهم اياه فى سن
الحداثة ونسيانهم اياه وتوهمهم انه هلك وبعد حاله التى

راوه عليها من حاله حين فارقوه وقلة تامّ لهم في حلاه من
التهيب والاستعظام ولمّا جهّزهم بجهازهم اصلحهم بقدّهم
واوقر ركابهم بما جاؤا لاجله والجهاز ما يعدّ من الامتعة
للنقلة كعدد السفر وما يحمل من بلدة الى اخرى وما تزوّد به
المراءة الى زوجها وقرئ بجهازهم بالكسر قال ائتوني باخ
لكم من ابيكم روي انهم لمّا دخلوا عليه قال من انتم وما امركم
لعلكم عيون قالوا معاذ الله نحن بنو اب واحد وهو شيخ صدّيق
نبيّ من الانبياء اسمه يعقوب قال كم انتم قالوا كنّا اثني عشر
فذهب احدنا الى البرّية فهلك قال فمن يشهد لكم قالوا لا يعرفنا احد
ههنا فيشهد لنا فقال ادعوا بعضكم عندي رهينة وائتوني باخيكم
من ابيكم حتّى اصدّقكم فاقترعوا فاصابت شمعون وقيل كان يوسف
يعطي لكلّ نفر حملا فسئلوا حملا زائدا الاخ لهم من ابيهم فاعطاهم
وشرط عليهم ان يأتوا به ليعلم صدقهم الا ترون اني اوفي الكيل وانا
خير المنزلين للضيف والمضيفين وكان احسن انزالهم وهو
ضيافتهم فان لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون اي ولا
تقربوني ولا تدخلوا دياري وهو امّا نهي او نفي معطوف على
الجزاء قالوا سنراود عنه اباه سنجتهد في طلبه من ابيه وانا
لفاعلون ذلك لا نتوانى فيه وقال لفتيته لغلمانه الكيالين
جمع فتى وقرأ الكسائي وحفص وحمزة لفتيانه على جمع الكثرة
ليوافق قوله اجعلوا بضاعتهم في رحالهم فانه وكل بكل رحل
واحدا يعني فيه بضاعتهم التي شروا بها الطعام وكانت نعالا
واديما وانما فعل ذلك توسيعا وتفضيلا عليهم وترفعا من ان
ياخذ ثمن الطعام منهم وخوفا من ان لا يكون عند ابيه ما يرجعون
به لعلّهم يعرفونها لعلهم يعرفون حق ردّها او لكي يعرفوها
اذا انقلبوا الى اهلهم وفتحوا اوعيتهم لعلّهم يرجعون لعلهم

ج

معرفتهم ذلك تدعوهم الى الرجوع فلمّا رجعوا الى ابيهم قالوا
يا ابانا منع منّا الكيل حكم بمنعه بعد هذا ان لم نذهب ببنيامين
فارسل معنا اخانا نكتل نرفع المانع من الكيل ونكتل ما تحتاج
اليه وقرأ حمزة والكسائي بالياء على اسناده للاخ اي يكتل لنفسه
فيضمّ اكتياله الى اكتيالنا وانّا له لحافظون عن ان يناله مكروه
قال هل امنكم عليه الّا كما امنتكم على اخيه من قبل وقد قلتم
في يوسف وانّا له لحافظون فالله خير حافظا فاتوكل عليه
وافوض امره اليه وهو ارحم الراحمين فارجو ان يرحمني
بحفظه ولا يجمع عليّ مصيبتين وانتصاب حفظا على التمييز
وحافظا في قراءة حمزة والكسائي وحفص يحتمله والحال
كقوله لله دره فارسا وقرئ خير حافظ وخير الحافظين
ولمّا فتحوا امتعتهم وجدوا بضاعتهم ردّت اليهم ردّت
بنقل كسرة الدال المدغمة الى الراء نقلها في بيع وقيل قالوا
يا ابانا ما نبغي ماذا نطلب هل من مزيد على ذلك اكرمنا وهو
احسن مثوانا وباع منّا وردّ علينا متاعنا او لا نطلب وراء
ذلك احسانا او لا نبغي في القول ولا نزيد فيما حكينا لك من
احسانه وقرئ ما نبغي على الخطاب اي اي شيء تطلب وراء
هذا من الاحسان او من الدليل على صدقنا هذه بضاعتنا
ردّت الينا استيناف موضح لقوله ما نبغي ونميّر اهلنا
معطوف على محذوف اي ردّت الينا فنستظهر بها ونميّر
اهلنا بالرجوع الى الملك ونحفظ اخانا عن المخاوف في
ذهابنا وايابنا ونزداد كيل بعير وسق بعير باسهل
يستصحب اخينا هذا اذا كانت ما استفهامية فاما اذا
كانت نافية احتمل ذلك واحتمل ان يكون الجملة معطوفة
على ما نبغي اي ما نبغي فيما نقول ونميّر اهلنا ونحفظ اخانا

ذلك كيل يسير اى مكيل قليل لا يكفينا استقلوا ما كيل لهم
فارادوا ان يضاعفوه بالرجوع الى الملك او يزدادوا اليه
ما يكال لاخيهم ويجوز ان تكون الاشارة الى الكيل بعير اى
ذلك شئ قليل لا يضايقنا فيه الملك ولا يتعاظمه وقيل
انه من كلام يعقوب ومعناه ان حمل شئ يسير لا يخاطر لمثله
بالولد قال لن ارسله معكم اذ رايت منكم ما رايت حتى
تؤتون موثقا من الله حتى تعطوني ما اثق به من عندة
الله اى عهدا موكدا بذكر الله لتاتننى به جواب القسم
اذ المعنى حتى تحلفوا بالله لتاتننى به الا ان يحاط بكم الا
ان تغلبوا فلا تطيقوا ذلك او الا ان تهلكوا جميعا وهو استثناء
مفرغ من اعم الاحوال والتقدير لتاتننى به على كل حال الا
حال الاحاطة بكم او من اعم العلل على ان قوله لتاتننى به في
تاويل النفي اى لا تمتنعون من الاتيان به الا للاحاطة بكم
كقولهم اقسمت بالله الا فعلت اى ما اطلب الا فعلك فلما
اتوه موثقهم عهدهم قال الله على ما نقول وكيل من
طلب الموثق واتيانه وكيل رقيب مطلع وقال يا بنى لا
تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة لانهم
كانوا ذوى جمال وابهة مشتهرين في المصر بالقربة والكرامة
عند الملك فخاف عليهم ان يدخلوا كوكبة واحدة فيعانوا
ولعله لم يوصهم بذلك في الكرة الاولى لانهم كانوا مجهولين
حينئذ او كان الداعي اليها خوفه على بنيامين والنفس
آثار منها العين والذى يدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم
في عوذته اللهم اني اعوذ بكلمات الله التامات من كل
هامة وعين لامة وما اغنى عنكم من الله من شئ مما قضى
عليكم بما اشرت به اليكم فان الحذر لا يمنع القدر ان الحكم

الا لله يصيبكم لا محالة ان قضى عليكم سوءا ولا ينفعكم ذلك
عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون جمع بين الحرفين
في عطف الجملة على الجملة لتقدم الصلة للاختصاص كان
الواو للعطف والفاء لافادة التسبب لان فعل الانبياء سبب
لان يقتدى بهم ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم اى
من ابواب متفرقة في البلد ما كان يغنى عنهم رأى يعقوب
واتباعهم له من الله من شئ مما قضاه عليهم كما قال يعقوب
فسرقوا واخذ بن يامين بوجد ان الصواع في رحله وتضا عفت
المصيبة على يعقوب الا حاجة في نفس يعقوب قضاها هو
استثناء منقطع اى ولكن حاجة في نفسه يعنى شفقته عليهم
وحرارته من ان يعانوا قضاها اظهرها ووصى بها وانه
لذو علم لما علمناه بالوحى ونصب الحجج ولذلك قال وما
اغنى عنكم من الله من شئ ولا يفتر بتدبيره ولكن اكثر
الناس لا يعلمون سر القدر وانه لا يغنى عنه الحذر و
لما دخلوا على يوسف اوى اليه اخاه ضم اليه بنيامين على
الطعام او في المنزل روى انه اضافهم فاجلسهم مثنى
فبقى بنيامين وحيدا فبكى وقال لو كان اخى يوسف حيا لجلس
معى فاجلسه معه على مائدته ثم قال لينزل كل اثنين منكم
بيتا وهذا الاثالث له فيكون معى فبات عنده وقال له اتحب
ان اكون اخاك بدل اخيك الهالك قال من يجد اخا مثلك و
لكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل قال اني انا اخوك فلا تبتئس
افتعال من البؤس وهو الحزن بما كانوا يعملون في حقنا
فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية المشربة في رحل اخيه
قيل كانت مشربة جعلت صاعا يكال به وقيل كانت تسقى
بها الدواب ويكال فيها وكانت من فضة وقيل من ذهب

وقرئ وجعل على حذف جواب فلما تقديره امهلهم حتى
انطلقوا ثم اذن مؤذن نادى ايتها العير انكم
لسارقون لعله لم يقله بامر يوسف او كان تعيبة السقاية
والنداء عليها برضا بنيامين وقيل معناه انكم لسارقون
يوسف من ابيه او انكم لسارقون والعير القافلة وهو اسم
الابل التى عليها الاحمال لانها تعير اى تتردد فقيل لاصحابها
كقوله عليه الصلوة والسلام ياخيل الله اركبى وقيل جمع
عير واصلها فعل كسقف فعل به ما فعل ببيض يجوز به
القافلة الحمير ثم استعير لكل قافلة قالوا واقبلوا عليهم ماذا
تفقدون اى شئ ضاع عنكم والفقد غيبة الشئ عن الحس بحيث
لا يعرف مكانه وقرئ تفقدون من افقدته اذا وجدته فقيد
قالوا نفقد صواع الملك وقرئ صاع وصوع بالفتح والضم و
العين والغين وصواغ من الصياغة ولمن جاء به حمل بعير
من الطعام جعلا له وانا به زعيم كفيل اؤديه الى من رده
وفيه دليل على جواز الجعالة وضمان الجعل قبل تمام العمل قالوا
تالله قسم فيه معنى التعجب والتاء بدل من الباء مختصة باسم الله
لقد علمتم ما جئنا لنفسد فى الارض وما كنا سارقين استشهدوا
بعلمهم على براءة انفسهم لما عرفوا منهم فى كرات مجيئهم و
مداخلتهم للملك مما يدل على فرط امانتهم كرد البضاعة التى
جعلت فى رحالهم وكتم الدواب لئلا تتناول زرعا او طعاما
لاحد قالوا فما جزاؤه فما جزاء السارق او السرق او الصواع
على حذف المضاف ان كنتم كاذبين فى ادعاء البراءة قالوا
جزاؤه من وجد فى رحله فهو جزاؤه اى جزاء سرقته اخذ
من وجد فى رحله واسترقاقه هكذا كان شريعة يعقوب و
قوله فهو جزاؤه تقرير للحكم والزام له او خبر من

والفاء لتضمنها معنى الشرط او جواب لها على انها شرطية و
الجملة كما هى خبر جزاؤه على اقامة الظاهر فيها مقام الضمير
كانه قيل جزاؤه من وجد فى رحله فهو هو كذلك نجزى
الظالمين بالسرقة فبدأ باوعيتهم فبداء المؤذن وقيل
يوسف لانهم ردوا الى مصر قبل وعاء اخيه بنيامين نفيا
للتهمة ثم استخرجها اى استخراج السقاية او الصواع لانه يذكر
ويؤنث من وعاء اخيه وقرئ بضم الواو وقلبها همزة
كذلك مثل ذلك الكيد كدنا ليوسف بان علمناه اياه واوحينا به اليه ما كان ليأخذ اخاه فى دين الملك ملك مصر لان
دينه الضرب وتغريم ضعف ما اخذ دون الاسترقاق وهو
بيان للكيد الا ان يشاء الله الا ان يجعل ذلك الحكم حكم الملك
فالاستثناء من اعم الاحوال ويجوز ان يكون منقطعا اى لكن
اخذه بمشيئة الله نرفع درجات من نشاء بالعلم
كما رفعنا درجته وفوق كل ذى علم عليم ارفع درجة منه
واحتج به من زعم انه تعالى عالم بذاته اذ لو كان ذا علم لكان
فوقه من هو اعلم منه والجواب ان المراد كل ذى علم من الخلق
لان الكلام فيهم ولان العليم هو الله تعالى ومعناه الذى له
العلم البالغ غاية ولانه لا فرق بينه وبين قولنا فوق كل العلماء
عليم وهو مخصوص قالوا ان يسرق بنيامين فقد سرق اخ له
من قبل يعنون يوسف قيل ورثت عمته من ابيها منطقة ابراهيم
وكانت تحضن يوسف وتحبه فلما شب اراد يعقوب انتزاعه
منها فشدت المنطقة على وسطه ثم اظهرت ضياعها فتفحص
عنها فوجدت عندها فصارت احق به فى حكمهم وقيل كان
لابيها صنم فسرقه وكسره والقاه فى الجيف وقيل كان فى البيت
عناق او دجاجة فاعطى السائل فاستتر بها يوسف فى نفسه ولم

يثبرها لهم اكنتها ولم يظهرها لهم والضمير للاجابة او المقالة
او نسبة السرقة اليه وقيل انها كناية بشريطة التفسير ويفسرها
قوله قال انتم شر مكانا فان بدل من اسرها والمعنى قال في
نفسه انتم شر مكانا اى منزلة في السرقة لسرقتكم اخاكم
او في سوء الصنيع مما كنتم عليه وتأنيثها باعتبار الكلمة او
الجملة وفيه نظر اذ المفسر بالجملة لا يكون الا ضمير الشان
والله اعلم بما تصفون وهو يعلم ان الامر ليس كما تصفون
قالوا يا ايها العزيز ان له ابا شيخا كبيرا في السن او القدر
ذكروا له حاله استعطافا قاله عليه فخذ احدنا مكانه بدل له فان
اباه نكلان على اخيه الهالك مستأنس به انا نريك من المحسنين
الينا فاتمم احسانك او المتعودين الاحسان فلا تغيّر عادتك
قال معاذ الله ان نأخذ الا من وجدنا متاعنا عنده فان اخذ
غيره ظلم على شريعتكم فلو اخذنا احدكم مكانه انا اذا لظالمون
في مذهبكم هذا او ان مراده ان الله كما اذن ان اخذ من وجدنا
الصاع في رحله لمصلحته ورضاه عليه فلو اخذت غيره كنت
ظالما فلما استيأسوا منه يئسوا من يوسف واجابته اياهم
وزيادة السين والتاء للمبالغة وعن البزي استايسوا بالالف
وفتح الياء من غير همز واذا وقف حمزة التي حولت الهمزة
على الياء على الاصل خلصوا انفردوا واعتزلوا نجيا متناجين
وانما وحده لانه مصدر او بنى نتيه كما قيل هم صديق وجمعه
انجيه كندى واندية قال كبيرهم في السن وهو روبيل او
في الرأي وهو شمعون وقيل يهوذا الم تعلموا ان اباكم
قد اخذ عليكم موثقا من الله عهدا وثيقا وانما جعل حلفهم
بالله موثقا منه لانه باذن منه وتأكيد من جهته ومن قبل
ومن قبل هذا ما فرطتم في يوسف قصرتم في شانه وما مزيدة

ويجوز ان تكون مصدرية في موضع النصب بالعطف على
مفعول تعلموا ولا بأس بالفصل بين العاطف والمعطوف
بالظرف او على اسم ان وخبره في يوسف او من قبل او الرفع با
لابتدا والخبر من قبل وفيه نظر لان قبل اذا كان خبرا او
صلة لا يقطع عن الاضافة حتى لا ينقص وان تكون مع
صولة اى ما فرطتموه بمعنى ما قدمتموه في حقه من الخيانة
ومحله ما تقدم فلن ابرح الارض فلن افارق ارض مصر
حتى يأذن لي ابي في الرجوع او يحكم الله لي ويقضي لي با
لخروج منها او بخلاص اخي منهم او بالمقاتلة معهم لتخليصه
روى انهم كلموا العزيز في اطلاقه فقال روبيل ايها الملك
والله لتتركنا او لاصيحن صيحة تضع فيها الحوامل ووقفت
شعور جسده فخرجت من ثيابه فقال يوسف لابنه قم الى
جنبه فمسه وكان بنو يعقوب اذا غضب احدهم فمسه الاخر
ذهب غضبه فقال روبيل من هذا ان في البلد لبذرا من بذر
يعقوب وهو خير الحاكمين لان حكمه لا يكون الا بالحق ارجعوا
الى ابيكم فقولوا يا ابانا ان ابنك سرق على ما شاهدنا من
ظاهر الحال وقرئ سرق اى نسب الى السرقة وما شهدنا
عليه الا بما علمنا بان رأينا ان الصواع استخرج من وعائه
وما كنا للغيب حافظين لباطل الحال فلا ندري انه سرق
او سُرق ودس الصاع في رحله او وما كنا للعواقب عالمين
فلم ندر حين اعطيناك الموثق انه سيسرق او انك تصاب
به كما اصبت بيوسف واسئل القرية التي كنا فيها يعنون
مصر وقرية بقربها لحقهم المنادي فيها والمعنى ارسل الى
اهلها واسلهم عن القصة والعير التي اقبلنا فيها واصحاب
العير التي توجهنا فيهم وكنا معهم وانا لصادقون تأكيد

في محل القسم قال بل سولت اى فلما رجعوا الى ابيهم وقالوا له ما
قال لهم اخوهم قال بل سولت اى زينت وسهلت لكم انفسكم
امرا اردتموه فقد رتموه والا فما ادرى الملك ان السارق ه
يؤخذ بسرقته فصبرى جميل فامرى صبى جميل او فصبرى جميل ه
اجمل عسى الله ان ياتينى بهم جميعا بيوسف وبنيامين وه
اخيهما الذى توقفن بمصر انه هو العليم بحالى وحالهم الحكيم فى تدبيرها
فاعرض عنهم فاعرض عنهم كراهة لما صادف منهم وقال يا اسفا
على يوسف اى يا اسفى تعال هذا اوانك والاسف اشد الحزن وه
الحسرة والالف بدل من ياء المتكلم وانما اسف على يوسف دون
اخويه والحادث رزؤه كان قاعدة للمصيبات
وكان غضا آخذا بمجامع قلبه لانه كان واثقا بحيوته معتادون ه
حيوته وفى الحديث لم تعط امة من الامم انا لله وانا اليه راجعون
عند المصيبة الا امة محمد صلى الله عليه وسلم الا ترى الى يعقوب
حين اصابه ما اصابه لم يسترجع وقال يا اسفا وابيضت ه
عيناه من الحزن لكثرة بكائه من الحزن وكان العبرة تحقت
سوادها وقيل ضعف بصره وقيل عمى من الحزن وفيه دليل على
جواز التاسف والبكاء عند التفجع ولعل امثال ذلك لا تدخل
تحت التكليف فانه قل من يملك نفسه عند الشدائد ولقد بكى
صلى الله عليه وسلم على ولده ابراهيم وقال القلب يجزع و
العين تدمع ولا نقول ما يسخط وانا عليك يا ابراهيم ه
لمحزونون فهو كظيم مملو من الغيظ على اولاده ممسك ه
له فى قلبه ولا يظهره فعيل بمعنى مفعول كقوله وهو مكظوم
من كظم السقاء اذا شده على ملئه او بمعنى فاعل لفعله ه
والكاظمين الغيظ من كظم الغيظ اجترعه واصله كظم
البعير جرته رذها الى جوفه قالوا تالله تفتؤ تذكر يوسف

اى لا تفتؤ ولا تزال تذكره تفجعا عليه فحذف كما فى قوله فقلت ه
يمين الله ابرح قاعدا ولو قطعوا راسى لديك واوصالى لا تله
لا يلتبس بالاثبات فان القسم اذا لم يكن معه علامة الاثبات
كان على النفى حتى تكون حرضا مريضا مشفا على الهلاك وقيل
الحرض الذى اذى به هم او مرض وهو فى الاصل مصدر ولذلك
لا يؤنث ولا يجمع والنعت بالكسر كدنف ودنف وقرئ به وه
بضمتين لكعب وجنب او تكون من الهالكين من المتنين قال انما
اشكو بثى وحزنى بثى همى الذى لا اقدر الصبر عليه من البث ه
بمعنى النشر الى الله لا الى احد منكم ومن غيركم تخلونى وشكايتى
واعلم من الله من صنعه ورحمته وانه لا يخيب داعيه ولا يدع
الملتجى اليه او من الله لكم بنوع من الالهام ما لا تعلمون من حيوة
يوسف قيل رائى ملك الموت فى المنام فسأله عنه فقال هو حى و
قيل علم من رؤيا يوسف انه لا يموت حتى تخر له اخوته سجدا
يا بنى اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه مر فتعرفوا منهما
وتفحصوا عن حالهما والتحسس طلب الاحساس ولا تيأسوا
من روح الله ولا تقنطوا من فرجه وتنفيسه وقرئ من روح
الله اى من رحمته التى يحيى بها العباد انه لا ييأس من روح الله
الا القوم الكافرون بالله وصفاته فان العارف لا يقنط من
رحمته فى شئ من الاحوال فلما دخلوا عليه قالوا يا ايها العزيز
بعد ما رجعوا الى مصر رجعة ثانية مسنا واهلنا الضر شدة
الجوع وجئنا ببضاعة مزجاة ردية او قليلة ترد وتدفع رغبة
عنها من ازجيته اذا دفعته ومنه ترجية الزمان قيل كانت
دراهم زيوفا وقيل صوفا وسمنا وقيل الصنوبر وحبة ه
الخضراء وقيل الاقط وسعيدى المقل فاوف لنا الكيل فاتمم لنا
الكيل وتصدق علينا برد اخينا او بالمسامحة وقبول المزجا ه

او بالزيادة على ما يساويها واختلف في ان حرمة الصدقة تعم
الانبياء او تختص نبينا ان الله يجزي المصدقين احسن الجزاء وهو
التصدق التفضل مطلقا ومنه قوله صلى الله عليه وسلم في القصة
هذه صدقة تصدق الله عليكم فاقبلوا صدقته لكنه اختص عرفا
بما يبتغى به ثواب من الله كما قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف و
اخيه اى هل علمتم قبحه فتبتم عنه وفعلهم باخيه افراده عن يوسف واذ
لا له حتى كان لا يستطيع ان يكلمهم الا بعجز وذلة ان انتم جاهلون
قبحه فلذلك اقدمتم عليه او عاقبته وانما قال ذلك تنصحا لهم وهو
يحرضا على التوبة وشفقة عليهم لما رأى من عجزهم وتمكنهم
لا معاقبة وتثريبا وقيل اعطوه كتاب يعقوب في تخليص بنيامين
وذكر والله ما هو فيه من الحزن على فقد يوسف واخيه فقال
لهم ذلك وانما جهلهم لان فعلهم اذا كان فعل الجهال او لانهم
كانوا جاج صبيانا طياشين قالوا أإنك لأنت يوسف استفهام
تقرير ولذلك حقق بان ودخول اللام عليه وقرأ ابن كثير
وقالون على الايجاب قيل عرفوه برؤياه وشمائله حين كلمهم
وقيل تبسم فعرفوه بثناياه وقيل رفع التاج عن رأسه فرأوا
علامة بقرنه تشبه الشامة البيضاء وكانت لسارة ويعقوب
مثلها قال انا يوسف وهذا اخي من ابي وامي ذكره تعريفا لنفسه
وتفخيما لشانه وادخال اله في قوله قد من الله علينا اى بالسلامة
والكرامة انه من يتق اى يتق الله ويصبر على البليات او على الطا
عات او عن المعاصي فان الله لا يضيع اجر المحسنين وضع
المحسنين موضع الضمير للتنبيه على ان المحسن من جمع بين التقوى
والصبر قالوا تالله لقد اثرك الله علينا اختارك علينا بحسن
الصورة وكمال السيرة وان كنا لخاطئين والحال ان شاننا انا كنا
مذنبين بما فعلنا معك قال لا تثريب عليكم اليوم لا تأنيب عليكم

من الثرب وهو الشحم الذي يغشى الكرش للازالة كالتجليد
فاستعير للتقريع الذي يمزق العرض ويذهب ماء الوجه
اليوم متعلق بالتثريب او بالمقدر للجار الواقع خبرا للا
تثريب والمعنى لا اثر بكم اليوم الذي هو مظنته فما ظنكم بسائر
الايام او بقوله يغفر الله لكم لانه صفح عن جريمتهم حي واعترفوا
بها حي وهو ارحم الراحمين فانه يغفر الصغائر والكبائر ويتفضل
على التائب ومن كرم يوسف عليه السلام انهم لما عرفوه ارسلوا
اليه وقالوا انك تدعونا بالبكرة والعشي الى الطعام ونحن نستحي
منك لما فرط منا قبل فقال ان اهل مصر كانوا ينظرون
الى بالعين الاولى ويقولون سبحان من بلغ عبدا بيع بعشرين در
ما بلغ ولقد شرفت بكم وعظمت في عيونهم حيث علموا انكم اخوتي
وانتي من حفدة ابراهيم اذهبوا بقميصي هذا القميص الذي كان عليه و
قيل القميص المتوارث الذي كان في التعويذ فالقوه على وجه ابي
يأت بصيرا يرجع بصيرا اى اذا بصير وأتوني انتم وابي باهلكم
اجمعين بنسائكم وذراريكم ومواليكم ولما فصلت العير من مصر
وخرجت من عمرانها قال ابوهم لمن حضره اني لأجد ريح يوسف
اوجده الله ريح ما عبق بقميصه من ريحه حين اقبل عليهم
يهوذا من ثمانين فرسخا لولا ان تفندون تنسبوني الى
الفند وهو نقصان عقل يحدث من هرم ولذلك لا يقال
عجوز مفنده لان نقصان عقلها ذاتي وجواب لولا محذوف
تقديره لصدقتموني او لقلت انه قريب قالوا الحاضرون تالله
انك لفي ضلالك القديم لفي ذهابك عن الصواب قدما بالافراط
في محبة يوسف واكثار ذكره والتوقع للقائه فلما ان جاء البشير
يهوذا روى انه قال كما احزنته بحمل قميصه الملطخ اليه فافرحه
بحمل هذا اليه القاه على وجهه طرح البشير القميص على وجه

هما

٧ ريح صح

يعقوب او يعقوب نفسه فارتد بصيرا عاد بصيرا لما
انتعش فيه من القوة قال الم اقل لكم انى اعلم من الله ما
لا تعلمون من حيوة يوسف وانزال الفرج وقيل انى اعلم
كلام مبتدا والمقول لا تيئسوا من روح الله او انى لاجد
ريح يوسف قالوا يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين
طئين ومن حق المعترف بذنبه ان يصفح عنه ويسئال له
المغفرة قال سوف استغفر لكم ربى انه هو الغفور الرحيم
اخره الى السحر او الى صلوة الليل او الى ليلة الجمعة تحريا
لوقت الاجابة او الى ان يستحل لهم من يوسف او يعلم انه
عفا عنهم فان عفو المظلوم شرط المغفرة ويؤيده ما روى
انه استقبل القبلة قائما يدعو وقام يوسف خلفه يؤمن
وقاموا خلفهما اذلة خاشعين حتى نزل جبريل وقال ان
الله قد اجاب دعوتك فى ولدك وعقدوا مواثيقهم بعدك
على النبوة وهو ان صح فدليل على نبوتهم وان ما صدر عنهم
كان قبل استنبائهم فلما دخلوا على يوسف روى انه وجه
اليه رواحل واموالا ليتجهز اليه بمن معه واستقبله يوسف
والملك يوسف والملك باهل مصر وكان اولاده الذين دخلوا
معه مصر اثنين وسبعين رجلا واماءة وكانوا حين خرجوا
مع موسى ستمائة الف وخمسمائة وبضعة وتسعين رجلا
سوى الذرية والهرمى اوى اليه ابويه ضم اليه اباه وخالته
واعتنقهما نزل لهما منزلة الام تنزيل العم منزلة الاب فى
قوله وآله ابائك ابراهيم واسماعيل واسحق او لان يعقوب
تزوجها بعد امه والسرية تدعى امّا وقال ادخلوا مصر ان
شاء الله آمنين من القحط واصناف المكاره والمشية متعلقة
بالدخول المكيف بالامن والدخول الاول كان فى موضع خارج

البلد حين استقبلهم ورفع ابويه على العرش وخروا له
سجدا تحية وتكرمة له فان السجود عندهم كان يجرى
مجراها وقيل معناه خروا لاجله سجدا لله شكرا وقيل
الضمير لله والواو لابويه واخوته والرفع مؤخر عن الجرور
وان قدم لفظا للاهتمام بتعظيمه لهما وقال يا ابت هذا تاويل
رؤياى من قبل رايتها ايام الصبى قد جعلها ربى حقا
صدقا وقد احسن بى اذ اخرجنى من السجن ولم يذكر الجب
لئلا يكون تثريبا عليهم وجاء بكم من البدو من البادية لانهم
كانوا اصحاب المواشى واهل البدو من بعد ان نزغ الشيطان
بينى وبين اخوتى افسد بيننا وحرش من نزغ الرائض
الدابة اذا نخسها وحملها على الجرى ان ربى لطيف لما يشاء
لطيف التدبير له اذما من صعب الا وتنفذ فيه مشيته ويتسهل
دونها انه هو العليم بوجوه المصالح والتدابير الحكيم الذى يفعل
كل شئ فى وقته على وجه تقتضيه الحكمة روى ان يوسف طاف
بابويه عليهما السلام فى خزائنه فلما ادخله خزينة القراطيس
قال يا بنى ما اعقك عندك هذه القراطيس وما كتبت الى على ثمان
مراحل قال امرنى جبريل قال او ما سئاله قال انت ابسط منى
فسئاله قال جبريل الله امرنى بذلك لقولك واخاف ان ياكله
الذئب قال فهلا خفتنى رب قد اتيتنى من الملك بعض الملك
وهو ملك مصر وعلمتنى من تاويل الاحاديث الكتب او الرؤياى
من ايضا للتبعيض لانه لم يؤت كل التاويل فاطر السموات
والارض مبدعهما وانتصابه على انه صفة المنادى او منادى
برأسه انت وليى ناصرى او متولى امرى فى الدنيا والاخرة
او الذى يتولانى بالنعمة فيهما توفنى مسلما اقبضنى والحقنى
من الصالحين من اباءى او من بعامة الصالحين فى الرتبة والكرامة

روى ان يعقوب اقام معه اربعا وعشرين سنة ثم توفي ه
واوصى ان يدفن بالشام الى جنب ابيه فذهب به ودفنه ثمة
وعاد وعاش بعده ثلاثا وعشرين سنة ثم تاقت نفسه ه
الى الملك المخلد فتمنى الموت فتوفاه الله كما طيبا طاهرا فتخاصم
اهل مصر في مدفنه حتى هموا بالقتال فرأوا ان يجعلوه في صندوق
من مرمر ويدفنوه في النيل بحيث يمر عليه الماء ثم يصل الى مصر
ليكونوا شرعا فيه ثم نقله موسى الى مدفن ابائه وكان عمره
مائة وعشرون سنة وقد ولد له من راعيل افرائيم وميشا ه
وهو جد يوشع بن نون ورحمة امرأة ايوب ذلك اشارة الى
ما ذكر من نباء يوسف والخطاب فيه للرسول صلى الله عليه وسلم
وهو مبتدأ من انباء الغيب نوحيه اليك خبر ان له وما كنت ه
لديهم اذ اجمعوا امرهم وهم يمكرون كالدليل عليهما والمعنى ان
هذا النباء غيب لم تعرفه الا بالوحي اليك لانك لم تحضر اخوة ه
يوسف لما عزموا على ما هموا به من ان يجعلوه في غيابة الجب
وهم يمكرون به وبابيه حين ارسله معهم ومن المعلوم الذي لا ه
يخفى على مكذبيك انك ما لقيت احدا سمع ذلك فتعلمته منه وه
انما حذف هذا الشق استغناء بذكره في غير هذه القصة كقوله
ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا وما اكثر الناس ولو
حرصت على ايمانهم وبالغت في اظهار الايات عليهم بمؤمنين
لعنادهم وتصميمهم على الكفر وما تسئلهم عليه من اجر على الانباء
او القران من جعل كما يفعله حملة الاخبار ان هو الا ذكر وعظة
من الله كافة للعالمين عامة وكأين من آية وكم من اية والمعنى وه
كأين عدد ثبت من الدلائل الدالة على وجود الصانع وه
حكمته وكمال قدرته وتوحيده في السموات والارض يمرون
عليها على الايات ويشاهدونها وهم عنها معرضون لا يتفكرون

فيها ولا يعتبرون بها وقرئ والارض بالرفع على انه مبتدأ وخبره
يمرون فيكون لها الضمير في عليها وبالنصب على ويطؤن ه
الارض وقرئ والارض يمشون عليها اى يترددون فيها فيرون
آثار الامم الهالكة الا وهم مشركون بعبادة غيره او باتخاذ
الاخبار اربابا او نسبة التبني اليه او القول بالنور والظلمة
او النظر الى الاسباب ونحو ذلك وقيل الاية في مشركي مكة ه
وقيل في المنافقين وقيل في اهل الكتاب افأمنوا ان تاتيهم ه
غاشية من عذاب الله عقوبة تغشاهم وتشملهم او تاتيهم
الساعة بغتة فجاءة من غير سابقة علامة وهم لا يشعرون
باتيانها غير مستعدين لها قل هذه سبيلي يعني الدعوة الى
التوحيد والاعداد للمعاد ولذلك فسر السبيل بقوله ادعو
الى الله وقيل هو حال من الياء على بصيرة بيان وحجة واضحة
غير عمياء انا تاكيد للمستتر في ادعو او على بصيرة لانه حال ه
منه او مبتدأ خبره على بصيرة ومن اتبعني عطف عليه وسبحان
الله وما انا من المشركين وانزهه تنزيها من الشركاء وما ه
ارسلنا من قبلك الا رجالا ردا لقولهم لو شاء ربنا لانزل ه
ملائكة وقيل معناه نفي استنباء النساء يوحى اليهم كما يوحى
اليك وتميز وابذلك عن غيرهم وقرأ حفص نوحي في كل
القران ووافقه حمزة والكسائي في حرف الثاني من سورة
الانبياء وحمزة والكسائي يميلانها على اصلها وما في النحل والا
من الانبياء من اهل القرى لان اهلها اعلم واحلم من اهل ه
البدو اقلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة ه
الذين من قبلهم من المكذبين بالرسل والايات فيحذروا ه
تكذيبك او من المشغوفين بالدنيا المنهالكين عليها فيقلعوا
عن حبها ولدار الآخرة ولدار الحال او الساعة او الجنة ه

ولى

الاخرة خير للذين اتقوا الشرك والمعاصي افلا تعقلون ه
فيستعملون عقولهم ليعرفوا انها خير وقرأ نافع وابن عامر
بالتاء حملا على قوله قل هذه سبيلي اى قل لهم افلا تعقلون ه
حتى اذا استيأس الرسل غاية محذوف دل عليه الكلام اى
لا يغرنهم تمادي ايامهم فان من قبلهم امهلوا حتى ايس ه
الرسل عن النصر عليهم في الدنيا او عن ايمانهم لانهماكهم في
الكفر مترفين متمادين فيه من غير وازع وظنوا انهم قد
كذبوا اى كذبهم انفسهم حين حدثتهم بانهم ينصرون ه
او كذبهم القوم بوعد الايمان وقيل الضمير للمرسل اليهم اى
وظن المرسل اليهم ان الرسل قد كذبوهم بالدعوة والوعيد
وقيل الاول للمرسل اليهم والثاني للرسل اى وظنوا ان ه
قد كذبوا واخلفوا فيما وعدلهم من النصر وخلط الامر ه
عليهم وما روى عن ابن عباس رضى الله عنه ان الرسل ه
ظنوا انهم اخلفوا ما وعدهم الله كلام من النصران صح فقد ه
اراد بالظن ما يهجس في القلب على طريق الوسوسة بهذا
وان المراد به المبالغة في التراخي والامهال على سبيل التمثيل ه
وقرأ غير الكوفيين بالتشديد اى وظن الرسل ان القوم ه
قد كذبوا فيما اوعدوهم وقرئ كذبوا بالتخفيف وبناء الفاعل
اى وظنوا انهم قد كذبوا فيما حدثوا به عند قومهم لما تراخى
عنهم ولم يروا له اثر اجاءهم نصرنا فننجي من نشاء النبي وه
المؤمنين واتى له بعينهم للدلالة على انهم الذين يستاهلون ان
يشاء نجاتهم ولايشارکهم فيه غيرهم وقرأ ابن عامر وعاصم
ويعقوب على لفظ الماضي المبني للمفعول وقرئ فننجا ولا
يرد بأسنا عن القوم المجرمين اذا نزل بهم وفيه بيان للمس
للمشيئين لقد كان في قصصهم في قصص الانبياء وامهم او ه

في قصة يوسف واخوته عبرة لاولي الابصار لذوي العقول
المبرأة عن شوائب الالف والركون الى الحس ما كان حديثا
يفترى ما كان القرآن حديثا مفترى ولكن تصديق الذي
بين يديه من الكتب الالهية وتفصيل كل شيء يحتاج اليه ه
في الدين اذ ما من امر ديني الا وله سند من القرآن بوسط
او غيره وسطا وهدى من الضلال ورحمة ينال بها خير ه
الدارين لقوم يؤمنون يصدقونه وعن النبي صلى الله عليه
وسلم علموا ارقاءكم واقرباءكم سورة يوسف فانه ايما مسلم
تلاها او علمها اهله وما ملكت يمينه هون الله عليه سكرات
الموت واعطاه الفقه ان لا يحسد مسلما سورة الرعد ه
مدنية وقيل مكية خمس واربعون اية ه ه ه ه ه ه ه ه ه

بسم الله الرحمن الرحيم

المر قيل معناه انا الله اعلم وارى تلك آيات الكتاب يعني
بالكتاب السورة وتلك اشارة الى ايا تها اى تلك الايات السورة ه
الكاملة او القرآن والذي انزل اليك من ربك وهو القرآن كله ومحله
الجر بالعطف على الكتاب عطف العام على الخاص او احدى الصفتين
على الاخرى او الرفع على الابتدا وخبره الحق والجملة كالحجة على الجملة
الاولى وتعريف الخبر وان دل على اختصاص المنزل بكونه حقا
فهو اعم من المنزل صريحا او ضمنا كالمثبت بالقياس وغيره مما ه
نطق المنزل بحسن اتباعه ولكن اكثر الناس لا يؤمنون لاخلالهم
بالنظر والتأمل فيه الله الذي رفع السموات مبتدا وخبر ويجوز ه
ان يكون الموصول صفة والخبر يدبر الامر بغير عمد اساطين جمع
عماد كاهاب واهب او عمود كاديم وادم وقرئ عمد كرسل ه
ترونها صفة لعمد او استيناف للاستشهاد بوجودهم السموات
كذلك وهو دليل على وجود الصانع الحكيم فان ارتفاعها على سائر

الاجسام المساوية لها في حقيقة الجسمية واختصاصها بما
يقتضي ذلك لابدّ وان يكون بمخصص ليس بجسم والاجسام
يرجح بعض الممكنات على بعض بارادته وعلى هذا المنهاج
سائر ما ذكر من الايات ثم استوى على العرش بالحفظ و
التدبير وسخر الشمس والقمر ذللهما لما اراد منهما كاه
لحركة المسخرة على حد من السرعة ينفع في حدوث الكائنات
وبقائها كل يجري لاجل مسمى لمدة معينة يتم فيها ادواره
او لغاية مضروبة ينقطع دونها سيره وهي اذا الشمس كورت
واذا النجوم انكدرت يدبر الامر امر ملكوته من الايجاد والاعدام
والاحياء والاماتة وغير ذلك يفصل الايات ينزلها ويبينها
مفصلة او يحدث الدلائل واحدا بعد واحد لعلكم بلقاء ربكم توقنون
لكي تتفكروا في فيها وتتحققوا كما قدرته فتعلموا ان من قدر على
خلق هذه الاشياء وتدبيرها قدر على الاعادة والجزاء وهو الذي
مد الارض بسطها طولا وعرضا لتثبت عليها الاقدام وتنقلب
عليها الحيوان وجعل فيها رواسي جبالا ثوابت من رسا الشيء
اذا ثبت جمع راسية والتانيث على انها صفة الجبل او للمبالغة
وانهارا ضمها الى الجبال وعلق بهما فعلا واحدا من حيث ان الجبال
اسباب لتولدها ومن كل الثمرات معلق بقوله جعل فيها زوجين
اثنين اي وجعل فيها من جميع انواع الثمرات صنفين اثنين
كالحلو والحامض والاسود والابيض والصغير والكبير يغشى
الليل النهار يلبسه مكانه فيصير الجو مظلما بعد ما كان مضيئا وه
قرا حمزة والكسائي وابو بكر يغشى بالتشديد ان في ذلك لايات
لقوم يتفكرون فيها فان تكونها وتخصصها بوجه دون وجه
دليل على وجود صانع حكيم دبر امرها وهيا اسبابها وفي الارض
قطع متجاورات بعضها طيبة وبعضها سبخة وبعضها رخوة

صلبة وبعضها يصلح للزرع دون الشجر وبعضها بالعكس ولولا
تخصيص قادر موقع لافعاله على وجه دون وجه لم تكن كذلك
لاشتراك القطع في الطبيعة الارضية وما يلزم لها ويعرض لها
بوسط ما يعرض من الاسباب السماوية ومن حيث انها متضامة
متشاركة في النسب والاوضاع وجنات من اعناب وزرع و
نخيل وبساتين فيها انواع الاشجار والزروع وتوحيد الزرع
لانه مصدر في اصله وقراء ابن كثير وابو عمرو ويعقوب وحفص
وزرع ونخيل بالرفع عطفا على جنات صنوان نخلات اصلها
واحد وغير صنوان متفرقات مختلفة الاصول وقراء حفص
بالضم وهو لغة تميم كقنوان جمع قنو سقي بماء واحد ونفضل
بعضها على بعض في الاكل في الثمر شكلا وقدرا ورايحة وطعما وذلك
ايضا مما يدل على الصانع الحكيم فان اختلافها مع اتحاد الاصول والا
سباب لا يكون الا بتخصيص قادر مختار وقراء ابن عامر وعاصم
ويعقوب يسقى بالتذكير على تاويل ما ذكر وحمزة والكسائي يفضل
بالياء ليطابق قوله يدبر الامر ان في ذلك لايات لقوم يعقلون
يستعملون عقولهم بالتفكر وان تعجب يا محمد من انكارهم
البعث فعجب قولهم حقيق بان يتعجب منه فان قدر على انشاء
ما قص عليك كانت الاعادة ايسر شيء عليه والايات المعدودة
كما هي دالة على وجود المبدء فهي دالة على امكان الاعادة من
حيث انها تدل على كمال علمه وقدرته وقبول المواد لانواع تصرفاته
ان اذا كنا ترابا ائنا لفي خلق جديد بدل من قولهم او مفعول له
والعامل في اذا محذوف دل عليه انا لفي خلق جديد اولئك الذين
كفروا بربهم لانهم كفروا بقدرته على البعث واولئك الاغلال
في اعناقهم مقيدون بالضلالة لا يرجى خلاصهم او يغلون
يوم القيمة واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون لانهم لا ينفكون

عنها وتوسيط الفصل لتخصيص الخلود بالكفار ويستعجلونك
بالسيئة قبل الحسنة بالعقوبة قبل العافية وذلك انهم استعجلوا
بما هددوا به من عذاب الدنيا استهزاء وقد خلت من قبلهم
المثلات عقوبات امثالهم من المكذبين فما بالهم لم يعتبروا
بها ولم يجروا احلول مثلها عليهم والمثلة بفتح الثاء كالصدقة
والصدقة عقوبة لانها مثل المعاقب عليه ومنه المثال للقصاص
وامثلت الرجل من صاحبه اذا اقتصصت منه وقرئ المثلات
بالتخفيف والمثلات باتباع الفاء العين والمثلات بالتخفيف بعد
الاتباع والمثلات بفتح الثاء على انها جمع مثلة كركبة وركبات
وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم مع ظلمهم انفسهم وهو
محل النصب على الحال العامل فيه المغفرة والتقييد به دليل جواز
المغفرة قبل التوبة فان التائب ليس على ظلمه ومن منع ذلك خص
الظلم بالصغائر المكفرة لمجتنب الكبائر او اول المغفرة بالستر وهو
الامهال وان ربك لشديد العقاب للكفار او لمن شاء وعن
النبي صلى الله عليه وسلم لو لا عفو الله وتجاوزه ما هنأ احدا العيش
ولو لا وعيده وعقابه لاتكل كل احد ويقول الذين كفروا لولا انزل
عليه آية من ربه لعدم اعتدادهم بالايات المنزلة عليه واقترحوا
لنحو ما اوتي موسى وعيسى انما انت منذر رسول للانذار هو
كغيرك من الرسل وما عليك الا الايتان بما تقتضي به نبوتك من
جنس المعجزات لا بما يقترح عليك ولكل قوم هاد نبي مخصوص
بمعجزات من جنس ما هو الغالب عليهم يهديهم الى الحق ويدعوهم
الى الصواب او قادر على هدايتهم وهو الله لكن لا يهدي الا
من يشاء هدايته بما ينزل من الايات ثم اردف ذلك بما يدل
على كمال علمه وقدرته وشمول قضائه وقدره تنبيها على انه
قادر على انزال ما اقترحوه وانما لم ينزل لعلمه بان اقتراحهم

للعناد دون الاسترشاد وانه قادر على هدايتهم وانما لم
يهدهم لسبق قضائه عليهم بالكفر وقرأ ابن كثير هاد وواق
وواق وما عند الله باق بالتنوين في الوصل فاذا وقف وقف
بالياء في هذه الاربعة الاخيرة حيث وقعت لافي وباقون
يصلون بالتنوين ويقفون بغير ياء فقال الله يعلم ما تحمل
كل انثى اي حملها او ما تحمله وانه على اي حال من الاحوال الحاضرة
والمترقبة وما تغيض الارحام وما تزداد وما تنقصه وما تزداد
في الجثة والمدة والعدد واقصى مدة الحمل اربع سنين عندنا وخمس
عند مالك وسنتان عند ابي حنيفة روي ان الضحاك ولد لسنتين
وهرم بن حيان لاربع سنين واعلى عدده لاحد له وقيل نهاية
ما عرف اربعة واليه ذهب ابو حنيفة وقال الشافعي اخبرني شيخ
باليمن ان امراته ولدت بطونا في كل بطن خمسة وقيل المراد
نقصان دم الحيض وازدياده وغاض جاء متعديا ولازما و
كذا ازداد قال كل وازداد واتسعا فان جعلتهما لازمين هو
تعين ان تكون ما مصدرية واسنادهما الى الارحام على المجاز هو
فانها للماء او لما فيها وكل شيء عنده بمقدار مقدر لا يجاوزه
ولا ينقص عنه كقوله كل انا كل شيء خلقناه بقدر فانه هو
خص كل حادث بوقت وحال معينين وهيأ له اسبابا مسوقة
اليه تقتضي ذلك عالم الغيب الغائب عن الحس والشهادة
الحاضر له الكبير العظيم الشان المتعال الذي لا يبرح عن علمه
شيء المستعلي على كل شيء بقدرته او الذي كبر عن نعت هو
المخلوقين وكعت عنه سواء منكم من اسر القول في نفسه و
من جهر به لغيره ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار
طالب للخفاء في مختبأ بالليل سارب بارز بالنهار يراه كل
احد من سرب سروبا اذا برز وهو عطف على من او مستخف

على ان من في معنى الاثنين كقوله لكن مثل من ياذئب يصطحبان
كانه قال سواء منكم اثنان مستخف بالليل وسارب بالنهار ه
والاية متعلقة بما قبلها مقررة لكمال علمه وشموله له لمن اسر
اوجهر واستخفى او سرب معقبات ملائكة تعقب في حفظه جمع
معقبة من عقب مبالغة عقبه اذا جاء على عقبه كان بعضهم يعقب
بعضا او لانهم يعقبون اقواله وافعاله فيكتبونها او اعتقب فادغمت التاء في القاف والتاء للمبالغة او لان المراد بالمعقبات ه
جماعات وقرئ معاقيب جمع معقب او معقبة على تعويض ه
الياء من احدى القافين من بين يديه ومن خلفه من جوانبه
او من الاعمال ما قدم وما اخر يحفظونه من امر الله من باسه
متى اذنب بالاستمهال او الاستغفار له او يحفظونه من المضار
او يراقبون احواله من اجل امر الله وقد قرئ به وقيل من ه
بمعنى الباء وقيل من امر الله صفة ثانية لمعقبات وقيل المعقبات ه
الحرس والجاوزة حول السلطان يحفظونه في توهمه من قضاء
الله ك ان الله لا يغير ما بقوم من العافية والنعمة حتى يغيروا
ما بانفسهم من الاحوال الجميلة بالاحوال القبيحة واذا اراد ه
الله بقوم سوء فلا مرد له فلا رد له والعامل في اذا ما دل
عليه الجواب وما لهم من دونه من وال ممن يلي امرهم فيدفع
عنهم السوء وفيه دليل على ان خلاف مراد الله محال هو الذي
يريكم البرق خوفا من اذاه وطمعا في الغيث وانتصابهما
على العلة بتقدير المضاف اى ارادة خوف وطمع او التاويل
بالاخافة والاطماع او الحال من البرق او المخاطبين على ه
اضمار ذوا واطلاق المصدر بمعنى الفاعل او المفعول ه
للمبالغة وقيل يخاف المطر من يضره ويطمع فيه من ينفعه
وينشئ السحاب الغيم المنسحب في الهواء الثقال جمع ثقيلة

وانما وصف به السحاب لانه اسم جنس في معنى الجمع ويسبح
الرعد بحمده ويسبح سامعوه به فيضجون بسبحان الله
والحمد لله او يدل الرعد بنفسه على وحدانيته ك وكمال قدرته
ملتبسا بالدلالة على فضله ونزول رحمته وعن ابن عباس
رضي الله عنه سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الرعد فقال
ملك توكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق به ه
السحاب والملائكة من خيفته من خوف الله ك واجلاله
وقيل الضمير للرعد ويرسل الصواعق فيصيب بها من
يشاء فيهلكه وهم يجادلون في الله حيث يكذبون رسول
الله صلى الله عليه وسلم فيما يصفه به من كمال العلم والقدرة و
التفرد بالالوهية واعادة الناس ومجازاتهم والجدال الشدد
في الخصومة من الجدل وهو الفتل والواو امّا لعطف الجملة على
الجملة او للحال فانه روى ان عامر ابن الطفيل واربد بن ربيعة
اخا لبيد وفدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قاصدين ه
لقتله فاخذه عامر بالمجادلة واراد ان يضربه ه
بالسيف فتنبه له الرسول صلى الله عليه وسلم وقال اللهم اكفنيهما
بما شئت فارسل الله على اربد صاعقة فقتله ورمى عامرا
بغدة فمات في بيت سلولية وكان يقول غدة كغدة البعير
وموت في بيت سلولية فنزلت وهو شديد المحال المماحلة
المكايدة لاعدائه عن محل بفلان اذا كاده وعرضه للهلاك ومنه
تمحل اذا تكلف استعمال الحيلة ولعل اصله المحل بمعنى القحط ه
وقيل فعال من المحل بمعنى القوة وقيل مفعل من الحول او الحيلة
اعل على غير قياس ويعضده انه قرئ بفتح الميم على انه مفعل من
حال يحول اذا احتال ويجوز ان يكون بمعنى الفقار فيكون
مثلا في القوة والقدرة كقولهم فساعد الله اشد وموساه احد

له دعوة الحق الدعاء الحق فانه الذى يحق ان يعبد ويدعى
الى عبادته دون غيره او له الدعوة المجابة فان من دعاه اجاب
ويؤيده ما بعده والحق على الوجهين ماينا قض الباطل واضافة
الدعوة اليه لما بينهما من الملابسة او على تأويل دعوة المدعو الحق
وقيل الحق هو الله ﷻ وكل دعاء اليه دعوة الحق والمراد بالجملتين
ان كانت الاية فى عامر واربد ان اهلاكهما من حيث لم يشعرا به
محال من الله ﷻ واجابة لدعوة رسوله او دلالة على انه على الحق
وان كانت عامة فالمراد وعيد الكفرة على مجادلة رسول الله
صلى الله عليه وسلم بحلول محاله بهم وتهديدهم باجابة دعاء
رسول صلى الله عليه وسلم عليهم او بيان ضلالهم وفسادرأيهم
والذين يدعون اى والاصنام الذين يدعوهم المشركون فحذف
الراجع او والمشركون الذين يدعون الاصنام فحذف المفعول
لدلالة من دونه عليه لايستجيبون لهم بشئ الا كباسط ﷺ
كفيه الا استجابة كاستجابة من بسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه يطلب
من الطلبات منه ان يبلغه وما هو ببالغه لانه جماد لايشعر بدعائه
ولايقدر على اجابته والاتيان بغية ماجبل عليه وكذلك الهتهم ﷺ
وقيل شبهوا فى قلة جدوى دعائهم لها بمن اراد ان يغترف ﷺ
الماء ليشربه فبسط كفيه ليشربه وقرئ تدعون بالتاء وباسط
بالتنوين وما دعاء الكافرين الا فى ضلال الا فى ضياع وخسار
وباطل ولله يسجد فى السموات والارض طوعا وكرها يحتمل
ان يكون السجود على حقيقته فانه يسجد له الملائكة والمؤمنون
من الثقلين طوعا حالتى الشدة والرخاء والكفرة كرها حال
الشدة والضرورة وظلالهم بالعرض وان يراد به انقيادهم
لاحداث ما اراده فيهم شاؤا او كرهوا وانقياد ظلالهم لتصريفه
اياها بالمد والتقليص وانتصاب طوعا وكرها بالحال او العلة

وقوله بالغدو والاصال ظرف ليسجد والمراد بهما الدوام ﷺ
او الحال من الضلال وتخصيص الوقتين لان الامتداد وهو
التقليص اظهر فيهما والغدو جمع غداة كقنى وقناة والا
صال جمع اصيل وهو ما بين العصر والمغرب وقيل الغدو ﷺ
مصدر ويؤيده انه قرئ والايصال وهو الدخول فى الاصيل
قل من رب السموات والارض خالقهما ومتولى امر
هما قل الله اجب عنهم بذلك اذ لاجواب لهم سواه ولانه
البين الذى لايمكن المراء فيه او لقنهم الجواب به قل افاتخذتم
من دونه ثم الزمهم بذلك لان اتخاذهم منكر بعيد عن ﷺ
مقتضى العقل اولياء لايملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا لايقدرون
ان يجلبوا اليها نفعا او يدفعوا عنها ضرا فكيف يستطيعون ﷺ
انفاع الغير ودفع الضر عنه وهو دليل ثان على ضلالهم وفساد
رأيهم فى اتخاذهم اولياء رجاء ان يشفعوا لهم قل هل يستوى
الاعمى والبصير المشرك الجاهل بحقيقة العبادة والموجب ﷺ
لها والموحد العالم بذلك وقيل المعبود الغافل عنكم والمعبود
المطلع على احوالكم ام هل يستوى الظلمات والنور الشرك
والتوحيد وقرأ حمزة بالتاء ام جعلوا لله شركاء بل اجعلوا
لله والهمزة للانكار وقوله خلقوا كخلقه صفة لشركاء ﷺ
داخلة فى حكم الانكار فتشابه الخلق عليهم خلق الله و
خلقهم والمعنى انهم ما اتخذوا لله شركاء خالقين مثله حتى
يتشابه عليهم الخلق فيقولوا هؤلاء خلقوا كما خلق الله
فاستحقوا العبادة كما استحقها ولكنهم اتخذوا شركاء
عاجزين لايقدرون على ما يقدر عليه الخلق فضلا عما يقدر
عليه الخالق قل الله خالق كل شئ لاخالق غيره فيشاركه
فى العبادة جعل الخلق موجب العبادة ولازم استحقاقها

تم

دون

ثم نفاه عما سواه ليدل على قوله وهو الواحد القهار الغالب على
كل شئ انزل من السماء ماء من السحاب او من جانب السماء او
من السماء بنفسها فان المبادى منه فسالت اودية انهار جمع
واد وهو الموضع الذى يسيل فيه الماء بكثرة فاتسع فيه واستعمل
للماء الجارى فيه وتنكيرها لان المطر يأتى على تناوب بين البقاع
بقدرها بمقدارها الذى علم الله انه نافع غير ضار او بمقدارها
فى الصغر والكبر فاحتمل السيل زبدا رفعه والزبد وضر الغليان
رابيا عاليا ومما توقدون عليه فى النار يعنى الفلذان كالذهب
والفضة والحديد والنحاس على وجه التهاون بها اظهارا لكبريائه ابتغاء حلية طلب حلية او متاع كالاوانى وآلات
الحرب والحرث والمقصود من ذلك بيان منافعها وكذلك مثله
اى ومما توقدون عليه زبد مثل زبد الماء هو خبثه ومن للابتداء
او التبعيض وقرأ حمزة بالياء على ان الضمير للناس واضماره
للعلم به كذلك يضرب الله الحق والباطل مثل الحق والباطل
فانه مثل الحق فى افادته وثباته بالماء الذى ينزل من السماء
فتسيل به الاودية على قدر الحاجة والمصلحة فينتفع به انواع
المنافع ويمكث فى الارض بان يثبت بعضه فى منابعه ويسلك
بعضه فى عروق الارض الى العيون والقنى والآبار وبالفلذ
الذى ينتفع به فى صوغ الحلى واتخاذ الامتعة المختلفة ويدوم
ذلك مدة متطاولة والباطل فى قلة نفعه وسرعة زواله
بزبدهما وبين ذلك بقوله فاما الزبد فيذهب جفاء اى
يجفاء به اى يرمى به السيل او الفلذ المذاب وانتصابه
على الحال وقرئ جفالا والمعنى واحد واما ما ينفع الناس
كالماء وخلاصة الفلذ فيمكث فى الارض ينتفع به اهلها
كذلك يضرب الله الامثال لايضاح المشتبهات للذين

استجابوا للمؤمنين الذين استجابوا لربهم الحسنى الاستجابة
للحسنى والذين لم يستجيبوا له وهم الكفرة واللام متعلقة
بيضرب على انه جعل ضرب المثل لشان الفريقين ضرب المثل
لهما وقيل للذين استجابوا خبر الحسنى وهى المثوبة او الجنة
والذين لم يستجيبوا له مبتدا خبره لو ان لهم ما فى الارض
جميعا ومثله معه لافتدوا به وهو على الاول كلام مبتدا لبيان
مال غير المستجيبين اولئك لهم سوء الحساب وهو المناقشة
فيه بان يحاسب الرجل بذنبه لايغفر منه شئ ومأواهم ومص جعهم
جهنم وبئس المهاد المستقر والمخصوص بالذم محذوف
افمن يعلم ان ما انزل اليك من ربك الحق فيستجيب كمن هو
اعمى اعمى القلب لايستبصر به فيستجيب والهمزة لانكار ان يقع
شبهة فى تشابههما بعد ما ضرب من المثل انما يتذكر اولوا الا لباب
ذوو العقول المبرأة عن مشايعة الالف ومعارضة الوهم
الذين يوفون بعهد الله ما عقدوه على انفسهم من الاعتراف
بربوبيته حين قالوا بلى او ما عهد الله عليهم فى كتبه ولا
ينقضون الميثاق ما وثقوه بينهم وبين الله تعالى وبين العباد
وهو تعميم بعد تخصيص والذين يصلون ما امر الله به ان
يوصل من الرحم وموالاة المؤمنين والايمان بجميع الانبياء
يندرج فى ذلك مراعاة جميع حقوق الناس ويخشون ربهم
وعيده عموما ويخافون سوء الحساب خصوصا فيحاسبون
انفسهم قبل ان يحاسبوا والذين صبروا على ما تكرههم النفس
ويخالفه الهوى ابتغاء وجه ربهم طلبا لرضائه لا لغرض اخر وسمعة
واقاموا الصلوة المفروضة وانفقوا مما رزقناهم بعضه
الذى وجب عليهم انفاقه سرا لمن لم يعرف بالمال وعلانية
لمن عرف به ويدرؤن بالحسنة السيئة ويرفعونها فيجا زون

الاساءة بالاحسان اولئك لهم عقبى الدار عاقبة الدنيا وماينبغى ان يكون مال اهلها و
هى الجنة والجملة خبرى الموصولات ان رفعت بالابتداء وان جعلت
صفات لاولى الالباب فاستئناف بذكر ما استوجبوا بتلك
الصفات جنات عدن بدل من عقبى الدار اومبتدا خبره
يدخلونها والعدن الاقامة اى جنات يقيمون فيها وقيل هو
بطنان الجنة ومن صلح من آبائهم وازواجهم وذرياتهم
عطف على المرفوع فى يدخلون وانما ساغ للفصل بالضمير الاخر
او مفعول معه والمعنى انه يلحق بهم من صلح من اهلهم وان
لم يبلغ مبلغ فضلهم تبعا لهم وتعظيما لشانهم وهو دليل على
ان الدرجة تعلو بالشفاعة وان الموصوفين بتلك الصفات
يقرن بعضهم ببعض لما بينهم من القرابة والوصلة فى دخول
الجنة زيادة فى انسهم والتقييد بالصلاح دلالة على ان مجرد
الانساب لاينفع والملائكة يدخلون عليهم من كل باب من
ابواب المنازل اومن ابواب الفتوح والتحف قائلين سلام
عليكم بشارة بدوام السلامة بما صبرتم متعلق بعليكم او
بمحذوف اى هذا بما صبرتم لا بسلام فان الخبرى فاصل والباء
للسببية او البدلية فنعم عقبى الدار وقرئ فنعم بفتح النون
والاصل نعم فسكن العين بنقل كسرتها الى الفاء ويغيره وهم
الذين ينقضون عهد الله يعنى مقابلى الاولين من بعد ميثاقه
من بعد ما اوثق به من الاقرار والقبول ويقطعون ما امر
الله به ان يوصل ويفسدون فى الارض بالظلم وتهييج الفتن
اولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار عذاب جهنم اوسوء
عاقبة الدنيا لانه فى مقابلة عقبى الدار الله يبسط الرزق
لمن يشاء ويقدر يوسعه ويضيقه وفرحوا اى اهل مكة

بالحيوة الدنيا بما بسط لهم فى الدنيا وما الحيوة الدنيا فى
الاخرة فى جنب الاخرة الا متاع الا متعة لاتدوم كعجالة
الراكب وزاد الراعى والمعنى انهم اشروا بما نالوا من الدنيا
ولم يصرفوه فيما يستوجبون به نعيم الاخرة واعتروا بما
هو فى جنبه نزر قليل النفع سريع الزوال ويقول الذين
كفروا لولا انزل عليه آية من ربه قل ان الله يضل من يشاء
باقتراح الايات بعد ظهور المعجزات ويهدى اليه من اناب
اقبل الى الحق ورجع عن العناد وهو جواب يجرى مجرى التعجب
من قولهم كانه قال قل لهم ما اعظم عنادكم ان الله يضل من
يشاء ممن كان على صفتكم فلا سبيل الى اهتدائهم وان انزلت
كل اية ويهدى اليه من اناب بما جئت به بل بادنى منه من
الايات الذين آمنوا بدل من من او خبرى مبتدا محذوف
وتطمئن قلوبهم بذكر الله انسا به واعتمادا عليه ورجاء
منه او بذكر رحمته بعد القلق من خشيته او بذكر دلائله
الدالة على وجوده ووحدانيته او بكلامه يعنى القران الذى
هو اقوى المعجزات الا بذكر الله تطمئن القلوب تسكن
اليه الذين آمنوا وعملوا الصالحات مبتدا خبره طوبى لهم
وهو فعلى من الطيب قلبت ياءه واوا لضمة ماقبلها مصدر
لطاب كبشرى وزلفى ويجوز فيه الرفع والنصب ولذلك
قرئ وحسن مآب بالنصب وكذلك مثل ذلك يعنى ارسال
الرسل قبلك ارسلناك فى امة قد خلت من قبلها لتتلو عليهم
امما ارسلوا اليهم فليس ببدع ارسالك اليها لتتلو عليهم
الذى اوحينا اليك لتقرأ عليهم الكتاب الذى اوحينا اليك
وهم يكفرون بالرحمن وحالهم انهم يكفرون بالبليغ الرحمة
الذى احاطت بهم نعمته ووسعت كل شىء رحمته فلم يشكروا

نعمه خصوصا ما انعم الله عليهم بارسالك اليهم وانزال القرآن
الذى هو مناط المنافع الدينية والدنيوية عليهم وقيل
نزلت فى مشركى مكة حين قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا
وما الرحمن قل هو ربى اى الرحمن خالقى ومتولى امرى
لا اله الا هو المستحق للعبادة سواه عليه توكلت فى نصرتى
عليكم واليه متاب مرجعى ومرجعكم ولو ان قرآنا سيرت
به الجبال لشرف حذف جوابه والمراد منه تعظيم شان القرآن
او المبالغة فى عناد الكفرة وتصميمهم اى ولو ان كتابا زعزعت
به الجبال عن مقارها او قطعت به الارض تصدعت من خشية
الله كما عند قراءته او شققت فجعلت انهارا وعيونا او كلم
به الموتى فتقرأ او فتسمع وتجيب عند قراءته لكان هذا القرآن
لانه الغاية فى الاعجاز والنهاية فى التذكير والانذار اولما آمنوا
به كقوله ولو اننا انزلنا اليهم الملائكة وقيل ان قريشا قالوا
يا محمد ان سرك ان نتبعك فسير بقرآنك الجبال عن مكة حتى
تتسع لنا فنتخذ فيها بساتين وقطائع او سخر لنا به الريح
لنركبها ونتجر الى الشام او ابعث كنانة بن قصى بن كلاب
وغيره من ابائنا ليكلمونا فيك فنزلت وعلى هذا فتقطيع الارض
قطعها بالسير وقيل الجواب مقدم وهو قوله وهم يكفرون
بالرحمن وما بينهما اعتراض وتذكير كلم خاصة لاشتمال الموتى
على الذكور الحقيقى بل لله الامر جميعا بل لله القدرة على كل شىء و
هو اضراب عما تضمنه لو من معنى النفى اى بل لله قادر على الا
تيان بما اقترحوه من الايات الا ان ارادته لم تتعلق بذلك
لعلمه بانه لا تلين له شكيمتهم ويؤيد ذلك قوله افلم ييأس
الذين آمنوا عن ايمانهم مع ما رأوا من احوالهم وذهب
اكثرهم الى ان معناه افلم يعلم لما روى ان عليا وابن عباس

وجماعة من الصحابة والتابعين قرأوا افلم يتبين وهو تفسيره
وانما استعمل اليأس بمعنى العلم لانه مسبب عن العلم فان
المأيوس عنه لا يكون الا معلوما ولذلك علقه بقوله ان لو
يشاء الله لهدى الناس جميعا فان معناه نفى هدى بعضهم
الناس لعدم تعلق المشيئة باهتدائهم وهو على الاول متعلق
بمحذوف تقديره افلم ييأس الذين امنوا عن ايمانهم علما
منهم ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا او بآمنوا ولا يزال
الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا من الكفر وسوء الاعمال
قارعة داهية تقرعهم وتقلقهم او تحل قريبا من دارهم
فيفزعون منها ويتطاير اليهم شررها وقيل الاية فى كفار
مكة فانهم لا يزالون مصابين بما صنعوا برسول الله صلى الله
عليه وسلم فان عليه الصلوة والسلام كان لا يزال يبعث اليهم
السرايا فتغير حوالهم وتختطف مواشيهم وعلى هذا يجوز
ان يكون تحل خطابا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فانه حل
بجيشه قريبا من دارهم عام الحديبية حتى يأتى وعد الله الموت
او القيمة او فتح مكة ان الله لا يخلف الميعاد لامتناع الكذب
فى كلامه ولقد استهزئ برسل من قبلك فاملیت للذين كفروا
تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ووعيد للمستهزئين به
والمقترحين عليه والاملاء ان يترك ملاوة من الزمان فى دعة
وامن ثم اخذتهم فكيف كان عقاب اى عقابى اياهم افمن
هو قائم على كل نفس اى رقيب عليه بما كسبت من خير او شر
لا يخفى عليه شىء من اعمالهم ولا يفوت عنده شىء من جزائهم
والخبر محذوف تقديره كمن ليس كذلك وجعلوا لله شركاء
استيناف او عطف على كسبت ان جعل ما مصدرية او لم يوحدوه
وجعلوا عطف عليه ويكون الظاهر فيه موضع الضمير للدلالة

على انه المستحق للعبادة وقوله قل سموهم تنبيه على ان هؤلاء
الشركاء لا يستحقون لها والمعنى صفوهم فانظروا هل لهم ما هم
يستحقون به العبادة ويتاهلون الشركة ام تنبئونه بل
التنبؤنه وقرئ تنبؤنه بالتخفيف بما لا يعلم في الارض
بشركاء له يستحقون العبادة لا يعلمهم او بصفات هم
لهم يستحقونها لاجلها لا يعلمها وهو العالم بكل شيء هم
ام بظاهر من القول ام تسمهم شركاء بظاهر من هم
القول من غير حقيقة واعتبار معنى كتسمية الزنجي
كافورا وهذا احتجاج بليغ على اسلوب عجيب يتاتى
على نفسه بالاعجاز بل زين للذين كفروا مكرهم تمويههم
فتخيلوا اباطيل ثم خالوها حقا او كيدهم للاسلام بشركهم هم
وصدوا عن السبيل سبيل الحق وقرأ ابن كثير ونافع وصدوا
بالفتح اي صدوا الناس عن الايمان وقرئ بالكسر وصد بالهم
التنوين ومن يضلل الله بخذله فما له من هاد يوفقه للهدى
لهم عذاب في الحيوة الدنيا بالقتل والاسر وسائر ما يصيبهم
من المصائب ولعذاب الاخرة اشق لشدته ودوامه وما
لهم من الله من عذابه او من رحمته من واق حافظ مثل الجنة
التي وعد المتقون صفتها التي هي مثل في الغرابة وهو مبتدا
خبره محذوف عند سيبويه اي فيما قصصنا لكم مثل الجنة وقيل
خبره تجري من تحتها الانهار على طريقة قولك صفة زيد
اسمر او على حذف موصوف اي مثل الجنة جنة تجري من تحتها
الانهار او على زيادة المثل وهو قول سيبويه حال من العائد
المحذوف من الصلة اكلها دائم لا ينقطع ثمرها وظلها اي
وظلها كذلك لا ينسخ كما ينسخ في الدنيا بالشمس تلك الجنة
الموصوفة عقبى الذين اتقوا مالهم ومنتهى امرهم وعقبى

الكافرين النار لا غير وفي ترتيب التطمين اطماع للمتقين
واقناط للكافرين والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما انزل
اليك يعني المسلمين من اهل الكتاب كابن سلام واصحابه ومن
آمن من النصارى وهم ثمانون رجلا اربعون بنجران وهم
ثمانية باليمن واثنان وثلاثون بالحبشة او عامتهم فانهم
كانوا يفرحون بما يوافق كتبهم ومن الاحزاب يعني كفرتهم
الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعداوة
ككعب بن الاشرف واصحابه والسيد والعاقب واشياعهما هم
من ينكر بعضه وهو ما يخالف شرايعهم او ما يوافق ما حرفوه
منها قل انما امرت ان اعبد الله ولا اشرك به جواب للمنكرين
اي قل لهم اني امرت فيما انزل الي بان اعبد الله وحده وهو
العمدة في الدين ولا سبيل لكم الى انكاره واما ما تنكرونه لما هم
يخالف شرايعكم فليس ببدع مخالفة الشرايع والكتب الالهية
في جزئيات الاحكام وقرئ ولا اشرك بالرفع على الاستيناف
اليه ادعو لا الى غيره واليه مآبي واليه مرجعي للجزاء لا الى غيره
وهذا هو القدر المتفق عليه بين الانبياء فاما ما عدا ذلك من
الشرايع فمما يختلف بالاعصار والامم فلا معنى لانكاركم هم
المخالفة فيه وكذلك ومثل هذا الانزال المشتمل على اصول الديا
المجمع عليها انزلناه حكما يحكم في القضايا والوقايع بما تقتضيه
الحكمة عربيا مترجما بلسان العرب ليسهل لهم فهمه وحفظه هم
وانتصابه على الحال ولئن اتبعت اهواءهم التي يدعونك اليها هم
كتقرير دينهم والصلوة الى قبلتهم بعد ما حولت عنها بعد ما هم
جاءك من العلم بنسخ ذلك مالك من الله من ولي ولا واق ينصرك
ويمنع العقاب عنك وهو حسم لاطماعهم وتهييج لهم منين على
الثبات في الدين ولقد ارسلنا رسلا من قبلك بشرا مثلك و

نات

جعلنا لهم ازواجا وذرية نساء واولادا كما هي لك وما كان
لرسول وما صح له ولم يكن في وسعه ان يأتي بآية تقترح عليه
وحكم يلتمس منه الا باذن الله فانه الملي بذلك لكل اجل كتاب
لكل وقت وامد حكم يكتب على العباد على ما يقتضيه اصطلاحهم
يمحي الله ما يشاء وينسخ ما يستصوب نسخه ويثبت ما تقتضيه
حكمته وقيل يمحو سيئات التائب ويثبت الحسنات مكانها وقيل
يمحو من كتاب الحفظة ما لا يتعلق به جزاء ويترك غيره
مثبتا او يثبت ما راءه وحده في صميم قلبه وقيل يمحو قرنا و
يثبت آخرين وقيل يمحو الفاسدات ويثبت الكائنات وقرأ
نافع وابن عامر والكسائي وحمزة يثبت بالتشديد وعنده
ام الكتاب اصل الكتاب وهو اللوح المحفوظ اذ ما من كائن
الا وهو مكتوب فيه وامانرينك بعض الذي نعدهم او نتوفينك
نتوفينك وكيف ما دارت الحال اريناك بعض ما وعدناهم او
توفيناك قبله فانما عليك البلاغ لا غير وعلينا الحساب للمجازاة
لا عليك فلا تهتم باعراضهم ولا تستعجل بعذابهم فانا فاعلون
له وهذا اطلاعه او لم يروا انا نأتي الارض ارض الكفرة
ننقصها من اطرافها بما نفتحه على المسلمين منها والله يحكم
لا معقب لحكمه لا راد له وحقيقته الذي يعقب الشيء بالابطال
بطال ومنه قيل لصاحب الحق معقب لانه يقفو غريمه بالاقتضاء
والمعنى انه حكم للاسلام بالاقبال وعلى الكفر بالادبار
وذلك كائن لا يمكن تغييره ومحل لا مع المنفي النصب على
الحال اي يحكم ما قد احكمه وهو سريع الحساب فيحاسبهم عما
قليل في الاخرة بعد ما عذبهم بالقتل والاجلاء في الدنيا وقد
مكر الذين من قبلهم بانبيائهم والمؤمنين منهم فلله المكر
جميعا اذ لا يوجد بمكر دون مكره فانه القادر على ما هو المقصود

منه دون غيره يعلم ما تكسب كل نفس فيعد جزاءها وسيعلم
الكفار لمن عقبى الدار من الحق بين حيث ما يأتيهم العذاب
المعد لهم وهم في غفلة منه وهذا كالتفسير لمكر الله بهم واللام
يدل على ان المراد بالعقبى الدار العاقبة المحمودة مع ما في اللام
من اضافة الى الدار كما عرفت وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو
الكافر على ارادة الجنس وقرئ الكافرون والذين كفروا والكفر
اي اهله وسيعلم من اعلمه اذا اخبره ويقول الذين كفروا لست
مرسلا قيل المراد بهم رؤساء اليهود قل كفى بالله شهيدا بيني
وبينكم فانه اظهر من الادلة على رسالتي ما يغني عن شاهد يشهد
عليها ومن عنده علم الكتاب علم القرآن وما الف عليه من النظم
المعجز او علم التوراة وهو ابن سلام واضرابه او علم اللوح
المحفوظ وهو الله اي وكفى بالذي يستحق العبادة وبالذي لا
يعلم ما في اللوح الا هو شهيدا بيننا فيجزي الكاذب منا ويؤيد
قراءة من قرأ ومن عنده بالكسر وعلم الكتاب على الاول
مرتفع بالظرف فانه معتمد على الموصول ويجوز ان يكون
مبتدأ والظرف خبره وهو متعين للثانية وقرئ من عنده
علم على الحرف والبناء للمفعول بمن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة الرعد اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد
كل سحاب مضى وكل سحاب يكون الى يوم القيمة وبعث يوم
القيمة من الموفين بعهد الله سورة ابراهيم صلى الله عليه وسلم
مكية وهي احدى وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الر كتاب اي كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس بدعائك
اياهم الى ما تضمنه من الظلمات الى النور من انواع الضلالة
الى الهدى باذن ربهم بتوفيقه وتسهيله مستعار من الاذن

الذى هو تسهيل الحجاب وهو صلة لتخرج او حال من فاعله او ه
مفعوله الى صراط العزيز الحميد بدل من قوله الى النور بتكرير
العامل او استيناف على انه جواب لمن يسئل عنه واضافة الصراط
الى الله كما امّا لانه مقصده او المظهر له وتخصيص الوصفين على
للتنبيه على انه لا يزل سالكه ولا يخيب سائله الله الذى
له ما فى السموات وما فى الارض على قراءة نافع وابن عامر مبتدا
وخبر والله خبر محذوف والذى صفته وعلى قراءة الباقين
عطف بيان للعزيز لانه كالعلم لاختصاصه بالمعبود على ه
الحق وويل للكافرين من عذاب شديد وعيد لمن كفر بالكتب
ولم يخرج به من الظلمات الى النور والويل نقيض العال وهو
النجاة واصله النصب لانه مصدر الا انه لم يشتق منه لكنه
رفع لافادة الثبات الذين يستحبون الحيوة الدنيا على الآخرة
يختارونها عليها فان المختار للشئ يطلب من نفسه ان يكون
احب اليها من غيره ويصدون عن سبيل الله بتعويق الناس
عن الايمان وقرئ ويصدون من اصده وهو منقول من صد
صدودا اذا تنكب وليس فصيحا لان فى صده مندوحة عن ه
تكلف التعدية ويبغونها عوجا ويبغون لها زيغا وتكوبا ه
عن الحق ليقدحوا فيه فحذف الجار واوصل الفعل الى الضمير وه
الموصول بصلته بحتمل الجر صفة للكافرين والنصب على الذم والرفع
عليه على انه مبتداء خبره اولئك فى ضلال بعيد اى ضلوا عن الحق
ووقعوا عنه بمراحل والبعد فى الحقيقة للضلالة فوصف به فعله
للمبالغة او للامر الذى به الضلال فوصف به لملابسته وما ارسلنا
من رسول الا بلسان قومه الا بلغة قومه الذين هو منهم وبعث
فيهم ليبين لهم ما امر وابه فيفقهوه عنه بيسر وسرعة ثم ه
ينقلوه ويترجموه لغيرهم فانهم اولى الناس اليه بان يدعوهم

واحق بان ينذرهم ولذلك امر صلى الله عليه وسلم بانذار عشيرته اولا ولو نزل على من بعث الى امم مختلفة كتب على
الستتهم استقل ذلك بنوع من الاعجاز لكن ادى الى اختلاف
الكلمة واضاعة فضل الاجتهاد فى تعلم الالفاظ ومعانيها و
العلوم المتشعبة منها وما فى اتعاب القلايح وكد النفس ه
من القرب المقتضية لجزيل الثواب وقرئ بلسن وهو لغة
فيه كريش ورياش ولسن بضمتين وضمة وسكون على الجمع
كعمد وعمد وقيل الضمير فى قومه لمحمد صلى الله عليه وسلم ه
وانه كان انزل الكتب الكتب كلها بالعربية ثم ترجمها ه
جبريل او كل نبى بلغة المنزل عليهم وذلك يرده قوله ليبين
لهم فانه ضمير القوم والتوراة والانجيل ونحوهما لم تنزل ه
ليبين للعرب فيضل الله من يشاء وهم فيخذله عن الايمان ه
ويهدى من يشاء بالتوفيق له وهو العزيز فلا يغلب على
مشيئته الحكيم الذى لا يضل ولا يهدى الا لحكمة ولقد ارسلنا ه
موسى بآياتنا يعنى اليد والعصا وسائر معجزاته ان اخرج
قومك من الظلمات الى النور بمعنى اى اخرج لان فى الارسال
معنى القول او بان اخرج فان صيغ الافعال سواء فى الدلالة على
المصدر فيصح ان يوصل بها ان الناصبة وذكرهم بايام الله ه
بوقائعه التى وقعت على الامم الدارجة وايام العرب حروبها وه
قيل بنعمائه وبلائه ان فى ذلك لآيات لكل صبار شكور يصبر على
بلائه ويشكر على نعمائه فانه اذا سمع بما نزل على من قبله من البلاء
وافيض عليهم من النعماء اعتبر ونبه لما يجب عليهم من الصبر
والشكر وقيل المراد لكل مؤمن وانما عبر عنهم بذلك تنبيها ه
على ان الصبر والشكر عنوان المؤمن واذ قال موسى لقومه
اذكروا نعمة الله عليكم اذ انجاكم من آل فرعون اى اذكروا ه

سال

نعمته وقت انجائه اياكم ويجوز ان ينتصب بعليكم ان جعلت
مستقرا فعلى صلة للنعمة وذلك اذا اريد بها العطية دون الانعام
ويجوز ان يكون بدلا من نعمة الله بدل الاشتمال يسومونكم هـ
سوء العذاب ويذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم هـ
احوال من ال فرعون او من ضمير المخاطبين والمراد بالعذاب
ههنا غير المراد به فى سورة البقرة والاعراف لانه مفسر باهـ
لتقتيل والقتل ثمة ومعطوف عليه التقتيل ههنا وهو امتاهـ
جنس العذاب او استعبادهم واستعمالهم بالاعمال الشاقة هـ
وفى ذلكم من حيث انه باقداد الله تعالى اياهم وامهالهم فيه بلاء
من ربكم عظيم ابتلاء منه ويجوز ان تكون الاشارة الى الانجاء
والمراد بالبلاء النعمة واذ تأذن ربكم ايضا من كلام موسى عليه
السلام وتأذن بمعنى آذن كتوعد واوعد غير انه ابلغ لماهـ
فى التفعل من معنى التكلف والمبالغة لئن شكرتم يا بنى اسرائيل
ما انعمت عليكم من الانجاء وغيره بالايمان والعمل الصالح لازيدنكم
نعمة الى نعمة ولئن كفرتم ان عذابى لشديد فلعلى اعذبكم هـ
على الكفران عذابا شديدا ومن عادة اكرم الاكرمين ان يصرح
بالوعد ويعرض بالوعيد والجملة مفعول قول مقدر او مفعول
تأذن على انه يجرى مجرى قال لانه ضرب منه وقال موسى ان
تكفروا انتم ومن فى الارض جميعا من الثقلين فان الله لغنى
عن شكركم حميد مستحق للحمد فى ذاته محمود بحمد الملائكة وهـ
ينطق بنعمته ذوات المخلوقات فما ضركم بالكفران الا انفسكم
حيث حرمتموها مزيد الانعام وعرضتموها للعذاب الشديد
الم يأتكم نبؤا الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود من كلام
موسى او كلام مبتدا من الله والذين من بعدهم لا يعلمهم
الا الله جملة وقعت اعتراضا او الذين من بعدهم عطف على

ما قبله ولا يعلمهم اعتراض والمعنى انهم لكثرتهم لا يعلم
عددهم الا الله ولذلك قال ابن مسعود كذب النسابون
جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا ايديهم فى افواههم
فعضوها غيظا مما جاءت به الرسل كقوله عضوا عليكم
الانامل من الغيظ او وضعوها عليها تعجبا منه او استهزاء
عليه كمن غلبه الضحك او اسكاتا للانبياء وامرا لهم باهـ
طباق الافواه او اشاروا بها الى السنتهم وما نطقت به
من قولهم انا كفرنا تنبيها على ان الجواب لهم سواء هـ
او ردوها فى افواه الانبياء يمنعونهم من التكلم وعلى هذا يحتمل هـ
ان يكون تمثيلا وقيل الايدى بمعنى الايادى اى ردوا ايادى هـ
الانبياء التى هى مواعظهم وما اوحى اليهم من الحكم والشرايع فى افواه
لانهم اذا كذبوها ولم يقبلوها فكانهم ردوها حيث جاءت منه
انا كفرنا بما ارسلتم به على زعمكم وانا لفى شك مما تدعوننا اليه
من الايمان وقرئ تدعونا بالادغام مريب موقع فى الريبة او
ذى ريبة وهى التهمة وان لا تطمئن الى شىء قالت رسلهم افى الله
شك ادخلت همزة الانكار على الظرف لان الكلام فى المشكوك فيه
لا فى الشك اى انما ندعوكم الى الله تعالى وهو لا يحتمل الشك لكثرة هـ
الادلة وظهور دلالتها عليه واشاروا الى ذلك بقوله فاطر السموات
والارض وهو صفة او بدل وشك مرتفع بالظرف يدعوكم الى
الايمان ببعثه اياانا ليغفر لكم او يدعوكم الى المغفرة كقولك دعوته
لينصرنى على اقامة المفعول له مقام المفعول به من ذنوبكم بعض
ذنوبكم وهو ما بينكم وبينه فان الاسلام يجبه دون المظالم هـ
وقيل جىء بمن فى خطاب الكفرة دون المؤمنين فى جميع القران
تفرقة بين الخطابين ولعل المعنى فيه ان المغفرة حيث جاءت
فى خطاب الكفار مرتبة على الايمان وحيث كما جاءت فى خطاب

ههم

المؤمنين مشفوعة بالطاعة والتجنب عن المعاصي ونحو
ذلك فيتناول الخروج عن المظالم ويؤخركم الى اجل مسمى الى
وقت سماه الله له وجعله اخر اعماركم قالوا ان انتم الا بشر
مثلنا لا افضل لكم علينا فلم تخصوه بالنبوة دوننا ولو شاء الله
ان يبعث الى البشر رسلا لبعث من جنس افضل تريدون ان
تصدونا عما كان يعبد آباؤنا بهذه الدعوى فاتونا بسلطان
مبين يدل على فضلكم واستحقاقكم لهذه المرتبة او على صحة
اذعائكم النبوة كانهم لم يعتبروا ملجاة به من البينات والحجج
واقترحوا عليه آية اخرى تعنتا ولجاجا قالت لهم رسلهم
ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده
سلموا مشاركتهم في الجنس وجعلوا الموجب لاختصاصهم بالنبوة
فضل الله ومنته عليهم وفيه دليل على ان النبوة عطائية وان
ترجيح بعض الجائزات على بعض مشيئة الله تع وما كان لنا ان
نأتيكم بسلطان الا باذن الله اى ليس الينا الاتيان بالآيات
والاستبداد به استطاعتنا حتى نأتي بما اقترحتموه وانما هو
امر يتعلق بمشيئة الله تع فيختص كل نبي بنوع من الآيات وهو
على الله فليتوكل المؤمنون فليتوكل عليه في الصبر على معاندتكم
ومعاداتكم عمموا الامر للاشعار بما يوجب التوكل وقصدوا
به انفسهم قصدا اوليا الاترى الى قوله وما لنا الا نتوكل على
الله اى اى عذر لنا في ان لا نتوكل وقد هدانا سبلنا التي
بها نعرفه ونعلم ان الامور كلها بيده وقرأ ابو عمرو بالتخفيف
ههنا وفي العنكبوت ولنصبرن على ما اذيتمونا جواب قسم
محذوف او الدوا به توكلهم وعدم مبالاتهم بما يجري من الكفار
عليهم وعلى الله فليتوكل المتوكلون فليثبت المتوكلون على ما
استحدثوه من توكلهم المسبب عن ايمانهم وقال الذين كفروا

لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن في ملتنا حلفوا
على ان يكون احد الامرين اما اخراجهم للرسل او عودهم الى
ملتهم وهو بمعنى الصيرورة لانهم لم يكونوا على ملتهم قط
ويجوز ان الخطاب لكل رسول ومن آمن معه فغلبوا الجماعة
على الواحد فاوحى اليهم ربهم اى الى رسلهم لنهلكن الظالمين
على اضمار القول او اجراء الايحاء مجراه لانه نوع منه ولنسكننكم
الارض من بعدهم اى ارضهم وديارهم لقوله واورثنا
القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها
وقرئ ليهلكن ولنسكننكم الارض بالياء اعتبارا لاوحى كقولك
اقسم زيد ليخرجن ذلك اشارة الى الموحى به وهو اهلاك الظا
واسكان المؤمنين لمن خاف مقامي موقفي الذي يقيم فيه
العباد للمحاسبة يوم القيمة او قيامي عليه وحفظي لاعماله وقيل
المقام معي وخاف وعيد اى وعيدي بالعذاب او عذابي المو
للكفار واستفتحوا استنصروا من الله الفتح على اعدائهم او القضاء
بينهم وبين اعاديهم من الفتاحة كقوله ربنا افتح بيننا وبين
قومنا بالحق وهو معطوف على فاوحى والضمير للانبياء وقيل
للفريقين فان كلا منهم سألوا ان ينصر المحق ويهلك المبطل وهو
قرئ بلفظ الامر عطفا على لنهلكن وخاب كل جبار عنيد اى
ففتح لهم فافلح المؤمنون وخاب كل عات متكبر على الله معاند
للحق فلم يفلح ومعنى الخيبة اذ كان الاستفتاح من الكفرة او من
القبيلين كان اوقع من ورائه جهنم اى من بين يديه فانه مرصد
لها واقف على شفيرها في الدنيا مبعوث اليها في الاخرة وقيل
من وراء حيوته وحقيقته ما توارى عنك ويسقى من ماء
عطف على محذوف تقديره من ورائه جهنم يلقى فيها ما يلقى
ويسقى من ماء صديد عطف بيان لماء وهو ما يسيل من جلود

لمين

عود

اهل النار يتجرعه ويتكلف جرعه وهو صفة لماء او حال من الضمير
في يسقى ولا يكاد يسيغه اى لا يقرب ان يسيغه فكيف يسيغه بل
يغص به فيطول عذابه والسوغ جواز الشراب على الحلق
بسهولة وقبول نفس ويأتيه الموت من كل مكان اى اسبابه
من الشدائد فيحيط به من جميع الجهات وقيل من كل مكان من
جسده حتى من اصول شعره وابهام رجله وما هو بميت ه
فيستريح ومن ورائه ومن بين يديه عذاب غليظ اى يستقبل
في كل وقت عذابا اشد مما هو عليه وقيل هو الخلود في النار وقيل
حبس الانفاس وقيل الاية منقطعة عن قصة الرسل نازلة في
اهل مكة طلبوا الفتح الذى هو المطر في سنتهم التى ارسل الله ه
عليهم بدعوة رسوله صلى الله عليه وسلم فخيب رجاءهم فلم ه
يسقهم ووعدلهم ان يسقيهم في جهنم بدل سقياهم صديد
اهل النار مثل الذين كفروا بربهم مبتدا خبره محذوف اى ه
فيما يتلى عليكم صفته التى هى مثل في الغرابة او قوله اعمالهم كرماد
وهو على الاول جملة مستانفة لبيان مثلهم وقيل اعمالهم بدل من
المثل والخبر كرماد اشتدت به الريح حملته واسرعت الذهاب
به وقرئ نافع الرياح في يوم عاصف العصف اشتداد الريح ووصف
به زمانه للمبالغة كقولهم نهاره صائم وليله قائم شبه صنايعهم
من الصدقة وصلة الرحم واغاثة الملهوف وعتق الرقاب
ونحو ذلك من مكارمهم في حبوطها لبنائها على غير اساس من
معرفة الله ه والتوجه بها اليه او اعمالهم للاصنام برماد طيرته
الريح العاصفة لا يقدرون يوم القيمة مما كسبوا من اعمالهم على
شيء لحبوطه فلا يرون له اثرا من الثواب وهو فذلكة التمثيل
ذلك اشارة الى ضلالهم مع حسبانهم انهم محسنون هو الضلال
البعيد فانه الغاية في البعد عن طريق الحق الم تر خطاب للنبى

صلى الله عليه وسلم والمراد به امته وقيل لكل واحد من الكفرة
على التلوين ان الله خلق السموات والارض بالحق بالحكمة
والوجه الذى يحق ان يخلق عليه وقرأ حمزة والكسائى ه
خالق السموات ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد يعدمكم
ويخلق خلقا آخر مكانكم ترتب ذلك على كونه خالقا للسموات
والارض استدلال به عليه فان من خلق اصولهم وما ينوقف
عليه تخليقهم ثم كونهم بتبديل الصور وتغيير الطباع قدر
ان يبدلهم بخلق اخر ولم يمتنع عليه ذلك كما قال وما ذلك على
الله بعزيز بمتعذر او متعسر فانه قادر لذاته لاختصاص
له بمقدور دون مقدور ومن هذا شانه كان حقيقا بان يؤمن
به ويعبد رجاء لثوابه وخوفا من عقابه يوم الجزاء وبرزوا لله
جميعا اى يبرزون من قبورهم يوم القيمة لامر الله ه ومحا
سبته او لله على ظنهم فانهم كانوا يخفون ارتكاب الفواحش
ويظنون انها تخفى على الله ه فاذا كان يوم القيمة انكشف لله
له عند انفسهم وانما ذكر بلفظ الماضى لتحقق وقوعه فقال
الضعفاء الاتباع جمع ضعيف يريد به ضعيف الراى وانما كتب
بالواو على لفظ من يفخم الالف قبل الهمزة فيميلها الى الواو والذين
استكبروا الرؤساء الذين استتبعوهم واستغووهم انا كنا
لكم تبعا في تكذيب الرسل والاعراض عن نصايحهم وهو ه
جمع تابع كغائب وغيب او مصدر نعت به للمبالغة او على ه
اضمار مضاف فهل انتم مغنون عنا نصيبا نافعون عنا من عذاب
الله من شيء من الاولى للبيان واقعة موقع الحال والثانية ه
للتبعيض واقعة موقع المفعول اى بعض الشيء الذى هو ه
عذاب الله ويجوز ان يكونا للتبعيض اى بعض الشيء الذى
هو بعض عذاب الله والاعراب ما سبق ويحتمل ان تكون

الاولى مفعولا والثانية مصدرا اى فهل انتم مغنون بعض
العذاب بعض الاغناء قالوا اى الذين استكبروا جوابا عن
معاتبة الاتباع واعتذارا عما فعلوا بهم لو هدانا الله للايمان
ووفقنا له لهديناكم ولكن اضللنا فاضللناكم اى اخترنا
لكم ما اخترنا لانفسنا او لو هدانا الله طريق النجاة عن ه
العذاب لهديناكم واغنيناه عنكم كما عرضناكم له لكن سدد و
ننا طريق الخلاص سواء علينا اجزعنا ام صبرنا مستويان
علينا الجزع والصبر مالنا من محيص منجى ومهرب من ه
العذاب من الحيص وهو العدول على جهة الفرار وهو ه
يحتمل ان يكون مكانا كالمبيت ومصدرا كالمغيب ويجوز
ان يكون قوله سواء علينا من كلام الفريقين ويؤيده ما ه
روى انهم يقولون تعالوا نجزع فيجزعون خمسمائة عام
فلا ينفعهم فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون كذلك ثم ه
يقولون سواء علينا وقال الشيطان لما قضى الامر احكم وفرغ
منه ودخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار خطيبا فى الاشقياء
من الثقلين ان وعد الله وعدكم وعد الحق وعدا من حقه
ان ينجز او وعدا انجزه وهو الوعد بالبعث والجزاء ه
ووعدتكم وعد الباطل وهو ان لا بعث ولا حساب وان
كانا فالاصنام تشفع لكم فاخلفتكم جعلكم شيئا خلف وعده
كالاخلاق منه وما كان لى عليكم من سلطان تسلط فالجيكم
الى الكفر والمعاصى الا ان دعوتكم الادعاء اياكم اليها بتسويل
وهو ليس من جنس السلطان ولكنه على طريقة قولهم تحية
بينهم ضرب وجيع ويجوز ان يكون الاستثناء منقطعا ه
فاستجبتم لى اسرعتم اجابتى فلا تلوموا لى بوسوستى فان
من صرح بالعداوة لا يلام بامثال ذلك ولوموا انفسكم حيث

اطعتمونى اذ دعوتكم ولم تطيعوا ربكم لما دعاكم واحتجت
المعتزلة بامثال ذلك على استقلال العبد بافعاله وليس ما يدل
عليه اذ يكفى لصحتها ان يكون لقدرة العبد مدخل فى فعله
وهو الكسب الذى يقوله اصحابنا ما انا بمصرخكم بمغيثكم ه
من العذاب وما انتم بمصرخى بمغيثى وقرأ حمزة بكسر الياء على
الاصل فى التقاء الساكنين وهو اصل مرفوض فى مثله لما فيه ه
من اجتماع ياءين وثلاث كسرات مع ان حركة ياء الاضافة الفتح
فاذا لم تكسر وقبلها الف قبلجرى ان لا تكسر وقبلها ياء او
على لغة من يزيد ياء الاضافة اجراء لها مجرى الهاء والكاف
فى ضربته واعطيتكه وحذف الياء اكتفاء بالكسرة انى كفرت
بما اشركتمونى من قبل واما مصدرية ومن متعلقة باشر
اى كفرت اليوم باشراككم اياى من قبل هذا اليوم اى ه
فى الدنيا بمعنى تبرأت منه واستنكرته لقوله ويوم القيمة
يكفرون بشرككم او موصولة بمعنى من نحو ما فى قولهم ه
سبحان ما سخركن لنا ومن متعلقة بكفرت اى كفرت ه
بالذى اشركتمونى وهو الله بطاعتكم اياى فيما دعوتكم
اليه من عبادة الاصنام وغيرها من قبل اشراككم حين ه
ردت امره بالسجود لادم واشرك منقول من شركت
زيدا للتعدية الى مفعول ثان ان الظالمين لهم عذاب اليم
تتمة كلامه او ابتداء كلام من الله ه وفى حكاية امثال ذلك
لطف للشامتين واتعاظ لهم حتى يحاسبوا انفسهم ويتدبروا
عواقبهم وادخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات ه
تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها باذن ربهم باذن
الله ه وامره والمدخلون هم الملائكة وقرئ ادخل على ه
التكلم فيكون قوله باذن ربهم متعلقا بقوله تحيتهم فيها

كتموني

سلام اى تحيتهم الملائكة بالسلام باذن ربهم الم تر
كيف ضرب الله مثلا اى كيف اعتمده ووضعه كلمة طيبة
كشجرة طيبة اى جعل كلمة طيبة كشجرة طيبة وهو تفسير
لقوله ضرب الله مثلا ويجوز ان تكون كلمة بدلا من مثل و
كشجرة صفتها او خبر مبتداء محذوف اى هى كشجرة وان
تكون اول مفعول ضرب اجرى لها مجرى جعل وقد قرئ
بالرفع على الابتدا اصلها ثابت وفى الارض ضارب بعروقه
فيها وفرعها واعلاها فى السماء ويجوز ان يريد وفروعها
اى افنانها على الاكتفا بلفظ الجنس لاكتسابه الاستغراق
من الاضافة وقرئ ثابت اصلها والاول على اصله ولذلك
قيل انه اقوى ولعل الثانى ابلغ تؤتى اكلها ثمرها كل حين
اقته الله لاثمارها باذن ربها بارادة خالقها وتكوينه وهو
يضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون لان فى ضربها له
زيادة افهام وتذكير فانه تصوير للمعانى وادناه لها من
الحس ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت استوصلت و
اخذت جثته بالكلية من فوق الارض لان عروقها قريبة منه
مالها من قرار استقرار واختلف فى الكلمة والشجرة ففسرت
الكلمة الطيبة بكلمة التوحيد ودعوة الاسلام والقران والكلمة
الخبيثة بالاشراك بالله والدعاء الى الكفر وتكذيب الحق و
لعل المراد بهما مايعم ذلك فالكلمة الطيبة ما اعرب عن حق او
دعا الى صلاح والكلمة الخبيثة ماكان على خلاف ذلك وفسرت
الشجرة الطيبة بالنخلة وروى ذلك مرفوعا وبشجرة فى الجنة
والخبيثة بالحنظلة والكشوث ولعل المراد بهما مايعم ذلك
يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت الذى ثبت بالحجة عند
هم وتمكن فى قلوبهم فى الحيوة الدنيا فلا يزلون اذا افتتنوا

فى دينهم كمن كان يا ويحيى وجرجيس وشمعون واصحاب ه
الاخدود وفى الاخرة فلا يتلعثمون اذا سئلوا عن معتقدهم
فى الموقف ولا يدهشهم اهوال القيمة وروى انه صلى الله عليه
وسلم ذكر قبض روح المؤمن فقال ثم تعاد روحه فى جسده
فيأتيه ملكان فيجلسانه فى قبره ويقولان له من ربك وما دينك
ومن نبيك فيقول ربى الله ودينى الاسلام ونبى محمد فينادى
منادمن السماء ان صدق عبدى فذلك قوله يثبت الله الذين
آمنوا بالقول الثابت ويضل الله الظالمين الذين ظلموا انفسهم
بالاقتصار على التقليد فلا يهتدون الى الحق ولا يثبتون فى مواقف
الفتن اى الحروب ويفعل الله ما يشاء من تثبيت بعض وه
اضلال بعض من غير اعتراض عليه الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله
كفرا اى شكر نعمته كفرانا بان وضعوه مكانه او بدلوا نفس النعمة
كفرا فانهم لما كفروها سلبت منهم فصاروا تاركين لها محصلين
الكفر بدلها كاهل مكة خلقهم الله ه واسكنهم حرمه وجعلهم
قوام بيته ووسع عليهم ابواب رزقه وشرفهم بمحمد صلى الله ه
عليه وسلم فكفروا ذلك فقحطوا سبع سنين واسروا وقتلوا ه
يوم بدر وصاروا الذلاء فبقوا مسلوبى النعمة موصوفين باه
لكفر وعن عمر وعلى هم الاخوان من قريش بنو المغيرة وبنو
امية فاما بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر واما بنو امية فمتعوا
حتى حين واحلوا قومهم الذين شايعوهم فى الكفر دار البوار
دار الهلاك بحملهم على الكفر جهنم بيان لها يصلونها حال منها
او من القوم اى داخلين فيها مقاسين لحرها او مفسر لفعل
مقدر ناصب لجهنم وبئس القرار اى بئس المقر جهنم ه
وجعلوا لله اندادا ليضلوا عن سبيله الذى هو التوحيد ه
وبه قرأ ابن كثير وابو عمرو بفتح الياء وليس الضلال ولا ه

الاضلال غرضهم فى اتخاذ الانداد لكن لما كان نتيجته جعل
كالغرض قل تمتعوا بشهواتكم او بعبادة الاوثان فانها من
قبيل الشهوات التى يتمتع بها وفى التهديد بصيغة الامر ايذان بان
المهدد عليه كالمطلوب الافضائه الى المهدد به وان الامرين كائنان
للمحالة ولذلك علله بقوله فان مصيركم الى النار وان المخاطب
لانهماكه فيه كالمأمور به من امر مطاع قل لعبادى الذين آمنوا
خصصهم بالاضافة تنويها لهم وتنبيها على انهم المقيمون
لحقوق العبودية ومفعول قل محذوف يدل عليه جوابه اى قل
لعبادى الذين آمنوا اقيموا الصلوة وانفقوا يقيموا الصلوة و
ينفقوا مما رزقناهم فيكون ايذانا بانهم لفرط مطاوعتهم
الرسول صلى الله عليه وسلم بحيث لا ينفك فعلهم عن امره
وانه كالسبب الموجب له ويجوز ان يقدر باللام الامر ليصح
تعلق القول بهما وانما حسن ذلك ههنا ولم يحسن قولك
تفذ نفسك كل نفس اذا خفت من امر تبالالة قل عليها
وقيل هما جواب اقيموا وانفقوا مقامين مقامهما وهو ضعيف
لانه لابد من مخالفة ما بين الشرط وجوابه ولان المؤمن موجهة لا يجاب
بلفظ الغيبة اذا كان الفاعل واحدا سرا وعلانية منتصبان
على المصدر اى انفاق سر او علانية او على الحال اى ذوى سر
وعلانية او على الظرف اى وقتى سر وعلانية والاحب اعلان
الواجب واخفاء المتطوع به من قبل ان يأتى يوم لا بيع فيه
فيبتاع المقصر ما يتدارك به تقصيره او يفدى به نفسه والاخلال
والمخالة فيشفع لك خليل او من قبل ان يأتى يوم لا انتفاع
فيه بمبايعة ولا مخالة وانما ينتفع فيه بالانفاق لوجه الله تعالى
وقرأ ابن كثير بالفتح فيهما على النفى العام الله الذى خلق السموات
والارض مبتدأ وخبره وانزل من السماء ماء فاخرج به من

وابو عمرو ويعقوب ج

الثمرات رزقا لكم تعيشون به وهو يشمل المطعوم والملبوس
مفعول لاخرج ومن الثمرات بيان له حال منه ويحتمل عكس
ذلك ويجوز ان يراد به المصدر فينصب بالعلة او المصدر ه
لان اخرج فى معنى رزق وسخر لكم الانهار الفلك لتجرى
فى البحر بامره بمشيته الى حيث توجهتم وسخر لكم الانهار ه
فجعلها معدة لانتفاعكم وتصرفكم وقيل تسخير هذه الاشياء ه
تعليم كيفية اتخاذها وسخر لكم الشمس والقمر دائبين يدأبان
فى سيرهما وانارتهما واصلاح ما يصلحانه من المكونات ه
وسخر لكم الليل والنهار متعاقبين لسبانكم ومعاشكم وآتاكم
من كل ما سألتموه اى بعض جميع ما سألتموه يعنى من كل شئ ه
سألتموه شيئا فان الموجود من كل صنف بعض ما فى قدرة الله
تعالى ولعل المراد بما سألتموه ما كان حقيقيا بان يسئل لاحتياج ه
الناس اليه سئل او لم يسئل وما يحتمل ان يكون موصوفة وه
موصولة ومصدرية ويكون المصدر بمعنى المفعول وقرئ ه
من كل بالتنوين اى وآتاكم من كل شئ ما احتجتم اليه وسألتموه ه
بلسان الحال ويجوز ان يكون ما نافية فى موقع الحال اى وآتاكم
من كل شئ غير سائليه وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها لا ه
تحصروها ولا تطيقوا عد انواعها فضلا عن افرادها فانها غير
متناهية وفيه دليل على ان المفرد يفيد الاستغراق بالاضافة
ان الانسان لظلوم يظلم النعمة باغفال شكرها او يظلم نفسه
بان يعرضها للحرمان كفار شديد الكفران قيل ظلوم فى الشدة
يشكو ويجزع كفار فى النعمة يجحد ويمنع واذ قال ابراهيم
رب اجعل هذا البلد آمنا بلد مكة ذا امن لمن فيها والفرق
بينه وبين قوله اجعل هذا بلدا آمنا ان المسئول فى الاول
ازالة الخوف عنه وتصييره آمنا وفى الثانى جعله من البلاد

الامنه واجنبني وبني بعدك وايانا هم ان نعبد الاصنام واجعلنا
منها في جانب وقرئ واجنبني وهما على لغة بخدوا ما اهل الحجاز
فيقولون جنبني شره وفيه دليل على ان عصمة الانبياء بتوفيق
الله تع وحفظه اياهم وهو بظاهره لا يتناول احفاده وجميع
ذريته وزعم ابن عيينة ان اولاد اسماعيل لم يعبدوا الصنم
محتجا به وانما كانت لهم حجارة يدورون بها ويسمونها
الدوار ويقولون البيت حجر فحيثما نصبنا حجرا فهو بمنزلته
رب انهن اضللن كثيرا من الناس فلذلك سئلت منك العصمة
واستعذت بك من ضلالهن واسناد الاضلال اليهن باعتبار
التسبيبية كقوله وغرتهم الحيوة الدنيا فمن تبعني على ديني فانه
مني اى بعضي لا ينفك عني في امر الدين ومن عصاني فانك
غفور رحيم تقدر ان تغفر له وترحمه ابتداء او بعد التوفيق
للتوبة وفيه دليل على ان كل ذنب فلله ان يغفره حتى الشرك
الا ان الوعيد فرق بينه وبين غيره ربنا اني اسكنت من
ذريتي اى بعض ذريتي او ذرية من ذريتي فحذف المفعول
وهم اسماعيل ومن ولد منه فان اسكانه متضمن لاسكانهم
بواد غير ذي زرع يعني وادي مكة فانها حجرية لا تنبت عند
بيتك المحرم الذي حرمت التعرض له والتهاون به اولم يزل
معظما ممتنعا بها به الجبابرة او منع منه الطوفان فان قلم يسئل
عليه ولذلك سمي عتيقا اى اعتق منه ودعا بهذا الدعاء
اول ما قدم فلعله قال ذلك باعتبار ما كان او ما يسئل اليه
روي ان هاجر كانت لسارة فوهبتها من ابراهيم عليه السلام
فولدت منه اسماعيل ففارت عليهما فناشدته ان يخرجهما
من عندها فاخرجهما الى ارض مكة فاظلهما فاظلم الله عين زمزم
ثم ان جرهم راوا ثمة طيورا فقالوا لا طير الا على الماء فقصدوه

فراوها وعندهما عين فقالوا اشركينا في مائك نشركك في
البانا ففعلت ربنا ليقيموا الصلوة اللام لام كي وهي متعلقة
باسكنت اى ما اسكنتهم بهذا الوادي البلقع من كل مرتفق
ومرتزق الا لاقامة الصلوة عند بيتك المحرم وتكرير النداء
وتوسيطه للاشعار بانها المقصودة بالذات من اسكانهم
ثم والمقصود من الدعاء توفيقهم لها وقيل لام الامر والمراد هو الدعاء لهم باقامة الصلوة كانه طلب منهم الاقامة
وسئل من الله توفيقهم لها فاجعل افئدة من الناس اى
افئدة من افئدة الناس ومن للتبعيض فلذلك قيل لو قال
افئدة الناس لازدحمت عليه فارس والروم ولحجت اليهود
والنصارى او للابتداء كقولك القلب مني سقيم اى افئدة ناس
وقرئ هشام افئدة بخلف عنه بياء بعد الهمزة وقرئ آفدة
وهو يحتمل ان يكون مقلوب افئدة كآدر في ادور وان
يكون اسم فاعل من افدة الرجلة اذا عجلت اى جماعة يعجلون
نحوهم وآفدة بطرح الهمزة للتخفيف وان كان الوجه فيه
اخراجها بين بين ويجوز ان يكون من افد اى عجل تهوي
اليهم تسرع اليهم شوقا ووداد او قرئ تهوى على بناء للمفعول
من اهوى اليه غيره وتهوى من هوى اذا احب وتعديته با
لتضمين معنى النزوع وارزقهم من الثمرات مع سكناهم واديا
لا نبات فيه لعلهم يشكرون تلك النعمة فاجاب الله دعوته
فجعله حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شيء حتى توجد فيه الفواكه
الربيعية والصيفية والخريفية في يوم واحد ربنا انك تعلم
ما نخفي وما نعلن تعلم سريرتنا كما تعلم علننا والمعنى انك اعلم
باحوالنا ومصالحنا وارحم بنا منا بانفسنا فلا حاجة لنا الى
الطلب لكنا ندعوك اظهارا لعبوديتك وافتقادا الى

رحمتك واستعجالا لنيل ما عندك وقيل ما تخفى من وجد الفرقة
وما نعلن من التضرع اليك والتوكل عليك وتكرير النداء للمبالغة
في التضرع والالجاء الى الله ﷻ وما يخفى على الله من شيء في الارض
ولا في السماء لانه العالم بعلم ذاتي تستوي نسبته الى كل معلوم
ومن للاستغراق الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اي وهب لي
وانا كبير آيس عن الولد قيد الهبة بحال الكبر استعظاما للنعمة و
اظهارا لما فيه من الآية اسماعيل واسحق روي انه ولد له
اسماعيل لتسع وتسعين سنة واسحق لمائة وثنتي عشرة سنة
ان ربي لسميع الدعاء اي مجيبه من قولك سمع الملك كلامي اذا
اعتد به وهو من ابنية المبالغة العاملة عمل الفعل اضيف الى مفعوله
او فاعله على اسناد السماع الى الدعاء الله ﷻ على المجاز وفيه اشعار بانه
دعا ربه وسئل منه الولد فاجابه ووهب له سؤله حين ما وقع
اليأس منه ليكون من اجل النعم واجلاها رب اجعلني مقيم
الصلوة معدلا لها مواظبا عليها ومن ذريتي عطف على المنصوب
في اجعلني والتبعيض لعلمه باعلام الله او استقراء عادته في
الامم الماضية انه يكون في ذريته كفار ربنا وتقبل دعاء
استجب دعائي او تقبل عبادتي ربنا اغفر لي ولوالدي و
قرئ لابوي وقد تقدم عذر استغفاره لهما وقيل اراد آدم
وحواء وللمؤمنين يوم يقوم الحساب يثبت مستعار من القيام
على الرجل كقولهم قامت الحرب على ساق او يقوم اليه اهله
فحذف المضاف واسند اليه قيامهم مجازا ولا تحسبن الله غافلا
عما يعمل الظالمون خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
المراد به تثبيته على ما هو عليه من انه مطلع على احوالهم وافعالهم
لا يخفى عليه خافية والوعيد بانه معاقبهم على قليله وكثيره لا محالة
او لكل من توهم غفلته جهلا بصفاته واغترارا بامهاله وقيل انه

تسلية للمظلوم وتهديد للظالم انما يؤخرهم ليوقع عذابهم
وعن ابي عمرو بالنون ليوم تشخص فيه الابصار اي تشخص
ابصارهم فلا تقر في اماكنها من هول ما ترى مهطعين
مسرعين الى الداعي او مقبلين بابصارهم لا يطرفون هيبة وخوفا
واصل الكلمة هو الاقبال على الشيء مقنعي رؤسهم رافعيها لا
يرتد اليهم طرفهم بل بقيت عيونهم شاخصة لا تطرف او لا يرجع
اليهم نظرهم فينظروا الى انفسهم وافئدتهم هواء اي خالية
عن الفهم لفرط الحيرة والدهشة ومنه يقال للاحمق والجبان قلبه
اي لا رأي فيه ولا قوة قال زهير من الظلمان جوجؤه هواء
وقيل خاوية عن الخير خاوية عن الحق وانذر الناس يا محمد
يوم يأتيهم العذاب يعني يوم القيمة او يوم الموت فانه
اول يوم عذابهم وهو مفعول ثان لانذر فيقول الذين
ظلموا بالشرك والتكذيب ربنا اخرنا الى اجل قريب نجب
العذاب عنا وردنا الى الدنيا وامهلنا الى حد من الزمان قريب
ولخر آجالنا فابقنا مقدار ما نؤمن بك نجب دعوتك ولا
نتبع الرسل جواب الامر ونظيره لولا اخرتني الى اجل قريب
فاصدق واكن من الصالحين اولم تكونوا اقسمتم من قبل ما لكم
من زوال على ارادة القول وما لكم جواب القسم جاء بلفظ
الخطاب على المطابقة دون الحكاية والمعنى اقسمتم انكم باقون
في الدنيا لا تزالون بالموت ولعلهم اقسموا بطرا وغرورا او
دل عليه حالهم حيث بنوا شديدا واملوا بعيدا وقيل اقسموا
انهم لا ينتقلون الى دار اخرى وانهم اذا ماتوا لا يزالون
عن تلك الحالة الى حالة اخرى كقولهم له واقسموا بالله جهد
ايمانهم لا يبعث الله من يموت وسكنتم في مساكن الذين
ظلموا انفسهم بالكفر والمعاصي كعاد وثمود واصل سكن

ان يعدى بفى كفر وغنى واقام وقد يستعمل بمعنى التبوء فيجرى
مجراه كقولك سكنت الدار وتبينّ لكم كيف فعلنا بهم ماتشاهدون
فى منازلهم من آثار ما نزل بهم وما تواتر عندكم من اخبارهم
وضربنا لكم الامثال من احوالهم اى بيّنا لكم انكم مثلهم فى الكفر
واستحقاق العذاب اوصفات ما فعلوا وفعل بهم التى هى فى الغرابة
كالامثال المضروبة وقد مكروا مكرهم المستفرغ فيه جهدهم
لابطال الحق وتقرير الباطل وعند الله مكرهم ومكتوب عنده
فعلهم فهو مجاز يهم عليه اوعنده ما يمكرهم به جزاء لمكرهم
وابطال له وان كان مكرهم فى العظم والشدة بحيث تزول منه
الجبال مسوى لازالة الجبال ومعدا وقيل ان نافية واللام مؤكدة
لها كقوله وماكان الله ليعذبهم وانت فيهم على ان الجبال مثل
لامر النبى صلى الله عليه وسلم ونحوه وقيل مخففة من الثقيلة
المعنى انهم مكروا الذى يلوا ما هو كالجبال الراسية ثباتا وتمكنا
من ايات الله كه وشرايعه وقرأ الكسائى لتزول بالفتح والرفع
على انها المخففة واللام هى الفاصلة ومعناه تعظيم مكرهم وقرئ
بالفتح والنصب على لغة من يفتح لام كى وقرئ وان كاد مكرهم
لاتحسبن الله مخلف وعده رسله مثل قوله انا لننصر رسلنا
كتب الله لاغلبن انا ورسلى واصله مخلف رسله وعده فقدم
المفعول الثانى ايذانا بانه لايخلف الوعد اصلا كقوله ان الله
لايخلف الميعاد فاذا لم يخلف وعده احدا كيف يخلف رسله
ان الله عزيز غالب لايمانعه قادر لايدافع ذو انتقام لاوليائه
من اعدائه يوم تبدل الارض غير الارض بدل من يوم
يأتيهم اوظرف لانتقام اومقدر باذكر او لايخلف وعده
ولايجوز ان ينتصب بمخلف لان ما قبل ان لايعمل فيما بعده
والسموات عطف على الارض وتقديره والسموات غير السموات

والتبديل يكون فى الذات كقولك بدلت الدراهم بالدنانير
وعليه بدلناهم جلودا غيرها وفى الصفة كقوله بدلت الحلقة
خاتما اذا اذبتها وغيرت شكلها وعليه قوله يبدل الله
سيئاتهم حسنات والاية تحتملهما وعن على رضى الله عنه تبدل
ارضا من فضة وسموات من ذهب وعن ابن مسعود وانس
رضى الله عنهما يحشر الناس على ارض بيضاء لم يخطئ عليها
احد خطيئة وعن ابن عباس رضى الله عنهما هى تلك الارض
انما تغير صفاتها ويدل عليه ما روى ابو هريرة رضى الله عنه انه
صلى الله عليه وسلم قال تبدل الارض غير الارض فتبسط وتمد
مد الاديم العكاظى لاترى فيها عوجا ولا امتا واعلم انه لايلزم
على الوجه الاول ان يكون الحاصل بالتبديل ارضا وسماء على
الحقيقة ولايبعد على الثانى ان يجعل الله الارض جهنم والسموات
الجنة على ما اشعر به قوله كلا ان كتاب الابرار لفى عليين و
قوله ان كتاب الفجار لفى سجين وبرزوا من اجداثهم لله الواحد
القهار لمحاسبته ومجازاته وتوصيفه بالوصفين للدلالة على
ان الامر فى غاية الصعوبة كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار
فان الامر اذا كان لواحد غلاب لايغالب فلاستغاث لاحد الى
غيره ولاستجار وترى المجرمين يومئذ مقرنين قرن بعضهم
مع بعض بحسب مشاركتهم فى العقائد والاعمال كقوله واذا هم
النفوس زوجت او قرنوا مع الشيطان او مع ما اكتسبوا من العقائد
الزائغة والملكات الباطلة او قرنت ايديهم وارجلهم الى رقابهم
بالاغلال وهو يحتمل ان يكون تمثيلا لمواخذتهم على ما اقترفته
ايديهم وارجلهم فى الاصفاد متعلق بمقرنين او حال من ضميره
والصفد القيد وقيل الغل قال سلامة ابن جندل وزيد الخيل قد
لاقى صفادا بعض بساعد وبعظم ساق واصله الشد سرابيلهم

حد

بهم

قصانهم من قطران وجاء قطران لغتين فيه وهو ما يتحلب
من الابهل فيطبخ فتهنا به الابل الجربى فيحرق الجرب ه
بحدته وهو اسود منتن يشتعل فيه النار بسرعة وتطلى
به جلود اهل النار حتى يكون طلاؤه لهم كالقمص لتجتمع
عليهم القطران ووحشة لونه ونتن ريحه مع اسراع النار
فى جلودهم على ان التفاوت بين القطرانين كالتفاوت بين
النارين ويحتمل ان يكون تمثيلا لما يحيط بجوهر النفس ه
من الملكات الرديه والهيئات الوحشية فيجلب اليها انواعا
من الغموم والآلام وعن يعقوب قطرآن والقطر النحاس
او الصفر المذاب والآن المتناهى حره والجملة حال ثانية او حال
من الضمير فى مقرنين وتغشى وجوههم النار اى وتغشاها
لانهم لم يتوجهوا بها الى الحق ولم يستعملوا فى تدبره مشاعرهم
وحواسهم التى خلقت فيها لاجله كما تطلع على افئدتهم لانها ه
فارغة عن المعرفة مملوة بالجهالات ونظيره قوله افمن يتقى ه
بوجهه سوء العذاب يوم القيمة وقوله يوم يسحبون فى النار ه
على وجوههم ليجزى الله كل نفس اى يفعل بهم ذلك ليجزى
كل نفس مجرمة ما كسبت او كل نفس من مجرمة او مطيعة لانه
اذا بين ان المجرمين معاقبون لاجرامهم علم ان المطيعين ه
يثابون لطاعتهم ويتعين ذلك ان علق اللام ببرزوا ان ه
الله سريع الحساب لانه لا يشغله حساب عن حساب هذا اشارة
الى القران او السورة او ما فيه من العظة والتذكير او ما وصفه ه
من قوله ولا تحسبن الله بلاغ للناس كفاية لهم فى الموعظة
ولينذروا به عطف على محذوف اى لينصحوا ولينذروا بهذا ه
البلاغ فيكون اللام متعلقة بالبلاغ ويجوز ان يتعلق بمحذوف ه
تقديره ولينذروا به انزل او تلى وقرئ بفتح الياء من تدبر به

اذا علمه واستعد له وليعلموا انما هو اله واحد بالنظر والتأمل
فيما فيه من الآيات الدالة عليه او المنبهة على ما يدل عليه وليذكر
اولوا الالباب فيرتدعوا عما يردیهم ويتدرعوا بما يحظيهم
واعلم انه ذكر لهذا البلاغ ثلاث فوائد هى الغاية والحكمة
فى انزال الكتب تكميل الرسل للناس واستكمالهم القوة ه
النظرية التى منتهى كمالها التوحيد واستصلاح القوة العملية
الذى هو التدرع بلباس التقوى جعلنا الله من الفائزين
بهما وعن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ابراهيم اعطى
من الاجر بعدد من عبد الاصنام سورة الحجر مكية وهى تسع
وتسعون آية بسم الله الرحمن الرحيم
الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين تلك اشارة الى ايات ه
السورة والكتاب هو السورة وكذا القران وتنكيره للتفخيم
اى ايات الجامع لكونه كتابا كاملا وقرآنا يبين الرشد من
الغى بيانا غريبا ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين حين
عاينوا حال المسلمين عند نزول النصر او حلول الموت او يوم
القيمة وقرأ نافع وعاصم ربما بالتخفيف وقرئ ربما بالفتح ه
والتخفيف وفيه ثمان لغات ضم التاء وفتحه مع التشديد و
التخفيف وبناء التانيث ودونها وما كافة تكفه عن الجر فتجوز
دخوله على الفعل وحقه ان يدخل على الماضى لكن لما كان المترقب
فى اخبار الله كه الماضى فى تحققه اجرى مجراه وقيل ما نكرة مو
صوفة كقوله ربما تكره النفوس من الامر له فرجة كحل العقال ه
ومعنى التقليل فيه الايذان بانهم لو كانوا يودون الاسلام مرة
فبالحرى ان يسارعوا اليه فكيف وهم يودونه كل ساعة وقيل
تدهشهم احوال القيمة فان حانت منهم افاقة ما فى بعض ه
الاوقات تمنوا ذلك والغيبة فى حكاية وداداتهم كالغيبة فى قولك

احلف بالله ليفعلن ذرهم دعهم يأكلوا ويتمتعوا بدنياهم و
يلههم الأمل ويشغلهم توقعهم لطول الاعمار واستقامة
الاحوال عن الاستعداد للمعاد فسوف يعلمون سوء صنيعهم ه
اذا عاينوا جزاءه والغرض اقناط الرسول صلى الله عليه وسلم
من ادعوائهم وايذانه بانهم من اهل الخذلان وان نصحهم بعد
اشتغال بما لا طائل تحته وفيه الزام للحجة وتحذير عن ابثاره ه
التنعم وما يؤدى اليه حلول الامل وما اهلكنا من قرية الا ولها
كتاب معلوم اجل مقدر كتب في اللوح والمستثنى جملة واقعة
صفة لقرية والاصل ان لا يدخلها الواو كقوله الا لها منذرون
لكن لما شابهت صورتها صورة الحال ادخلت عليها تاكيدا ه
للصوقها بالموصوف ما تسبق من امة اجلها وما يستأخرون ه
اى وما يستأخرون عنه وتذكير ضمير امة فيه للحمل على المعنى و
قالوا يا ايها الذى نزل عليه الذكر نادوا به النبى صلى الله عليه
وسلم على التهكم الا ترى الى ما نادوه له وهو قوله انك لمجنون ه
ونظير ذلك قول فرعون ان رسولكم الذى ارسل اليكم ه
لمجنون والمعنى انك لتقول قول المجانين حين تدعى ان الله نزل
عليك الذكر اى القرآن لو ما تأتينا بالملائكة لو مع ما كما تركب مع لا ه
لمعنيين امتناع الشئ لوجود غيره والتحضيض له بالملائكة ه
ليصدقوك ويعضدوك على الدعوة كقوله لولا انزل اليه ملك ه
فيكون معه نذيرا او للعقاب على تكذيبنا لك كما انت الامر المكذبة
قبل ان كنت من الصادقين فى دعواك ما ننزل الملائكة بالياء ه
مسندا الى ضمير اسم الله وقرأ حمزة والكسائى وحفص بالنون وابو بكر
بالتاء والبناء للمفعول ورفع الملائكة وقرئ تنزل بمعنى تتنزل
الا بالحق الا تنزيلا ملتبسا بالحق اى بالوجه الذى قدره واقتضته
حكمته فى ان تأتيكم بصور وتشاهدونها فتؤمنوا لا يزيدكم الا لبساء

ولا فى معاجلتكم بالعقوبة فان منكم ومن ذراريكم من سبقة ه
كلمتنا له بالايمان وقيل الحق الوحى والعذاب وما كانوا اذا منظرين
اذا جواب وجزاء لشرط مقدر اى ولو نزلنا الملائكة ما كانوا
منظرين انا نحن نزلنا الذكر رد لانكارهم واستهزائهم وه
لذلك اكده من وجوه وقرره بقوله وانا له لحافظون اى من ه
التحريف والزيادة والنقص بان جعلناه معجزا مباينا لكلام البشر
لا يخفى تغييره نظمه على اهل الدين او نفى تطرق الخلل اليه فى الزوام
بضمان الحفظ له كما نفى ان يطعن فيه بانه المنزل له وقيل الضمير
فى له للنبى صلى الله عليه وسلم ولقد ارسلنا من قبلك فى شيع ه
الاولين فى فرقهم جمع شيعة وهى الفرقة المتفقة على طريق وه
مذهب من شاعه اذا تبعه واصله الشياع وهو الحطب الصغار
يوقد به الكبار والمعنى نبأنا رجالا فيهم وجعلنا هم رسلا فيما
بينهم وما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزئون كما يفعل ه
هؤلاء وهو تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم وما للحال لا يدخل ه
الا المضارع بمعناه او ماضيا قريبا منه وهذا على الحكاية الماضية
كذلك نسلكه ندخله فى قلوب المجرمين السلك ادخال الشئ
فى الشئ كالخيط فى المخيط والرمح فى المطعون والضمير للاستهزاء
وفيه دليل على انه قد يوجد الباطل فى قلوبهم وقيل للذكر فان
الضمير الاخ فى قوله لا يؤمنون به له وهو حال من هذا الضمير
والمعنى مثل ذلك السلك نسلك الذكر فى قلوب المجرمين مكذبا
غير مؤمن به او بيان للجملة المتضمنة له وهذا الاحتجاج ه
ضعيف اذ لا يلزم من تعاقب الضمائر توافقها فى المرجوع ه
اليه ولا يتعين ان يكون للجملة حالا من الضمير لجواز ان ه
يكون حالا من المجرمين ولا ابا فى كونها مفسرة للمعنى الاول
بل تقويه وقد خلت سنة الاولين اى سنة الله فيهم بان

حذلهم وسلك الكف فى قلوبهم او باهلاك من كذب الرسل
منهم فيكون وعيدا لاهل مكة ولو فتحنا عليهم على هؤلاء
المفتى حين بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون يصعدون
اليها ويرون عجائبها طول نهارهم مشوضحين لما يرون
او تصعد الملائكة وهم يشاهدونهم لقالوا لغلوهم فى العناد
وتشكيكهم فى الحق انما سكرت ابصارنا سدت من الابصار
من السكر ويدل عليه قراءة ابن كثير بالتخفيف او حيرت
من السكر ويدل عليه قراءة من قرأ سكرت بل نحن قوم
مسحورون قد سحرنا محمد بذلك كما قالوه عند ظهور غيره
من الآيات وفى كلمتى الحصر والاضراب دلالة على البت بان هو
يرونه لا حقيقة بل هو باطل خيل ما خيل اليهم بنوع من التسحير
ولقد جعلنا فى السماء بروجا اثنى عشر مختلفة الهيئات والخواص
على ما دل عليه الرصد والتجربة مع بساطة السماء وزيناها
بالاشكال والهيئات البهية للناظرين المعتبرين المستدلين
بها على قدرة مبدعها وتوحيد صانعها وحفظناها من كل شيطان
رجيم فلا يقدر ان يصعد اليها ويوسوس اهلها ويتصرف فى
امرها ويطلع على احوالها الا من استرق السمع بدل من كل
شيطان واسترق السمع اختلاسه سرا شبه به حفظتهم
اليسيرة من قناطر قطان السموات بما بينهم من المناسبة فى
الجوهر او بالاستدلال من اوضاع الكواكب وحركاتها وعن ابن
عباس رضى الله عنه انهم كانوا لا يحجبون عن السموات فلما ولد
عيسى عليه السلام منعوا من ثلاث سموات فلما ولد محمد صلى الله
عليه وسلم منعوا من كلها بالشهب ولا يقدح فيه تكونها قبل
المولد لجواز ان يكون لها اسباب آخر وقيل الاستثناء منقطع
اى ولكن من استرق السمع فاتبعه فتبعه ولحقه شهاب

مبين ظاهر للمبصرين والشهاب شعلة نار ساطعة وقد يطلق
الكوكب والثنان لما فيهما من البريق والارض مددناها
بسطناها والقينا فيها رواسى جبالا ثوابت وانبتنا فيها
فى الارض او فيها وفى الجبال من كل شىء موزون مقدر بمقدار
معين تقتضيه حكمته او مستحسن مناسب من قولهم كلام
موزون او ما يوزن ويقدر اوله وزن فى ابواب النعمة
المنفعة وجعلنا لكم فيها معايش تعيشون بها من المطاعم والملابس
وقرئ بالهمزة على التشبيه بشمائل ومن لستم له برازقين عطف
على معايش او على محل لكم ويدخل به العيال والخدم والمماليك
سائر ما نظنون انهم يرزقونهم ظنا كاذبا فان الله يرزقهم
واياهم فذلكة الآية للاستدلال بجعل الارض ممدودة بمقدار
وشكل معينين مختلفة الاجزاء فى الوضع محدثة فيها انواع
النبات والحيوان المختلفة خلقة وطبيعة مع جواز ان لا يكون
كذلك على كمال قدرته وتناهى حكمته والتفرد فى الوهيته والا
متنان على العباد بما انعم عليهم فى ذلك ليوحدوه ويعبدوه
ثم بالغ فى ذلك وقال وان من شىء الا عندنا خزائنه اى
وما من شىء الا ونحن قادرون على ايجاده وتكوينه اضعاف
ما وجد منه فضرب الخزائن مثلا لاقتداره او شبه مقدوراته
بالاشياء المخزونة التى لا يحوج اخراجها الى كلفة واجتهاد
وما ننزله من بقاع القدرة الا بقدر معلوم حدته الحكمة وهو
تعلقت به المشيئة فان تخصيص بعضها بالايجاد فى بعض
الاوقات على بعض الصفات والحالات لا بد له من مخصص
حكيم وارسلنا الرياح لواقح حوامل من شبه الزق التى جاءت
بخير من انشاء سحاب ماطر بالحامل كما شبه ما لا يكون
كذلك بالعقيم او ملقحات للشجر والسحاب ونظيره الطوالح

بمعنى المطيحات فى قوله ومختبط مما تطيح الطوايح وقرئ
وارسلنا الرّيح على تاويل الجنس فانزلنا من السّماء ماءً ۞
فاسقيناكموه فجعلناه لكم سقيا وما انتم له بخازنين قادرين
متمكنين من اخراجه نفى عنهم ما اثبته لنفسه اوحافظين فى ۞
الغدران والعيون والآبار وذلك ايضا يدلّ على المدبّر الحكيم
كما تدلّ حركة الهواء فى بعض الاوقات من بعض الجهات على
وجه ينتفع به فانّ طبيعة الماء يقتضى الفور فوقوفه دون
حدّ لابدّ له من سبب مخصّص وانّا لنحن نحيى بايجاد
الحيوة فى بعض الاجسام القابلة لها ونميت بازالتها و
قد اوّل الحيوة بما يعمّ الحيوان والنبات وتكرير الضمير ۞
للدّلالة على الحصر ونحن الوارثون الباقون اذا مات ۞
الخلائق كلّها ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا ۞
المستاخرين من استقدم ولادة وموتا ومن استاخر او
من اصلاب الرّجال ومن لم يخلق بعد او من تقدّم فى ۞
الاسلام والجهاد وسبق الى الطاعة اوتاخّر لايخفى ۞
علينا شئ من احوالكم وهو بيان لكمال علمه بعد الاحتجاج ۞
على كمال قدرته فانّ مايدلّ على قدرته دليل
على علمه وقيل رغب رسول الله صلى الله عليه وسلم ۞
على الصّف الاوّل فازدحموا عليه فنزلت وقيل انّ ۞
امراة حسناء كانت تصلّى خلف رسول الله صلى الله ۞
عليه وسلم فتقدّم بعض القوم لئلّا ينظر اليها وتاخّر
بعض ليبصرها فنزلت انّ ربّك هو يحشرهم لامحالة
للجزاء وتوسيط الضّمير للدّلالة على انّه القادر و ۞
المتولّى لحشرهم لاغير وتصدير الجملة بانّ لتحقيق ۞
الوعد والتّنبيه على انّ ما سبق من الدّلالة على كمال ۞

قدرته وعلمه بتفصيل الاشياء يدلّ على صحّة الحكم كما صرّح به
بقوله انّه حكيم باهر متقن فى افعاله عليم وسع علمه كلّ شئ
ولقد خلقنا الانسان من صلصالٍ من طينٍ يابس من
صلصل اى صوت اذا نقر قيل هو من صلصل اذا انتن
تضعيف صل من حمإٍ طينٍ تغيّر واسود من طول مجاو
الماء وهو صفة صلصال اى كائن من حماء مسنونٍ مصوّر
من سنّة الوجه اومصبوب ليبس اى يصوّر كالجواهر ۞
المذابة تصبّ فى القوالب من السّنن وهو الصّب كانّه افرغ
الحماء فصوّر منها تمثال انسان اجوف فيبس حتّى اذا نقر
صلصل ثمّ غيّر ذلك طورا بعد طور حتّى سوّاه ونفخ فيه ۞
من روحه اومنتن من سنّت الحجر اذا حككته به فانّ مايسيل
بينهما يكون منتنا ويسمّى سنينا والجانّ ابا الجنّ وقيل ابليس
ويجوز ان يراد به الجنس كما هو الظّاهر من الانسان لان ۞
تشعّب الجنس لما كان من شخص واحد خلق من مادّة واحدة
كان الجنس باسره مخلوقا منها وانتصابه بفعل يفسّره خلقناه
من قبل من قبل خلق الانسان من نار السّموم من نار الحرّ الشّديد
النّافذ فى المسام ولا يمنع خلق الحيوة فى الاجرام البسيطة كما ۞
لا يمنع خلقها فى الجواهر المجرّدة فضلا عن الاجساد المؤلّفة ۞
الّتى الغالب فيها الجزء النّارىّ فانّها اقبل لها من الّتى الغالب
فيها الجزء الارضىّ وقوله من نار باعتبار الغالب كقوله خلقكم ۞
من تراب ومساق الاية كما هو للدّلالة على كمال قدرة الله تعالى و
بيان بدء خلق الثّقلين فهو للتّنبيه على المقدّمة الثّانية الّتى
يتوقّف عليها امكان الحشر وهو قبول المواد للجمع والاحياء
واذ قال ربّك واذكر وقت قوله للملائكة انّى خالقٌ بشرًا من
صلصالٍ من حمإٍ مسنونٍ فاذا سوّيته عدلت خلقته وهيئته

رته

لنفخ الروح ونفخت فيه من روحي حتى جرى اثاره في تجاويف
اعضائه تحيتي واصل النفخ اجراء الريح في تجويف جسم اخر
ولما كان الروح يتعلق اولا بالبخار اللطيف المنبعث من القلب
وتفيض عليه القوة الحيوانية فيسري حاملا لها في تجاويف
الشرايين الى اعماق البدن جعل تعلقه بالبدن نفخا واضافة
الروح الى نفسه لما مر في السماء فقعوا له ساجدين امر من وقع
يقع فسجد الملائكة كلهم اجمعون اكد بتأكيدين للمبالغة في التعميم
ومنع التخصيص وقيل اكد بكل للاحاطة باجمعين للدلالة على
انهم سجدوا مجتمعين دفعة وفيه نظر اذ لو كان الامر كذلك
كان الثاني حالا تأكيدا الا ابليس ان جعل منقطعا اتصل به
قوله ابى ان يكون مع الساجدين اى ولكن ابليس ابى وان جعل
متصلا كان استينافا على انه جواب سائل قال فما سجد قال يا
ابليس مالك الا تكون اى غرض لك في ان لا تكون مع الساجدين
لآدم قال لم اكن لاسجد اللام لتأكيد النفي اى لا يصح مني وينافي
حالي ان اسجد لبشر جسماني كثيف وانا ملك روحاني خلقته
من صلصال من حماء مسنون وهو اخس العناصر وخلقتني
من نار وهي اشرفها استنقص آدم عليه السلام باعتبار النوع
والاصل وقد سبق الجواب عنه في سورة الاعراف قال فاخرج
منها من السماء او الجنة او زمرة الملائكة فانك رجيم مطرود
من الخير والكرامة فان من يطرد يرجم بالحجر او شيطان يرجم
بالشهب وهو وعيد يتضمن الجواب عن شبهته وان عليك
اللعنة هذا الطرد والابعاد الى يوم الدين فانه منتهى امداد
للعن لا يناسب ايام التكليف ومنه زمان الجزاء وما في قوله
فاذن مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين بمعنى آخر تنسى
عنده هذه وقيل انما حد اللعن به لانه ابعد غاية يضربها الناس

او لانه يعذب فيه بما ينسى اللعن معه فتصير كالزائل قال رب
فانظرني فاخرني والفاء متعلقة بمحذوف دل عليه فاخرج
منها فانك رجيم الى يوم يبعثون اراد ان يجد فسحة في الا
غواء ونجاة عن الموت اذ لا موت بعد وقت البعث فاجابه
الى الاول دون الثاني قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت
المعلوم المسمى فيه اجلك عند الله او انقراض الناس كلهم
وهو النفخة الاولى عند الجمهور ويجوز ان يكون المراد
بالايام الثلاثة يوم القيمة واختلاف العبارات لاختلاف
الاعتبارات يفتر عنه اولا بيوم الجزاء لما عرفت وثانيا
بيوم البعث اذ به يحصل العلم بانقطاع التكليف واليأس
عن التضليل وثالثا بالمعلوم لوقوعه في الكلامين ولا يلزم
من ذلك ان لا يموت فعله فلعله يموت اول اليوم ويبعث
الخلائق في تضاعيفه وهذه المخاطبة وان لم تكن بواسطة
لم تدل على منصب ابليس لان خطاب الله كلا على سبيل
الاهانة والاذلال قال رب بما اغويتني الباء للقسم وما
مصدرية وجوابه لازينن لهم في الارض والمعنى اقسم
باغوائك اياي لازينن لهم المعاصي في الدنيا التي هي دار
الغرور كقوله اخلد الى الارض وفي انعقاد القسم بافعال الله
خلاف وقيل للسببية والمعتزلة اولوا الاغواء بالنسبة الى
الغي او التسبب له بامره اياه بالسجود لآدم عليه السلام
او بالاخلال عن طريق الجنة واعتذروا عن امهال الله له
وهو سبب لزيادة غيه وتسليطه على اغواء بني آدم
بان الله كلا علم منه ومن تبعه انهم يموتون على الكفر و
يصيرون الى النار امهل او لم يمهل وان في امهاله تعريضا
لمن خالفه لاستحقاق مزيد الثواب وضعف ذلك لا يخفى على

به

ذوى الالباب ولاغوينهم اجمعين ولاحملنهم اجمعين على ه
الغواية الا عبادك منهم المخلصين اخلصتهم لطاعتك وه
طهرتهم من الشوائب فلا يعمل فيهم كيدى وقرأ ابن كثير ه
بالكسر فى كل القران اى الذين اخلصوا نفوسهم لله قال هذا
صراط علىّ حق على ان اراعيه مستقيم لا انحراف عنه والاشارة
الى ما تضمنه الاستثناء وهو تخليص المخلصين من اغوائه او
الاخلاص على معنى انه طريق على يؤدى الى الوصول الى من ه
غير اعوجاج وضلال وقرئ على من علو الشرف ان عبادى
ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين تصديق
لابليس فيما استثناه وتغيير الوضع لتعظيم المخلصين وكان ه
المقصود بيان عصمتهم وانقطاع مخالب الشيطان عنهم او تكذيب
له فيما اوهم ان له سلطانا على من ليس بمخلص من عباده فان ه
منتهى امره التحريض والتدليس كما قال وما كان لى عليكم من ه
سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لى وعلى هذا يكون الاستثناء
منقطعا وعلى الاول يدفع قول من شرط ان يكون المستثنى اقل من
الباقى لافضائه الى تناقض الاستثناء وان جهنم لموعدهم ه
لموعد الغاوين او المتبعين اجمعين تأكيد للضمير او حال والعامل
فيها الموعد ان جعلته مصدرا على تقدير مضاف ومعنى الاضافة
ان جعلته اسم مكان فانه لا يعمل لها سبعة ابواب يدخلون
فيها لكثرتهم او طبقات ينزلونها بحسب مراتبهم فى المتابعة
وهى جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم السقر ثم الجحيم
ثم الهاوية ولعل تخصيص العدد لانحصار مجامع المهلكات
فى التوكون الى المحسوسات ومتابعة القوة الشهوية والغضبية
او لان اهلها سبع فرق لكل باب منهم من الاتباع جزء مقسوم
افرزله فاعلا لها للموحدين العصاة والثانى لليهود والثالث
للنصارى والرابع للصابئين والخامس للمجوس والسادس
للمشركين والسابع للمتابعين وقرأ ابو بكر جزء بالتثقيل ه
وقرئ جز على حذف الهمزة والقاء حركته على الزاء ثم الوقف
عليه بالتشديد ثم اجراء الوصل مجرى الوقف ومنهم حال منه
او من المستكن فى الظرف لا فى مقسوم لان الصفة لا تعمل فيما تقدم
موصوفه ان المتقين من اتباعه فى الكفر والفواحش فان غير
ها مكفرة فى جنات وعيون لكل واحد جنة وعين او لكل عدة
منهما لقوله ولمن خاف مقام ربه جنتان ثم قوله ومن دونهما
جنتان وقوله مثل الجنة التى وعد المتقون فيها انهار ه
من ماء غير آسن الاية وقرأ نافع وابو عمرو وحفص وهشام
وعيون والعيون بضم العين حيث وقع والباقون بكسر العين
ادخلوها على ارادة القول وقرئ بقطع الهمزة وكسر الخاء
على انه ماض فلا يكسر التنوين بسلام سالمين او مسلما عليكم ه
آمنين من الآفة والزوال ونزعنا فى الدنيا بما الف بين قلوبهم
او فى الجنة بتطييب نفوسهم ما فى صدورهم من غل من حقد
كان فى الدنيا وعن على رضى الله عنه ارجو ان اكون انا وعثمان
وطلحة والزبير منهم او من التحاسد على درجات الجنة و
مراتب القرب اخوانا حال من ضمير فى جنات او فاعل ادخلوها
او الضمير فى امنين او الضمير المضاف اليه والعامل
فيها معنى الاضافة وكذا قوله على سرر متقابلين ويجوز ه
ان يكونا صفتين لاخوانا او حالين من ضميره لانه بمعنى
متصافين وان يكون متقابلين حال من المستقر فى على سرر
لا يمسهم فيها نصب استيناف او حال بعد حال او حال من ه
الضمير فى متقابلين وما هم منها بمخرجين فان تمام النعمة
بالخلود نبئ عبادى انى انا الغفور الرحيم وان عذابى

هو العذاب الاليم فذلكة ما سبق من الوعد والوعيد وتقرير
له وفي ذكر المغفرة دليل على انه لم يرد بالمتقين من يتقي ه
الذنوب باسرها كبيرها وصغيرها وفي توصيف ذاته با ه
لغفران والرحمة دون التعذيب ترجيح الوعد وتاكيده ه
وفي عطف ونبئهم عن ضيف ابراهيم على ونبئ عبادي ه
تحقيق لهما يعتبرون به اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما اى
نسلم عليك سلاما او سلمنا قال انا منكم وجلون خائفون ه
وذلك لانهم دخلوا بغير اذن وبغير وقت او لانهم امتنعوا
من الاكل والاكل اضطراب النفس مع توقع ما يكره قالوا لا
توجل وقرئ لا تاجل ولا توجل من اوجله ولا تواجل من
واجله بمعنى اوجله انا نبشرك استيناف في معنى التعليل ه
للنهي عن الوجل فان المبشر لا يخاف منه وقراء حمزة نبشرك
من البشر بغلام وهو اسحق لقوله فبشرناها باسحاق عليم
اذا بلغ قال ابشرتموني على ان مسني الكبر تعجب من ان يولد
له ولد مع مس الكبر اياه او انكار لان يبشر به في مثل هذه الحالة
وكذلك قوله فبم تبشرون اى فباى اعجوبة تبشرونني او فباى
شيء تبشرون فان البشارة بما لا يتصور وقوعه عادة بشارة
بشيء وقراء ابن كثير بكسر النون مشددة في كل القران على ادغام
نون الجمع في نون الوقاية ونافع بكسرها مخففة على حذف نون
الجمع استثقالا لاجتماع المثلين ودلالة ببقاء نون الوقاية ه
على الياء قالوا بشرناك بالحق بما يكون لا محالة او باليقين ه
الذي لا لبس فيه او بطريقة هي حق وهو قول الله تعا وامر
فلا تكن من القانطين من الآيسين من ذلك فانه تعا قادر
على ان يخلق بشرا من غير ابوين فكيف من شيخ فان وعجوز
عاقر وكان استعجاب ابراهيم باعتبار العادة دون القدرة

ولذلك قال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون المخطئون
طريقة المعرفة فلا يعرفون سعة رحمة الله تعا وكمال علمه وقد
كما قال انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون وقراء
ابو عمرو والكسائي يقنط بالكسر وقرئ بالضم وماضيهما قنط
بالفتح قال فما خطبكم ايها المرسلون اى فما شانكم الذي ه
ارسلتم لاجله سوى البشارة ولعله علم ان كمال المقصود
ليس البشارة لانهم كانوا عددا والبشارة لا تحتاج الى العدد
ولذلك اكتفى بالواحد في بشارة زكريا ومريم او لانهم ه
بشروه في تضاعيف الحال لازالة الوجل ولو كانت تمام ه
المقصود لابتدا وا بها قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين يعني
قوم لوط الا آل لوط ان كان استثناء من قوم لوط كان ه
منقطعا اذ القوم مقيد بالاجرام وان كان استثناء من الضمير
في مجرمين كان متصلا والقوم والارسال شاملين للمجرمين
وآل لوط المؤمنين وكان المعنى انا ارسلنا الى قوم اجرم ه
كلهم الا آل لوط منهم لنهلك المجرمين وننجي آل لوط و ه
يدل عليه قوله انا لمنجوهم اجمعين اى مما يعذب به القوم
وهو استثناء اذا اتصل الاستثناء ومتصل بآل لوط جاز
مجرى خبر لكن اذا انقطع وعلى هذا جاز ان يكون الا ه
امراته استثناء من آل لوط او من ضميرهم وعلى الاول ه
لا يكون الا من ضميرهم لاختلاف الحكمين اللهم الا ان ه
يجعل انا لمنجوهم اعتراضا وقراء حمزة والكسائي انا لمنجوهم
مخففا قدرنا انها لمن الغابرين الباقين مع الكفرة لتهلك
معهم وقراء ابو بكر قدرنا هنا وفي النمل بالتخفيف وانما ه
علق والتعليق من خواص افعال القلوب لتضمنه معنى
العلم ويجوز ان يكون قدرنا اجرى مجرى قلنا لان التقد

بمعنى القضاء قول واصله جعل الشئ على مقدار غيره و
اسنادهم اياه الى انفسهم وهو فعل الله لما لهم من القرب
والاختصاص فلما جاء آل لوط المرسلون قال انكم قوم
منكرون تنكركم نفسى وتنفر عنكم مخافة ان تطرقونى بشر
قالوا بل جيئناك بما كانوا فيه يمترون اى ما جيئناك بما تنكرنا
لاجله بل جيئناك بما يسرك ويشفى لك من عدوك وهو
العذاب الذى توعدتهم به فيمترون فيه وآتيناك بالحق
باليقين من عذابهم وانا لصادقون فيما اخبرناك فاسر
باهلك فاذهب بهم فى الليل وقراء الحجازيان بوصل الالف
من السرى وهو السير ليلا وهما بمعنى وقرئ فسر من السير
بقطع من الليل طائفة من الليل وقيل فى اخره قال افتحى الباب
وانظرى فى النجوم كم علينا من قطع ليل بهيم واتبع ادبارهم
وكن على اثرهم تذودهم وتسرع بهم وتطلع على حالهم ولا
يلتفت منكم احد لينظر ما وراءه فيرى من الهول ما لا
يطيقه او فيصيبه ما اصابهم او لا ينصرف احدكم ولا يتخلف
لغرض فيصيبه العذاب وقيل نهوا عن الالتفات ليوطنوا
نفوسهم على المهاجرة وامضوا حيث تؤمرون الى حيث
امركم الله تعالى بالمضى اليه وهو الشام او مصر فعدى وامضوا
الى حيث وتؤمرون الى ضميره المحذوف على الاتساع وقضينا
اليه اى واوحينا اليه مقضيا ولذلك عدى بالى ذلك مبهم
يفسره ان دابر هؤلاء مقطوع ومحله النصب على البدل
منه وفى ذلك تفخيم الامر وتعظيم له وقرئ بالكسر على الاستيناف والمعنى انهم يستأصلون عن آخرهم حتى لا يبقى
منهم احد مصبحين داخلين فى الصبح وهو حال من هؤلاء
او من الضمير فى مقطوع وجمعه للحمل على المعنى لان دابر

هؤلاء فى معنى مدبرى هؤلاء وجاء اهل المدينة يستبشرون
يستبشرون باضياف لوط طمعا فيهم قال ان هؤلاء ضيفى فلا
تفضحون فضيحة ضيفى فان من اساء الى ضيفه فقد اساء اليه
واتقوا الله فى ركوب الفاحشة ولا تخزون ولا تذلون بسببهم
من الخزى وهو الهوان او لا تخجلون فيهم من الخزاية وهى
الحياء قالوا اولم ننهك عن العالمين عن ان تجير منهم احدا
وتمنع بيننا وبينهم فانهم كانوا يتعرضون لكل احد وكانوا
لوط يمنعهم عنه بقدر وسعه او عن ضيافة الناس وانا لهم
قال هؤلاء بناتى يعنى نساء القوم فانه بمنزلة ابيهم فان نبى
كل امة بمنزلة ابيهم وفيه وجوه ذكرت فى هود ان كنتم
فاعلين قضاء الوطر او ما افعل لكم لعمرك قسم بحياة المخاطب
وهو الرسول صلى الله عليه وسلم وقيل لوط قالت الملائكة له
ذلك والتقدير لعمرك قسمى وهو لغة فى القسم يختص به القسم
لايثار الاخف فيه لانه كثير الدور اى فى الحلف على السنتهم
انهم لفى سكرتهم لفى غوايتهم او شدة غلمتهم التى ازالت
عقولهم وتمييز لهم بين خطائهم والصواب الذى يشار به
اليهم يعمهون يتحيرون فكيف يسمعون نصحك وقيل الضمير
لقريش والجملة اعتراض فاخذتهم الصيحة يعنى صيحة هائلة
مهلكة وقيل صيحة جبريل عليه السلام مشرقين داخلين
فى وقت شروق الشمس فجعلنا عاليها سافلها وصارت منقلبة عليهم وامطرنا عليهم حجارة من
سجيل من طين متحجر او طين عليه كتاب السجيل وقد تقدم
مزيد بيان لهذه القصة فى سورة هود ان فى ذلك لآيات
للمتوسمين المتفكرين المتفرسين الذين يثبتون فى نظرهم
حتى يعرفوا حقيقة الشئ بسمته وانها وان المدينة او القرى

لبسبيل مقيم ثابت يسلكه الناس ويرون اثارها ان في ذلك
لآية للمؤمنين بالله ورسوله وان كان اصحاب الايكة لظالمين
هم قوم شعيب كانوا يسكنون الغيضة فبعثه الله اليهم فهم
فكذبوه فاهلكوا بالظلة والايكة الشجرة المتكاثفة فانتقمنا
منهم بالاهلاك وانهما يعني سدوم والايكة وقيل الايكة وهي
مدين فانه كان مبعوثا اليهما فكان ذكر احدهما منبها على
الآخر لبامام مبين لطريق واضح والامام اسم ما يؤتم به
فسمي به اللوح ومطمن البناء لانهما مما يؤتم به ولقد كذب
اصحاب الحجر المرسلين يعني ثمود وكذبوا صالحا ومن معه
من المؤمنين والحجر واد بين المدينة والشام كانوا يسكنونها
وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين يعني ايات الكتاب
المنزل على نبيهم او معجزاته كالناقة وسقبها وشربها وهم
درتها او ما نصب لهم من الادلة وكانوا ينحتون من الجبال
بيوتا آمنين من الانهدام ونقب اللصوص وتخريب الاعداء
لوثاقتها او من العذاب لفرط غفلتهم او حسبانهم ان الجبال
تحميهم منه فاخذتهم الصيحة مصبحين فما اغنى عنهم ما
كانوا يكسبون من بناء البيوت الوثيقة واستكثار الاموال
والعدد وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق
الا خلقا ملتبسا بالحق لايلائم استمرار الفساد ودوام الشرور
فلذلك اقتضت الحكمة اهلاك امثال هؤلاء وازاحة فسادهم
من الارض وان الساعة لآتية فينتقم الله لك فيها ممن كذبك
فاصفح الصفح الجميل ولا تعجل بالانتقام منهم وعاملهم معاملة
الصفوح الحليم وقيل هو منسوخ بآية السيف ان ربك هو الخلاق
الذي خلقك وخلقهم وبيده امرك وامرهم العليم بحالك
وحالهم فهو حقيق بان تكل اليه ليحكم بينكم او هو الذي

خلقكم وعلم الاصلح لكم وقد علم ان الصفح اليوم اصلح لكم وفي
مصحف عثمان وابي رضي الله عنهما ان ربك هو الخالق وهو
يصلح للقليل والكثير والخلائق يختص بالكثير ولقد آتيناك
سبعا سبع آيات وهي الفاتحة وقيل سبع سور وهي الطوال
وسابعها الانفال والتوبة فانهما في حكم سورة واحدة ولذلك
لم يفصل بينهما بالتسمية وقيل التوبة وقيل يونس او الحواميم
السبع وقيل سبع صحايف وهي الاسباع من المثاني بيان للسبع
والمثاني من التثنية او الثناء فان كل ذلك مثنى تكرر قراءته
او الفاظه او قصصه او مواعظه ومثنى عليه بالبلاغة والاعجاز ومثن على الله بما هو اهله من صفاته العظمى واسمائه
الحسنى ويجوز ان يراد بالمثاني القران او كتب الله كلها
فيكون من التبعيض والقران العظيم ان اريد بالسبع الآيات
او السور فمن عطف الكل على البعض او العام على الخاص وان
اريد به الاسباع فمن عطف احد الوصفين على الآخر لا تمدن
عينيك لا تطمح ببصرك طموح راغب الى ما متعنا به ازواجا
منهم اصنافا من الكفار فانه مستحقر بالاضافة الى ما اوتيته
فانه كمال مطلوب بالذات مفض الى دوام اللذات وفي حديث
ابي بكر رضي الله عنه من اوتي القران فرأى ان احدا اوتي
من الدنيا افضل مما اوتي فقد صغر عظيما وعظم صغيرا وهو
روي انه صلى الله عليه وسلم رأى باذرعات سبع قوافل
ليهود بني قريظة والنضير فيها انواع البز والطيب والجوهر
وسائر الامتعة فقال المسلمون لو كانت هذه الاموال لنا
لتقوينا بها وانفقنا في سبيل الله فقال لهم صلى الله عليه وسلم
لقد اوتيتم سبع ايات هي خير من هذه القوافل السبع ولا تحزن
عليهم انهم لم يؤمنوا وقيل انهم الممتعون به واخفض جناحك

للمؤمنين وتواضع لهم وارفق بهم وقل اني انا النذير المبين
انذركم ببيان وبرهان العذاب الله نازل بكم ان لم تؤمنوا به
كما انزلنا على المقتسمين مثل العذاب الذي انزلنا عليهم فهو
وصف لمفعول النذير اقيم مقامه والمقتسمون هم الاثنا عشر
الذين اقتسموا مداخل مكة ايام الموسم لينفروا الناس عن
الايمان بالرسول صلى الله عليه وسلم فاهلكهم الله يوم بدر
او الرهط الذين اقتسموا اي تقاسموا على ان يبيتوا صالحا عليه
السلام وقيل هو صفة مصدر محذوف لقوله ولقد اتيناك
فانه بمعنى انزلنا اليك والمقتسمون الذين جعلوا القرآن
عضين حيث قالوا عناد ابعضه حق موافق للتوراة والانجيل وبعضه باطل مخالف لهما او قسموه الى شعر وسحر وكهانة
واساطير الاولين او اهل الكتاب آمنوا ببعض كتبهم وكفروا
ببعض على ان القرآن ما يقرأونه من كتبهم فيكون ذلك تسلية
للرسول صلى الله عليه وسلم وقوله لانسئلنهم الخ اعتراضا مؤكدا
لها الذين جعلوا القرآن عضين اجزاء جمع عضة واصلها عضو
من عضى الشاة اذا جعلها اجزاء او اعضاء وقيل فعلة من
عضهته اذا بهته وفي الحديث لعن رسول الله صلى الله عليه
وسلم العاضهة والمستعضهة وقيل اسحار وعن عكرمة العضة
السحر وانما جمع جمع السلامة جبرا لما حذف منه والموصول
بصلته صفة للمقتسمين او مبتدا خبره فوربك لنسئلنهم اجمعين
عما كانوا يعملون من التقسيم او النسبة الى السحر فيجازيهم عليه وقيل
عام في كل ما فعلوه من الكفر والمعاصي فاصدع بما تؤمر فاجهر به
من صدع بالحجة اذا تكلم بها جهارا او فافرق به بين الحق والباطل
واصله الابانة والتمييز وما مصدرية او موصولة والراجع
محذوف اي بما تؤمر به من الشرايع واعرض عن المشركين فلا

تلتفت الى ما يقولون انا كفيناك المستهزئين بفعلهم واهلاكهم
قيل كانوا خمسة من اشراف قريش الوليد بن المغيرة والعاص
بن وائل وعدي قيس والاسود بن عبد يغوث والاسود
بن المطلب يبالغون في ايذاء النبي صلى الله عليه وسلم والاول
استهزاء به فقال جبريل عليه السلام امرت ان اكفيكهم
فاومى الى ثياب الوليد فمر بنبال فتعلق بثوبه سهم فلم
ينعطف تعظيما لاخذه فاصاب عرقا في عقبه فقطعه فمات
فاومى الى اخمص العاص فدخلت فيها شوكة فانتفخت رجله
حتى صارت كالرحى ومات واشار الى انف حارث فامتخط
قيحا فمات والى اسود بن عبد يغوث وهو قاعد في اصل
شجرة فجعل ينطح رأسه بالشجر ويضرب وجهه بالشوك
حتى مات والى عين الاسود بن المطلب فعمي الذين يجعلون
مع الله الها آخر فسوف يعلمون عاقبة امرهم في الدارين
ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون من الشرك و
الطعن في القرآن والاستهزاء به فسبح بحمد ربك فافزع
الى الله فيما نابك بالتسبيح والتحميد يكفك ويكشف الغم
عنك او فنزهه عما يقولون حامدا له على ان هداك الى الحق
وكن من الساجدين من المصلين وعنه صلى الله عليه وسلم
انه كان اذا حزنه امر فزع الى الصلوة واعبد ربك حتى
يأتيك اليقين اي الموت فان متيقن لحاقه كل حي مخلوق
والمعنى فاعبده ما دمت حيا ولا تخل بالعبادة لحظة وعن
النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحجر كان له من الاجر
عشر حسنات بعدد المهاجرين والانصار والمستهزئين
بمحمد صلى الله عليه وسلم سورة النحل مكية غير ثلاث
آيات في آخرها وهي مائة وثمان وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

اتى امر الله فلا تستعجلوه كانوا يستعجلون ما اوعدهم الرسول صلى الله عليه وسلم من قيام الساعة او اهلاك الله اياهم كما فعل يوم بدر استهزاء وتكذيبا ويقولون ان صحّ ما يقوله فالاصنام تشفع لنا وتخلصنا منه فنزلت والمعنى ان الامر الموعود به بمنزلة الآتى المتحقق من حيث انه واجب الوقوع فلا تستعجلوا وقوعه فانه لا خير لكم فيه والاخلاص لكم عنه سبحانه وتعالى عما يشركون تبرّأ وجلّ عن ان يكون له شريك فيدفع ما اراد بهم وقرأ حمزة بالتاء على وفق قوله لا تستعجلوه والباقون بالياء على تلوين الخطاب او على ان الخطاب للمؤمنين او لهم ولغيرهم لما روى انه لما نزلت اقترب الناس ربهم ونب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفع الناس رؤسهم فنزلت فلا تستعجلوه ينزّل الملائكة بالروح بالوحى او القرآن فانه تحيى به القلوب الميتة بالجهل او يقوم فى الذين مقام الروح فى الجسد وذكره عقيب ذلك اشارة الى الطريق الذى به علم الرسول ما تحقق موعدهم به ودنوّه واذاحة لاستبعادهم اختصاصه بالعلم به وقرأ ابن كثير ينزل من انزل وعن يعقوب مثله وعنه تتنزّل وقرأ ابو بكر تُنزّل على المفعول المجهول من التنزيل من امره بامره ومن اجله على من يشاء من عباده ان ينذره رسولا ان انذروا بان انذروا اى اعلموا من انذرت بكذا اى اعلمته انه لا اله الا انا فاتقون ان الشان او خوفوا اهل الكفر والمعاصى بانه لا اله الا انا وقوله فاتقون رجوع الى مخاطبتهم بما هو المقصود وان مفسّرة لان الروح بمعنى الوحى او الدال على القول او مصدرية فى موضع الجر بدلا من الروح او النصب بنزع الخافض او مخففة من الثقيلة والاية تدل على ان

نزول الوحى بواسطة الملائكة وان حاصله التنبيه على التوحيد الذى هو منتهى كمال القوة العلمية والامر بالتقوى الذى هو اقصى كمالات القوة العملية وان النبوة عطائية والايات التى بعدها دليل وحدانيته من حيث انها تدل على انه هو الموجد لاصول العالم وفروعه على وفق الحكمة والمصلحة ولو كان له شريك لقدر على ذلك فيلزم التمانع خلق السموات والارض بالحق اوجدهما على مقادير واشكال واوضاع وصفات مختلفة قدرها وخصصها بحكمته تعالى عما يشركون منها او مما يفتقر فى وجوده او بقائه اليها ومما لا يقدر على خلقها وفيه دليل على انه ليس من قبيل الاجرام خلق الانسان من نطفة جماد لا حسّ بها ولا حراك سيارة لا تحفظ الشكل والوضع فاذا هو خصيم منطيق مجادل مبين للحجة او خصيم مكافح لخالقه قائل من يحيى العظام وهى رميم روى ان ابى بن خلف اتى النبى صلى الله عليه وسلم بعظم رميم وقال ايا محمد اترى الله يحيى هذا بعد ما قد رم فنزلت والانعام والابل والبقر والغنم انتصابها بمضمر يفسره خلقها لكم او بالعطف على الانسان وخلقها لكم بيان ما خلق لاجله وما بعده تفصيل له فيها دفء ما يدفأ به فيتقى البرد ومنافع نسلها ودرّها وظهورها وانما عبّر عنها بالمنافع ليتناول عوضها وسنها تأكلون ما يؤكل منها من اللحوم والشحوم والالبان وتقديم الظرف للمحافظة على رؤس الآى او لان الاكل منها هو المعتاد المعتمد عليه فى المعاش واما الاكل من سائر الحيوانات المأكولة فعلى سبيل التداوى والتفكه ولكم فيها جمال زينة حين تريحون تردونها من مراعيها الى مراحها بالعشى وحين تسرحون تخرجونها بالغداة الى المرعى فان الاولى تتزين بها فى الوقتين ويجل

اهلها فى اعين الناظرين اليها وتقديم الاراحة لان الجمال فيها هو
اظهر فانها تقبل ملاى البطون حافلة الضروع ثم تاوى الى
الحظائر حاضرة لاهلها وقرئ حينا على ان تريحون وتسرحون
وصف له بمعنى تريحون فيه وتسرحون فيه وتحمل اثقالكم هو
احمالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه ان لم تكن الانعام ولم تخلق
فضلا من ان تحملوها على ظهورها اليه الا بشق الانفس الا
بكلفة ومشقة وقرئ بالفتح وهو لغة فيه وقيل المفتوح هو
مصدر شق الامر عليه واصله الصدع والمكسور بمعنى هو
النصف كانه ذهب نصف قوته بالتعب ان ربكم لرؤف رحيم
حيث رحمكم بخلقها لانتفاعكم وتيسير الامر عليكم والخيل هو
البغال والحمير عطف على الانعام لتركبوها وزينة اى لتركبوها
وتتزينوا بها زينة وقيل هى معطوفة على محل لتركبوها
وتغيير النظم لان الزينة بفعل الخالق والركوب ليس بفعله
وكان المقصود من خلقها الركوب واما التزيين بها فحاصل
بالعرض وقرئ بغير واو وعلى هذا يحتمل ان يكون علة لتركبوها
او مصدرا فى موقع الحال من احد الضميرين اى متزينين او هو
متزينا بها واستدل بها على حرمة لحومها ولا دليل فيه اذ لا يلزم
من تعليل الفعل بما يقصد منه غالبا ان لا يقصد منه غيره اصلا و
يدل عليه ان الاية مكية وعامة المفسرين والمحدثين على ان الحمر هو
الاهلية حرمة عام خيبر ويخلق مالا تعلمون لما فصل الحيوانات
التى يحتاج اليها غالبا احتياجا ضروريا او غير ضرورى اجمل
غيرها ويجوز ان يكون اخبارا بان له من الخلائق ما لا علم لنا
به وان يراد به ما خلق فى الجنة والنار مما لم يخطر على قلب هو
بشر وعلى الله قصد السبيل بيان الطريق الموصل الى الحق او
اقامة السبيل وتعديلها رحمة وفضلا او عليه قصد السبيل هو

يصل اليه من يسلكه لا محالة يقال سبيل قصد وقاصد اى هو
مستقيم كانه يقصد الوجه الذى يقصده السالك لا يميل عنه والمراد
بالسبيل الجنس فلذلك اضاف اليها القصد وقال ومنها جائر هو
مائل عن المقصد او عن الله كما وتفسير الاسلوب لانه ليس بحق
على الله كما ان يبين طريق الضلالة او لان المقصود بيان سبيل
الهدى وتقسيم السبيل الى القصد والجائر انما جاء بالعرض وهو
قرئ ومنكم جائر اى عن القصد ولو شاء الله لهداكم اجمعين
اى ولو شاء هدايتكم اجمعين لهداكم الى قصد السبيل هداية هو
مستلزمة للاهتداء هو الذى انزل من السماء من السحاب او من
جانب السماء ماء لكم منه شراب ما تشربونه ولكم صلة انزل
او خبر شراب ومن تبعيضية متعلقة به وتقديمها يوهم حصر هو
المشروب فيه ولا بأس به لان مياه العيون والابار منه لقوله
فسلكه ينابيع وقوله فاسكناه فى الارض ومنه شجر هو ومنه يكون
سجر يعنى الشجر الذى ترعاه المواشى وقيل كل ما نبت على الارض
شجر قال الزجاج نعلفها اللحم اذا عنى الشجر والخيل فى اطعامها هو
للحم ضرر فيه تسيمون ترعون من سامت الماشية واسامها هو
صاحبها واصلها السومة وهى العلامة لانها تؤثر بالرعى علاما
ينبت لكم به الزرع وقرأ ابو بكر بالنون على التفخيم والزيتو
والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات وبعض كلها اذ لم ينبت
فى الارض كل ما يمكن من الثمار ولعل تقديم ما يسام فيه على ما هو
يوكل منه لانه سيصير غذاء حيوانيا هو اشرف الاغذية ومن
هذا تقديم الزرع والتصريح بالاجناس الثلاثة وترتيبها ان
فى ذلك لاية لقوم يتفكرون على وجود الصانع وحكمته هو
فان من تامل ان الحبة تقع فى الارض وتصل اليها نداوة هو

ت
ن

تنفذ فيها فينشق اعلاها ويخرج منه ساق الشجرة وينشق
اسفلها فيخرج منه عروقها ثم تنمو وتخرج منه الاوراق
والازهار والاكمام والثمار فيخرج منه عروقها ويشتمل كل
منها على اجسام مختلفة الاشكال والطباع مع اتحاد المواد و
نسبة الطبايع السفلية والتاثيرات الفلكية الى الكل علم ان ذلك
ليس الا بفعل فاعل مختار مقدس عن منازعة الاضداد والا
نزاد ولعل فصل الاية لذلك وسخر لكم الليل والنهار والشمس
والقمر والنجوم بان هيأها لمنافعكم مسخرات بامره حال من
الجميع اى نفعكم بها حال كونها مسخرات لله تعالى خلقها ودبرها
كيف شاء او لما خلقن له بايجاده وتقديره او لحكمة وفيه ايذان
بالجواب عما عسى ان يقال ان المؤثر فى تكوين النبات حركات
الكواكب واوضاعها فان ذلك ان سلم فلا ريب فى انها ايضا ممكنة
الذات والصفات واقعة على بعض الوجوه المحتملة فلا بد لها
من موجد مخصص مختار واجب الوجود دفعا للدور والتسلسل
او مصدر جمع لاختلاف النوع وقرأ حفص والنجوم مسخرات
على الابتداء والخبر فيكون تعميما للحكم بعد تخصيصه ورفع ابن عامر
الشمس والقمر ايضا ان فى ذلك لايات لقوم يعقلون جمع الاية وذكر
العقل لانها تدل انواعا من الدلالة الظاهرة لذوى العقول السليمة
غير محوجة الى استيفاء فكر كاحوال النبات وما ذرأ لكم فى الارض
عطف على الليل اى وسخر لكم ما خلق لكم فيها من حيوان ونبات
مختلفا الوانه اصنافه فانها تتخالف باللون غالبا ان فى ذلك
لاية لقوم يذكرون ان اختلافها فى الطباع والهيئات والمناظر
ليس الا بصنع صانع حكيم وهو الذى سخر البحر جعلها بحيث
يتمكنون من الانتفاع به بالركوب والاصطياد والغوص لتاكلوا
منه لحما طريا هو السمك ووصفه بالطراوة لانه ارطب اللحوم

فيسرع اليه الفساد فيسارع الى اكله والاظهار قدرته فى خلقه
خلقه عذبا طريا فى ماء زعاق وتمسك به مالك والثورى على
ان من حلف ان لا ياكل لحما حنث بلحم السمك واجيب عنه
بان مبنى الايمان على العرف وهو لا يفهم منه عند الاطلاق
الا ترى ان الله تعالى سمى الكافر دابة ولا يحنث الحالف على
ان لا يركب دابة بركوبه وتستخرجوا منه حلية تلبسونها كاللؤ لؤ
والمرجان اى تلبس نساؤكم فاسند اليهم لانهن من حملتهم
ولانهن يتزين بها لاجلهم وترى الفلك السفن مواخر
فيه جوارى فيه تشقه بجريها ومنه المخر وهو شق الماء وقيل
صوت جرى الفلك ولتبتغوا من فضله من سعة رزقه بركوب
للتجارة ولعلكم تشكرون اى تعرفون نعم الله تعالى فتقومون
بحقها ولعل تخصيصه بتعقيب الشكر لانه اقوى فى باب الانعام
من حيث انه جعل المالك سببا للانتفاع وتحصيل المعاش والقى
فى الارض رواسى جبالا رواسى ان تميد بكم كراهة ان تميل بكم
وتضطرب وذلك لان الارض قبل ان يخلق فيها الجبال كانت
كرة حقيقة بسيطة الطبع وكان من حقها ان تتحرك بالاستدارة
كالافلاك او ان تتحرك بادنى سبب للتحريك فلما
خلقت الجبال على وجهها تفاوتت جوانبها وتوجهت الجبال
بثقلها نحو المركز فصارت كالاوتاد التى تمنعها عن الحركة
وقيل لما خلق الله الارض جعلت تمور فقالت الملائكة ما هى
بمقر احد على ظهرها فاصبحت وقد ارسيت بالجبال وانهارا و
جعل فيها انهارا لان القى فيه معناه وسبلا لعلكم تهتدون لمقاصدكم
او الى معرفة الله تعالى وعلامات معالم يستدل بها السابلة من
جبل ومنهل وريح ونجوم وبالنجم هم يهتدون بالليل بالبر
والبحار والمراد بالنجم الجنس ويدل عليه انه قرئ وبالنجم

بضمتين وضمة وسكون على الجمع وقيل الثريا والفرقدان وبنات
النعش والجدى ولعل الضمير لقريش لانهم كانوا كثيرى الا
سفار للتجارة مشهورين بالاهتداء فى مسائيهم بالنجوم و
اخراج الكلام عن سنن الخطاب وتقديم النجم واقحام الضمير
للتخصيص كانه قيل وبالنجم خصوصا هولاء خصوصا يهتدون
فالاعتبار بذلك والشكر عليه الزم لهم واوجب عليهم افمن
يخلق كمن لا يخلق انكار بعد اقامة الدلائل المتكاثرة على كمال
كمال قدرته وتناهى حكمته والتفرد بخلق ماعدد من مبدعاته
الان يساويه ويستحق مشاركته ما لا يقدر على خلق شىء
من ذلك بل على ايجاد شىء ما وكان حق الكلام افمن لا يخلق
كمن يخلق لكنه عكس تنبيها على انهم بالاشراك بالله جعلوه
من جنس المخلوقات العجزة تنبيها بها والمراد بمن لا يخلق كل
ماعبد من دون الله مغلبا فيه اولوا العلم او الاصنام وهو
اجراؤها مجرى اولى العلم لانهم سموها آلهة ومن حق الآلة
ان يعلم او للمشاكلة بينه وبين من يخلق او للمبالغة فكانه قيل
ان من يخلق ليس كمن لا يخلق من اولى العلم فكيف بما لا علم عنده
افلا تذكرون فتعرفوا فساد ذلك فانه لجلائه كالحاصل للعقل
الذى يحضر عنده بادنى تذكر والتفات وان تعدوا نعمة الله
لا تحصوها لا تضبطوا عددها فضلا عن ان تطيقوا القيام
بشكرها اتبع ذلك تعداد النعم والزام الحجة على تفرده بالاستحقاق
العبادة تنبيها على ان ما وراء ما عدد نعما لا تحصر وان حق
عباده غير مقدر وان الله لغفور حيث يتجاوز عن
تقصيركم فى اداء شكرها رحيم لا يقطعها لتفريطكم فيه و
لا يعاجلكم بالعقوبة على كفرانها والله يعلم ما تسرون وما
تعلنون من عقائدكم واعمالكم وهو وعيد وتزييف للشرك

باعتبار العلم والذين تدعون من دون الله والآلهة الذين
تعبدونهم من دونه وقرأ ابو بكر يدعون بالياء وقراء
حفص ثلاثتها بالياء لا يخلقون شيئا مما نفى المشاركة بين
من يخلق وبين من لا يخلق بين انها لا تخلق شيئا لينتج انهم
لا يشاركونه ثم اكد ذلك بان اثبت لهم صفات تنافى الالو
فقال وهم يخلقون لانها ذوات ممكنة مفتقرة الوجود الى
التخليق والاله يجب ان يكون واجب الوجود اموات اى
هم اموات لا يعتريهم الحيوة او اموات حالا وماٰلا غير احياء
بالذات ليتناول كل معبود والاله ينبغى ان يكون حيا بالذات
لا يعتريه الممات وما يشعرون ايان يبعثون ولا يعلمون وقت
بعثهم او بعث عبدتهم فكيف يكون لهم وقت جزاء على عبادة
والاله ينبغى ان يكون عالما بالغيوب مقدرا للثواب والعقاب
وفيه تنبيه على ان البعث من توابع التكليف الهكم اله واحد
تكرير للمدعى بعد اقامة الحجج فالذين لا يؤمنون بالآخرة
قلوبهم منكرة وهم مستكبرون عن بيان لما اقتضى اصرارهم بعد
وضوح الحق وذلك عدم ايمانهم بالاخرة فان المؤمن بها يكون
طالبا للدلائل متأملا فيما يسمع فينتفع به والكافر بها يكون
حاله بالعكس وانكار قلوبهم ما لا يعرف الا بالبرهان
اتباعا للاتلاف وركونا الى المألوف فانه ينافى النظر والا
ستكبار عن اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم وتصديقه
والالتفات الى قوله والاول هو العمدة فى الباب ولذلك
رتب عليه ثبوت الاخرين لا جرم حقا ان الله يعلم ما
يسرون وما يعلنون فيجازيهم وهو فى موضع الرفع بجرم
لانه مصدر او فعل انه لا يحب المستكبرين فضلا عن الذين
استكبروا عن توحيده او اتباع رسوله واذا قيل لهم ماذا

هيئة

تهم

انزل ربكم القائل بعضهم على التهكم او الوافدون عليهم
او المسلمون قالوا اساطير الاولين اى ماتدعون نزوله او
المنزل اساطير الاولين وانما سموه منزلا على التهكم او
على الفرض اى على تقدير انه منزل فهو اساطير لاتحقق فيه
والقائلون له قيل هو المقتسمون ليحملوا اوزارهم كاملة
يوم القيمة اى قالوا ذلك اضلالا للناس فحملوا اوزار ضلالهم
كاملة فان اضلالهم نتيجة رسوخهم فى الضلال ومن اوزار
زار الذين يضلونهم وبعض اوزار ضلال من يضلونهم
هو حصة التسبب بغير علم حال من المفعول اى يضلون من
لايعلم انهم ضلال وفائدتها الدلالة على ان جهلهم لايعذرهم
اذ كان عليهم ان يبحثوا ويميزوا بين الحق والمبطل الا
ساء مايزرون بئس شيئا مايزرونه فعلهم قد مكر الذين
من قبلهم اى سووا منصوبات ليمكروا بها رسول الله صلى
الله عليه وسلم فاتى الله بنيانهم من القواعد فاتاها امره
من جهة العمد التى بنوا عليها بان ضعضعت فخر عليهم
السقف من فوقهم وصار سبب هلاكهم واتاهم العذاب من
حيث لايشعرون لايحتسبون ولايتوقعون وهو على
سبيل التمثيل وقيل المراد به نمرود بن كنعان بنى الصرح
ببابل سمكه خمسة الاف ذراع ليتسنى له صعود اهل السماء فاهب
الله الريح فخر عليه وعلى قومه فهلكوا ثم يوم القيمة يخزيهم
بزلتهم او يعذبهم بالنار لقوله ربنا انك من تدخل النار فقد
اخزيته ويقول اين شركائى اضاف الى نفسه استهزاء او
حكاية لاضافتهم زيادة فى توبيخهم الذين كنتم تشاقون فيهم
تعادون المؤمنين فى شأنهم وقراء نافع بكسر النون بمعنى
تشاقوننى فان مشاقة المؤمنين كمشاقة الله تعالى قال الذين

اوتوا العلم اى العلماء والانبياء الذين كانوا يدعونهم الى
التوحيد فيشاقونهم وينكبتون عليهم او الملائكة ان
الخزى اليوم والسوء الذلة والعذاب على الكافرين وهو
فائدة اظهار الشماتة وزيادة الاهانة وحكايته لان يكون
لطفا لمن سمعه الذين تتوفاهم الملائكة وقراء حمزة بالياء
وقرئ بادغام التاء فى التاء وموضع الموصول يحتمل الاوجه
الثلاثة ظالمى انفسهم بان عرضوها للعذاب المخلد فالقوا
السلم فسالموا واخبتوا حين عاينوا الموت ماكنا نعمل
من سوء قائلين ماكنا نعمل من سوء كفر وعدوان ويجوز
ان يكون تفسيرا للتسلم على ان المراد به القول الدال على
الاستسلام بلى اى فيجيبهم الملائكة ببلى ان الله عليم
بما كنتم تعملون فهو يجازيكم عليه وقيل قوله فالقوا السلم
الى اخر الاية استيناف ورجوع الى شرح حالهم يوم القيمة وعلى
هذا اول من لم يحسن الكذب يومئذ ماكنا نعمل من سوء بانا
لم نكن فى زعمنا واعتقادنا عاملين سوء واحتمل ان يكون
الرد عليهم هو الله تعالى او اولوا العلم فادخلوا ابواب جهنم
كل صنف بابها المعد له وقيل ابواب جهنم اصناف فى عذابها
خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين جهنم وقيل للذين
اتقوا يعنى المؤمنين ماذا انزل ربكم قالوا خيرا وفى نصبه
دليل اى انزل خيرا وفى نصبه دليل على انهم لم يتلعثموا
فى الجواب واطبقوه على السؤال معتنى فين بالانزال على
خلاف الكفرة روى ان احياء العرب كانوا يبعثون ايام
الموسم من يأتيهم بخبر النبى صلى الله عليه وسلم فاذا جاء
الوافد للمقتسمين قالوا له ماقالوا واذا جاء المؤمنين قالوا
له ذلك للذين احسنوا فى هذه الدنيا حسنة مكافات فى

الدنيا ولدار الآخرة خير ولثوابهم في الآخرة خير منها وهو
عدة للذين اتقوا على قولهم ويجوز ان يكون بما بعده حكاية
لقولهم بدلا وتفسيرا للخير اعلى انه منتصب بقالوا ولنعم
دار المتقين دار الآخرة فحذف لتقدم ذكرها وقوله جنات
عدن خبر مبتدإ محذوف ويجوز ان يكون المخصوص بالمدح
يدخلونها تجري من تحتها الانهار لهم فيها ما يشاؤن من
انواع المشتهيات وفي تقديم الظرف تنبيه على ان الانسان
لا يجد جميع ما يريده الا في الجنة كذلك يجزي الله المتقين ه
مثل هذا الجزاء يجزيهم وهو يؤيد الوجه الاول الذين تتوفاهم
الملائكة طيبين طاهرين من ظلم انفسهم بالكفر والمعاصي
لانه في مقابلة ظالمي انفسهم وقيل فرحين ببشارة الملائكة ه
اياهم بالجنة او طيبين بقبض ارواحهم لتوجه نفوسهم ه
بالكلية الى حضرة القدس يقولون سلام عليكم لا يحيفكم
بعد مكروه ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون حين تبعثون فانكم
انها معدة لكم على اعمالكم وقيل هذا التوفي وفات الحشر لان
الامر بالدخول حينئذ هل ينظرون ما ينتظر الكفار المذكورهم
الا ان تأتيهم الملائكة لقبض ارواحهم وقرأ حمزة بالياء ه
او يأتي أمر ربك القيمة او العذاب المستأصل كذلك مثل ذلك ه
الفعل من الشرك والتكذيب فعل الذين من قبلهم فاصابهم ه
ما اصاب وما ظلمهم الله بتدميرهم ولكن كانوا انفسهم ه
يظلمون بكفرهم ومعاصيهم المؤدية اليه فاصابهم سيئات ما
عملوا اي جزاء سيئات ما عملوا على حذف المضاف او تسمية ه
الجزاء باسمها وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن واحاط بهم
جزاؤه والحيق لا يستعمل الا في الشر وقال الذين اشركوا لو شاء
الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من

دونه من شيء انما قالوا ذلك استهزاء ومنعا للبعثة والتكليف
متمسكين بان ما شاء الله يجب وما لم يشأ يمتنع فما الفائدة
فيهما او انكار القبيح ما انكر عليهم من الشرك وتحريم البحائر
ونحوها محتجين بانها لو كانت مستقبحة لما شاء الله صدورها
عنهم ولشاء خلافه ملجئا اليه لا اعتذارا اذ لم يعتقدوا قبح
اعمالهم وفيما بعد تنبيه على الجواب من الشبهتين كذلك فعل
الذين من قبلهم فاشركوا بالله وحرموا حله وردوا رسله
فهل على الرسل الا البلاغ المبين الا البلاغ الموضح للحق وهو
وان لم يؤش في هدى من شاء الله هداه لكنه مؤد اليه على ه
سبيل التوسط وما شاء الله وقوعه انما يجب وقوعه لا ه
مطلقا بل باسباب قدرها له ثم بين ان البعثة امرجرت به
السنة الالهية في الامم كلها سببا لهدى من اراد الله اهتداءه
وزيادة لضلال من اراد ضلاله كالغذاء الصالح فانه ينفع ه
المزاج السوي ويقويه ويضر المنحرف ويفنيه بقوله ولقد ه
بعثنا في كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت
يأمر بعبادة الله ه واجتناب الطاغوت فمنهم من هدى الله وفقهم
للايمان بارشادهم ومنهم من حقت عليه الضلالة اذ لم يوفقهم
ولم يرد هداهم وفيه تنبيه على فساد الشبهة الثانية لما فيه من ه
الدلالة على ان تحقق الضلال وثباته بفعل الله ه وارادته من
حيث انه قسيم من هدى الله وقد صرح به في الاية الاخرى فسيروا
في الارض يا معشر قريش فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين من
عاد وثمود وغيرهم لعلكم تعتبرون ان تحرص يا محمد على هداهم
فان الله لا يهدي من يضل من يرد ضلاله وهو المعنى من حقت
عليه الضلالة وقرأ غير الكوفيين لا يهدى على المجهول وهو
ابلغ وما لهم من ناصرين ممن ينصرهم بدفع العذاب عنهم ه

اقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت عطف على
وقال الذين اشركوا ايذانا بانهم كما انكروا البعث مقسمين عليه
زيادة في البت على فساده وقدر الله عليهم ابلغ رد فقال
بلى يبعثهم وعدا مصدر مؤكد لنفسه وهو ما دل عليه بلى فان
يبعث موعد من الله عليه انجازه لامتناع الخلف في وعده او
لان البعث مقتضى حكمته حقا صفة اخرى للوعد ولكن اكثر الناس
لا يعلمون انهم يبعثون اما لعدم علمهم بانه من مواجب الحكمة
التي جرت عادته بمراعاتها واما لقصور نظرهم بالمألوف
فيتوهمون امتناعه ثم انه تعالى بين الامرين فقال ليبينن لهم
اي يبعثهم ليبين لهم الذي يختلفون فيه وهو الحق وليعلم
الذين كفروا انهم كانوا كاذبين فيما كانوا يزعمون واشارة
الى السبب الداعي الى البعث المقتضي له من حيث الحكمة وهو
التمييز بين الحق والباطل والمحق والمبطل بالثواب والعقاب
ثم قال انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون
وهو بيان امكانه وتقريره ان تكوين الله تعالى بمحض قدرته
ومشيئته لا توقف له على سبق المواد والمدد والا لزم التسلسل
فما امكن له تكوين الاشياء ابتداء بلا سبق مادة ومثال امكن له
تكوينها اعادة بعده ونصب ابن عامر والكسائي فيكون هنا
وفي يبين عطفا على نقول اوجوابا للامر والذين هاجروا
في الله من بعد ما ظلموا هم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم
اصحابه المهاجرون ظلمهم قريش فاجمى بعضهم الى الحبشة
ثم الى المدينة وبعضهم الى المدينة او المحبوسون المعذبون
بمكة بعد هجرة الرسول الله صلى الله عليه وسلم وهم بلال و
صهيب وخباب وعمار وعابس وابو جندل وسهيل وقوله
في الله اي في حقه او لوجهه لنبوئنهم في الدنيا حسنة وهي

المدينة او تبوئة حسنة ولاجر الآخرة اكبر مما يعجل لهم في
الدنيا وعن عمر رضي الله عنه انه كان اذا اعطى رجلا من
المهاجرين عطاء قال له خذ بارك لك فيه هذا ما وعدك الله
في الدنيا وما ذخر لك في الاخرة افضل لو كانوا يعلمون الضمير
للكفار اي لو علموا ان الله يجمع لهؤلاء المهاجرين خيري
الدارين لوافقوهم او للمهاجرين اي لو علموا ذلك لزادوا
في اجتهادهم وصبرهم الذين صبروا على الشدائد كاذى
الكفرة ومفارقة الوطن ومحله النصب او الرفع على المدح
وعلى ربهم يتوكلون منقطعين الى الله مفوضين الامر اليه
كله وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم رد لقول
قريش الله اعظم من ان يكون رسوله بشرا اي جرت السنة
الالهية بان لا يبعث للدعوة العامة الا بشرا يوحى اليه على السنة
الملائكة والحكمة في ذلك قد سبق في سورة الانعام فان شككتم
فيه فاسئلوا اهل الذكر اهل الكتاب او علماء الاخبار ليعلمكم
ان كنتم لا تعلمون وفي الاية دليل على انه تعالى لم يرسل امراة ولا
ملكا للدعوة العامة واما قوله جاعل الملائكة رسلا معناه
رسلا الى الملائكة او الى الانبياء وقيل لم يبعثوا الى الانبياء الا ممثلين
بصورة الرجال ورد بما روي انه عليه الصلوة والسلام راى
جبريل على صورته التي هو عليها مرتين وعلى وجوب المراجعة
الى العلماء فيما لا يعلم بالبينات والزبر اي ارسلناهم بالبينات
والزبر اي المعجزات والكتب كانه جواب قائل بم ارسلوا وهم
يجوز ان يتعلق بما ارسلنا دخلا في الاستثناء مع رجالا اي
وما ارسلنا الا رجالا بالبينات كقولك ما ضربت الا زيدا بالسوط
او صفة لهم اي رجالا بالبينات كقولك ما ضربت الا زيدا بالسوط
او صفة لهم اي رجالا ملتبسين بالبينات او يوحى

على المفعولية او الحال من القائم مقام فاعله على ان قوله ﷺ
فاسئلوا اعتراض او بلا تعلمون على ان الشرط للتبكيت وﷺ
لالزام وانزلنا اليك الذكر اى القران وانما سمى ذكرا لانه ﷺ
موعظة وتنبيه لتبين للناس ما نزل اليهم فى الذكر بتوسط ﷺ
انزاله اليك مما امروا به ونهوا عنه او مما تشابه عليهم والتبيين
اعم من ان ينص بالمقصود او يرشد الى ما يدل عليه كالقياس
ودليل العقل ولعلهم يتفكرون وارادة ان يتأملوا فيه فينتبهوا
للحقايق افأمن الذين مكروا السيئات اى امكر السيئات وهم
الذين احتالوا لقتل النبى الانبياء او الذين مكروا رسول الله صلى الله عليه
وسلم ومواصدا صحابه عن الايمان ان يخسف الله بهم الارض
كما خسف بقارون او يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون بغتة ﷺ
من جانب السماء كما فعل بقوم لوط او يأخذهم فى تقلبهم اى متقلبين
فى مسايهم ومتاجرهم فما هم بمعجزين او يأخذهم على تخوف على
مخافة بان يهلك قوما قبلهم فيتخوفوا فيأتيهم العذاب وهم متخ
فون او على تنقص شيئا بعد شئ فى انفسهم واموالهم حتى يهلكوا
من تخوفته اذا تنقصته روى ان عمر رضى الله عنه قال على
المنبر ما تقولون فيها فسكتوا فقام شيخ من هذيل فقال هذه لغتنا
التخوف التنقص فقال هل تعرف العرب ذلك فى اشعارها قال نعم
قال شاعرنا ابو كثير يصف ناقته تخوف الرحل منها تامكا قردا ﷺ
كما تخوف عود النبعة السفن فقال عمر عليكم بديوانكم لا تضلوا قالوا
فديواننا قال شعر الجاهلية فان فيه تفسير كتابكم ومعانى كلامكم
فان ربكم لرؤف رحيم حيث لا يعاجلكم بالعقوبة اولم يروا الى
ما خلق الله من شئ استفهام انكارى قد راوا امثال هذه ﷺ
الصنايع فما بالهم لم يتفكروا فيه ليظهر لهم كمال قدرته وقهره ﷺ
فيخافوا منه وما موصولة مبهمة بينها يتفيؤ اظلاله اولم ﷺ

ينظروا الى المخلوقات او لم ينظروا الى المخلوقات التى لها ظلال ﷺ
متفيئة وقرأ حمزة والكسائى تروا بالتاء وابو عمرو وتتفيؤا ﷺ
بالتاء عن اليمين والشمائل عن ايمانها وشمائلها اى عن جانبى
كل واحد منها استعارة من يمين الانسان وشماله ولعل توحيد
اليمين وجمع الشمال لاعتبار اللفظ والمعنى كتوحيد الضمير فى ﷺ
ظلاله وجمعه فى قوله سجدا لله وهم داخرون وهما حالان ﷺ
من الضمير فى ظلاله والمراد من التسجد الاستسلام سواء ﷺ
كان بالطبع او بالاختيار يقال سجدت النخلة اذا مالت لكثرة
حملها وسجد البعير اذا طاطأ رأسه ليركب او سجدا حال ﷺ
من ظلال وهم داخرون حال من الضمير والمعنى يرجع الظلال
بارتفاع الشمس وانحدارها او باختلاف مشارقها ومغاربها
بتقدير الله تعالى من جانب الى جانب منقادة لما قدر لها من التغيير
او واقعة على الارض ملتصقة بها على هيئة الساجد والاجرام فى ﷺ
انفسها ايضا داخرة اى صاغرة منقادة لافعال الله تعالى فيها وجمع ﷺ
داخرون بالواو لان من جملتها من يعقل ولان الدخور من اوصا ف
العقل وقيل المراد باليمين والشمائل يمين الفلك وهو جانبه الشرقى
لان الكواكب تظهر منه اخذة فى الارتفاع والتطوع وشماله ﷺ
وهو الجانب الغربى المقابل له فان الظلال فى اول النهار يبتدى
من المشرق واقعة على الربع الشرقى من الارض ولله يسجد دته
ما فى السموات وما فى الارض اى ينقاد انقيادا يعم الانقياد لارا
دة التكوينية طبعا والانقياد لتكليفه وامره طوعا ليصح اسناده
الى عامة اهل السموات والارض وقوله من دابة بيان لهما لان
الدبيب هى الحركة الجسمانية سواء كان فى ارض او سماء والملائكة
عطف على المبين به عطف جبريل على الملائكة للتعظيم او عطف
المجردات على الجسمانيات وبه احتج من قال ان الملائكة ارواح

مجرده او بيان لما في الارض والملائكة تكريم لما في السماء وتعيين
له اجلالا او تعظيما او المراد بها ملائكتها من الحفظة وغيرهم وما
لما استعمل للعقلاء كما استعمل لغيرهم كان استعماله حيث اجتمع
القبلان اولى من اطلاق من تغليبا للعقلاء وهم لا يستكبرون
عن عبادته يخافون ربهم من فوقهم يخافونه ان يرسل عذابا
من فوقهم او يخافونه وهو فوقهم بالقهر كقوله وهو القاهر
فوق عباده والجملة حال من الضمير في لا يستكبرون او بيان له
وتقرير لان من خاف الله لم يستكبر عن عبادته ويفعلون ما
يؤمرون من الطاعة والتدبير وفيه دليل على ان الملائكة
مكلفون مدارون بين الخوف والرجاء وقال الله لا تتخذوا
الهين اثنين ذكر العدد مع ان المعدود يدل عليه دلالة على ان
مساق النهي اليه او ايماء بان الاثنينية تنافي الالهية كما ذكر الواحد
في قوله انما هو اله واحد للدلالة على ان المقصود اثبات الوحدانية
دون الالهية او للتنبيه على ان الوحدة من لوازم الالهية
فاياي فارهبون نقل من الغيبة الى التكلم مبالغة في الترهيب وهو
تصريحا للمقصود كانه قال فانا ذلك الاله الواحد فاياي فارهبون
لا غير وله ما في السموات والارض خلقا وملكا وله الدين اي
الطاعة واصبا لازما لما تقرر من انه الاله وحده والحقيق بان
يرهب منه وقيل واصبا من الوصب اي وله الدين ذا الكلفة و
قيل الدين الجزاء اي وله الجزاء دائما لا ينقطع ثوابه لمن آمن و
عذابه لمن كفر افغير الله تتقون والاضافة سواه كما لا نافع
غيره كما قال وما بكم من نعمة فمن الله واي شيء اتصل بكم من
نعمة فهو من الله ثم اذا مسكم الضر ما شرطية او موصولة متضمنة معنى الشرط
باعتبار الاخبار دون الحصول فان استمرار النعمة بهم يكون
سببا للاخبار بانها من الله لا لحصولها منه ثم اذا مسكم الضر

فاليه تجأرون فما تتضرعون الا اليه والجؤار رفع الصوت في
الدعاء والاستغاثة ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم
وهم كفاركم بربهم يشركون بعبادة غيره هذا اذا كان الخطاب
عاما فان كان خاصا بالمشركين كان من للبيان كانه قال فاذا
فريق وهم انتم ويجوز ان يكون للتبعيض على ان يعنبي
بعضهم كقوله فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد ليكفروا بما
آتيناهم من نعمة الكشف عنهم كانهم قصدوا بشكرهم كفران
النعمة او انكار كونها من الله فتمتعوا امر تهديد فسوف
تعلمون اغلظ وعيد وقرئ فيتمتعوا على المجهول عطفا على
ليكفروا وعلى هذا جاز ان يكون اللام لام الامر الوارد للتهديد
والفاء للجواب ويجعلون لما لا يعلمون اي لآلهتهم التي لا
علم لها لانها جماد فيكون الضمير لما او التي لا يعلمون انها
فيها جمادات مثل انها تنفعهم وتشفع لهم على ان العائد الى ما
محذوف او لجهلهم على ان ما مصدرية والمجعول له محذوف
للعلم به نصيبا مما رزقناهم من الزروع والانعام تالله لتسئلن
عما كنتم تفترون من انها آلهة حقيقة بالتقرب اليها وهو
عيد لهم عليه ويجعلون لله البنات كانت خزاعة وكنانة
يقولون الملائكة بنات الله سبحانه تنزيها له من قولهم وتعجب
منه ولهم ما يشتهون يعني البنين ويجوز فيما يشتهون الرفع
بالابتداء والنصب بالعطف على البنات على ان الجعل بمعنى الا
ختيار وهو وان اقتضى ان يكون ضمير الفاعل والمفعول الشيء
واحد لكنه لا يبعد تجويزه في المعطوف واذا بشر احدهم بالانثى
التي اخبر بولادتها ظل وجهه صار او دام النهار كله مسودا
من الكآبة والحياء من الناس واسوداد الوجه كناية عن الاغتمام
والتشويه وهو كظيم مملوء غيظا من المرأة بتنوارى من القوم

يستخفي منهم من سوء ما بشر به من سوء المبشر به عرفا أيمسكه
محدثا نفسه مفكرا في ان يتركه على هون ذل أم يدسه في التراب
ام يخفيه فيه ويئده وتذكير الضمير للفظ ما وقرئ بالتانيث فيها
الاساء ما يحكمون حيث يجعلون لمن لا يعتد به من الولد ما هذا
محله عندهم للذين لا يؤمنون بالاخرة مثل السوء وهي الحاجة
الى الولد المتأدية بالموت واشتهاء الذكور استظهارا بهم وكراهة
الاناث وداد هن خشية الاملاق ولله المثل الاعلى وهو الوجود
الذاتي والغنى المطلق والجود الفائق والتنزه عن صفات
المخلوقين وهو العزيز الحكيم المنفرد بكمال القدرة والحكمة ولو
يؤاخذ الله الناس بظلمهم بكفرهم ومعاصيهم ما ترك عليها
على الارض وانما اضمرها من غير ذكر لدلالة الناس او الدابة
عليها من دابة قط بشوم ظلمهم وعن ابن مسعود كاد الجعل
يهلك في جحره بذنب بني ادم او من دابة ظالمة وقيل لو اهلك
الآباء بظلمهم لم يكن الابناء ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى سماه
لاعمارهم ولعذابهم كي يتوالدوا فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون
ساعة ولا يستقدمون بل هلكوا او عذبوا بواح محالة ولا يلزم
من عموم الناس واضافة الظلم اليهم ان يكونوا كلهم ظالمين حتى
الانبياء عليهم السلام لجواز ان يضاف اليهم ما شاع فيهم وصدر
عن اكثرهم ويجعلون لله ما يكرهون اي ما يكرهونه لانفسهم
من البنات والشركاء في الرياسة والاستخفاف بالرسل وارذل
الاموال ونصف السنتهم الكذب مع ذلك وهو ان لهم الحسنى
اي عند الله كقوله ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى و
قرئ الكذب جمع كذوب صفة للالسنة لا جرم ان لهم النار رد
لكلامهم واثبات لضده وانهم مفرطون منقدمون الى النار من
افرطته في طلب الماء اذا قدمته وقرأ نافع بكسر الراء على انه من

الافراط في المعاصي وقرئ بالتشديد مفتوحا من فرطته في طلب
الماء ومكسورا من التفريط في الطاعات تالله لقد ارسلنا الى
امم من قبلك فزين لهم الشيطان اعمالهم فاصروا على قبائحها و
كفروا بالمرسلين فهو وليهم اليوم اي في الدنيا وعبر باليوم عن
عن زمانها او فهو وليهم حين كان يزين لهم او يوم القيمة على
انه حكاية حال ماضية او آتية ويجوز ان يكون الضمير لقريش
اي زين الشيطان للكفرة المتقدمين اعمالهم فهو ولي هؤلاء
اليوم يغريهم ويغويهم وان يقدر مضاف اي فهو ولي امثالهم
والولي القرين او الناصر فيكون نفيا لناصر لهم على ابلغ الوجوه
ولهم عذاب اليم في القيمة وما انزلنا عليك الكتاب الا لتبين
لهم للناس الذي اختلفوا فيه من التوحيد والقدر واحوال
المعاد واحكام الافعال وهدى ورحمة لقوم يؤمنون معطوفان
على محل لتبين فانهما فعلا المنزل بخلاف التبيين والله انزل من
السماء ماء فاحيى به الارض بعد موتها انبت فيها انواع النبات
بعد يبسها ان في ذلك لاية لقوم يسمعون سماع تدبر و
انصاف وان لكم في الانعام لعبرة دلالة يعتبر بها من الجهل الى
العلم نسقيكم مما في بطونه استئناف لبيان العبرة وانما ذكر الله
الضمير وحده ههنا للفظ وانثه في سورة المؤمنين للمعنى
فان الانعام اسم جمع ولذلك عده سيبويه في المفردات المبنية
على افعال كاخلاق واكياش ومن قال انه جمع نعم جعل الضمير
للبعض فان التبين لبعضها دون جميعها او لواحدة اولا على المعنى
فان المراد به الجنس وقرأ نافع وابن عامر وابو بكر ويعقوب
نسقيكم بالفتح ههنا وفي المؤمنين من بين فرث ودم لبنا فانه
يخلق من بعض اجزاء الدم المتولد من الاجزاء اللطيفة التي
في الفرث وهو الاشياء المأكولة المنهضمة بعض الانهضام في

الكرش وعن ابن عباس ان البهيمة اذا اعتلفت وانطبخ العلف
في كرشها كان اسفله فرثا واوسطه لبنا واعلاه دما ولعله
ان صح فالمراد ان اوسطه يكون مادة اللبن واعلاه مادة
الدم الذي يغذي البدن لانهما لا يتكونان في الكرش بل الكبد
بجذب صفاوة الطعام المنهضم في الكرش ويبقى ثفله وهو
الفرث ثم يمسكها ريثما يهضمها هضما ثانيا فيحدث اخلاطا
اربعة معها مائية فتميز القوة الممتزة تلك المائية بمقدار على قدر
الحاجة من المرتين وتدفعها الى الكلية والمرارة والطحال ثم
توزع الباقي على الاعضاء بحسبها فيجري الى كل حقه على ما يليق
به بتقدير الحكيم العليم ثم ان كان الحيوان انثى زاد اخلاطها على
قدر غذائها لاستيلاء البرد والرطوبة على مزاجها فيندفع الزائد
اولا الى الرحم لاجل الجنين فاذا انفصل ذلك الزائد او بعضه
الى الضروع فيبيض بمجاورة لحومها الغدوية البيض فيصير لبنا
ومن تدبر صنع الله في احداث الاخلاط والالبان واعداد
مقاديرها ومجاريها والاسباب الموادة لها والقوى المتصرفة
فيها كل وقت على ما يليق به اضطر الى الاقرار بكمال قدرته وتناهي
رحمته ومن الاولى تبعيضية لان اللبن بعض ما في بطنها والثانية
ابتدائية كقولك سقيت من الحوض لان بين الفرث والدم المحل
الذي يبتدى منه الاسقاء وهي متعلقة بنسقيكم او حال من
لبنا قدم عليه للتنكير وللتنبيه على انه موضع العبرة خالصا صافيا
لا تصحب لون الدم ولا رايحة الفرث او مصفى عما يصحبه من
الاجزاء الكثيفة بتضييق مخرجه سائغا للشاربين سهل المرور
في حلقهم وقرئ بتيفا بالتشديد والتخفيف ومن ثمرات
النخيل والاعناب متعلق بمحذوف اي ونسقيكم من عصيرهما
وقوله تتخذون منه سكرا استيناف لبيان الاسقاء او بتتخذون

ومنه تكرير الظرف تاكيدا او خبر لمحذوف صفته تتخذون اي
ومن ثمرات النخيل والاعناب ثمر تتخذون منه وتكيير تذكير
الضمير على الوجهين الاولين لانه للمضاف المحذوف الذي هو
العصير او لان الثمرات بمعنى الثمر والسكر مصدر سمي به
الخمر ورزقا حسنا كالتمر والزبيب والخل والدبس والاية
ان كانت سابقة على تحريم الخمر فدالة على كراهتها والا فجامعة
بين العتاب والمنة وقيل السكر النبيذ وقيل الطعم قال جعلت
اعراض الكرام سكرا اي تنقلت باعراضهم وقيل ما يسد
الجوع من السكر فيكون الرزق ما يحصل من اثمانه ان في ذلك
لاية لقوم يعقلون يستعملون عقولهم بالنظر والتامل في
الايات واوحى ربك الى النحل الهمها وقذف في قلوبها وقرئ
الى النحل بفتحتين ان اتخذي بان اتخذي ويجوز ان تكون
مفسرة لان في الايحاء معنى القول وتانيث الضمير على المعنى فان
النحل مذكر من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ذكر بحرف
التبعيض لانها لا تبتنى في كل جبل وشجر وكل ما يعرش من كرم او
سقف ولا في كل مكان منها وانما سمى ما تبنيه لتتعسل فيه بيتا
تشبيها ببناء الانسان لما فيه من حسن الصنعة وصحة القسمة التي
لا تتقوى عليها حذاق المهندسين الا بآلات وانظار دقيقة و
لعل ذكره للتنبيه على ذلك وقرئ بيوتا بكسر الباء وقرأ ابن عامر
وابو بكر يعرشون بكسر الراء ثم كلي من كل الثمرات من كل ثمرة
تشتهيها مرها وحلوها فاسلكي ما اكلت سبل ربك في مسالكه
التي يحيل فيها بقدرته النور المر عسلا من افواهك او فاسلكي
راجعة الى بيوتك سبل ربك لا تتوعر عليك ولا تلتبس ذللا جمع
ذلول وهي حال من السبل اي مذللة ذللها الله وسهلها لك او
من الضمير في اسلكي اي وانت ذلل منقادة لما امرت به يخرج

من بطونها عدل به عن خطاب النحل الى خطاب الناس لانه
محل الانعام عليهم والمقصود من خلق النحل والهامه لاجلهم
شراب يعنى العسل لانه مما يشرب واحتج به من زعم ان النحل
تأكل الازهار والاوراق العصرة فتستحيل فى باطنها عسلا ثم
تبقى ادخار الشتاء ومن زعم انها تلتقط بافواهها اجزاء طيبة
حلوة صغيرة متفرقة على الاوراق والازهار وتصنعها فى
بيوتها ادخارا فاذا اجتمع فى بيوتها شئ كثير منها كان العسل
فتر البطون بافواه مختلف الوانه ابيض واصفر واحمر واسود
بسبب اختلاف سن النحل او الفصل فيه شفاء للناس اما
بنفسه كما فى الامراض البلغمية او مع غيره كما فى سائر الامراض
اذ قل ما يكون معجون الا والعسل جزء منه مع ان التنكير فيه
مشعر بالتبعيض ويجوز ان يكون للتعظيم وعن قتادة ان
رجلا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان اخى يشتكى
بطنه فقال اسقه العسل فذهب ثم رجع فقال قد سقيته فما نفع
فقال اذهب واسقه عسلا فقد صدق الله وكذب بطن اخيك
فسقاه فشفاه الله كذا فكانما انشط من عقال وقيل الضمير للقرآن
او لما بين الله من احوال النحل ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون
فان من تدبر اختصاص النحل بتلك العلوم الدقيقة والافعال
العجيبة حق التدبر علم قطعا انه لابد من قادر حكيم يلهمها
ذلك ويحملها عليه والله خلقكم ثم يتوفاكم بآجال مختلفة
ومنكم من يرد الى ارذل العمر اخسه يعنى الهرم الذى يشابه
الطفولة فى نقصان القوة والعقل وقيل هو سبعون سنة و
قيل خمس وسبعون سنة لكيلا يعلم بعد علم شيئا ليصير الى حالة
شبيهة بحال الطفولية فى النسيان وسوء الفهم ان الله عليم
بمقادير اعمارهم قدير يميت الشاب النشيط ويبقى الهرم الفانى

وفيه تنبيه على ان تفاوت آجال الناس ليس الا بتقدير قادر حكيم
ركب ابنيتهم وعدل امزجتهم على قدر معلوم ولو كان مقتضى
الطباع لم يبلغ التفاوت هذا المبلغ والله فضل بعضكم على بعض
فى الرزق فمنكم غنى ومنكم فقير ومنكم موالى يتولون رزقهم
ورزق غيرهم ومنكم مماليك حالهم على خلاف ذلك فما الذين
فضلوا برادى رزقهم بمعطى رزقهم على ما ملكت ايمانهم
على مماليكهم فان ما يرزقون عليهم رزقهم الذى جعله الله فى
ايديهم فهم فيه سواء فالموالى والمماليك سواء فى ان الله رزقهم
فالجملة لازمة الجملة المنفية او مقدرة لها ويجوز ان تكون
واقعة موقع الجواب كأنه قيل فما الذين فضلوا برادى رزقهم
على ما ملكت ايمانهم فيستووا فى الرزق على انه رد وانكار على
المشركين فانهم يشركون بالله بعض مخلوقاته فى الالوهية ولا
يرضون ان يشاركهم عبيدهم فيما انعم الله عليهم فيساووهم
فيه افبنعمة الله يجحدون حيث يتخذون له شركاء فان يقتضى
ان يضاف اليهم بعض ما انعم الله عليهم ويجحدوا انه من عنده
الله اوحيث انكروا مثال هذه الحجج بعد ما انعم الله عليهم بايضاحها
والباء لتضمن الجحود معنى الكفر وقرأ ابو بكر تجحدون بالتاء
كقوله خلقكم وفضل بعضكم على بعض والله جعل لكم من
انفسكم ازواجا اى من جنسكم لتأنسوا بها وليكون اولادكم
مثلكم وقيل هو خلق حواء من ادم عليه السلام وجعل لكم من
ازواجكم بنين وحفدة واولاد اولاد او بنات فان الحامد
هو المسرع فى الخدمة والبنات يخدمن فى البيوت اتم خدمة وقيل
هم الاختان على البنات وقيل الربائب ويجوز ان يراد بها البنون
انفسهم والعطف لتغاير الوصفين ورزقكم من الطيبات من
اللذائذ والحلالات ومن للتبعيض فان المرزوق منها فى الدنيا

انموذج أفبالباطل يؤمنون وهوان الاصنام تنفعهم او
ان من الطيبات ما يحرم عليهم كالبحائر والسوائب و
بنعمة الله هم يكفرون حيث اضافوا نعمته الى الاصنام او
حرموا ما احل الله لهم وتقديم الصلة على الفعل امّا للاهتمام
او لايهام التخصيص مبالغة او للمحافظة على الفواصل و
يعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات و
الارض شيئا من مطر ونبات ورزقا ان جعلته مصدرا او
فشيئا منصوب به والا فبدل عنه ولا يستطيعون ان يتملكوه
او لا استطاعة لهم اصلا وجمع الضمير فيه وتوحيده في لا يملك
لان ما مفرد في معنى الآلهة ويجوز ان يعاد الى الكفار اى
ولا يستطيع هؤلاء مع انهم احياء متصرفون شيئا من ذلك فكيف
بالجماد فلا تضربوا لله الامثال فلا تجعلوا لله مثلا تشركون به
او تقيسونه عليه فان ضرب المثل تشبيه حال بحال ان الله
يعلم فساد ما تعولون عليه من القياس على ان عباده عبيد
الملك ادخل في التعظيم من عباده وعظم جرمكم فيما تفعلون
وانتم لا تعلمون ذلك ولو علمتموه لما جراء تم عليه فهو تعليل
للنهى او انه يعلم كنه الاشياء وانتم لا تعلمون قد عوداكم
دون نصه ويجوز ان يراد فلا تضربوا لله الامثال فانه يعلم
كيف يضرب الامثال وانتم لا تعلمون ثم علمهم كيف يضرب
فضرب مثلا لنفسه ولمن عبد دونه فقال ضرب الله مثلا عبدا
مملوكا لا يقدر على شيء ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق
منه سرا وجهرا هل يستوون مثل ما يشركون به بالمملوك
العاجز من التصرف رأسا ومثل نفسه بالحر المالك الذي رزقه
الله مالا كثيرا فهو يتصرف فيه وينفق منه كيف شاء واحتج
بامتناع الاشتراك والتسوية بينهما مع تشاركهما في الجنسية

والمخلوقية على امتناع التسوية بين الاصنام التي هي اعجز
المخلوقات وبين الله الغني القادر على الاطلاق وقيل هو
تمثيل للكافر المخذول والمؤمن الموفق وتقييد العبد بالمملوك
للتمييز من الحر فانه ايضا عبد الله وسلب القدرة للتمييز عن
المكاتب والمأذون وجعله قسيما للمالك المتصرف يدل على ان
المملوك لا يملك شيئا والاظهر ان من صرفه ليطابق عبدا و
جمع الضمير في يستوون لانه للجنس فان المعنى هل يستوى
الاحرار والعبيد الحمد لله كل الحمد له لا يستحقه غيره فضلا عن
العبادة لانه مولى النعم كلها بل اكثرهم لا يعلمون فيضيفون نعمه
الى غيره ويعبدونه لاجلها وضرب الله مثلا رجلين احدهما ابكم
ولد اخرس لا يفهم ولا يفهم لا يقدر على شيء من الصنائع و
التدابير لنقصان عقله وهو كل على مولاه عيال وثقل على من
يلي امره اينما يوجهه حيثما يرسله مولاه في امر وقرئ يوجه
على البناء للمفعول ويوجه بمعنى يتوجه كقوله اينما اوجه التي سعدا
وتوجه بلفظ الماضي للاثبات بخير يجيء وكفاية مهم هل يستوى
هو ومن يأمر بالعدل ومن هو فهم منطيق ذو كفاية ورشد ينفع
الناس بحثهم على العدل الشامل لجامع الفضائل وهو على صراط
مستقيم وهو في نفسه على طريق مستقيم لا يتوجه الى مطلب الا و
يبلغه بأدنى سعي وانما قابل تلك الصفات بهذين الوصفين
لانهما كمال ما يقابلهما وهذا تمثيل ثان ضربه لنفسه والاصنام
لابطال المشاركة بينه وبينهما او للمؤمن والكافر ولله غيب السموات
والارض يختص به علمه لا يعلمه غيره وهو ما غاب فيهما عن
العباد بان لم يكن محسوسا ولم يدل عليه محسوس وقيل يوم
القيمة فان علمه غائب عن اهل السموات والارض وما امر
الساعة وما امر قيام القيمة في سرعته وسهولته الا كلمح البصر

الأكر جوع الطرف من اعلى الحدقة الى اسفلها او هو اقرب او
امرها اقرب منه بان يكون فى زمان نصف تلك الحركة مثلا او
الآن الذى يبتدا فيه فانه كما يحيى الخلائق دفعة وما يوجد
دفعة كان فى آن ح واو للتخيير او بمعنى زمان بل وقيل معناه
ان قيام الساعة وان تراخى فهو عند الله كالشئ الذى يقولون
فيه هو كلمح البصر او هو اقرب مبالغة فى استقرابه ان الله على
كل شئ قدير فيقدر ان يحيى الخلائق دفعة كما قدر ان احياهم
متدرجا ثم دل على قدرته فقال والله اخرجكم من بطون ه
امهاتكم وقرأ الكسائى بكسر الهمزة على انه لغة او اتباع لما قبلها
وحمزة بكسرها وكسر الميم والهاء من زيدة مثلها فى اهراق لا تعلمون
شيئا جملة الا مستصحبين جهل الجمادية وجعل لكم السمع والابصار
والافئدة آداة تتعلمون بها فتحسنون بمشاعركم جزئيات ه
الاشياء فتدركونها ثم تتنبهون بقلوبكم لمشاركات ومباينات
بينها بتكرير الاحساس حتى يحصل لكم العلوم البديهية وتتمكنوا
من تحصيل المعالم الكسبية بالنظر فيها لعلكم تشكرون كى تعادوا
ما انعم عليكم طورا بعد طور فتشكرونه الم يروا الى الطير قراءة ابن
عامر وحمزة ويعقوب بالتاء على انه خطاب العامة مسخرات ه
مذللات للطيران بما خلق لها من الاجنحة والاسباب المواتية له
فى جو السماء فى الهواء المتباعد من الارض ما يمسكهن فيه الا الله
فان ثقل جسدها يقتضى سقوطها والاعلاقة فوقها والادعامة
تحتها تمسكها ان فى ذلك لآيات فى تسخير الطير للطيران بان
خلقها يمكن معها الطيران وخلق الجو بحيث يمكن الطيران ه
فيها وامساكها فى الهواء على خلاف طبعها لقوم يؤمنون لانهم
هم المنتفعون بها والله جعل لكم من بيوتكم سكنا موضعا تسكنون
فيه وقت اقامتكم كالبيوت المتخذة من الحجر والمدر فعل بمعنى ه

مفعول وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا هى القباب المتخذة
من الآدم ويجوز ان يتناول المتخذة من الوبر والصوف وه
الشعر فانها من حيث انها نابتة على جلودها يصدق عليها ه
انها من جلودها تستخفونها تجدونها خفيفة تخف عليكم ه
حملها وتقلها يوم ظعنكم وقت ترحالكم ووضعها وضربها ه
وقت النزول ويوم اقامتكم وقت الحضر او النزول وقراءة ه
الحجازيان يوم ظعنكم بالفتح وهو لغة ومن اصوافها واوبارها ردها
واشعارها الصوف للمضائنه والوبر للابل والشعر للمعز
واضافتها الى ضمير الانعام لانها من جملتها اثاثا ما يلبس و
يفرش ومتاعا ما يتجر به الى حين الى مدة من الزمان فانها
لصلابتها تبقى مدة مديدة او الى حين مماتكم او الى ان تقضوا
منه اوطاركم والله جعل لكم مما خلق من الشجر والجبال والا
بنية وغيرها ظلالا تنتفعون به حر الشمس وجعل لكم من الجبال
اكنانا مواضع تسكنون بها من الكهوف والبيوت المنحوتة ه
فيها جمع كن وجعل لكم سرابيل ثيابا من الصوف والكتان و
القطن وغيرها تقيكم الحر خصه بالذكر اكتفاء باحد الضدين
او لان وقاية الحر كانت اهم عندهم وسرابيل تقيكم بأسكم ه
يعنى الدروع والجواشن والسربال يعم كل ما يلبس كذلك
كاتمام لهذه النعم التى تقدمت يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون
اى تنظرون فى نعمه فتؤمنون به وتنقادون لحكمه وقرئ ه
تسلمون من السلامة اى تشكرون فتسلمون من العذاب
او تنظرون فيها فتسلمون من الشرك وقيل تسلمون من
الجراح بلبس الدروع فان تولوا اعرضوا ولم يقبلوا منك
فانما عليك البلاغ المبين فلا يضرك فانما عليك البلاغ و
قد بلغت وهذا من اقامة السبب مقام المسبب يعرفون نعمة

الله اى يعرف المشركون نعمة الله التى عدد نها عليهم وغيرها
حيث يعترفون بها وبانها من الله ثم ينكرونها بعبادتهم
غير المنعم بها وقولهم انها بشفاعة آلهتنا او بسبب كذا او
باعراضهم عن اداء حقوقها وقيل نعمة الله نبوة محمد صلى الله
عليه وسلم عرفوها بالمعجزات ثم انكروها عنادا ومعنى
ثم استيعاد الانكار بعد المعرفة واكثرهم الكافرون الجاحدون
عنادا وذكر الاكثر امّا لان بعضهم لم يعرف الحق لنقصان
العقل او التفريط فى النظر او لم يقم عليه الحجة لانه لم يبلغ
حد التكليف وامّا لانه يقام مقام الكل كما فى قوله بل اكثرهم
لا يعلمون ويوم نبعث من كل امة شهيدا وهو نبيها يشهد لهم
عليهم بالايمان والكفر ثم لا يؤذن للذين كفروا فى الاعتذار
اذ لا عذر لهم وقيل فى الرجوع الى الدنيا وثم لزيادة ما يحيق
من شدة المنع عن الاعتذار لما فيه من الاقناط الكلى على ما يعنون
من شهادة الانبياء عليهم ولا هم يستعتبون ولا هم يسترضون
من العتبى وهى الرضاء وانتصاب يوم بمحذوف تقديره اذكر او خوفهم
او يحيق بهم ما يحيق وكذا قوله واذا راى الذين ظلموا العذاب عذاب
جهنم فلا يخفف عنهم اى العذاب ولا هم ينظرون يمهلون واذا
راى الذين اشركوا شركاءهم اوثانهم التى دعوها شركاء او
الشياطين الذين شاركوهم فى الكفر بالحمل عليه قالوا ربنا هؤلاء
شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك نعبدهم او نطيعهم وهو
اعتراف بانهم كانوا مخطئين فى ذلك او التماس لان يشطر عذابهم
فالقوا اليهم القول انكم لكاذبون اى اجابوهم بالتكذيب فى انهم
شركاء الله او انهم عبدوهم حقيقة وانما عبدوا اهواءهم
كقولهم ما كنا مشركين بعبادتهم ولا يمتنع انطاق الاصنام بمع
او فى انهم حملوهم على الكفر والزموهم اياه كقوله وما كان لى

عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لى والقوا والقى
الذين ظلموا الى الله يومئذ السلم الاستسلام لحكمه بعد الا
ستكبار فى الدنيا وضل عنهم وضاع عنهم وبطل ما كانوا
يفترون من ان آلهتهم ينصرونهم ويشفعون لهم حين
كذبوهم وتبرّؤا منهم الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله
بالمنع عن الاسلام والحمل على الكفر زدناهم عذابا الصدهم
فوق العذاب المستحق بكفرهم بما كانوا يفسدون بكونهم
مفسدين بصدهم ويوم نبعث فى كل امة شهيدا عليهم من
انفسهم يعنى نبيهم فان نبىّ كل امة بعث منهم وجئنا بك
يا محمد شهيدا على هؤلاء على امتك ونزلنا عليك الكتاب
استيناف او حال باضمار قد تبيانا بيانا بليغا لكل امة شىء
من امور الدين على التفصيل او الاجمال بالاحالة الى السنة
او القياس وهدى ورحمة للجميع وحرمان المحروم من تفريطه
وبشرى للمسلمين خاصة ان الله يامر بالعدل بالتوسط فى الامور
اعتقادا كالتوحيد المتوسط بين التعطيل والتشريك والقول
بالكسب المتوسط بين محض الجبر والقدر وعملا كالتعبد باداء
الواجبات المتوسط بين البطالة والترهب وخلقا كالجود
المتوسط بين البخل والتبذير والاحسان احسان الطاعات
وهو امّا بحسب الكمية كالتطوع بالنوافل او بحسب الكيفية
كما قال عليه الصلوة والسلام الاحسان ان تعبد الله كانك تراه
فان لم تكن تراه فانه يراك وايتاء ذى القربى واعطاء الاقا
ربين ما يحتاجون اليه وهو تخصيص بعد تعميم للمبالغة وينهى عن
الفحشاء عن الافراط فى مشايعة القوة الشهوية كالزنا فانه
اقبح احوال الانسان واشنعها والمنكر ما ينكر على متعاطيه فى
القوة الغضبية والبغى والاستعلاء والاستبلاء على الناس والتجبر

يأمر صح

انارة

عليهم فانها الشيطنة التى هى مقتضى القوة الوهمية ولا يوجد
من الانسان شر الا وهو مندرج فى هذه الاقسام صادر بتوسط
احدى هذه القوى الثلاث ولذلك قال ابن مسعود هى اجمع
آية فى القران للخير والشر وصارت سبب عثمان بن مظعون
ولو لم يكن فى القران غير هذه الآية لصدق عليه انه تبيان
لكل شئ وهدى ورحمة للعالمين ولعل ايرادها عقيب قوله
ونزلنا عليك الكتاب للتنبيه عليه يعظكم بالامر والنهى والميز
بين الخير والشر لعلكم تذكرون تتعظون واوفوا بعهد الله
يعنى البيعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم لقوله ان الذين يبايعونك
انما يبايعون الله وقيل كل امر يجب الوفاء به ولا يلائمه قوله اذا عاهدتم
وقيل النذر وقيل الايمان بالله ولا تنقضوا الايمان ايمان
البيعة او مطلق الايمان بعد توكيدها بتوثيقها بذكر الله ومنه
اكد بقلب الواو همزة وقد جعلتم الله عليكم كفيلا شاهدا
بتلك البيعة فان الكفيل مراع لحال المكفول به رقيب عليه
ان الله يعلم ما تفعلون فى نقض الايمان ولا تكونوا كالتى
نقضت غزلها والعهود ما غزلته مصدر بمعنى المفعول من
بعد قوة متعلق بنقضت اى غزلها من بعد ابرام واحكام
انكاثا طاقات لكث فتلها جمع نكث وانتصابه على الحال من
غزلها او المفعول الثانى لنقضت فانه بمعنى صيرت والمراد به تشبيه الناقض
بمن هذا شانه وقيل هى ريطة بنت سعد بن تيم القريشية فانها كانت
خرقاء تفعل ذلك تتخذون ايمانكم دخلا بينكم حال من الضمير فى ولا
تكونوا او فى الجار الواقع موقع الخبر اى لا تكونوا متشبهين بامراة هذا
شانها متخذى ايمانكم مفسدة ودخلا بينكم واصل الدخول ما يدخل
الشئ ولم يكن منه ان تكون امة هى اربى من امة بان تكون جماعة
ازيد عددا او اوفر مالا من جماعة والمعنى لا تغدروا بقوم لكثرتكم

وقلتهم او لكثرة منابذيهم وقوتهم كقريش فانهم كانوا اذا
راوا شوكة فى اعادى حلفائهم نقضوا عهدهم وحالفوا
اعداءهم انما يبلوكم الله به الضمير لان تكون امة لانه بمعنى
المصدر اى يختبركم بكونهم ادنى لينظر اتتمسكون بحبل
الوفاء بعهد الله وبيعة رسوله ام تغترون بكثرة قريش
وشوكتهم وقلة المؤمنين وضعفهم وقيل الضمير لان الى و
قيل للام بالوفاء وليبينن لكم يوم القيمة ما كنتم فيه تختلفون
اذ اجازاكم على اعمالكم بالثواب والعقاب ولو شاء الله لجعل كم
امة واحدة متفقة على الاسلام ولكن يضل من يشاء بالخذلان
ويهدى من يشاء بالتوفيق ولتسئلن عما كنتم تعملون سؤال
تبكيت ومجازاة ولا تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم تصريح بالنهى عنه
بعد التضمين تاكيدا ومبالغة فى قبح المنهى فتزل قدم اى عن
محجة الاسلام بعد ثبوتها عليها والمراد اقدامهم وانما وحد و
ذكر للدلالة على ان ذلك قدم واحدة عظيم فكيف باقدام كثيرة
وتذوقوا السوء العذاب فى الدنيا بما صددتم عن سبيل الله بسبب
صدودكم عن الوفاء او صدكم غيركم عنه فان من نقض
البيعة وارتد جعل ذلك سنة لغيره ولكم عذاب عظيم فى الاخرة
ولا تشتروا بعهد الله ولا تستبدلوا عهد الله وبيعة رسوله ثمنا
قليلا عرضا يسيرا وهو ما كانت قريش يعدون لضعفاء المسلمين
ويشترطون على الارتداد انما عند الله من النصر والتغنيم فى الدنيا
والثواب فى الاخرة الآخرة هو خير لكم مما يعدوكم ان كنتم تعلمون
ان كنتم من اهل العلم والتمييز ما عندكم من اعراض الدنيا ينفد
ينقضى ويفنى وما عند الله من خزائن رحمته باق لا ينفد وهو
تعليل الحكم السابق ودليل على ان نعيم اهل الجنة باق ولنجزين
الذين صبروا اجرهم على الفاقة واذى الكفار او على مشاق

كم

التكاليف وقرأ ابن كثير وعاصم بالنون باحسن ما كانوا يعملون
بما من حقه فعله من اعمالهم كالواجبات والمندوبات او بجزاء هو
احسن من اعمالهم من عمل صالحا من ذكر او انثى بينه بالنوعين
دفعا للتخصيص وهو مؤمن اذ لا اعتداد باعمال الكفرة في استحقاق
الثواب وانما المتوقع عليها تخفيف العقاب فلنحيينه حياة
طيبة في الدنيا يعيش عيشا طيبا فانه ان كان مؤمنا فظاهر
وان كان معتزلا يطيب عيشه بالقناعة والرضى بالقسمة و
توقع الاجر العظيم في الاخرة بخلاف الكافر فانه ان كان معتزلا
فظاهر وان كان مؤمنا له يدع الحرص وخوف الفوات ان
يتهنا بعيشة وقيل في الاخرة ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا
يعملون من الطاعة فاذا قرأت القرآن اذا اردت قراءته كقوله
اذا قمتم الى الصلاة فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم فاسئل الله
ان يعيذك من وساوسه لئلا يوسوسك في قراءته والجمهور
على انه للاستحباب وفيه دليل على المصلي يستعيذ في كل ركعة لان
الحكم المترتب على شرط يتكرر بتكرره وتعقيبه لذكر العمل الصالح
والوعد عليه ايذان بان الاستعاذة عند القراءة من هذا القبيل و
عن ابن مسعود قرأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت
اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم فقال قل اعوذ بالله
من الشيطان الرجيم هكذا اقرأنيه جبريل عن القلم عن اللوح
المحفوظ انه ليس له سلطان تسلط وولاية على الذين آمنوا و
على ربهم يتوكلون على اولياء الله المؤمنين به والمتوكلين عليه
فانهم لا يطيعون اوامره ولا يقبلون وساوسه الا فيما يحتفون
على ندور وغفلة ولذلك امروا بالاستعاذة فذكر السلطنة بعد
الامر بالاستعاذة لئلا يتوهم منه ان له سلطنة انما سلطانه على
الذين يتولونه ويحبونه ويطيعونه والذين هم به مشركون بالله

او بسبب الشيطان واذا بدلنا آية مكان آية بالنسخ فجعلنا الآية
الناسخة مكان المنسوخة لفظا او حكما والله اعلم بما ينزل وهو
من المصالح فلعل ما يكون مصلحة في وقت فيصير مفسدة بعده
فينسخه وما لا يكون مصلحة حينئذ يكون مصلحة الآن فينبه
مكانه وقرأ ابن كثير وابو عمرو بالتخفيف قالوا اي الكفرة انما
انت مفتر متقول على الله تأمر بشيء ثم يبدو لك فتنهى عنه و
هو جواب اذا والله اعلم بما ينزل اعتراض لتوبيخ الكفار على
قولهم والتنبيه على فساد سندهم ويجوز ان يكون حالا بل
اكثرهم لا يعلمون حكمة الاحكام ولا يتميزون الخطاء من الصواب
قل نزله روح القدس يعني جبريل واضافة الروح الى القدس
وهو الطهر كقولهم حاتم الجود وقرأ ابن كثير روح القدس بالتخفيف
وفي ينزل وننزل على ان النزال مدرجا على حسب المصالح مما هو
يقتضي التبديل من ربك بالحق ملتبسا بالحكمة ليثبت الذين آمنوا
على الايمان بانه كلام ربهم اذا سمعوا الناسخ وتدبروا ما فيه
من رعاية الصلاح والحكمة رسخت عقائدهم واطمأنت قلوبهم وهدى
وبشرى للمسلمين المنقادين لحكمه وهما معطوفات على ليثبت
اي تثبيتا وهداية وبشارة وفيه تعريض بحصول اضداد ذلك
لغيرهم وقرئ بالتخفيف ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه
بشر يعنون جبرا غلام رومي لعامر بن الحضرمي وقيل جبر
ويسار كانا يصنعان السيوف بمكة ويقرآن التوراة والانجيل
وكان الرسول يمر عليهما ويسمع ما يقرآنه وقيل عائش غلام
خويطب بن عبد العزى قد اسلم وكان صاحب كتب وقيل
سلمان الفارسي لسان الذي يلحدون اليه اعجمي لغة الرجل
الذي يميلون قلوبهم عن الاستقامة اليه ملحوظ من لحد القبر
وقرأ حمزة والكسائي يلحدون بفتح الياء والحاء لسان اعجمي

ب

غير ذي عوج وهذا القران لسان عربي مبين ذو بيان وفصاحة
والجملتان مستأنفتان لابطال طعنهم وتقريره يحتمل وجهين ه
احدهما ان مايسمعه منه كلام اعجمي لايفهمه هو ولا انتم والقران
عربي تفهمونه بادنى تأمل فكيف يكون ما تلقفه منه وثانيهما
بفرض انه تعلم منه المعنى باستماع كلام لكن لم يتلقف منه اللفظ ه
لان ذاك عجمي وهذا عربي والقران كما هو معجز باعتبار المعنى
فهو معجز من حيث اللفظ مع ان العلوم الكثيرة التي في القران ه
لايمكن تعلمها الا بملازمة معلم فايق في تلك العلوم مدة مطا
متطاولة فكيف تعلم جميع ذلك من غلام سوقي سمع منه بعض
اوقات مروره عليه كلمات اعجمية لعلهم لم يعرفوا معناها ه
وطعنهم في القران بامثال هذه الكلمات الركيكة دليل على غاية
عجزهم ان الذين لايؤمنون بايات الله لايصدقون انها من
عند الله لايهديهم الله الى الحق او الى سبيل النجاة وقيل الى ه
الجنة ولهم عذاب اليم في الاخرة هددهم على كفرهم بالقران بعد
ما اماط شبهتهم ورد طعنهم فيه ثم قلب الامر عليهم فقال ه
انما يفتري الكذب الذين لايؤمنون بايات الله لانهم لايخا
فون عقابا يردعهم عنه واولئك اشارة الى الذين كفروا او
الى قريش هم الكاذبون اى الكاذبون على الحقيقة او الكاملون
في الكذب لان تكذيب ايات الله والطعن فيها بهذه الحزافات
اعظم الكذب او الذين عادتهم الكذب لايصرفهم عنه دين ولا
مروءة او الكاذبون في قولهم انت مفتر انما يعلمه بشر من كفر
بالله من بعد ايمانه بدل من الذين لايؤمنون وما بينهما اعتراض
او من اولئك او من الكاذبون او مبتدا خبره محذوف دل ه
عليه قوله فعليهم غضب ويجوز ان ينتصب بالذم وان تكون
من شرطية محذوفة الجواب الا من اكره على الافتراء او كلمة ه

الكفر استثناء متصل لان الكفر لغة يعم القول والعقد كالايمان
وقلبه مطمئن بالايمان لم تتغير عقيدته وفيه دليل على ان ه
الايمان هو التصديق بالقلب ولكن من شرح بالكفر صدرا ه
اعتقده وطاب به نفسا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب ه
عظيم اذ لا اعظم من جرمه روى ان قريشا اكرهوا عمارا ه
وابويه ياسرا وسمية على الارتداد فربطوا سمية بين بعيرين
ووجئ بحربة في قبلها وقالوا انك اسلمت من اجل الرجال ه
فقتلت وقتلوا ياسرا وهما اول قتيلين في الاسلام واعطاهم
عمار بلسانه ما ارادوا منه فقيل يا رسول الله ان عمارا كفر
فقال كلا ان عمارا ملئ ايمانا من قرنه الى قدمه واختلط الايما
بلحمه ودمه فاتى عمار الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
يبكي فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح عينيه وقال مالك
ان عادوا لك فعد لهم بما قلت وهو دليل على جواز التكلم با ه
لكفر عند الاكراه وان كان الافضل ان يجتنب عنه اعزازا ه
للدين كما فعله ابواه لما روى ان مسيلمة اخذ رجلين فقال
لاحدهما ما تقول في محمد قال رسول الله قال فما تقول فيّ ه
قال انت ايضا فخلاه وقال للآخر ما تقول في محمد قال رسول
الله قال فما تقول فيّ قال انا اصم فاعاد عليه ثلاثا فاعاد ه
جوابه فقتله فبلغ ذلك رسول الله فقال اما الاول اخذ برخصة
الله واما الثاني فقد صدع بالحق فهنيئا له ذلك اشارة الى ه
الكفر بعد الايمان او الوعيد للكافرين بانهم استحبوا الحيوة
الدنيا على الآخرة بسبب انهم اثروها عليها وان الله لا ه
يهدي القوم الكافرين في علمه الى ما يوجب ثبات الايمان
ولا يعصمهم عن الزيغ اولئك الذين طبع الله على قلوبهم و
سمعهم وابصارهم فابت عن ادراك الحق والتأمل فيه

واولئك هم الغافلون الكاملون فى الغفلة اذ غفلتهم
للحالة الزاهنة عن تدبر العواقب لاجرم انهم فى الخسرة هم
الخاسرون اذ ضيعوا اعمارهم وصرفوها فيما افضى بهم الى
العذاب المخلد ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا
اى عذبوا كعمار بالولاية والنصرة ثم لتباعد حال هؤلاء
عن حال اولئك وقراء ابن عامر فتنوا بالفتح اى ما عذبوا المؤ
منين كالخضرمى اكره مولا مجبرا حتى ارتد ثم اسلما وهاجرا
ثم جاهدوا وصبروا على الجهاد وما اصابهم من المشاق ان
ربك من بعدها اى من بعد الهجرة والجهاد والصبر لغفور لما
فعلوا قبل رحيم ينعم عليهم مجازاة على ما صنعوا يوم تاتى
كل نفس منصوب برحيم او باذكر تجادل عن نفسها تجادل عن
ذاتها وتسعى فى خلاصها لا يهمها شان غيرها فتقول نفسى نفسى
وتوفى كل نفس ما عملت جزاء ما عملت وهم لا يظلمون لا
ينقصون اجورهم وضرب الله مثلا قرية اى جعلها مثلا
لكل قوم انعم الله عليهم فابطرتهم النعمة فكفروا فانزل الله
عليهم النقمة او لمكة كانت امنة مطمئنة لا يزعج اهلها خوف
يأتيها رزقها اقواتها رغدا واسعا من كل مكان من نواحيها
فكفرت بانعم الله جمع نعمة على ترك الاعتداد بالتاء كدرع و
ادرع او جمع نعم كبوس وابؤس فاذاقها الله لباس الجوع و
الخوف استعار الذوق لادراك اثر الضرر واللباس لما غشيهم
واشتمل عليهم من الجوع والخوف واوقع الاذاقة عليه بالنظر الى
المستعار له كقول كثير غمر الرداء اذا تبسم ضاحكا غلقت لضحكته
رقاب المال فانه استعار الرداء للمعروف لانه يصون عرض صاحبه
صون الرداء لما يلقى عليه واضاف اليه الغمر الذى هو وصف للمعروف
والنوال لاوصف الرداء نظرا الى المستعار له وقد ينظر الى المستعار

كقوله ينازعنى رداى عبد عمرو رويدك يا اخا عمرو بن بكر هـ
الى الشطر الذى ملكت يمينى ودونك فاعتجى منه بشطر استعار هـ
الرداء لسيفه ثم قال فاعتجى نظرا الى المستعار بما كانوا يصنعون
بصنيعهم ولقد جاءهم رسول منهم يعنى محمدا او الضمير لاهل مكة
عاد الى ذكرهم بعد ما ذكر مثلهم فكذبوه فاخذهم العذاب وهم هـ
ظالمون اى حال التباسهم بالظلم والعذاب ما اصابهم من الجدب
الشديد او وقعة بدر فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا امرهم
باكل ما احل الله لهم وشكر ما انعم عليهم بعد ما زجرهم عن الكفر
وهدهم عليه بما ذكر من التمثيل والعذاب الذى حل بهم صدا هـ
لهم عن صنيع الجاهلية ومذاهبها الفاسدة واشكروا نعمة الله
ان كنتم اياه تعبدون تطيعون او ان صح زعمكم انكم تقصدون
بعبادة الآلهة عبادته انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير
وما اهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان الله
غفور رحيم امرهم بتناول ما احل لهم ثم عدد عليهم محرما
ليعلم ان ما عداها احل لهم ثم اكد ذلك بالنهى عن التحريم والحكم
التحليل باهوائهم فقال ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب
هذا حلال وهذا حرام كما قالوا ما فى بطون هذه الانعام خالصة
لذكورنا الاية ومقتضى سياق الكلام وتصدير الجملة بانما
حصر المحرمات فى الاجناس الاربعة الا ما ضم اليها دليل كالتبا
والحمر الاهلية وانتصاب الكذب بلا تقولوا وهذا حلال وهذا
حرام بدل منه او متعلق بتصف على ارادة القول اى ولا تقولوا
الكذب لما تصف السنتكم فتقول هذا حلال وهذا حرام او مفعول
لا تقولوا والكذب منتصب بتصف وما مصدرية اى ولا تقولوا
هذا حلال وهذا حرام لوصف السنتكم الكذب اى لا تحللوا ولا
تحرموا بمجرد قول تنطق به السنتكم من غير دليل ووصف هـ

ته

ع

السنتهم الكذب مبالغة فى وصف كلامهم بالكذب كان حقيقة
الكذب كانت مجهولة والسنتهم تصفها وتصرفها بكلامهم هذا
ولذلك عدّ من فصيح الكلام كقولهم وجهها يصف الجمال وعينها
تصف السحى وقرئ الكذب بالجرّ بدلا منها والكذب جمع كذوب
اوكذاب بالرفع صفة للالسنة وبالنصب على الذمّ اوبمعنى
الكلم الكواذب لتفتروا على الله الكذب تعليل لايتضمّن الغرض
انّ الذين يفترون على الله الكذب لايفلحون لما كان المفترى
يفترى لتحصيل مطلوب نفى عنهم الفلاح وبينه بقوله متاع
قليل اى مايفترون لاجله اوماهم فيه منفعة قليلة ينقطع
عن قريب ولهم عذاب اليم فى الاخرة وعلى الذين هادوا حرّمنا
ماقصصنا عليك اى فى سورة الانعام فى قوله وعلى الذين هادوا
حرّمنا كلّ ذى ظفر من قبل متعلق بقصصنا اوبحرّمنا وماظلمنا
هم بالتحريم ولكن كانوا انفسهم يظلمون حيث فعلوا ماعوقبوا
به عليه وفيه تنبيه على الفرق بينهم وبين غيرهم فى التحريم وانه
كما يكون للمضرّة يكون للعقوبة ثم انّ ربّك للذين عملوا السوء
بجهالة بسببها اوملتبسين بما يعمّ الجهل بالله وبعقابه وعدم
التدبّر فى العواقب لغلبة الشهوة والسوء يعمّ الافتراء على
الله وغيره ثم تابوا من بعد ذلك واصلحوا انّ ربّك من بعدها
من بعد التوبة لغفور لذلك السوء رحيم يثيب على الانابة
ابراهيم كان امّة لكماله واستجماعه فضائل لاتكاد توجد الّا
مفرّقة فى اشخاص كثيرة كقوله وليس من الله بمستنكر ان يجمع
العالم فى واحد وهو رئيس الموحّدين وقدوة المحققين الذى
جادل فرق المشركين وابطل مذاهبهم الزائغة بالحجج الدامغة
ولذلك عقب ذكره بتزييف مذاهب المشركين من الشرك وهو
الطعن فى النبوة وتحريم ما احلّه اولانه كان وحده مؤمنا و

كان سائر الناس كفارا وقيل هى فعلة بمعنى مفعول كالرحلة و
النخبة من امّه اذا قصده اواقتدى به فان الناس كانوا هو
يومونه للاستفادة ويقتدون بسيرته كقوله انى جاعلك هو
للناس اماما قانتا لله مطيعا له قائما باوامره حنيفا مائلا عن
الباطل ولم يك من المشركين كما زعموا فان قريشا كانوا يزعمون
انهم على ملة ابراهيم شاكرا لانعمه ذكى بلفظ القلة للتنبيه هو
على انه كان لايخل بشكر النعمة القليلة فكيف بالكثيرة اجتباه هو
للنبوة وهداه الى صراط مستقيم فى الدعوة الى الله واتيناه فى الدّ
نيا حسنة بالقاء محبته الى الناس حتى ان ارباب الملل يتولونه وهو
يثنون عليه ورزقه الله اولادا طيبة وعمرا طويلا فى السعة
والطاعة وانه فى الاخرة لمن الصالحين لمن اهل الجنة كما سئله
بقوله والحقنى بالصالحين ثم اوحينا اليك يا محمد وثم اما هو
لتعظيمه والتنبيه على ما اوتى ابراهيم اتباع الرسول صلى الله هو
عليه وسلم ملته اولتراخى ايامه ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا
فى التوحيد والدعوة اليه بالرفق وايراد الدلائل مرة بعد اخرى
والمجادلة مع كلّ احد على حسب فهمه وماكان من المشركين بل
كان قدوة الموحّدين انما جعل السبت تعظيم السبت والتخلى فيه
للعبادة على الذين اختلفوا فيه اى على نبيّهم وهم اليهود امر
هم موسى عليه السلام ان يتفرّغوا للعبادة يوم الجمعة فابوا هو
وقالوا نريد يوم السبت لانه تعالى فرغ فيه من خلق السموات و
الارض فالزمهم الله السبت وشدّد الامر عليهم وقيل معناه
انما جعل وبال السبت وهو المسخ على الذين اختلفوا فيه هو
فاحلّوا الصيد فيه تارة وحرّموه اخرى واحتالوا له الحيل و هو
ذكرهم ههنا لتهديد المشركين كذكر القرية التى كفرت بانعم هو
الله وانّ ربّك ليحكم بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون

انّ

بالمجازاة على الاختلاف بمجازاة كل فريق بما يستحقه ادع هم
من بعثت اليهم الى سبيل ربك الى الاسلام بالحكمة بالمقالة
المحكمة وهو الدليل الموضح للحق المزيح للشبهة والموعظة
الحسنة الخطابات المقنعة والعبر النافعة والاولى لدعوة
خواص الامة الطالبين للحقايق والثانى لدعوة عوامهم و
جادلهم وجادل معاندیهم بالتى هى احسن بالطريقة التى هى
احسن طرق المجادلة من الرفق واللين وايثار الوجه الا
يس والمقدمات الاشهر فان ذلك انفع فى تسكين لهيبهم و
تبيين شعبهم ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو
اعلم بالمهتدين اى اتم عليك البلاغ والدعوة واما حصول
الهداية والضلال والمجازات عليهما فلا اليك وهو اعلم بالضا
لين والمهتدين وهو المجازى لهم وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما
عوقبتم به لما امره بالدعوة وبين طرقها اشار اليه والى من
شايعه بالمخالفة ومراعات العدل مع من يناصبهم فان الدعو
لا تنفعك عنه من حيث انها تتضمن رفض العادات وترك
الشهوات والقدح فى دين الاسلاف والحكم عليهم بالكفر و
الضلال وقيل انه عليه الصلوة والسلام لما راى حمزة وقد مثل
به فقال والله لئن اظفرنى الله بهم لامثلنهم سبعين مكانك
فنزلت فكف عن يمينه وفيه دليل على ان للمفتضل ان يماثل
الجانى وليس له ان يجاوز وحث على العفو تعريضا بقوله و
ان عاقبتم وتصريحا على الوجه الاكد بقوله ولئن صبرتم لهو اى
الصبر خير للصابرين من الانتقام للمنتقمين ثم صرح الامر به
لرسوله لانه اولى الناس به لزيادة علمه بالله ووثوقه عليه
واصبر وما صبرك الا بالله الا بتوفيقه وتثبيته ولا تحزن
عليهم على الكافرين او على المؤمنين وما فعل بهم ولا تك فى ضيق

بسم الله الرحمن الرحيم

مما يمكرون فى ضيق صدر من مكرهم وقرأ ابن كثير فى ضيق
هنا وفى النمل ان الله مع الذين اتقوا المعاصى والذين هم محسنون
فى اعمالهم بالولاية والفضل او مع الذين اتقوا الله بتعظيم امر
دينه والذين هم محسنون بالشفقة على خلقه عن النبى صلى الله
عليه وسلم من قرأ سورة النحل لم يحاسبه الله بما انعم عليه
فى دار الدنيا وان مات فى يومها او ليلة كان له من الاجر
كالذى مات واحسن الوصية سورة بنى اسرائيل مكية وقيل
الا قوله وان كادوا ليفتنونك الى آخر ثمان آيات وهى مائة و
عشرون اية

سبحان الذى اسرى بعبده ليلا سبحان اسم بمعنى التسبيح الذى
هو التنزيه وقد يستعمل علما له فيقطع عن الاضافة ويمنع الصرف
قال فوقلت لما جاءنى فخره سبحان من علقمة الفاخر وانتصا
بفعل متروك اظهاره وتصدير الكلام به للتنزيه عن العجز عما
ذكر بعده واسرى وسرى بمعنى وليلا نصب على الظرف وفائد
الدلالة بتنكيره على تقليل مدة الاسرى ولذلك قرئ من الليل اى
بعضه كقوله ومن الليل فتهجد به من المسجد الحرام بعينه لما روى
انه عليه الصلوة والسلام قال بينا انا فى المسجد الحرام فى الحجر عند
البيت بين النائم واليقظان اذا اتانى جبرائيل بالبراق او من
الحرم وسماه المسجد الحرام لانه كله مسجد او لانه محيط به ليطا
المبتداء المنتهى لما روى انه كان نائما فى بيت ام هانى بعد صلوة
العشاء فاسرى به ورجع من ليلته وقص القصة عليها وقال مثل
لى النبيون فصليت بهم ثم خرج الى المسجد واخبر به قريشا فتعجبوا
منه استحالة وارتد ناس ممن آمن به وسعى رجل الى ابى بكر
فقال ان كان قال لقد صدق قالوا اتصدقه على ذلك قال انى لاصدقه
على ابعد من ذلك فسمى الصديق واستنعته طائفة سافروا

د. واصح
ئدته

بف

الى بيت المقدس تجلى له فطفق ينظر اليه وينعته لهم فقالوا
امّا النعت فقد اصاب فقالوا اخبرنا عن غيرنا فاخبرهم
بعدد جمالها واحوالها وقال تقدم يوم كذا مع طلوع الفجر
يقدمها جمل اورق فجاءوا يشتدون الى الثنية فصادفوا
العير كما اخبرهم ثم لم يؤمنوا وقالوا ما هذا الا سحر مبين وكان
ذلك قبل الهجرة بسنة واختلف في انه كان في المنام اوفى اليقظة
بروحه او بجسده والاكثر على انه اسرى بجسده
الى بيت المقدس ثم عرج به الى السموات حتى انتهى الى سدرة
المنتهى ولذلك تعجب قريش واستحالوه والاستحالة مدفوعة
بما ثبت في الهندسة ان ما بين طرفي قرص الشمس ضعف ما بين
طرفي كرة الارض مائة واثنا وستين مرة ثم ان طرفها الاسفل
يصل موضع طرفها الاعلى في اقل من ثانيه وقد برهن في الكلام
على ان الاجسام متساوية في قبول الاعراض وان الله قادر
على كل الممكنات فيقدر ان يخلق مثل هذه الحركة السريعة في
بدن النبي صلى الله عليه وسلم او فيما يحمله والتعجب من لوازم
المعجزات الى المسجد الاقصى بيت المقدس لانه لم يكن حينئذ وراءه
مسجد الذي باركنا حوله ببركات الدين والدنيا لانه مهبط
الوحي ومتعبد الانبياء من لدن موسى ومحفوف بالانهار
والاشجار لنريه من اياتنا كذهابه في برهة من الليل مسيرة
شهر ومشاهدته بيت المقدس وتمثيل الانبياء له ووقوفه
على مقاماتهم وصرف الكلام من الغيبة الى التكلم لتعظيم تلك
البركات والايات وقرئ ليريه بالياء انه هو السميع لاقوال
محمد صلى الله عليه وسلم البصير لافعاله فيكرمه ويقربه على
حسب ذلك وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني اسرائيل
ان لا تتخذوا على ان لا تتخذوا كقولك كتبت اليه ان افعل كذا وقرأ

والاشجار

ابو عمرو بالياء من دوني وكيلا ربا تكلون اليه امركم غيري
ذرية من حملنا مع نوح نصب على الاختصاص او النداء ان
قرئ لا تتخذوا بالتاء او على انه احد مفعولي لا تتخذوا من دوني
حال من وكيلا فيكون كقوله ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة و
النبيين اربابا وقرئ بالرفع على انه خبر محذوف او بدل من
واو تتخذوا وذرية بكسر الذال وفيه تذكير بانعام الله عليهم
في انجاء آبائهم من الغرق بحملهم مع نوح في السفينة انه اي نوحا
عليه السلام كان عبدا شكورا يحمد الله على مجامع احواله و
فيه ايماء بان انجاءه ومن معه كان ببركة شكره وحث للذرية
على الاقتداء به وقيل الضمير لموسى وقضينا الى بني اسرائيل واو
حينا اليهم وحيا مقضيا في الكتاب في التوراة لتفسدن في الارض
جواب قسم محذوف او قضينا على لجراء القضاء المنبوت مجرى
القسم مرتين افسادتين اولهما مخالفة احكام التوراة وقتل
شعيا وثانيهما قتل زكريا ويحيى وقصد قتل عيسى عليه السلام
ولتعلن علوا كبيرا ولتستكبرن عن طاعة الله اولتظلمن الناس
فاذا جاء وعد اولاهما وعد عقاب اولهما بعثنا عليكم عبادا
لنا بخت نصر عامل لهراسف على بابل وجنوده وقيل جالوت
الجزري وقيل سنجاريب من اهل نينوى اولي بأس شديد
ذوي قوة وبطش في الحرب شديد فجاسوا فتردوا لطلبكم
وقرئ بالحاء وهما اخوان خلال الديار وسطها للقتل والغارة
قتلوا كباركم وسبوا صغاركم وحرقوا التوراة وخربوا المسجد
والمعنى له لما منعوا تسليط الله الكافر على ذلك اولوا البعث
بالتخلية وعدم المنع وكان وعدا مفعولا وكان وعد عقابهم
لابد ان يفعل ثم رددنا لكم الكرة اي الدولة والغلبة عليهم
اي على الذين بعثوا عليكم وذلك بان القى الله في قلب بهمن بن

اسفنديار لما ورث الملك من جده كشتاسف بن لهراسف ه
لشفقة عليهم فرد اسراءهم الى الشام وملك دانيال عليهم فاستولى
على من كان فيها من اتباع بخت نصر او بان سلط داود على
جالوت فقتله وامددناكم باموال وبنين وجعلناكم اكثر ه
نفيرا امما كنتم والنفير من ينفر مع الرجل من قومه وقيل جمع ه
نفر وهم المجتمعون للذهاب الى العدو ان احسنتم احسنتم لانه
نفسكم لان ثوابه لها وان اسأتم فلها فان وبالها عليها وانما
ذكر بالام اذ دواجا فاذا جاء وعد الآخرة وعد عقوبة المرة
الاخرة ليسوءوا وجوهكم اى بعثناهم ليسوءوا وجوهكم ليجعلوها
بادية آثار المساءة فيها فحذف لدلالة ذكره اولى عليه وقراءة ابن
عامر وحمزة وابو بكر ليسوء على التوحيد والضمير فيه للوعد او
للبعث او لله ويعضده قراءة الكسائي بالنون وقرئ ليسوءن ه
بالنون والياء والنون المخففة والمثقلة وليسوء بفتح اللام على
الاوجه الاربعة على انه جواب اذا واللام في قوله وليدخلوا المسجد
متعلق بمحذوف هو بعثناكم كما دخلوه اول مرة وليتبروا ليهلكوا
ما علوا ما غلبوه واستولوا عليه او مدة علوهم تتبيرا وذلك بان
سلط الله عليهم الفرس مرة اخرى ففزاهم ملك بابل من ملوك
الطوائف اسمه جرود وقيل خردوس قيل دخل صاحب الجيش
مذبح قرابينهم فوجد فيه دما يغلي فسألهم عنه فقالوا دم قربان
لم يقبل منا فقال ما تصدقوني فقتل عليه الوفا منهم فلم يهدأ
الدم قال ان لم تصدقوني ما تركت منكم احدا فقالوا انه دم ه
يحيى عليه السلام فقال لمثل هذا ينتقم ربكم منكم ثم قال يا يحيى قد علم
ربي وربك ما اصاب قومك من اجلك فاهدأ باذن الله قبل ه
ان لا ابقي احدا منهم فهدأ عسى ربكم ان يرحمكم بعد المرة الاخرى
وان عدتم نوبة اخرى عدنا مرة ثالثة الى عقوبتكم وقد عادوا

بتكذيب محمد صلى الله عليه وسلم وقصدوا قتله فعاد الله ه
بتسليطه عليهم ففتل قريظة واجلى بني النضير وضرب ه
الجزية على الباقين هذا لهم في الدنيا وجعلنا جهنم للكافرين
حصيرا محبسا لا يقدرون على الخروج منها ابد الآباد وقيل بساطا
كما يبسط الحصير ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم للحالة ه
او الطريقة التي هي اقدم الحالات او الطرق ويبشر المؤمنين
الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا كبيرا وقراءة حمزة ويبشر
بالتخفيف وان الذين لا يؤمنون بالآخرة اعتدنا لهم عذابا
اليما عطف على ان لهم والمعنى انه يبشر المؤمنين ببشارتين
ثوابهم وعقاب اعدائهم او على يبشر باضمار يخبر ويدع ه
الانسان بالشر ويدع الله عند غضبه بالشر على نفسه واهله
وماله او يدعوه بما يحسبه خيرا وهو شر دعاءه بالخير مثل
دعائه بالخير وكان الانسان عجولا يسارع الى كل ما يخطر ه
بباله لا ينظر عاقبته وقيل المراد آدم فانه لما انتهى الروح الى سرته
ذهب ينهض فسقط وروي انه عليه الصلوة والسلام دفع اليرا
الى سودة بنت زمعة فرحمته لانينه فارخت كتافه فهرب فدعا
عليها بقطع اليد ثم ندم فقال اللهم انما انا بشر فمن دعوت عليه
فاجعل دعائي عليه رحمة له فنزلت ويجوز ان يريد بالانسان
الكافر وبالدعاء استعجاله بالعذاب استهزاء كقول النضر بن
الحارث اللهم انصر خير الحزبين اللهم ان كان هذا هو الحق من
عندك فامطر علينا حجارة من السماء فاجيب له فضرب عنقه
يوم بدر صبرا وجعلنا الليل والنهار آيتين تدلان على ه
القادر الحكيم بتعاقبهما على نسق واحد باسكان غير ه
فمحونا آية الليل اى الاية التي هي الليل بالاشراق والاضافة ه
فيهما للتبيين كاضافة العدد الى المعدود وجعلنا آية النهار

مُبصِرَةً مضيئة او مبصرة للناس من ابصره فبصر او مبصرا اهله كقولهم اجبن الرجل اذا كان اهل جبناء وقيل الايتان القمر والشمس وتقدير الكلام وجعلنا نيري الليل والنهار آيتين او جعلنا الليل والنهار ذوى آيتين ومحو آية الليل التى هى القمر جعلها مظلمة فى نفسها مطموسة النور او نقص نورها شيئا فشيئا الى المحاق وجعل آية النهار التى هى الشمس مبصرة جعلها ذات شعاع تبصر الاشياء بضوئها لتبتغوا فضلا من ربكم لتطلبوا فى بياض النهار اسباب معاشكم وتتوصلوا به الى استبانة اعمالكم ولتعلموا باختلافهما او بكونهما على هاتين الصفتين والحساب جنس الحساب وكل شئ تفتقرون اليه فى امر الدين والدنيا فصلناه تفصيلا بيناه بيانا غير ملتبس وكل انسان الزمناه طائره عمله وما قدر له كائنا طير اليه من عش الغيب ووكر القدر لما كانوا يتيمنون ويتشاءمون بسنوح الطائر وبروحه استعير لما هو سبب الخير والشر من قدر الله وعمل العبد فى عنقه لزوم الطوق فى عنقه ونخرج له يوم القيمة كتابا هى صحيفة عمله او نفسه المنتقشة باثار اعماله فان الافعال الاختيارية تحدث فى النفس احوالا ولذلك يفيد تكريرها لها ملكات ونصبه بانه مفعول اوحال من مفعول محذوف وهو ضمير الطائر ويعضده قراءة يعقوب ويخرج من خرج وقرئ ويخرج اى الله يلقاه منشورا لكشف الغطاء وهما صفتان للكتاب او يلقاه صفة ومنشورا حال من مفعوله وقرأ ابن عامر يلقاه على المجهول من لقيته كذا اقرأ كتابك على ارادة القول كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا اى كفى نفسك والباء مزيدة وحسيبا تمييز وعلى صلته لانه اما بمعنى الحاسب كالضريب بمعنى الضارب وضريب القداح بمعنى ضاربها من

حسب عليه كذا او بمعنى الكافى فوضع موضع الشهيد لانه يكفى المدعى ما اهمه وتذكير على ان الحسنات والشهادة مما يتولاه الرجال او على تأويل النفس بالشخص من اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها للايجاز اهتداؤه غيره ولا يودى ضلاله سواه ولا تزر وازرة وزر اخرى ولا تحمل نفس حاملة وزرا او وزر نفس اخرى بل اثما تحمل وزرها وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا يبين الحجج ويمهد الشرايع فيلزمهم الحجة وفيه دليل على ان لا وجوب قبل الشرع واذا اردنا ان نهلك قرية واذا تعلقت ارادتنا باهلاك قوم لانفاذ قضائنا السابق اوردنا وقتم المقدر كقولهم اذا اراد المريض ان يموت ازداد مرضه شدة امرنا مترفيها منعميها بالطاعة على لسان رسول بعثناه اليهم ويدل على ذلك ما قبله وما بعده فان الفسق هو الخروج عن الطاعة والتمرد فى العصيان فيدل على الطاعة من طريق المقابلة وقيل امرناهم بالفسق ففسقوا فيها كقولك امرته فقراء فانه لا يفهم منه الا الامر بالقراءة على ان الامر مجاز من الحمل عليه والتسبب له بان صب عليهم من النعم ما ابطرهم وافضى بهم الى الفسوق ويحتمل ان لا يكون له مفعول منوى كقولهم امرته فعصانى وقيل معناه كثرنا يقال امرت الشئ وامرته فامر اذا كثرته وفى الحديث خير المال سكة مأبورة ومهرة مأمورة اى كثيرة النتاج وهو ايضا مجاز من معنى الطلب ويؤيده قراءة يعقوب آمرنا ورواية امرنا عن ابى عمرو ويحتمل ان يكون منقولا من امر بالضم امارة اى جعلناهم امراء وتخصيص المترفين لان غيرهم يتبعهم ولانهم اسرع الى الجاحة واقدر على الفجور وحق عليها القول يعنى

كلمة العذاب السابقة لحلوله او بظهور معاصيهم او بانهماكهم
في المعاصي فدمرناها تدميرا اهلكناها باهلاك اهلها وتخريب
ديارها وكم اهلكنا وكثيرا اهلكنا من القرون بيان لكم وتمييز
له من بعد نوح كعاد وثمود وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا
بصيرا يدرك بواطنها وظواهرها فيعاقب عليها وتقديم الخبر
لتقدم متعلقه من كان يريد العاجلة مقصورا عليها همته عجلنا
له فيها ما نشاء لمن نريد قيد المعجل والمعجل له بالمشيئة والارادة
لانه لا يجد كل متمن ما يتمناه ولا كل واجد جميع ما يهواه وليعلم
ان الامر بالمشيئة والهم فضل ولمن نريد بدل من له بدل هو
البعض وقرئ يشاء والضمير فيه لله ليطابق المشهورة وقيل
لمن فيكون مخصوصا بمن اراد الله به ذلك وقيل الاية في المنافقين
كانوا يراؤن المسلمين ويغزون معهم ولم يكن غرضهم الا سما
همتهم في الغنيمة ونحوها ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا
مطرودا من رحمة الله ومن اراد الاخرة وسعى لها سعيها حقها من
السعي وهو الاتيان بما امر والانتهاء عما نهى لا التقرب بما يخترعون
بارائهم وفائدة اللام باعتبار النية والاخلاص وهو مؤمن ايمانا صحيحا
لا شرك معه ولا تكذيب فانه العمدة فاولئك الجامعون للشرائط
الثلاثة كان سعيهم مشكورا من الله اى مقبولا عنده مثابا عليه
فان شكر الله الثواب على الطاعة كلا كلا واحدا من الفريقين والتنوين
بدل من المضاف اليه نمد بالعطاء مرة بعد اخرى ونجعل الآنفة
مدد السالفة هؤلاء وهؤلاء بدل من كلا من عطاء ربك من
معطاه متعلق بنمد وما كان عطاء ربك محظورا ممنوعا لا
يمنعه في الدنيا من مؤمن ولا كافر تفضلا انظر كيف فضلنا
بعضهم على بعض في الرزق وانتصاب كيف بفضلنا على الحال
وللآخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا اى التفاوت في

الاخرة اكثر لان التفاوت فيها بالجنة ودرجاتها وبالنار و
دركاتها لا تجعل مع الله الها آخر الخطاب للرسول صلى الله
عليه وسلم والمراد به امته او لكل احد فتقعد فتصير من قول
هم شحذ الشفرة حتى قعدت كانها حربة او فتقعد من قول
هم قعد عن الشيء اذا عجز عنه مذموما مخذولا جامعا على
نفسك الذم من الملائكة والمؤمنين والخذلان من الله وهو
مفهوم ان الموحد يكون ممدوحا منصورا وقضى ربك هو
وامر امر مقطوع به ان لا تعبدوا ان لا تعبدوا الا اياه لان هو
غاية التعظيم لا يحق الا لمن له غاية العظمة ونهاية الانعام وهو
هو كالتفصيل لسعي الاخرة ويجوز ان تكون ان مفسرة ولا
ناهية وبالوالدين احسانا وبان تحسنوا او واحسنوا بالوا
احسانا لانهما السبب الظاهر للوجود والتعيش ولا يجوز هـ
ان يتعلق الباء بالاحسان لان صلته لا يتقدم عليه اما يبلغن عند
الكبر احدهما او كلاهما اما ان الشرطية زيدت عليها ما تاكيدا
ولذلك صح النون المؤكدة للفعل واحدهما فاعل يبلغن او
يدل على قراءة حمزة والكسائي من الف يبلغان الراجع الى الوالد
وكلاهما عطف على احدهما فاعلا او بدلا ولذلك لم يجز ان يكون
تاكيدا للالف ومعنى عندك ان يكونا في كنفه وكفالته فلا تقل هـ
لهما اف فلا تتضجر تضجر بما تستقذر منهما وتستثقل من مؤ
نتهما وهو صوت يدل على تضجر وقيل اسم الفعل الذي هو هـ
التضجر وهو مبني على الكسر لالتقاء الساكنين وتنوينه في
قراءة نافع للتنكير وقراءة ابن كثير وابن عامر بالفتح على التخفيف
وقرئ به منونا وبالضم للاتباع كمنذ منونا وغير منون وهو
النهي عن ذلك يدل على المنع من سائر انواع الايذاء قياسا
بطريق الاولى وقيل عرفا كقولك فلان لا يملك النقير وهو

لدين

لك

ين

ويعقوب ح

القطمير ولذلك منع رسول الله صلى الله عليه وسلم حذيفة ه
عن قتل ابيه وهو في صف المشركين نهى عما يؤديهما بعد الامر
بالاحسان بهما ولا تنهرهما ولا تزجرهما عما لا يعجبك با
غلاظ وقيل النهى والنهر واحد لخوات وقل لهما بدل التأنيف
والنهر قولا كريما جميلا لا شراسة فيه واخفض لهما جناح الذل
تذلل لهما وتواضع فيهما جعل للذل جناحا كما جعل لبيد في قوله
وغداة ريح قد كشفت وقرة اذا اصبحت بيد الشمال زمامها
للشمال يدا وللقرة زماما وامر بخفضها مبالغة واراد ه
جناحه كقوله واخفض جناحك واضافته للمؤمنين الى الذل
للبيان والمبالغة كما اضيف حاتم الى الجود والمعنى واخفض لهما
جناحك الذل وقرئ الذل بالكسر وهو الانقياد والنفت من
ذلول من الرحمة من فرط رحمتك عليهما الافتقارهما الى من كان
افقر خلق الله اليهما وقل لهما رب ارحمهما وادع الله ان يرحمهما
برحمته الباقية ولا تكتف برحمتك الفانية وان كانا كافرين لان
من الرحمة ان يهديهما كما ربيانى صغيرا رحمة مثل رحمتهما علىّ ه
وتربيتهما وارشادهما الى في صغرى وفاء بوعدك للراحمين ه
روى ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابوى بلغا
من الكبر اني الى منهما ما وليا منى في الصغر فهل قضيتهما قال لا ه
فانهما كانا يفعلان ذلك وهما يحبان بقاءك وانت تفعل ذلك
وانت تريد موتهما ربكم اعلم بما في نفوسكم من قصد البر اليهما
واعتقاد ما يجب لهما من التوقير وكانه تهديد على ان يضمر لهما
كراهة واستثقالا ان تكونوا صالحين قاصدين الصلاح فان
كان للاوابين للتوابين غفورا ما فرط منهم عند خرج الصدر
من اذية او تقصير وفيه تشديد عظيم ويجوز ان يكون عاما
لكل تائب ويندرج فيه الجاني على ابويه التائب من جنايته

اولا لورود ه على اثره وآت ذا القربى حقه من صلة الرحم
وحسن المعاشرة والبر عليهم وقال ابو حنيفة حقهم اذا كانوا
فقراء محارم ان ينفق عليهم وقيل المراد بذى القربى اقارب
الرسول عليه السلام والمساكين وابن السبيل ولا تبذر ه
تبذيرا بصرف المال فيما لا ينبغى وانفاقه على وجه الاسراف و
اصل التبذير التفريق وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال لسعد و
هو يتوضأ ما هذا السرف فقال افى الوضوء سرف قال نعم وان ه
كنت على نهر جار ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين امثال
هم في الشرارة فان التضييع والاتلاف نشأ واصدقاءهم و ه
اتباعهم لانهم يطيعونهم في الاسراف والصرف في المعاصى
روى انهم كانوا ينحرون الابل ويتسامرون عليها ويبذرو ن
اموالهم في التسمعة فنهاهم الله عن ذلك وامرهم بالانفاق في ه
القربان وكان الشيطان لربه كفورا مبالغا في الكفر به فما ينبغى
ان يطاع وامّا تعرضن عنهم وان اعرضت عن ذى القربى و ه
المساكين وابن السبيل حياء من الرد ويجوز ان يراد بالاعراض
عنهم ان لا ينفقهم على سبيل الكفاية ابتغاء رحمة من ربك ترجو ها
لانتظار رزق من الله ترجوه ان يأتيك فتعطيه او منتظرين
له وقيل معناه لفقد رزق من ربك ترجوه ان يفتح لك فوضع
الابتغاء موضعه لانه مسبب عنه ويجوز ان يتعلق بالجواب
الذى هو قوله فقل لهم قولا ميسورا اى فقل لهم قولا لينا
ابتغاء رحمتك عليهم بأجمل القول لهم والميسور من يسر
الامر مثل سعد الرجل ونحس وقيل القول الميسور الدعاء
لهم بالميسور وهو اليسر مثل اغناكم الله واياهم ولا تجعل
يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط تمثيلان ه
لمنع التقتير واسراف المبذر نهى عنهما امرا بالاقتصاد ه

بينهما الذى هو الكرم فتقعد ملوما متحسرا ملوما عند الله و
عند الناس بالاسراف وسوء التدبير محسورا نادما او هو
منقطعا بك لا شئ عندك من حسرة السفر اذا ابلغ منه وهو
عن جابر بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اتاه صبى
فقال ان امى تستكسيك درعا فقال من ساعة الى ساعة فعد
الينا فذهب الى امه فقالت قل له ان امى تستكسيك الدرع الذى
عليك فدخل داره ونزع قميصه واعطاه وقعد عريانا واذن
بلال وانتظره والصلوة فلم يخرج فانزل الله ذلك ثم سلاه
بقوله ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر يوسعه وهو
لو يضيقه بمشيته التابعة فليس ما يرهقك من الاضاقة الا هو
لمصلحتك انه كان بعباده خبيرا بصيرا يعلم سرهم وعلانيتهم
ويعلم من مصالحهم ما يخفى عليهم ويجوز ان يريد ان البسط
والقبض من امر الله العالم بالسرائر والظواهر واما العباد
فعليهم ان يقتصدوا او انه هو يبسط تارة ويقبض اخرى
فاستنوا بسنته ولا تقبضوا كل القبض ولا تبسطوا كل البسط
وان يكون تمهيدا لقوله ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق
مخافة الفاقة وقتلهم اولادهم هو وادهم بناتهم مخافة
الفقر فنهاهم عنه وضمن لهم ارزاقهم فقال نحن نرزقهم
واياكم ان قتلهم كان خطأ كبيرا ذنبا كبيرا لما فيه من قطع
التناسل وانقطاع النوع والخطأ الاثم يقال خطأ خطاء
كاثم اثما وقراء ابن عامر برواية ابن ذكوان خطاء او هو
اسم من اخطاء يضاد الصواب وقيل لغة فيه كمثل ومثل وهو
حذر وحذر وقراء ابن كثير خطاء بالكسر والمد وهو اما
لغة او مصدر خاطاء وهو وان لم يسمع لكنه جاء نحو خاطاء
فى قوله نحو خاطاء القناص حتى وجرته وخرطوم فى منقع

الماء راسب وهو مبنى عليه وقرئ خطاء بالفتح والمد
وخطاء بحذف الهمزة مفتوحا ومكسورا ولا تقربوا الزنا
بالعزم والاتيان بالمقدمات فضلا عن ان تباشروه انه كان
فاحشة فعلة ظاهرة القبح وزائدته وساء سبيلا وبئس
طريقا طريقه وهو الغصب على الابضاع المؤدى الى قطع الا
نساب وهيج الفتن ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا با
لحق الا باحدى ثلاث كفر بعد ايمان وزنا بعد احصان و
قتل مؤمن معصوم عمدا ومن قتل مظلوما غير مستوجب ه
للقتل فقد جعلنا لولية الذى يلى امره بعد وفاته وهو الوارث
سلطانا تسلطا بالمؤاخذة بمقتضى القتل على من عليه او بالهو
لقصاص على القاتل فان قوله مظلوما يدل على ان القتل عمدا ه
عدوان فان الخطاء لا يسمى ظلما فلا يسرف اى القاتل فى القتل بان
يقتل من لا يحق قتله فان العاقل لا يفعل ما يعود عليه بالهلاك او ه
الولى بالمثلة وقتل غير القاتل ويؤيد الاول قراءة ابى فلا تسرفوا
وقراءة حمزة فلا تسرف على خطاب احدهما انه كان منصورا علة
للنهى على الاستيناف والضمير اما للمقتول فانه منصور فى الدنيا
بثبوت القصاص بقتله وفى الاخرة بالثواب واما للولى فان
الله نصره حيث اوجب القصاص له وامر الولاة بمعونته ه
واما للذى يقتله الولى اسرافا بايجاب القصاص او التعنيف
والوزر على المسرف ولا تقربوا مال اليتيم فضلا عن ان تتصرفوا
فيه الا بالتى هى احسن الا بالطريقة التى هى احسن حتى يبلغ اشده
غاية بلوغه ان التصرف الذى دل عليه الاستثناء واوفوا بالعهد بما
عاهد تم الله من تكاليفه او ما عاهد تموه وغيره ان العهد كان
مسئولا مطلوبا يطلب من العاهد ان لا يضيعه ويفى به او ه
مسئولا عنه يسئل عنه الناكث ويعاتب عليه او يسئل العهد ه

له نكثت تبكيتا للناكث كما يقال للموءودة باى ذنب قتلت فيكون
تخييلا ويجوز ان يراد ان صاحب العهد كان مسؤلا واوفوا
الكيل اذا كلتم ولا تبخسوا فيه وزنوا بالقسطاس المستقيم
بالميزان السوى وهو رومى عرب ولا يقدح ذلك فى عربية
القران اولان العجمى اذا استعملته العرب واجرته بجرى كلامهم
فى الاعراب والتعريف والتنكير ونحوها صار عربيا وقراءة
حمزة والكسائى وحفص بكسر القاف ذلك خير وأحسن
تأويلا واحسن عاقبة تفعيل من آل اذا رجع ولا تقف ولا تتبع
وقرئ ولا تقف من قاف اثره اذا اقفاه ومنه القافة ما ليس لك
به علم ما لم يتعلق به علمك تقليدا او رجما بالغيب واحتج به
من منع اتباع الظن وجوابه ان المراد بالعلم هو الاعتقاد الذى
يحق المستفاد من سند سواء كان قطعا اوظنا واستعماله بهذا
المعنى شايع وقيل انه مخصوص بالعقائد وقيل بالرمى وشهادة
الزور ويؤيد قوله صلى الله عليه وسلم من قفا مؤمنا بما ليس
فيه حبسه الله فى ردغة الخبال حتى يأتى بالمخرج وقول الكميت
ولا ارمى البرئ بغير ذنب ولا اقفو الحواصن ان قفينا ان
السمع والبصر والفؤاد كل اولئك اى كل هذه الاعضاء فاجرها
مجرى العقلا لما كانت مسؤلة عن احوالها شاهدة على صاحبها
هنا وان اولاء وان غلب فى العقلاء لكنه من حيث انه اسم
جمع لذا وهو يعم القبيلتين جاء لغيرهم كقوله ذم المنازل
بعد منزلة اللوى والعيش بعد اولئك الايام كان عنه
مسؤلا فى ثلاثتها ضمير كل اى كان كل واحد منها مسؤلا عن
نفسه يعنى عما فعل به صاحبه ويجوز ان يكون الضمير فى عنه
لمصدر لا تقف او لصاحب السمع والبصر وقيل مسؤلا اسند
الى عنه كقوله غير المغضوب عليهم والمعنى يسئل صاحبه عنه

وهو خطاء لان الفاعل وما يقوم مقامه لا يقدم وفيه دليل على
ان العبد مؤاخذ بعزمه على المعصية وقرئ والفؤاد بلقلب
الهمزة واوا بعد الضمة ثم ابدالها بالفتح ولا تمش فى الارض
مرحا اى ذا مرح وهو الاختيال وقرئ مرحا وهو باعتبار
الحكم ابلغ وان كان المصدر آكد من صريح النعت انك لن تخرق
الارض لن تجعل فيها خرقا بشدة وطاتك ولن تبلغ الجبال
طولا لا بتطاولك وهو تهكم بالمختال وتعليل للنهى بان الاختيال
حماقة مجردة لا تعود بجدوى ليس فى التذلل كل ذلك اشارة
الى الخصال الخمسة والعشرين المذكورة من قوله ولا تجعل
مع الله الها آخر وعن ابن عباس رضى الله عنه انها المكتوبة
فى الواح موسى عليه السلام كان سيئه يعنى المنهى عنه فان المذ
كورات مأمورات ومناهى وقرأ الحجازيان والبصريان
سيئة على انها خبر كان والاسم ضمير كل وذلك اشارة الى ما نهى
عنه خاصة وعلى هذا قوله عند ربك مكروها بدل من سيئة
او صفة لها مجولة على المعنى فانه بمعنى سيئا وقد قرئ به ويجوز
ان ينتصب مكروها على الحال من المستكن فى كان او فى الظرف على
انه صفة سيئة والمراد به المبغوض للقابل للمرضى لا ما يقابل المراد
لقيام القاطع على ان الحوادث كلها واقعة بارادته تعالى ذلك اشارة
الى الاحكام المتقدمة مما اوحى اليك ربك من الحكمة التى هى معرفة
الحق لذاته والخير العمل به ولا تجعل مع الله الها آخر كرره للتنبيه
على ان التوحيد مبدء الامر ومنتهاه فان من لا قصد له بطل عمله
ومن قصد بفعله او تركه غيره ضاع سعيه وانه رأس الحكمة و
ملاكها ورتب عليه اولا ما هو عائدة الشرك فى الدنيا وثانيا
ما هو نتيجته فى العقبى فقال فتلقى فى جهنم ملوما تلوم نفسك
مدحورا مبعدا من رحمة الله افاصفيكم ربكم بالبنين خطاب

لمن قالوا الملائكة بنات الله والهمزة للانكار والمعنى افخصكم ربكم
بافضل الاولاد وهم البنون واتخذ من الملائكة اناثا بناتا لنفسه
هذا خلاف ما عليه عقولكم وعاداتكم انكم لتقولون قولا عظيما
باضافة الاولاد اليه وهى خاصة بعض الاجسام لسرعة زوالها
ثم بتفضيل انفسكم عليه حيث تجعلون له ما تكرهون ثم بجعل
الملائكة الذين هم من اشرف خلق الله ادونهم ولقد صرفنا ه
كررنا هذا المعنى بوجوه من التقرير فى هذا القرآن فى مواضع
منه ويجوز ان يراد بهذا القرآن ابطال اضافة البنات اليه بتقدير
ولقد صرفنا القول فى هذا المعنى او وقعنا التصريف فيه وقرئ ه
صرفنا بالتخفيف ليذكروا وليتذكروا وقرأ حمزة والكسائى هنا و
فى الفرقان ليذكروا من الذكر الذى هو بمعنى التذكر وما يزيدهم
الا نفورا عن الحق وقلة طمانينة اليه قل لو كان معه آلهة ه
كما تقولون ايها المشركون وقرأ ابن كثير وحفص بالياء فيه
وفيما بعده على ان الكلام مع الرسول ووافقهما نافع وابن عامر
وابو عمرو وابو بكر ويعقوب فى الثانية على ان الاولى مما امر
الرسول ان يخاطب به المشركين والثانية مما نزه به نفسه عن
مقالهم اذا لابتغوا الى ذى العرش سبيلا جواب عن قولهم ه
وجزاء للو والمعنى لطلبوا الى من هو مالك الملك سبيلا بالمعازة
كما يفعل الملوك بعضهم مع بعض او بالتقرب اليه والطاعة ه
لعلمهم بقدرته وعجزهم لقوله اولئك الذين يدعون يبتغون
الى ربهم الوسيلة سبحانه تنزيها وتعالى عما يقولون
علوا اتعاليا كبيرا متباعدا غاية البعد عما يقولون فانه فى اعلى
مراتب الوجود وهو كونه واجب الوجود والبقاء لذاته و
اتخاذ الولد من ادنى مراتبه فانه من خواص ما يمتنع بقاؤه ه
تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن وان من شئ

الا يسبح بحمده ينزهه مما هو من لوازم الامكان وتوابع ه
الحدوث بلسان الحال حيث تدل بامكانها وحدوثها على الصا نع
القديم الواجب لذاته ولكن لا تفقهون تسبيحهم ايها ه
المشركون لاخلالكم بالنظر الصحيح الذى به يفهم تسبيحهم
ويجوز ان يحمل التسبيح على المشترك بين اللفظ والدلالة ه
لاسناده الى ما يتصور منه اللفظ والى ما لا يتصور منه وعليهما
عند من جوز اطلاق اللفظ على معنييه وقرأ ابن كثير ونافع
وابن عامر وابو بكر يسبح له بالياء انه كان حليما حين لم يعا جلكم
بالعقوبة على غفلتكم وشرككم غفورا لمن تاب منكم واذا ه
قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالاخرة
حجابا يحجبهم عن فهم ما تقرأوه عليهم مستورا اذا استركقوله
وعده مأتيا وقولهم سيل مفعم او مستور عن الحس او بحجاب
اخر لا يفهمون ولا يفهمون انهم لا يفهمون نفى عنهم ان ه
يفهموا ما انزل عليهم من الايات بعد ما نفى عنهم التفقه للدلا
لات المنصوبة فى الانفس والافاق تقريرا له وبيانا لكونهم
مطبوعين على الضلالة كما صرح به بقوله وجعلنا على قلوبهم ه
اكنة تكنها وتحول دونها عن ادراك الحق وقبوله ان يفقهوه
كراهة ان يفقهوه ويجوز ان يكون مفعولا له والعامل فيه قوله
وجعلنا على قلوبهم اكنة اى منعناهم ان يفقهوه وفى اذانهم
وقرا يمنعهم عن استماعه ولما كان القرآن معجزا من حيث الله
اللفظ والمعنى اثبت لمنكريه ما يمنع عن فهم المعنى وادراك اللفظ
واذا ذكرت ربك فى القرآن وحده واحدا غير مشفوع به ه
آلهتهم مصدر وقع موقع الحال واصله يحد وحده او بمعنى وا حدا
وحده ولوا على ادبارهم نفورا هربا من استماع التوحيد وم
نفرة او تولية ويجوز ان يكون جمع نافر كقاعد وقعود نحن

اعلم بما يستمعون به بسببه والجملة من الهزء بك وبالقران ه
اذ يستمعون اليك ظرف للاعلم وكذا واذ هم نجوى اى نحن اعلم
بغرضهم من الاستماع حين هم مستمعون اليك مضمرون له وحين
هم ذو نجوى يتناجون به ونجوى مصدر ويحتمل ان يكون ه
جمع نجى اذ يقول الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا مقدر
باذكر او بدل من اذ هم نجوى على وضع الظالمين موضع الضمير ه
للدلالة على ان تناهيهم بقولهم هذا والمسحور هو الذى سحر به
فزال عقله وقيل الذى له سحر وهو الرئة اى الا رجلا يتنفس
ويأكل ويشرب مثلكم انظر كيف ضربوا لك الامثال متلوك با ه
لشاعر والساحر والكاهن والمجنون فضلوا عن الحق فى جميع ه
ذلك فلا يستطيعون سبيلا الى طعن معقوج فيتهافتون ويخبطون
كالمتحير فى امره لا يدرى ما يصنع او الى الرشاد وقالوا ائذا كنا ه
عظاما ورفاتا وحطاما ائنا لمبعوثون خلقا جديدا على الانكار
والاستبعاد لما بين غضاضة الحى وبيوسة الرميم من المباعدة و
المنافات والعامل فى اذا ما دل عليه مبعوثون لا نفسه لان ما بعد ان
لا يعمل فيما قبله وخلقا مصدر او حال قل كونوا حجارة
او حديدا او خلقا مما يكبر فى صدوركم اى مما يكبر عندكم عن
قبول الحيوة لكونه ابعد شئ منها فان قدرته لا تقصر عن
احيائكم لاشتراك الاجسام فى قبول الاعراض فكيف اذا كنتم عظاما
مرفوعة وقد كانت غضة موصوفة بالحيوة قبل والشئ اقبل لما
عهد فيه مما لم يعهد فسيقولون من يعيدنا قل الذى فطركم ه
اول مرة وكنتم ترابا وما هو ابعد منه من الحيوة فسينغضون
اليك رؤوسهم فسيحركونها نحوك تعجبا واستهزاء ويقولون
متى هو قل عسى ان يكون قريبا فان كل ما هو آت قريب وانتصا
على الخبر او الظرف اى يكون فى زمان قريب وان يكون اسم ه

عسى او خبره والاسم مضمر يوم يدعوكم فتستجيبون اى
يوم يبعثكم فتبعثون استعار لهما الدعاء والاستجابة للتنبيه
على سرعتهما وتيسر امرهما وان المقصود منهما الاحضار ه
للمحاسبة والجزاء بحمده حال منهم اى حامدين لله على كمال
قدرته كما قيل انهم ينفضون التراب عن رؤسهم ويقولون
سبحانك اللهم وبحمدك او منقادين لبعثه انقياد الحامدين ه
عليه وتظنون ان لبثتم الا قليلا وتستقصرون مدة لبثكم فى
القبور كالذى مر على قرية او مدة حيوتكم لما ترون ه
من الهول وقل لعبادى يعنى المؤمنين يقولوا التى هى احسن
الكلمة التى هى احسن ولا تخاشنوا المشركين ان الشيطان ه
ينزغ بينهم يهيج بينهم المراء والشر فلعل المخاشنة بهم تفضى
الى العناد وازدياد الفساد ان الشيطان كان للانسان عدوا
مبينا ظاهر العداوة ربكم اعلم بكم ان يشأ يرحمكم او ان يشأ ه
يعذبكم تفسير للتى هى احسن وما بينهما اعتراض اى قولوا لهم
هذه الكلمة ونحوها ولا تصرحوا بانهم من اهل النار فانه يهيجهم
على الشر مع ان ختام امرهم غيب لا يعلمه الا الله وما ارسلناك
عليهم وكيلا موكولا اليك امرهم تقسرهم على الايمان وانما ا
سلناك مبشرا ونذيرا فدارهم ومر اصحابك بالاحتمال منهم
روى ان المشركين افرطوا فى ايذائهم فشكوا الى رسول الله ه
صلى الله عليه وسلم فنزلت وقيل شتم عمر رجل فهم به فامره
الله بالعفو وربك اعلم بمن فى السموات والارض وباحوا لهم
فيختار منهم لنبوته وولايته من يشاء وهو رد لاستبعاد
قريش ان يكون يتيم ابى طالب نبيا وان يكون العراة الجوع
اصحابه ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض بالفضائل ه
النفسانية والتبرى عن العلائق الجسمانية لا بكثرة الاموا ل

والاولاد والاتباع حتى داود عليه السلام فان شرفه بما اوحى
اليه من الكتاب لا بما اوتى من الملك قيل هي اشارة الى تفضيله
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله وآتينا داود زبورا
تنبيه على وجه تفضيله وهو انه خاتم الانبياء وامته خير الامم
المدلول عليه بما كتب في الزبور من ان الارض يرثها عبادي
الصالحون وتنكيره هنا وتعريفه في قوله ولقد كتبنا في الزبور
لانه في الاصل فعول للمفعول كالحلوب او المصدر كالقبول و
يؤيده قراءة حمزة بالضم فهو كالقبلى او الفضل او لان المراد
واتينا داود بعض الزبور او بعضا من الزبور وفيه ذكر
الرسول قل ادعوا الذين زعمتم انها آلهة من دونه كالملائكة وعيسى
المسيح وعزير فلا يملكون فلا يستطيعون كشف الضر عنكم
كالمرض والفقر والقحط والا تحويلا والا تحويل ذلك منكم
الى غيركم اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة
هؤلاء الآلهة يبتغون الى الله القربة بالطاعة ايهم اقرب
بدل من واو يبتغون اى يبتغي من هو اقرب منهم الى الله الوسيلة
فكيف بغير الاقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه كسائر
العباد فكيف يزعمون انهم آلهة ان عذاب ربك كان محذورا
حقيقا بان يحذره كل احد حتى الرسل والملائكة وان من قرية
الا نحن مهلكوها قبل يوم القيمة بالموت والاستيصال او معذبوها
عذابا شديدا بالقتل وانواع البلية كان ذلك في الكتاب
في اللوح المحفوظ مسطورا مكتوبا وما منعنا ان نرسل بالـ
لآيات وما صرفنا عن ارسال الايات التي اقترحها قريش الا
ان كذب بها الاولون الا تكذيب الاولين الذين هم امثالهم
في الطبع كعاد وثمود وانها لو ارسلت لكذبوا بها تكذيب
اولئك واستوجبوا الاستيصال على ما نصت به سنتنا وقد قضينا

ان لا نستأصلهم لان فيهم من يؤمن او يلد من يؤمن ثم ذكر
بعض الامم المهلكة بتكذيب الايات المقترحة فقال وآتينا
ثمود الناقة بسؤالهم مبصرة بينة ذات ابصار او بصائر
فظلموا بها فكفروا بها او فظلموا انفسهم بسبب عقرها وما
نرسل بالآيات اى بالايات المقترحة الا تخويفا من نزل
العذاب المستأصل فان لم يخافوا نزل او بغير المقترحة كالمعجز ت
وآيات القرآن الا تخويفا بعذاب الاخرة فان امر من بعث
اليهم مؤخر الى يوم القيمة والباء مزيدة او في موقع الحال وهو
المفعول محذوف واذ قلنا لك واذكر اذ اوحينا اليك ان ربك
احاط بالناس فهم في قبضة قدرته او احاط بقريش بمعنى
اهلكهم من احاط بهم العدو فهو بشارة بوقعة بدر وهو
التعبير بلفظ الماضي لتحقق وقوعه وما جعلنا الرؤيا التي
اريناك ليلة المعراج وتعلق به من قال انه كان في المنام ومن قال انه
كان في اليقظة فسر الرؤيا بالرؤية او عام الحديبية حين رأى
انه دخل مكة وفيه ان الاية مكية الا ان يقال رآها بمكة وحكاها
ح ولعله رؤيا اراه اياها في وقعة بدر لقوله اذ يريكهم الله في منامك
قليلا ولما روى انه لما ورد ماءه قال لكأني انظر الى مصارع
القوم هذا مصرع فلان وهذا مصرع فلان فما سمعت به قريش
واستهزءوا منه وقيل رأى قوما من بني امية يرقون منبره و
ينزون عليه نزو القردة فقال هو حظهم من الدنيا يعطونه
باسلامهم وعلى هذا كان المراد بقوله الا فتنة للناس ما حدث
في ايامهم والشجرة الملعونة في القرآن عطف على الرؤيا وهي
شجرة الزقوم لما سمع المشركون ذكرها قالوا ان محمدا يزعم
ان الجحيم تحرق الحجارة ثم يقول تنبت فيها الشجرة ولم
يعلموا ان من قدر ان يجعل في النار المتمادل من ان يأكله النار

واحشاء النعامة من اذى الجمر وقطع الحديد المحماة الحجر التى
تبتلعها قدر ان يخلق فى النار شجرة لا تحرقها ولعنها فى القرآن
لعن طاعمها وصفت به على المجاز للمبالغة او وصفها بانها فى اصل
الجحيم فانه ابعد مكان من الرحمة او بانها مؤذية من قولهم طعام
ملعون لما كان ضارا وقد اولت بالشيطان وابى جهل والحكم ابن
ابى العاص وقرئت بالرفع على الابتداء والخبر محذوف اى والشجرة
الملعونة فى القرآن كذلك ونحوفهم بانواع التخويف فما يزيدهم
الا طغيانا كبيرا الا عتوا متجاوزا الحد واذ قلنا للملائكة اسجدوا
لآدم فسجدوا الا ابليس قال ءأسجد لمن خلقت طينا لمن خلقته
من طين فنصب بنزع الخافض ويجوز ان يكون حالا من الراجع
الى الموصول اى خلقته وهو طين او منه اى اسجد له واصله
طين وفيه على الوجوه ايماء بعلة الانكار وقال ارأيتك هذا الذى
كرمت علىّ الكاف لتأكيد الخطاب لا محل له من الاعراب وهذا
مفعول اول والذى كرمته علىّ بامرى بالسجود له لم كرمته
علىّ لئن اخرتنى الى يوم القيمة كلام مبتدا واللام موطئة للقسم
وجوابه لاحتنكن ذريته الا قليلا اى لاستأصلنهم بالاغواء الا
قليلا لا اقدر على ان اقاومهم شكيمتهم من احتنك الجراد الارض
اذا جرد ما عليها الا لما خوذ من الحنك وانما علم ان ذلك يسهل
له اما استنباطا من قول الملائكة اتجعل فيها من يفسد فيها مع
التقرير او تفرسا من خلقه ذا وهم وشهوة وغضب قال اذهب
امض لما قصدته وهو طرد وتخلية بينه وبين ما سولت له نفسه
فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم جزاء وكم جزاؤك وجزاؤهم فغلب
المخاطب على الغائب ويجوز ان يكون الخطاب للتابعين على
الالتفات جزاء موفورا مكملا من قولهم فره لصاحبه عرضه
وانتصاب جزاء على المصدر باضمار فعله او بما فى جزاؤكم من

معنى تجازون او حال موطئة لقوله موفورا واستفزز واستخف
من استطعت منهم ان تستفزه والفز الخفيف بصوتك بدعا
الى الفساد واجلب عليهم وصح عليهم من الجلبة وهى الصياح
بخيلك ورجلك باعوانك من راكب وراجل والخيل الخيالة ومنه
قوله عليه الصلوة والسلام يا خيل الله اركبى والرجل اسم جمع للراجل
كالصحب والركب ويجوز ان يكون تمثيلا لتسلطه على من يغويه
بمفوار صوت على قوم فاستفزهم من اماكنهم ولجلب عليهم
بجنده حتى استأصلهم وقرأ حفص ورجلك بالكسر وقرئ
بالضم وهما لغتان كندس ونديس ومعناه وجمعك الرجل و
قرئ ورجالك ورجالك وشاركهم فى الاموال بحملهم على
كسبها وجمعها من الحرام والتصرف فيها على ما لا ينبغى والاولاد
بالحث على التوصل الى الولد بالسبب المحرم والاشراك فيهم
بتسميته عبد العزى والتضليل بالحمل على الاديان الزائغة
والحرف الذميمة والافعال القبيحة وعدهم المواعيد الباطلة
كشفاعة الآلهة والاتكال على كرامة الآباء وتأخير التوبة لطول
الامل وما يعدهم الشيطان الا غرورا اعتراض لبيان مواعيده
والغرور تزيين الخطاء بما يوهم انه صواب ان عبادى
يعنى المخلصين وتعظيم الاضافة والتقييد فى قوله الا عبادك
منهم المخلصين يخصصهم ليس لك عليهم سلطان اى على
اغوائهم قدرة وكفى بربك وكيلا يتوكلون به فى الاستعاذ
منك على الحقيقة ربكم الذى يزجى هو الذى يجرى لكم الفلك
فى البحر لتبتغوا من فضله الربح وانواع الامتعة التى لا
تكون عندكم انه كان بكم رحيما حيث هياء لكم ما تحتا
اليه وسهل عليكم ما يعسر من اسبابه واذا مسكم الضر
فى البحر خوف الغرق ضل من تدعون ذهب عن خواطر

كل من تدعونه فى حوادثكم الا اياه وحده فانكم حال لا يخطر ببالكم
سواه ولا تدعون لكشفه الا اياه او ضل كل من تعبدونه من هو
الآلهة عن اغاثتكم الا الله فلما نجاكم من الغرق الى البر اعرضتم
عن التوحيد وقيل انسيتم فى كفران النعم كقول ذى الرمة
عطاء فتى تمكن فى المعالى واعرض فى المكارم واستطالا وكان
الانسان كفورا كالتعليل للاعراض افامنتم الهمزة فيه للانكار
والفاء للعطف على محذوف تقديره انجوتم فامنتم فحملكم ذلك هو
على الاعراض فان من قدر ان يهلككم فى البحر بالغرق قدر ان
يهلككم فى البحر البر بالخسف وغيره ان يخسف بكم جانب البر
ان يقلبه الله وانتم عليه او يقلبه بسببكم وبكم حال او صلة وقرأ
ابن كثير بالنون فيه وفى الاربعة الى بعده وفى ذكر الجانب تنبيه
على انهم كلما وصلوا الساحل كفروا واعرضوا وان الجوانب وهو
الجهات فى قدرته سواء لا معقل يؤمن فيه من اسباب الهلاك
او يرسل عليكم حاصبا ريحا تحصب اى ترمى بالحصباء ثم هو
لا تجدوا لكم وكيلا يحفظكم من ذلك فانه لا راد لفعله ام امنتم
ان يعيدكم فيه فى البحر تارة اخرى بخلق دواعى تلجيئكم الى
ان ترجعوا فتركبوه فيرسل عليكم قاصفا من الريح لا تمر هو
بشىء الا قصفته اى كسرته فيغرقكم وعن يعقوب بالتاء هو
على اسناده الى ضمير الريح بما كفرتم بسبب كفركم نعمة الانجاء
واشراككم ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا مطالبا يتبعنا بانتصار
او صرف ولقد كرمنا بنى آدم بحسن الصورة والمزاج الاعدل
واعتدال القامة والتمييز بالعقل والافهام بالنطق والاشارة
والخط والتهدى الى اسباب المعاش والمعاد والتسلط على ما فى
الارض والتمكن من الصناعات وانساق الاسباب والمسببات
العلوية والسفلية الى ما يعود عليهم بالمنافع الى غير ذلك مما

يقف الحصر دون احصائه ومن ذلك ما ذكره ابن عباس وهو
ان كل حيوان يتناول الطعام بفيه الا الانسان فانه يرفعه اليه
بيده وحملناهم فى البر والبحر على الدواب والسفن من هو
حملته حملا اذا جعلت له ما يركبه او حملنا لهم فيهما حتى لم هو
يخسف بهم الارض ولم يغرقهم الماء ورزقناهم من الطيبات ت
المستلذات مما يحصل بفعلهم وبغير فعلهم وفضلناهم على
كثير ممن خلقنا تفضيلا بالغلبة والاستيلاء او بالشرف والكرا مة
والمستثنى جنس الملائكة او الخواص منهم ولا يلزم من عدم
تفضيل الجنس عدم تفضيل بعض افراده والمسئلة موضع نظر
وقد اول الكثير بالكل وفيه تعسف يوم ندعو نصب باضمار
اذكروا وظرف لما دل عليه ولا يظلمون وقرئ يدعو ويدعى هو
يدعى على قلب الالف واوا فى لغة من يقول فى افعى افعوا او
على ان الواو علامة الجمع كما فى قوله واسروا النجوى الذين هو
ظلموا او ضمير هو وكل بدل منه والنون محذوفة لقلة المبالات
بها فانها ليست الا علامة الرفع وهو قد يقدر كما فى يدعى كل انا س
بامامهم بمن ائتموا به من نبى او مقدم فى الدين او كتاب او هو
دين وقيل بكتاب اعمالهم التى قدموها فيقال يا صاحب كتاب
كذا اى تنقطع علقة الانساب وتبقى نسبة الاعمال وقيل بالقوى
الحاملة لهم على عقائدهم وافعالهم وقيل بامهاتهم جمع ام هو
كخف وخفاف والحكمة فى ذلك اجلال عيسى عليه السلام واظهار
شرف الحسن والحسين وان لا يفتضح اولاد الزنا فمن اوتى
من المدعوين كتابه بيمينه اى كتاب عمله فاولئك يقرؤن هو
كتابهم ابتهاجا وتبجحا بما يرون فيه ولا يظلمون فتيلا ولا هو
ينقصون من اجورهم ادنى شىء وجمع اسم الاشارة لان من
فى معنى الجمع وتعليق القراءة بايتاء الكتاب باليمين يدل على ان

من اوتي كتابه بشماله اذا اطلع على ما فيه غشيهم من الخجل وه
الحيرة ما يحبس السنتهم عن القراءة ولذلك لم يذكرهم مع ه
ان قوله ومن كان في هذه اعمى فهو في الاخرة اعمى ايضا مشعر
بذلك فان الاعمى لا يقرأ الكتاب والمعنى ومن كان في هذه اعمى
القلب لا يبصر رشده كان في الاخرة اعمى لا يرى طريق النجاة
واضل سبيلا منه في الدنيا لزوال الاستعداد وفقدان الآلة
والمهلة وقيل لان الاهتداء بعد لا ينفعه والاعمى مستعار من فاقد
الحاسة وقيل الثاني للتفضيل من عمي بقلبه كالجهل والابله و
لذلك لم يحلد بمله ابو عمرو ويعقوب فان افعل التفضيل تمامه
بمن فكانت الفه في حكم المتوسطة كما في اعمالكم بخلاف النعت ه
فان الفه واقع في الطرف لفظا وحكما فكانت معرضة للاماله
من حيث انها تصير ياء في التثنية وقد اماله حمزة والكسائي
وابو بكر وورش بين بين وان كادوا ليفتنونك نزلت في
ثقيف قالوا لا ندخل في امرك حتى تعطينا خصالا نفتخر بها ه
على العرب لا نعشر ولا نحشر ولا نجبى في صلوتنا وكل ربوا لنا
فهو لنا وكل ربوا علينا فهو موضوع عنا وان تمتعنا باللات ه
سنة وان تحرم وادينا كما حرمت مكة قالت العرب لم ه
فعلت ذلك فقل ان الله امرني وقيل في قريش قالوا لا نمكنك
من استلام الحجر حتى تلم بآلهتنا وتمسها بيدك وان هي المخففة
واللام هي الفارقة والمعنى ان الشان قاربوا بما الغتهم ان يو
قعوك في الفتنة بالاستنزال عن الذي اوحينا اليك من الاحكام
لتفتري علينا غيره غير ما اوحينا اليك واذا لاتخذوك ه
خليلا ولو اتبعت مرادهم لاتخذوك بافتنانك وليا لهم يزي
من ولايتي ولولا ان ثبتناك ولو لا تثبيتنا اياك لقد كدت
تركن اليهم شيئا قليلا لقاربت ان تميل الى اتباع مرادهم وه

خمة

المعنى انك كنت على صدد الركون اليهم لقوة خدعهم وشدة
احتيالهم لكن ادركتك عصمتنا فمنعت ان تقرب من الركون
فضلا من ان تركن اليه وهو صريح في انه عليه الصلوة والسلام
ما هم باجابتهم مع قوة الداعي اليها ودليل على ان العصمة بتو
فيق الله وحفظه اذا لاذقناك اي لو قاربت لاذقناك ه
ضعف الحيوة وضعف الممات اي عذاب الدنيا وعذاب الآ خمة
خرة ضعف ما نعذب به في الدارين بمثل هذا الفعل غيرك لان ه
خطاء الخطير اخطر وكان اصل الكلام عذابا ضعفا في الحيوة
وعذابا ضعفا في الممات بمعنى مضاعفا ثم حذف الموصوف وه
اقيمت الصفة مقامه ثم اضيفت كما يضاف موصوفها وقيل ه
الضعف من اسماء العذاب وقيل المراد تضعف الحيوة عذاب الآ خمة
وبضعف الممات عذاب القبر ثم لا تجد لك علينا نصيرا يدفع
العذاب عنك وان كادوا وان كان اهل مكة ليستفزونك ه
ليزعجونك بعداوتهم من الارض ارض مكة ليخرجوك منها و
اذا لا يلبثون خلفك ولو خرجت لا يبقون بعد خروجك الا
قليلا الا زمانا قليلا وقد كان كذلك فانهم اهلكوا ببدر بعد
هجرته وقيل الآية نزلت في اليهود حسدوا مقام النبي صلى
الله عليه وسلم بالمدينة فقالوا الشام مقام الانبياء فان كنت
نبيا فالحق بها حتى نؤمن بك فوقع ذلك في قلبه فخرج مرحلة ه
فنزلت فرجع ثم قتل منهم بنو قريظة واجلي بنو النضير ه
بقليل وقرئ لا يلبثوا منصوبا باذا على انه معطوف على جملة
قوله وان كادوا لا على خبر كاد فان اذا لا يعمل اذا كان معتمدا
ما بعدها على ما قبلها وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي ويعقوب
وحفص خلافك وهو لغة فيه قال عفت الديار خلافهم ه
فكانها بسط الشواطب بينهن حصير اه سنة من قد ارسلنا

قبلك من رسلنا نصب على المصدر اى سن الله ذلك سنة
وهو ان يهلك كل امة اخرجوا رسولهم من بين اظهرهم فا
لسنة لله واضافتها الى الرسل لانها من اجلهم ويدل عليه
ولا تجد لسنتنا تحويلا اى تغييرا اقم الصلاة لدلوك الشمس
لزوالها ويدل عليه قوله عليه الصلوة والسلام اتانى جبريل
لدلوك الشمس حين زالت فصلى الظهر وقيل لغروبها
واصل التركيب للانتقال ومنه الدلك فان الدالك لا يستقر
يده وكذا ما تركب من الدال واللام كدلج ودلح ودلع ودلف
ودله وقيل الدلوك من الدلك لان الناظر اليها يدلك عينيه
ليدفع شعاعها واللام للتأقيت مثلها فى لثلاث خلون الى غسق
الليل الى ظلمته وهو وقت صلوة العشاء الاخيرة وقرآن الفجر
وصلوة الصبح سميت قرانا لانه ركنها كما سميت ركوعا وهو
سجودا واستدل به على وجوب القراءة فيها ولا دليل فيه لجواز
ان يكون التجوز لكونها مندوبة فيها نعم لو فسر بالقراءة فى
صلوة الفجر دل الامر باقامتها على الوجوب فيها نصا وفى غيرها
قياسا ان قرآن الفجر كان مشهودا يشهده ملائكة الليل وملائكة
النهار او شواهد القدرة من تبدل الظلمة بالضياء والنوم
الذى هو اخ الموت بالانتباه او كتبى من المصلين او من حقه
ان يشهده الجم الغفير والآية جامعة للصلوة الخمس ان فسر
الدلوك بالزوال ولصلوة الليل وحدها ان فسر بالغروب
وقيل المراد بالصلوة صلوة المغرب وقوله لدلوك الشمس الى
غسق الليل بيان لمبدء الوقت ومنتهاه واستدل به على ان
الوقت يمتد الى غروب الشفق ومن الليل فتهجد به وبعض
الليل فاترك الهجود للصلوة والضمير للقرآن نافلة لك
فريضة زائدة لك على الصلوات المفروضة او فضيلة لك لا

اختصاص وجوبه بك عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا
مقاما يحمده القائم فيه وكل من عرفه وهو مطلق فى كل مقام
يتضمن كرامة والمشهور انه مقام الشفاعة لما روى ابو هريرة
انه عليه الصلوة والسلام قال هو المقام الذى اشفع فيه لامتى
والاشعار بان الناس يحمدونه لقيامه فيه وما ذاك الا لمقام
الشفاعة وانتصابه على الظرف باضمار فعله اى فيقيمك مقا
او بتضمين يبعثك معناه او الحال بمعنى ان يبعثك ذا مقام
وقل رب ادخلنى اى فى القبر مدخل صدق ادخالا مرضيا
واخرجنى اى منه عند البعث مخرج صدق اخراجا ملقى بالكرامة
وقيل المراد ادخال المدينة والاخراج من مكة وقيل ادخال مكة
ظاهرا عليها واخراجه منها آمنا من المشركين وقيل ادخاله
الغار واخراجه منه سالما وقيل ادخاله فيما حمله من اعباء
الرسالة واخراجه منه مؤديا حقه وقيل ادخاله فى كل ما يلا
من مكابدة امر واخراجه منه وقرئ مدخل ومخرج بالفتح
على معنى ادخلنى فادخل دخولا واخرجنى فاخرج خروجا
واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا حجة تنصرنى على من
خالفنى او ملكا ينصر الاسلام على الكفر فاستجاب له بقوله
فان حزب الله هم الغالبون ليظهره على الذين كله ليستخلفهم
فى الارض وقل جاء الحق الاسلام وزهق الباطل وذهب
وهلك الشك من زهق روحه اذا خرج ان الباطل كان
زهوقا مضمحلا غير ثابت عن مسعود انه عليه الصلوة و
السلام دخل مكة يوم الفتح وفيها ثلاثمائة وستون صنما
فجعل ينكث بمخصره فى عين واحد منها ويقول جاء الحق
وزهق الباطل فينكب لوجهه حتى القى جميعها وبقى صنم خزا
فوق الكعبة وكان من صفر فقال يا على ارم به فصعد فرمى

به فكسه ونُنَزِّلُ من القرآنِ ما هو شفاءٌ ورحمةٌ للمؤمنين ه
ما هو فى تقويم دينهم واستصلاح نفوسهم كالدّواء الشافى
للمرض ومن للبيان فانّ كلّه كذلك وقيل انّه للتبعيض والمعنى
انّ منه ما يشفى من المرض كالفاتحة وآيات الشفاء وقرأ ابو
البصريان ننزل بالتخفيف ولا يَزِيدُ الظالمين إلّا خسارا ه
لتكذيبهم وكفرهم به واذا أنعمنا على الانسانِ بالصحة والسعة
أعرَضَ عن ذكر الله ونأى بجانبِه لوى عطفه وبعد بنفسه
عنه كانّه مستغن مستبد بامره ويجوز ان يكون كناية عن
الاستكبار لانه من عادة المستكبرين وقرأ ابن عامر برواية
ابن ذكوان هنا وفى فصلت ونأى على القلب او على انّه بمعنى
نهض واذا مسّه الشرّ من مرض او فقر كان يؤسا شديد
اليأس من روح الله قل كلٌّ يعمل على شاكلته قل كل يعمل على
طريقته التى تشاكل حاله فى الهوى والضلالة او جوهر روحه
واحواله التابعة لمزاج بدنه فربّكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا
اسد طريقا وابين منهجا وقد فترت الشاكلة بالطبيعة و
العادة والدّين ويسئلونك عن الرّوح الّذى يحيى به بدن
الانسان وتدبّره قل الرّوح من امرِ ربّى من الابداعيات
الكائنة بكن من غير مادّة وتولّد من اصل كاعضاء جسده
او وجد بامره وحدث بتكوينه على انّ السّؤال من قدمه
وحدوثه وقيل ممّا استأثره الله بعلمه لما روى انّ اليهود
قالوا لقريش سلوه عن اصحاب الكهف وعن ذى القرنين
وعن الرّوح فان اجاب عنها او سكت فليس بنبىّ وان
اجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو نبىّ فبيّن لهم ه
القصتين وابهم امر الرّوح وهو مبهم فى التّورية وقيل الرّوح
جبريل وقيل خلق اعظم من الملك وقيل القرآن ومن امر ه

رتى معناه من وحيه وما اوتيتم من العلم الّا قليلا تستفيدو نه
بتوسّط حواسّكم فانّ اكتساب العقل للمعارف النظرية ه
انّما هو من الضروريات المستفادة من احساس الجزئيات
ولذلك قيل من فقد حسّا فقد علما ولعلّ اكثر الاشياء لا يدِ ئيات
لحسّ ولا شيئا من احواله المعرفة لذاته وهو اشارة الى انّ ركه
الرّوح ممّا لا يمكن معرفة ذاته الا بعوارض تميّزه عمّا يلتبس
به فلذلك اقتصر على ذلك هذا الجواب كما اقتصّه فى جواب
وما ربّ العالمين بذكر بعض صفاته روى انّه صلى الله ه
عليه وسلم لمّا قال لهم ذلك قالوا انحن مختصون بهذا
الخطاب فقال بل نحن وانتم فقالوا ما اعجب شانك سا عة
تقول ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا وساعة
تقول هذا فنزلت ولو انّ ما فى الارض من شجرة اقلام
وما قالوه لسوء فهمهم لانّ الحكمة الانسانية ان يعلم من
الحقّ والخير ما تسعه القوّة البشرية بل ما ينتظم به معاشه ومعاده
وهو بالاضافة الى معلومات الله الّتى لا نهاية لها قليل ينال به خير
الدّارين وهو بالاضافة اليه كثير ولو شئنا لنذهبنّ بالّذى اوحينا
اليك اللّام الاولى موطئة للقسم ولنذهبنّ جوابه النّائب مناب
جزاء الشرط والمعنى انّ شئنا ذهبنا بالقرآن ومحوناه من المصا حف
والصّدور ثمّ لا تجد لك به علينا وكيلا من يتوكّل علينا استرداده
مسطورا محفوظا الّا رحمة من ربّك فانها ان نالتك فلعلّها تسترد ه
عليك ويجوز ان يكون استثناء منقطعا بمعنى ولكن رحمة من ه
ربّك تركته غير مذهوب به فيكونا امتنانا ببقائه بعد المنّة فى ه
تنزيله انّ فضله كان عليك كبيرا كارساله وانزال الكتب عليه
وابقائه فى حفظه قل لئن اجتمعت الانس والجنّ على ان يأتوا
بمثل هذا القرآن فى البلاغة وحسن النظم وكمال المعنى لا يأتون

بمثله وفيهم العرب العرباء وارباب البيان واهل التحقيق
وهو جواب قسم محذوف دل عليه اللام الموطئة ولولاها
لكان جواب الشرط بلا جزم لكن الشرط ماضيا كقول زهير
وان اتاه خليل يوم مسغبة يقول لا غائب مالي ولا حرم
ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ولو تظاهروا على الاتيان به
فلعله لم يذكر الملائكة لان اتيانهم بمثله لا يخرجه عن كونه
معجزة ولانهم كانوا وسائط في اتيانه ويجوز ان تكون الآية
تقرير القوله ثم لا تجد لك به علينا وكيلا ولقد صرفنا كررنا
بوجوه مختلفة زيادة في التقرير والبيان للناس في هذا
القرآن من كل مثل من كل معنى هو كالمثل في غرابته ووقوعه
موقعا في النفس فابى اكثر الناس الا كفورا الا جحودا
وانما جاز ذلك ولم يجز ضربت الا زيدا لانه متأول بالنفي
وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا تعنتا
واقتراحا بعد ما الزمهم الحجة ببيان اعجاز القرآن وانظمام
غيره من المعجزات اليه وقرأ الكوفيون تفجر بالتخفيف والارض
ارض مكة والينبوع عين لا ينضب ماؤها يفعول من نبع الماء
كيعبوب من عب الماء اذا رخص او يكون لك جنة من نخيل و
عنب فتفجر الانهار خلالها تفجيرا او يكون بستان يشتمل
على ذلك او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا يعني قوله
او تسقط عليهم كسفا من السماء وهو كقطع لفظا ومعنى وهو
قرأ ابن كثير وابو عمرو وحمزة والكسائي ويعقوب في جميع
القرآن الا في الروم وابن عامر الا في هذه السورة وابو بكر
ونافع في غيرهما وحفص فيما عدا الطور وهو اما مخفف
من المفتوح كسدر وسدد او فعل بمعنى مفعول كالطحن
او ثانيا بالله والملائكة قبيلا كفيلا بما تدعيه اى شاهدا

على صحته ضامنا لدركه او مقابلا كالعشير بمعنى المعاشر وهو
حال من الله وحال من الملائكة محذوف لدلالة ما عليها كما حذف
الخبر في قوله ومن يك امسى بالمدينة رحله او جماعة فيكون حال
من الملائكة او يكون لك بيت من زخرف من ذهب وقد قرئ
به واصله الزينة او ترقى في السماء في معارجها ولن نؤمن لرقيك
لرقيك وحده حتى تنزل علينا نقرؤه وكان فيه تصديقك قل
سبحان ربي تعجبا من اقتراحاتهم او تنزيها لله من ان يأتي او
يتحكم عليه او يشاركه احد في القدرة وقرأ ابن كثير وابن عامر
قال سبحان اى قال الرسول هل كنت الا بشرا كسائر الناس رسولا
كسائر الرسل وكانوا لا يأتون قومهم الا بما يظهره الله عليهم
على ما يلايم حال قومهم ولم يكن امر الآيات اليهم ولا لهم ان
يتحكموا على الله حتى يتخيروها على هذا هو الجواب المجمل واما
التفصيل فقد ذكر في آيات اخر كقوله ولو نزلنا عليك كتابا في
طلة قرطاس ولو فتحنا عليهم بابا وما منع الناس ان يؤمنوا اذ
جاءهم الهدى اى وما منعهم الايمان بعد نزول الوحي وظهور الحق الا
ان قالوا ابعث الله بشرا رسولا الا قولهم هذا والمعنى انه لم يبق
لهم شبهة تمنعهم عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن الا هو
انكارهم ان يرسل الله بشرا قل جوابا لشبهتهم لو كان في الارض
ملائكة يمشون كما يمشي بنو آدم مطمئنين ساكنين فيها لنزلنا
عليهم من السماء ملكا رسولا لتمكنهم من الاجتماع به والتلقي منه
واما الانس فعامتهم عماة عن ادراك الملك والتلقف منه فان
ذلك مشروط بنوع من التناسب والتجانس وملكا يحتمل ان هو
يكون حالا من رسولا او موصوفا به وكذلك بشرا والاول او
قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم على اني رسول الله اليكم باظهار
المعجزة على وفق دعوى او على اني بلغت ما ارسلت به هو

اليكم وانكم عائدتم وشهيد نصب على الحال او التمييز انه كان
بعباده خبيرا بصيرا يعلم احوالهم الباطنة منها والظاهرة فيجا
زيهم عليه وفيه تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم وتهديد
للكفار ومن يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد لهم اولياء
من دونه يهدونه ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم هم
يسحبون عليها او يمشون بها روى انه عليه الصلوة والسلام
قيل له كيف يمشون على وجوههم قال ان الذى امشاهم على
اقدامهم قادر على ان يمشيهم على وجوههم عميا وبكما وصما لا
يبصرون ما يقر اعينهم ولا يسمعون ما يلذ ولا ينطقون بما يقبل
منهم لانهم فى دنياهم لم يستبصروا بالايات والعبر وتصاموا
مسامعهم عن استماع الحق وابوا ان ينطقوا بالصدق ويجوز ان
يحشروا بعد الحساب من الموقف الى النار موقوفى القوى والحواس
مأواهم جهنم كلما خبت سكن لهبها بان اكلت لحومهم وجلود
هم زدناهم سعيرا توقدا بان يبدل جلودهم ولحومهم فتعود
مشتهية منتعشة بهم كانهم لما كذبوا بالاعادة بعد الافناء جزاهم
الله بان لا يزال العون على الافناء والاعادة واليه اشار بقوله ذلك
جزاؤهم بانهم كفروا بآياتنا وقالوا ائذا كنا عظاما ورفاتا ائنا
لمبعوثون خلقا جديدا الان الاشارة الى ما تقدم من عذابهم هم
اولم يروا يعلموا ان الله الذى خلق السموات والارض قادر
على ان يخلق مثلهم فانهم ليسوا اشد خلقا منهن والاعادة هم
اصعب عليه من الابداء وجعل لهم اجلا لا ريب فيه هو الموت
او القيمة فابى الظالمون مع وضوح الحق الا كفورا الا جحودا قل
لو انتم تملكون خزائن رحمة ربى خزائن رزقه وسائر نعمه
وانتم مرفوع بفعل يفسره ما بعده كقول حاتم لو ذات سوار
لطمتنى وفائدة هذا الحذف والتفسير المبالغة مع الايجاز والدلالة

على الاختصاص اذ الامسكتم خشية الانفاق لبخلتم مخافة النفاد
بالانفاق اذ لا احد الا ويختار النفع لنفسه ولو اثر غيره بشىء فانما
يؤثره لعوض يفوقه فهو اذا يبخل بالاضافة الى جود الله تعالى
وكرمه هذا وان البخلاء اغلب فيهم وكان الانسان قتورا
بخيلا لان بناء امره على الحاجة والضنة بما يحتاج اليه وهو
ملاحظة العوض فيما يبذل ولقد آتينا موسى تسع آيات
بينات هى العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم
وانفجار الماء من الحجر وانفلاق البحر ونتق الطور على
بنى اسرائيل وقيل الطوفان والسنون ونقص الثمرات مكان
الثلاثة الاخيرة وعن صفوان ان يهوديا سئل النبى صلى الله
عليه وسلم عنها فقال ان لا تشركوا بالله شيئا وتسرقوا ولا تزنوا
ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ولا تسحروا ولا تأكلوا
الربوا ولا تمشوا ببرئ الى ذى سلطان ولا تقذفوا محصنة و
لا تفروا من الزحف وعليكم خاصة اليهود ان لا تعدوا فى
السبت فقبل اليهودى يده ورجله فعلى هذا المراد بالايات
الاحكام العامة للملل الثابتة فى كل الشرايع سميت بذلك لانها تدل
على حال من يتعاطى متعلقها فى الاخرة من السعادة والشقاوة
وقوله وعليكم خاصة اليهود ان لا تعدوا حكم مستأنف زائد على
الجواب ولذلك غير فيه سياق الكلام فاسئل بنى اسرائيل اذ
جاءهم فقلنا له سلهم من فرعون ليرسلهم معك او سلهم عن
حال دينهم ويؤيده قراءته عليه الصلوة والسلام فسئال على
لفظ الماضى بغير همز وهو لغة قريش واذ متعلق بقلنا او سئال
على هذه القراءة او فاسئل يا محمد بنى اسرائيل عما جرى بين
موسى وفرعون اذ جاءهم او عن الآيات ليظهر على المشركين
صدقك لتسلى نفسك او لتعلم انك لو اتى ما اقترحوا لاصروا

على العناد والمكابرة كمن قبلهم او ليزداد يقينك لان تظاهر
الادلة توجب قوة اليقين وطمانينة القلب وعلى هذا كان ه
اذ نصبا تينا او باضمار يجري وك على انه جواب الامر او با
ضمار اذكر على الاستيناف فقال له فرعون اني لاظنك يا موسى
مسحورا سحرت فتخبط عقلك قال لقد علمت يا فرعون ه
وقراء الكسائي بالضم على اخباره عن نفسه ما انزل هؤلاء يعني
الآيات الا ربّ السموات والارض بصائر بيّنات يبصرك ه
صدقي ولكنك تعاند وانتصابه على الحال واني لاظنك يا فرعون
مثبورا مصروفا عن الخير مطبوعا على الشر من قولك ما ثبرك
عن هذا اى ما صرفك او هالكا قارع ظنه بظنه وشتان ما بين ه
الظنين فان ظن فرعون كذب بحت وظن موسى يحوم حول
اليقين من تظاهر امارات وقرئ وان الهالك يا فرعون لمثبورا
على ان المخففة واللام الفارقة فاراد فرعون ان يستفزهم
ان يستخفّ موسى وقومه وينفيهم من الارض ارض مصر او
الارض مطلقا بالقتل والاستيصال فاغرقناه ومن معه جميعا ه
فعكسنا عليه مكره فاستفززناه وقومه بالاغراق وقلنا من بعده
من بعد فرعون واغراقه لبني اسرائيل اسكنوا الارض التي اراد ان
يستفزكم منها فاذا جاء وعد الآخرة الكرة او الحيوة او الساعة
او الدار الاخرة يعني قيام القيمة جئنا بكم لفيفا مختلطين اياكم و
اياهم ثم يحكم بينكم ويميز سعدائكم من اشقيائكم واللفيف الجماعات
من قبائل شتى وبالحق انزلناه وبالحق نزل اى وما انزلناه ه
القران الا ملتبسا بالحق الذى اشتمل عليه وقيل وما انزلناه ه
من السماء الا محفوظا بالرصد من الملائكة وما نزل على الرسول
الا محفوظا بهم من تخليط الشياطين ولعله اراد به نفي اعتراء
البطلان له اول الامر واخره وما ارسلناك الا مبشرا للمطيع

بالثواب ونذيرا للعاصي بالعقاب فلا عليك من التبشير والانذار
وقرانا فرقناه نزلناه مفرقا منجما وقيل فرقنا فيه الحق من
الباطل فحذف الجار كما في قوله ويوم شهدناه وقرئ بالتشد يد
لكثرة نجومه فانه نزل في تضاعيف عشرين سنة لتقراه
على الناس على مكث على مهل وتؤدة فانه ايسر للحفظ و
اعون في الفهم وقرئ بالفتح وهو لغة فيه ونزلناه تنزيلا
على حسب الحوادث قل امنوا به او لا تؤمنوا فان ايمانكم با
لقران لا يزيده كمالا وامتناعكم عنه لا يورثه نقصانا وقوله
ان الذين اوتوا العلم من قبله تعليل له اى ان لم تؤمنوا به فقد
آمن معبا من هو خير منكم وهم العلماء الذين قرات الكتب ه
السابقة وعرفوا حقيقة الوحي وامارات النبوة وتمكنوا من
التمييز بين المحق والمبطل او راوا نعتك وصفة ما انزل اليك
في تلك الكتب ويجوز ان يكون تعليلا للقول على سبيل التسلية
كانه قيل تسل بايمان العلماء عن ايمان الجهلة ولا تكترث بايما
نهم واعراضهم اذا يتلى عليهم القران يخرون للاذقان سجدا ه
يسقطون على وجوههم تعظيما لامر الله وشكرا لانجاز وعده
في تلك الكتب ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم على فترة من الرسل
وانزال القران عليه ويقولون سبحان ربنا عن خلف الوعد
ان كان وعد ربنا لمفعولا انه كان وعده كائنا لا محالة ويخرون
للاذقان يبكون كرره لاختلاف الحال والسبب فان الاول ه
للشكر وعند انجاز الوعد والثاني لما الزفيهم من مواعظ القران
حال كونهم باكين من خشية الله وذكر الذقن لانه اول ما يلقى ه
الارض من وجه الساجد واللام فيه للاختصاص الحروري به و
يزيدهم سماع القران خشوعا لما يزيدهم علما ويقينا بالله ه
قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن ان حين سمع المشركون ه

رسول الله يقول يا الله يا رحمن فقالوا انه ينهانا ان نعبد
الهين وهو يدعو الها آخر او قالت اليهود انك لتقل ذكر الرحمن
وقد اكثره الله في التوراة فالمراد على الاول هو التسوية بين
اللفظين بانهما يطلقان على ذات واحد وان اختلف اعتبار
اطلاقهما والتوحيد انما هو للذات الذي هو المعبود وعلى
الثاني انهما سيان في حسن الاطلاق والاقضاء الى المقصود و
هو ما اوجب لقوله ايا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى والدعاء
في الاية بمعنى التسمية وهو يتعدى الى المفعولين حذف اولهما
استغناء عنه واو للتخيير والتنوين في ايا عوض عن المضاف
اليه وما صلة لتاكيد ما في اى من الابهام والضمير في له للمسمى
لان التسمية له لا للاسم وكان اصل الكلام ايا ما تدعوا فهو حسن
فوضع موضعه فله الاسماء الحسنى للمبالغة والدلالة على ما هو الدليل
عليه وكونها حسنى لدلالتها على صفات الجلال والاكرام ولا تجهر
بصلوتك بقراءة صلوتك حتى تسمع المشركين فان ذلك يحملهم على
السب والتفوه فيها ولا تخافت بها حتى لا تسمع من خلفك من
المؤمنين وابتغ بين ذلك سبيلا بين الجهر والمخافتة سبيلا
وسطا فان الاقتصاد في جميع الامور محبوب روى ان ابا بكر
كان يخفت ويقول اناجي ربي وقد علم حاجتي وعمر كان يجهر
ويقول اطرد الشيطان واوقظ الوسنان فلما نزلت امر رسول
الله ان ابا بكر ان يرفع قليلا وعمر ان يخفض قليلا وقيل معناه
لا تجهر بصلوتك كلها ولا تخافت بها باسرها وابتغ بين ذلك
سبيلا بالاخفات نهارا والجهر ليلا وقل الحمد لله الذي لم
يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك في الالوهية ولم يكن له
ولي من الذل ولم يوالي من اجل مذلة به ليدفعها بموالاته
نفي عنه ان يكون له ما يشاركه من جنسه ومن غير جنسه اختيارا

واضطرارا او ما يعاونه ويقويه ورتب الحمد عليه للدلالة على
انه الذي يستحق جنس الحمد لانه كامل الذات المتفرد بالايجاد
المنعم على الاطلاق وما عداه ناقص مملوك نعمة او منعم عليه و
لذلك عطف عليه قوله وكبره تكبيرا وفيه تنبيه على ان العبد و
ان بالغ في التنزيه والتحميد واجتهد في العبادة والتمجيد ينبغي
ان يعترف بالقصور عن حقه في ذلك روى انه عليه الصلوة
والسلام كان اذا افصح الغلام من بني عبد المطلب علمه هذه
الاية وعنه صلى الله عليه وسلم من قراء سورة بني اسرائيل
فرق قلبه عند ذكر الوالدين كان قنطار في الجنة والقنطار
اوقية تم الجزء الاول من تفسير القاضي البيضاوي المسمى بانوا
التنزيل في اسرار التاويل رحمة الله كه على يد الفقير الحقير
المعترف بالذنب والتقصير محمد بن شيخ احمد غفر الله له
ولوالديه ولمشايخه ولجميع المسلمين اجمعين آمين وذلك
للشيخ الامام العالم العلامة والحبر البحر الفهامة
شيخنا واستاذنا الشيخ مصطفى فسح الله في
اجله ونفع المسلمين بعلمه وعمله بمحمد واله
في عصر يوم نهار الجمعة المباركة سابع
عشر يوم من شهر رجب ه
الفرد من شهور سنة ه
الف ومائة وتسعة ه
عشر من الهجرة
النبوية على
صاحبها ه
الف سلام
وتحية
آمين

E. Ü. KÜTÜPHANESİ
Sultan Ahmed
37
1297/1